المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية بالرياض
قسم الأدب
الدراسات العليا

الكَوَاكِبُ السَّنِيَّة شَرْح القَصِيدَةِ المَقّرِيَّة

تأليف

أحمد بن صالح بن منصور الأدهمي الطرابلسي

(١١١٩ - ١١٥٩هـ = ١٧٠٧ - ١٧٤٦م)

من البيت التاسع والثلاثين إلى نهاية الكتاب

تحقيقًا ودراسةً للقصيدة

رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في الأدب

إعداد

نوال بنت عايض العميري

إشراف

الأستاذ الدكتور/ حمد بن ناصر الدُّخَيِّل

الأستاذ في قسم الأدب

الجزء الثاني

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

المقدمـة

الحمد لله الحنّان المنّان، خلق الإنسان علمه البيان، وجعل كل شيء بحسبان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، محمد بن عبد الله، خير من نطق بالضاد، وأفصح الناس، سكت فكان سكوته بلاغة، وتحدث فكان كلامه في أعلى درجات الصياغة، من غير تكلف و تعمد ، إذ أمره الله عز وجل في كتابه الكريم أن يقول : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [1].

وبعد....

الأدب مرآة للبيئة؛ تتناوله مجموعة ممتازة من البشر، هم من نطلق عليهم «المبدعين»، الذين على توقيع مشاعرهم ينعكس واقع الحياة ا جتماعي، والفكري، والسياسي؛ فيُسمعون الناس نبض الحياة، ويوحون إليهم بهمسها، ويضعون أيديهم على مناطق الوجع في جسدها، فيفشون أنينها، ويذيعون تغريدها، وحنينها، ويرسمون أمام العيون أحلامها، ويقدحون في العقول أفكارها، فيثبتون بذلك تقاليد فنية، اجتماعية، ويصوغون الحياة صياغة جديدة، ترسم عالم المثال في أبهى صوره، أو تعالج مواطن الخلل بحكمة واقتدار.

وأدبنا (شعره ونثره — في عصوره المختلفة) هو المعيار الحق لهوية أمتنا، والمظهر لتفاعلها مع الأحداث، في تجددها وتطورها، والمعجم الذي مفرداته مشاعرنا، وشروحه ضمائرنا، ومرجع ذلك إلى أمرين: الأول: ما يمتاز به العرب من الوهج العاطفي، والآخر: ما تمتاز به لغة العرب من الخصوبة، والقدرة على التجدد كلما احتاجت الحياة إلى تجدد.

ولعل الموضوع الذي البحث بصدده، من الموضوعات التي يمكن أن تدخل تحت ما درج النقاد على تسميته حديثًا بالأدب الإسلامي، ووصفوه بأنه صاحب آفاق مترامية الأطراف مطلقة الحدود؛ لأنه رحلة في الزمان والمكان، يجسدها تعبير متميز يتمثل في جزئيات وكليات العمل الأدبي مثل اللفظ والمعنى، والتجربة، والخيال، والإيقاع والذاتية، والغيرية التي من

(١) سورة ص، الآية: (٨٦).

شأنها أن تقفك على تقدير الظروف التي ولّدت هذه الآثار؛ وذلك لما للأدب من حيوية، وطاقة متجددتين، وذلك ما حدا بي – بفضل من الله ومنّه – إلى اختيار موضوع (شرح القصيدة المقّرية) لصاحبها أحمد محمد المقّري القرشي.

ومن الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع تحقيقًا ودراسة هو أنني وجدت في هذا الأثر الأدبي موسوعة عالية القدر، شريفة المقام، تضم بين طياتها: كنزًا متناغمًا تتجانس فيه: آيات القرآن العظيم، وأحاديث النبي الكريم، وأمثال العرب الوامضة، ولهجاتها الراكضة، وأشعارها النابضة.

كما وجدت فيه عرضًا رائعًا يفقه في الأصوات اللغوية، هذا غير التعريف بالعلماء، والشعراء، والتعليق على الأحداث، والمواقف الجتماعية، والسياسية بأسلوب علمي يجمع بين الموضوعية، والمنهجية، ينتقل القارئ خلاله بين بساتين العلم، ورياض المعرفة، فلا يعود إ وهو يملأ عقله وقلبه علمًا وأدبًا.

كانت العلوم العربية تفوح من هذا المخطوط، بين نحو وصرف وبلاغة، وأدب، وتاريخ، وبلدان (جغرافيا)، ومعارف تني تقطف من بساتينها، وتتنشق الصبا بين رياضها، وصدق رسول الله ×: «منهومان يشبعان....» [1].

إضافة إلى رغبتي في خوض تحقيق النصوص الأدبية التراثية للتمرس بأساليب القدماء، واطلاع على طرائقهم في الشرح والبحث.

ولما كان تحقيق كتاب، معناه: «أن يؤدى الكتاب أداء صادقا كما وضعه مؤلفه كمًّا وكيفا، بقدر الإمكان، وليس: «أن نلتمس للأسلوب النازل أسلوبا هو أعلى منه، أو نحلَّ

(١) «منهومان يشبعان طالب علم وطالب دنيا» هذا حديث صحيح لغيره رواه الحاكم النيسابوري في كتابه «المستدرك» ١: ٩٢.

كلمة صحيحة محلَّ أخرى صحيحة بدعوى أن أولاهما أولى بمكانها، أو أجمل أو أوفق»[1]؛ فقد شرعت في قراءة ما كتب المقّري قراءة متأنية، قدر الإمكان، فلم أغتر بما كنت أكتشفه من صواب الكلمة عند القراءة الأولى، بل كنت أعيد الكرة بعد الكرة، وأحاول، المرة بعد المرة، حتى أؤدي الأمانة وافية بإذن الله تعالى.

«فليس تحقيق المتن تحسينا، أو تصحيحا؛ وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ؛ فإن متن الكتاب حكم على المؤلف وحكم على عصره وبيئته، وهى اعتبارات تاريخية لها حرمتها كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوان على حق المؤلف الذي له وحده حق التبديل والتغيير»[2].

ومن حسن الحظ أن كان هذا المخطوط قسما مشتركا بيني وبين زميلة كريمة، أخذت هي أوله، وأخذت بقيته، وهي الأخت الباحثة:عائشه بنت دالش العنزي.

وكانت زميلتي أسبق مني وصولا إلى نسخ المخطوط فوصفته، وصفا أمينا، دقيقا، مفصحا عن حال النسخ ، وخطها، وسلامة أوراقها، وعدد أوراقها وصفحاتها، وسطورها، ورجعتُ إلى ما وصفتْ، فتحقق عندي صحته، وتبين عندي جودته، فرأيت أن أفيد مما ذكرت، لا سيما وأنا أكمل بعدها؛ فالذي تقوله هي عن أول المخطوط يصدق على آخره مما أقوم أنا بتحقيقه، والذي تصف به بعض المخطوط ينسحب على كله مما عندها وعندي من أوراقه، ولأن الوصف العلمي لنسخة مخطوط لا يظهر فيه فضل لباحث على باحث، فلا حاجة لأن يجتمع باحثان على وصف مخطوط واحد.

هذا. وقد رأيت أن أبدأ في المقدمة بذكر الأسباب التي دعتني إلى تناول هذا الموضوع في دراستي هذه، ثم أردفت ذلك بوصف منهج الدراسة الذي اعتمدته وسار البحث عليه.

---

(١) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها ،مكتبة السنة، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م– ص ٤٦.

(٢) السابق، ص٤٧.

ومن ثم اتبعته بتمهيد، يشتمل على ترجمة مختصرة، عن الشيخين: الناظم (المقّري) والشارح (الأدهمي)، وذكرت صحة اسم الكتاب وتوثيقه بنسبته إلى مؤلفه لترتبط النصوص بأصحابها، فمما □شك فيه أن ربط الأعمال بأصحابها يساعد كثير في فهمها، وتذوقها، وإدراك أبعادها الفكرية، والنفسية، وال□جتماعية؛ لأن التاريخ إضاءة لما احتوى عليه من الأعمال الفنية.

يأتي بعد ذلك الجزء المحقق من المخطوط هذا وسوف يليه دراسة تذوقية للنص الأدبي وهي دراسة تعتمد على:

- (دراسة المضمون) من حيث المعاني والأفكار والتجربة الشعرية.
- (دراسة الشكل) بالنظر إلى البناء (لغة وألفاظًا وتراكيبَ)، ودراسة التصوير الفني والإيقاع.
- (دراسة آراء الشارح) سواء ما يتعلق منها بالشكل أو المضمون، وهكذا تكتمل جوانب البحث من التحقيق والدراسة.

وبعد ذلك تأتي الخاتمة، وفيها أذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال مسيرتي البحثية، وأخيرًا الفهارس.

وفي تحقيق الكتاب ودراسة القصيدة رجعت إلى عشرات المصادر والمراجع من لغوية وأدبية ونقدية وتاريخية وبلدانية؛ لأن الكتاب موسوعي أشبه بدائرة معارف فهو □ يقتصر على الشرح اللغوي للبيت، وإنما يتوسع في شرحه، ويستطرد في بسط كل ما يوحي به البيت أو يشير إليه من خبر أو حادثة تاريخية أو معلومة تتصل بالأدب، ويسهب في رواية القصص والأشعار من قديمة وحديثة، وعلى المحقق أن يوثق ما يستطيع توثيقه من خلال ما يتوافر بين يديه من مصادر ومراجع، ولحظت أن المؤلف يعتمد كثيرًا في الشرح اللغوي على مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى عام ٦٦٦هـ، والقاموس المحيط

للفيروزآبادي المتوفى عام ٨١٧هـ، ولن أتمكن في هذا الحيز الضيق أن أشير إلى أهم المصادر التي اعتمدت عليها في التخريج والدراسة، لكثرتها، وكان يبقى نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني (٩٨٦ – ١٠٤١هـ) صاحب القصيدة المقرية موضوع الشرح متصدرًا قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في التحقيق والدراسة.

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي فتحت أبوابها لنا، وسقتنا من مناهلها العذبة مبتدئةً بمعالي مدير الجامعة، وأشكر كلية اللغة العربية وعلى وجه الخصوص قسم الأدب على ما أولوه لي من العناية والاهتمام سائلةً الله – عز وجل – أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم، وأن يجزيهم خير الجزاء، وكما شكرت من له يد علي، فإني لا أخالني أستطيع أن أؤدي الواجب الذي علي في حق الأستاذ الدكتور حمد ابن ناصر الدخيل كلأه الله – عز وجل – بعنايته ورعايته وحفظه، حيث أحاطني باهتمامه وتوجيهاته طيلة سنوات إشرافه عليَّ. كما أنني لا أنسى فضل الدكتور حسن النعمي مرشدي العلمي الذي وجهني في إعداد الخطة والنبذة فله مزيد الشكر والتقدير، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وأشكر أمي الغالية على كل ما بذلته لي، وأسأل الله أن يحفظها ويبارك لي فيها ويرزقني برها.

وأخيرًا أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأسأله – عز وجل – أن ينفعني بما علمني، وأن يزيدني علمًا، وأن يجعل عملي مباركًا متقبلاً، وما توفيقي إلا بالله، وعليه فليتوكل المتوكلون، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

التمهـــــيــد

التعريف بمؤلف القصيدة[1]:

المجتمع البشري عبارة عن مجموعة من الناس تعيش في منطقة لها سمات جغرافية ومناخية، ويترابط أفرداها بروابط التعاون، والتكامل، والألفة وتعد هذه الروابط المعيار الصحيح، الذي يحافظ على استمرار حياة المجتمع، وتوثيق علاقة أفراده بعضهم ببعض، كما تترابط هذه الجماعة بقيم، وعادات، وتقاليد، ونظم اجتماعية، ومظاهر حضارية تميزها عن غيرها من المجتمعات، ومجتمع منشئ القصيدة له معطياته البنائية، التي تشكل ظروف، وملابسات أفرادها، وهذا التشكيل النفسي، والسلوكي، والفكري يختلف من فرد إلى آخر، ويرجع الاختلاف إلى عملية التأثير والتأثر؛ مما يجعل التجاوب بين الأفراد يتفاوت ويتنوع، ومرد ذلك إلى سنة الله – تبارك وتعالى – حتى يتكامل المجتمع فيكون فيه العالم والأديب والشاعر والإداري والمهني .... الخ.

وقد كانت ميول المقّري تحصيل المعارف العربية وقد ساعده على تنمية استعداده الظروف الثقافية للبيئة ، وسوف يعرض البحث له من خلال إطلالة نكشف من خلالها النقاب عن طبيعته النفسية، والثقافية، ورؤيته للحياة؛ لما لذلك من أثر ملحوظ على معاني الشاعر، وأفكاره، وألفاظه، وخيالاته، وصوره؛ إذ النظم أثر من آثار صاحبه ومترجم عن شخصيته، ولا شك أن ذلك يبرز في الأعمال الكاملة للأديب أكثر من بروزه في عمل واحد مما حدا بي إلى الإطلاع على بقية نتاج الناظم، الفكري، والشعري.

(١) اعتمدت في هذه الترجمة على كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني، بتحقيق الدكتور إحسان عباس، وقد كفاني مؤونة الرجوع إلى المصادر، لما وجدته في الترجمة التى قدمها من وفاء بالمعلومات المطلوبة، وإلمام ، بحياته، وشيوخه، ومؤلفاته، ورحلاته.. الجزء الأول، ص: ٥ – ١٤ (المقدمة)، ص: ١ وما بعدها.

اسمه ونسبه ومولده وأسرته:

هو أحمد بن محمد بن أحمد المقّري القرشي المكنى بأبي العباس والملقب بشهاب الدين. وقد ولد سنة ٩٨٦ هـ، بمدينة تلمسان، وأصل أسرته من قرية مقرة، وقد أفصح عن حالة أسرته بتلمسان في قوله: "وبها ولدت أنا، وأبي، وجدي، وقرأت بها، ونشأت إلى أن ارتحلت عنها في زمن الشبيبة إلى مدينة فاس سنة ١٠٠٩هـ، ثم رجعت إليها آخر عام ١٠١٠هـ، ثم عاودت الرجوع إلى فاس سنة ثلاث عشرة وألف ١٠١٣هـ ، إلى أن ارتحلت عنها للمشرق أواخر رمضان سنة سبعة وعشرين وألف للهجرة ١٠٢٧ هـ.... "

شيوخه ورحلاته العلمية:

يعد الشيخ سعيد المقّري – عم صاحبنا– من أهم شيوخه، وقد تلقى العلم بتلمسان على يديه، ثم فارق هذه البلدة إلى فاس، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وفي فاس مضى يطلب العلم على شيوخها إلى أن حل فيها الفقيه إبراهيم ابن محمد الآيسي أحد قواد السلطان أحمد المنصور الذهبي، فأعجب بالمقّري الشاب واصطحبه معه إلى مراكش، وقدمه إلى السلطان، وهناك التقى بابن القاضي، وبأحمد بابا التنبكتي صاحب "نيل الابتهاج" وبغيرهم من علماء مراكش، وأدبائها، وكانت هذه الرحلة مادة كتابه: "روضة الآس" الذي أخذ في كتابته حين عودته إلى فاس، ومنها إلى بلده تلمسان ليقدمه إلى السلطان المنصور، ولكن السلطان توفي سنة ١٠١٢هـ "والمقّري ما يزال في بلده، ومع ذلك؛ فإن الهجرة من تلمسان كانت قد ملكت عليه تفكيره؛ فلم يلبث أن غادر مسقط رأسه نهائياً إلى فاس (١٠١٣هـ) وأقام فيها حوالي خمسة عشر عاماً، وعمل في هذه الفترة بالإمامة، والفتوى، والخطابة؛ ومن الجدير بالذكر أن مدينة فاس كانت تعاني من الاضطرابات، والأطماع، والأشد من هذا تعرض بلاد المغرب للغزوات: الإسبانية، والبرتغالية.

ولعل من الأمور التي أثرت في المقّري انقطاع آخر صلة للعرب ببلاد الأندلس حين تفرقت الجالية الأندلسية تطلب لها مأوى في سلا، وتونس، وغيرهما من البلاد المغربية، وبعد ثلاث سنوات كان الإسبان يستولون على مدينة العرائش في المغرب بمواطأة الشيخ المأمون أحد أبناء المنصور، ولكن هذا العمل لقي استنكاراً من الناس.

وقد ارتحل المقّري بعد هذه الوقعة -بين البلدان- هروباً من الأحقاد والدسائس؛ فلم يفكر إبان تلك الآونة في العودة إلى المغرب، ولكنه توجه إلى القاهرة، فالحجاز عن طريق البحر، ثم وصل إلى مكة في ذي القعدة من العام التالي، وبقي فيها بعد العمرة ينتظر موسم الحج، ثم غادرها إلى المدينة؛ لزيادة قبر الرسول (ﷺ) , وذلك في عام ١٠٢٧هـ ثم عاد إلى مصر ١٠٢٩هـ، وفي شهر ربيع زار بيت المقدس، وأخذ يتردد إلى مكة، والمدينة حتى كان في ١٠٣٧هـ قد زار مكة خمس مرات، وزار المدينة سبع مرات، ثم عاد إلى مصر ملازما خدمة العلم الشريف بالأزهر وكان عوده من الحجة الخامسة بصفر سنة سبع وثلاثين وألف للهجرة، يقول المقّري: "فتحركت همتي أوائل رجب هذه السنة للعودة لبيت المقدس، وتجديد العهد بالمحل الذي هو على التقوى مؤسس، فوصلت أواسط رجب، وأقمت فيه نحو خمسة وعشرين يوما بدا لي فيها بفضل الله وجهُ الرشد، وما احتجب، وألقيت عدة دروس بالأقصى، والصخرة المنيفة، وزرت مقام الخليل ومن معه من الأنبياء ذوي المقامات الشريفة، وكنت حقيقاً بأن أنشد قول ابن مطروح في ذلك المقام الذي فضله معروف وأمره مشروح[(١)]:

خليلَ اللهِ قد جئناكَ نرجو ... شفاعتَك التي ليست تُرَدُّ

أَنِلْنَا دعوةً واشفَعْ تشفَّعْ ... إلى مَنْ لا يخيبُ لديه قَصْدُ

---

(١) ديوان ابن مطروح، تحقيق: د. حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص: ١١٨، ونفح الطيب: ٥٧/١.

وقـــل يا ربِّ أضـــيافٌ ووفْـــدٌ لهـــم بمحمـــدٍ صـــلةٌ وعَهْـــدُ

أتَـــوا يســـتغفرونك مـــن ذنـــوبٍ عظـــامٍ لا تُعَـــدُّ ولا تُحَـــدُّ

ولكـــن لا يضـــيقُ العَفْـــوُ عـــنهم وكيـــف يضـــيقُ وهـــو لهـــم مُعَـــدُّ

وقـد سـألوا رضـاكَ علـى لسـاني إلهـــي مـــا أجيـــبُ ومـــا أردُّ

فيـــا مـــولاهمُ عَطْفـــاً علـــيهمْ فهُـــمْ جمـــعٌ أتـــوْكَ وأنـــتَ فَـــرْدُ

"ثم استوعبت أكثر تلك المرارات المباركة؛ كمزار موسى الكليم على نبينا وعليه وعلى سائر المرسلين والأنبياء أجمعين أفضل الصلاة والتسليم، ثم حدث لي منتصف شعبان عَزْمٌ على الرحلة إلى المدينة-التي ظهر فضلها وبان-، دمشق الشام، ذات الحسن والبهاء، والحياء، والاحتشام، والأرواح المتنوعة، والأرواح المتضرعة، حيث المشاهد المكرمة، والمعاهد المحترمة، والغوطة الغناء، والحديقة، والمكارم التي يُبَاري المرء شانئه وصديقه، والأظلال الوريفة، والأفنان الوريقة، والزهر الذي تخاله مَبْسِما، والندى ريقه، والقضبان الملْدُ التي تشوق رائيها لجنة الخلد، ودخلتها أواخر شعبان ١٠٣٧ وحمدت الرحلة إليها، وجعلها الله من السعي المشكور:

وجـدتُ بهـا مـا يمـلأ العَـيْن قُـرَّةً ويُسْـلي عـن الأوطـانِ كُـلَّ غَرِيـبِ[(١)]

وكما قلت مرتجلا أيضاً مضمنا الرابع والخامس[(٢)]:

دمشـــــــــق راقـــــــــت رُوَاءً وبهجـــــــــةً وغضَـــــــــاره

(١) نفح الطيب: ١/٥٨.

(٢) المصدر السابق: ١/٦٠.

فيهـــــا نســــــيمٌ عليـــــــلٌ صــــــح فوافــــــتْ بشــــــاره

وغوطَــــــــــةٌ كَعـــــــــروسٍ تُزْهَـــــى بأعجــــــبِ شَــــــارَه

كـــــالزهرِ زَهْـــــرًا وعنهـــــا عَــــــرْفُ العَبِــــــير عِبَــــــاره

والجــــــامعُ الفَــــــرْدُ منهـــــا أعلــــــى الإلـــــــهُ منَــــــارَهْ

وحاصِــــــلُ القــــــولِ فيهـــــا لمــــــــن أرادَ اختصَــــــــاره

وقلت أيضاً[(١)]:

قــال لي: مــا تقــولُ في الشَّــامِ حَــبْرٌ كلمـــا لاحَ بارقُ الحُسْـــنِ شَـــامَهْ

قلــت: مــاذا أقــول في وصــف قطـر هـــو في وَجْنَـــةِ المحاســـنِ شـــامه»

وفي دمشق تلقاه المغاربة وأنزلوه في مكان يليق، فأرسل إليه الأديب أحمد بن شاهين مفتاح المدرسة الجقمقية، فلما شاهدها أعجبته وتحول إليها، وقد أسهب في ذكر حاله بدمشق، وما تلقاه به أهلها من حسن المعاملة"[(٢)]، ويكفي هنا أن ننقل بعض ما قاله المحبي في خلاصة الأثر:"وأملى صحيح البخاري بالجامع تحت قبة النسر بعد صلاة الصبح، ولما كثر الناس بعد أيام خرج إلى صحن الجامع، تجاه القبة المعروفة بالباعونية، وحضره غالب أعيان علماء دمشق، وأما الطلبة فلم يتخلف منهم أحد، وكان يوم ختمه حافلاً جداً اجتمع فيه الألوف من الناس، وعلت الأصوات بالبكاء فنقلت حلقة الدرس من وسط الصحن، إلى الباب الذي يوضع فيه العلم النبوي في الجمعيات من رجب، وشعبان ورمضان، وأتي له

(١) نفح الطيب: ١/٦٠.

(٢) راجع نفح الطيب ، المجلد الأول، من ص ٥ : ٧٤، بتصرف.

بكرسي الوعظ فصعد عليه، وتكلم في العقائد، والحديث لم يسمع له نظير أبداً، وتكلم على ترجمة البخاري... وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قرب الظهر... ونزل عن الكرسي فازدحم الناس على تقبيل يده، وكان ذلك نهار الأربعاء سابع عشري رمضان سنة ١٠٣٧هـ، ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين إلى دمشق ما اتفق له من الحظوة، وإقبال الناس، وقد خرج جمهور كبير من علمائها، وأعيانها في وداعه، عندما اعتزم العودة إلى مصر[١].

وقد عاد المقّري إلى مصر رغم إعجابه بدمشق وأهلها، وكان أثناء إقامته الطويلة بمصر قد تزوج امرأة من عائلة السادة الوفائية، رزق منها بنتاً، توفيت عام ١٠٣٨، ويبدو أنّ العلاقة بينه وبين زوجته لم تكن موشحة بالوفاق، مما اضطره إلى تطليقها؛ وقد زادت هذه الحادثة من تنغيص حياته بمصر، ويقول الخفاجي: إنه وجد بمصر الحسد والنفاق، وتجارة الآداب ليس لها بسوقها نفاق، وفيما كان يزمع الهجرة من مصر ليستوطن الشام، وافته منيته في جمادي الآخرة سنة ١٠٤١"[٢].

ويبدو أن المقّري كان فيه ميل إلى التصوف فقد :" حدث تلميذ له كان يلازمه ويرافقه في تنقلاته بدمشق وزياراته لمعالمها – وهو الشيخ مرز الشامي– قال: إنه ذهب معه ذات يوم لزيارة قبر الشيخ محيي الدين ابن العربي في خارج المدينة، قال: وكان خروجنا بعد صلاة الصبح، ووصلنا إلى المزارة عند طلوع الشمس، فلما جلسنا عنده قال لي الشيخ المقّري: "إني ابتدأت عند خروجنا إلى الزيارة ختمة من القرآن لروح هذا الشيخ، وقد ختمتها الآن". وقد علق الدكتور إحسان عباس على هذه الحكاية بقوله:"وهذا شيء مستغرب لقصر المدة التي تمت فيها الختمة"[٣].

(١) خلاصة الأثر للمحبي، دار صادر، بيروت، الجزء الأول، ص ٣٠٢– ٣١٢.

(٢) نفح الطيب – تحقيق د. إحسان عباس –١/ ٦ .

(٣) نفح الطيب – تحقيق د. إحسان عباس –١/ ٥ .

إنتاجه العلمي:

العلم كنز رفيع الشأن به يرقى صاحبه وطالبه، وكيف وقد أثنى الحق - سبحانه وتعالى – على العلماء كما أثنى عليه الرسول (×) بل وحث على الانتهال منه وتشجيع طلابه وضاعف من قيمته ما قاله الرسول (×) في منزلة العالم والمتعلم. والحقيقة أن المقّري يعد من أبرز العلماء، بل من أهم الرحّالة الذين لهم بصمات إيجابية في عالم الفكر مما يحسب له إثراء المكتبة العربية بمؤلفات تشير إلى أصالة العطاء العربي الإسلامي، وقد ذكر الدكتور إحسان عباس في مقدمته لكتاب نفح الطيب هذه المؤلفات وهي ثمانية وعشرون كتابًا كما ذكر، ومنها ما يلي:

١ - روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين: مراكش وفاس، ألفه حوالي ١٠١١هـ – ١٠١٢هـ؛ ليقدمه إلى المنصور أحمد الذهبي، وقد طبع بالمطبعة الملكية بالرباط عام ١٩٦٤هـ بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب منصور.

٢ - أزهار الرياض في أخبار عياض، ألفه أثناء إقامته بفاس ١٠١٣هـ– ١٠٢٧هـ، ولم يطبع منه إلا ثلاثة أجزاء؛ بتحقيق الأساتذة مصطفى السقا – وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، (القاهرة ١٩٣٩م – ١٩٤٢م).

٣ - حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي، ذكره المحبي وصاحب اليواقيت.

٤ - عرف النشق من أخبار دمشق، ذكره المحبي – ولعله كان مشروعا لم يتم.

٥ - شرح مقدمة ابن خلدون ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون.

٦ - قطف المهتصر في شرح المختصر ، شرح على حاشية مختصر خليل، ذكره المحبي.

٧ - الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين، ذكره المحبي وصاحب اليواقيت .

٨ – البلدة والنشأة، ذكره المحبي واليواقيت.

٩ – حسن الثنا في العفو عمن جنى، طبع بمصر في ٤٧ صفحة ، دون تاريخ.

١٠ – الأصفياء ، ذكره أحمد الشاهيني في رسالة بعث بها إلى المقّري.

١١ – الشفاء في بديع الاكتفاء، ذكره أحمد الشاهيني في رسالته.

١٢ – النمط الأكمل في ذكر المستقبل.

١٣ – شرح له على قصيدة "سبحان من قسم الحظوظ" ذكره أبو الفداء في اليواقيت، وهو هذا الشرح.

١٤ – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق: د. إحسان عباس، وغير ذلك من مؤلفات ذكرها محقق نفح الطيب كما ألمحت إلى ذلك قبل سطور.

التعريف بشارح القصيدة:

اختيار المرء قطعة من عقله، والمقّري، أديب وفيلسوف مثقف، فاعل في بناء مجتمعه، وصانع في تاريخ أمته؛ فالمقّري أديب متميز قال عنه المحبي في خلاصة الأثر "أبو العباس المقّري: جاحظ البيان، لم يرد نظيره في جودة القريحة وصفاء الذهن وقوة البديهة، كان آية باهرة في علم الكلام، والتفسير، والحديث، ومعجزا باهراً في الأدب والمحاضرات، وله المؤلفات الشائقة[١]...." ولهذا دلالة على عقلية الأدهمي الشارح، إذ اختار نصاً يمثل منفذا إلى الثقافة العربية والإسلامية بكل فروعها، وشتى مناحيها. ليفتح النص على البُنى الثقافية المغايرة ، وليضعه في سياقه من الحراك الثقافي السائد.

(١) راجع ترجمته في خلاصة الأثر ، للمحبي، دار صادر، الجزء الأول، ص ٣٠٢ – ٣١٢.

وقد ترجم الزركلي صاحب كتاب الأعلام[1]، للأدهمي ، ترجمة غير وافية، – فيما أرى– ؛ حيث نقل – مختصراً – ترجمة له عن صاحب سلك الدرر، الذي وجدتُ عنده الترجمة الوافية، للأدهمي الطرابلسي، وهذه هي الترجمة كما وجدتها فى سلك الدرر: "أحمد ابن صالح بن منصور المعروف بالأدهمي الحنفي الطرابلسي العالم الفهّامة الفاضل المتقن الأديب المحقق الجهبذ اللوذعي كان مهذب الأخلاق حلو الشمائل ماجد الأعراق أورق في دمياط عوده النضير إذ للبقاع في الطباع تأثير واشتغل بالعلوم وملك أزمة منطوقها والمفهوم ثم تولى الإفتاء بها وبعدها تولى نقابة الأشراف بمصر المحروسة مع ما يليها من الأطراف والبلاد ولم يمكث بها إ قليلاً وأدخل عليه الرحيل فأذاقه الحمام وكان في الإنشاء له سرعة وفكاهة ونباهة كلية ورأيت من آثاره شرحاً على قصيدة الشيخ أحمد المقّري المغربي علاّمة دهره التي مطلعها:

سـبحانَ مـن قَسَـمَ الحظـو ظَ فـلا عِتَـابَ ولا ملامَـهْ

أَعْمـى وأعشَـى ثم ذو بَصَـرٍ وزرقـاءُ اليمامَـهْ

وقد سماه بـ"**الكَوَاكِبْ الْسَنِّيَّة شَرْح الْقَصِيدَةِ الْمَقَّرِيّة**" وهو تأليف حسن مفيد يدل على فضله الغزير وقوة اطلاعه وجزالة تقريره، والتحبير والتحرير، وأودعه فوائد كثيرة ونقوت مستحسنة، وأشياء غريبة، وقد اصطفاه من أكثر من عشرين كتاباً وكانت وفاته في سنة تسع، وخمسين ومائة وألف رحمه الله تعالى وكان مولده سنة تسع عشرة ومائة وألف"[2].

---

(١) طبعة دار العلم للملايين، بيروت ط٥، ١٩٨٠، ص ١٣٨، وقد أحال الزركلي في هامشه إلى كتاب سلك الدرر .

(٢) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل السيد محمد خليل أفندي المرادي، ج/١ ص ١٦٩–١٧٠.



القسم الأول

مقدمة التحقيق

توثيق نسبة الكتاب للمؤلف:

كل الدلائل والشواهد تثبت أن كتاب (الكواكب السنية شرح القصيدة المقرية) هو من تأليف أحمد بن صالح بن منصور الأدهمي الطرابلسي (١١١٩ – ١١٥٩هـ = ١٧٠٧ – ١٧٤٦م)، فالمخطوطات التي عثرنا عليها للكتاب تعزو هذا الكتاب إليه، ونسبه إليه المرادي

في سلك الدرر، قال: «ورأيتُ من آثاره شرحًا على قصيدة الشيخ أحمد المقّري المغربي، علامة دهره، التي مطلعها.... وقد سماه بالواكب السنية شرح القصيدة المقرية»[1] وأثنى على الكتاب كثيرًا، وتابعه في النسبة الزركلي[2]. ولم يذكره الحاج خليفة في كشف الظنون، لأنه توفي عام ١٠٦٧هـ قبل ميلاد الأدهمي بسنين، وذكره إسماعيل باشا البغدادي[3] (ت١٣٣٧هـ)، وعمر رضا كحالة[4]، ولم يذكره بروكلمان[5].

مخطوطات الكتاب ووصف النسخ:

بعد البحث مع زميلتي عن النسخ الخطية للشرح وجدنا له عددًا من النسخ المخطوطة، أذكرها مع وصف مستقل لكل نسخة، وقد سبقتني زميلتي إلى وصفها.

١- نسخ دار الكتب المصرية:

- نسخة برقم (٦٦١٧ أدب) ورمزها (د) تتكون من سبع وخمسين ومائة ورقة ١٥٧، تتألف كل ورقة من صفحتين، في كل صفحة تسعة عشر سطرا (١٩)، كتبت بخط نسخ حسن واضح، مع اختلاف ظاهر في طريقة كتابة الحروف وحجمها ، مما يدل - والله أعلم — على أن هناك أكثر من ناسخ قد اشتركوا في نسخها.

انتهى من نسخها عبد الغني الطرابلسي المغربي سنة ١٢٠٦هـ وبذيلها تقريظ للأستاذ سيدي محمد السعيد اللقيمي، على الشرح وبذيلها كلام عن الشرح ووصف له غير واضح في

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمد خليل المرادي، تحقيق: أكرم حسن العلي، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، دار صادر، بيروت، ١/١٩٣ — ١٩٤.

(٢) الأعلام: ١/١٣٨.

(٣) إيضاح المكنون: ٢/٣٩٢، وهدية العارفين: ١/١٧٤.

(٤) معجم المؤلفين: ١/٢٥٣.

(٥) تاريخ الأدب العربي: ٨/٣٤٦.

بعض ألفاظه ذكر فيه اسم ناسخ إحدى النسخ – وهي الأصل- وهو محمد خليل الدمياطي ، وكأنه يشير إلى أنه ينقل من تلك النسخة، رغم اختلاف واضح بين النسختين.

وفي هذه النسخة طمس يصل أحياناً إلى صفحة أو صفحتين ، مما قلل من الإفادة من هذه النسخة،التي تعد من أقل النسخ تحريفا، وتصحيفا، وأخطاء لغوية، وإملائية.

– نسخة برقم (٩٧٥٩ أدب)، ورمزها (أ) تتألف من اثنتين وأربعين ومائتي(٢٤٢) ورقة، كل ورقة منها تتألف من صفحتين، في كل صفحة منها واحد وثلاثون سطراً مكتوبة بخط نسخ حسن واضح، وانتهى من نسخها إسماعيل محمد خليفة عام ١١٦٨هـ وبذيلها تقريظ للأستاذ سيدي محمد السعيد اللقيمي ، وهذه النسخة هي أكثر النسخ تصحيفا وتحريفا.

– نسخة برقم (٦٣١١ أدب) ورمزها (ر) تتألف من خمس وسبعين ومائتي ورقة (٢٧٥) في كل ورقة صفحتين، في كل صفة ثمانية وعشرون سطرا (٢٨) مكتوبة بخط الرقعة ، وتختلف في درجة وضوحها وغموضها، من ورقة لأخرى، ويظهر أن بعض الأبيات كتبت باللون الأحمر ولذا لم تظهر في التصوير ، ولم يذكر اسم الناسخ، أو تاريخ الانتهاء من النسخ .

وفي هذه النسخة الكثير من التعليقات والشروح الخاصة بالمتن ، في الهوامش بداية من الغلاف ، حتى أن هذه التعليقات كانت تطغى في بعض الصفحات فتخالط المتن ، وكثيرا ما ذيلت التعليقات باسم مالك المخطوطة ، السيد / محمد حفني المهدي الشافعي.

وهذه النسخة هي أسوأ النسخ من حيث عدم وضوح الخط ، وهيئة المخطوط، وحال سلامة أوراقه.

٢- نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية:

وهي مصورة من مكتبة باريس الوطنية ، ورقمها (ب – ف- ٣٢٥٤) ، وهي الأصل وتتكون من اثنتين وأربعين وأربعمائة ورقة (٤٤٢) تتألف كل واحدة منها من صفحتين، بكل صفحة واحد وعشرون سطرا (٢١)، مكتوبة بخط عادي مقروء(العادي: يعني الذي يلتزم صاحبه بقواعد الخط فيكتب الحروف كيفما اتفق له كعادتنا أهل هذا الزمان)، وقد انتهى من نسخها خليل الدمياطي الخطيب سنة ست وخمسين ومائة وألف ١١٥٦هـ وكتبت في عصر المؤلف، ولم تسلم هذه النسخة من التصحيف والتحريف والأخطاء الإملائية واللغوية ، وبعض السقط ولكنه لقلته لم يؤثر على قيمتها ورمزها (م).

٣- نسخة مكتبة عارف حكمت :

وهي برقم (١٩٢/ ٨١٠ ب أدب)ورمزها (ك) تتكون من ست عشرة وثلاثمائة ورقة (٣١٦)، تتألف كل ورقة من صفحتين ، في كل صفحة خمسة وعشرون سطرا (٢٥) ، كتبت بخط نسخ حسن بيِّن، وقد انتهى من نسخها إسماعيل خليفة سنة ثمان وثمانين ومائة وألف ١١٨٨هـ ، وفيها أخطاء كثيرة : لغوية وإملائية، وفيها كذلك تصحيف وتحريف.

وقد قمت بتقسيم هذه النسخ إلى مجموعات ثلاث :

المجموعة الأولى: تتكون من النسختين المرموز لهما بالرمزين (د) و (ر) لوجود تشابه بينهما ، واتفاقهما في كثير من الألفاظ عند اختلاف النسخ ، مما يدل على أن واحدة منهما نقلت عن الأخرى، أو أنهما نقلتا عن أصل واحد . وقد اخترت منهما (د) لأنها الأفضل من حيث سلامة المخطوط ، والمعرفة باسم ناسخه، وتاريخ الانتهاء من النسخ.

المجموعة الثانية: تتكون من النسختين المرموز لهما بالرمزين : (ك) و (أ) لأنهما لناسخ واحد ، والغالب أن (أ) هي الأصل وبينهما تشابه كبير يصل إلى درجة التطابق ، والاختلافات بينهما نادرة.

وهما – بعد ذلك– على درجة واحدة من حيث التصحيف والتحريف، وقد اخترت (ك) لتكون أصلا لأختها ، وذلك لوضوح الخط فيها ، وكبر حجمه.

المجموعة الثالثة: نسخة مركز الملك فيصل، وهي الأصل وقد دفعني إلى جعلها أصلا عدة أمور منها : أنها نسخة كاملة ، وأنها بحال جيدة من حيث سلامة أوراقها ، وأن الخط فيها مقروء وحسن وواضح، وأن الخرم فيها قليل، وأنها – وهو الأهم – مكتوبة في عصر المؤلف ورمزها (م) .

٣- منهج التحقيق:

يعتمد منهج الباحثة في تحقيق المخطوط على عدد من المبادئ الأساسية التي غنى لأي محقق عنها، والتي يحتاج إليها القارئ حتى يستطيع التعامل مع المخطوط، ويصبح صالحاً للنشر، وتزيد الستفادة منه لدى المتخصصين وغير المتخصصين على حد سواء.

وتختلف مناهج العمل لدى المحققين حسب اختلاف أسلوب الدارسة لديهم، ولكنهم يتفقون على عدد من المبادئ الأساسية عند تحقيق المخطوطات، وهذا ما اعتمدته في تحقيق

مخطوطنا "شرح القصيدة المقرية" فقد قام منهجي على عدد من الأمور يمكن تلمسها عبر صفحات التحقيق في البحث ومن أهمها:

١) تخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة.

٢) تخريج أبيات الشعر، والأقوال المأثورة، والحكم، ومحاولة نسبتها إلى أصحابها، مع الاعتراف بصعوبة العمل في هذا الجانب، ووجود عدد من الأقوال أو الأبيات التي لم استطع أحياناً العثور عليها وربما تكون أبياتاً غير مشهورة، أو وليدة عصر الكاتب وبيئته وربما يكون قد سمعها مشافهة ولم توثق في كتب أو مصادر، أو ربما تكون قد وردت في مصادر ولم أستطع الاهتداء إلى مكانها في هذه المصادر.

٣) ترجمة الأعلام خاصة غير المشهورين منهم، فمن الأعلام – في عصرنا هذا – من لا يحتاج إلى ترجمة، نظراً لكثرة الترجمات الواردة له، ومن نماذج هؤلاء المشهورين في البحث: الفرزدق، البحتري، أمية بن أبي الصلت وغيرهم، ورغم ذلك فلا بأس من إيراد ترجمة موجزة لهم مع الإشارة إلى مصادر ترجمتهم.

٤) بيان معاني بعض الكلمات وتخريجها من المعاجم الكبيرة للغة، أمثال: لسان العرب، ومختار الصحاح، والقاموس المحيط وغيرهم، مع الإحالة إلى هذه المعاجم ليرجع إليها من أراد.

٥) الإشارة إلى أماكن بعض البلدان ووصف موجز لها، فقد ذكر الشارح بعض الأماكن دون أن يوضح شيئاً عنها، وكان من الضروري تقديم نبذة مختصرة عنها.

٦) نسبة بعض الكتب خاصة المعروفة – إلى أصحابها، وقد كان يحدث أن يذكر الشارح بعض الكتب – ومنها الشهير – دون نسبته إلى أصحابه، وكان علي أن أقوم بذلك

ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٧) التحقق من صحة بعض الكلمات والعبارات، ومحاولة اتساق النص، عن طريق مقابلة النسخ، أو الاعتماد على الاجتهاد والذوق من الباحثة، ولعلي أكون قد وفقت في بعض الاجتهادات، وأعتذر عما وقع فيها من الخطأ.

٨) ضبط بعض الكلمات في نص القصيدة، أو في متن الشارح حتى يتضح معناها للقارئ، وقد اعتمدت في كثير من الأحيان على الذوق لاختيار الضبط الصحيح للكلمات التي تحتمل أكثر من معنى، وأتمنى أن يحالفني الصواب في اختياري.

٩) التعليق أحياناً على ما يحتاج إلى تعليق من كلام الشارح، وبيان رأي الخاص في هذا الشأن، وهذا من أهم سمات الباحث في مرحلة الماجستير والدكتوراه.

هذا وسوف يلي التحقيق دراسة تذوقية للنص الأدبي وهي دراسة تعتمد على.

(دراسة المضمون) من حيث المعاني والأفكار والتجربة الشعرية.

(دراسة الشكل) بالنظر إلى البناء (لغة وألفاظ وتراكيب)، ودراسة التصوير الفني والإيقاع.

(دراسة آراء الشارح) سواء ما يتعلق منها بالشكل أو المضمون وهكذا تكتمل جوانب البحث من التحقيق والدراسة.

هذا ويمكن للمتلقي من خلال بعض النماذج في الرسالة — استكشاف هذا المنهج الذي طرحته في التمهيد، ليحكم على الباحثة في هذا التحقيق، والعمل — كما قلت سابقاً — لا يتم إلا بالتصويبات والتوجيهات الدائمة من أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة، ومن أستاذي الجليل المشرف على الرسالة، ومن آراء المتلقين، وذلك لكي نحاول جميعاً سد جوانب

الخلل في هذا العمل، وذلك قبل طرحه للنشر حتى يستفيد منه جميع طلاب العلم في الأدب العربي في شتى بقاع الأرض.

ومن بين هذه النماذج التي يمكن مراجعة منهجنا في التحقيق من خلالها نموذج شرح قول الناظم:

وذوو الوِزَارةِ والحِجَا　　　بةِ والكتابةِ والعلامَةْ

فقد شرح البيت في أكثر من خمسين صفحة تقريباً، وذكر حشداً من الشعراء والأدباء والكتاب، والأقوال والأبيات، دون ترجمة أو تخريج أو نسبة الأقوال والأبيات لأصحابها، وهذا ما جعل العمل شاقاً في البحث وقد حاولتُ – قدر المستطاع – سد هذا النقص، ويمكن مراجعة ذلك من خلال استعراض هذا النموذج وغيره في الرسالة.

ومما سبق يتضح لنا أنه □ توجد دراسة علمية تخلو من المنهج، ولكن قد يتضافر أكثر من منهج في دراسة علمية واحدة، وهذا ما يحدث غالباً في الدراسات التي تعتمد على تحقيق المخطوطات، فهي تحتاج إلى تضافر جميع المناهج مع الباحث حتى ينجح في الدراسة.

فتوثيق نسبة الكتاب إلى صاحبه يحتاج بلا شك – إلى المنهج التاريخي الذي يربط أحداث الكتاب بظروف البيئة والعصر التي عاش فيها المؤلف، مع معرفة ظروف نشأته وتكوينه الثقافي، والمدرسة الأدبية التي ينتمي إليها، كل ذلك يساعد في المنهج التوثيقي.

كما أن عرض آراء الشارح ودراسة متن الكتاب يحتاج إلى المنهجين التحليلي والنقدي، فأي باحث علمي □بد وأ□ تخلو كتاباته من روح النقد، وأ□ يكتفي بمجرد عرض الآراء دون تحليلها ونقدها، ودون أن تكون له رؤيته الخاصة – التي قد تصيب أو تخطئ – إزاء هذه الآراء.

وقد يحتاج أحياناً الباحث إلى "المنهج المقارن" إذا عقد موازنة بين نصين أو بين رأيين أو بين ناقدين للوصول إلى حقيقة علمية، أو لترجيح رأي أو لتصويب نص أو اجتهاد علمي أو غير ذلك.

وهكذا نجد أنفسنا مضطرين للاستعانة بكافة المناهج العلمية في الدراسة خاصة في دراستنا التي تحتاج لذلك حتى تكتمل جوانب تحقيق ودراسة المخطوط العلمية.

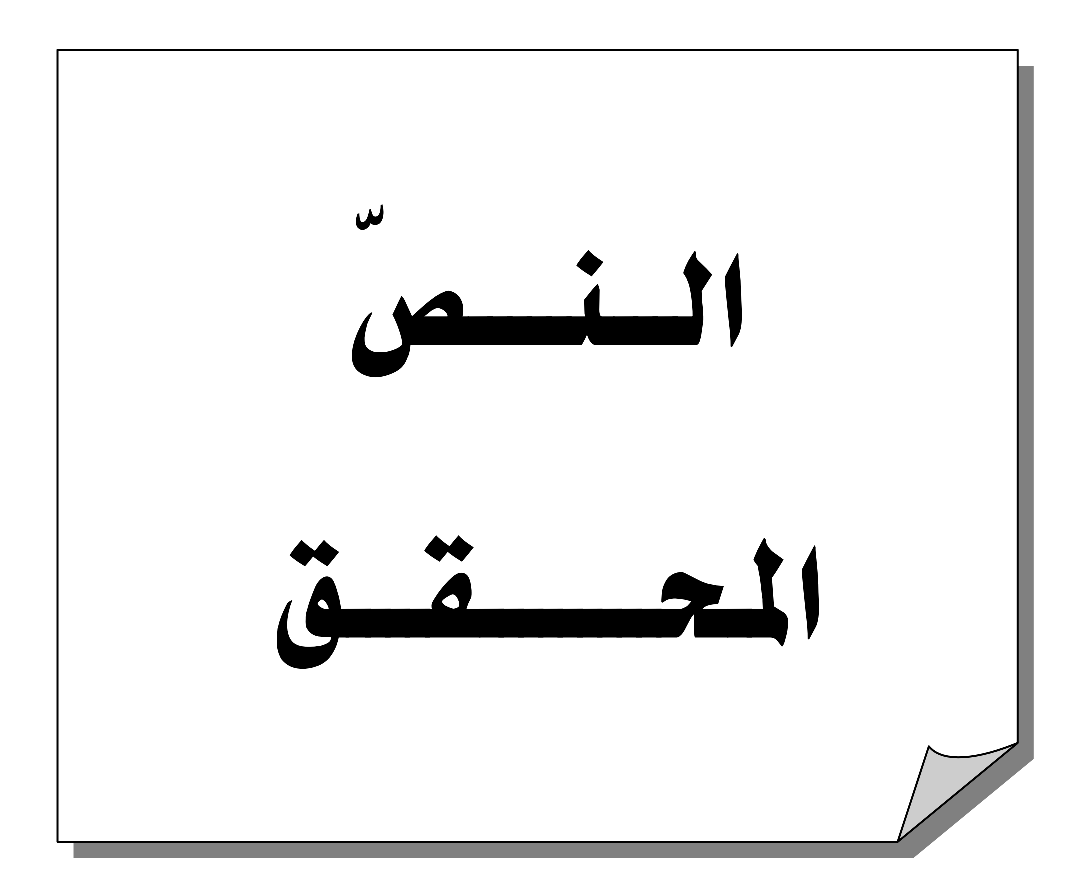
وبعد هذا التمهيد الموجز أنتقل إلى القسم الأول من موضوع بحثي وهو عبارة عن تحقيق مخطوط "**الكواكب السنية شرح القصيدة المقرية**".

للأدهمي الطرابلسي ت ١١٥٩هـ

من البيت (٣٩) إلى نهاية الكتاب

تحقيق ودراسة

والله الموفق، وهو من وراء القصد،،،


النصّ
المحقق

[٢١٥/ظ] قال الناظم رحمه الله تعالى:

**أَضْـــنَى النَّـــوَى قَيْسًـــا فَـــقَ◌َ◌َ◌َ◌َ◌ا		سَـــــى لأَعِجًــــا أَغْـــــرَى غَرَامَــــهْ**

الضَّنَى[١]: المرضُ, قال في المختار: الضنى[٢]: المرضُ، وبابه صَدِيَ[٣] فهو رجلٌ ضَنًى وضنينٌ[٤]، يقال: تركته[٥] ضنينا وضنيًّا، وأضناه المرضُ: أثقَلَهُ. انتهى .

وأراد بالنّوى -هنا- البُعدَ فقط، والأصل فيه: الوَجهُ الذي ينويه المسافرُ (مطلقا، قال في المختار: والنوى: الوجه الذي ينويه المسافر)[٦] من قُرْب أو بُعد ، وهى مؤنثة لا غير . انتهى .

والمراد بقيس[٧] هو قيس بن مُلَوِّح صاحبُ ليلى العَامريةِ، وهو من مشاهير المحبين، تَتَيّم بليلى بنت عمه، حتى هامَ بها في القفارِ، وشاع حُبهُ فيها في سائرِ الأقطار، ولم يُقْضَ لهما اجتماعٌ.

وسببه أنه كان بينه وبين عمه منافرةٌ، فأبى تزويجَهُ إياها، فلما اشتد به الهُيَام اتخذ البراري سكنًا، وصارت تأوي إليه الظباء والآرامُ. وله أشعارٌ كثيرةٌ ، فمن ذلك[٨]: [الوافر]

(١) في المخطوطات : "الضنا" . والتصحيح من مختار الصحاح .

(٢) في المخطوطات : "الضنا" . والتصحيح من مختار الصحاح .

(٣) في المخطوطات : " صدا" . والتصحيح من مختار الصحاح .

(٤) في مختار الصحاح : "ضَنٍ" .

(٥) في مختار الصحاح : "تركته ضنًى وضنيًّا ، وفى النسخة د : تركته ضنيا وضنينا .

(٦) ما بين الرقمين ساقط من النسخة د ، وهو سهو من الناسخ .

(٧) ترجمته وأخباره في الشعر والشعراء ٥٦٣/٢ ، والأغاني ١/٢ ، والموشح ٣٢٤ ، وفوات الوفيات ٣٠٨/٣ ، وخزانه الأدب ٤/ ٢٢٩ ، وغير ذلك كثير . وفى نسخة الأصل م : "وهو قيس" ، ولا معنى لهذه الواو .

(٨) ديوان مجنون ليلى ١٧٠ ، وهما من [الوافر] .

أَمُــــــرّ ّّّّ عَلَــــــــى أُقَبِّــــلُ ذَا الْجِـــدَارَ وَذاَ الْجِـــدَارَا

وَمَــا حُـــبُّ الــدِّيَار شَــغَفْنَ قَلْــبِي وَلَكِــنْ حُــبُّ مَــنْ سَــكَنَ الــدَّيَارَا

وله[1]:

رَضَـــعْتُ هَـــوَاكِ مَـــعْ لَبَـــنِي فَــــرُبُّ الــــرُّوحِ والْبَـــدَنِ

وَقـــدَْ أَصْــــبَحْتِ سَــــيِّدَتِي وَمَالِــــكَتِي بِلاَ ثَمَـــــــنِ

فَــــلاَ أَنْسَــــاكِ يَا رُوحِــــي وَلاَ أَسْــــلاَكِ يَا سَــــكَنِي[2]

إِلَى أَنْ يَعْــــتَرِيْنِي الْمَــــوْتُ وَأَبْقَــــى عُظْــــمَ فِي كَــــفَنِي

[٤/٢١٦] وله من قصيدة[3]:

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهْيِ بكْرٌ صَغِيْرَةٌ ولَمْ يَبْدُ لِلأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا

صَغِيرَيْنِ نَرْعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبُرْ، وَلَمْ تَكْبَرِ

(١) ليست في ديوان المجنون ، وقد عسر عليَّ فهم المقصود من الشطر الثاني من البيت الأول وظبطه، وهي من [مجزوء الوافر]، ولعل صحة الشطر أن يكون :* سرى بالروح والبدن*، وإن كنت أرى أن هذه الأبيات ليس فيها روح المجنون، ولا فصاحته، ولا مقدرته البيانية، وإنما يبدو لي أن أحد المحدثين الذين جاءوا بعده صاغها، ونسبها إليه، فشاعت بين العوام على أنها للمجنون، وهذا يحدث مع الشخصيات الأدبية التي تنسب إليها الحكايات إذا كانت هذه الحكايات قريبة من سمتها الذي اشتهرت به، من مثل أشعب الطماع، وأبي الغصن جحا، ومجنون بني عامر، وقبلهما حاتم الطائي ، ومادر البخيل، وغيرهم؛ فكلما حدثت قصة في البخل تنسب إلى مادر، أو في الكرم تنسب إلى حاتم، أو في الطمع تنسب إلى أشعب، أو في النوادر تنسب إلى جحا، أو في الحب تنسب إلى المجنون. والله أعلم.

(٢) في نسخة الأصل م : "ولا أساك" والتصحيح من النسخة "د" .

(٣) ديوان مجنون ليلى٢٣٨ وهما من [الطويل] .

وله[1]:

وَنُبِّئْـــتُ لَيْلَـــى بِالْعِـــرَاقِ مَرِيضَـــةً   فَيـا لَيْتَـنِي كُنْـتُ الطَّبِيـبَ الْمُـدَاوِيَا

وأشعاره كثيرة ، وقد مات قبلها ، وسببه أنه مَرَّ عليه رجل من حيِّ ليلى، وهو مع الوحوش في القفار ، فناداه يا قيس ، فلم يقم ، وكان من عادته النفارُ ، فناداه يا قيس ، فالتفت إليه ، وكان يسمع الكلامَ ولا يجيب ، لأنه صار له نَفْرةٌ من الخلق ، فقال الرجل يمزح معه : إن ليلى قد ماتت ، فلما سمع منه ذلك استقبل القبلة ونام ، وسار ذلك الرجل لحاجته ، فلما رجع وجده نائما فناداه ياقيس، فلم يقم، وكان من عادته النفَارُ، فدنا إليه وحرّكه فرآه قد مات، فتعجب من ذلك غاية العجب ، وسار إلى حيه: حي ليلى ، وحدّث بناته بالخبر ، وكان من عادة بنات الحي أنهن في كل ليلة يذهبن للسمر عند ليلى، فلما ذهبن تلك الليلة تحدثن ، فكل واحدة منهن تحدثت بخبر ، فأخبرت بنات ذلك الرجل عن خبر قيس ، فلما سمعت ليلى ذلك الخبر أشارت بالانصراف، واضطجعت على جنبها ، فلما أصبح الصباح جاء[2] إخوتها إليها ليوقظوها؛ فوجدوها قد ماتت، ورأوها قد كتبت هذين البيتين[3]:

بَاحَ مَجْنُـــــونُ عَـــــامِرٍ بِهَـــــوَاهُ   فَكَتَمْـــتُ الْهَـــوَى فَمِـــتُّ بِوَجْـــدِي

وَإِذَا (مَـا) كَـانَ فِي الْقِيَامـةِ نُـودِي   مَـــنْ قَتِيْـــلُ الْهَـــوَى فَقَـــدْ مُـــتُّ[4]

(١) ديوان مجنون ليلى ٢٠٦ وفيه : "يقولون ليلى . . ." وفى النسخة د : "وبنت ليلى . . ." وهو خطأ من الناسخ وهما من [الطويل] .

(٢) في المخطوطات : جاءت اخوتها . . ." ، وصححته بما يناسب "إخوتها" ، والأسلوب بعد ذلك " ليوقظوها فوجدوها . . . ورأوها . . ." .

(٣) سقطت كلمة "شعر" بعد "هذين البيتين" من النسختين د ، ك ، وهما من [الخفيف] .

(٤) هكذا جاء الشطر الأول في جميع المخطوطات وهو خطأ في الوزن ، وتصحيحه يكون بإسقاط "ما" .

[٢١٦/ظ] فرحمها الله ، ومن ثَمّ قُطع لها أنها أبلغُ في الحب من قيس ، لأنها حبّت وكتَمَت، وذاك حبَّ[١] وباحَ، هكذا مرويةً قصتُهُ على وَجْهِ (الاختصارِ)[٢]، لكن رأيت في "النصائحِ[٣] الموجودةِ في بيانِ الشيمِ المحمودةِ" أنها ماتت قبله ، لأنه نقل حكاية تدل على ذلك.

حيث قال : وعلّة هلاك المجنون ما كان[٤] إلا عشقه، كما حُكي أنه لما توفيت ليلى، ونُعيت إلى المجنون ، دخل إلى المقبرةِ ، وجعل يشم ترابَ القبورِ حتى وصل إلى قبر ليلى فقال[٥]:

أَرَادُوا لأَنْ يُخْفُوا الثَّرَى عَنْ حَبِيبِهَا   وَطِيْبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

وأخذ من ذلك التراب كَفًّا وشمَّه، وصاح صيحة عظيمة؛ فخرجت روحُهُ من بدنه، وخرَّ ميتا، ودُفن بجانبها. انتهى.

---

(١) جاء في اللسان : "حَبَّه يَحِبُّه، بالكسر، فهو مَحْبُوبٌ. قال الجوهري: وهذا شاذ لأَنه لا يأَتي في المضاعف يَفْعِلُ بالكسر، إلاّ ويَشرَكُه يَفْعُل بالضم، إذا كان مُتَعَدّياً، ما خَلا هذا الحرفَ. وحكى سيبويه: حَبَبْتُه وأَحْبَبْتُه بمعنى. أَبوزيد: أَحَبَّه الله فهو مَحْبُوبٌ. قال: ومثله مَحْزُونٌ، ومَجْنُونٌ، ومَزْكُومٌ، ومَكْزُوزٌ، ومَقْرُورٌ، وذلك أَنهم يقولون: قد فُعِلَ بغير أَلف في هذا كله، ثم يُبْنَى مَفْعُول على فُعِلَ، وإلاّ فلا وَجْهَ له، فإذا قالوا: أَفْعَلَه الله، فهو كلُّه بالأَلف". اللسان / حبب.

(٢) كلمة "الاختصار" سقطت من نسخة الأصل م ، واعتمدتها من د ، ك .

(٣) بحثت عنه في مظانه من الكتب مثل: أبجد العلوم، والفهرست لابن النديم،وكشف الظنون لحاجي خليفة؛ فلم أعثر عليه أو على مؤلفه.

(٤) هكذا في الأصل والصواب كانت: وذلك لأن اسم كان ضمير مستتر، يعود إلى كلمة "علة"، والفاعل أو اسم كان إذا كان ضميرا يعود إلى مؤنث حقيقي أو مجازي وجب تأنيث الفعل معه بالاتفاق. نصت على ذلك كتب النحو في باب الفاعل، مثل شرح ابن عقيل، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، والنحو الوافي لإحسان عباس وغير ذلك.

(٥) ليس في ديوان مجنون ليلى وهو من [الطويل] .

والظاهر أن صاحب النصائح اشتبه عليه غير[1] المجنون به، فنقل ذلك لأن المشهورين هما مجنون ليلى العامرية كما تقدم، والأخيلية[2]، واسمه توبة[3]، وكل منهما مات قبل محبوبته كما نقلت الثقات من المؤرخين .

ونقل ابن خلكان[4] أن ليلى الأخيلية قدمت على الحجاج فأنشدته[5]: [الطويل]

إِذاَ وَرَدَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً ... تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا

شَفاهَا مِنَ الدَّاءِ السِّقَامِ الَّذِي بِهَا ... غُلامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ تَنَاهَا[6]

فقال[7]: لا تقولي "غلام"، وقولي: "همام"، ثم قال: يا غلام، اذهب بها إلى فلان فقل له: اقطع لسانها، قال : فأمر بإحضار الحجَّام ، فقالت : ثكلتك أمك! أما سمعت ما قال ؟ إنما أمرك بقطع [٢١٧/و] لساني في البِرِّ، فبعثت إليه فاستشاط غضبا ، وهَمَّ بقطع لسانه ،

---

(١) في النسخة د ، ك : "غير المحبوبة" .

(٢) ليلى بنت عبد الله بن الرحال – أو الرحالة – بن شداد بن كعب بن معاوية ، وهو الأخيل ، وقد نسبت إليه ليلى ، وهي من النساء المتقدمات في الشعر من شعراء الإسلام . من : الشعر والشعراء ٤٤٨/١، والأغاني ٢٠٤/١١.

(٣) هو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، وكان توبة بن الحمير أحد بني الأسدية، وهي عامرة بنت والبة بن الحارث، وكان يتعشق ليلى بنت عبد الله بن الرحالة ويقول فيها الشعر، فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها في بني الأدلع." من الأغاني ٢٠٤/١١ في ترجمه ليلى الأخيلية ، وهو معها في ذات الترجمة .

(٤) وفيات الأعيان٤٧/٢-٥٠ ، والخبر نفسه في أمالي القالي ٨٦/١-٨٩ ، وجاء مختصرا في الأغاني٢٤٠/١١-٢٤٣ .

(٥) ديوان ليلى الأخيلية ١٢١ [الطويل] .

(٦) في جميع مصادر الحكاية : "إذا هز القناة سقاها" وهو الأحسن. وفي المخطوطات كتبت الكلمة هكذا: "تناها"، وإن كانت ثناها بالثاء أقوى، وألصق بالمقام من كليهما، لأن الهز القوي للقناة من شأنه أن يثنيها .

(٧) في نسخة الأصل م : "لا تقولي لي" ، وهو سهو من الناسخ .

وقال : ارددها ، فلما دخلت عليه قالت : كاد[١] وأمانة الله أن يقطع مِقْولي ، ثم قالت[٢] شعرا :

حَجَّـاجُ أَنْـتَ الَّـذِي مَـا فَوْقَـهُ أَحَـدٌ إِلاَّ الْخَلِيفَـةُ وَالْمُسْـتَغْفَرُ الصَّـمَدُ [٣]

حَجَّاجُ أَنْتَ شِهَابُ الْحَرْبِ إِنْ نَفَحَتْ وَأَنْـتَ لِلنَّـاسِ نُـورٌ فِي الـدُّجَى يَقِـدُ [٤]

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأمير، إلا أنَّا لم نر امرأة قط أفصحَ منها لسانا ، ولا أحسنَ محاورة ، ولا أملحَ وجها ، ولا أرقَّ شعرا من هذه ، فقال : هذه هي ليلى الأخيلية الذي مات توبة الخفاجي من حبها ، ثم التفت إليها وقال : يا ليلى ، قولي لنا بعض ما قال فيك توبة ، فقالت : نعم أيها الأمير ، هو الذي يقول[٥]:

حَمَامَـةَ بَطْـنِ الْـوَادِيَيْنِ تَرَنَّمِـي سَـقَاكِ مِـنَ الْغُـرِّ الْغَـوَادِي مَطِيرُهَـا

أَبِيـنِي لَنَـا لاَ زَالَ رِيشُـكِ نَاعِمًـا وَلا زِلْـتِ فِي خَضْـرَاءَ غَـضٍّ نَضِـيرُهَا

وَكُنْـتُ إِذَا مَـا جِئْـتُ لَيْـلَى تبَرْقَعَـتْ فَقَـدْ رَابَـنِي مِنْهَـا الْـغَدَاةَ سُـفُورُهَا

(١) في النسختين د ، ك : "كاد والله . . ." ، وفى وفيات الأعيان : "كاد والله أيها الأمير . . ." وما في نسخة الأصل م يوافق الأمالي ، وفى الأغاني : "كاد وعهد الله . . ." .

(٢) سقطت كلمة : "شعرا" من النسختين د ، ك .

(٣) ديوان ليلى الأخيلية ٦٣ وهما من [البسيط] .

(٤) في الديوان :". . . أنت سنان الحرب إن نهجت . . . للناس في الداجي لنا تقد ". هذا. وفي أشعار النساء للمرزباني رويت القصة، فانظرها في الموسوعة الشعرية: وفيها البيتان كما يلي:

حجاجُ أنت الذي ما فوقه أحد إلا الخليفةُ والمستغفر الصمد

حجاج أنت شهاب الحرب إذ لقحت وأنت للناس نور ضوءه يَقِدُ

(٥) الأبيات في مصادر الخبر .

فقال لها الحجاج : ما رابه منَ سَفورِك ؟ قالت : أيها الأمير ، كان يلم بي كثيرًا ، فأرسل إليَّ: أن آتيك، ففطن الحي به، وأرصدوا له، فلما أتاني سفرت، فعلم أن ذلك لسرّ، فلم يزد على التسليم والرجوع، فقال: لله درُّك، فهل رأيت شيئا منه تكرهينه[(١)]؟ فقالت: لا والذي أسأله أن يصلحك، غير أنه قال لي مرة قولا ظننت أنه خضع[(٢)] لبعض الأمر، فأنشأت أقول[(٣)] شعرا :

وذِي حَاجَــــةٍ قلْنَـــا لَـــهُ لاَ تَـــبُحْ   فَلَـيْس إِلَيْهَـا مَـا حَيِيتَ سَبِيلُ[(٤)]

[٢١٧/ظ] لَنَا صَاحِبٌ لاَ نَبْتَغي أَنْ نَخُونَهُ   وَأَنْــتَ لأُخْــرَى صَــاحِبٌ وَخِليــلُ

قال : فأنشدينا بعض مَرَاثيكِ فيه ، فأنشأت تقول أبياتا ، فلما أنشدتهم، وكان –من جلساء الحجاجِ– محصنٌ الفقعسيُّ فقال: والله إني لأظنها كاذبة، فنظرت إليه وقالت: أيها الأمير، والله إن هذا القائل لو رأى توبة لودّ أن لا يكون في داره عذراء إلا وهى حاملة[(٥)] منه، فقال الحجاج : هذا — وأبيك – الجواب ، وكنتَ عنه غنيا ، ثم قال لها: سَلِي يا ليلى تُعْطَي ، قالت : إعطاء مثلك هو العطاء، قال: لك عشرون[(٦)] قالت: زد، فمثلك من زاد فأفاد، قال: لك أربعون[(٧)]، قالت: زد فمثلك من زاد فأفضل ، قال: لك ستون ، قالت : زد

(١) في النسخة د ، ك : ". . . شيئا مما تكرهينه ".

(٢) في نسخة الأصل م وهى الأصل كتب أحد قراء النسخة كلمه "فيه" بين السطرين ، وبين "خضع" و "لبعض" .

(٣) سقطت كلمة " شعرا" من النسختين د ، ك .

(٤) ديوان ليلى الأخليلية ٩٥ ، ٩٦ ، وهما من [الطويل] .

(٥) هكذا في الأصل والصواب أن :"حامل، ومرضع" وغيرهما مثل حائض، من صفات النساء لم تسمع بالتأنيث، لأنها مؤنثة بذاتها فلا حاجة بها إلى علامة تأنيث، وقد وردت القصة في وفيات الأعيان، بغير التاء، وكذا في الجليس الصالح لمعافى بن زكريا، وتوسع أبو عبيد البكري الأندلسي، صاحب اللآلي في شرح أمالي القالي فذكر جذور العداوة والملاحاة التي كانت بين ليلى ، ومحصن .

(٦) مابين الرقمين ساقط من نسخة الأصل م ، وهو سهو من الناسخ ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٧) مابين الرقمين ساقط من نسخة الأصل م ، وهو سهو من الناسخ ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

فمثلك من زاد فأكمل ، قال لك ثمانون ، قالت: زد فمثلك من زاد فتمم ، قال: لك مائة، واعلمي يا ليلى أنها غنم ، قالت[1]: معاذ الله أيها الأمير ، إنك أجود جودًا ، وأمجد مجدا، وأورى زَندًا من أن تجعلها غنما، قال: ويحك ، ما هي؟ قالت: مائه ناقة برعاتها، فأمر لها بها. انتهى .

وبه تعلم أن مجنونها مات قبلها حينئذ[2] . ومن شعر توبة بن الحُمَيِّر[3] :

كَـأَنَّ الْقَلْـبَ مِـنِّي حِـيْنَ يُغْـدَى ... بِلَيْلَـى الأَخْيَلِيَّـةِ أَوْ يُـرَاحُ

قَطَـاةٌ عَزَّهَـا شَـرَكٌ فَبَاتَـتْ ... تُجَاذِبُـهُ وَقَـدْ غَلِـقَ الْجَنَـاحُ[4]

فَـلاَ فِي الَّلَيْـلِ نَالَـتْ مَـا تُرَجَّـى ... وَلاَ فِي الصُّـبْحِ كَـانَ لَهَـا بَـرَاحُ

ثم إن قوله : "عزّها" قد تصحف فيقال: "غرها" من الغرور، وليس هو كذلك، إنما هو غلبها كما قالت العرب[5]: من عَزّ بزَّ [6]، ومن غلب سلب، و"غلق الجناح" بالغين المعجمة ، [٢١٨/و] من قولهم[7]: لا يُغلق الرهنُ على راهنه، وقد تصحف بالعين المهملة. انتهى .

---

(١) في نسخة الأصل م : "قال" وهو خطأ من الناسخ ، واعتمدت ما في د ، ك .

(٢) في النسخة د كتب مكان "حينئذ" الحرف "ح" وعليه مدة .

(٣) جاءت الأبيات منسوبة إلى توبة بن الحمير في الزهرة ٢٢٩/١، ولكنها ضمن تسعه أبيات في ديوان مجنون ليلى ٩٠ و ٩١ وهي من [الوافر] .

(٤) في النسخة د : "علق" بالعين المهملة ، والشرح الآتي يؤيد المعجمة .

(٥) هذا مثل ، في كتاب الأمثال ١١٣ ، والفاخر ٨٩ ، وجمهرة الأمثال ٢٨٨/٢، ومجمع الأمثال ٣٢٣/٣، وفى الجميع المثل "من عزَّ بزَّ" وأما من غلب سلب فهو تفسير له.

(٦) سقطت كلمة " شعرا" من النسختين د ، ك .

(٧) أي لا يمتلك الراهن الرهن إذا لم يخلصه صاحبه ، وكان ذلك من أفعال الجاهلية فأبطله الإسلام . انظر اللسان في [غلق] .

نكتة : ذكر الحريري في "دُرّة الغواص"[١] أن ليلى الأخيلية وهى المذكورة في الشعر كانت تتكلم بلغة بهراءَ ، (وذلك)[٢] أنهم يكسرون حرف المضارعة فيقول : أنت تِعْلَم ، وأنها استأذنت على عبد الملك بن مروان، وبحضرته الشعبي، فقال له: أتأذن[٣] يا أمير المؤمنين أن أضحكك منها؟ فقال افعل، فلما استقر بها المجلس قال لها الشعبي: يا ليلى، ما لقومك لا يكتنون؟ فقالت له: ويحك، أما نِكْتَنِي؟ بكسر حرف المضارعة، فقال لها: لا والله ولو فعلت لوجب الغُسل، فخجلت عند ذلك، واستغرق عبد الملك في الضحك[٤].

واللاعج: اسم فاعل، والماضي فيه لَعَجَ، قال في القاموس: لَعَج في الصدر كمنع: خَلَجَ، والجِلْدَ: أحرقه، والبَدَنَ: آلمه، ولاعجه الأمر: اشتد عليه، والْتَعَجَ[٥]: ارتمض من همّ، وألعج النار في الحطب: أوقدها، والمتلعجة: الشهوانية المتوهجة الحارة الفَرْج. انتهى.

وبين قيس وقاسى الجناس المطلق، وجعله في التلخيص ملحقا بالجناس، وسمي المقارن والمشابه أيضا[٦]، وهو أن يجتمع اللفظان في المشابه فقط نحو: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ

---

(١) درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ، ص٥٠ .

(٢) سقط "وذلك " من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسخة د ، ك .

(٣) في النسخة د : "ألا تأذن . . ." .

(٤) في نسخة الأصل م كتب في الهامش بخط مختلف: ووجدت في محل من الحكاية، وإن أهل كنانة يكسرون نون المضارع ، وحكى ما ذكر إلى قوله : فخجلت ثم قالت له : قطع لي هذا البيت ، وهو :

حولوا عنا كنيستكم ... يا بنى حمالة الحطب

فأخذ يقطع البيت، فقال: حولوا عن/ ناكني، فقالت: هل اغتسل الفاعل بك، فكان خجله أكثر. أملى بالمعنى كاتبه". قلت: وذلك لأن البيت من بحر الخفيف وتفعيلاته : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن" فتبدأ التفعيلة فاعلن بنا الفاعلين فى قوله: عنا، وتأخذ الكاف والنون والياء من كلمة كنيستكم .

(٥) في النسخة د و ك : "وارتجع" وهو خطأ من الناسخ .

(٦) لم أجد هذه التسمية في شروح التلخيص ٤/٤٣٠ ، ولكن فيه : "واعلم أنه يلحق بالجناس شيئان : أحدهما : أن يجمع اللفظين الاشتقاق . . . والثاني : أن يجمعهما المشابهة ، وهى ما يشبه الاشتقاق وليس به . . ." ثم ضرب أمثلة ببعض الآيات المذكورة هنا .

﴾[1]، ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۢ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۢ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍۢ ﴾[2]، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّۢ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍۢ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3]، ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًۭا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾[4]، وحديث أحمد[5] : "ما من حاكم بين الناس إلا حشر يوم القيامة ومَلَك آخذ بقفاه [٢١٨/ظ] حتى يقف به على جهنم"، وحديث[6] "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"، "وإن[7] أفتاك المفتون" على رواية فتح الميم وضم النون مفردا من الفتنة ، كما قرره السيوطي . انتهى.

والمقاساة : المكابدة من وَجْدٍ وغيره، يقال : قاسى الأمر يقاسيه مقاساة: كابده، ونسبة الإغراء إلى اللاعج مجاز عقلي، وقد تقدم تعريفه[8].

قال الناظم (رحمه الله تعالى)[9] :

---

(١) سورة الشعراء، الآية: (١٦٨).

(٢) سورة الرحمن، الآية: (٥٤).

(٣) سورة يونس، الآية: (١٠٧).

(٤) سورة المائدة، الآية: (٣١).

(٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٧٣/٧ مع اختلاف في اللفظ ، وفيه تخريجه ، وله فيه بقية .

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٤٩/٣ ، ٢٥٢ ، وفيه التخريج .

(٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٧٩/٢٩ في أخر الحديث : "البر ما سكنت إليه النفس . . ." ولكن فيه : "وإن أفتاك المفتون" بضم الميم وفتح النون .

(٨) يبدو أن هذا في القسم السابق .

(٩) سقط "رحمه الله تعالى" من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسختين د ، ك ليوافق ما جاء في أول البيت السابق.

وَغَــوَى الْهَــوَى غَــيْلانَ مُــذْ أَبْـــدَى بِمَيَّتِـــهِ هُيَامَـــهْ[(١)]

الغي : الضلال ، قال في المختار : الغي : الضلال والخيبة [(٢)] أيضا ، وقد غَوَى يغْوي بالكسر غَيًّا ، وغَواية أيضا بالفتح فهو غاوٍ ، وغَو [(٣)] ، وأغواه غيرُه فهو (غَويّ)[(٤)] على فعيل ، قال الأصمعي : ولا يقال غيره ، والغوغاء [(٥)] .

من الناس : الكثير المختلطون. انتهى. والهوى هنا بالقصر هو هوى النفس، وجمعه أهواء، والمراد به الحب، مصدر هَوِيَ أحب[(٦)] ، وبابه صَدِي[(٧)]، والهواء[(٨)] الممدود هو الذي بين السماء والأرض ، قال الشاعر[(٩)] :

جُمِعَ الْهَوَاءُ مَعَ الْهَوَى فِي أَضْلُعِي فَتَكَامَلَـــتْ فِي مُهْجَـــتِي نَارَانِ

فَقَصَـرْتُ بِالْمَمْـدُودِ عَـنْ نَيْـلِ وَمَـدَدْتُ بِالْمَقْصُـورِ فِي أَكْنَـانِي

قال في المختار: الهواء[(١٠)] ممدود هو ما بين السماء والأرض، والجمع

(١) في نفح الطيب ٩/١ : "وغوى هوى غيلان مذ . . . " .

(٢) في المخطوطات : "والغية" ، والتصحيح من مختار الصحاح .

(٣) في المخطوطات : "وغوى" ، واعتمدت ما في مختار الصحاح الذي ينقل منه المؤلف .

(٤) مابين القوسين زيادة من مختار الصحاح يستقيم بها القول .

(٥) في المخطوطات : "والغوغاة" والتصحيح من مختار الصحاح .

(٦) سقطت كلمة "أحب" من د ، ك .

(٧) في النسخة م : "ضدي" بالضاد المعجمة ، وهو تصحيف ، وفى د ، ك : "صدق" وهو تحريف ، والتصويب من مختار الصحاح .

(٨) في المخطوطات : "والهوى" بالقصر ، والتصحيح من مختار الصحاح .

(٩) لم أهتد إليهما ، وهما من [الكامل] .

(١٠) في المخطوطات : "والهوى" بالقصر ، والتصحيح من المختار .

الأهوية ، وفى كل خال[1] هواء، وقوله تعالى: ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[2] يقال: إنه لا عقول لهم، والهوى مقصور هوى النفس، والجمع الأهواء[3] وهَوِي أحب، وبابه صَدِي، قال الأصمعي: هَوَى يَهْوِي كرَمَى يرمي هَوِيًّا بالفتح : سقط إلى أسفل، وانهوى[4] [٢١٩/و] مثله، وأهوى بيده ليأخذه ، واستهواه الشيطان: استهامه، والهاوية: اسم من أسماء النار، قلت[5]: وهى معرفة بغير الألف واللام، قال الله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾[6] أي مستقرها النار. انتهى.

ومُذْ[7]: قيل : إنها فرع عن منذ، بدليل رجوعهم إلى ضم ذال مذ عند ملاقاة الساكن نحو مُذُ اليوم، ولولا أن الأصل الضم لكسرُوا، ولأن بعضهم يقول: مُذُ زمن طويل فيضم مع عدم الساكن، وقال ابن مَلْكُونْ[8]: هما أصْلانِ؛ لأنه لا يتصرف بالحرف ولا شبهه، ويرده

---

(١) في المخطوطات : "وفى كل حال . . ." بالحاء المهملة ، وهو تصحيف ، والتصحيح من المختار .

(٢) سورة إبراهيم، الآية: (٤٣).

(٣) في المخطوطات : "الأهوى" والتصحيح من النسختين د ، ك والمختار .

(٤) في النسخة د ، ك : "وأهوى" . وذكر الحريري في درة الغواص أن الهوي معناه الإسراع في الصعود والهبوط قال ومن أوهام الخواص :" أن هوى لا يستعمل إلا في الهبوط وليس كذلك بل معناه الإسراع الذي قد يكون في الصعود والهبوط وفي حديث البراق فانطلق يهوي به أي يسرع وذكر أهل اللغة أن مصدر الصعود الهوى بضم الهاء ومصدر الهبوط الهوى بفتحها فأما قوله تعالى كالذي استهوته الشياطين فقيل ذهبت به وقيل استمالته بالإضلال واختلسته بالأهواء ". درة الغواص في أوهام الخواص للحريري.

(٥) هذا القول ليس من عند المؤلف، وإنما هو موجود في مختار الصحاح .

(٦) في المخطوطات : "وفى كل حال . . ." بالحاء المهملة ، وهو تصحيف ، والتصحيح من المختار .

(٧) ينظر ما قاله الشارح في منذ و مذ في كتب النحو وبخاصة مغنى اللبيب ٢٤٤/٤ حيث نقل المؤلف نصه .

(٨) إبراهيم بن محمد بن منذر بن احمد بن سعيد بن ملكون الأستاذ أبو إسحاق الحضرمي الإشبيلي، صنف إيضاح المنهج جمع فيه بين كتابي ابن جني على الحماسة التنبيه والمبهج وله غير ذلك، وتوفي رحمه الله سنة إحدى وثمانين وخمس مائة" وترجمته في الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي.

تخفيفهم إنّ، وكأنّ، ولكنّ، وربّ، وقطّ، وقال المالقيْ[1]: إذا كانت مذ اسما؛ فأصلها: منذ، أو حرفا؛ فهي أصل.

ولـمُذْ[2] ومنذُ ثلاث حالات: إحداها أن يليها اسم مجرور، فقيل: هما اسمان مضافان، والصحيح أنهما حرفا جر[3] بمعنى مِنْ إن كان الزمان ماضيا، وبمعنى فِي إن كان حاضرا، وبمعنى مِنْ وإلى جميعا؛ إن كان معدودا نحو ما رأيته مذ[4] يوم الخميس، أو مذ يومنا، أو مذ ثلاثة أيام .

وأكثر العرب على وجوب جَرِّها للحاضر، وعلى ترجيح جر منذ للماضي على رَفْعِه، وترجيح رَفْع مذ للماضي على جرِّه، ومن الكثير في منذ قوله[5]:

وَرَبْعٍ عَفَتْ آثَارُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

ومن القليل في مذ قوله[6]:

أقْوَيْنَ مُذْ حِجَجٍ وَمُذْ دَهْرِ

والحالة الثانية: أن يليهما اسم مرفوع نحو مذ يومُ الخميس، ومنذ يومان، فقال المبرد

---

(١) هو يحيى بن علي بن أحمد بن محمد بن غالب أبو زكريا، زين الدين الحضرمي الأندلسي، المالقي النحوي الأديب، ولد سنة٥٧٧ أو سنة ٥٧٨ من الهجرة، قرأ على الكندي النحو، وله شعر جيد، وكان لطيف الأخلاق، حسن العشرة، ومات بغزة في وسط جمادى الأولى سنة ٦٤٠من الهجرة، ترجمته في بغية الوعاة، للسيوطي، ٢ | ٣٣٧ .

(٢) في النسخة د ، ك : "ولذ" بإسقاط الميم ، وهو خطأ من النسخ .

(٣) في النسخة د ، ك : "أنهما حرف" بالإفراد .

(٤) في النسخة د ، ك : "منذ يوم . . ." ، وما في نسخة الأصل م يوافق مغنى اللبيب الذي هو الأصل في القول .

(٥) الشطر في مغنى اللبيب ٢٤٥/٤ وهو من قول امرئ القيس في ديوانه ٨٩ ، وصدر البيت :" قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان" وهو من [الطويل] .

(٦) الشطر في مغنى اللبيب ٤/ ٢٤٦ ، وهو من قول زهير في ديوانه ٦٨ ، وصدر البيت : "لمن الديار بِقُنّة الحِجْرِ" وهو من [الكامل] .

وابن السراج والفارسي: مبتدآن ، وما [٢١٩/ظ] بعدهما خبر ، ومعناها الأمد إن كان الزمان حاضرا أو معدوما ، وأول المدَّةِ إن كان ماضيا ، وقال الأخفش والزجاج والزجاجي : ظرفان مُخْبَرٌ بهما عما بعدهما ، ومعناهما بين وبين مضافان ، فمعنى لقيته[١] مذ يومان : بيني[٢] وبين لقائه يومان ، ولا يخفى ما فيه من التعسف .

وقال أكثر الكوفيين : ظرفان مضافان لجمله حُذف فعلها ، وبقي عاملها، والأصل مذ كان يومان، واختاره السهيلي وابن مالك .

وقال بعض الكوفيين: خبر لمحذوف، أي ما رأيته من الزمان الذي هو يومان؛ بناءً على أن "منذ" مركبة من كلمتين: "مِنْ" و "ذُو" الطائية .

الحالة الثالثة : أن تليهما[٣] الجمل الفعلية كما في[٤] البيت هنا وقوله[٥] :

مَـــازَالَ مُـــذْ عَقَـــدَتْ يَـــدَاهُ إِزَارَهُ   فسَـــمَا فَـــأَدْرَكَ خَمْسَـــةَ ٱلْأَشْـــبَارِ

أو الاسمية كما في قوله[٦] :

وَمَـا زِلْـتُ أَبْغـي الْمَـالَ مُـذْ أنَا يَافِـعٌ   شَـبَابًا وَكَهْـلاً حَيْـثُ شِـبْتُ وَأَمْـرَدَا

والمشهور أنهما حينئذ[٧] ظرفان مضافان، فقيل : إلى الجملة، وقيل: إلى زمن مضاف

(١) في مغنى اللبيب : "ما لقيته . . . " .

(٢) في نسخة الأصل م : "ببين" وهو خطأ من الناسخ ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك الذي هو يوافق مغني اللبيب .

(٣) في النسختين د ، ك : "أن تليها" بالإفراد .

(٤) الأصح أن يقال : "كما في البيت هنا وهو قوله" ، وفي مغنى اللبيب : "أن تليها الجمل الفعلية أو الاسمية كقوله . . . " .

(٥) البيت في مغنى اللبيب ٢٥٠/٤ ، وهو من قول الفرزدق في ديوانه ٣٧٨/١ وهو من [الكامل] .

(٦) البيت في مغنى اللبيب ٢٥٠/٤ ، وهو من قول الأعشى في ديوانه ١٧١ ، وفي مغني اللبيب والديوان : "وليدا وكهلا حين شبت وأمردا" وهو من [الطويل] .

إلى الجملة ، وقيل : مبتدآن ، فيجب تقدير زمان مضاف للجملة يكون هو الخبر.

وغيلان: هو[١] ابن عقبة بن بُهَيْش[٢] بن مسعود بن حارثة بن ربيعة، المشهور بذي الرمة[٣]، أحد فحول الشعراء، ويقال[٤]: إنه كان ينشد شعره في سوق الإبل ، فجاء الفرزدق فوقف عليه فقال له ذو الرمة : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس ؟ فقال : ما أحسن ما تقول!؛ فقال فما لي لا أُذكر مع الفحول ؟ قال: قصر بك عن غايتهم بكاؤك في الدمن وصفتك [٢٢٠/و] للأبعار[٥] والظعن ، وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك ، وهو صاحب مَيَّة ابنه مقاتل ابن طُلبة بن قيس بن عاصم المنقري[٦] ، وقيس بن عاصم هو الذي وفد على النبي (ﷺ) في وفد بني تميم ، فأكرمه وقال : أنت سيد أهل الوبر، وقال أبو عبدالله البكري[٧] : هي ميّة بنت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم .

وكان ذو الرمة كثير التشبب بها في شعره ، وإياها عنى أبو تمام[٨] في قوله في قصيدته

---

(٧) في المخطوطات كتبت جاء عليها حرف هكذا "ح~" مكان "حينئذ" .

(١) في نسخة الأصل م : "هو ابن عقبة بن يعيش [كذا] بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ربيعة المشهود [كذا] المعروف بذي الرمة" .

(٢) في المخطوطات : "يعيش" [كذا] ، وهو خطأ من الناسخ . والتصحيح من مصادر ترجمته . في الشعر والشعراء ٥٢٤/١ ، والأغاني ١/١٨ .

(٣) في نسخة الأصل م كتب في الهامش : " قف على أن غيلان هو ذو الرمة" [كذا] .

(٤) في الأغاني ١٥/١٨، والموشح ٢٧٣ .

(٥) في المخطوطات : "للأبعاد" بالدال ، وهو خطأ من الناسخ .

(٦) في المخطوطات : "المغزى" والتصحيح من الأغاني ٢٥/١٨ .

(٧) سمط اللآلي ٨٢/١ وفيه : "مي" بدون التاء .

(٨) حبيب بن أوس الطائى، وكنيته أبو تمام ، وبها عرف . طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز ٢٨٢، والأغاني ٣٨٣/١٦ ، ووفيات الأعيان ١١/٢ .

البائية ، وهو قوله[١] :

مَــا رَبْــعُ مَيَّــةَ مَعْمُــورًا يُطِيْــفُ بِــهِ غَــيْلانُ أَبْهَــي رُبًا مِــنْ رَبْعِــهِ الْخَــرِبِ

وقال ابن قتيبة[٢] في كتاب الطبقات للشعراء[٣] : وقال ضرار الغنوي : رأيت ميَّة وإذا معها بنون لها، فقلت: صِفْها لي فقال: مستوية[٤] الوجه، طويلة الخد شمّاء[٥] الأنف، عليها وَسْمُ جمال، فقلت: أكانت تنشدك شيئا مما قال فيها ذو الرمُّة؟ قال: نعم.

ومكثت ميّةُ زمانا تسمع شعر ذي الرمّة ولا تراه ، فجعلت لله أن تنحر بدنةً حين تراه ، فلما رأت رجلا دميما[٦] أسْودَ ، وكانت من أهل الجمال فقالت: واسوأتاه ! فقال ذو الرمّة[٧]:

أُعَـلُّ بِوَجْـهٍ قَـدْ خَـلا مـنْ حَـلاوَةٍ وتَحْـتَ الثيَـابِ الْعَـارُ لَـوْ كَـانَ بَاديَا

أَلَمْ تَــرَ أَنَّ الْمَــاءَ يَخْبُــثُ طَعْمُــهُ وَإِنْ كَـانَ لَـوْنُ الْمَـاءِ أَبْـيَضَ صَـافِيَا ؟

(١) ديوانه ٥٦/١ ، وفى المخطوطات : "معمور" بالرفع ، والتصحيح من الديوان [البسيط] .

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، كان صاحب علم وافر ، وله تأليف كثيرة . ت ٢٧٦هـ . ترجمته في طبقات الزبيدى ١٨٣ ، والفهرست ٨٥ ، ووفيات الأعيان ٤٢/٣ .

(٣) الشعر والشعراء ٥٢٦/١ وفيه : "وقال أبو سَوّار الغنوى . . ." ، والكلام هنا منقول من وفيات الأعيان ١١/٤-٧١ وفيه "أبو ضرار . . . ." .

(٤) في الشعر والشعراء : "مسنونة الوجه" ، وكذلك في وفيات الأعيان ١٢/٤.

(٥) في النسخة د ، ك : "شيماء" وهو خطأ من الناسخ .

(٦) في المخطوطات : "ذميما" بالذال المعجمة ، وفى م " أسودا" .

(٧) الأبيات في الشعر والشعراء ووفيات الأعيان ١٢/٤ ، وفى ديوانه ١٩٢١/٣-١٩٢٣ وفيه تخريج يثبت أنها ليست له وفى المصادر جاء الشطر الأول من البيت الأول هكذا : "على وجه مي مسحة من ملاحة" وهو من [الطويل] .

فَيَا ضَيْعَةَ الشَّعْرِ الذي لَجَّ فَانْقَضَى   بِمَيٍّ وَلَمْ أَملِكْ ضَلالَ فُؤادِيَا[(١)]

وكان ذو الرمّة يتشبب بِخَرْقاءَ أيضا، وهى من بنى البكاءِ بن عامر [٢٢٠/ظ] بن صَعْصَعَةَ ، وسبب تشبيبه بها أنه مَرّ في سفر ببعض البوادي فرأى خرقاء خارجة من خباء ، فنظر إليها فوقعت في قلبه ، فخرَّق إداوته ، ودنا يستطعم كلامها ، فقال : إني رجل على ظهر سفر، وقد تخرقت إداوتي فأصلحيها لي ، فقالت: والله ما أُحسن العمل! وإني لخرقاء، والخرقاء: التي لا تعمل شغلا؛ لكرامتها على أهلها، فشبب بها ذو الرمة، وسماها خرقاء[(٢)].

وقال المفضل[(٣)] الضبي: كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت، فقال لي يوما: هل لك أن أُرِيكَ خرقاء ؟ فقلت: إن فعلتَ فقد بررتني، فتوجهنا جميعا نريدها، فعدل بي عن الطريق بقدر ميل ، فخرجت علينا امرأة حُسَّانة — والحُسَّانةُ أشد حسنا من الحسناء — فسلمت وجلست، فتحدثنا ساعة، ثم قالت لي: (هل)[(٤)] حججت قط؟ قلت: غير مرة ، قالت : فما منعك من زيارتي؟! أما علمت أنني مَنْسَكٌ من مناسك الحج؟! قلت: وكيف ذلك؟ قالت : أو ما سمعت كلام عمك ذي الرِّمة[(٥)] :

تَمَامُ الحَجِّ أن تَقِفَ المَطَايا   على خَرْقَاءَ واضِعةَ اللِّثَامِ ؟

وأخبار ذي الرِّمة كثيرة ، والاختصار أَوْلى ، وكانت وفاته سنه سبع عشرة ومائة ، ولما

---

(١) في نسخة الأصل م : "ولم نملك" والتصحيح من د ، ك لموافقة المصادر واللسان في [مسح] .

(٢) الخبر يدل على أن خرقاء هي مية، ولكن كلمة "أيضا" تدل على أن هذه غير تلك، وعلى ذلك فكلمة أيضا في غير موضعها ، وجعلها من بني البكاء بن عامر يدل على اضطراب وتداخل في نقل الخبر.

(٣) في المخطوطات : "وقال الفضل . . ." والتصحيح من الشعر والشعراء ٥٢٧/١ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من المخطوطات وزدته من الشعر والشعراء، الذي هو أصل الرواية؛ وبذلك يستقيم الأسلوب.

(٥) البيت في الشعر والشعراء ٥٢٥/١ ، ووفيات الأعيان ١٤/٤ وديوان ذي الرمة ١٩١٣/٣ في الزيادات وفيه تخريج البيت [الوافر]

حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهَرَم ، أنا ابن أربعين سنة ، وأنشد يقول(١) :

يَا قَـابِضَ الـرُّوحِ عَـنْ نَفَسِـي إذا … وَغَـافِرَ الـذَّنْبِ أَخْـرِجْني عَـن النَّـارِ(٢)

وإنما قيل له ذو الرُّمة لقوله من قصيدة(٣) : "باقي رُمّة التقليد" والرُّمة(٤) بالضم [٢٢١/و] للراء : الحَبْل البالي ، وبالكسرِ : العظم البالي .

قال أبو عمرو(٥) : خُتم الشعرُ بذي الرُّمة ، والرّجزُ بِرُؤْبَةَ بن العَجاجِ(٦) :

قال الناظم(٧) :

أَيـنَ الأَكَاسِـرُ وَالْقَيَـا … صِـرةُ الْمُجَلُّـونَ الْغَمَامَـهْ ؟

أين خبر مقدم، والأكاسرة والقياصرة مبتدأ مؤخر، والأكاسرة جمع لكسرى، وهو مُعَرَّب خُسْرَوْ أي(٨) مجدد الملك ، وهو بفتح الكاف وكسرها ، وإنكار الزجاج الكسر منكر؛ فقد روته الثقات منهم الفَرّاء وابن السِّكِّيت، وجمع الأكاسرة على غير قياس؛ لأن حق الأفاعلة أن يكون جمعا لـ"إفعال" مثل: إسْكاف، وأساكفة، وكسرى: لقبٌ من مَلَكَ الفُرس،

---

(١) البيت في الشعر والشعراء١/٥٢٥ ووفيات الأعيان ١٦/٤ وديوان ذي الرمة ١٨٧٥/٣ في الزيادات وفيه تخريجه [البسيط] .

(٢) في الشعر والشعراء: ". . . من نفسي . . ." وما هنا يوافق وفيات الأعيان الذي هو مرجع هذا الكلام وفى الديوان : "من جسمي" وفى الجميع : ". . . زحزحني عن النار" .

(٣) ديوانه ٣٣٠/١ وتكملة الرجز هكذا : "أشعث باقي رمة التقليد" ، وكذلك في وفيات الأعيان ١٦/٤ .

(٤) هذا التفسير من وفيات الأعيان ١٦/٤ ، وفى النسختين د ، ك : "بضم الراء" .

(٥) أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمي ، كان حجة في القراءات واللغة والشعر . ت ١٥٤هـ . ترجمته في طبقات الزبيدي ٣٥ ، ووفيات الأعيان ٤٦٦/٣ ، ومعجم الأدباء ١٥٦/١١ .

(٦) هذا القول منقول من وفيات الأعيان ١٦/٤ .

(٧) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٨) في نسخة الأصل م : "خرداي"، وفى النسختين د ، ك : "جرادي" والتصحيح من لسان العرب في [كسر].

كقيصر لملك الروم ، وتُبّع لملك اليمن، والنعمان لملك العرب مِن قِبَل العجم، والنجاشي لملك الحبشة، وفرعون لملك القبط، والعزيز لملك مصر، وقيل فرعون لمن ملك مصر والشام، فإن أضيف إليها إسكندرية سُمي العزيز، ويقال جالوت لملك البربر، وخاقان لملك الترك، ويقال لمن ملك اليونان بطليموس، والفِطْيَوْن[1] لمن ملك اليهود أو مالخ، والنمروذ لمن ملك الصائبة، والإخشيد لمن ملك فرغانة، ودهمن لمن ملك الهند، وغانة لمن ملك الزنج ، وجرجير لمن ملك إفريقية، وشهرمان لمن ملك جلاظ، وفور لمن ملك السند، والأصفر لمن ملك علوى ، ورتبل لمن ملك الجزيرة[2] ، وكامل لمن ملك النوبة ، وماجد لمن ملك الصقالبة.

وكسرى إذا أُطلق في النظم يراد به أنوشروان، فهو صاحب الإيوان، ابن قُبَاذ[3] بن فيروز أشهر ملوك الفرس، وأحسنهم سيرة وأخبارًا، كان ملكا جليلا محبا للرعايا، تام التدبير، فتح الأمصار [٢٢١/ظ] العظيمة في الشرق ، وأطاعته الملوك، وتزوج ابنة خاقان ملك الترك ، وقتل مَزْدَكَ وأصحابه في قصة ذكرها الأخباريون، ولما قتله عظم في عين الفُرس وأحبوه ، وسلك سيرة أزدشير ، وتوطدت[4] مملكته ، وبنى المباني المشهورة ، منها العود العظيم على جبل الفتح عند باب الأبواب، وأقام الحرس، وحسم المادة من فساد من خلفه، ومنها الإيوان المذكور، الباقي الذكر ، المعدود من عجائب الدنيا ، حتى كان انصداعه من المعجزات النبوية،

---

(١) في النسختين د ، ك : "الغطيون" والفِطْيَوْن اسم لملك أعجمي قال ابن دريد في الاشتقاق: " ومنهم: الفِطْيَوْن المِلِك، وهذا اسمٌ عِبرانيٌّ أيضاً. وكان الفِطيَوْن تَمَلَّك بيثربَ فقتلَه رجلٌ من الأنصار قبل أن يُسَمَّوْا بهذا الاسم في الجاهليّة الأولى؛ وله حديث. وقد شهدَ بعضُ ولدِ الفِطْيون بدراً، واستشهِد بعضُهم يومَ اليمامة". الاشتقاق لابن دريد الموسوعة الشاملة وينظر معناه في : المعرب من الكلام الأعجمي لأبي منصور الجواليقي، ط دار الكتب القاهرة، ١٩٦٩م، بتحقيق أحمد محمد شاكر، ص ٢٩٣ وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٤٢/٢، دار الفكر – بيروت.

(٢) في نسخة الأصل م :"الجزر" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٣) في المخطوطات:"قباد" بالدال المهملة، وهو تصحيف، والتصحيح من المعارف ٦٦٣، ولطائف المعارف٦٣ .

(٤) في المخطوطات : و"توطيت" وصححتها .

مع ما هو عليه من العِظَم والإحكام الذي لا يُظن به أنه لا يهدمه إلا نفخة الصور، فصَدْعه وسقوط أربعة عشر شرفة منه ليس إلا محض آية دالة على نبوة نبينا محمد (ﷺ) وإلى ما ذكرنا قوله في الهمزية[1] :

وَتَــدَاعَى إِيْــوَانُ كِسْــرَى وَلَــوْلا　　　آيَــةٌ مِنْــكَ مَــا تَــدَاعَى الْبِنَــاءُ

قال الثعالبي[2] : يُضرَبُ[3] به المثل للبناءِ الرفيع العجيب الصفة ، المتناهي في آثار الملوك، وهو بالمدائن من بغداد على مرحلةٍ، بناه كسرى في نيف وعشرين سنة، وتأنق في تأسيسه، وتشييده، وتحسينه، طوله مائه ذراع في عرض خمسين ذراعًا في سُمْك مائة ذراع.

ولما بنى المنصور مدينة السلام أراد هَدْمه ليبني به ، فاستشار خالد بن برمك، فنهاه عنه، وقيل : إنَّ الرشيد أراد هَدْمه ، واستشار يحيى بن خالد البرمكي، فنهاه عنه، وقال: ياأمير المؤمنين، إن في بقائه [٢٢٢/و] معجزةً باقية، وهو آية الإسلام ، وإذا رآه[4] الناس علموا أن من هذا بناؤه لا يزيل أمره إلا الأنبياء ، وفيه مع (هذا)[5] مصلى عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، والمؤونة في هَدْمه أكثر من الارتفاق به ، فقال له : أبَيْتَ إلاّ ميلاً إلى العجم أو إلى آبائك – يعني الفُرس– وأمر بهدمه ، فصرف على شرفة منه مالاً كثيرًا ، فكف عنه ، وقال : قد صرنا إلى رأيك فيه ، فقال : أمَّا الآن فأشير بهدمه، قال: وكيف؟ قال: لئلا يتحدث الناس بأنك قد عجزتَ عن هدم ما بناه غيرك، فتغافلَ عن قوله وتركه.

---

(١) البيت في ديوان البوصيري ص٥٠ وهو من [الخفيف] .

(٢) عبد الملك بن محمد إسماعيل، يعرف بالثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب، ويعرف بكنيته أيضا: وهي أبومنصور، فيقال: أبومنصور الثعالبي (ت٤٢٩أو٤٣٠هـ) ترجمته في زهر الآداب ١٢٧/١، ووفيات الأعيان ١٧٨/٣، ومعاهد التنصيص ٣٦٦/٣ .

(٣) هذا القول كله مع تغيير طفيف في ثمار القلوب ١٨٠، ١٨١، وجاء باختصار في نهاية الأرب ٣٨٠/١، والمستطرف ٢/ ١٦٢، وليس في ثمار القلوب أن الرشيد استشار في هدمه ، ولكنه في نهاية الأرب.

(٤) في نسخة الأصل م : "وإذا رأوه" ، واخترت ما في النسخة د ، ك ، وهو يوافق ثمار القلوب .

(٥) سقطت كلمة "هذا" من نسخة الأصل م ، واعتمدتها من النسخة د ، ك ليستقيم القول .

حُكي عن رسل الملوك[1] أنه دخل الإيوان فرأى فيه اعوجاجاً فسأل عنه، فقيل: إنه مكان بيت لعجوز فقيرة سألها الملك بيعه فامتنعت، فأرغبها بمال كثير فلم تفعل ، فتركها وبنى الإيوان على ما هو عليه، فقال هذا[2] الرسول : هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء، ويُروى أن العجوز بعد بناء الإيوان نزلت للملك عن البيت وقالت : إنما أردتُ بامتناعي أولاً أن يتحدث الناس بعدلك بعدك، ثم صنع كسرى في الإيوان سلسلة عظيمة ذات أجراس، وجعل لها طرفاً خارج القبة، وأمر مناديه: من كان مظلوماً فليحرك السلسلة ليعلم الملك فيزيل ظلامته، وهذا نهاية في طلب العدل ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : ولدتُ في زمن الملك العادل — يعني كسرى — وله سيرة تشتمل على حكايات حسنة، منها أن عاملاً له على ناحية كتب إليه يعلمه بجودة الرِّيع، ويستأذنه [٢٢٢/ظ] في الزيادة على الرسوم، فأمسك عن إجابته، فعاوده العامل في ذلك، فكتب إليه : قد كان في تَرْك إجابتك ما حسبتك تَنزجر به عن تكلُّف ما لم تؤمر به، فإذا قد أبيتَ إلا تمادياً في سوء الأدب فاقطع إحدى أُذنيك، واكنف عما ليس من شأنك ، فقطع العامل أذنه ، وسكتَ عن ذلك الأمر .

وقد انصدع إيوان كسرى في زمنه (×) ، قال الأبوصيري[2] :

وَبَاتَ إِيْوَانُ كِسْرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ[3]

البيت. والصَّدع: الشّق في الشيء الصلب شَقًّا واضحًا متينًا ظاهرًا،كما اقتضاه لفظ

---

(١) هكذا في النسخ ، ولعله سقط ويقصد حكي عن أحد رسل الملوك دون ذكر اسمه،والدليل قوله :فقال هذا الرسول....

(٢) محمد بن سعيد بن حماد، كان أحد أبويه من أبو صير والآخر من دلاص، فركبت له نسبه منهما، وقيل: الدلاصيري، لكنه اشتهر بالبوصيري، برع في النظم والكتابة. ت٦٩٥هـ. ترجمته في فوات الوفيات ٣٦٢/٣، وحسن المحاضرة ٥٧٠/١، والوافي بالوفيات ١٠٥/٣، وشذرات الذهب ٤٧٣/٥، وفيه اسمه محمد بن سعد.

(٣) بردة المديح المباركة ١٥، وعجز البيت: «كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم»، وهو في ديوان البوصيري ص٢٤٢ وهو من [البسيط].

منصدع، وهو أبلغ (من) [١] منكسر، وكسرى الثاني[٢] وهو أبرويز (بن) [٣] هُرمز، ومعنى أبرويز بالعربية: المظَفَّر، وهو الذي غَلَب الروم حين أنزلَ الله ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾[٤]، وهو الذي عرض في المنام على الله (سبحانه وتعالى) فقال له : سَلِّم ما في يديك لصاحب الهراوة ، فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب إليه النُّعمان بن المنذر بظهور النبي (✕) بتهامة ، فعلم أن الأمر سيصير إليه (حتى) [٥] كان من أمره ما كان ، وهذا هو الذي سئل عنه رسول الله (✕) : ما حجّة الله على كسرى ؟ فقال[٦] إن الله أرسلَ إليه مَلَكا فسلك بيده في جدار مجلسه حتى أخرجها إليه وهى تتلألأ نورا ، فارتاع كسرى ، فقال له الملك: لم تُرع يا كسرى ، إن الله قد بعث رسوله ، فأسلم تسلم ، فقال : سأنظر ، وهو الذي كتب إليه النبي(✕) فمزّق الكتاب ، فقال عليه الصلاة والسلام : مزّق الله مُلكه ، وصورة الكتاب[٧] : "بسم الله [٢٢٣/و] الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على مَن اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله، فإني أدعوك بدعاء الله عز وجل ، فإني رسول الله إلى الناس كلهم ، لأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن توليتَ فعليك إثم المجوس"، فلما قرئ عليه الكتاب مزّ قه ، فبلغ ذلك رسول الله (✕) فقال : مزّق الله مُلكه .

وفى البخاري[٨] من حديث ابن عباس أن رسول الله (✕) بعث بكتابه إلى كسرى مع

(١) سقطت «من» من نسخة الأصل م.

(٢) أي المذكور في الشطر القاني من البيت.

(٣) سقطت لفظ (بن) من نسخة الأصل م.

(٤) سورة الروم، الآيتان: (١، ٢).

(٥) سقطت «حتى» من نسخة الأصل م.

(٦) الحكاية بطريقة مختلفة جاءت في البداية والنهاية ٤٨٣/٦ – ٤٩١.

(٧) في تاريخ الطبري ٦٥٤/٢، والبداية والنهاية ٤٨٥/٦ مع بعض اختلاف.

(٨) في البداية والنهاية ٤٨٣/٦ ، وفى هامشه ذكر أنه في البخاري (٧٢٦٤) .

عبد الله بن حُذافة السهمي ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البَحرين ، ودفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزّقه ، فحسبت أن ابن المسيّب قال: فدعا عليهم رسول الله (ﷺ) أن يُمزَّقوا كل ممزَّق .

وفى كتاب "الأنوار" لأبى عبيدِ بنِ مرسلٍ عمرَ بنِ إسحاقٍ قال: كتب رسول الله (ﷺ) إلى كسرى، فلما قرأ الكتاب مزّقه، وقُتل كسرى هذا، قتله ابنُه ليلة الثلاثاء لعشرين من جمادى الأولى سنه سبع من الهجرة ، وملك بعده سابور بن أبرويز أخو شيرويه ، ملك نحوا من شهرين في مدة النبي (ﷺ)، وهلك وملك أخوه شيرويه نحو ستة أشهر ، ثم ملكت بُوران أختهما ، فبلغ ذلك النبي (ﷺ) فقال[1] : "لا يفلح قوم تملكتهم امرأة" ، فملكت سنة ثم هلكت، وتشتت أمورهم كل الشتات، ثم اجتمعوا بعد ذلك على يزدجرد بن شهرمار حفيد أبرويز، وهو آخر ملوك الفرس [٢٢٣/ظ] وكانت[2] المسلمون قد غلبوا على أطراف أرضهم ، ثم كانت حروب القادسية معهم، إلى أن قهرهم المسلمون والإسلام، وفُتحت بلادهم، وسُلب مُلكُهم، وهُزم سلطانُهم على يدي عمر بن الخطاب (ﷺ)، ثم إنه قُتل في أول خلافة عثمان، وُجد مستخفيا في رَحًى، فقُتل وطُرح في قناة الرَّحَى، وذلك بمَرْو من أرض فارس.

وصح أنه (ﷺ) أخبر أنه إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وأن أمواله وكنوزه تُنفق في سبيل الله ، وقد انقطع مُلكُه وزال من جميع الأرض ، وتمزقت[3] أصحابه كل ممزّق بدعاء رسول الله (ﷺ) ؛ لتمزيق كتابه .

وقد بشَّر[4](ﷺ) أُمته في حَفْر الخندق بملك بلاده ، وقال لسُرَاقة : كيف بك إذا

(١) في البداية والنهاية ٣٣١/٢ ، ٤٨٨/٦ وفيه التخريج .

(٢) الصحيح أن يقال "وكان" لأن الفاعل جمع مذكر، وهو المسلمون .

(٣) الأفضل "وتمزق" .

(٤) هذا بتفصيل جيد في البداية والنهاية ٨/١٠-١٩ .

لبستَ سواري كسرى ، فلما أُتي بهما عمر (✕) ألبسهما إياه ؛ إظهارًا للمعجزة ، وقال : الحمدُ لله الذي أنزعهما من كسرى وألبسهما سُراقة .

قيل إنه لما جيء لعمر (✕) في زمن خلافته بسواري كسرى وتاجه ومنطقته (أي)[١] وبساطه ، وكان ستين ذراعا في ستين ذراعًا منظومًا باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان زرع الربيع، كان يُبسط له في إيوانه، ويشرب عليه إذا عُدمت الزهور، وجيء له (✕) بمال كثير من مال كسرى، وبنات كسرى، وكن ثلاثا[٢]، وعليهن من الحلي، والحلل، والجواهر ما يقصر اللسانُ عن وَصْفه، وعند[٣] ذلك دعا (✕) سُراقة (✕)، وقال له ارفع يديك، وألبسه [٢٢٤/و] السوارين، وقال له: قل الحمد لله الذي سلَبهما كسرى بن هُرمز الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سُراقة بن مالك، أي؛ ورفع عمر بهما صوته، وصب المال الذي جيء به من أموال كسرى في صحن المسجد، وفرّقه على المسلمين، ثم قطع البساط وفرقه بين المسلمين، فأصاب عليا (رضي الله عنه) قطعة منه باعها بخمسين ألف دينار، ثم جيء ببنات كسرى الثلاث، فوقفن بين يديه، وأمر المنادي أن ينادي عليهن، وأن يزيل ثيابهن عن وجوههن؛ ليزيد المسلمون في ثمنهن، فامتنعن عن كشْف نقابهن، ووكزن المنادي في صدره، فغضب عمر رضي الله تعالى عنه، وأراد أن يعلوهن بالدِّرَّة، وهنَّ يبكين، فقال له علي كرم الله وجهه: مهلا يا أمير المؤمنين، فإني سمعتُ رسول الله (✕) يقول[٤]: "ارحموا عزيزَ قوم ذَلّ، وغنيَّ قوم افتقر"، فسكن غضبه (✕)، فقال له عليٌّ كرم الله وجهه: إن بنات الملوك لا يعاملن

---

(١) هكذا في النسخ ، وأظنها زيادة من الناسخ، أو سبق قلم، إذ المنطقة لا يفسرها البساط، فلا موضع لـ"أي" هنا.

(٢) في المخطوطات : "وكن ثلاثة" .

(٣) في النسخة م : "وعند ذلك (✕) دعى سراقة . . ." ، والأفضل ما في النسختين د ، ك .

(٤) في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٢٧٨: "ارحموا ثلاثة : عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر ، وعالما يتلاعب به الصبيان" رواه ابن عدي عن ابن عباس مرفوعا ، والخطيب عن أنس مرفوعا ، وقال : يتلاعب به الجهال ، مكان الصبيان ، ورواه ابن حبان من حديثه ، وقال : وعالم بين جهال . ورواه الديلمي، وقال: وهو موضوع وفي أسانيده كذابون ومجهولون أ . هـ .

معاملة غيرهنَّ من بنات السوقة، فقال له عمر (✖): كيف الطريق إلى العمل معهن؟ فقال: يُقَوّمن، ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن، فَقُوّمن وأخذهن علي كرم الله وجهه، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر (✖) فجاء منها بولده سالم، وأخرى لمحمد بن أبي بكر (✖) فجاء منها بولده قاسم، والثالثة لولده الحسين (✖)، [٢٢٤/ظ] فجاء منها بولده علي الملقب زين العابدين (✖).

وهؤلاء الثلاثة (رضي الله عنهم) فاقوا أهل المدينة علما وورعًا، وكان أهل المدينة (رضي الله عنهم) قبل ذلك يرغبون عن التسرِّي، فلما نشأ هؤلاء الثلاثة فيهم رغبوا فيه[١] .

وما وقع لكسرى من أعظم الآيات الدالة على نبوته (✖)، والقياصرة: جمع لقيصر، وهو اسم لمن ملك الروم كما تقدم، ومعناه في اللغة: البيّن؛ لأنه شُقّ عنه، وأُخرج؛ فسمي "قيصر"[٢] فكان يفتخر بذلك ويقول: لم أخرج من فَرْجٍ والمشهور[٣] منهم هِرَقْل، وهو الذي كتب له النبي (✖) كتابا يدعوه إلى الإسلام، وبعث به دِحْيَةَ الكلبي (رضي الله عنه)، وأمره أن يدفعه لقيصر ، وقيل : أمر (✖) دحية أن يدفعه إلى عظيم بُصرى ، وهو الحارث ملك غَسّان؛ ليدفعه إلى قيصر، ولما انتهى دحية إلى الحارث أرسل معه عَدِى بن حاتم (رضي الله عنه) يوصله إلى قيصر، فذهب إليه فقال قومه لدحية[٤]: إذا رأيتَ الملك فاسجد له، ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك، قال دحية (✖): لا أفعل هذا أبدا، ولا أسجدُ لغير الله، قالوا: إذن لا يأخذ كتابك، فقال له رجلٌ منهم: أنا أدلك على أمر يأخذ فيه كتابك من غير سجود له، فقال دحية: وما هو؟ فقال: إن له على كل [٢٢٥/و] عتبة منبرا يجلس عليه، فضع صحيفتك تجاه المنبر فإن أحدا لا يحركها حتى يأخذها هو، ثم يدعو صاحبها ففعل،

---

(١) جاء هذا في عيون الأخبار ٨/٤ ، والعقد الفريد ١٢٨/٦ ، ولطائف المعارف ١٢٤ .

(٢) وهذا يفسر تسمية استخراج الجنين من بطن أمه عن طريق العمليات الجراحية بال"قيصرية".

(٣) في النسختين د ، ك : "والمشهود" بالدال المهملة .

(٤) هذا الجزء لم أعثر عليه في كتب التاريخ ، تاريخ الطبري والبداية والنهاية وغيرهما .

فلما أخذ قيصرُ الكتابَ؛ وجد عليه عنوان كتاب العرب، فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية، فقرأه له، وترجم له بمعناه، ثم قال له: انظر لنا أحدا من قومه نسأله، وكان أبو سفيان بن حرب (رضي الله عنه) بالشام، قال أبو سفيان[1]: فأتانا رسول قيصر، وهو والي شرطته، فانطلق بنا حتى قدمنا عليه في بيت المقدس، فإذا هو جالس وعليه التاج، وعُظماء الروم حوله، فقال لترجمانه: اسألهم أيهم أقرب نَسَبا لهذا الذي يزعم أنه نبي؟، فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسبا إليه، فقال: أدنوه مني، ثم أمرَ بأصحابي فجُعلوا خلف ظهري، ثم قال لترجمانه: قل لهؤلاء إنما قَدّمتُ هذا أمامكم؛ لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، وإنما جعلتكم خلف كتفيه لتردُّوا عليه إن كذب، قال أبو سفيان: فوالله لولا الحَياء يومئذ أن يردُّوا عليَّ كذبا لَكَذبت، ولكن استحيتُ فصدقت، وأنا كاره ، ثم قال لترجمانه : قل له : كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟ قلت: هو منا ذو نسب، قال : قل له : هل قال هذا القول أحدٌ قبله منكم ؟ قلت : لا ، قال : قل له ، هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ، قال : هل كان من آبائه ملك ؟ قلت : لا ، وفى رواية : كيف عقله ورأيه ؟ قال : لم نَعِبْ عليه رأيا ولا عقلا قط ، قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال [٢٢٥/ظ] فهل يزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ قلت: لا ، قال: فهل قَاتَلتموه ؟ قلت نعم ، قال: يغدر إذا عاهد؟ قلت : لا ، ونحن الآن منه في ذمة ما ندري ما هو فاعل فيها، قال: فكيف حربكم وحربه؟ قلت: دُوَل وسِجَال، نُدال عليه مرة ، ويُدال علينا أخرى،والحرب سِجال:أي نوب. قال: فما يأمركم به ؟قلت : يأمرنا أن نعبدَ الله ، والذي في البخاري[2] : يقول : اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا

(١) في تاريخ الطبري ٦٧٤/٢ ، ٦٤٨ ، والبداية والنهاية ٤٦٨/٦-٤٨٢ .

(٢) جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري في باب بدء الوحي: "حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِي. قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْش.... الخ الحديث". ج٤٢/١ ط الأولى : دار الريان

به شيئا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصَّدَقة، وفى لفظ: والزكاة، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، فقال لترجمانه: قل له: سألتك عن نسبه؛ فزعمتَ أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها، وسألتك هل هذا القول قاله منكم أحد قبله؟؛ فزعمتَ أنْ لا؛ فلو كان أحدٌ منكم قال هذا القول قبله لقلت: هو يأتمُّ بقول قيل قبله، وسألتكم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟؛ فزعمتَ أنْ لا؛ فعرفتُ أنه لم يكن ليدعَ الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك هل كان من آبائه ملك؟؛ فقلتَ: لا؛ ولو كان من آبائه ملك لقلت: رجل يطلب مُلك أبيه، وسألتك: أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلتَ: ضعفاؤهم، وهم أتباع الرُّسل، وسألتك هل يزيدون أم[1] ينقصون؟؛ فزعمتَ أنهم يزيدون، كذلك [٢٢٦/و] الإيمان حتى يتم، وسألتك هل يرتدّ أحد منهم سخطة لدينه؟؛ فزعمتَ أنْ لا ، وكذلك الإيمان حتى تخالط بَشَاشته القلوب، وسألتك هل قاتَلتموه؟؛ قلتَ : نعم ، وإن حربكم وحربه دُوَل وسِجال، يُدال عليكم مرة ، وتدالون عليه أخرى ، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر؟؛ فذكرتَ أنْ لا، وكذلك الرسل لا تغدر، فعلمتُ أنه نبي، وقد كنتُ أعلم أنه خارج، ولكن لم أظن أنه فيكم، وإن كان ما حدثتني به حقًّا فيوشك – أي يقرب – أن يملك موضع قَدميّ هاتين، ثم قال قيصر: ولو أعلم أني أخلص – أي أصل – إليه لَتَجَشَّمت – أي تكلّفت – مع المشقة للقيته.

قال الإمام النووي – رحمه الله تعالى : ولا عذر له في هذا ، وقال الحافظ ابن حجر[2] : لو تَفَطن هرقل لقوله (ﷺ) في الكتاب : "أسلم تسلم" وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا

للتراث بالقاهره ١٤٠٧هـ

(١) هكذا في النسخ لأن هل الاستفهامية إذا سئل بها عن خيارين فإن أم هي التي تستعمل معها.

(٢) القول في كتاب بدء الوحي،في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري،من حديث أبي اليمان الحكم بن نافع.المجلد الأول،ط دار المعرفة.

والآخرة ، لَسَلِم من كل ما يخاف ، ولكن التوفيق بيد الله .

ثم قال : ولو كنت عنده لغسّلتُ قدميه، ولا أطلب منه ولاية ولا منصباً، فلما قضى مقالته ، وفرغ من الكتاب عَلَتْ أصوات الذين حوله وكثر[١] لغطُهم، وفي البخاري: كثر عنده الصخبُ ، وارتفعت الأصوات ، زاد في البخاري : فلا أدري ما قالوا. والصخب: اختلاط الأصوات عند المخاطبة ، وأمر بنا فأُخرجنا ، فلما أُخرجتُ أنا وأصحابي وخلصنا قلت: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة ، أي عظم أمره ، هذا ملك بني الأصفر يخافه .

ويروى [٢٢٦/ظ] أن[٢] أبا سفيان قال لقيصر : هل كنتم تتهمونه بالكذب؟ فقال لا ، ولكن أخبرك عنه –أيها الملك– خبراً تعلم أنه كذب ، قال : وما هو؟ قلت : أنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحَرَم في ليلة ، فجاء مسجدكم هذا ورجع إلينا في ليلة قبل الصباح ، قال بطريق – أي[٣] قائد من قواد الملك – صدق أيها الملك ، فنظر إليه قيصر وقال ما أعلمك بهذا ؟ قال إني كنت لا أنام ليلة أبداً حتى أغلق باب المسجد ، فلما كانت تلك الليلة أغلقتُ الأبواب كلها غير باب واحد وغلبني – فاستعنت عليه بعمالي ومن حضرني ، فلم نستطع أن نحركه ، كأنما نزاول جبلاً ، فدعوتُ النّجّارين فنظروا إليه فقالوا : لا نستطع أن نحرِّكه حتى نصبح ، فلما أصبحت جئت إليه فإذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب ، وإذا فيها أثر مربط الدابة ، فقلت لأصحابي : ما حبس الباب[٤] الليلة إلا لهذا الأمر ، فقال قيصر لقومه يا قوم . أَلستم تعلمون أن بين يدي الساعة نبيًا بشَّركم به عيسى[٥]

---

(١) في نسخة الأصل م : "وكسر" بالسين المهملة مكان الثاء المثلثة ، وفي النسخة د ، ك : "وكثر لغطهم".

(٢) أسلوب فيه ركاكة، ويبدو أن الصواب هو: "أن أبا سفيان قال لقيصر: سألتني هل كنتم تتهمونه بالكذب؟ فأقول : لا ولكن أخبرك".

(٣) في نسخة الأصل م : "أي قواد من قواد" ، والتصحيح من النسخة د ، ك .

(٤) في النسخة د ، ك : "البياب" وهو خطأ من الناسخ .

(٥) في نسخة الأصل م : "عيسى بن مريم" بإسقاط ألف "ابن" والصواب من النسخة د .

ابن مريم تَرجون أن يجعله الله فيكم ؟ قالوا : بَلَى ، قال : فإن الله قد جعله في غيركم ، وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء ، أي[١]. وأمر بإنزال دحية وأكرمه، وذُكر أن ابن أخي قيصر أظهرَ الغيظَ الشديد، وقال لعمه: قد ابتدأ بنفسه، وسمّاك صاحب الروم، أَلْقِ به، يعني الكتاب، فقال له: والله إنك لَضعيف الرأي، [٢٢٧/و] أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر؟ هو أحق أن يبدأ بنفسه ، ولقد صَدَق ، أنا صاحب الروم ، والله مالكي ومالكه ، وفي رواية أنه قال له قيصر : إنك أحمق صغيراً، ومجنون كبيراً، تريد أن نمزق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه، ولعمري لئن كان رسول الله (ﷺ) كما يقول لنفسه أحق أن يبدأ بها مني، ولئن سماني صاحب الروم لقد صَدَق، ما أنا إلا صاحبهم، وما أملكهم ، ولكن الله سخرهم ، ولو شاء الله سلَّطهم عليّ كما سلَّط فارس على كسرى فقتلوه .

ولما جاءه (ﷺ) الخبر عن قيصر قال : ثبّت الله مُلكه ، وفي لفظ سيكون لهم بقية، ولقد صدق الله ورسوله ، فقد ذكر الحافظ ابن حَجر أن الملك المنصور قلاوون أرسل بعض أُمرائه إلى ملك الغرب[٢] بهدية ، فأرسله ملك الغرب إلى ملك الفرنج في شفاعة ، فقبله وأكرمه ، وقال له : لأُتحفنّك بتُحفة سَنية ، فأخرج له صندوقاً مصفحًا بالذهب ، وأخرج منه مقلمة ، وفي لفظ : قصبة من ذهب .

وعن السهيلي[٣] قال: بلغني أن هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيماً له ،

---

(١) صح عندي -الآن- من خلال المتابعة أن : أي ليست زائدة وإنما هي لازمة من لوازم أسلوب المؤلف، وهو يستخدمها بمعنى نعم. التي يقولها أهل العلم عند انقطاع حديثهم، فكأنهم يصلون بها بين كلام منقطع وكلام مستأنف.

(٢) في النسختين د ، ك: "المغرب" .

(٣) بحثت عن هذه الحكاية في الروض الأنف للسهيلي، فلم أجدها، وكذا بحثت عنها فيما بين يدي من كتب السيرة مثل سيرة ابن هشام، ومغازي الواقدي، وعيون الأثر، والأنوار في شمائل النبي المختار؛ فلم أعثر عليها.

فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه ، وقد ألصق عليه خرقة من حرير[١] فقال : هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر، ما زلنا نتوارثه إلى الآن ، وذكر لنا آباؤنا عن آبائهم، أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا ، فنحن نحفظه ، غاية [٢٢٧/ظ] الحفظ ، ونعظمه ونكتمه عن النصارى ، ليدوم الملك فينا ، ولا ينافيه ما جاء: "إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده"، والمراد إذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد، وكان كذلك ولم يبق إلا ببلاد الروم .

ويروى أن قيصر لما رجع من بيت المقدس إلى دار مُلكه، -وهي حمص- كان له فيها قصر عظيم؛ فأغلق أبوابه، وأمر منادياً ينادي: ألا إن هرقل قد اتبع محمداً، وآمن به، فدخلت الأَجْنَاد في سلاحها، وطافت بقصره تريد قَتْله، فأرسل إليهم: إنني أردت أن أختبر صلابتكم في دينكم، فقد رضيت، فرضوا عنه.

لكن الذي في البخاري؛ أن قيصر لما سار إلى حمص أذن إلى عظماء الروم في دَسْكَرة[٢] (له)[٣] ، ثم أمر بأبوابها فغلّقت، ثم اطلع[٤] قال: يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح، والرشد، وأن يثبت ملككم؟؛ فتابعوا هذا النبي، فحَاصُوا حيصة[٥] حمر الوحش إلى

---

(١) في نسخة الأصل م : "من حديد" ، والتصحيح من النسخة د ، ك .

(٢) في المخطوطات: "في تسكرة"، وهو خطأ، والتصحيح من البداية والنهاية ٤٧٣/٦، ولسان العرب في [دسكر]. وفي اللسان: الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي، والجمع الدساكر، قال الليث: يكون للملوك، وهو معرب، وفي حديث أبي سفيان وهرقل : أنه أذن لعظماء الروم في دسكرة له، الدسكرة بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم، وليست بعربية محضة، والدسكرة:الصومعة عن أبي عمرو".

(٣) سقطت "له" من نسخة الأصل م، واعتمدتها من النسختين: د، ك.

(٤) في البداية والنهاية : "واطلع عليهم من علية له وهو منهم خائف فقال...".

(٥) الحَيْصُ: الحَيْدُ عن الشيء. حاصَ عنه يَحِيصُ حَيْصاً: رَجَعَ. ويقال: ما عنه مَحِيصٌ أَي مَحِيدٌ ومَهْرَبٌ، وكذلك المِحاصُ، والانحياصُ مثلُه. يقال لِلأَوْلِياء: حاصُوا عن العَدُوِّ، وللأَعْداء: انْهَزَمُوا. وحاصَ الفرسُ يَحِيصُ حَيْصاً وحُيُوصاً وحَيَصاناً وحَيْصُوصةً ومَحاصاً ومَحِيصاً وحايَصه وتَحايَصَ عنه، كلُّه: عدَلَ وحادَ. وحاصَ عن الشرِّ: حادَ

الأبواب، فوجدوها قد أغلقت، فلما رأى قيصر نفرتهم، وأيس من الإيمان منهم، أي وقالوا له: أتدعونا[1] أن نترك النصرانية، ونصير عبيدَ الأعراب؟.

فقال:رُدُّوهم عليّ، إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسَجَدوا له ، ورضوا عنه ، وعند ذلك كتب كتابًا وأرسله مع دحية الكلبي إلى رسول الله (ﷺ) يقول فيه: إني مسلم، ولكني مغلوب، وأرسل بهدية، فلما قُرئ عليه (ﷺ) الكتاب قال: كذب عدوُّ الله، ليس بمسلم، وقَبِلَ هديته، [٢٢٨/و] وقسّمها بين المسلمين. انتهى.

وقوله: المجلّون الغمامة، وهو راجع إلى القياصرة فقط؛ لأنهم هم الذين يعظمونها، والغمامة: معبد للنصارى في بيت المقدس يعظمونه أشد تعظيم.

قال الناظم[2] :

أَيْـــنَ الَّـــذِي الْهَـــرمَانِ مِـــنْ بُنْيَانــــهِ الحَـــاكِي اعْتِرَامَـــهْ ؟[3]

الهرمان : مثنى هرم ، وغالب هذا البيت مأخوذ بالحرف من قول المتنبي[4] :

عنه فسَلِمَ منه. اللسان / حي .

(١) في المخطوطات: "أتدعنا"، وهو خطأ، لأن جزم الفعل هنا يكون بدون جازم، وقد صححته، وأرجو أن أكون قد وفقت.

(٢) في النسخة د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالي" [مجزوء الكامل] .

(٣) في نفح الطيب: "اعتزامه" بالزاي، ولا معنى له. وفي اللسان في [عرم] : "والعرام": الشدة والقوة والشراسة. وعرمنا الصبي وعرم علينا وعرم عَرامة وعُرامة: أشر، وقيل: مرح وبطر ، وقيل: فسد. ابن الأعرابي : العرم: الجاهل ، وقد عرم يعرم وعرم وعرم . وقال الفراء : العرامي من العرام وهو الجهل ، والعرام : "الأذى" .

(٤) أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي ، اشتهر بلقب المتنبي ، ولكن كنيته هي أبو الطيب ، أكثر شعره في مدح سيف الدولة . قتل سنة ٣٥٤هـ . ترجمته وأخباره في يتيمة الدهر ١٢٦/١ ، ووفيات الأعيان ١٢٠/١ ، ومعاهد التنصيص ٢٧/١ ، والوافي بالوفيات ٣٣٦/٦ وغير ذلك كثير .

أَيْــنَ الَّــذِي الْهَرَمَــانِ مِــنْ بُنْيَانِــهِ مَـا قَوْمُـهُ مـا يَوْمُـهُ مَـا المَصْـرَعُ ؟[١]

تَتَخَلَّـــفُ الآثَارُ عَـــنْ أَصْـــحَابِهَا أَبَــداً فَيَصْـرَعُها الزَّمَــانُ فَيَصْــرَعُ[٢]

وإنما ذُكر الهرمانِ مع أنه ببلادِ مِصْرَ أكثرَ من ذلك لعظمهما ، وهما من عجائب الدنيا، فلا بأس بذكر نبذة مما نقلته الثقات في شأن ذلك فنقول[٣] : وليعلم أن الأهرامات كانت بمصر كثيرة جداً منها بناحية بوصير شيء كثير ، بعضها كبار، وبعضها صغار، وبعضها طين ولبن، وأكثرها حجارة، وأكثرها مخروط أملس، وقد كان منها بالجزيرة تجاه مدينة مصر عدة كثيرة كلها صغار، هدمت في أيام السلطان صلاح الدين يُوسف بن أيوب على يد بهاء الدين، وكان من أولياء الله تعالى، وكان السبب في هدم هذه الأهرامات الصغار لما شرع السلطان صلاح الدين لبناء قلعة الجبل، وتجديد السور المحيط بالقاهرة، وتجديد الأبواب التي بها، فاحتاج إلى هدم الأهرامات الصغار التي حول الهرم الكبير؛ لأن حجره عنده صلابة عظيمة لا نظير له في الصحة، فكان هو السبب في هدم ذلك، [٢٢٨/ظ] وقيل: إنه وجد فيهم أمواتاً في حيضان[٤] من زبرجد وياقوت وما شاكل ذلك من التحف، والظاهر أن

---

(١) ديوان المتنبي ١٣/٣ [بشرح عبد الرحمن البرقوقى] ، وهما من [الكامل] .

(٢) جاء الشطر الثاني في الديوان هكذا : "حينا ويدركها الفناء فتتبع" ، وفي النسخة د ، ك : ". . الزمان المصرع"، وهو خطأ من الناسخ .

(٣) هذا التفصيل والتطويل في وصف الأهرام في حسن المحاضرة ٧٠/١-٨٣ وما هنا يكاد يكون بالن . وجاء في ثمار القلوب ٥٢٢ ، ونهاية الأرب ٣٧٤/١ حديث عن الأهرام ، ولكن ليس بهذا الاتساع، وقد توسع المسعودي في مروج الذهب فذكر روايات كثيرة في حوالي عشرين ومائة صفحة ١/ ١٥٢- ٢٧٢ , وكذا في أخبار الزمان في الجزء الأول. أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، تصنيف المؤرخ الكبير أبى الحسن على عبد الحسين بن على المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية الطبعة الثانية، اشرف على الطبع والتصحيح لجنة من الأساتذة، دار الأندلس للطباعة والنشر – بيروت.

(٤) يجمع الحوض على حياض ، وأحواض، وجاء في تاج العروس أن الحوض "يُجْمَعُ على حِيضانٍ".

الأهرامات الصغار قبور أولاد الملوك السالفة ، فكانوا يعتنون[1] على قبورهم بهذه الأحجار لئلا[2] تدرس قبورهم على توالي الدهور والأيام ، وكذلك الأهرامات الكبار لا شك أنها قبور الملوك المتقدمين ، فأتقنوا[3] على قبورهم هذا الإتقان العظيم، وجعلوا له الطلاسم لئلا تندرس معالمهم وفي ذلك عبرة لمن اعتبر .

ومما بناه السلطان صلاح الدين القنطرة التي بين الجزيرة من حجارة الأهرامات الصغار ، وقد اختلف الناس في وقت بنائها وفي اسم بانيها، والسبب في بنائها، وقالوا في ذلك أقوالاً متباينة ، والأصح – والله أعلم– أنها بنيت قبل الطوفان، فإن المشهور في التواريخ في أخبار مصر، وعجائبها أن الذي بناها قيل إنه يسمى سوريد بن شلهوق بن توميدون بن بدرسان بن هوصال، وأولئك كانوا [ملوكاً بمصر قبل الطوفان][4] الذين كانوا يسكنون في مدينة أمسوس .

والسبب في بناء الأهرام هذا[5] أنه قد رأى في منامه رؤيا هائلة عبَّرها له علماء زمانه بأن تأتي آفة سماوية، وتفسد جميع ما في الأرض، وتهلك جميع الخلائق ، وكان ذلك قبل حدوث الطوفان بثلاثمائة عام وكسور، فاقتضى رأيه ببناء هذه الأهرام التي بالجيزة، وحصّن فيها جميع كتبهم وأموالهم، وطلسم عليها خيفة [٢٢٩/و] الفساد، وبنى هذا البناء العظيم

(١) في نسخة الأصل م : "يتعنقون" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٢) في المخطوطات كتبت الكلمة هكذا : " ليلا" .

(٣) الفعل "أتقن" يتعدى بنفسه فالأصح "فأتقنوا قبورهم" .

(٤) هكذا في المخطوطات والعبارة ركيكة ولعلها " ملوك مصر، ليصح وصفهم بالاسم الموصول "الذين" لأنها لو = = كانت "ملوكا بمصر" لكانت نكرة، والنكرة لا توصف بالمعرفة، وإنما توصف بها إن خصصت بوصف أو بإضافة، فيكون كونها: ملوك مصر تخصيصا لها بالإضافة؛ فيصح وصفها بالمعرفة (الاسم الموصول) والله أعلم.

(٥) هكذا في المخطوطات، وهي وإن صحت نحوا؛ بعود اسم الإشارة إلى البناء وهو مذكر، فإنها لا تصح أدبا، لأن البناء لا يتخيل من غير مبني، وعندئذ تقتضى صحة الأسلوب أن يشار إلى المبني وهو الأهرامات فيقال هذه، لأنه جمع لغير عاقل، ويجوز أن يكون اسم الإشارة مفسرا بالجملة بعده، على تقدير هذا الرأي الذي هو أنه...الخ".

خوف الخراب ، فهذا ما دلّت عليه التواريخ القديمة، وقيل: إنه قبر إدريس (عليه السلام)، وقيل: قبر شيث بن آدم (عليه السلام).

ومما نقل عن الرؤيا التي رآها الملك سوريد[١] أن مدينة أمسوس انقلبت بأهلها ، والأصنام تهوي على رؤوسها، وكأن أناسا نزلوا من السماء بأيديهم مقامع من حديد يضربون الناس بها، فقلت لهم: ولم تفعلون بالناس هكذا ؟ قالوا: لأنهم كفروا بإلههم، قلت: فما بقي لهم من خلاص؟ قالوا: نعم، من أراد الخلاص فليلحق بصاحب السفينة؛ فانتبه مرعوبا، ثم أمرَ بجميع كُهّانه الذين كانوا في زمنه وقَ ☐ عليهم ما رأى، فكل منهم يقول: إن هذا يدل على حادث عظيم، فإن رؤيا الملوك لا تخيب، فقال لهم الملك: خذوا ارتفاع الكواكب وانظروا هل من حادث؟ فبلغوا غايتهم في استقصاء ذلك ، وأخبروا بأمر الطوفان، وبعده بالنار التي تخرج من برج الأسد تحرق العالم، فقال الملك: انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا[٢]؟ فقالوا: نعم، يأتي الطوفان على أكثره، ويلحق خراب مدة سنين، قال: فانظروا هل يعود عامرا كما كان، أو يبقى مغمورا بالماء دائما؟ قالوا: بل تعود كما[٣] كانت وتعمر ثانيا، قال: ثم ماذا ؟ قالوا[٤]: يقصدها ملك يقتل أهلها، ويأسر بعضهم، ويأخذ مالها، قال: ثم ماذا؟ قالوا: يقصدها قوم مُشوّهون من ناحية النيل، ويملكون أكثرها، قال: ثم [٢٢٩/ظ] ماذا ؟ قالوا: ينقطع نيلها، وتخلو من أهلها، فأمر عند ذلك بعمل الأهرام، وأن يعمل لها مسارب يدخل منها النيل إلى مكان بعينه ، ثم ملأها طلسمات وعجائب ، وأموالا وأصناما ، وأمر الكُهّان

---

(١) في نسخة الأصل م : "سويد" بإسقاط الراء ، وهو خطأ من الناسخ .

(٢) هكذا في النسخ والصواب, وكما ترى فإن هناك مراوحة بين التذكير والتأنيث في الأسلوب، تلاحظها في الأفعال : يعود، يبقى، تعود ، تعمر ، ورجوع الضمائر: أكثره، يقصدها ملك، يأخذ مالها، يقصدها..الخ.

(٣) في النسختين د ، ك : "بل تعود لما كانت" .

(٤) في المخطوطات : "قال" ، والصواب أن يكون "قالوا" ليتوافق مع سابقه ولاحقه .

فزَبروا[١] عليها جميع ما قالت الحُكماء ، وزَبر فيها وفى سقوفها وحيطانها وأسطواناتها جميع العلوم الغامضة ، وصوَّر فيها كواكبها كلها ، وزَبَروا أسماء العقاقير ومنافعها ومضارها ، وعلم الطِّلِّسْمات والحساب والهندسة وجميع العلوم التي كانوا يعرفونها ، مفسرا لمن يعلم لغاتهم وتفهّم كتابتهم ، وكانوا يستخدمون الجان في حمل الأثقال ، فهذا الذي أعانهم على بنائها ، وجعلوا لها أبوابا مُحكمة بصنعة[٢] تُحيّر فيها العقول ، فأما باب الهرم الشرقي فإنه من ناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع من وسط حائط الهرم ، وكذلك باب الهرم الغربي فإنه من ناحية الغربية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط الأسفل، وأما باب الهرم الصغير الملوّن فإنه من الناحية الجنوبية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط الجنوبي، فإذا بعد هذا القياس وصل إلى باب الأزج المبني، ويدخل منه إلى باب الهرم، وهو باب من حجر عديم النظير، وجُعل ارتفاع كل واحد من الأهرامات في الهواء مائة ذراع بالذراع الملكي، وهو الذي يعدونه الآن قصبة[٣] عند قياس طين البلاد، وكان ابتداء بنائها في طالع سعيد اجتمعوا عليه[٢٣٠/و] وتخيّروه، فإنها لا تنهدم أبدا، وتستمر إلى آخر الدهر، فلما فُرغ من بنائها كساها الحرير، وزبر عليها: قد كسوناها الحرير فاكسوها أنتم الحَصِيرَ، وعمل لها عيدا حضره أهل مملكته بأجمعهم، ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزنا من حجارة صَوَّان ، ومن حجارة الزَّبرجد ، ومن حجارة اليشم[٤]، ومن أنواع الرخام الفاخر العديم النظير ، بحيث لو رآها الناظر يندهش ، وملأها بالأموال الجمة والآلات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة ، وآلات الحديد الفاخر من السلاح الذي لا يصدأ أبدا ، والزجاج الذي ينطوي ولا ينكسر ، وأصناف العقاقير المفردة والمؤلفة ،

(١) زَبَرُوا : أي كتبوا . اللسان في [زبر] .

(٢) في النسختين د ، ك : "بصفة" .

(٣) القصبة ثلاثة أمتار ونصف تقريبا .

(٤) قال الزبيدي فى العروس: اليَشْبُ: أهمله الجَوْهَرِيُّ، وصاحبُ اللّسان. وقال الصاغنيُّ: هو حَجَرٌ: معروف، وهو مُعَرَّبُ اليَشْمِ بإبدال الميم باءً كلازمٍ ولازبٍ. تاج العروس ، مادة يشب،وانظر القاموس(يشب).

والسموم القاتلة ، وعمل في الهرم الشرقي أصناف القباب الفَلَكية والكواكب ، وما عمله أجداده من التماثيل والدُّخن التي يتقرّب[1] بها إلى الكواكب ومصاحفها ، وكون الكواكب الثابتة وما يحدث في أدوارها ، وما عمل لها مَن التواريخ والحوادث التي مضت، والأوقات التي ينتظر فيها ما يحدث[2] ، وكل من يلي مصر إلى آخر الزمان من طائفة وجنس ، وجعل فيها المظاهر التي فيها المياه الطاهرة المطَهرة المدبرة وما أشبه ذلك ، وجعل في الهرم الملوّن أخبار الكَهنة في توابيت من صَوّان أسود مع كل كاهن مصحف ، وفيه عجائب صناعته وأعماله وسيرته ، وما عمل في وقته وما كان وما يكون من أول الزمان إلى آخره.

وجعل في الحيطان [٢٣٠/ظ] من كل جانب أصناما تعمل بأيديها جميع الصنائع على مَراتبها وأقْدارها ، وصفة كل صنف وعلاجها وما يصلح لها ، ولم يترك عِلْما من العلومِ حتى زَبَره ورسمه ، وجعل فيها أموال الكهنة ، وهو شيء عظيم لا يُحصى، وجعل لكل هرم منها خازنا، فخازن الهرم الغربي صنم من حجارة صَوّان مُجزع، وهو واقف، ومعه شبه حَرْبة، وفى عُنقه شبه حية قد تَطوّقت به، من قَرُب منه وثَبَتْ إليه، وطَوّقت على عنقه؛ حتى تقتله ثم تعود إلى مكانها، وجعل خازنَ الهرمِ الشرقيّ صنمًا من جَزْع أسودَ، وأبيضَ، له عينان باذقتان[3] مفتوحتان بَرَّاقتان، وهو جالس على كرسيٍّ ومعه حَربةٌ، إذا نظر إليه أحدٌ يموت، وجعل خازنَ الهرمِ الملوّنِ صنمًا من حجرِ البهتِ على قاعدةٍ منه، مَن نظر إليه جذَبه حتى

(١) في نسخة الأصل م : "يستقرب" ، والتصحيح من النسختين د ، ك، والدخن لعله الأبخرة " والدُّخْنة: كالذَّريرة يُدخَّن بها البيوتُ. وفي المحكم: الدُّخنة بَخُور يُدَخَّن به الثيابُ أَو البيت، وقد تَدَخَّن بها ودَخَّن غيرَه". اللسان/دخن.

(٢) في النسختين د ، ك : "وما يحدث" ، ولا معنى لهذه الواو .

(٣) في اللسان في [بذق] : "قال أبو عبيد : الباذِ والباذَق كلمة فارسية عُربت فلم نعرفها، قال ابن الأثير : وهو تعريب باذه، وهو اسم الخمر بالفارسية، أي لم يكن في زمانه أو سبق قوله فيه وفى غيره من جنسه ، ومما أعرب البياذقة الرجَّالة ومنه بيذق الشطرنج".

يلتصق به فلا يفارقُهُ إلى أن يموت.

فلما فرغ من ذلك حصَّن الأهرامَ بالأرواحِ، وذَبح لها الذبائحَ لتمنعَ عن أنفُسِها مَن أرادها إلا مَن عَمِل لها أعمالَ الوصولِ إليْها.

ومما نُقل للمأمونِ من تواريخِ القِبط الأُوَلِ أنَّهم قرأُوا ما هو مكْتُوبٌ على الأهرامِ بالقَلمِ القديمِ، وفسَّروا له بالعربيّ: أنا[١] سوريد بن شَهْلُوقِ بنِ سِرْياقِ بنِ تُومِيذُونِ بنِ بَدرِسَانِ بنِ هُوصَالِ بنِ شيثِ بنِ آدمَ (عليه السلام) بَنيتُ هذه الأهرامَ في وقتٍ سعيدٍ، وهو وقتُ كذا وكذا، وأَتَمَمْتُ بناءها في ستِ سنينَ، فمن أتى بعدى وزَعَمَ أن مُلكَهُ مثلُ مُلْكِي فليهْدِمْها في ستّينَ سنةً [٢٣١/و] وقد عُلِمَ أنَّ الهدْمَ أيْسرُ من البنيان، (وإنِّي كَسوْتها – عند فراغها– الحريرَ فليكْسُها إن قَدَر بالحَصِير) [٢]، فنظروا أنَّ كليْهما[٣] لا يمكنُ فعلُهُ، لا هدمُها ولا كِسْوتُها بالحصير.

وذكروا أن رُوحَانيةَ الهرم الجنوبي امرأة عُريانةٌ، باديةُ الفرْجِ ، في فمها أنيابٌ كِبَارٌ، تسْتَهْزِئُ بالإنسانِ إذا رأتْهُ، وتضْحكُ منه، حتَّى يدْنُوَ منها فتسْلُبُه عقلَهُ، ورُوحَانيةَ الهرمِ الملوّنِ الصغيرِ شيْخٌ في يديْهِ مَبْخرةٌ يُبَخّرُ بها ، وقد

رأىَ[٤] ذلك مرَّاتٍ مُتعدِّداتٍ وهو يطوف حولَ الهرمِ وقتَ القائلةِ ، يعنى وقتَ زوالِ الشمسِ ووقت غروبِها وطلوعِها .

ولما مات سوريد دُفن في الهرمِ ومعهُ أموالُهُ وذخائرُهُ وكُنُوزُهُ ، وكذلك كل مَن مات من

---

(١) في النسختين د ، ك : "إذا" مكان "أنا" .

(٢) ما بين الرقمين والقوسين زيادة من النسختين د ، ك يستقيم بها القول .

(٣) في المخطوطات : "أن كلاهما" وهو خطأ نحوى .

(٤) لاأدري من الذي رأى,ويبدو أن هنا سقط في المخطوطات.

أَوْلادِهِ وأقارِبِهِ وأهلِ بيتِهِ حولَهُ، فإن حول الهرم قبورٌ لا تُحْصَى ولكن لا تُرَى إلا من فَوقِ الأَهْرَام ، فمن أرادَ أن يُحِيطَ بذلك عِلْمَاً بالعيان فلْيصْعَدْ فوقَ الهرمِ ويَنْظُرْ[١] ما ذُكِرَ بالعِيَانِ.

وقال القبطُ أيضا : أنَّ سوريد هو الذي بَنَى البرابي وأودع فيها كنوزا، وزَبَرَ عليها عُلُومًا، ووكَّلَ [بها][٢] رُوحانيات تحفظُها ممن يقْصِدُها .

قال : وأما أهْرامُ دَهشورَ فيقالُ: إن شدَّاثَ بنَ عُدَيمٍ هو الذي بناها من الحجارة، التي قد كانت قُطِّعت في عهد أبيه، وشدَّاثُ هذا – يزعم بعض الناس أنَّه شدادُ بن عاد، وقال مَنْ أنكرَ أن تكون العاديةُ دخلتْ مِصْرَ: إنما غلِطُوا[٣] باسم شداث بن عديم، (فقالوا: شداد بنُ عادٍ، وقلَّ ما يجْرِي على ألسنتهم شداد بن عديم)[٤]، وإلا مما قدر أحد من ملوك الأرض يدخل مصر، ولا قوى على أهلها [٢٣١/ظ] غير بُخْتَ نَصّر[٥] ، والله أعلم .

وذكر العلاَّمة أبو الحسن المسعودي[٦] "في كتابه أخبار الزمان عمن أباده الحَدَثانُ"[٤]:

(١) في النسختين د ، ك : "ويذكر" مكان "وينظر" .

(٢) في المخطوطات : "ووكل به" ، وصححته "بها" ليناسب ما قبله وما بعده .

(٣) في النسختين د ، ك : "فأغلطوا" مكان "إنما غلطوا" .

(٤) ما بين القوسين والرقمين ساقط من النسختين د، ك.

(٢) بخت نصر :"هو مَرْزُبان العراق والعرب من قبل ملك فارس، وكان يومئذ ببَلْخَ، وكانت قَصَبة الملك، فأمعن البخت نَصرُ في القتل لبني إسرائيل والأسر، وحملهم إلى أرض العراق، وأخذ التوراة وما كان في هيكل بيت المقدس من كتب الملوك وطَرَحه في بئر، وعمد إلى تابوت السكينة فأودعه بعض المواضع من الأرض فيقال: إنه كان عمدةُ منْ سبى من بني إسرائيل ثمانية عشرألفاً". مروج الذهب للمسعودي، باب ملوك بني إسرائيل، وانظر خبر أنه من الكلدانيين في: أبجد العلوم، صديق بن حسن القنوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، تحقيق عبد الجبار ذكار، ١٧٠/١.

(٦) علي بن الحسين بن علي ، من ذرية عبد الله بن مسعود ، عِدَادُه في البغداديين ، وأقام بمصر مدة . ت٣٤٦هـ ترجمته في معجم الأدباء ٩٠/٣ وفوات الوفيات ٩٤/٢ والنجوم الزاهرة ٣١٥/٣ .

(٤) أخبار الزمان عمن أباده الحدثان، للمسعودي، ط، ٤، دار الأندلس ، بيروت، ص١٦٥ وفيه أن الرشيد هو الذي دخل مصر، أما هذا الكلام فقد جاء في نهاية الأرب ٣٧٦/١ .

أن الخليفةَ عبدَ الله المأمونَ[٥] بنَ الرَّشيدِ لما قدِم مصرَ وأتى على الأهرام أحبَّ[٦] أن يهدِمَ أحدَها ليعلمَ ما فيها ، فقِيلَ : إنك لا تقدر على ذلك، فقال: لا بُدَّ من فتحِ شيْءٍ منه ، فَفُتِحَتْ له الثُّلمةُ المفتوحةُ الآنَ بنارٍ توقدُ وخَلٍّ يُرش ومَعاولَ وحَدّادينَ يعْمَلُونَ فيها (حتَّى)[٧] أَنْفقَ عليها أمْوالاً عظيمةً ،

فوجدوا[٨] عَرْضَ الحائطِ قريبًا من عشرينَ ذراعًا، فلما انْتَهَوْا إلى آخر الحائط وجدوا خَلْف النَّقب مطهرة خضراء، فيها ذَهَب مضروب ، وَزْن كل دينار أوقية ، وكان عددها ألف دينار ، فجعل المأمون يتعجب من ذلك الذهب وجودته ، ثم أمر بحساب جملة ما أنفق على فَتْح الثُّلْمة فوجدوا الذهب الذي أصابوه لا يزيد على ما أنفقوه ولا ينق ، فتعجب بمعرفتهم ومن تَرْكهم ما وزنوه في هذا الموضع عجبا عظيما .

وقيل : إنّه رأى مكتوبا على المطهّرَة في لوحٍ من الزَّبرجدِ، وكان مُطبقًا عليها كالغطاءِ، (بالقلم القديم) [١] قد فسَّره بعض القِبط (من الصعيد) [٢] من ذرية قِفْط[٣] يعرفون قلم أصولهم القديم[٤]، معناه: ليأتينّ في آخر الزمانِ رجلٌ من أمة نبيِّ الرحمة المبعوث بالقرآن، ويصلُ إلى هذا المكان، فَلْيُرِحْ نفسَهُ، فلا وصول له إلى شيءٍ غيرِ ذلك، وهذا قدْرُ المالِ الذي

---

(٥) في النسختين د ، ك : "عبد الله بن المأمون" [كذا] .

(٦) في النسختين د ، ك : "أراد" .

(٧) سقطت "حتى" من نسخة الأصل م .

(٨) في النسختين د ، ك : "فوجد كل عرض حائط قريبا" .

(١)في نسخة الأصل م : "بالقديم" مكان "بالقلم القديم" .

(٢)ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م .

(٣)في النسختين د ، ك : "نفط" مكان "قفط" .

(٤)في النسختين د ، ك : قلم أصولهم القدماء" ، وكل منهما يجوز .

يُصرف على فتحِ هذه الثُّلْمةِ، فإن تعرّض إلى شيء غير ذلك؛ فقد أوقعَ نفْسَهُ فيما لا طاقةَ لهُ به.

وقيل : إن المِطْهرَةَ التي وجد فيها الذهبُ كانت من زبرجدٍ، فأمر المأمون [٢٣٢/و] بحملها إلى خزانته، وكانت آخرَ ما حُمِلَ من عجائبِ مصرَ .

وأقام الناس يقصدونه[١] وينزلون فيه من الزَّلاقةِ (التي فتحها المأمون، فمنهم من سلم، ومنهم من هلك، فاتفق عشرون من الأحداث على دخوله ، وأعدُّوا لذلك ما يحتاجون إليهِ من طعامٍ وشرابٍ وحِبَالٍ وشَمْعٍ مطيّبٍ ونحوِه، ونزلوا في الزّلاقة) [٢] فرأوا فيها من الخفاش ما يكون كالعُقبانِ، فضرب وجوهَهُم فلم يرجِعُوا، ثم إنهم دَلَّوْا أحدهم بالحبال فانطبقَ عليهم المكان ، وسمعوا صوتا فغشي عليهم . ثم قاموا، وأفاقوا، وهَمُّوا بالخروج، فما خرجوا إلا بعد أن أيِسُوا من الحياة، فبينما هم جلوس يتعجبون ممَّا وقعَ لهم، وإذا بالأرضِ قد انشقَّتْ وخرج صاحبهم حيَّاً من بين أيديهم يتكلمُ بكلامٍ لم يعرفوه ، ثم سقط ميّتاً ، فحملوه ومضوْا، فأخذهم الغُفَرَاءُ[٣] وأتوْا بهم إلى الوالي، وحدَّثوه خبرهم، ثم سألوا عن الكلام الذي قال صاحبهم قبل موته فقيل لهم: معناه هذا جزاء مَن طلب ما ليس له، وكان الذي فسَّر لهم معناه بعضُ قِبْطِ أهل مصر من الصعيد من[٤] أهل قِفْطٍ فإنهم يزعمون أنهم من نَسْلِهِمْ.

ويقال: إنه وُجد على قبر من القبور التي من داخل الهرم حُلّةٌ قد بليت ، ولم يبقَ منها سوى سلوكها من الذهب، ويقال: إنه وُجِدَ في موضعٍ من هذا الهرم إيوان في صدره ثلاثة أبواب على ثلاثة[٥] بيوت طول كل باب منها عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع من رخام

(١)في النسختين د، ك «يقصدون» بإسقاط الهاء.

(٢)ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م، واعتمدته من النسختين د، ك ليتم القول.

(٣)في النسختين د، ك «الغفراء» ، والغفراء هم الخفراء أي الحراس.

(٤) سقط "من أهل قفط" من النسختين د ، ك .

(٥) في نسخة الأصل م : "على ثلاثة" واعتمدت ما في النسختين د ، ك ليصح العدد .

منحوت مُحْكَم الهندام ، وعلى صفحاته خط أزرق لم يُحسنوا قراءته، وأنهم أقاموا ثلاثة أيام يُعْمِلونَ الحِيلَةَ في فتح هذه الأبواب إذ رأوا أبوابها على عشرة أذرع، منها ثلاثة أعمدة من[(١)] [٢٣٢/ظ] مَرْمَر، وفى كل عمود خَرْقٌ في طوله، وفى وسط الخرق صورة طائر، ففي الأول من هذه العُمُد صورة حمام من حجر أحمر، فحرّكوا البازي فتحرَّكَ البابُ الأولُ الذي في مقابلته، فبَرَمُوا البازي قليلا فارتفع البابُ الأوسطُ ، فعلموا أن البازي هو لَولبٌ[(٢)] ، فلا زالوا به إلى أن فتحوا الباب الأوسط بعد مشقَّةٍ عظيمة، فدخلوا إليه فوجدوا فيه ثلاثةَ سُرُر[(٣)] من حجارةٍ شفَّافةٍ مضيئةٍ لا نظيرَ لها في هذا الزمن، ولا يُعلم لها جنس، وعلى السرير ثلاثةٌ من الأموات، وعلى الميت ثلاثٌ[(٤)] حُللٍ مذهَّبةٍ بصنعةٍ غريبةٍ، والجُثَّةُ مدْهُونَةٌ بالعقاقيرِ التي لم تَبْلَ[(٥)] ، وعند رأسه كتابٌ -مكتوبٌ بالقلمِ القديمِ- مجهولُ المعْنَى، وحول ذلك البيت في أركانِهِ رُفُوفٌ من حجرِ المرْمَرِ الشَّفَّافِ النَّقيِّ البياضِ، كأنَّه أتمَّ عمله في أحسن صنعةٍ، وأبلغ هندام، وعليها من أواني الذهب، والفِضَّةِ المرَصَّعَةِ بالأحْجَارِ النَّفِيسةِ القديمة الوجودِ، وعليها[(٦)] آلاتُ الحربِ من السُّيوفِ التي لا قيمة لها[(٧)] ولا نظير لها، فقيس منها سيف فكان طوله سبعة عشر شبرا ، وكل درع من تلك الدروع اثني[(٨)] عشر شبرا ، فأمر المأمون بحمل ما وجد في البيوت من السلاح ، وأبقى الأموات في أماكنهم من غير تشويش ، وأمر فانطبقت الأبواب كما كانت .

---

(١) الحرف "من" جاء في آخر الصفحة [٢٣١/و] وأول الصفحة [٢٣٢/ظ] في نسخة الأصل م .

(٢) في النسختين د ، ك : "هو اللولب" .

(٣) في النسختين د ، ك : "سور" .

(٤) في نسخة الأصل م : "ثلاثة حلل" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك ليصح العدد .

(٥) في النسخة م : "لم تبلى" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك للجزم .

(٦) في النسختين د ، ك : "وعليه" .

(٧) لا قيمة لها ، أي لا شيء في قيمتها، وهو تعبير ركيك، ففي مثل هذا يقال: لا يقدر بثمن، أو لا يعدله شيء.

(٨) هكذا في المخطوطات على اعتبار العطف على السابق ، وتكون "كان" مقدرة ، أما إذا اعتبرنا الجملة مستقلة فيجب أن نقول : "اثنا عشر" .

ويقال: إنهم وجدوا في مخزن آخر حجرًا أخضر[1] طول الآدمى ، فوجدوا حجرين مطبقين على[2] بعضهما ، فَفكُّوا أحدهما من الآخر فوجدوه مُجوفا ومن داخله إنسان ميت ، وعليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر ، وهو راقد كالعروس [٢٣٣/و] وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له[3] ، وعند رأسه حجر من ياقوتٍ أحمرَ قَدْر بيضةِ الدَّجاجةِ ، يُدْهشُ النَّاظرَ، فأخذه المأمونُ ، وقال هذا خيرٌ من خزانةِ مصرَ.

وفى سنة تسع وسبعين وخمسمائة ظهر بتربة بُوصيرَ من ناحية الجِيزةِ بيتُ هرميسَ، ففتحه القاضي ابن الشَّنزودى، وأخذ منها أشياء من جملتها كِبَاشٌ وقرودٌ وضفادعُ من حجرِ بازهر[4]، وقوارِيرُ من دَهْنَجٍ[5] ، وأصنامٌ من ذهبٍ ومن نُحاسٍ وغير ذلك، وفى بُوصِيرَ منها شيءٌ كثيرٌ، وبعضها كبارٌ وبعضها صغارٌ، وبعضها طينٌ ولَبِنٌ وأكثرُها حجرٌ، وبعضها مُدرَّجٌ وأكثرُها مخروطٌ وأمْلَسُ.

وقد كان منها بالجيزةِ عددٌ كثيرٌ كلها صغارٌ هُدمت في زمن السلطان صلاح الدين يوسفَ بنِ أيوبَ على يد الطَّواشي بهاء الدين قَراقوش، أخذ حجارتها وبَنَى بها القناطر في الجيزة ، وقد بقي من هذه الأهرامات الصغار قِلّتُها، وآثار المهدومين باقيةٌ إلى الآن بحذاءِ الأهرامِ الصَّغارِ من قِبْلِيّهِ فمن أراد النَّظرَ إلى ذلك فيذهب إلى بَرِّ الجيزةِ ويراهم بالعيان.

ونقل أصحاب التواريخ القديمة أن سيدنا[6] إدريس، وهو الذي تُسَمّيهِ الحُكماءُ

---

(١) في نسخة الأصل م : "أخضرا" ، وهو غير صحيح، لأنه ممنوع من الصرف، واعتمدت ما في النسختين د، ك.

(٢) في المخطوطات : "بعضهم ففكوا أحدهم" بصيغة الجمع ، وهو غير صحيح ، وصححته بصيغة المثنى .

(٣) "لا قيمة له" ، أي : لا يقدر بثمن .

(٤) في النسختين د ، ك : "بادزهر" .

(٥) في النسختين د ، ك : "من دهج" والدهنج : حصى أخضر تحلى به الفصوص ، أو تُحكّ منه الفصوص . اللسان في [دهنج] .

(٦) سقط لفظ "سيدنا" من النسخة د ، ك .

المتقدمون[١] هِرْمس الأول المدعو بالمثلَّثِ، الذي أعطاه الله الكتابَ والحكمةَ، والنبوَّةَ، وهو الذي يسميه[٢] العبرانيون أخنوخ بن يرد بن مهلابيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ، استدل من أحوال الكواكب على كونِ الطوفانِ يعمُّ الأرضَ ، فشرع في بناء الأهرامات [٢٣٣/ظ] وأودعها الأموال وصحائف العلوم ليثق عليه من الذهاب والدروس، حفظًا لها ، واحتياطا عليها، وهو أقوى شيء يكون، فإن هذا أمرٌ عجيبٌ، يكادُ أنْ يكونَ مُعْجِزةً ، ولا يقدر على هذا الأمر إلاّ مَن له اليدُ العُليا في العُلومِ والحِكَم، وهو أمرٌ يَعْجَزُ عنَهُ البشر، إلاّ مَن أعْطَاهُ اللهُ الحِكْمةَ والعِلْمَ .

وكان الملكُ العزيزُ عثمانُ[٣] بنُ صلاحِ الدينِ يوسفَ بنِ أيوبَ لما استقلَّ بالمِلْكِ بعد أبيهِ سوّل له بعض جَهْلَة أصحابِهِ أن يهدموا الأهرامات الصغار ، فبدأ بالصغير الأحمر، فأخرج إليه[٤] النقَّابين والحَجَّارين وجماعة أمراء دولته وعظماء مملكته ، وأمرهم بهدمه ، فخَيّموا عنده وحشَروا الرجال والصّناع ، وفرّق عليهم النفقات ، وأقاموا نحو ثمانية أشهر بخيلهم، وَرَجِلهم: يهدمون كل يوم -بعد الجهد واستفراغ بَذْل الوُسعِ في ذلك- حجراً ، فإذا سقط الحجرُ من فوق إلى أسفلَ يُسمعُ له رَجْفةٌ عظيمةٌ ، فلما طال عليهم المِطَال، ولم يُحَصَّلْ لهم

(١) في المخطوطات : "المتقدمين" وهو خطأ من حيث الإعراب، وصححته بالموجود وأرجو أن أكون قد وفقت .

(٢) في المخطوطات "تسميه" بالمثناة الفوقية في أوله، وهو تصحيف .

(٣) الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ كان نائباً عن أبيه في الديار المصرية لما كان أبوه بالشام، وتوفي أبوه بدمشق، فاستقل بملكتها باتفاق من الأمراء، كما هو مشهور فلا حاجة إلى شرحه. وكان ملكاً مباركاً كثير الخير واسع الكرم محسناً إلى الناس معتقداً في أرباب الخير والصلاح؛ وكانت ولادة الملك العزيز بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة، وكان قد توجه إلى الفيوم، فطرد فرسه وراء صيد فتقطر به فأصابته الحمى من ذلك وحمل إلى القاهرة، فتوفي بها في الساعة السابعة من ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة، رحمه الله تعالى". وفيات الأعيان، لابن خلكان.

(٤) سقط لفظ "إليه" من النسختين د ، ك .

طائلٌ من ذلك رجعوا مَحْسُورين[١] لم ينالوا بُغيةً، بل شَوّهوا الهرم الصَّغِير، ورجعوا بعجْز، وذلك في سنة ثلاث، وتسعين وخمسمائة.

وبإزاء الأهرام مقابرُ[٢] كثيرةُ العددِ كبيرةُ المِقْدارِ، عميقةُ الأغْوارِ ، تَسَعُ[٣] الفارس يمشى فيها لسعتها[٤] وبُعْدها، وعند هذه الأهراماتِ الصغارِ آثارُ أبنيةٍ ومقابرُ[٥] كثيرةٌ، وقُلْ ما تُرى في تلك الأشياء.

وترى عليه[٦] كتابات [٢٣٤/و] بهذا القلم المجهول،[الذي] [٧] لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وبين الهرمين صنم تسميه العامة بأبي الهول[٨] ، كان اسمُه في زمن القبطِ الأول "بلهيب"، ويقال: إنه وُضع للرمل، (يعني[٩]) ليدفع الرمل عن بَرِّ الجيزة، وهو الظاهرُ، ومما يدلُّ على ذلك أنه كان بمصرَ القديمةِ صنمٌ تُجاهَ أبي الهول في صورةِ امرأةٍ كاملةِ الأعضاءِ كما وُصِفَ، وفى حِجْرها ولَدٌ، وعلى رأسها هيئة ماجور، وهي كلها من صَوّان مانعٍ، تزعمُ الناس أنها سُرِّيَّة أبي الهول المذكور، وهي بدربٍ منسوبٍ إليها، ويقالُ: لو وُضِعَ على رأس أبي الهولِ خيطٌ ومُدَّ إلى بَرِّ مصرَ لكانَ على رأسِها مستقيمًا ، فعُلم من ذلك أن الذي وَضَعَ أبا

(١) في المخطوطات : "محشورين" بالشين المثلثة ، وهو تصحيف .

(٢) في النسختين د ، ك : "مغابر كثيرة فالعدد . . . " .

(٣) في نسخة الأصل م : "تساع" والتصحيح من النسختين د ، ك .

(٤) في النسختين د ، ك : تسعتها بمثناة فوقية في أول الكلمة مكان اللام .

(٥) في المخطوطات : "مغابر" وهو تصحيف وتحريف .

(٦) هكذا في النسخ، والكلام كما ترى ركيك الصياغة، لأن الكلام عن الأهرام وهي جمع لما لا يعقل ، فلا يصح أن يعود عليها الضمير بالإفراد، ولعلها : "وترى عليها".

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من الباحث يستقيم بها الكلام، وأظنها كانت موجودة وسقطت سهوا من الناسخ.

(٨) في النسختين د ، ك : "أبي الهول" بإسقاط الباء .

(٩) سقط لفظ "يعنى" من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسختين د ، ك .

الهولِ[1] في ذلك البرّ وَضَعَ هذه في هذا[2] البرِّ ، وقيل: إنهما[3] طِلّسْمَان وُضعا لمنع الرَّملِ عن نيل مصرَ ، وقال ابن المتوَّج[4] : زُقاق الصنمِ هو الزُّقاقُ الشارع، أوله بأوَّلِ السوقِ الكبيرِ مجاورِ[5] درب عَمَّار، ويُعرف هذا الصنم بسُرِّيَّة أبي الهول، وكلاهما وجْهُهُ إلى الشرقِ.

وقد نزل في سنة إحدى عشرة[6] وسبعمائة أميرٌ يُعرف بجانبلاط في نفر من الحَجَّارين، والقَطَّاعين، وكسَروا هذا الصنم المعروف بسُرِّيّة أبي الهول، وقطعوه أعتابا وقواعد[7] ظنا أن يكون تحته مال، فلم يجدوا سوى الرمل، فمن ذلك العهد ظهر الرمل ببرِّ[8] مصر وتزايد إلى هلم، وعمل[9] من ذلك الصنم قواعد للعُمد الصوان التي بالجامع المسجد بظَاهر مصر القديمة الذي أمرَ ببنائه الملك الناصر محمد بن قلاوون[10] فلما أن تزايد[11] الرمل على برّ مصر عُلم أن هذا الصنم كان طِلَّسْمًا للرمل .

---

(١) في المخطوطات : "وضع أبي الهول" .

(٢) في النسختين د ، ك : "في هذه" .

(٣) في نسخة الأصل م : "إنها . . " .

(٤) محمد بن عبد الوهاب بن المتوّج بن صالح الزبيري ، تاج الدين ، مؤرخ مصرى . ت٧٣٠هـ . ترجمته في الأعلام ٢٥٦/٦ وبهامشه ذكر أن ترجمته في الدرر الكامنة ٣٦/٤ وكشف الظنون ٢١٤ وترجمته أيضا في حسن المحاضرة هامش ٧٧/١ .

(٥) في النسختين د ، ك "يجاور" وكلاهما يجوز .

(٦) في المخطوطات : "إحدى عشر"

(٧) في نسخة الأصل م : "وقواعدا" ، وهو خطأ ؛ لأنه ممنوع من الصرف .

(٨) في النسختين د ، ك : "بين" مكان "بر" .

(٩) في النسختين د ، ك : "وعلم" .

(١٠) الملك الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي أبو الفتح (٦٨٤:٧٤١هـ) من كبار ملوك الدولة القلاوونية، وله آثار عمرانية ضخمة، وتاريخ هائل بجلائل الأعمال، مصادر ترجمته كثيرة منها الأعلام ٢٣٢/٧، الدرر الكامنة١٤٤/٤، النجوم الزاهرة ٤١/٨ وغيرها.

(١١) في نسخة الأصل م : "تزيد" .

ويقال – والله أعلم – : إن خراب مصر يكون [٢٣٤/ظ] من تزايد الرمل على ماء النيل ، وخصوصا في أيام احتراق البحر كما هو ظاهر الآن .

ومما نقله[١] المؤرخون أن إِتْرِيبَ[٢] بن قِبْطِ مصرَ بَيْصرَ بنِ حامٍ بن نوحٍ (✗) وصَّى أخاه عند موته أن يحمله في سفينته[٣] ويدفنه في جزيرة في وسط البحر، فلما مات إتريبُ فعل به ذلك، ووضعه في حوض من مرمر، وأطبقَ عليه بإحْكام، وحَمله إلى المحل الذي أشار به، ودفنه به من غيرِ أن يعلمَ بهِ جميعُ أهلِ مصرَ، فاتَّهموه بقتل إتريب لما[٤] أن رأوه أخذَ الملك لنفسِهِ ، فخرَجوا عن طاعته، وحارَبوه مدة سنين، فلما أتمَّ حربهم قال لهم: ما الذي تريدون؟ قالوا: نُريدُ أن تخبرنا عن إتريبَ، وما فعلتَ فيهِ، فأخبرهم بما أوْصاهُ به ، وأنَّه لم يَعْلمْ بموتِهِ أحدٌ، فقالوا له حينئذٍ[٥] نريدُ أن تدلَّنا على قَبْرِهِ، لنجعلَ له مَزاراً[٦]، ونجعل له عيداً في كل عام في مثلِ اليومِ الذي مات فيه، فوافقهم على ذلك، ومضى بهم حتى أوقفهم على قبر إتريبَ ، فقالوا : لا بد أن ننبِشَه وننظرَ إن كان به جراحة أم لا: فأجابهم إلى ذلك، فحَفَروا قبره فلم يجدوا فيه أحدًا[٧]، وقد نَقَلته الشياطين إلى موضع أبي الهول، ودفنته هناك بجانب قبر أبيه وجَدِّه، فلما لم يجدوه ازدادوا له تهمة، وعادوا إلى مَنْفَ[٨]، وأقاموا الحربَ عليهِ حتَّى قتلوه،

---

(١) في المخطوطات : "ومما نقلته" .

(٢) جاء في تاج العروس: "وإِتْرِيبُ كَإِزْمِيل: كُورَةٌ بِمِصْرَ وضَبَطَه في المعْجَم بفَتْح الأَوَّل، وهيَ في شَرْقِيّ مِصْرَ، مُسَمَّاةٌ بإِتْرِيبَ ابنِ مِصْرَ بنِ بَيْصَرَ بن حَامِ بن نُوحٍ وقَصَبَةُ هذه الكُورَةِ: عَيْنُ شَمْسٍ، وعَيْنُ شَمْسٍ خَرَابٌ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إلاّ الآثَارُ. قُلت: وقَدْ دَخلْتُ إِتْرِيبَ".

(٣) في النسختين د ، ك : "سفينة" .

(٤) في نسخة الأصل م : "فلما" .

(٥) في المخطوطات : كتبت حاء فوقها مدة "ح~" مكان "حينئذ" ، وقد سبق ذلك .

(٦) في النسختين د ، ك : "لنجعل له فرارا ويحصل . . " .

(٧) في نسخة الأصل م : "أحد" بإسقاط الألف من آخر الكلمة ، وهو خطأ من الناسخ .

(٨) في النسختين د ، ك : "منيف" ، ومنف مدينة مصرية قديمة .

ودفنوه على شاطئ النيل، فكان النيل إذا زادَ لا يعلمون[١] قبرَهُ، فافتتنت به طائفةٌ، وقالوا قد قُتِلَ ظلماً، وصاروا يسجدون لقبره، فذهب الشيطانُ [٢٣٥/و] اللعينُ إلى قومِ إتريبَ وأولاده في صورةِ راهبٍ ودلّهم على قبر إتريبَ

حيثُ نقلهُ، فأخْرجُوهُ من قبرِهِ، ووضعوه على سريرٍ، فلم يرَوْا به جُرْحاً ولا ضرباً، فتكلَّم لهم الشيطانُ على لسانِهِ، وحسّن لهم عبادتَهُ في أن يصوِّرُوهُ ويسجدوا[٢] له، ويعبدوهُ ويتقرَّبُوا [٣] بعبادتِهِ إلى الله تعالى ، وذلك من كيدِ الشيطانِ ، فصارُوا يسْجُدُون له كما يسْجُدُ أولئك لإتريبَ ، فعمِدَ آخرونَ وهم أولادُ أَشْمُونَ إلى حجرٍ فنحَتُوهُ على صورةِ أشمونَ [٤] بنِ مصرَ ، وكان يقال له أبو الهَوْلِ ، ونَصبوهُ بين الهرمين ، وجعلوا يسجُدُونَ له فصار أهلُ مصرَ ثلاثَ فرقٍ.

ولم تزلْ الصَّابِئَةُ تُعَظِّمُ أبا الهول، وتَقَرّب إليْهِ، ويُبَخِّرُونَهُ [٥] بالسَّنْدَرُوسِ ويتبرّكُونَ بهِ، وكان ذلك هو السبب في عبادة قبط مصر للأصنام، وصاروا: كلُّ من ماتَ من كُبَرائهِم يصوِّرُهُ[٦] أهْلُهُ ، ويضعون صورته في موضعِهِ الذي كان فيه حال حياته، ويعبدونه[٧] ويظُنُّون أن هذا يُقَرِّبُهم إلى الله تعالى.

(١) في المخطوطات : "يعملوا" ، وهو خطأ ؛ لأنه ليس هناك ما يدعو للجزم .

(٢) في المخطوطات : "ويسجدون" .

(٣) في المخطوطات : "ويتقربون" .

(٤) في المخطوطات : "أشموم" .

(٥) في المخطوطات : "ويبخروه" ، والسندروس شجر يبدو أن النصارى يستخدمونه في التبخير، جاء في نهاية الأرب للنويري في حديثه عن وفاة بهرام الأرمني:" وأحضر الحافظ بطرك الملكية بمصر، وأمره بتجهيزه، فجهزه. وأخرج وقت صلاة الظهر في تابوت عليه الديباج، وحوله جماعة من النصارى يبخرونه باللبان والسندروس والعود".

(٦) في المخطوطات : "يصورونه" .

(٧) في المخطوطات : "يعبدوه" .

وقال بعضهم نظماً في ذِكر الأهرام ، وأجاد في الشعر[1] :

أمَبَــــانِيَ ٱلأَهْـــرَامِ كَـــمْ مِـــنْ وَاعِـــظٍ ... صَـــدَعَ الْقُلُـــوبَ وَلَمْ يَفُـــهْ بِلِسَـــانِهِ[2]

أَذْكَـــرْتِنِي قَـــوْلاً تَقَـــادَمَ عَهْـــدُهُ ... "أَيْـنَ الـذي الْهَرَمَـانِ مِـنْ بُنْيَانِـهِ؟" [3]

هُـــنَّ الجِبَـــالُ الشَّـــامِخَاتُ تَكَـــادُ أَنْ ... تَمْتَـــدُّ فَـــوْقَ ٱلأَرْضِ عَـــنْ كِيْوَانِـــهِ

لَـــوْ أَنّ كِسْـــرَى جَـــالِسٌ فِي سَـــفْحِها ... لأَجَـــلَّ مَجْلِسَـــهُ عَلَـــى إِيْوَانِـــهِ

ثَبَتَـــتْ عَلَـــى حَـــرِّ الزَّمَـــانِ وَبَـــرْدِهِ ... مُـــدَداً وَلَمْ تَأْسَـــفْ عَلَـــى حَدَثَانِـــهِ

وَالشَّـــمْسُ فِي إِحْرَاقِهـــا وَالـــرِّيْحُ عِنْـــ ... ـــدَ هُبُوبِهَـــا وَالسَّـــيْلُ فِي جَرَيَانِـــهِ

[٣٢٥/ظ] هَلْ عَابِدٌ قَدْ خَصَّها بِعِبَادَةٍ ... فَمَبَـــانِيَ ٱلأَهْـــرَامِ مِـــنْ أَوْثانِـــهِ ؟

أَوْ قَائِـــلٌ يَقْضِـــي بِرَجْعَـــةِ نَفْسِـــهِ ... مِـــنْ بَعْـــد فُرْقَتِـــهِ إِلَى جُثمانِـــهِ

فَاخْتَارَهـــا لِكُنُـــوزِهِ وَجِسْـــمِهِ ... فَنَـــزًا لِيَـــأْمَنَ مِـــنْ أَذَى طُوفَانِـــهِ[4]

---

(١) الأبيات في ثمرات الأوراق ، لا بن حجة الحموي، وهي منسوبة إلى القاضي فخر الدين عبد الوهاب المصري، قال ابن حجة قبل إيرادها:" أنشدني القاضي فخر الدين عبد الوهاب المصري لنفسه في الأهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة وأجاد" ثم أورد الأبيات. انظر ثمرات الأوراق. طبع هذا الكتاب مرات عديدة أولها في المطبعة الوهبية بمصر ١٣٠٠هـ وطبع سنة ١٩٧١، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.

(٢) يبدو لي أن الأحسن في بداية البيت هو: «يا باني الأهرام..» ليناسب ما جاء في أول البيت الثاني: «أذكرتني».

(٣) الشطر الثاني من قول المتنبي، وقد سبق توضيح ذلك.

(٤) في المخطوطات: «فنزًا»، ولا معنى لها، ويبدو لي أن الصوابَ «فِنْدًا»، جاء في اللسان في [فند]: «وقال

أَوْ أَنَّهَا لِلسَّائِرَاتِ مَرَاصِدٌ يَخْتَارُ رَاصِدُهَا أَعَزَّ مَكَانِهِ

أَوْ أَنَّهَا وُضِعَتْ شُؤُوبَ كَوَاكِبٍ أَحْكَامُ فُرْسِ الدَّهْرِ أَوْ يُونَانِهِ[1]

أَوْ أَنَّهُمْ نَقَشُوا عَلَى حِيْطَانِهَا تُمْلِى مَجَارِي[2] الْفِكْرِ فِي بُنْيَانِهِ

فِي قَلْبِ رَائِيْهَا لِيَعْلَمَ أَنَّهُ فِكْرٌ يَغُطّ[3] عَلَيْهِ طَرْفَ بِنَائِهِ

ولبعضهم أيضا[4]:

انْظُرْ إِلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْمَعْ مِنْهُمَا مَا يَرْوِيَانِ عَنِ الزَّمَانِ الْغَابِرِ[5]

لَوْ يَنْطِقَانِ لَخَبَّرَانَا بِالَّذِي صَنَعَ الزَّمَانُ بِأَوَّلٍ وبِآخِرِ

ولبعضهم[6]:

أبومنصور: أُفَنّد فرسًا أي ارتبطه، وأتخذه حصنًا ألجأ إليه، وملاذًا إذا دهمني عدو، مأخوذ من فِنْدِ الجبل وهو الشمراخ العظيم منه، أي ألجأ إليه كما يلجأ إلى الفند من الجبل وهو أنفه الخارج منه.. وقيل: الفِنْد بالكسر قطعة من الجبل طولاً... والفِنْد: أرض لم يصبها المطر..».

(١) في المخطوطات : "شؤوب"،ولم أهتد إلى معرفتها, وقد يكون الصواب "بيوت"، وهذا أقرب حيث المعنى على التشبيه بالبيوت للكواكب السيارة؛ إذ معلوم أن لها أكناس تعود إليها؛ فهي بيوتها من قولهم عاد الظبي إلى كناسه، قال تعالى:"فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس". سورة التكوير الآية ١٥,١٦.

(٢)في النسختين د ، ك : "مجار" بإسقاط الياء من آخر الكلمة وهو خطأ من الناسخ .

(٣)هكذا جاء في النسخ ولعل الصواب "يعض عليه طرف بنانه " لأنه أقرب للمعنى.

(٤)لم أعرف القائل، ولم أهتد إلى البيتين وهما من الكامل.

(٥)في نسخة الأصل م : "وانظر منهما" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك ليوافق قوله : "ما يرويان" .

(٦)نسبت الأبيات إلى أمية بن عبد العزيز الأندلسي ت٥٢٩هـ في ديوانه ص٩٨ جمعه وحققه: محمد المرزوقي، دار

بِعَيْنِـكَ هَـلْ أَبْصَـرْتَ أَعْجَـبَ مَنْظَـرًا ... عَلَـى طُـولِ مَـا أَبْصَـرْتَ مِـنْ هَرَمَـيْ

أَنَافَـا بِأَعْنَـانِ السَّـمَاءِ وَأَشْـرَفَا ... عَلَى الْجَوّ إِشْرَافَ السِّمَاكِ أَوِ النَّسْرِ[٢]

وَقَـدْ وَافَيَـا نَشَـزًا مِـنَ ٱلأَرْضِ عَالِيًـا ... كَأَنَّهُمَـا نَهْـدَانِ قَامَـا عَلَـى صَـدْرِ

وقال الفقيه عُمَارةُ اليمني[٣] :

خَلِيْلِـيَّ مَـا تَحْـتَ السَّـمَاءِ بَنِيَّـةٌ ... تُمَاثِـلُ فِي إِتْقَانِهَـا هَرَمَـيْ مِصْـرِ[٤]

بِنَـاءٌ يَخَـافُ الـدَّهْرُ مِنْـهُ وَكُـلُّ مَـا ... عَلَى ظَاهِرِ الدُّنيَا يَخَافُ مِنَ الدَّهْرِ[٥]

تَنَـزَّهَ طَـرْفِي فِي بَـدِيْعِ بِنَائِهَـا ... وَلَمْ يَتَنَـزَّهْ فِي الْمُـرَادِ بِـهِ فِكْـرِي[٦]

وقال آخر[٧] :

أُنْظُـرْ إِلَى الْهَـرَمَيْنِ إذْ بَـرَزَا ... لِلْعَـيْنِ فِي عُلْـوٍ وَفِي صَـعَدِ

الكتب الشرقية (تونس) وحسن المحاضرة ٨٠/١ ،وفيهما تخريج الأبيات ونهاية الأرب ٣٧٧/١ ، وهي من الطويل .

(١)في حسن المحاضرة ، وفي نهاية الأرب : "بعيشك هل..."، ويبدو لي أنه أحسن.

(٢)في المخطوطات: "أنافا عنان"، وهو خطأ في الوزن، والتصحيح من نهاية الأرب.

(٣) عُمارة بن على بن زيدان الحكمي، اليمني، الشاعر الفقيه الشافعي، كان أديبا ماهرا، اتهم بأنه حاول إعادة الدولة الفاطمية، فقتل مصلوبا سنة ٥٦٩هـ. ترجمته وأخباره في وفيات الأعيان ٤٣١/٣ ، والبداية والنهاية ٤٧٤/١٦ ، وشذرات الذهب ٢٣٤/٤ وسير أعلام النبلاء ٥٩٢/٢٠ وغير ذلك كثير .

(٤) جاءت الأبيات بذات النسبة في حسن المحاضرة ٨٠/١، وفيه تخريج الأبيات، ونهاية الأرب ٣٧٦/١، وهي من الطويل .

(٥) في المخطوطات: "وكلّما" واعتمدتُ الرَّسمَ الموجودَ في نهايةِ الأرب.

(٦) في المخطوطات: "فِكرِ" بإسقاط الياء من آخر الكلمة ، واعتمدت ما في نهاية الأرب .

(٧) الأبيات دون نسبة في حسن المحاضرة ٨٠/١ وفيه تخريج الأبيات ونهاية الأرب ٣٧٦/١ ، وهي من الكامل .

وَكَأَنَّمَـــــا ٱلأَرْضُ الْعَرِيْضَـــــــةُ إِذْ ظَمِئَـــتْ لِفَـــرْطِ الْحَـــرِّ وَالْوَمَـــدِ[1]

حَسَــــرَتْ عَـــنِ الثَّـــدْيَيْنِ بَارِزَةً تَـــدْعُو ٱلإِلَـــهَ لِرِقَّـــةِ الْوَلَـــدِ[2]

[٢٣٦/و] فَأَجَابَهَــا بِالنِّيْــلِ يُوسِــعُهَا رِيًّا وَيَشْــــفِيْهَا مِــــنَ الْكَمَـــدِ[3]

وقال ظافرُ الحدَّادُ[4]:

تَأَمَّـــلْ هَيْئَـــةَ الْهَـــرَمَيْنِ وَانْظُـــرْ وَبَيْنَهُمَـــا أَبُـــو الْهَـــوْلِ الْعَجِيْـــبُ[5]

كَعُمَّـــــارِيَّتَيْنِ عَلَـــــى رَحِيْـــــلٍ لِمَحْبُـــوبَيْنِ بَيْنَهُمَـــــا رَقِيْـــــبُ[6]

وَمَـــاءُ النيْـــلِ بَيْنَهُمَـــا دُمُـــوعٌ وَصَـــوْتُ الـــرِّيْحِ عِنْـــدَهُمَا نَحِيْـــبُ

وَدُونَهُمَـــا الْمَقَّطَـــمُ وَهْـــوَ يَحْكِـــى رِكَـــابَ الرَّكْـــب أَبْرَكَهَـــا الُّلغُـــوبُ

وَظَـاهِرُ سِـجْنِ يُوسُـفَ مِثْـلُ صَـبٍّ تَخَلَّـــفَ وَهْـــوَ مَحْـــزُونٌ كَئِيْـــبُ

---

(١) في المخطوطات: "في الحر والبرد" وهو لا يناسب المعنى الذي يأتي ، واعتمدت ما في حسن المحاضرة ، ونهاية الأرب، والوَمَد: نَدًى يجيء في صميم الحر من قِبَل البحر مع سكون ريح ، وقيل هو الحر أيا كان مع سكون الريح، وقيل غير ذلك. اللسان في [ومد] .

(٢) في نهاية الأرب: "لفرقة الولد"، ويبدو أن ما هنا أحسن من حيث المعنى.

(٣) في نهاية الأرب: "فأجابها لبيك..." ، وما هنا أحسن من حيث المعنى ويوافق حسن المحاضرة.

(٤) ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله... الجذامي الإسكندراني، المعروف بالحداد، كان من الشعراء المجيدين،ت ٥٢٩هـ. ترجمته في معجم الأدباء ٢٧/١٢، ووفيات الأعيان٢/٥٤٠، والنجوم الزاهرة٥/٣٧٦، وسير أعلام النبلاء١٩/٥٩٧.

(٥) الأبيات ما عدا الرابع في ديوان ظافر الحداد، وفيه التخريج، والأبيات كلها في حسن المحاضرة١/٨١ ، وهي من الوافر.

(٦) العماريتان مثنى عمارية: وهى هودج هَرَمي الشكل.

وقال ابن الساعاتي[١] :

وَمِــنَ الْعَجَائِــبِ وَالْعَجَائِــبُ جَمَّــةٌ   دَقَّــتْ عَلَــى ٱلْإِكْثَــارِ وَٱلْإِسْــهَابِ[٢]

هَرَمَــانِ قَــدْ هَــرِمَ الزَّمَــانُ وَأَدْبَــرَتْ   أَيَّامُــهُ وَتَزِيْــدُ حُسْــنَ شَــبَابِ

لِلَّهِ أَيُّ بَنِيَّــةٍ أَزَلِيَّــةٍ   تَبْغِــي السَّــمَاءَ بِأَطْــوَلِ ٱلْأَسْــبَابِ !

وكأنمــا وقفــتْ وقــوفَ تَبَلُّــدٍ   أَسَــفًا علــى الأَيَّامِ والأَحْقَــابِ

كتمــتْ علــى الأسمــاعِ فَصْلَ خطابِهــا   (وغَــدَتْ تشــير بــه إلى الألْبَــابِ[٣]

وقال سيفُ الدين بن جُبارة[٤]:

للَّه أي غريبــةٍ وعَجِيبَــةٍ   فِي صَــنْعةِ الأهْــرامِ للألْبَــابِ[٥]

---

(١) على بن رستم بن هَرْدُوز ، يعرف بابن الساعاتى، شاعر مبرّز في حلبة المتأخرين. ت ٦٠٤هـ ترجمته في وفيات الأعيان ٣٩٥/٣ ، وشذرات الذهب ١٣/٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤٧١/٢١.

(٢) الأبيات بذات النسبة في حسن المحاضرة ٨١/١ ، ونهاية الأرب ٣٧٧/١ و ٣٧٨ ، وهي من الكامل،ولم أعثر على الأبيات في ديوانه ط دار الكتب المصرية .

(٣) ما بين القوسين ساقط سهوا من نسخة الأصل م . واعتمدها من النسختين د ، ك وحسن المحاضرة ومن نهاية الأرب ، وفي نهاية الأرب : "كتمت عن . . ." ، ويبدو لي أنه أحسن ، وما هنا يوافق حسن المحاضرة .

(٤) علي بن إسماعيل: بن إبراهيم بن جبارة القاضي الرئيس شرف الدين أبو الحسن الكندي التجيبي السخاوي، المولد المحلي الدار، النحوي المالكي العدل، مولده سنة٥٥٤هـ تقريباً. وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٦٣٢هـ. كف بصره. آخر عمره ولزم دار. وكان يزعم أنه من ولد عبد الرحمن بن الأشعث... وله كتاب نظم الدر في نقد الشعر، قصره على مؤاخذات ابن سنا الملك. وأجاد في بعضها وتعنت تعنتاً زائداً في بعضها".. نكت الهميان ٨٣/١.

(٥) الأبيات بذات النسبة في حسن المحاضرة ٨١/١ ، ونهاية الأرب ٣٧٨/١ وفى النسختين د ، ك جاء الشطر الثاني هكذا : "في هبة الأهرام والألباب" ، واعتمدت ما في حسن المحاضرة ونهاية الأرب، وهي من الكامل .

أَخْفَتْ عن الأسمَاعِ قصِةَ أهلها) ونَضَتْ عن الإبداعِ كلَّ نِقَابِ[1]

فكأنما هي كالخيامِ مُقَامَةً من غيرِ ما عَمَدٍ ولاَ أطْنَابِ

وقال بعضهم[2] :

تَبيَّنَ أن صَدْرَ الأرضِ مصرٌ ونَهْدَاها منَ الهَرَمَيْن شَاهِدْ

فوا عجبًا وقد ولدتْ كثيرًا على هَرَمٍ وذاك النَّهْدُ نَاهِدْ[3]

وقال الشهابُ المنصوري[4] :

إنْ جُزْتَ بالهرمين قل كَمْ فيهما من عِبْرَةٍ للعاقلِ المتأمِّلِ

شَبَّهْتُ كُلاًّ منهما بمُسافرٍ عَرَفَ المحلَّ فباتَ دون المنزلِ

[٢٣٦/ظ] أَو عاشقَيْن وَشَى بوصْلِهما هَوْلِ الرقيبُ فخلَّفَاهَ بمعْزِلِ

---

(١) في النسخة د جاء البيت هكذا :

أخفت عن الأسماع فصل خطابهما وفضت عن الأسماع كل نقاب

واعتمدت ما في حسن المحاضرة ونهاية الأرب .

(٢) لم أعرف القائل ، والبيتان بدون نسبة في حسن المحاضرة ٨٢/١ ، وهما من الوافر .

(٣) على هَرَمٍ : أي على كِبَرٍ .

(٤) الأبيات بذات النسبة في حسن المحاضرة ٨٣/١ ، وهي من الكامل، والشهاب المنصوري: هو أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الدائم بن رشيد، بن خليفة بن مظفر السلمي، ولد ٧٩٩، وتوفي ٨٨٧، شاعر عصره، انقطع للشعر في أواخر حياته , وعمر وأصيب بالفالج، له ترجمة في حسن المحاضرة ٥٧٤/١، ونظم العقيان ص ٧٧: ٩٠، والضوء اللامع ١٥١/٢:١٥٠، وكشف الظنون، ص٨١٩، وهدية العارفين، ١/ ١٣٤، ١٣٥، وشذرات الذهب ٧/ ٣٤٦ ، والأعلام للزركلي ١/ ٢٣١، ومعجم المؤلفين ١٣٣/٢، وديوانه مخطوط في دار الكتب المصرية.

أو حـــائرين اسْـــتَهديا نَجْـــمَ الـــدُّجى   فهَــــدَاهُما بضــــيائِهِ المتَهَلِّــــلِ[١]

أو ظَـــامِئَيْن اسْتَسْـــقَيا صَـــوْبَ الحيَـــا   فســـــقاهما عَـــــذْبًا رَوِىً المنْهَـــــلِ

يَفْـــنى الزَّمَـــانُ وَفِى حَشَـــاهُ مِنْهُمَـــا   غَـــيْظُ الحَسُـــودِ وَضَـــجْرَةُ الُمسْـــتَثْقِلِ

ولما عَدَّى القاضي الفاضل بن فضل الله الأهرام كتب إلى الأمير الجائي الدويدار، وذلك في سنة تسع وعشرين وسبعمائة:

لِىَ الْبِشَـــارَةُ إِذْ أَمْسَـــيْتُ جَـــارَكُمُ   في أَرْضِ مِصْـــرَ بِأَنِّ غَـــيْرُ مُهْتَضَـــمِ[٢]

حَفِظْتُمُـــوا لِي شَـــبابِي في ظِلاَلِكُـــمُ   مَـــعْ أَنَّكُـــمْ قَـــدْ وَصَـــلْتُمْ بِي إِلَى الْهَـــرَمِ

ومما قيل فيهما[٣] من رسالة لضياء الدين بن الأَثير[٤] في وصف مِصْرَ[٥]: لقد شاهدتُ بلدًا يَشهَد بفضله على البلاد، ووجدته هو المِصْرَ، وما عَدَاه[٦] فهو السواد، فما رآه راءٍ إلا ملأ عينيه وصدره، ولا وَصَف واصفٌ إلا علم أنه لم يَقْدُرْهُ قَدْره[٧] ، وبه من عجائب الآثار

---

(١) في النسختين د ، ك : "أو حائرين اشهدا بأنجم . . ." [كذا] .

(٢) البيتان بذات النسبة في حسن المحاضرة ٨٢/١ ، وهما من البسيط .

(٣) في النسختين د ، ك : "ومما قيل فيهما نثرا . . ." .

(٤) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم . . . الجزري ، ضياء الدين أبو الفتح ، كانت حياته مضطربة ، ولم يكن مستقرا كأخويه ، وكان مقاطعا لأخيه عز الدين . ت ٦٣٧هـ . ترجمته وأخباره في وفيات الأعيان ٣٨٩/٥ ، والنجوم الزاهرة ٣١٨/٦ ، وشذرات الذهب ١٨٧/٥ ، وسير أعلام النبلاء ٧٢/٢٣ .

(٥) هذا الجزء من الرسالة في حسن المحاضرة ٨٢/١ ، ٨٣ ، ونهاية الأرب ٣٧٨/١ .

(٦) في المخطوطات : "وما عداها" ، والتصحيح من المصدرين السابقين .

(٧) في المخطوطات : "لم يقدر" بإسقاط هاء الضمير، واعتمدت ما في المصدرين السابقين، ولعلها كذلك في وصف واصف، فالذي يستقيم به نسيج الكلام : أن يقال : وصفه.

ما لا يضبطها العِيَان، فضلاً عن الأخبار ، من ذلك: الهرمان اللذان هرِمَ[(١)] الدهرُ وهما لا يَهْرَمانِ، قد اختُصّ كلٌّ منهما بعظيم البناء، وسَعَةِ الفِناء، وبَلغ من الارتفاع غاية لا يبلغها الطير على بُعد تحليقه، ولا يدركها الطَّرْفُ على مدة تَحْديقه، فإذا أُضْرِم برأسه[(٢)] قَبسٌ ظنَّهُ المتَأمِّلُ نَجْمًا، وإذا استدارَ عليه قَوسُ السماءِ كان له سَهْمًا.

ومعنى البيت: أين مَن بنى الأهرام الحاكي بنيانُه شدَّتَه، والجوابُ محذوفٌ [٢٣٧/و] تقديره ذهبَ كذهابِ أمسٍ إذا مضى، وسيرى ما قدّمه يوم العرض وفَصْل القَضاء. والعَرَامةُ : الشِّدةُ ، قال في القاموس: عَرَمَ كنصر، وضرب، وعرَم عَرامةً وعُراماً بالضم فهو عَارِم، وعرم اشتدَّ ، ويوم عارم نهاية في البرد، والعُرْمَة بالضم سوادٌ مختلط ببياض، والعَرْمَاءُ الحَيّةُ الرَّقْشَاءُ، والأعْرَمُ المتَلَوّنُ والأبْرَشُ، والقطيع من ضَأنٍ أو مَعْزٍ، والعريمُ الداهيةُ، والتعريمُ الخلطُ، والعَرَمْرَمُ الشديدُ، والجَيْشُ الكثيرُ، والعريمةُ كخيمة: رملة. انتهى ملخصا.

قال الناظم[(٣)] :

أَمْ أَيْـــــنَ غُمْـــــدَانٌ وَسَيْـــــــفٌ وَالْوُفُـــودُ بِـــــهِ أَمَامَـــــهْ

وَلْيُعْلَم أن غُمدان[(٤)] هذا يسمَّى بيتُ غُمْدان[(٢)] ، فحذف الناظمُ بيتاً، وهو قصرٌ مشيد من عجائب الدنيا، يقال: إنه كان هَيكلاً للزُّهرة، تُعبَدُ فيه الزُّهرة، وكان[(٥)] سيدنا عمر (رضي الله عنه) يقول: لا أَفلحت العربُ ما دام فيها غُمدان، فلما وَلِيَ عثمان (رضي الله عنه) الخلافةَ هَدَمه.

---

(١) في المخطوطات : "هرما" ، والتصحيح من المصدرين السابقين .

(٢) في المخطوطات : "أضرم نبراسه" ، والتصحيح من المصدرين السابقين .

(٣) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٤) في نسخة الأصل م : "عمدان" بالعين المهملة ، وهو تصحيف .

(٥) هذا جاء في نهاية الأرب ٣٧٠/١ و ٣٧١ ، وتاج العروس ٤٧١/٨ و ٤٧٢ في [غمد] .

وكان لهذا القصر أربعةُ وجوهٍ: أخضرُ، وأحمرُ، وأبيضُ، وأصفرُ، وبُنِيَ من داخله قصرٌ بسبعةِ سُقُوفٍ، بين كلِّ سقْفَينِ أربعُونَ[١] ذراعاً، وبه من العجائب والصناعات الغريبة ما يُحَيِّر العقول.

قال في "سيرةِ الخَمِيس":أن باني غُمدان[٢] هو يَشْرُخ بن الحارث بن صيفي بن سبأ جَدّ بلقيس. قال في القاموس: غُمدان كعُثْمان: قصر باليمن، ذُكِر أنَّه بناه يَشرُخُ الخ، ثم نقل بعد ذلك أن سيدنا سُليمانَ أمَرَ الجِنَّ أنَّ تبْنِيَهُ لها تَزوّج بَلْقِيس، كما سيأتي في [٢٣٧/ظ] الحصون .

وسيف[٣] هو سيف بن ذي يَزَن الحِمْيَري، وقوله: "والوفودُ به أمامه" إشارة إلى وفود العرب التي وفدت عليه تُهَنِّئُهُ برجوع المِلْك له، لأن الحَبَشَةَ كانت انتزعت مُلكة، واستمر في أيديهم سبعين سنة، حتى ذهب إلى كسرى، وبلّغه مراده، وقيل[٤] : أنه لما وفد على كسرى ورأى قصره، وكان رفيع البناء، طَأْطَأ رأسه عند مروره به، فأمر له كسرى بأربعةِ أحمالٍ من الدراهم، ففرقها قبل أن يصل إليه، ولما دخل على كسرى حَيّاه بتحية الملوك، وترجم بأحسن كلام، فأعجبه ذكاؤه وعقلُه، ولما وُضِعَتْ السفرة قدَّمَ كسرى له[٥] دجاجةً، فأكل بعضها وتشاغل، فأراد وزيرُ كِسْرَى أَخْذها؛ فضربه على يده بالخِنْجر فقَطَعها[٦]، ولما رُفعت السفرةُ باسَطه كسرى، ثم سألَهُ عن طأطأة رأسه عند مروره بقصره، وعن تفريطِه برِفْدِه وعن قطعِ يدِ وزيرِهِ ، فقال له: أيُّها الملكُ، إنِّي قِسْتُ هِمّتي بقَصرك فوجدتها أعلَى منه فانحنيتُ، وأردتُ أن

(١) في المخطوطات : "أربعين" والتصحيح من تاج العروس .

(٢) في نسخة الأصل م : "عمدان بالعين المهملة ، وهو تصحيف من الناسخ .

(٣) وقصة كسرى بهذا التفصيل جاءت في سيرة ابن هشام ٦٢/١/١ وما بعدها ، وتاريخ الطبري ١٣٩/٢ وما بعدها ، والبداية والنهاية ١٥٨/٣ وما بعدها ، وما هنا فيه زيادة لم أجدها في المصادر .

(٤) في نسخة الأصل م : "قيل" بإسقاط الواو من أوله ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٥) في النسختين د ، ك : "قدم له كسرى" .

(٦) في المخطوطات : "قطعها" ، ويبدو لى أن التصحيح الذي صنعته أفضل .

أُخْبِرَ الملكَ بأن ما أعطاه من الرّفد الكثير ليس هو مُرادي، وأما قَطْع يد الوزير فلإساءَةِ أدبِهِ، وأنه لم يَرني أهلاً لكرامتك، فقال له كسرى: سَلْ ما تريد، فقال: أريدُ عشرةَ آلافِ فارسٍ من جُنُودِك أختارهم ليعينوني على إخراج عدوِّي، فأَنْعَم له بذلك، وخَيّره، فاختار منهم عشرة آلاف، وجَهّزهم كسرى جميعا، وأمرهم [٢٣٨/و] بطاعته، فذهبَ بهم فانتصرَ على عدوِّهِ، وطرده عن مُلْكِهِ، واستولى على الحبشة أيضا، فوفَدَت العرب إليه تُهَنِّئُهُ.

فقد روى أبو نُعَيم والبَيْهَقِي: أن سيف بن ذي يَزن[١] الحِمْيَري لما وُلِّيَ على الحبشة، وذلك بعد مولد النبي (ﷺ) بسنتين أتاه وفود العرب، وأشرافها وشعراؤها لتهنئه بهَلاكِ ملوكِ الحبشةِ، وتوْلِيَتِه عليهم، وكان من جملتهم وفدُ قريشٍ، وفيهم عبد المطلب، وأميةُ بنُ عبدِ شمسٍ، وغالبُ وُجَهَائِهِمْ، أي كعبد الله بن جُدعان – بضم الجيم، وإسكان الدال المهملة – وهو ابن عمِّ عائشةَ (رضي الله عنها)، وكأسد بن عبد العُزّى ووهب بن عبد مناف، وقُصي بن عبد الدار، فأخبر بمكانهم، أي: وكان في قصره غُمْدان المذكور بصنعاء اليمن، وهو مُضمَّخ[٢] بالمسك، وعليه بُردان ، والتاج على رأسه، وسيفه بين يديه، وملوك حِمْيَر عن يمينه وشماله، فَأَذِن لهم، فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب، وفي رواية، وجدوه جالسا على سرير من الذهب، وحوله أشراف اليمن على كراسيِّ من الذهبِ، فوضعت لهم كراسيُّ من الذهب، فجلسوا عليها إلا عبد المطلب ، فإنه قام بين يديه ، واستأذنه في الكلام فقال : إن كنتَ ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أَذِنَّا لك، فقال: إن الله عز وجل أَحَلَّك أيها الملك مَحَلاًّ رفيعاً، شامخاً باذخاً منيعاً، وأنبتك نباتاً طالتْ أَرُومتُهُ[٣] ، وعَظُمت جُرْثُومَتُهُ[٤] ، وثبَت أصلُه،

(١) هذه الرواية بتفصيلها جاءت في العقد الفريد ٢٣/٢ وما بعدها ، والأغاني ٣١١/١٧ وما بعدها ، والبداية والنهاية ٥٥٤/٣ وما بعدها .

(٢) مضمَّخ بالمسك : ملطّخ به ، فالضّمْغ : لطْخُ الجسد بالطيب . اللسان في [ضمخ] .

(٣) الأرومة : الأصل . اللسان في [أرم] .

(٤) الجرثومة : الأصل ، اللسان في [جرثم] .

وبَسَق[1] فرعُه، في أطيبِ[٢٣٨/ظ] موضعٍ ، وأكرمِ معْدِنٍ ، وأنت – أبيتَ اللَّعن – أي: أنت أبيْتَ أن تأتيَ من الأمور ما يُلعن عليه– ملكُ العربِ، التي له تنقادُ، وعمودُها الذي عليه العِمَادُ، وكهفُها الذي[2] تلْجَأُ إليه العبادُ ، سلفُك خيرُ سَلَفٍ، وأنت لنا فيهم خيرُ خَلَفٍ، فلن يهلك ذِكرُ من أنت خَلَفُهُ، ولن يخْمُلَ[3] ذِكر من أنت سلفُه ، نحن أهلُ حرمِ الله ، وسَدَنةُ[4] بيْتِهِ ، أشْخَصَنَا إليك – أي أحضرنا إليك – الذي أبْهَجنا من كَشْفِ الكَرْبِ الذي قد فَدَحنا – أي أثقلنا – فنحن وَفْد التهنئة، لا وَفْد المرْزِئةِ[5] ، أي التعزية.

فعند ذلك قال الملك : من أنت أيها المتكلم ؟ قال: عبد المطلب بن هاشم ، قال: ابن أختنا ، أي [6] لأنَّ أمَّ عبد المطلبِ من الخزْرج ، وهُمْ من اليَمَنِ ، قال : نعم ، قال: أُدْن[7]، ثمَّ أقبَل عليه ، وعلى القوم فقال: مرحباً وأهلاً ، وناقةً[8] ورَحْلاً ، ومُسْتناخاً سَهْلاً ، ومَلِكًا رِبَحْلاً – أي كثير العطاء – يُعْطي عطاءً جزلا ، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقَبِلَ وسيلتكم، فأنتم أهلُ الليلِ والنهارِ ، ولكم (الكرامةُ)[9] ما أقمتم، والحِبَاء[10] ما ظعنتُمْ، ثم أُنهضوا إلى دار الضيافة والوفود، فأقاموا بذلك شهرا لا يصلون إليه، ولا يُؤْذنَ لهم في الانصراف، ثم انتبه لهم انتباهةً فأرسل إلى عبدالمطلب فأدناه، ثم قال له: يا عبد المطلب، إني

---

(١) بسق : تمّ طولُه . اللسان في [بسق] .

(٢) في نسخة الأصل م : "وكهفها التي" ، والتصحيح من النسختين د ، ك والمصادر .

(٣) في النسختين د ، ك : "ولن يحمل" بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٤) السدنة جمع سادن : خادم الكعبة وبيت الأصنام . اللسان في [سدن] .

(٥) في المخطوطات : "الرزية" والتصحيح من المصادر .

(٦) سقطت "أي" من النسختين د ، ك .

(٧) في المخطوطات : "ادنه" واعتمدت ما في البداية والنهاية .

(٨) في نسخة الأصل م : "وفاقة" وما في النسختين د ، ك يوافق المصادر .

(٩) سقطت كلمة الكرامة من نسخة الأصل م ، وما في النسختين د ، ك يوافق البداية والنهاية .

(١٠) الحباء : العطاء .

مُفْضٍ إليك سِرَّ علمي أمرًا[1] لو غيرك يكون لم أَبُحْ له به، ولكن رأيتك معدنه فأطلعتك طِلْعَهُ – أي عليه – فليكن عندك مخبأً حتى يأذنَ الله فيه، إنِّي أجد في الكتابِ المكنون، والعلمِ المخزونِ [٢٣٩/و] الذي اتَّخَذْناهُ وادَّخَرْناهُ لأنفسنا واحْتَجَبْنَاهُ دون غيرنا خبرًا عظيما، وخطرًا جسيما، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للناس عامّةً، ولرهطك كافّةً، ولك خاصَّةً ، فقال له عبد المطلب: مثلك أيها الملك سَرَّ وبَرّ، فما هو؟ فداؤك أهل الوبر زُمَرًا بعد زُمَر ، قال : إذا وُلد بتهامةَ غلامٌ بين كتفيه علامةٌ كانتْ لكم الإمامةُ، ولكم به الزعامةُ إلى يوم القيامةِ ، فقال عبد المطلب: أيها الملك، أُبْتُ بخيرٍ ما آبَ بمثلِهِ وافد قوم، ولولا هَيبة الملك وإجلالُه، وإعظامُه لسألته من سارِّه – أي مساررته – إياي بما أزداد به سرورا، فقال له الملك هذا حِيْنُهُ الذي يولدُ فيه، أو قد وُلِد، اسمُهُ مُحَمَّدٌ، يموت أبوه وأمُّهُ ، ويكفلُهُ جَدُّه وعَمُّه، قد ولدناه مرارًا، والله باعثه جهارًا ، وجاعلٌ له منا أنصارًا ، يُعِزُّ بهم أولياءه، ويُذْل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عُرْضٍ – أي جميعا – ويستفتح بهم كرائم الأرْض، يعبدُ الرحمنَ، ويدحضُ الشيطانَ، ويُخْمِدُ النِّيرانَ، ويكسر الأوثان، قولُه فَصْلٌ، وحُكمُه عدلٌ، ويأمرُ بالمعروفِ ويفعلُهُ ، وينهى عن المنكرِ ويُبْطِلُهُ، قال له عبدُ المطلب جَدَّ جَدُّك ودام مُلكك، وعلا كَعبُك، فهل الملك سارِّي بإفصاح؟ فقد أوضح لي بعض إيضاح[2]، قال: والبيت ذي الحُجُبِ، والعلاماتِ ذي[3] النُّقُبِ – أي الطرق – إنك لجَدُّه يا عبد المطلبِ غيرَ كذبٍ، [٢٣٩/ظ] قال: فَخَرَّ عبدُ المطلب ساجدًا، فقال له: ارفع رأسك، ثَلَجَ صدْرُك ، فهلْ أحْسَسْتَ بشيْءٍ مما ذكرتُهُ لكَ؟ قال: نعم أيُّها الملك، إنِّي كان لي ابنٌ، وكنتُ معجبًا به،

(١) قوله :"أمراً" : مفعول به للمصدر: "علم" والفاعل ياء المتكلم فالمصدر هنا مضاف إلى فاعله.

(٢) في النسختين د ، ك : "الإيضاح" .

(٣) [كذا] جاءت الكلمة في المخطوطات والصواب "ذوات" ، وفى العقد الفريد "والعلامات والنصب" ، وفى الأغاني : "العلامات على النصُب" وفى البداية والنهاية : "والعلامات على النقُب" .

وعليه رَفيقا، وإني زوّجته كريمة من كرائم قوم آمنةَ ابنةَ[١] وهبِ بنِ عبدِ منافِ بنِ زُهرةَ، وجاءت بغلامٍ، فسمَّيْتُهُ محمداً، ومات أبوه وأمُّه، وكَفَلتُه أنا وعمُّه– يعنى أبا طالبٍ – فقال له: إنَّ الذي قلتُ لك كما قُلْتَ لي!؛ فاحتفظ من ابنك، واحذر عليه اليهود، فإنهم له أعداءٌ، ولنْ يجعَلَ الله لهم عليه سبيلاً، واطْوِ ما ذكرتُهُ عن هؤلاء الرَّهْطِ الذين[٢] معك، فإنِّي لستُ آمَنُ أنْ تُدَاخِلَهُمُ النِّفَاسَة من أن يكون[٣] لهم الرياسة، فينصبون له الحبائلَ، ويبغون له الغوائلَ، وهم فاعلون ذلك، أو أبناؤهم من غير شك. ولولا (أني)[٤] أعلم أن الموت مجتاحي – أي مُهلكي – قبل مبعثه لَسِرتُ بخيلي وَرَجِلي حتى أُصَيِّر بيثربَ دار مُلكِهِ، فإنِّي أجِدُ في الكتاب الناطق، والعلم السابق أن يثرب استحكامُ أمره، وأهل نُصرته، وموضعُ قبرِهِ، ولولا أني أقيه الآفاتِ، وأحذرُ عليهِ العاهاتِ لأعلنْتُ – على حَداثَة سِنِّهِ – أمْرَه، وأعْلَيْتُ[٥] على أسنانِ العربِ كَعْبَهُ، ولكن سأصرفُ ذلك إليك من غير تقصير بمن معك، ثم دعا بالقوم، وأمرَ لكل واحد منهم بعَشَرَةِ أَعبُدٍ سُودٍ، وعَشْر[٦] إمَاءٍ سُودٍ، وحُلّتين من حُللِ البُرودِ، وعَشَرَةِ أرطالٍ (ذهبا ، وعَشَرَةِ أرطالٍ)[٧] فضةً ، ومائةٍ من الإبل، وكَرِشٍ [٢٤٠/و] مملوءٍ من عنبر، وأمر لعبد المطلبِ بعشَرَةِ أمْثَالِ ذلك، وقال : إذا حَالَ الحَولُ فأنبئني بخَبَره ، وما يكون من أمره ، فمات الملك قبل أن يَحُول الحَوْلُ.

وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول لمن معه : لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك ،

---

(١) في النسختين د ، ك : "آمنة بنت" ، وكلاهما صحيح .

(٢) في المخطوطات : ". . الرهط الذي . . " واعتمدت ما في المصادر .

(٣) في المصادر : "أن تكون" وكلاهما صحيح .

(٤) ما بين القوسين (أني) زيادة من المصادر يستقيم بها الأسلوب .

(٥) في النسختين د ، ك : "وأعليت على إنسان كعبه" [كذا] .

(٦) في المخطوطات : "وعشرة" .

(٧) ما بين القوسين ساقط من النسخة م .

ولكن يغبطني بما يبقى لي ولِعَقِبِي ذِكرُه وفخرُه ، فإذا قيل له: ما هو ؟ قال سيُعلم ما أقول ولو بعد حين ، انتهى .

والوفود: جمع وَفْد، ويُجمع على أوفاد، والمراد به هنا الوُرُود، وفي الأصل ورُودُه رسولا. قال في المختار:"وفَدَ فلان على الأمير أي: ورَدَ رسولا، وبابه: وَعد، والاسم الوِفادة بالكسر، وأوفده إلى الأمير أرسله". والحُجَّاج وَفْد الله أي: وَفْد بيت الله.

وقوله: "به أمامه"إن قلت: إن الضمير في "به" عائدٌ على غُمدانَ فـ"أمامه" بالفتح أي: قدامَه، والضمير في أمامه عائد على سيف (أي وقوفا بين يديه، وإن قلنا: إنَّ الضمير في به [عائد] على سيف)(١) فأُمامةُ بالضم، والفاء حينئذٍ(٢) للسببية، والمعنى حينئذ: أن الوفود(٣) بسببه جامعون الخير، أي كل رجل من الوفود جامع للخير بسببه، أي بسبب نواله، لأن الأُمامةَ – بالضم – كما في القاموس – هو الرجلُ(٤) الجامعُ للخيرِ، وهذا أقربُ لما فيه من عَوْد الضميرِ على أقربِ مذكورٍ فليُتَأَمَّلْ.

قال الناظم(٥) :

أَيْـــــنَ الْخَوَرْنَــــــقُ وَ السَّدِيْـــــــ ـــــرُ وَمَــــنْ شَــــفَى بِهِمَــــا أُوَامَـــهْ ؟

الخَوَرْنقُ والسَّدِيرُ(٦): قصران عظيمان من أحسنِ البناءِ، وقيل: إن السَّدير بالسين

(١) ما بين القوسين الهلاليين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسختين د ، ك ، وما بين القوسين المربعين داخل القوسين الهلاليين زيادة من عندى يستقيم بها الأسلوب .

(٢) في المخطوطات : كتبت حاء عليها مدة مكان حينئذ .

(٣) في نسخة الأصل م : إن الوفود حينئذ إن الوفود بسببه" ، وهو أسلوب ركيك ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك.

(٤) في المخطوطات : "هو الرجع . . ." والتصحيح من القاموس .

(٥) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

والدال المهملتين: اسم نهر، لكنَّهُ لا يُلائم عَطْفَه على الخَوَرْنَقِ، فالصحيح: أن المراد به القصرَ [٢٤٠/ظ] قال في المختار[١]: "السَّدير: نهرٌ، وقيل: قَصْرٌ"، لكن عامَّةَ شُرّاحِ قصيدةِ عَدِيِّ بن زَيدٍ[٢] عند قوله[٣]:

وَتَـــذَكَّرْ رَبَّ الْخَوَرْنَـــقِ إِذْ أَشْـــ ـــرَفَ يَوْمًـــا وَلِلْهُـــدَى تَفْكِـــيْرُ

سَـــرَّهُ مَالُـــهُ وَكَثْـــرَةُ مَـــا يَحْـــ ـوِيْـــهِ وَالْبَحْـــرُ مُعْرِضًـــا وَالسَّـــدِيْرُ

فَـــارْعَوَى قَلْبُـــهُ فَقَـــال فَمَـــا غِبْـــ ـطَـــةُ حَـــيٍّ إِلَى الْمَمَـــاتِ يَصِـــيْرُ[٤]

أن المراد بالسَّدير قصرُ عجيب محكم البناء.

والخَوَرْنَقُ [٥] قصرُ النُّعْمانِ بن امرئِ القَيسِ بنِ عَدِيِّ بنِ نصرِ بنِ ربيعةَ الَّلخْميّ ، وكان النُّعمانُ من أشدِّ الناس نِكايةً ، غزا[٦] أهل الشام مِراراً، وأكثر فيها القتل، وكان قد أُعْطِيَ المُلْكَ والكَثْرَةَ والغَلَبَةَ مع فَتَاءِ السِّنّ .

---

(٦) جاء هذا في معاجم اللغة في [خرنق] و [سدر] ، وجاء حديث عنهما في المعارف ٦٤٧ ونهاية الأرب ٣٧٢/١ وجاء الحديث عن الخورنق فقط في البداية والنهاية٢٠١/٣ ولكن التفصيل جاء في معجم ما استعجم ٥١٥/١ وما بعدها، ومعجم البلدان ٤٠١/٢ في [الخورنق] والأغاني ١٤٤/٣ وما بعدها وخزانة الأدب ٢٩٣/١.

(١) مختار الصحاح(سدر)

(٢) عدى بن زيد بن حمار – أو حِمار أو حمّاد – من زيد مناة، وكان يسكن الحيرة، وكان ترجمان أبرْواز ملك فارس وكاتبه بالعربية ، وهو تميمي نصراني . ترجمته وأخباره في طبقات ابن سلام ١٣٧/١ و ١٤٠ ، والشعر والشعراء ٢٢٥/١ و ٢٢٨ ، والمعارف ٦٤٩ في ترجمة النعمان بن المنذر ، والأغاني ٩٧/٢ وغير ذلك كثير.

(٣) ديوان عدى بن زيد العبادي ٨٩ ، وجاءت الأبيات في المعارف ٦٤٧ وغيره، وهي من الخفيف.

(٤) في المخطوطات : "تصير" بالمثناة الفوقية ، واعتمدت ما في الديوان والمعارف .

(٥) في نسخة الأصل م : "والخوارنق" .

(٦) في نسخة الأصل م : "غزى" .

قال أبو عثمان الحافظ[1] عاش النُّعمانُ بن امرئ القيس ثمانين سنة، وكان لما عزم على بنائِهِ بعث إلى بلاد الروم، فأُتي برجلٍ مشهورٍ يعملُ المصانعَ والحُصُونَ والقُصُورَ للملوكِ يقال له سِنِمّار ، فكان يبني سنين يريدُ بذلك أن يَطْمَئِنَّ البِنَاءُ، فلما فرغ منه؛ تَعجّب منه النعمان من حُسنِهِ وإتقان[2] صَنْعَتِهِ وعملِهِ، فقال له سِنِمَّارُ عند ذلك تقرّبا إليه بالحِذْقِ وحُسْنِ المعْرفةِ: أبيتَ اللعن، والله إِنِّي لأعرفُ فيه موضعَ حَجَرٍ لو زَال لَزَالَ جميعُ البُنيان، فقال له: أو كذلك؟ قال: نعم، قال: لا جَرم، والله لأدعنّه لا يعلمُ بمكانِهِ أحدٌ، ثم أَمَرَ بِهِ فرُمي من أعلاه فتقطَّعَ، فذكرته العرب في أشعارها، فمن ذلك قول سليط بن سعد[3]:

جَـزَى بَنُـوهُ أَبَا الْغَـيْلاَنِ عِـنْ كِـبَرٍ ... وَحُسْـنِ فِعْـلٍ كَمَـا يُجْـزَى سِـنِمَّارُ[4]

أعاد الضمير وهو الهاء إلى المفعول، وهى متصلة بالفاعل، وكلاهما في رتبته، كقولك: ضرب [٢٤١/و] غلامُه زيداً، ولم يُجِزْ ذلك أحدٌ من النحويين[5]، لأن رُتْبَةَ الضَّميرِ التأخيرُ عن مُظْهَرِهِ ، فإذا تقدَّمَ المضْمَرُ على مُظْهَرِهِ لفظاً ومعْنىً لم يجُزْ أن يُنْوَى به غيرُ رتْبَتِهِ ، واستعماله في الشعر من أقبح الضرورات، فأما قول الآخر[6] :

جَـزَى رَبُّـهُ عـنِّي عَـدِيَّ بْـنَ حَـاتِمٍ ... جَـزَاءَ الْكِـلاَبِ الْعَـاوِيَاتِ وَقَـدْ فَعَـلْ

(١) هكذا في النسخ ولعلها تصحيف "الجاحظ" وهو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥هـ ، وهو أشهر أديب، وناقد، وكاتب في عصر بني العباس، بل لعله من أشهر الشخصيات الأدبية في الأزمنة التي تلت عصره إلى عصر الناس هذا.

(٢) في النسختين د ، ك : "وإتقان عمله" بإسقاط "صنعته" .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) البيت بذات النسبة في الأغاني ١٤٥/٢ ومعجم ما استعجم ٥١٦/١ وفى خزانة الأدب ٢٩٣/١ دون ذكر القائل ، وهو من البسيط .

(٥) جاء الجواز في شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ٢٠٥/١/١ ونقضه المحقق في الهامش .

(٦) جاء البيت دون نسبة في شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ٢٠٦/١/١ ونسب في الهامش إلى أبي الأسود الدؤلي، وفيه تخريجه ، والبيت في ديوان أبي الأسود الدؤلي ٤٠١ ، وهو من الطويل .

فقد تأوَّلهُ على إعادة الهاء إلى المصدر الذي دلَّ عليه جزى، فقُدِّر: جُزِيَ ربُّ الجزاء، وهو عندي كالبيت الذي قبله.

وقوله : كما يُجزى سِنِمَّارُ، أراد كما جُزِي سِنِمَّارُ، فوضع المستقبل موضع الماضي، وخلاف ذلك قولُ أبي النجم[1]:

ثُمَّ جَــــزَاهُ اللهُ عَنَّـــــا إذْ جَـــــزَى ... جَنَّــاتِ عَــدْنٍ في الْعَــلاَلِيِّ الْعُــلاَ[2]

وضع إذ جَزَى بموضع إذ يَجْزِي.

وقال عبد العُزَّى[3] بن امرئ القيس الكلبي أيضا[4]:

جَـــزَانِي جَـــزَاهُ اللهُ شَـــرَّ جَزَائِـــه ... جَــزَاءَ سِــنِمَّارٍ ومَــا كَــانَ ذَا ذَنْــبِ

سِـوَى رَصِّـهِ الْبُنْيَـانَ عِشْـرِيْنَ حِجَّـةً ... يُعَلِّـى عَلَيْــهِ بِالْقَرَامِيْــدِ وَالسَّــكْبِ

فَظَـــنَّ سِـــنِمَّارٌ بِـــهِ كُـــلَّ خِـــيْرَةٍ ... وَفَـــازَ لَدَيْـــهِ بِالْمَـــوَدَّةِ وَالْقُـــرْبِ[5]

---

(١) الفضل بن قدامة بن عبيد بن عجل، كنيته أبو النجم، وبها يُعرف، كان يسكن الكوفة في موضع يقال له الفِرك أقطعه إياه هشام بن عبد الملك . ترجمته وأخباره في طبقات ابن سلام ٧٣٧/٢ و٧٤٥ ، والشعر والشعراء ٦٠٣/٢، والأغاني ١٥٠/١٠ وغير ذلك كثير.

(٢) الرجز في ديوان أبي النجم العجلي، بتحقيق د. سجيع جميل الجبيلي، ط١، ١٩٩٨م، دار صادر، بيروت، ص٢٨٦.

(٣) في المخطوطات: "عبد العزيز" ، والتصحيح من الأغاني ١٤٥/٢ ، ومعجم ما استعجم ٥١٦/١ ، وخزانة الأدب ٢٩٤/١.

(٤) البيتان الأول والثاني بذات النسبة في الأغاني، ومعجم ما استعجم، والخزانة، وجاءت الأبيات دون نسبة في معجم البلدان ٤٠١/٢ و ٤٠٢ في [الخورنق] ضمن خمسة أبيات، وجاء فيها ثلاثة ضمن أربعة في البداية والنهاية ٢٠١/٣ ، وهناك اختلاف بين الجميع في بعض الألفاظ ، وهي من الطويل .

(٥) في المخطوطات : "كل حسرة" .

فقال اقْذِفُوا بِالْعِلْجِ مِنْ فَوْقِ بُرْجِهِ   فَذَاكَ لَعَمْرُ اللهِ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطْبِ[١]

سِنِمَّارُ اسم عربيٌّ، ذكره سيبويه[٢] في الأبنية، يقال: رجل سِنِمَّارٌ إذا كان حسنَ الوجه أبيضَه، ويقال للقمر سِنِمَّارٌ. وقوله: سوى رصِّه البنيانَ: رَصَّ البنيان: ضمَّ بعضَه إلى بعض، وفي التنزيل: ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[٣]، والقراميد جَمْعُ القَرْمَدِ: وهو الآجُرُّ، والياءُ فيه كالياءِ في الصَّياريف، وحَذْفُها مما لا يُخِلُّ بالوزن، ولكنَّه كان مما لا يقبل طباعُهُ الزِّحافَ، ويقالُ: قرمدة وآجرّة [١٢٤/ظ] مشدَّدةُ الراء، وآجرَة مخففتها، وآجورة. والسَّكْبُ: النُّحاسُ والرَّصاصُ. والخِيْرَة: الفرحُ.

وقول عَدِي:

فَارْعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ فَمَا غِبْـ   ـطَةُ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيْرُ

ارْعوَى : رجع وكفّ ، والغبطةُ : السرور والفرح ، والغبطة أيضا حُسْنُ الحال . وذلك أن النعمان بن امرئ القيس ضُرِبَت له قادةٌ[٤] بأعلى الخورنق، وقد أخذت الأرض فيه رونَقَهَا من اختلاف أَلوان نَبْتِها ، فهي أحسنُ مَنْظراً ومَخْبراً من نَوْرٌ ربيع مونق في صعيد كأنه قِطَعُ الكافور ، فنظر النَّعمان فأبعدَ النظرَ فرأى البحرَ والبرَّ[٥] ، وصيدَ الظِّباءِ ، والحُمُرِ ، وصيدَ الَّطيرِ والحيتانِ والنَّجفُ إذ ذاك بحرٌ تتلاطمُ أمواجُهُ ، وتتواثبُ حيتانُه ، وسمعَ غناءَ الملاّحينَ ، وتطريبَ الحَادينَ ، ورأى الفُرسانَ تتلاعبُ بالرماحِ في الميادين[٦] ، ورأى أنواعَ الزَّهرِ من

(١) في المخطوطات : "اقذفوا بالصلح" ، والتصحيح من معجم البلدان .

(٢) لم أعثر عليه في كتاب سيبويه .

(٣) سورة الصف، الآية: (٤).

(٤) لم أقف على معناها، ولعلها: قبة .

(٥) في النسختين د ، ك : "البر والبحر" .

(٦) في نسخة الأصل م : "المنادين" وهو تصحيف .

النخيل، والشجرَ في البساتين، وسمع أصواتَ الَّطيرِ على اختلافِها وائتلافِها، فأُعجب بذلك إعجاباً شديداً وقال لجلسائه: هل رأيتم مثل هذا المنظرِ والمسمعِ؟ وكان عنده رجل من بقايا حملة الحِجْر[١]، قد دَأَبَ[٢] على أدب الحق ومنهاجه، فقال له: أيها الملك، قد سألت عن أمر أفتأذن[٣] في الجواب عنه؟ قال: نعم، قال: أرأيتَ هذا الذي أنت فيه أشيءٌ لم تزل فيه؟ أم شيءٌ صار إليك ممن كان قبلك وهو زائلٌ عنك وصائرٌ إلى مَن بعدك؟ فقال: بل هو شيءٌ صار إليّ ممن كان قبلي وسيزول عني إلى مَن كان بعدي[٤].

والأُوام بالضم: حد[٢٤٢/و] العطش، كما في المختار[٥]، وليس المراد هنا، بل المراد ملزومه، وهو شفاء الغليل، لأنه يلزم ممن يُطفئ أُوامَه أن يَشفيَ غليلَه.

قال الناظم[٦] :

وَمَـــــدَائِنُ ٱلإِسْـــــكَنْدَرِ الْـــــ لاَتِي لَهَـــــا أَعْلَـــــى دِعَامَـــــهْ

المدائن[٧] بالهمز جمع مدينة، ويجمع أيضا على مُدُن، من دَانَ بالمكان إذا أقامَ به، والنسبة إلى مدينته عليه الصلاة والسلام، وإلى مدينة المنصورة وإلى مدائن كسرى: مَدَنِيّ[٨]، ومَدِينِيّ، ومَدَائِنِيّ؛ للفرق بينهم.

(١) "والحِجْرُ، بالكسر: العقل واللب لإمساكه وضعه وإحاطته بالتمييز، وهو مشتق من القبيلين. وفي التنزيل: "هل في ذلك قَسَمٌ لذي حِجر" اللسان / حجر.

(٢) في نسخة الأصل م : "قد دب" بإسقاط الألف ، وهو خطأ من الناسخ .

(٣) في النسختين د ، ك : "فتأذن" بإسقاط الألف ، وهو خطأ من الناسخ .

(٤) يبدو أن هنا سقطا لأن شكل الكلام يوحى بأنه لم ينته بعد .

(٥) مختار الصحاح(أوم)

(٦) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى .

(٧) هناك حديث مفصل عن المدائن في معجم البلدان ٧٤/٥ في [المدائن] .

(٨) في النسختين م ، د : "ممدني" [كذا] ، والتصحيح من معجم البلدان .

وإنما جمع مدائن بالنظر إلى قَصَبَاتِهَا؛ لأنها كانت سبعَ قَصَبَاتٍ قال الإمام السيوطى[(١)]: أخرج ابن عبد الحَكَم[(٢)] في فتوح مصر، والبَيْهَقِيُّ فى دلائل النُّبوة عن عُقبة ابن عامر الجُهنيّ (ﷺ) قال: جاء رجالٌ من أهل الكتابِ معهم كُتُبٌ إلى رسول الله ، فقال لهم رسول الله (ﷺ): "إن شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألونيَ قبل أن تتكلموا، وإن شئتم تكلمتم وأخبرتكم، قالوا: بل أخبرنا قبل أن نتكلم، قال جئتم تسألوني عن ذي القرنين، وسأخبركم عما تجدونه مكتوبا عندكم، إن أول أمره: أنه كان غلاماً من الروم أُعطيَ مُلكاً، فسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر، فابْتَنَى عنده مدينة يقال لها الإسكندرية، فلما فرغ من بُنْيَانِهَا أتاهُ مَلَكٌ فعرج به حتى اسْتَعَلَّه فرفعه فقال: انظر ما تحتك، قال أرى مدينتي، وأرى مدينة معها، ثم عرج به فقال: انظر، فقال: قد اختلطت مع المدائن فلا أعرفها... الحديث بطوله، وقد أودعه في التفسير المأثور في سورة [٢٤٢/ظ] الكهف.

وأخرج ابن عبد الحَكَم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كان أول شأن الإسكندرية[(٣)] أن فرعونَ اتَّخذَ بها مصانعَ ومجالسَ، وكان أوَّلَ من عمرها وبنى بها فلم تزل على بنائه، ومصانعه فتداولها الملوك، ملوكُ مصرَ بعده فبَنَتْ دلوكةُ ابنةُ زَبّاء[(٤)] منارةَ الإسكندريةِ، ومنارةَ بُوقِيرٍ بعدَ فرعونَ، فلما ظهر سليمانُ بن داودَ -عليهما السلامُ- على الأرضِ اتَّخذَ بها مجلساً، وبنَي فيها مسجداً، ثم إن ذا القَرنين ملكها؛ فهدمَ ما كان فيها من بناء الملوك، والفراعنة، وغيرهم من ذلك؛ إلا بناء سليمانَ بنِ داودَ، لم يهدمْهُ ولمْ يُغيِّرْهُ ، وأصلَحَ ما كان خربَ منه، وأقرّ المنارةَ على حالها.

---

(٣) الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي،٦٣٤/٩.

٢() يحسن الرجوع هنا إلى حديث ابن عبد الحكم عن مدينة الإسكندرية في كتابه (فتوح مصر وأخبارها)، ط دار الفكر ، بيروت، تحقيق: محمد الحجيري، الطبعة الأولى١٩٩٦، الجزء الأول.

(٣) ماهنا مأخوذ بنصه تقريبا من حسن المحاضرة ٨٤/١ وما بعدها . وفى معجم البلدان ١٨٢/١ وما بعدها في [الإسكندرية] حديث طويل عن الإسكندرية وإن كان المؤلف يجعل كثير الكلام عنها من قبيل الحدس .

(٤) في معجم البلدان : "ريا" مكان "زباء" .

ثم الإسكندرية من أوَّلِها إلى آخرِها بناءٌ يشبهُ بعضُه بعضاً، ثمَّ تداولتْها الملوك من الرومِ وغيرِهم، ليس من ملكٍ إلا يكونُ له بناءٌ يضعُهُ بالإسكندرية، يعرفُ به، وما[1] ينسب إليه.

قال ابن عبد الحكم: ويقال: إن الذي بنى منارة الإسكندرية قلبطرة[2] الملكة، وهى التي ساقت خليجها حتى أدخلته الإسكندرية، ولم يكن يبلغها الماء. قال: ويقال: إن الذي بنى الإسكندرية شدادُ بنُ عادٍ.

وقال ابن لَهِيعَة: بلغني أنه وُجد حجرٌ بالإسكندرية مكتوبٌ فيه: أنا شدادُ[3] بنُ عادٍ ، وهو الذي نصب العمادَ وجنّدَ الأجنادَ، وسَدّ بذراعه الوادِ، بنيتهن إذ لا شيب، ولا موت، وإذا الحجارةُ لي في اللّبِن مثل الطين. [٢٤٣/و] قال ابن لهيعة: والأجناد كالعتاد[4].

وأخرج ابن عبد الحكم عن تبيع قال: إن في الإسكندرية مساجدَ خمسةً مقدسة: مسجد موسى (×) عند المنارة، ومسجد سليمان (×)، ومسجد ذي القرنين، ومسجد الخضر، أحدهما عند القيسارية، والآخر عند باب المدينة، ومسجد عمرو بن العاص الكبير.

قال ابن عبد الحكم: وحدثنا أبي قال: كانت الإسكندرية ثلاث مدن، بعضها إلى جنب بعض منه، وهى موضع المنارة ما والاها، والإسكندرية، وهي موضع قصبة الإسكندرية

---

(١) هكذا في النسخ ، وأظن ما هنا زائدة.

(٢) هي التي نطلق عليها في عصرنا "كليوباترا". ، يراجع في أخبار الإسكندرية في فتوح مصر وأخبارها لابن عبدالحكم، ذكر نزول القبط مصر ٨/١ وما بعدها، وذكر أخائذ الإسكندرية ١٤٦/١، وما بعدها، وذكر انتقاض الإسكندرية ١٨٩/١ وما بعدها. فتوح مصر وأخبارها، ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبدالحكم بن أعين القرشي المصري، دار النشر / دار الفكر - بيروت - ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى تحقيق: محمد الحجيري.

(٣) هذا القول في معجم ما استعجم ٤٠٩/٢ بالإضافة إلى وجوده في معجم البلدان الذي يكاد يكون أصلا لما هنا.

(٤) في نسخة الأصل م : "كالعباد" ، وفى حسن المحاضرة : "والأحياد كالمغار" ، وفى الهامش ذكر أنه نقل هذا من فتوح مصر ٤٠ و ٤١ ، ثم ذكر أنه في نسخة "والأجناد بلا عداد" .

اليوم، ونقيطة، وكان على واحدة منهن سور، وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا.

وأخرج ابن عبد الحكم عن عبد الله بن طريف[١] الهمداني قال: كان على الإسكندرية سبعةُ حصون، وسبعةُ خنادق، وأخرج عن خالد بن عبد الله وابن حمزة: أن ذا القرنين لما بنى الإسكندرية رخَّمها بالرخام الأبيض، جدرها وأرضها، فكان لباسهم فيها السواد والحمرة، فمن قِبَلِ ذلك لَبِسَ الرُّهبانُ السَّوادَ من نُصُوعِ بياضِ الرُّخامِ، وإذا كان القمر؛ أدخلَ الرجلُ الذي يخيطُ -بالليلِ في ضوء القمرِ- الخيطَ في حجر الإبرة، قال: وذكر بعض المشايخ أن الإسكندرية بنيت في ثلاثمائة سنة، وسكنت ثلاثمائة سنة، وخربت ثلاثمائة سنة، ولقد مكثتْ سبعين سنةً [٢٤٣/ظ] ما يدخلها أحدٌ إلا وعلى بصره خِرْقةٌ سوداءُ من بياضِ جصِّها وبَياضها، ولقد مكثَتْ سبعين سنةً ما يُسْرَج[٢] بها.

وأنبأنا ابن أبي مريم عن العطَّافِ بن خالدٍ قال: كانت الإسكندرية بيضاء تضيءُ بالليل والنهار، وكانوا إذا غرُبت الشمس لم يخرجْ أحد منهم من بيته، ومن خرج اختُطف، وكان منهم راعي غنم[٣] يرعى على شاطئ البحر، وكان يخرج من البحر شيء فيأخذ من غنمه، فكمن له الراعي في موضع حتى خرج ، فإذا جارية، فتشبث بها، فذهب بها إلى منزله، فأنست بهم فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس، فسألتهم، فقالوا: مَن خرج منا اختُطف، فهيأت لهم الطّلّمسات بمصر في الإسكندرية.

---

(١) في نسخة الأصل م : "عبد الله بن طريق" ، وهو خطأ ، وفي النسختين د ، ك : "عبد الله بن ظريف" ، وهو تصحيف والتصحيح من حسن المحاضرة .

(٢) ما يسرج بها : أي ما يضاء سراج لشدة نورها من بياضها ، وفي حسن المحاضرة : يستسرج .

(٣) في المخطوطات : "غنما" ، وهو خطأ من حيث الإعراب ، وقد صححته ، وفي حسن المحاضرة : "وكان منهم راع يرعى.." .

وأخرج عن عَطَاء الخُراساني قال : كان الرخام قد سُخر لهم حتى يكون من بكرة النهار إلى الظُّهر بمنزلة العجين ، فإذا انتصف النهار اشتدّ وييس .

وأخرج عن هشام بن سعيد المديني قال : وُجد بالإسكندرية حجر مكتوب فيه مثل حديث ابن لَهِيعة سواء، وزاد فيه: وكنزت في البحر كنزا على اثني عشر ذراعا ، لن يخرجه أحدٌ حتى تخرج أمة محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقال التيفاشي[1] في كتاب "سرور النفس بمدارك الحواس الخمس" قال: كانت الإسكندرية تسمى قبل الإسكندر "رفودة"[2]، وبذلك يعرفها القبطُ في كتبهم القديمة.

قال ابنُ عبد الحَكَم: وحدثنا عبد الله بن صالح عن اللَّيْث بن سَعد قال: كانت بُحيرة الإسكندرية [٢٤٤/و] كَرْمًا كلُّها لامرأة المقَوْقِس، كانت تأخذ خَرَاجَها منهم الخمْر فريضة عليهم، وكَثُرَ الخَمرُ عليها حتى ضاقت به ذرعًا فقالت: لا حاجة لي في الخمرْ أعطوني دنانير ، فقالوا : ليس عندنا ، فأرسلت عليه[3] الماء فَغَرَّقتها ، فصارت بحيرة يُصاد فيها الحيتان ، حتى استخرجها بنو العباس، فَسَدُّوا جسرَها ، وزرعوا فيها .

وقال صاحب مرآة الزمان : من عجائب الدنيا قصر عمود السواري بالإسكندرية وليس في الدنيا مثلهُ ، وقد شاهدته .

وقال ابن فضل الله في "المسالك" : بظاهر الإسكندرية عمود السوارى، وهو عمود

---

(١) أحمد بن يوسف التيفاشي له ترجمة في الأعلام للزركلي ١/ ٢٧٣، ومعجم المؤلفين، وجاء فيه أنه: أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون بن حجاج بن ميمون بن سليمان بن سعد القيسي، القفصي، التيفاشي. عالم، أديب، مشارك في انواع من العلوم. ولد بتيفاش، وتوفي بالقاهرة٢/ ٢٠٨.

(٢) في المخطوطات : "فوده" بإسقاط الراء من أوله، وهو سهو من الناسخ بسبب راء الإسكندر .

(٣) في حسن المحاضرة : "عليهم".

مرتفع في الهواء، تحته قاعدة ، وفوقه قاعدة ، يقال : إنه لا نظير (له)[1] في العُمُد في عُلُوِّه، ولا في استدارته . قلت : قد رأيتُ هذا العمود لما دخلتُ الإسكندرية في رحلتي ، ودَوْر قاعدته ثمانية وثمانون شبرا ، ومن المتواتر عند أهل الإسكندرية أن مَن حَاذَاه من قُرب وغمّض عينيه ثم قصده لا يصيبه بل يميل عنه ، وذكروا أنه لم تحصل إصابته لأحد قط مع كثرة تحرّيهم ذلك ، وقد جربتُ ذلك مرارا فلم أقدر أن أُصيبه ، وذكر لي بعض فضلاء الإسكندرية أنها كانت أربع عمد على هذا النمط ، وكان عليها قبة يجلس فيها أرسطو الحكيم صاحب الرصد ، وفى هذا العمود يقول الشاعر[2] :

نَزِيْـــلُ سَـــكَنْدَرِيَّةَ لَـــيْسَ يُقْـــرَى سِـــوَى بِالْمَـــاءِ أَوْ عُمُـــد السَّـــوَارِي[3]

وَإِنْ تَطْلُـــبْ هُنَالِـــكَ حَـــرْفَ خُبـــزٍ فَلَـــمْ يُوجَـــدْ لِـــذَاكَ الْحَـــرْفِ قَـــارِي[4]

[٢٤٤/ظ] وأخرج ابن عَسَاكر في تاريخه[5] عن أُسامة بن زَيد التنوخي

قال: كان بالإسكندرية صنم يقال له شراحيل على خشفة[6] من خشف البحر، وكان

(١) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك وحسن المحاضرة.

(٢) البيتان دون نسبة في حسن المحاضرة ٨٨/١ ، وهما من الوافر .

(٣) في المخطوطات : "نزيل الإسكندرية" وهو خطأ من حيث الوزن ، والتصحيح من حسن المحاضرة .

(٤) في نسخة الأصل م : "وإن تطلب هناك" وهو خطأ من حيث الوزن والتصحيح من النسختين د ، ك و حسن المحاضرة .

(٥) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها تصنيف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ٤٩٩هـ – ٥٧١هـ دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٩ – هـ – ١٩٩٨ م دار الفكر ، بيروت لبنان، ٨٤/٨.

(٦) الخَشَفةُ واحدة الخَشَف، وهي حجارة تنبت في الأَرض نباتاً، قال: وتروى بالحاء المهملة وبالعين بدل الفاء، وهي مذكورة في موضعها.اللسان / خشف.

مستقبلا بإصبعه القسطنطينية لا يُدرَى أكان ممًّا[١] عمله سليمان، أو الإسكندر، فكانت الحِيتَانُ تجتمع عنده وتدور حوله فتُصاد، فكتب أسامة إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان يخبره بخبر الصنم، ويقول له: الفلوس عندنا قليلة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقلع الصنم فيضربه فلوسا، فأرسل إليه الوليد رجالا أمناء فأنزلوا الصنم، فوجدوا عينيه ياقوتتين حَمْراوين[٢] ليس لهما قيمة، فذهبت الحيتان، فلم تَعُدْ إلى ذلك الموضع.

ذكر منارة الإسكندرية[٣] وبقية عجائبها: قال صاحب "مباهج الفكر"[٤]: من عجائب المباني التي بأرض مصر منارة الإسكندرية، (وهي)[٥] مبنية بحجارة مُهَنْدمة مُضَبّبة بالرصاص على قناطر من زجاج، والقناطر على ظهر سَرَطَانات[٦] من نحاس، وفيها نحو ثلاثمائة بيت، بعضها فوق بعض، تصعد[٧] الدابة بحملها إلى سائر البيوت من داخلها، وللبيوت[٨] طاقات ينظر فيها إلى البحر.

واختلف أهل التاريخ فيمن بناها ، فقيل : إنها من بناء الإسكندر ، وقيل : إنها من بناء دَلُوكه ملكة مصر ، وكان في أعلاها تماثيل من نحاس ، منها تمثال قد أشار بِسَبَّابة يده اليمنى[٩] نحو الشمس أينما كانت من الفلك ، يدور معها حيث [٢٤٥/و] دارت ، ومنها

(١) في نسخة الأصل م : "أكان ممن . . ." ، وما في النسختين د ، ك الذي اعتمدته يوافق حسن المحاضرة .

(٢) في المخطوطات : "حمراويتين" ، والتصحيح من حسن المحاضرة، وقوله ليس لهما قيمة، أي لا تقدران بثمن.

(٣) هذا الكلام بنصه تقريبا من حسن المحاضرة ٨٩/١ وما بعدها ، وهو في مروج الذهب ٣٧٥/١ وما بعدها وجاء مختصرا في نهاية الأرب ٣٨١/١ وما بعدها .

(٤) مباهج الفكر ومناهج العبر لمحمد بن عبد الله الأنصاري. كشف الظنون ص ١٥٧٩.

(٥) ما بين القوسين زيادة من حسن المحاضرة .

(٦) في نسخة الأصل م : "سرناطات" ، وهو خطأ من الناسخ .

(٧) في المخطوطات : "يصعد" بالمثناة التحتية في أوله ، واعتمدت ما في حسن المحاضرة .

(٨) في النسختين د ، ك : "للبيوت" بإسقاط الواو من أول الكلمة .

(٩) في نسخة الأصل م : "اليمين" ، واعتمدت ما في النسخة د الذي يوافق حسن المحاضرة .

تمثال وجهه إلى البحر ، متى صار العدو منهم على نحو من ليلة سُمع له صوت يعلم به أهل المدينة طروق العدو ، ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صَوَّتَ صوتًا مطربا ، وكان بأعلاه مرآة ترى[١] منها قسطنطينية ، وبينهما عرض البحر ، فكلما جهّز الروم جيشا رُئِيَ في المرآة .

وحَكَي المسعودي[٢] أن هذه المنارة كانت في وسط الإسكندرية ، وأنها كانت تُعد من بُنيان العالم العجيب ، بناها بعض ملوك اليونان ، يقال : إن أهل الإسكندرية لما كان بينهم وبين الروم من الحروب فجعلوا هذه المنارة مَرْقَبًا ، وجعلوا فيها مرآة من الأحجار المشِفّة[٣] ، يشاهد فيها مراكب البحر إذا انقلبت[٤] من رومية على مسافة تَعجز[٥] الأبصار عن إدراكها ، ولم تزل كذلك إلى أن مَلَكها المسلمون فاحتال ملك الروم لما انتفع المسلمون بها في مثل ذلك على الوليد بن عبد الملك بأن أنفذَ أحد خَوَاصه ، ومعه جماعة إلى بعض ثغور الشام على أنه راغب في الإسلام ، فوصَل إلى الوليد ، وظهرَ الإسلام ، وأخرجَ كنوزا ودفائنَ كانت بالشام ، مما[٦] حَمَل الوليد على[٧] أن صَدّقه أن تحت المنارة أموالا ودفائن وأسلحة ، دفنها الإسكندر ، فجهّزه مع جماعة من ثِقَاته إلى الإسكندرية ، فَهَدَم ثلث المنارة، وأزالَ (المرآة)[٨]، ثم فَطَن (الناس)[٩] أنها مَكِيدة، فاستشعرَ [٢٤٥/ظ] ذلك ، فهربَ في مركب

(١) في المخطوطات : "يرى" بالمثناة التحتية في أوله ، واعتمدت ما في حسن المحاضرة .

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ت٣٤٦هـ، حققه: محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الرابعة ١٩٦٤م، مطبعة السعادة ،القاهرة ١/ ٣٧٥، وفيه أن الذي بناها الإسكندر.

(٣) في حسن المحاضرة : "المشقفة" ، ولا معنى لها .

(٤) في حسن المحاضرة : "أقبلت" ، وهو أحسن .

(٥) في المخطوطات : "يعجز" بالمثناة التحتية في أوله ، واعتمدت ما في حسن المحاضرة .

(٦) في المخطوطات : "ما حمل" ، واعتمدت ما في حسن المحاضرة .

(٧) في نسخة الأصل م : "ما حمل الوليد على أن صدقه" وفي النسختين د ، ك : "ما حمل الوليد أن صدقه" .

(٨) ما بين القوسين تصحيح من حسن المحاضرة ، وذلك لأن في المخطوطات : "وأزال المنارة" .

(٩) ما بين القوسين زيادة من حسن المحاضرة يستقيم بها الأسلوب .

كانت مُعدّةً له ، ثم بُني ما هدم باجِ □ والآجرِ[١].

قال المسعودي[٢]: وطول المنارة في وقتنا هذا – وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة – مائتين وثلاثون ذراعا، وكان طولها قديمًا نحو أربعمائة ذراع، وبناؤها في عصرنا ثلاثة أشكال، فقريبٌ من الثلث مربع بالحجارة، ثم بعد ذلك بناء مُثَمّن الشكل ، مبنى بالآجر والجِ □ نحو ستين ذراعاً، وأعلاها مدوَّر الشكل.

قال صاحب "المباهج". وكان أحمد بن طولون بنى في أعلاها قبة من خشب ، فهدمتها الرياح ، فبُنى مكانها مسجدٌ في أيام الملك الكامل صاحب مصر، ثم إن وجهها البحرى تَداعَى، وكذلك الرصيف الذي كان بين يديها من جهة البحر، وكادا يتهدمان، وذلك أيام الملك الظاهر ركن الدين[٣] بيبرس .

وذكر ابن فضل الله في مسالكه[٤] أن هذه المنارة قد خُربت وبقيت أثرا بلا عين ، فكان هذا وقع في أيام قلاوون أو ولده .

وقال ابن المتوّج[٥] في كتاب "إيقاظ المتغفل" : من عجائب منارة الإسكندرية التي بناها ذو القرنين كان طولها أكثر من ثلاثمائة ذراع ، مبنية بالحجر المنحوت ، مربعة الشكل[٦] ، وفوق المنارة المربعة[٧] منارة مثمنة مدوّرة[٨] مبنية بالآجرِ ، وفوق المنارة المثّمَّنَةِ منارةٌ مُدوَّرةٌ ،

---

(١) مروج الذهب للمسعودي١/٣٧٦.

(٢)لم أجد القول في مروج الذهب للمسعودي ،ويبدو أن النسخة ناقصة أو ذكر القول في كتابه أخبار الزمان وهو مفقود ما عدا الجزء الأول.

(٣) في المخطوطات : "زكي الدين" ، والتصحيح من حسن المحاضرة .

(٤) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار المؤلف : ابن فضل الله العمري.

(٥) (ابن المتوج) (٦٣٩ - ٧٣٠ هـ = ١٢٤١ - ١٣٢٩ م) محمد بن عبد الوهاب بن المتوج بن صالح الزبيري، تاج الدين: مؤرخ مصري. له (إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل) في أحوال مصر وخططها إلى سنة ٧٢٥، الأعلام ٦/٢٥٦، والدرر الكامنة ٣٦٠٤، كشف الظنون ٢١٤. وكتابه مفقود.

(٦) سقطت كلمة "الشكل" من النسختين د ، ك .

وكلها مبنية بالصخر المنحوت على أكثر من مائتي ذراع ، وكان عليها مرآة من الحديد المصقول[١] الصدفيّ[٢] ، عرضها سبعةُ أذرعٍ، كانوا يرون فيها جميع من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم ، فإن كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من الإسكندرية ، فإذا قربوا منها ومالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن حتى يقع شعاع الشمس في ضوء المرآة على السفن فتحترق السفن في البحر عن آخرها ، ويهلك من كان فيها ، وكانوا يؤدون الخراج ليأمنوا بذلك من إحراق المرآة لسفنهم ، فلما فتح عمرو بن العاص الإسكندرية احتالت الروم بأن بعثت جماعة من القسيسين المستعربة، وأظهروا أنهم مسلمون وأخرجوا كتابا زعموا فيه أن ذخائر ذي القرنين في جوف المنارة ، فصدقتهم العرب لقلة معرفتهم بحيل الروم ، وعدم معرفتهم بتلك المرآة والمنارة ، وتخيلوا أنهم إذا أخذوا الذخائر والأموال أعادوا المرآة كما كانت ، فهدموا مقدار ثلثي المنارة فلم يجدوا شيئا ، وهرب أولئك القسيسون، فعلموا حينئذ أنها خديعة ، فبنوها بالآجر ، ولم يقدروا أن يرفعوا إليها تلك الحجارة ، فلما أتموها نصبوا عليها تلك المرآة كما كانت ، فصدئت ولم يروا فيها شيئا ، وبطل إحراقها ، والنصف الأسفل الذي من عمل ذي القرنين يدخل الإنسان[٣] من الباب الذي للمنارة ، وهو مرتفع من الأرض مقدار [٢٤٦/ظ] عشرين[٤] ذراعا ، يُصعَد إليه على قناطر مبنية بالصخر المنحوت ، فإذا دخل من باب المنارة يجد على يمينه بابا ، فيدخل فيه إلى مجلس كبير طوله عشرون ذراعا مربعا ، يدخل فيه الضوء من جانبي المرآة ، ثم يجد[٥] بيتا آخر مثله ، ثم مجلسا ثالثا ، ومجلسا رابعا كذلك .

---

(٧) سقطت كلمة "المربعة" من النسختين د ، ك .

(٨) سقطت كلمة "مدورة" من النسختين د ، ك .

(١) سقطت كلمة "المصقول" من النسختين د ، ك .

(٢) في حسن المحاضرة : "الصينى" مكان "الصدفى" .

(٣) في حسن المحاضرة : "الآن" مكان "الإنسان" .

(٤) في النسختين د ، ك : "عشرون" .

(٥) في المخطوطات : "ثم تجد . . "بالمثناة الفوقية ، والتصحيح من حسن المحاضرة .

قال: وقد عملت الجنُّ لسليمان مجلسا من أعمدة الرخام الملون كالجزع اليماني، المصقول كالمرآة، إذا نظر الإنسان إليها يرى من يمشي خلفه لصفائها، وكان عدد الأعمدة ثلاثمائة عمود، كلُّ عمود ثلاثون ذراعا، وفى وسط المجلس عمود طوله مائة ذراع وأحد عشر[1] ذراعا، وسقفه من حجر واحد أخضر مربع، قطعته الجن، ومن جملة تلك الأعمدة عمود واحد يتحرَّك شرقا وغرباً يشاهدُ ذلك الناسُ، ولا يدرون ما سبب حركته.

قال: ومن عجائب الإسكندرية عمود السواري والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في كل يوم من السنة، بأكرة فلا تقع في حِجْر أحد منهم إلا ملك مصر ، وكان يحضر هذا الملعب من شاء الله من الناس ، ما يزيد على ألف ألف رجل ، فلا يكون أحد منهم إلا هو ينظر في وجه صاحبه ، ثم إن قُرئ كتاب سمعوه جميعا ، أو لَعِبوا لونا من ألوان اللعب رأوه عن آخرهم .

قال: ومن عجائبها المسلتان ، وهما جبلان قائمان على سَرَطاناتٍ من نحاسٍ [٢٤٧/و] في أركانهما[2]، كل ركن على سرطانٍ، فلو أراد أحد أن يُدخل تحتها شيئا حتى يعبره من جانبها الآخر لَفعل[3] .

قال : ومن عجائبها عمودا الإعياء[4] ، وهما عمودان ملتقيان[5]، وراء كلِّ عمودٍ منها جبلٌ حصًى كحصى الجمار، فمتى أقبل التَّعَبُ أو النَّصَبُ على أحد أخذ سبع حَصَيات (واستلقى على أحدهما ، ثم يرمي وراءه بالسبع حصيات)[6]، ويقوم ولا يلتفت، ويمضى

(١) في المخطوطات و حسن المحاضرة : "وإحدى عشرة" ، وهو خطأ في نظام العدد .

(٢) في المخطوطات : "أركانها" ، والتصحيح من حسن المحاضرة .

(٣) سقط "لفعل" من النسختين د ، ك .

(٤) في المخطوطات : "عمد الأعماد" مكان "عمود الإعياء" والتصحيح من حسن المحاضرة .

(٥) في النسختين د ، ك : "يلتقيان" .

(٦) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، وما في النسختين د ، ك يوافق حسن المحاضرة .

لطيّته[1] قام كأن لم يتعب ولم يحس بشيءٍ.

قال : ومن عجائبها القبة الخضراء ، وهى أعجب قبة مُلَبَّسة بنُحاس كأنه الذهب الإِبْرِيز ، لا يبليه القِدَم ، ولا يُخلقه الدهر .

قال : ومن عجائبها منية عُقبة ، وحصن فارس ، وكنيسة أسفل الأرض، ثم هي مدينة على مدينة ، وليس على وجه الأرض مثلها طولا وعرضا . انتهى.

وقال صاحب "مرآة الزمان": كان للإسكندر أخ يسمى الفرما، فلما بنى الإسكندر الإسكندرية بَنى الفرما على نعت الإسكندرية ، ولم تزل مدينة الإسكندرية بَهِجَةً يرتاح إليها كل مَن رآها ، ولم تزل الفرما رَثَّةً ، فلما فُتحت الإسكندرية قال عوف بن مالك لأهلها: ما أحسن مدينتكم ! فقالوا : إن الإسكندرَ لما بناها قال : قد بَنَيْتُ هذه المدينة فقيرة إلى الله غنية عن الناس فبقيت بهجتُها، ولما فُتحت الفرما قال أَبرهة[2] بن الصباح لأهلها: ما أَخْلَق مدينتكم ! قالوا : إن الفرما لما بناها قال هذه مدينة غَنِية عن الله فقيرةٌ إلى الناس فذهبت بَهجتها . انتهى من [٢٤٧/ظ] حُسْن المحاضرة للأسيوطي[3] .

وقد اختُلف في باني الإسكندرية ، فالذى نَقَله صاحب "الخميس" –كما قدمت– أن بانيها الإسكندر الأكبر، والذى نَقَله غيره أن بانيها الإسكندر الأصغر ، وقد بنيت مرات متعددة ، فأول ما بُنيت بعد الطوفان، في زمن مصر[4] بن بيصر بن حام بن نوح (✕)، وكان يقال لها إذ ذاك مدينة رقودة ، ثم جُددت بعد ذلك مرتين ، ثم جَددها[5] الإسكندر الرومي

---

(١) في المخطوطات : "بطلبته" ، واعتمدت ما في حسن المحاضرة .

(٢) في المخطوطات:"إبراهيم بن الصباح"، والتصحيح من البداية والنهاية١٠/٩٥، وحسن المحاضرة، وكلام أبرهة في البداية والنهاية ،وكذلك قول عوف بن مالك الذي سبقه

(٣) [كذا] جاء في المخطوطات والأصح "السيوطي" .

(٤) في المخطوطات : "مصراى بن بيصر . . ." ، والتصحيح من حسن المحاضرة ٣٤/١ و٣٥ .

(٥) في نسخة الأصل م : "ثم جدها" بإسقاط الدال الثانية ، وهو سهو من الناسخ ، واعتمدت ما في النسختين د ،

اليوناني ابن فيلبس الماكدونى، الذي قَتل دَارا ملك بلاد الفُرس بعد تخريب بختنصّر إقليم مصر بمائة وعشر سنين شمسية ، فعُرفت به، وقد ذكرنا سابقا الفرق بين إسكندر الرومي وبين ذي القرنين على وجه الاستطراد، فلنتمم الفائدة فنقول: إن الذي ذَكَره علماء الأخبارأن ذا القرنين المذكور في القرآن الشريف ليس اسمه الإسكندر، وإنما اسمه المِصْعَب بن ذي مرابد بن الحارث بن أراس بن سكبيك بن وائل بن حِمْيَر، من نسل التبابعة، وهم العرب العاربة، ويقال: العَرْبَاءُ.

وكان ذو القرنين متوّجاً، ولما وَلِيَ المُلْكَ تَجَبَّر، ثم تَواضَع لله (عز وجل)، واجتمع بالخضر، وقد غلط مَن ظن أن الإسكندر بن فيلبس هو ذو القرنين الذي بَنَى السَّدَّ؛ فإن لَفظة[1] "ذو" عربية، وهى من ألقاب العرب ملوك اليمن، وأما اسكندر فهو رومي يوناني، وقد تكلّمت[2] علماء الأخباريون في ذلك كلاما كثيرا ، وأقوالا مختلفة .

وسئل [٢٤٨/و] ابن عباس عن ذي القرنين ممن كان فقال : من حِمْيَر ، هو المصعب بن ذى مرابيد ، الذي مكّنه الله تعالى في الأرض ، وآتاه الله من كل شئ سببًا ، فبلغ قَرْنَيْ الدنيا من الأرض ، وبنى سَدَّ يأجوج ومأجوج ، فقيل له فالإسكندر المشهور ، قال : كان رجلا روميا صالحا حكيما ، بَنَى المدائن ، وأكثر الآثار.

وسُئل كَعْب الأحْبار عن ذلك فقال : الصحيح عندنا من أخبارنا وأسلافنا أنه من حمير ، وأنه المِصْعب بن ذي مرابيد ، وأما الإسكندر كان[3] رجلا من بنى يونان من ولد

ك.

(١) في نسخة الأصل م: "لفظ" بإسقاط التاء من آخر الكلمة، واعتمدت ما في النسختين د، ك ليناسب "عربية".

(٢) جاء الفعل بالتأنيث، وهو جائز إذا كان الفاعل جمع تكسير، وفى القرآن الكريم : (قالت الأعراب آمنا) [الحجرات:١٤] ، ولكن الواضح أن الخطأ جاء إما من سقوط "أل" قبل كلمة علماء فيكون الصحيح "العلماء الأخباريون" أو زيادة ياء النسب، مع علامة جمع المذكر السالم فيكون الصحيح "علماء الأخبار".

(٣) الصحيح أن يقترن جواب "أما" بالفاء فيقال: "فكان رجلا" .

العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، ورجال الإسكندر الرومي أدركوا المسيح ابن مريم[1]، منهم جالينوس الحكيم، وأرسطاطاليس أيضا.

وفى كتاب هردسيوس أن الإسكندر ملك الدنيا اثنتي[2] عشرة سنة، فكانت الدنيا مأسورة بين يديه طول ولايته، فلما مات تركها بين يدي قواده ، فأعظم[3] بطليموس ابن لاوى ، فتداولوا الملك بعد موت الإسكندر ، وصار بينهم حروب ، وكانوا نحو العشرة[4] ملوك إلى أن أزال دولتهم قَيصر . انتهى

قوله اللاتي[5] لها أعلى دِعامة، والدِّعامة كما في القاموس بكسرتين: عماد البيت، والخشب المنصوب للتعريش.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

أَيْـــنَ الحُصُـــونُ وَمَـــنْ يَصُـــو نُ بِهَـــا مِـــنَ الأَعْـــدَا حُطَامَـــهْ ؟

المراد بالحصون هنا هي الحصون التي بناها سليمان، فقد [٢٤٨/ظ] نقلت علماء الأخبار أن سيدنا سليمان لما تزوج بلقيس أمر الجنَّ فابتنَوْا بأرض اليمن ثلاثة حصون، لم يُرَ مثلُها ارتفاعا وحُسنا وإتقان بناء، وهى بينونُ ، وسِلْحِينُ، وغُمْدانُ[6] المتقدم ذكره.

وفى معجم ما استعجم[7] : سِلْحِين – بكسر أوله، وإسكان ثانيه، بعدها حاء

(١) كلمة ابن تكتب هنا بالألف لأنها ليست بين علمين، بل بين صفة وعلم.

(٢) في المخطوطات : "اثنى عشر" ، وهو خطأ في نظام العدد .

(٣) الأحسن في رأيي "فأعظمهم" .

(٤) في المخطوطات : "نحو العشر"، وصححته على حسب نظام العدد .

(٥) في نسخة الأصل م : "واللاتي" والبيت ليس فيه واو .

(٦) في نسخة الأصل م : "عمدان" بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٧) الذي في معجم ما استعجم ٧٤٦/٣ : "سَلْحِين بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده حاء مهملة مكسورة على وزن

مكسورة مهملة – على وزن فِعْلِين: عَلَم على موضع باليمن، وهو قصر سبأ بالمأرب. انتهى.

والحصون جمع حِصْنٍ– وهو بالكسر– كلُّ موضعٍ حَصِينٍ لا يُوصَلُ إلى جوفه، كذا في القاموس(١).

وقوله: ومَن يصون، يقال: صَانه صَونا وصِيَانة فهو مَصُون، ومصؤون، حفظه، كصَانه. كذا في القاموس.

والأعْدَاء جمع عَدُو، والأُنثى عَدوَّة: قال ابن السِّكِّيت(٢): فعول إذا كان بمعنى فاعل كان مؤنثه بغير هاء، كرجل صَبور، وامرأة صَبور، إلا حرفًا واحدًا وهى عدوة، قال الفَرّاء(٣): وإنما أدخلوا فيها الهاء تشبيها بصدّيقة، لأن الشيء يُبنى على ضده، والعدوُّ: الخصم، وضد الولي .

والعداوة مذمومة ، فقد ورد عن أبي الدَّرْدَاء عن النبي (ﷺ) قال(٤) : " **أول شئ نَهاني ربى – بعد عبادة الأوثان – لَعْنُ الجَهر ، ومُلاحاة الرجال** " ، وقال(٥) عليه الصلاة

فَعلِين [كذا] : موضع باليمن، وهو قصر سبأ بمأرب". ويلاحظ أن المؤلف ذكر أن الأول مفتوح، ولكن عند ذِكر الوزن قيل:"فِعلين" بكسر الأول وجاء الشيء نفسه في معجم ما استعجم ٢٣٧/١.

(١) القاموس(حصن).

(٢) جاء هذا في اللسان في [عدو] .

(٣) جاء هذا في اللسان في [عدو] .

(٤) رواه الطبراني في الكبير، ٨٣/٢٠، وابن حجر في فتح الباري في كتاب الإيمان، وقال : وفي إسناده عمرو بن واقد الشامي وهو ضعيف جدا. وإنما حرمت الخمر بعد الهجرة بمدة. ولكن رواه الأوزاعي، عن عروة بن رويم مرسلا. خرجه أبو داود في" مراسيله".

(٥) إسناده صحيح ، أخرجه مالك ٩٠٦/٢ و ٩٠٧ ، والبخاري ٣و١٠/٤ في الأدب ، ومسلم ٢٥٥٩ في البر والصلة . [من هامش سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٥] . وجاء الحديث بصور مختلفة في مسند الإمام أحمد ٥ ، ٧٧٢٧ و ٨١١٨ و ١٠٠٠١ و ١٠٦٤٩ و ١٠٢١٩ و ١٢٦٩١ .

والسلام: **"لا تَقَاطعوا ، ولا تَدَابروا ، ولا تَحاسَدوا ، وكُونوا عبادَ الله إخوانا"**، وقال عليه الصلاة والسلام[١]: **"رَأْس العقل بعد الإيمان التودد[٢] إلى الناس"** ، وقال عليه الصلاة والسلام[٣] : **"لن ينال العبد صريح الإيمان حتى يصل مَن [٢٤٩/و] قَطَعَه ، ويُعطى مَن حَرَمه ، ويعفو عمن ظَلَمه ، ويُحسِن إلى مَن أساءَ إليه"** ، وقال عليه الصلاة والسلام[٤] : **"ما من ذنب أحرى أن يُعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدَّخر له في الآخرة أشد من قطيعة الرَّحِم والبَغي"** ، وقال عليه الصلاة والسلام[٥] : **"لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك"** .

وقال داود لابنه : لا تستقلَّ أن يكون لك عدو واحد ، ولا تستكثرْ[٦] أن يكون لك ألفُ صديق .

وقال النبي (ﷺ)[٧]: **"القطيعة والعداوة دمٌ يقطر"**، وقال عليه الصلاة والسلام[٨]: **"لا تعادينَّ أحدا حتى تنظر كيف صنيعه فيما بينه وبين ربه ، فإن كان حسنَ الصنيع فإن الله لا يُسلمه إليك لعداوته إياك ، وإن كان سَيِّئَ الصنيع فإن خَطَاياه تكفيه"** .

---

(١) في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٤٢١/١ : (رأس العقل التحبب إلى الناس في غير ترك الحق" رواه الديلمي عن ابن عباس ، ورواه الطبراني في الأوسط عن على رضي الله عنه") ثم بعده : (رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس" قال في الأصل : رواه البيهقي في الشعب ، والعسكري والقضاعي عن أبى هريرة رضي الله عنه رفعه، ورواه أبو نعيم عن أنس وعلى . ورواه البيهقى أيضا عن على بن زيد مرسلا . . . ") .

(٢) في نسخة الأصل م : "التود" بإسقاط الدال الثانية ، وهو خطأ من الناسخ .

(٣) لم أعثر على هذا الحديث.

(٤) جاء في مسند الإمام أحمد ٩/٣٤، وفيه تخريج طويل جدا ، وجاء في البداية والنهاية ٢٢١/١ مع تخريج بسيط .

(٥) لم أعثر على هذا الحديث .

(٦) في النسختين د ، ك : "ولا تستكثر أن" .

(٧) لم أعثر على هذا الحديث ، وفى النسختين د ، ك : "الكلام في القطيعة" .

(٨) لم أعثر على هذا الحديث .

كما رُوى أنه كان عادة أمة موسى (×) إذا أرادوا أن يدعوا على أحد كانوا يقولون : ابتلاه الله بالفعل السيئ ؛ إذ من اصطنع بإيذاء الناس لا بد أن يجره ذلك إلى المعَاطب ، ويلقيه في المتَالف .

وقال النبي (×) [1]: "**خصلتان ليس فوقهما من الخير شيء : الإيمانُ بالله، والنفعُ لعباده ، وخَصْلتان ليس فوقهما من الشِّرك شيء : الكُفْرُ بالله ، والضرّ لعباده**". وقال عليه الصلاة والسلام[2] : "**ملعون من ضَرّ مسلما أو غيره**" .

ويقال : [٢٤٩/ظ] إن المقصود من بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وَضْعُ الشرائع ، والتحريضُ على مكارمِ الأخلاقِ ، وإيصالُ النفعِ إلى الخلائق ، ورَفْعُ الضرّ عنهم عاجلا أو آجلا ؛ لأنَّ دوامَ العالمِ بالتآلفِ ، والشرُّ سببٌ للتخلف. شعر[3]:

أَلَمْ تَـــرَ قِلَّـــةَ ٱلْإِنْصَـــافِ قَاطِعَـــةً ... بَـــيْنَ الرِّجَـــالِ وَإِنْ كَـــانُوا ذَوِي رَحِـــمِ ؟

فالظلم وإيصال الأذى سبب لخراب العالم ، وانقطاع نَسْل بني آدم .

وحُكى أن ظَالما في عهد أنوشروان ظَلَم ضعيفًا فأمر أنوشروان بضرب عنقه فقال بعضُ خواصِّه : عجبت من عَدْل السلطان أن قتل بهذا المقدار من الجناية إنسانا ، فقال :

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث .ولا ما سبقه في الآداب الشرعية لابن مفلح.

(٢) وجدت في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢١٦/٢ : ("**ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به**" رواه الترمذي عن أبي هريرة عن أبي بكر الصديق ، ورواه الترمذي أيضا وأبو نعيم عن أبي بكر بلفظ **ملعون من ضار أخاه المسلم أو ماكره**) .

(٣) البيت للمتنبي، وفيه تصحيف هنا وروايته الصحيحة:

وَلَم تَزَل قِلَّةُ الإِنصافِ قاطِعَةً ... بَينَ الرِجالِ وَلَو كانوا ذَوي رَحِمِ .

وهو من التي أولها:

حَتّامَ نَحنُ نُساري النَجمَ في الظُلَمِ ... وَما سُراهُ عَلى خُفٍّ وَلا قَدَمِ.

وهي مشهورة معروفة، فانظرها في ديوانه/ قافية الميم.

إني لم أقتل إنسانا ، وإني قتلت سَبُعًا أو حيّة ، أو عقربا.

وهذه الكلمة مستندة إلى أصل مقرر ؛ لأن خَلْق الملائكة إفاضة الخير غالبا، فمن تهيأ لفعل الخير يضرب عِرْقُه إلى الملائكة ، ومن تهيأ لإيصال الشر يكون شُعبة من السِّباع .

وحكي أن أبا إسحاق الشيرازي كان يمرّ يوما في طريق ضَيق ، فاستقبله كَلَب فَزَجره تلميذه ، فقال له الشيخ : لا تَطرده ، أما تَعلم أن الطريق مشترك بيني[1] وبينه!؟.

والأكابر كانوا يَحترزون عن إيذاء الكلب على هذا الحد فكيف بالآدمى[2] المحترم!!.

شعر[3] :

اَلْخَــيْرُ وَالشَّــرُّ مَقْــرُونَانِ في قَــرَنٍ وَالشَّــرُّ أَخْبَــثُ مَــا أَوْعَبْــتَ مِــنْ زَادِ

[٢٥٠/و] وحُكي أن ملك الروم سأل تَبَارُوسَ[4] الحكيمَ فقال: بم[5] نال عيسى (×) ما نال؟ قال: بإفاضة الخير، وكفِّ الأذى.

ومما يجب اعتباره لذوي العقول أن يتفكرّوا بأن عُمْر الإنسان أيام[6] معدودة مستعارة، ويتيقنوا أن الأقرب للصواب، والأَوْلى لأُولِي الألباب؛ أن يأخذوا طريقة التّوددِ مع

---

(١) في النسختين د ، ك : "بيننا" ، وبإسقاط "وبينه" .

(٢) في النسختين د ، ك جاء "بالأذى" مكان "بالآدمي" .

(٣) جاء البيت منسوبا إلى عبيد بن الأبرص الأسدي في العمدة ٤٦١/١ ، ولكن المحقق قال في الهامش : البيت ليس لعبيد ، وإنما هو لهاتف هتف به ليلا كما جاء في الأغاني ٨٦/٢٢ آخر ثلاثة أبيات . . . ثم قال المحقق : والبيت ليس في ديوان عبيد ولكنه جاء في مقدمته كما جاء في الأغاني ، وهو من البسيط .

(٤) في النسختين د ، ك : "تبادروس" .

(٥) في نسخة الأصل م : "بما" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٦) في المخطوطات : "أياما" ، وهو خطأ في الإعراب ، لأنه الكلمة خبر "أنّ" .

الإخوانِ والأقاربِ، ويجتهدوا[١] في إحياء أسباب التقرّب والاتصال؛ فإن القطيعة الممْتَدَّة بانصرام أيام الآجال أمام كل أحد. شعر[٢]:

فَـأَكْرِمْ أَخَـاكَ الـدَّهْرَ مَـا دُمْتُمَـا مَعًـا   كَفَـــى بِالْمَمَـــاتِ فُرْقَـــةً وَتَنَاسِـــيَا

وحُكِي أنه كان لأميرِ المؤمنين هارونَ جاريةٌ متحلّيةٌ بغاية الحسن والجمال، يقال لها: لُبَابةُ، وكان هارون الرشيد يحبها حبا شديدا، مع أنه بعلوِّ أمره، وجلالة قدْرِه كان يكلمها بالتواضع، والتضرُّع، وأنها نظرت يوما من منظر العليّة[٣] إلى بعض حجرات الخلافة، فأبصرت الخليفة مع جارية أخرى في محل الأُنس، ومَقام التمتّع، فاشتعلت نائرة الغيرة في صميم ضميرها، فَعَلاَها البكاءُ، وعَرَاها النَّحيبُ، ونزلت من المنْظرة، وجعلت تَطوى حُبها عنه، فلما أتى الخليفة إلى خلوتها أَعرَضَت عنه، وستَرت وجهها، وشرَعت تبكي بكاءً شديدا، وكلَّما تَلطّف، وتَذلَّل لها وتواضَع لم ينفع. شعر[٤] :

كُــــلُّ ذَنْــــبٍ لَــــكَ مَغْفُـــــو   رٌ سِـــــوَى ٱلإِعْـــــرَاضِ عَنَّـــــا

[٢٥٠/ظ] فقام عنها الخليفة بضجرة تامة، ثم كَلَّ من بَعْثِه إليها شفيعاً وناصحاً، لم يقع كلامه نافعاً، بل هي أصرّت على هذا الكلام بأن قالت: يا أمير المؤمنين لأجل ما صَدَرَ مِنّي من العصيان والسَّفاهة بأن يقتلوني بأشد[٥] وجوه السياسة، أو يبيعوني لأخسّ الخلائق عقوبةً ونَكَالاً، وإني لا أريد القلب نصفين، ولا أرضَى بالحبيب المشترك، إما البيع وإما السيف، والخليفة يزداد فيها كل يوم وَلَهًا وتَحيُّرًا، وقد عَجَزَ عن إصلاحها، ورَدِّ قلبها إليه، حتى

---

(١) في نسخة الأصل م : "ويجتهد ويجتهدوا" ، وهو خطأ من الناسخ .

(٢) لم أعثر على البيت ، وهو من الطويل .

(٣) في نسخة الأصل م : "الغلبة" ، وهو تصحيف .

(٤) لم أعثر على البيت . وفى المخطوطات : " . . . مغفورا" بالنصب ، وهو من مجزوء الرمل .

(٥) في النسختين د ، ك : "أشد" بإسقاط الباء الموحدة التحتية من أول الكلمة .

إنه كان يوما جالسا في حجرته الخاصة مضطربَ الحالِ، مشتغلَ القلبِ من هذه الواقعة، فإذا لبابة دخلت عليه متبسِّمةً منشرحةً، فألقت يديها[1] على جيده فَعَانقته، فكادَ الخليفة تَزهق[2] روحه من فَرْطِ الفرح، فأمر بأن تُفتح الخزانة، وأُحضرت الجواهرُ النفيسةُ، والثيابُ الثمينة فأُلقيتْ، ونُثِرتْ عليها، وتقلد منها تلك الملاطفة منَّةً عظيمة عليه، ثم ساق معها الكلام في حكاياتِ أيامِ الفراقِ، وشكاياتِ مُقاساةِ[3] الأشواقِ، ثم قال لها: ينبغي أن أعرف ممن أتحمل المِنَّة في هذه النعمة، ونصيحة من أثَّر، وسعْى من أثمر، وكلام من بلّغ إلى محل القَبول، حتى أشكر سَعْيَه، وأُكافئ فِعْلَه، فقالت لبابة: الحق ما قصَّر الناصحون في النصيحة، وقد بالغ العاذلون في المِلامة، فلم يقر قلبي لشيء منها، وإني اليوم فتحت الكتاب فأول السطور كانت [٢٥١/و] هذه الكلمات. شعر[4]:

اَلْعُمْرُ أَقْصَرُ مُدَّةً ... مِنْ أَنْ يُدَنَّسَ بِالْعِتَابِ

أَوْ أَنْ يُكَدَّرَ مَا صَفَا ... مِنْهُ بِهَجْرٍ وَاجْتِنَابِ

فتفكرتُ أن جواهرَ الأنفاسِ معدودةٌ، وأيامَ الحياةِ مستعارةٌ مَرْدودةٌ، وأمامنا هذا الفراق الذي لا مَفرّ عنه، فالهِجْرانُ على هذا خُسرانٌ مبين. شعر[5]:

وَأَيَّامُ الْهُمُومِ مُقَصَّصَاتٌ ... وَأَيَّامُ السُّرُورِ تَطِيرُ طَيْرًا

(١) في المخطوطات : "يداها" [كذا] .

(٢) في نسخة الأصل م : "يزهق" بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٣) في النسخة م : "مقاسات" بالتاء المفتوحة ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٤) البيتان ضمن ثلاثة أبيات منسوبة إلى سعيد بن حميد في المنتحل ١١٩ ، وجاء الأول دون نسب في العمدة ٨٦١/٢ وفيه تخريجه ، وهما من مجزوء الكامل .

(٥) البيت جاء ضمن مجموعة أبيات مختلفة تحت عنوان [أبو تمام] في التمثيل والمحاضرة ٢٤٥ ، ولكنني لم أجد البيت في ديوان أبي تمام . وفي المخطوطات : "وأيام الهموم منغصات" ، والتصحيح من التمثيل والمحاضرة ؛ ليناسب "تطير طيرا" ، وهو من الوافر .

فغلَبتني هذه الفكرة ، حتى سَترتُ وجه الجَفَاء بِحُلّة الوفاء ، وبادرتُ إلى الصُّلح والصَّفاء .

فالمرأة مع قصور عقلها ، وضَعْف رأيها ، ورَكَاكة نظرها إذا عرفت أن خاتمة القطيعة غير مُرْضية ، وحاصل الجَفاء بالندامة مُفْضية[١] ، فالعاقل يكون موسوما بكمال العقل والذكاء ، ووفور الفِطنة والدراية ، فهو لهذا المعنى أَوْلَى وأليق .

قال ابن عَطَاء : ما سلّمت على عدوّك تسليما إلا حَللتَ من صدره عقدةً .

وقال هلال الرقّي: تَدبّرتُ هذه الأبياتَ ، فاسترحتُ من العداوات . شعر[٢] :

لَمَّــا عَفَــوْتُ وَلَمْ أَحْقِــدْ عَلَــى أَحَــدٍ ... أَرَحْــتُ نَفْسِــيَ مِــنْ هَــمِّ الْعَــدَاوَاتِ

إِنِّي أُحَــيِّ عَــدُوِّي حِــيْنَ رُؤْيَتِــهِ ... لأَِدْفَــعَ الشَّــرَّ مِــنِّ بِالتَّحِيَّــاتِ

وَأُظْهِــرُ الْبِشْــرَ لِلإِنْسَــانِ أَبْغَضُــهَ ... كَأَنَّــهُ قَــدْ حَشَــا قَلْــبِي مَحَبَّــاتِ

ولآخر شعر[٣] :

وَذُقْــتُ مَــرَارَةَ ٱلأَشْــيَاءِ طُــرًّا ... فَمَــا طَعْــمٌ أَمَــرُّ مِــنَ السُّــؤَالِ

وَلَمْ أَرَ فِي الْخُطُــوبِ أَشَــدَّ وَقْعًــا ... وَأَصْــعَبَ مِــنْ مُعَــادَاةِ الرِّجَــالِ

(١) في النسختين د ، ك : "مقتضية" .

(٢) الأبيات للإمام الشافعي في ديوانه ٢٨ضمن أربعة أبيات، وفيه في البيت الثالث: "كما أن قد حشي قلبي محبات" ، وهي من البسيط ، وقد رواها ابن حبان البستي في "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء" لهلال بن العلاء الباهلي، ورواها أبو حيان التوحيدي، في كتاب :"البصائر والذخائر" ، ورسالة "الصداقة الصديق"، لهلال بن العلاء الرقي.

(٣) لم أهتد إلى البيتين ، وهما من الوافر .

ومن تحقق عنده سرعة نفاد[1] الحظوظ العاجلة لم يتحمل تعب الخصومة لأجلها.

وحكي أن ملكا من الملوك جرَّ عسكرًا عظيما لقهر [٢٥١/ظ] عدوٍ من أعدائه حتى انتهى ممرُّه إلى ذيل جبل كان فيه صومعة زاهد ، فلما رأى العابدُ طلائعَ العسكر نزل من أعالي الجبل إلى الحَضِيض ، فقام على رأس الطريق متكئا على عصاه ، إلى أن بلغه الملك ، فلما عرَّفوه صفاءِ وقت العابد تقرّب إليه، وأقام شرائط التعظيم ، فجازاه العابد بالدعاء بالخير ، ثم سأل عن سبب حركة الملك ، وباعثِ سفره فقال : أريد خارجا عن ربقة الطاعة، فقال الزاهد : وهل يمكن أن تتوقف أيامًا فيفرغ كل واحدٍ منكما عن الآخر بغير هذا التعب والمشقة ؟ فأثّر كلامه في قلب الملك، حتى ثَنَى عِنان عزيمته، ورجع إلى دار مملكته، وسلّم الملك والسرير إلى وليِّ عهده، واختار بقية عمره العزلة والقناعة والطاعة.

وهكذا ينتفع العاقلون من كلام الحُكَماء، ومَن[2] تكون ساحة صدره منورة بنور العقل، فهم[3]، وعلم أن نعمة يكون فيها إيذاء الخلق[4] لا تهنأ؛ فإن الظلم مَرتعه وخيم، وكفُّ اليد واللسان عن أموال الناس وأنفسهم من مكارم الأخلاق.

كما حُكي أن ظالما قال لعالم : علّمني أي الطاعة أفضل حتى أعمل بها[5] ، قال : أفضل الطاعات لك القيلولة حتى يأمن الناس في تلك الساعة من أذاك ، ثم إن خسران اللسان أشدّ من خسران اليدين . شعر[6] :

جِرَاحَاتُ السِّنَانِ لَهَا الْتِئَامٌ وَلاَ يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

(١) في المخطوطات : ""نفاذ" بالذال المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) في النسختين د ، ك : "ممن" وبإسقاط الواو .

(٣) [كذا] جاء في المخطوطات : "فهم وعلم أن نعمة تكون . . ." .

(٤) في النسختين د ، ك : "الخلائق" .

(٥) في نسخة الأصل م : " . . . أعمل به" ، واخترت ما في النسختين د ، ك .

(٦) البيت دون نسبة في ثمار القلوب ٣٣٤ وفيه "جراحات السيوف" ، وهو من الوافر .

وقال النبي (ﷺ)[١]: **"ليس المؤمن بالطعَّان، ولا اللعَّان، ولا الفاحشِ، ولا البذيء"**.

شعر[٢] :

[٢٥٢/و] هَيْنُونَ لَيْنُونَ إن سادُوا ذوو سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ

لاَ يَنْطِقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلاَ يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ

قال عمر بن الخطاب (ﷺ): البِرُّ شيء هَيِّن، وَجْهٌ طليق، ولسان لَيِّن. وجواهر الكلام خير من جواهر الخزائن؛ لأن الرغبة إلى المال إنما تكون[٣] للئام الناس، والكرام تكون راحتهم في الكلام أكثر من المال . شعر[٤] :

أَزُورُكُمُ لاَ أَبْتَغِي شَرَفًا بِهِ فَكَيْفَ وَفِي كُلِّ الْوَرَى سَرفُ

وما طَمَعِي مِنكم ثَراءً أنالُهُ ولكن كلامٌ طيبٌ وتلطُّفُ[٥]

قال أبو حاتم رحمه الله تعالى: لا يجب على العاقل أن يكافئَ الشرَّ بمثله، وأن يتخذ

---

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد ٣٩٠/٦ بصيغة : "ليس المؤمن بطعّان ، ولا بلعّان ، ولا الفاحش البذئ" ، وفيه تخريج واسع جدا .

(٢) البيتان ضمن ستة أبيات للعرندس أحد بني أبي بكر بن كلاب في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٥٩٣/٤ – ١٥٩٥ . وفى نسخة الأصل م : "أبناء إيثار" ، والتصحيح من شرح ديوان الحماسة . . وفى النسختين د و ك: "سواس مكرمة إن نادوا بإكثار" [كذا] وهو تداخل مع البيت الثاني بدليل أن الثاني ساقط منهما ، وهما من البسيط .

(٣) في نسخة الأصل م : "يكون" بالمثناة التحتية .

(٤) لم أهتد إلى البيتين ، وفى الشطر الثاني من البيت الأول نق يمكن إصلاحه هكذا : "فكيف رمى كل الورى متشَّرفُ" ، وفى نسخة الأصل م : "... وفى كل الورى سرف" وفى المخطوطات : "... شرف" ، وهما من الطويل .

(٥) في نسخة الأصل م : "وما طمعى منهم . . ." واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

اللَّعْنَ والشتم على عدوِّه سلاحاً؛ إذ يُستعان على العدو بمثل إصلاح العيوب[1] ، وتحصين العورات ، حتى[2] لا يجدَ العدوُّ إليه سبيلاً ، والعَاقلُ لا يرحمُ من يخافُه، ولا يتركُ إحصاءَ مَعَايِبِ العدوِّ، وتفقُّدَهُ على ما هو عليه من السكوت عن معايبِهِ، ولا يستضعفُ عدواً؛ فإن مَن استضعف الأعداءَ اغترَّ ، "ومن اغترَّ لم يَسْلَم ، اللهمَّ إلا أن يكونَ العدوُّ ذليلا[3] ، فإذا كان كذلك عَطَف عليه بالإغضاء؛ لأن العدوَّ الذليلَ أهلٌ أن يُرحَمَ ، كما أن المستجيرَ الخائفَ أهلٌ أن يؤمّنَ ، والمعاداةُ للعاقلِ خيرٌ من المصادقةِ للجاهلِ كما قيل بشعر[4] :

وَلَمَـــنْ يُعَـــادِي عَـــاقِلاً خَـــيْرٌ لَـــهُ   مِـــنْ أَنْ يَكُـــونَ لَـــهُ صَـــدِيْقٌ أَحْمَـــقُ

[٢٥٢/ظ] فَارْغَـــبْ بِنَفْسِـــكَ أَنْ   إِنَّ الصَّـــدِيْقَ عَلَـــى الصَّـــدِيْقِ مُصَـــدَّقُ

قال بعضهم وأحسن . شعر[5] :

أَخْلِـقْ بِـذِي الصَّـبْرِ أَنْ يَحْظَـى بِحَاجَتـهِ   وَمُـدْمِنِ الْقَـرْعِ لِلأَبْـوَابِ أَنْ يَلِجَـا

أَبْصِـرْ لِرِجْلِـكَ قَبْـلَ الْخَطْـوِ مَوْضِـعَهَا   فَمَـنْ عَـلاَ قُلَّـةً عَـنْ غِـرَّةٍ زَلَجَـا[6]

(١) في النسختين د ، ك : "العيون" .

(٢) في نسخة الأصل م : "حتى لا يستعان على العدو بمثل إصلاح العيوب وتحصين العورات ولا يجد إليه سبيلا" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٣) في نسخة الأصل م : "دليلا" بالدال المهملة ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٤) البيتان لصالح بن عبد القدوس، وهما من الكامل؛ فانظرهما في ديوانه، دار صادر بيروت، قافية القاف، وقبلهما: المرء يجمع والزمان يفرق.. ويظل يرقع والخطوب تمزق.، وفي الديوان : "ولأن" بدلا من "ولمن".

(٥) البيتان لمحمد بن يسير ضمن ثمانية أبيات في الأغاني ٤٢/١٤ ، وهما من البسيط .

(٦) في نسخة الأصل م : "فمن على قلة عن غرة رلجا" ، وفى النسختين د ، ك : "فمن على قلة عن غرة ربحا" [كذا] والتصحيح من الأغاني . والقُلَّة : أعلى الجبل . والغِرّة : الغفلة . زلج : زل وزلق.

قال أبو حاتم رحمه الله تعالى[1]: العاقل يُبصرُ مواضعَ خطواته قبل أن يضعها، ثم يقارب عدوَّه بعض المقاربة، ولا يقاربُه كلَّ المقاربة فيجترئ عليه، والعاقل لا يعادي ما وجد إلي المحبة سبيلا، ولا يعادي من ليس له يدان؛ لأن العدو الحنق الذي لا يُطاق ليس له حيلةٌ إلا الهرب منه، وحيلةُ الضعيف إلى القدرة على العدو وجودُ الغِرَّةِ فيه، وأن يُرِيَ العدوَّ أنه لا يتخذه عدوًّا ، ثم يصادق أصدقاءه فيدخل بينهم، وأحزَم الأمور في العدو أن لا يذكره بسُوء إلا عند الفرصة، وإن من أيسر الظفر بالأعداء اشتغال بعضهم ببعض، وإن ممَّا يستعين به المرءُ على عدوِّهِ مجانبةَ من يعاشرُه، ويصحبُ عدوّه.

قال ابن السماك[2] : لا تَخف ممن تحذر منه، ولكن احذر ممن تأمنُ.

قال طيبُ بن صالح : استوصيتُ محمد بن مقاتل فقال لي : احذر شرَّ مَن أحسنتَ إليه.

وقال بعض الحكماء: اللهم احفظني من الصديق، فقيل له: لأي شيء تتحفظ من الصديق؟ قال: لأني من العدو أشدُّ تحذُّرًا.

وقال النووي: وجدنا أصلَ كلِّ عداوةٍ اصطناع المعروف إلي اللئام.

وحكي أنه كتَب [٢٥٣/و] رجلٌ على باب داره: (جَزى الله مَن لا يعرفنا) [3] ولا

---

(١) سقطت كلمة تعالى من نسخة الأصل م .

(٢) ابن السماك: أبو العباس محمد بن صبيح المذكر مولى بني عجل، المعروف بابن السماك القاص الكوفي الزاهد المشهور؛ كان زاهداً عابداً حسن الكلام صاحب مواعظ، جمع كلامه وحفظ،ولقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم: مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما. وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة رحمه الله تعالى"، وفيات الأعيان لابن خلكان بتحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت ٤ – ط ، ١٩٧١ ٣٠١/٤ وسير أعلام النبلاء، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد، مؤسسة الرسالة ، بيروت ٣٢٨/١٩٩٣٨ .

(٣) ما بين الرقمين جاء في رواية عن الجاحظ في شرح مقامات الحريري للشريشي ٢٣٩/٢ .

نعرفه خيراً، فأما أصدقاؤُنا خاصةً[١] فلا جرم فإنَّا لم نُؤْتَ قطُّ إلا منهم.

قال موسى بن فضل الشيباني: كان صياد العصافير في يوم ريح قال[٢]، فجعلت الرياح تدخل في عينيه فَتَذْرفان، فكلما صاد عصفورًا كسَرَ جناحيه[٣] ألقاه في ناموسه[٤]، فقال عصفور لأخيه: ما أرقَّهُ علينا[٥]!! ألا ترى إلي دموع عينيه؟ ! فقال له الآخر: لا تنظر إلي دموع عينيه، ولكن انظر إلى يديه.

قال أبو حاتم: المعاداةُ بعد الخُلّةِ[٦] فاحشة عظيمة ، لا يليق بالعاقل ارتكابها، فإن دفعه الوقت إلى ركوبها ترك للصلح موضعا .

ولأبي الأسود الدؤلي[٧] شعر :

وَأَحْبِبْ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا ... فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِى مَتَى أَنْتَ نازِعُ[٨]

وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُجَانِبٍ ... فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِى مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ

وَكُنْ مَعْدِنًا لِلْحِلمِ وَاصْفَحْ عَنِ ٱلأَذَى ... فَإِنَّكَ رَاءٍ مَا عَمِلْتَ وَسَامِعُ[٩]

(١) في المخطوطات : "فأما صداونا الخاصة" [كذا] ، وقد صححته بالصورة الموجودة، وأرجو أن أكون قد وفقت.

(٢) قال : استراح في القيلولة .

(٣) في النسختين د ، ك : "جناحه" .

(٤) جاء في اللسان في [نمس] : والناموس ما يُنّمس به الرجل من الاحتيال ، والناموس : المكر والخداع ... والناموس : قُتْرَةُ الصائد التي يكمن فيها للصيد ، . . . ويقال للشَّرَك ناموس لأنه يوارَى تحت الأرض ، ... والناموس مكمن الصياد فشبه به موضع الأسد ، والناموس وعاء العلم . . ." .

(٥) في نسخة الأصل م : "عليا" ، وهو خطأ من الناسخ .

(٦) في النسختين د ، ك : "المغاداة بعد دموع الخلة" .

(٧) ظالم بن عمرو بن سفيان . . . من كنانة وكنيته التي اشتهر بها أبو الأسود الدؤلي ، كان رجل البصرة ، وكان علوي الرأي ، وكان مأمونا عالما ، وهو أول من أسس العربية . ت٩٩هـ طبقات ابن سلام ١٢/١ ، والشعر والشعراء ٧٢٩/٢ ، والأغاني ٢٩٧/١٢ ، وسير أعلام النبلاء ٨١/٤

(٨) ديوان أبو الأسود الدؤلي ١٠٤ ، ٢٥٦ ، وهي من الطويل .

(٩) في المخطوطات : "فإنك رائي . . ." ، والتصحيح من الديوان .

ولغيره[١] :

إِذَا أَنْـتَ عَادَيْـتَ امْـرَءًا بَعْـدَ خُلَّـةٍ. فَـدَعْ فِي غَـدٍ لِلْعَـوْدِ وَالصُّـلحِ مَوْضِـعَا

فَإِنَّـكَ إِنْ نَابَـذْتَ مَـنْ زَلّ زَلّـةً ظَلِلْـتَ وَحِيـدًا لَمْ تَجِـدْ لَـكَ مَفْزَعَـا[٢]

قال عبد الله بن الحسن لابنه محمد: إياك ومعاداة[٣] الرجال؛ فإنها لا تعديك[٤] مكر حليم ، أو مبادرة جاهل . قال أبو حاتم : وإن من أعظم الأعوان على الأعداء تعاهد المرء ولده وعياله وخَدَمه ، وتوقيه إياهم غَمَّ المعايب والزَّلاَّت .

وقد روى أن سليمان بن داود عليهما السلام قال لابنه : إذا أردتَ أن تغيظ عدوك فلا ترفع عن ابنك العصا .

وقوله : حطامه[٥] ، قال في القاموس : [٢٥٣/ظ] الحَطْم : الكسر ، أو خاص باليابس ، وليس ذلك مُرادًا هنا ؛ لأن الناظم أطلقه على ما يجمع من المال مجازًا ، كما أراده الشاعر بقوله[٦] :

وَحُطَـامُ الْـوَرَى وَإِنْ جَـلَّ قَـدْرًا فَهْـوَ حَـالٌ عَمَّـا قَلِيْـلٍ يَحُـولُ

فَالسَّـعِيْدُ السَّـعِيْدُ مَـنْ صَـحِبِ النَّـا سَ وَوَلَّى وَالـذِّكْرُ عَنْـهُ جَمِيْـلُ

(١) البيت الأول جاء دون نسبة في المنتخل ٧٧٥/٢ ، وفى هامشه قيل : إنه لأبى بكر العرزمي في الدر الفريد ٢٩٧/١ ، وهما من الطويل .

(٢) في المخطوطات : ". . . من ذل ذلة" بالذال المعجمة فيهما ، وهو تحريف .

(٣) في المخطوطات : "ومعادات" .

(٤) في النسختين د ، ك : "تعد بك" .

(٥) في النسختين د ، ك رسمت هذه الكلمة هكذا : "حطم امه" .

(٦) لم أعثر على البيتين ، وهما من الخفيف .

قال الناظم[١] :

أَيْـــــنَ الْمَرَاكِــــــبُ وَالْمَـــــوَا كِــــبُ وَالْعَصَـــائِبُ وَالْعِمَامَـــهْ ؟

قوله : المراكب ، قال في المصباح[٢]: المركب واحدة المراكب[٣]: وهو ما يُركَب في البر والبحر، (والرَّكوب)[٤] والرَّكوبة – بفتح الراء فيهما –: ما يُركب. وقرأت عائشة (رضي الله عنها)[٥]: ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾[٦]، وارتكاب الذنوب إتيانها. ويقال: مَرّ بنا راكب إذا كان على بعير خاصة ، وإذا كان على حمار أو فرس قلت: مَرّ بنا فارسٌ ، كذا قال ابن السكيت كما في المختار[٧] ، وقال عمارة : راكب الحمار حمَّار لا فارس ، والرَّكْبُ : أصحاب الإبل في السفر دون الدواب ، وهم العشرة فما فوقها، والرُّكبان : الجماعة منهم ، والرُّكاب جَمْعُ راكب، مثل كفّار جمع كافر .

والأقرب أنه أراد بالمراكب هنا مراكب البحر ؛ لعطفه[٨] المواكب جمع مَوْكب ، وهو القوم ، والركوب على الإبل وجماعة الفرسان .

وأوَّلُ ما صنعت[٩] من المراكب سفينة سيدنا نوح (عليه السلام)، لما دعا على قومه،

(١) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٢) هذا في المصباح المنير مع تقديم وتأخير . وفى نسخة الأصل م : "قال في المصابيح" .

(٣) في المصباح المنير : "المركب واحد مراكب" .

(٤) ما بين القوسين زيادة من المصباح المنير يستقيم بها الأسلوب في قوله : "فيهما" ، والكلمة سقطت من النسختين د ، ك أيضا .

(٥) ما بين القوسين زيادة من المصباح المنير .

(٦) سورة يس، الآية: (٧٢).

(٧) مختار الصحاح(ركب)

(٨) في النسختين د ، ك : "وأكبر لعطف . . ." ولا معنى له .

(٩) الأسلوب فيه ركاكة ، والصواب أن يقال : وأول ما صنع لأن فاعل صنع ضمير يعود إلى لفظ ما الموصولة، وهو

وأمره الله باتخاذ السفينة، أخذ في علاجها، يُروى أنه استأجرَ أُجَرَاء ينحتون معه، وكلما مرَّ عليه مَلأٌ من قومه سَخِروا منه لمعالجته السفينة؛ لأنَّهم كانوا يَرونه يعمل السفينةَ مع أنَّه [٢٥٤/و] لم يكنْ بقُربه ماءٌ، وكان من لَدُن آدم (عليه السلام) إلى نوحٍ (عليه السلام) يَسْقُونَ من ماءٍ بلا بحرٍ ولا نهرٍ جَارٍ، فكانوا يقولون: انظروا إلى هذا الشيخ الضالِّ يصنع هذه السفينة، يخوفنا بالغَرق، ويجعل للماء إكافا[١]، فأين الماء؟ وكانوا يقولون في كلامهم : فرغتَ من أمر النبوة ، وأخذتَ في أمر النِّجَارة ، وكانوا يَرونه ينْجُرُ الخشبَ[٢]، وهى شِبْهُ البيتِ العظيمِ، فإذا سألوه عن ذلك قال[٣] : أعملُ سفينةً تجري في الماء، ولم يكنْ هناك ماءٌ، ولم يكنْ قبل ذلك سفينةٌ، وكانوا يتضاحكون، ويَعْجَبُونَ من عمله، فلما أراد الله إهلاكهم كما قال ابن عباس أوحى الله تعالى إليه أن موعدَكَ أن يخرجَ الماء من آخر مكان في دارك وهو تنُّورُ الجابرة[٤]، تنور آدم (✖)، كان يوم حج نوح (✖) رأى تنور آدم (✖) ، فحمله معه ، ووهبه الله تعالى له ، ثم قال له : إذا رأيتَ الماء قد فار منه فاحمل في السفينة ما أُمرتَ به من أجناس الحيوان ، كما يشير إليه قوله تعالى[٥]: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[٦]. قال العلاَّمة الحدادي: أي احمل من آمن معك أيضا في السفينة ، وقال ابن

صفة للفظ أول وهو مذكر.

(١) الإكاف والأكاف من المراكب : شبه الرحال والأقتاب . اللسان في [وكف] .

(٢) الصواب أن يقال الخشبة، ليصح عود "هي" عليها وهو الأولى بالسياق.

(٣) في نسخة الأصل م : "قالوا" ، وهو خطأ من الناسخ .

(٤) لم أقف على معنى "الجابرة" ولعلها صفة لامرأة نوح، وربما كانت :" الخابزة" إذ التنور هو الكانون الذي يخبز فيه، فيكون – إذا صح هذا التوجيه– هنا تصحيف.

(٥) في المخطوطات : "فاحمل فيها . . ." وهو خطأ ، والتصحيح من المصحف الشريف ، وفى نسخة الأصل م : "إلا من سبق عليه القول منهم . . ."بزيادة "منهم" .

(٦) سورة هود، الآية: (٤٠).

عباس وعكرمة والزهري : معنى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾[1] أي طلع الفجر ، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾[2] أي عذابنا ، وقوله تعالى: ﴿ مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾[3] الذكر زَوْجٌ والأنثى زوج، وهو [٢٥٤/ظ] قول الحَسَن ومُجاهد وقَتَادة، قالوا: ذَكَرًا وأنثى ، فلما فار الماء من التنور أرسلَ الله السماء بمطر شديد ، فأقبلت الوحش حين[4] أصابها مطر السماء إلى نوح ، وسُخرت[5] فحمل في السفينة من كل طَيْر زَوْجَيْن، ومن كل وحش زوجين ومن كل بهيمة ودابة زوجين، ومن كل سَبُع زوجين، وحمل من البقر والغنم خمسة أزواج ، وبعث الله جبريل فقطع فِقار العقرب، وضَرب فم الحيّة ، فحملهما في السفينة ، فكانت السماء تمطر، وكان هو عند قومه يحذرهم ، ثم حذرهم حتى ابتلّت أقدامهم، وصار الماء إلى الكعبين، ثم حذرهم حتى صار الماء إلى نصف الساق ، ثم حذرهم حتى صار الماء إلى الرُّكب، وكل ذلك وهو يحذرهم وينذرهم، وكان يَنُوح ويبكي عليهم، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) سمي نُوحًا لأنه كان يَنُوح على الإسلام حيث لم يُقِرّ به قومُه ، فلما بلغ الماء النُّدُوَّة[6] قال : غَرق قومي ، ثم قال لابنه كَنْعَان: ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[7].

فكثر الماء حتى صار فوق الجبال خمسةَ عشرَ ذراعاً بالذِّراعِ الأوَّلِ ، وكان للسفينة ثلاثةُ

---

(١) سورة هود، الآية: (٤٠).

(٢) سورة هود، الآية: (٤٠).

(٣) سورة هود، الآية: (٤٠).

(٤) في نسخة الأصل م كتبت كلمة "حين" هكذا : "حيت" ، وفى النسختين د ، ك كتبت هكذا : "حتى" ، وصححتها بما يناسب السياق .

(٥) في النسختين د ، ك : "وسخرته" .

(٦) النُّدُوَّة : مصدر أندى ، وهو النَّدى من المطر . اللسان في [ندى] بتصرف .

(٧) سورة هود، الآية: (٤٢).

أبوابٍ[١] ، بعضُها أسفلَ بعضٍ[٢] ، في البابِ الأسفلِ السِّباعُ والهَوامُّ ، وفى البابِ الأوسطِ الوحشُ والبهائمُ، وفي البابِ الأعْلى بنو آدمَ ، وكانوا ثمانين إنساناً، أربعين رجلاً، وأربعين امرأةً، وفيهم سَامُ، وحَامُ[٣]، ويافثُ، ونساؤهم، وفيهم الخَضِرُ، وهو ابن بنت [٢٥٥/و] نوح.

واختلفوا في مقدار السفينة، قال الحسن : كان طولها ألفًا ومائتي ذراعٍ ، وعرضها ستمائة ذراعٍ، وقال ابن عباس: كان طولها ثلاثمائةَ ذراعٍ، وعرضُها خمسين ذراعاً، وارتفاعها ثلاثين، وهو قول قَتَادة ، قال : وكان لها بابان في عرضها، وقوله تعالى: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾[٤] أي واحمل أهلك ، يعنى ولده وعياله ، إلاَ من سبق عليه القول ، يعني امرأتَه وأهلَه وابنَه كنعانَ، ﴿ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾[٥] أي واحْمِلْ من آمَنَ.

ومِمَّا قِيل في السفينةِ لبعضِ البغداديين. شعر[٦] :

فَكَأَنَّهَا وَالْمَاءُ يَلْطِمُ وَجْهَهَا ... وَالْخَيْزُرَانَةُ فِي يَدِ الْمَلاَّحِ

جُونٌ مِنَ الْعِقْيَانِ تَبْتَدِرُ الدُّجَى ... يَهْوِي بصَوْتٍ وَاصْطِفَاقِ جَنَاحِ

ولابن رشيد[٧] الأندلسي شعر[٨]:

---

(١) في النسختين د ، ك : "ثلاثة أثواب" .

(٢) سقطت من النسختين د ، ك . كلمة "بعض" .

(٣) في نسخة الأصل م : "ونوح" مكان وحام" .

(٤) سورة هود، الآية: (٤٠).

(٥) سورة هود، الآية: (٤٠).

(٦) الشعر لأبي نواس ، في الأغاني، وهو من الكامل قاله في غلام يقال له: رحمة بن نجاح، وأوله:

يا من تأهب مزمعاً لرواح ... متيمماً بغداد غير ملاح

في بطن جارية كفتك بسيرها ... رملاً وكل سباحة السباح

بنيت على قدر ولاءم بينها ... صنفان من قار ومن ألواح

(٧) لم أعثر له على ترجمة ، ولم أعثر على البيتين ، وهما من البسيط .

تَجْـــرِى فَلِلْمَـــاءِ سَـــاقَا عَـــائِمٍ دَرِبٍ وَلِلــــرِّيَاحِ جَنَاحَـــا طَـــائِرٍ حَـــذِرِ

قَـــدْ أَلِفَتْهَـــا يَـــدُ التَّقْـــدِيرِ بَيْنَهُمَـــا عِنْـــدَ الْمَسِـــيْرِ فَلَـــمْ تَسْـــبَحْ وَلَمَ تَطِـــرِ

وقال غيره(١):

أَمَــــرْتَنِي بِرُكُـــوبِ الْبَحْـــرِ مُفْـــتَرِيًا عَلَيْـكَ غَـيْرِيَ فَاخْصُصْـه بِـذَا الـرّاءِ(٢)

مَـــا أَنْـــتَ نُـــوحٌ فَتُنْجِيْـــنِي سَـــفِيْنَتُهُ وَلَسْـتُ مُوسـى أنا أَمْشِـي عَلَـى الْمَـاءِ

وقوله: والمَوَاكب جمع مَوْكِب، وهو الجماعة، رُكبانا(٣)، أو مُشاة، أو ركاب الإبل للزينة، وأوكب(٤): لزمه، والطائر تهيأ للطيران، أو ضرَب بجناحيه، وَوَاكَبهم: سايَرهم، أو بادَرهم، أو رَكِب معهم، والوَكْبُ(٥): الانتصاب والقيام، وبالتحريك: الوَسَخ، وسَواد التمر (إذا)(٦) نضج [٢٥٥/ظ] والوَكَّاب كَكَتّان(٧): الكثير(٨) الحزن، وشاعر هزلي، والواكبة(٩):

(٨) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د ، ك .

(١) لم أهتد إلى البيتين ، وهما من البسيط .

(٢) هكذا جاء الشطر الأول في المخطوطات ، ويبدو لي أن الأحسن : "أمرتني بركوب البحر مغتربا" ، وفى نسخة الأصل م : "بذي الرائي" وفى النسختين د ، ك : "بذي الراء" ، والمقصود "الرأي" .

(٣) في نسخة الأصل م : "ركبابا" ، وهو تصحيف .

(٤) في النسختين د ، ك : "وأوركب".

(٥) في النسختين د ، ك : "والموكب".

(٦) ما بين القوسين زيادة من القاموس يستقيم بها الأسلوب .

(٧) في نسخة الأصل م: "كالكتاب"، والتصحيح من القاموس.

(٨) في نسخة الأصل م : "الكبير" ، والتصحيح من القاموس.

(٩) في نسخة الأصل م : "والوكبة"، والتصحيح من القاموس.

القائمة)[1]، وناقة مواكبة: تساير الموكب، أو مُعْنِقٌ[2] في سيرها، كذا في القاموس.

(١) ما بين القوسين ساقط من النسختين د ، ك ، وفي نسخة الأصل م:"أنضج"، والتصحيح من القاموس.

(٢) في المخطوطات : "معتق"، والتصحيح من القاموس.

وبين المراكب والمواكب تجنيس التصريف ، وهو ما وقع الاختلاف في أنواع الحروف ، ويشترط أن لا يكون[١] بأكثر من حرف واحد، وأن لا يبعد التشابه، ويفقد التجانس، وهو قسمان: ما يكون التجانس بحرف واحد مقارب[٢] في المخرج، وما يكون بغيره، والأول يسمى المضارع، والثاني اللاحق، وكل منهما إما في الأول، أو الوسط، أو الآخر، ويكون من نوع أو من نوعين.

فالأول من المضارع نحو بيتي ومركبي، ليل وأمس، وطريق طامس، ومن اللاحق حديث الترمذي[٣]: "**أَسْفروا بالفَجْرِ، فإنَّهُ لأَعْظَم للأَجْر** "، وقوله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾[٤]، وحديث[٥]: "**الحمد لله الذي حسّن خَلْقِي وخُلُقي، وزَانَ منِّي ما شَانَ من غيري**"، والثاني من المضارع كحديث[٦]: "**نعوذُ باللهِ منْ طَمَعٍ يَهْدِي إلى طَبَعٍ**"، وقوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ ﴾[٧]، ومن اللاحق كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴾[٨]، وحديث الطَّبَراني[٩]: "**لولا رجال رُكَّع، وصبيانٌ رُضّع وبهائمُ**

(١) في نسخة الأصل م : "ويشترك أن يكون" بإسقاط "لا" واعتمدت ما في النسختين د،ك.

(٢) في المخطوطات: "مقارن"، والصحيح ما ذكرته.

(٣) جاء الحديث في مسند الإمام أحمد ٥١٤/٢٨ و ٥١٥ و ٥١٨ و ٤٣/٣٩ وفيه التخريج في الجميع .

(٤) سورة الهمزة، الآية: (١).

(٥) لم أعثر على هذا الحديث .

(٦) لم أعثر على هذا الحديث .

(٧) سورة الأنعام، الآية: (٢٦).

(٨) سورة العاديات، الآيتان: (٧، ٨).

(٩) في الفوائد المجموعة ٥٠٨ : ("لولا صبيان رضّع ، ومشايخ ركّع ، وبهائم رتّع ، لصببت عليكم العذاب صبا" ذكره في المختصر) ، وليس فيه زيادة عن هذا . وفى كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١٦٣/٢ : ("لولا عباد لله ركّع ، وصبيةَ رضّع ، وبهائم رتعّ ، لصب عليكم البلاء – وفى رواية العذاب – صبا" رواه الطيالسي والطبراني وابن منده وابن عدى وغيرهم عن أبى هريرة رفعه . . وقال الشريشي : روى بسند ضعيف : لولا شباب = =خشّع ، وبهائم

رُتَّع" ، وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾[1].

ومنه قول الناظم: المراكب والمواكب، والثالث من المضارع كحديث الصحيحين[2]: "**الخيْلُ معْقُودٌ في نواصِيهَا الخَيْر**"، ومن اللاحق نحو: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾[3]، [٢٥٦/و] وحديث الطبراني[4] : "**لن تفْنَى أُمَّتِي حتَّى يظْهَر فيها التَّمَايُسُ والتَّمَايُلُ**" ، وحديث الدَّيْلَمي[5] : "**أحَبُّ المُحبين إلى الله من نَصَب نفسه في طاعة الله، ونَصَح لأُمَّةِ محمَّد (ﷺ)**" ، وسمَّى قومٌ هذا النوعَ المطْمِعَ لأنه لما ابتدأ بالكلمة على وفق الحروف التي قبلها طُمع في أنها[6] يجانسها في مثلها جِناسًا مماثلا[7] .

وقوله : العصائب ، قال في المختار[8] : عَصَّبَ رأسه بالعِصَابة تعْصيباً ، والعُصْبة من الرِّجال ما بين العَشَرة إلى الأربعين، والعِصَابةُ – بالكسْر – الجَماعة من النَّاس والخَيْل والطَّير،

رتّع ، وشيوخ ركّع ، وأطفال رضّع لصب عليكم العذاب صبا . . .) وفيه كلام كثير بعد ذلك في روايات مختلفة .

(١) سورة غافر، الآية: (٧٥).

(٢) جاء الحديث في مسند الإمام أحمد ٢٣٣/٨ و١١٧/٩ و٥١/١٠ و٨/١٣ و٤٤٤/١٧ و١٠٤/٢٣ و١٦٥/٢٨ و١٦٦ و١٠٠/٣٢ وفى ١٠٤ جاء مرتين ، ١٠٥ و١٠٦ و١٠٨ و١٠٩ و١١١ وفيه تخريج واف في الجميع ، وجاء الحديث في سير أعلام النبلاء ١٩٢/٧ و٦١٦/١٢ و٤٤٧/١٤ و١٩١٧٧ مع تخريج بسيط في كل مرة.

(٣) سورة غافر، الآية: (٧٥).

(٤) لم أعثر على الحديث .

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني، الملقب : إلكي (٤٤٥-٥٠٩هـ) تحقيق السعيد بسيوني زغلول، ط، أولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م دار الكتب العلمية بيروت، ٣٦٦/١، رقم الحديث ١٤٧٦، وروايته: " أحَبُّ المحبين إلى الله من نَصَب نفسه في طاعة الله عز وجلّ، ونَصَح لأُمَّةِ محمَّد (ﷺ) وتفكر في عيوبه فأقصد وعقل وعمل" .

(٦) في نسخة الأصل م : "في أنها" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٧) كل ما قاله عن الجناس بتقسيماته موجود في كتب البلاغة ، وأهمها كتاب شروح التلخيص ٤١٢/٤-٤٣٣ .

(٨) مختار الصحاح في [عصب] .

ويوم عصيب أي شديد.

وقال في القاموس[١] العَصْب: الطيّ ، واللَّيّ، والشّدّ ، وضمُّ ما تفرق من الشجر، والعُصْبةُ – بالضم – من الرجال والخيل والطير ما بين العشرة إلى الأربعين ، واعتصبوا : صاروا عصبة، وعصبوا به كسمع وضرب: اجتمعوا، واعصوصبت الإبل جدّت في السير، والمعَصِّب كمحدِّث: الشر اشتد، ويوم عَصَبْصَب وعصيب: شديد الحرّ، والعِصابة – بالكسر – : ما عُصب به كالعصاب والعمامة، والمعصوب: الجائع جدا، والسيف اللطيف، وتعصّب: شدَّ العصابة[٢]، وأتى بالعصبية، وتقنع بالشيء ورضي به، كاعْتَصَبَ به، وعصّبه تعصيبا: جوّعه. انتهى.

وقوله : العِمامة – بالكسر– : المِغْفَر، والبَيْضَة، وما يُلقى على الرأس. كذا في القاموس . وفي المختار : العمامة مفرد العمائم ، وعممه[٣] تعميما : لبّسه العمامة ، وعُمِّم الرجلُ : سُوِّد ؛ لأن العمائم تيجان العرب .

ونُقل في الشَّمائل عن جابر (رضي الله عنه) قال : دخل النبي (ﷺ) مكة يوم الفتح ، وعليه عمامةٌ سوْداءُ . وعن ابن حُريث عن أبيه قال [٢٥٦/ظ] كان النبي (ﷺ) إذا اعتمَّ سَدَل عمامته بين كتفيه . وكان ابن عمر يفعل ذلك .

ونقل السيوطي أن أوَّلَ مَن لبس العمامة ذو القرنين، كما أخرجه الشيخ ابن حبان في كتاب "العَظَمة" ، وتقدم ذلك في قصته .

وأول ما لبس العباسيون العمائم السوداء ، أي بعد لبسه (ﷺ) ، وذلك حين قتل مروانُ إبراهيمَ بنَ محمد ، لما تنسّم منه دعوى الخلافة ، فلبسوها حزنا عليه ، فصار شعار

(١) القاموس المحيط في [عصب] .

(٢) في النسختين د ، ك : "شد العمامة" ، وما في نسخة الأصل م يوافق القاموس .

(٣) في المخطوطات : "وعمه" بميم واحدة ، والتصحيح من مختار الصحاح .

أهلهم(١) .

وأخرج ابن عَساكر عن يحيى بن حمزة قال : أول رجل رأيته يلبس السواد عبد الله ابن على بن عبد الله بن عباس ، عمّ السَّفَّاح أمير دمشق ، وأول من تشرف بالعلامة الخضراء الأشرف(٢) شعبان بن حسين سنة ثلاثة وسبعين وسبعمائة ، وقال في ذلك أبوعبدالله الأندلسيُّ الأعمى(٣) :

جَعَلُوا لِأَبْنَاءِ الرَّسُولِ عَلاَمَةً ... إِنْ الْعَلاَمَةَ شَأْنُ مَنْ لَمْ يُشْهَرِ(٤)

نُورُ النُّبُوَّةِ فِي وَسِيْمِ وُجُوهِهِمْ ... تُغْنِى الشَّرِيْفَ عَنِ الطِّرَازِ الْأَخْضَرِ(٥)

وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم بن بركة الدمشقي(٦) :

أَطْرَافُ تِيْجَانٍ أَتَتْ مِنْ سُنْدُسٍ ... خُضْرٍ بِأَعْلامٍ عَلَى الْأَشْرَافِ(٧)

وَالْأَشْرَفُ السُّلْطَانُ خَصَّهُمُ بِهَا ... شَرَفًا لِيَفْرِقَهُمْ عَنِ الْأَطْرَافِ(٨)

وأوَّلُ مَن لَبِس الطَّيْلَسانَ المقوّرَ من العرب في الإسلام جُبَيْر بن المطْعِمِ، وأوَّلُ من أمر

---

(٤) في النسختين د ، ك : "أهلهلم" [كذا] ، وهو خطأ من الناسخ .

(٢) في نسخة الأصل م : "الأشرف بن شعبان" وهو خطأ ، وما في النسختين د ، ك يوافق نفح الطيب ٣٣٧/٧ .

(٣) محمد بن أحمد بن على الهواري، وكنيته أبو عبد الله ، ويعرف بابن جابر، من أهل المرية، رجل كفيف البصر، مدل على الشعر ، رحل إلى المشرق ، وشمّر للعلم وطلبه . نفح الطيب ٢٠٣/٧ ، وفى حسن المحاضرة ٣٠٣/٢ جاء اسمه أبو عبد الله بن جابر الأندلسي الأعمى .

(٤) البيتان في نفح الطيب ٣٣٧/٧ ، وهما من الكامل .

(٥) في النسختين د ، ك : "في وسم" ، وفى نفح الطيب وحسن المحاضرة : "في كريم" .

(٦) جاء اسمه "شمس الدين الدمشقي" فقط في نفح الطيب ٣٣٧/٧ دون تعريف به .

(٧) البيتان في نفح الطيب ٣٣٧/٧ وحسن المحاضرة ٣٠٣/٢ ، وهما من الكامل .

(٨) في النسخة د ونفح الطيب : "ليفرقهم من" وما في النسخة م يوافق حسن المحاضرة ، وفى النسخة د : "خفتهم بها" مكان خصهم بها" ، وما في النسخة م يوافق نفح الطيب وحسن المحاضرة .

بتغْيير أهلِ الذمّةِ زيَّهم المتوكِّلُ. وقال ابن حَجْلةَ في كتاب "السكردان": في سنة تسعمائة[١] من الهجرة أُلبِس النَّصارى العمائمَ الزُّرقَ ، واليهود العمائم الَّصفر ، [٢٥٧/و] والسامرة العمائم الحمر ، وسبب ذلك أن مغربيا كان جالسا بباب القلعة عند بيبرس، فحضر بعضُ كتَّاب النصارى بعمامة بيضاء ، فقام له المغربي ، وتوهّم أنه مُسلم ، ثم ظهرَ له أنه نَصراني ، فدخل إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وفاوَضه في تغيير زيِّ أهل الذمة ليمتاز المسلمون عنهم ، ويَتَحَرَّزوا منهم ، فأجابه إلى ذلك . انتهى .

وقال الشهاب البراعي[٢] في ذلك :

لاَ تَعْجَبَنَّ مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُو ... دِ وَمَا عَرَاهُمْ مِنْ أَذىً وَهَوَانِ

مَا ذَاكَ إلاَّ أَنَّهُمْ لَمَّا طَغَوْا ... وَتَمَرَّدُوا فِي الزِّيِّ وَالْبُهْتَانِ

عَصَفَتْ بِهِمْ رِيْحُ الشَّرِيْعَةِ فَارْتَدَوْا ... لَمَّا اعْتَدَوْا ذُلاً مِنْ ٱلأَزْمَانِ

لَبِسُوا شِعَارَ شَنَاعَةٍ وَضَرَاعَةٍ ... وَتَمَيَّزُوا لِتَخَالُفِ ٱلأَدْيَانِ

أَمَّا الْيَهُودُ فَقُلْ عَلَيْهِمْ صُفْرَةٌ ... بِرُؤوسِهِمْ كَتَلَهُّبِ النِّيْرَانِ

وَكَذَا النَّصَارَى خِزْيُهُمْ أَبْدَاهُمْ ... زُرْقًا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

حَكَمٌ قَضَى فِيْهِمْ بِخِزْيٍ دَائِمَا ... وَالخِزْيُ مُقْتَرِنٌ مَعَ الْعِصْيَا

هَذَا لَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَإِنْـ ... ـهُمُ غَدًا فِي زُمْرَةِ الشَّيْطَانِ

وقال شمس الدين بن أحمد بن يوسف الطِّيْبيُّ[٣] في ذلك :

(١) في حسن المحاضرة ٢٩٨/٢ : "سنة سبعمائة" ، ويبدو أنه الصواب ، ولم تذكر فيه قصة المغربي .

(٢) لم أعرفه ، ولم أعثر على الأبيات ، وفى النسختين د ، ك : "اليراعى" ، وهي من الكامل .

تَعَجَّبُــوا لِلنَّصَــارَى وَالْيَهُــودِ مَعًــا وَالسَّــامِرِيْنَ لِمَــا قَــدْ عُمِّمُــوا الْخِرَقَــا[1]

كَأَنَّمَـــا بَاتَ بِالْأَصْـــبَاغِ مُنْـــتَهِلاً نَسْـرُ السَّـمَاءِ فَأَصْـبَحَ فَوْقَهَـا زَرِقَـا[2]

وقال علاء الدين على بن مظفر الكندي الوادعيّ[3] :

لَقَــدْ أُلْــزِمَ الْكُفَّــارُ شَاشَــاتِ ذِلَّــةٍ تَزِيْــدُهُمُ مِــنْ لَعْنَــةِ الله تَشْوِيشَــا[4]

فَقُلْــتُ لَهُــمْ مَــا أَلْبَسُــكُمْ عَمَائِمًــا وَلَكِــنَّهُمْ قَــدْ أَلْــزَمُكُمْ بَرَاطِيْشَــا[5]

وقال آخر[6] :

غَـــيَّرُوا زِيَّهُـــمْ بِمَـــا غَـــيَّرُوهُ مِــنْ صِــفَاتِ النَّــبِيِّ رَبِّ الْمَكَــارِمْ

[٢٥٧/ظ] فَعَلَـيْهِمْ كَمَـا تَـرَوْنَ بَرَاطِيْـ ـــشُ وَلَكِنَّهَـــا تُسَـــمَّى عَمَـــائِمْ

وقال[7] :

---

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(١) البيتان في حسن المحاضرة ٢٩٨/٢ دون نسبة ، وهما من البسيط .

(٢) في نسخة الأصل م : "كأنما بالأصباغ" بإسقاط "بات" وهو سهو من الناسخ . وفي حسن المحاضرة (فَرَقًا)؛فكلمة(زرقا)لا معنى لها هنا ولعله تصحيف.

(٣)"علي بن المظفَّر بن إبراهيم بن عمر بن زيد، الأَديب البارع، المقرئ المحدِّث المنشئ، علاء الدين الكِندي الإسكندراني ثمَّ الدمشقي، المعروف بالوَادعي، كاتب ابن وَداعة. ولد سنة أربعين وست مائة تقريباً، وتوفِّي سنة ست عشرة وسبع مائة". الأعلام ٢٣/٥، ، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٣٥، والوافي بالوفيات للصفدي: ١٩٩/٢٢ – ٢١٣، وفيه كثير من شعره.

(٤) البيتان في حسن المحاضرة ٢٩٨/٢ بنسبتهما إلى العلاء الوادعي ، وهما من الطويل .

(٥) في نسخة الأصل م : "ولكنكم" ، وما في النسختين د ، ك يوافق حسن المحاضرة ، وفى حسن المحاضرة : "ولكنهم قد ألبسوكم . . ." .

(٦) لم أعثر على البيتين ، وسقطت كلمة "آخر" من النسختين د ، ك ، وهما من الخفيف .

لَقَــدْ لَبَّسُــوا أَهْــلَ الْكِتَــابَيْنِ ذِلَّــةً لِيَظْهَــرَ فِـيْهِمْ كُـلُّ مَـا كَـانَ كَامِنَـا

فَقُلْـتُ لَهُــمْ مَــا أَلْبَســؤُكُمْ عَمَائِمًــا وَلَكِـــنَّهُمْ قَـــدْ أَلْبَسُـــوكُمْ لَعَائِنَـــا

قيل : إن أول مَنْ وضع العمائم الكبار للعلماء الإمام أبو يوسف، وذلك أنه كان يجلسُ عنْدهُ في الّدرسِ رجلٌ عظيمُ الهَيْبَةِ، حسنُ الزِيّ فكان الإمامُ يجلُّه، ويتأدَّبُ معه لِمَا يَرَى من هيْئَتِهِ[١]، فيظنُّهُ من أهلِ العِلْمِ، فمَكَثَ علَى ذلك مُدَّةَ سنةٍ، وهو لا يتكلَّم بشيْءٍ مع الإمام، وبعد السنة كان الإمام يقرّرُ في الصوم فقال: يُباح الإفطار بغروب الشمس، فقال ذلك الرجل: فإن لم تغرب الشمس، فقال الإمام: آن لي أن أَمُدَّ رِجْلي، وكان قاعدًا على رُكبه، وشرع بأن يكون للعلماء زي يخصّهم، فكُبِّرت العمامة لهم، ووسعوا الكُمّ؛ ليمتاز العالم من الجاهل. وفى زماننا هذا ليس في ذلك فرق؛ لِمَا أَنَّهُ غلَبَ الجَهْلُ، وتَغَيّرَ الحَالُ، قال بعضُهُم[٢]:

إِنْ رُمْــتَ تُــدْعَى حَــبْرًا فَقِيْهَــا فَكَــبِّرِ الْكُــمَّ وَالــرَّأْسَ عَمِّــمْ

وَاجْلِــسْ مَــعَ الْقَــوْمِ فِي جِــدَالٍ لاَ بِالْبُخَــارِي وَلاَ بِمُسْــلِمْ

إِلاَّ بِصَــفْقٍ وَرَفْــعِ كَــمٍّ وَقَــوْل لاَ لاَ، وَلاَ أسَــلِّمْ

---

(٧) لم أهتد إلى البيتين ، وهما من الطويل .

(١) في النسخة د : "هيبته" .

(٢) لم أعثر على الأبيات، وهى مختلطة الأوزان ,ولابد أن فيها خطأ.

وقال آخر[١] :

وَقَائِلَـــــةٍ لَمَّـــــا رَأَتْـــــهُ مُكَـــــبِّرًا عِمَامَتَـــهُ هَـــذَا فَقِيْـــهٌ بِـــلاَ شَـــكِّ

فَقُلْـــتُ لَهَـــا لَمْ يَـــدْرِ فِقْهًـــا وَإِنَّمَـــا يُكَبِّرُهَـــا كَيْمَـــا تَقِيْـــهِ مِـــنَ الشَّـــكِّ

وقال آخر[٢] :

مَـــا لِلْعِمَامَـــةِ فِي الْفَضِـــيْلَةِ مَـــدْخَلٌ سِـــــيَّانِ لُـــــبْسُ عِمَامَـــــةٍ وَإِزَارِ

إِنِّيَ لأَرْحَـــم حَاسِـــدِيَّ لِفَـــرْطِ مَـــا ضَـــمَّتْ صُـــدُورُهُمُ مِـــنَ الأَدْغَـــالِ

[٢٥٨/و] وقال آخر[٣] :

زَمَانُنَـــا مِثْلُنَـــا لَمْ يُبْـــقَ مُنْتَظِـــرٌ إِلاَّ ثِيَـــابٌ وَأَكْمَـــامٌ وَهَيْبَـــاتُ

يَكَـــوِّرُونَ عَلَـــى الْهَامَـــاتِ مِـــنْ حُمُـــقٍ عَمَائِمًـــا تَحْتَهَـــا لِلْجَهْـــلِ حَشْـــوَاتُ

وقد قيل[٤] : المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه ، لا تحت طيلسانه ، والمرءُ[٥] بأصغريه قلبه ولسانه ، لا بعمامته وطيلسانه .

وقيل[٦] : لا تغرَّنَّكم الصور ، فدعوا الصُّوَر ، واسألوا عن الخبر ، فرب صورة خالفت

(١) لم أعثر على البيتين ، وهما من الطويل .

(٢) لم أعثر على البيتين ، وهما من الكامل .

(٣) لم أهتد إلى البيتين ، وهما من البسيط .

(٤) "المرء مخبوء تحت لسانه" جاء دون نسبة في بهجة المجالس ١/٥٥ ، ويواقيت المواقيت ١٢٥ وفيه تخريجه .

(٥) "المرء بأصغريه قلبه ولسانه" إن نطق نطق ببيان ، وإن قاتل قاتل بجنان" جاء في يواقيت المواقيت ١٢٥وفيه تخريج واسع .

(٦) لم أعثر على هذا القول .

المخبر .

وقيل شعر(١) :

لاَ يُعْجِبَنَّـــكَ أَثْـــوَابٌ عَلَـــى أَحَـــدٍ دَعْ عَنْـــكَ أَثْوَابَـــهُ وَانْظُـــرْ إِلَى ٱلأَدَبِ

فَـــالْعُودُ لَـــوْ لَمْ تَفُـــحْ مِنْـــهُ رَوَائِحُـــهُ لَمْ تُفَـرِّقِ النَّـاسُ بَـيْنَ الْعُـودِ وَالْحَطَـبِ

وقال الحريري(٢) :

وَمِـــنَ الْغَبَـــاوَةِ أَنْ تُعَظِّـــمَ جَـــاهِلاً لِصِـــقَالِ قُلَّبِـــهِ وَرَوْنَـــقِ رَقْشِـــهِ(٣)

أَوْ أَنْ تُهِـــيْنَ مُهَـــذَّبًا في نَفْسِـــهِ لِـــدُرُوسِ بِزَّتِـــهِ وَرَثَـــةِ فَرْشِـــهِ

وَلَكَـــمْ أَخَـــا طِمْـــرَيْنِ هِيْـــبَ لِفَضْـــلِهِ وَمُفَـــوَّفَ الْـــبُرْدَيْنِ عِيْـــبَ لِفُحْشِـــهِ

مَـــا إِنْ يَضُـــرُّ الْعَضْـــبَ كَـــوْنُ قِرَابِـــهِ خَلَقًـــا وَلاَ الْبَـــازِيَ حَقَـــارَةُ عَيْشِـــهِ

وكان المبرد(٤) كثيرا ما ينشد في مجلسه شعر(٥) :

---

(١) لم أعثر على البيتين ، وهما من البسيط .

(٢) الأبيات في مقامات الحريري، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م، ص ١٨٩ في المقامة الفراتية، موافقة لما في النص، والحريري هو: "القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحريري، وكنيته أبو محمد، وُلد بقرية المشان من عمل البصرة، وسكن في محلة بني حرام، كان غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة، وهو صاحب المقامات المشهورة، وكان قذرا في نفسه وصورته ولبسه وهيئته، وكان قصيرا دميما بخيلا، مبتلى بنتف لحيته. ت ٥١٦هـ وفيات الأعيان ٦٣/٤، معجم الأدباء٢٢٠٢/٥ [تحقيق إحسان عباس]، وسير أعلام النبلاء٤٦٠/١٩ وفيه مصادر كثيرة لترجمته.

(٣) الأبيات في مقامات الحريري(المقامة الفراتية)ص١٨٩،موافقة لما في النص، وفي المخطوطات: "لسقال ملبسه" ، ولا معنى له ، وصححته بما هو موجود ، وهي من الكامل .

(٤) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي ، وكنيته أبو العباس ، ويعرف بالمبرد ، وكان حسن المحاضرة مليح الأخبار. ت

يَا مَــنْ تَكَــيَّسَ أَثْــوَابًا يَتِيْــهُ بِهَــا ... تِيْــهَ الْمُلُــوكِ عَلَــى بَعْــضِ الْمَسَــاكِيْنِ

مَــا غَــيَّرَ الجُــلُّ اَخْــلاَقَ الحَمِــيْرِ وَلاَ ... نَقْــشُ الْــبَرَادِعِ أَخْــلاَقَ الْــبَرَاذِيْنِ

قال الناظم(١) :

أَيْـــنَ الْعَسَـــاكِرُ والدَّسَـــا ... كِـــرُ وَالنَّـــدَامَى فِي المُدَامَـــهْ

العساكر جمع عَسْكر ، وهو كما في القاموس : الجمع والكثير من كل شيء، ومن الليل ظُلمته، والقوم(٢) تجمعوا، أو وقعوا في شدة، والموضع معسكَر بفتح الكاف، وعَسْكَرٌ مَحَلَّةٌ بِنَيْسَابور، ومَحَلّةٌ بمصر، منها محمدُ بنُ عليٍّ، والحسن بن رشيق العسكريَّان(٣)، واسم سُرَّ من رأى [٢٥٨/ظ] وعسكر وعساكر اسمان .

والدَّساكر جمع دسْكَرةٍ: وهى كما في القاموس: القرية والصومعة، والأرض المستوية،

---

٢٨٥ أو ٢٨٦هـ ترجمته وأخباره في تاريخ بغداد ٣٨٠/٣ ، ومعجم الأدباء ١١١/١٩ [طبعة فريد] ، وسير أعلام النبلاء ٥٧٦/١٣ .

(٥) لم أهتد إلى مكان الأبيات ، وهما من البسيط .

(١) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٢) الذي في القاموس : ". . . وعَسْكَرَ الليل تراكبت ظلمته ، والقومُ تجمّعُوا . . ." .

(٣) محمد بن علي بن إسماعيل: مبرمان النحوي محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر العسكري مصنف شرح سيبويه ولم يتمه. لقبه المبرد مبرمان لكثرة سؤاله وملازمته له أفاد بالأهواز مدة... أخذ عنه الكبار مثل: السيرافي وأبي علي الفارسي وله كتاب العيون، وكتاب علل النحو، وشرح سيبويه، ولم يتم، وكتاب التلقين وشرح شواهد سيبويه كتاب المجاري لطيف كتاب صفة شكر المنعم. توفي سنة ست وعشرين وثلاث مائة.، الأعلام ٢٧٣/٦. والحافظ العسكري المصري الحسن بن رشيق: أبو محمدٍ العسكري، عسكر مصر المعدل الحافظ. روي عن النسائي وغيره، وكان محدث الديار المصرية في عصره. توفي في سنة سبعين وثلاثمائة. الأعلام للزركلي ٢/ ١٩٠. يراجع الوافي بالوفيات للصفدي.

وبيوت الأعاجم[١]، يكون فيها الشراب[٢] (والملاهي)[٣] أو بناء كالقصر حوله بيوت.

والنَّدَامى جمع نَدْمان، قال في المختار: نَادَمه على الشراب فهو نديمه ونَدْمانُه، وَجَمْع النديم نِدَام، وجمع النَّدْمان نَدَامَى، والمرأة ندمانة، والنسوة نَدَامَى أيضا، وقيل: المنادمة[٤] مقلوبة من المدَامنة[٥] ؛ لأنه يدمن شرب الشراب[٦] مع نديمه . قال في القاموس : نادمه منادمة (ونِدَاما)[٧] : جالسه على الشراب ، والنَّدْمُ[٨] : الكَيِّس الظريف ، يقال : خذ ما انْتَدَمَ أي ما تيسّر .

وقيل النَّدَامَى : الأصحاب يقال : فلان نديم فلان إذا شاربه ، وفلانة نديمة فلان ، ويقال أيضا إذا صاحَبه وحدّثه ، وإن[٩] لم يكونا على شَراب .

قال أبو جعفر : سُمي النديم نديما لندامه جذيمة[١٠] حين قتل[١١] مالكا وعقيلا ابني فالح الذين أتيا بعمرو[١٢] ابن أخته ، فسألاه أن يكونا[١٣] في سمره، فَوَجَدَ عليهما ، وقَتَلهما

---

(١) في المخطوطات : "الأعجام" ، والتصحيح من القاموس .

(٢) في النسختين د ، ك : "الشريف" مكان "الشراب" ، وما في نسخة الأصل م يوافق القاموس .

(٣) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٤) في نسخة الأصل م : "المنامة" بإسقاط الدال المهملة ، وهو خطأ من الناسخ .

(٥) في نسخة الأصل م : "النادمة" ، وفى النسختين د ، ك : "المنادمة" وهو خطأ فيهما ، والتصحيح من المختار .

(٦) في نسخة الأصل م : "الخمر" مكان "الشراب" ، وما في النسختين د ، ك يوافق المختار .

(٧) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٨) في المخطوطات : "والنديم" ، والتصحيح من القاموس ، وتاج العروس .

(٩) في نسخة الأصل م : "فإن لم . . ." ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك لصحة الأسلوب .

(١٠) جاء حكاية جذيمة مع مالك وعقيل في المعارف ٦١٨ في ترجمة عدى بن زيد ، ٦٤٥ و ٦٤٦ في الحديث عن جذيمة الأبرش .

(١١) في نسخة الأصل م : "حين قيل قتل" [كذا] ، وهو خطأ من الناسخ .

(١٢) في نسخة الأصل م : "بعمر" بإسقاط الواو ، وهو سهو من الناسخ .

(١٣) في نسخة الأصل م : "أن يكون" بالإفراد ، وهو خطأ ، وفى النسختين د ، ك : "في أن لا يكون" ، وهو خطأ

، ثم ندم ، فسُمي كل شارب[1] نديما .

وقيل من الندم ندمان ونَدْمَى ، وقيل : الأصل فيهما واحد ؛ لأنه إنما قيل للمتواصلين نَدَامَى؛ لأنهم يجتمعون على ما يندمون عليه من إتلاف المال وجمعه ندام وندامى وندمانون ، وهذا كله من المنادمة ، لا من النَّدَم .

وهذه أرجوزة :

إنْ رُمْتَ جَمْعًا لِلنَّدِيمِ يَا فَتَى خُذْ ذَاكَ مِنِّي وَاسْمَعِ النِّظَامَا

هِيَ النَّدَامَى ثُمَّ نَدْمَانُونَ لاَ تَنْسَ وَقُلْ بُعَيْدَ ذَا النَّدَامَى

قُلْتُ: وَأَيْضًا نُدَمَا وَهْوَ بِهَا آخاك يَا مَنْ قَدْ غَدَا إِمَامَا

[٢٥٩/و] وكانت الخلفاء المتقدمون من بنى العباس والأمويين أحب شيء إليهم مجالسة النديم ، حُكى عن الرشيد أنه قال للفَضْل بن الربيع : مَن بالباب من الندماء ؟ فقال: جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بني أمية، وأمير المؤمنين يشتهى سماعه، قال:فأْذَن له وحده،فأذِن له، ودخَل، فقال:هاتِ ياهاشم, فَغَنّاه من شعر جَميل[2]:

إِذَا مَا تَرَاجَعْنَا الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْ بُثَيْنَةَ بِالْكُحْلِ [3]

في السياق ، وصححته بما هو موجود ، وأرجو أن أكون قد وفقت .

(١) في النسختين د ، ك : "شاربا" بالنصب ، وهو خطأ .

(٢) جميل بن عبد الله بن معمر – أو جميل بن معمر بن عبد الله – عرف باسم جميل بثينة ، كان شاعرا فصيحا مقدما، وكان راوية هدبة بن خشرم ، فقد جمع الشعر والرواية . ت ٨٢هـ . ترجمته وأخباره في طبقات ابن سلام ٦٦٩/٢ ، والشعر والشعراء ٤٣٤/١ ، والأغاني ٩٠/٨ ، ووفيات الأعيان ٣٦٦/١ ، ومسائل الانتقاد ١٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٨١/٤ .

(٣) ديوان جميل ١٧٥ و ١٧٦ ، وهي من الطويل .

فَيَا وَيْحَ نَفْسِي حَسْبُ نَفْسِي الَّذِي بِهَا وَيَا وَيْحَ عَقْلِي مَا أُصِيْبَ بِهِ أهْلِي[(١)]

خَلِيْلَيَّ فِيْمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيْلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ مِثْلِي ؟![(٢)]

قال : فطرب الرشيد طربًا شديدًا وقال: أحسنت، لله درُّك، ثم قلّده عِقْدًا نَفيسا، فلما رآه هاشم تَرَقْرَقَت[(٣)] عيناه بالدموع ، فقال له الرشيد : وما يبكيك يا هاشم ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن لهذا العقد حديثا عجيبا ، إن أَذِن لي أمير المؤمنين حَدّثته به ، قال : قد أذنتُ لك ، قال : يا أمير المؤمنين ، قَدِمْتُ يومًا على الوليد ، وهو في بُحيرة طَبَرية ، ومعه قَيْنَتان لم يُر مثلهما جمالا وحُسنا، فلما وقعت عيناه عليّ قال: هذا أعرابي قد ظَهر في البوادي، أدعو به ننجز خبره، فدعاني فصرتُ إليه ، ولم يعرفني ، فغَنّت إحدى الجاريتين بصوتٍ هو لي فأخطأت فيه، فقلتُ لها: أخطأتِ يا جارية، فضحكت ثم قالت: يا أمير المؤمنين، ألم تسمع ما يقول هذا الأعرابي؟ يعيب علينا غناءنا! فنظرَ إليّ كالمُنْكِر، فقلتُ ياأمير المؤمنين، أنا أُبيّن لك، فلتُصْلِح وَتَرَ كذا، ووَتَرَ كذا ففعلتْ، وغنّتِ الصوتَ، فقامت الجارية [٢٥٩/ظ] منكبَّةً عليَّ وقالت أستاذي هاشم ورب الكعبة، فقال الوليد لهاشم بن سليمان: أنتَ؟ قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين، وكشفتُ عن وجهي، وأقمتُ معه بقية يومنا، فأمرَ لي بثلاثين ألف درهم، فقالت الجارية: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في بِرِّ أستاذي؟ فقال: ذلك إليك، فحلَّتْ يا أمير المؤمنين هذا العقد من عُنقها، ووضعته في عُنقي، ثم قرّبُوا إليه السفينة ليرجع إلى موضعه، فركب في السفينة، وطلعتْ معه إحدى الجاريتين، واتبعتها صاحبتها، فأرادت أن ترفع رِجلها وتطلع السفينة؛ فسقطت في الماء؛ فغرقت لوقتها، وطُلبت فلم يُقْدَر عليها، فاشتَدَّ جزع الوليد عليها، وبكى بكاءً شديداً، وبكيتُ لبكائه، فقال لي: ياهاشم، ما نرجع عليك فيما

(١) في المخطوطات : "فيا ويح نفسي حب . . ." [كذا] ، والتصحيح من الديوان .

(٢) في ديوان جميل : ". . . من حب قاتله قبلي" ، وهي رواية .

(٣) في المخطوطات : "ترفرفت" بالفاء ، ولا معنى له ، وهو تصحيف من النسّاخ .

وهبناك، ولكن إن يكن هذا العقد عندنا نذكرها به، فتبيعني[1] إياه، ثم عَوَّضني ثلاثين ألف درهم، فلما وهَبني أمير المؤمنين العقد تذكرتُ قصته، وهذا سِرُّ بكائي، فقال الرشيد: لا تعجل، فإن الله كما وَرَّثني مكانهم ورَّثني أموالهم.

وقال عليُّ بنُ سليمانَ النَّوفَليُّ : غَنَّى حمادُ بن الأشقرِ عند الرشيد يوما فأنشد[2]:

إِذَا نَحْــنُ أَدْلَجْنَــا وَأَنْــتِ أَمَامَنَــا كَفَــى لِمَطَــايَانَا بِــرُؤيَاكِ هَــادِيَا

ذَكَرْتُــكِ بِالــدَّيْرَيْنِ يَوْمًــا فَأَشْــرَقَتْ بَنَــاتُ الْهَــوَى حَــتَّى بَلَغْــنَ التَّرَاقِيَــا[3]

إِذَا مَــا طَــوَاكِ الــدَّهْرُ يَا أُمَّ مَالِــكٍ فَشَــأْنُ الْمَنَــايَا الْقَاضِــيَاتِ وَشَــانِيَا[4]

قال : فطرب الرشيد طربا شديدا ، واستعاد منه مرارا [٢٦٠/و] ثم قال له: تَمَنَّ، قال: الهنيَّ والمريَّ، وهما ضَيْعتان عليهما أربعون ألف دينار في كل سنة، فأمر له بهما، فقيل: يا أمير المؤمنين، إن هاتين الضَّيْعتَين من جلالتهما لا يجب أن يُسمح بمثلهما ، قال الرشيد : لا سبيل إلى استرداد ما أعطيت ، ولكن احتالوا في شرائهما منه ، فساوموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة ألف دينار ، فرضي بذلك ، فقال الرشيد : ادفعوها له ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، في إخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعنٌ ، ولكن نقطعهما له ، فكان يوصل بخمسة آلاف حتى استوفاها .

---

(١) في المخطوطات : "فتبعني" .

(٢) الأبيات لعمر بن شأس في الحماسة البصرية ١١٠٢/٣ وفيه تخريج واسع ، وهي من الطويل .

(٣) في المخطوطات : "ذكرتك بالدارين منا فأشرقت" ، والتصحيح من الحماسة البصرية . الديزان : دير صليبا بدمشق ، وبجانبه دير للنساء ، وقيل : دير الوليد فثنى [من هامش الحماسة البصرية بتصرف] . وبنات الهوى : لواعج الحب وشدته . [من هامش الحماسة البصرية] .

(٤) في نسخة الأصل م : ". . . المنايا القاصيات" بالصاد المهملة ، وهو تصحيف .

ومن ذلك ما حَكَى إسحاق الموْصِلي[١] قال : كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء ، وكان يضع الألحان العجيبة، ويغنى بها شعره وشعر غيره، فقال يوما: يا أبا محمد، لقد فُقْتَ الخلق في كل شيء، فغنني[٢] شعراً أرتاحُ إليه، وأطربُ[٣] عليه يومي هذا، فغنيته شعراً[٤] :

مَـا كُنْـتُ أَعْلَـمُ مَـا فِي الْبَـيْنِ مِـنْ حُـرَقٍ   حَـتَّى تَنَـادَوْا بِأَنْ قَـدْ جِـيءَ بالسُّـفُنِ[٥]

قَامَـــتْ تُـــودِّعُنِي وَالـــدَّمْعُ يَغْلِبُهَـــا   فَجَمْجَمَـتْ بَعْـضَ مَـا قَالَـتْ وَلَمْ تَـبِنِ[٦]

مَالَـــتْ إِلَيّ وَضَـــمَّتْنِي لِتَرْشُـــفَنِي   كَمَـا يَمِيْـلُ نَسِـيمُ الـرِّيْحِ بِالْغُصُـنِ

وَأَعْرَضَـــتْ ثُمَّ قَالَـــتْ وَهْـــيَ بَاكِيَـــةٌ   يَا لَيْـــتَ مَعْـــرِفَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَكُـــنِ

قال: فخلع عليّ خِلعةً كانت عليه، وأمر لي بمائة ألف درهم.

ومن المشاهير في المنادمة إبراهيم النديم الموْصِلي[٧] ، فإنه لم يكن في زمانه مثله في

(١) إسحاق بن إبراهيم بن ميمون – أو ما هان– الموصلي ، وكنيته أبو محمد ، وكان الرشيد يكنيه أبا صفوان ، ويعرف بابن النديم ، كان من العلماء باللغة والأشعار ، وكان الغناء أصغر علومه . ت ٢٣٥هـ ترجمته في الأغاني ٢٦٨/٥ ، وطبقات ابن المعتز ٣٥٩ ، وتاريخ بغداد ٣٣٨/٦ ومعجم الأدباء ٥٩٤/٢ [تحقيق إحسان عباس] وسير أعلام النبلاء ١١٨/١١ .

(٢) في المخطوطات : "فغنى" ، وصححته بالصورة الموجودة .

(٣) في المخطوطات : "واضطرب" ، وصححته بما يناسب الغرض .

(٤) سقطت كلمة "شعرا" من النسختين د ، ك .

(٥) الأبيات في الأغاني ٤١٢/٥ ، ومعجم الأدباء ٦١٠/٢ [تحقيق إحسان عباس] مع بعض اختلاف فيهما ، وهي من البسيط .

(٦) في المخطوطات : "فحجبت" مكان فجمجمت" ، والتصحيح من المصدرين المذكورين جمجم في الكلام : لم يبينه [من هامش الأغاني] .

(٧) إبراهيم بن ماهان بن بَهْمَن ، فارسي الأصل ، مولي بني حنظلة، وكنيته أبو إسحاق، برع في الأدب والشعر

الغناء، واختراع الألحان، سأله يوما المعتصمُ عن معرفة النغم كيف يميز بينها على تشابهها واختلافها، فقال: يا أمير المؤمنين، إن من الأشياء ما لا يحيط بها العلم، [٢٦٠/ظ] ولا تؤديه الصفة، وكان يقول: حَقُّ الصوت الحَسن أن يُردَّدَ أربع مرات، فالأولى بديهة، والثانية للتفهيم[١]، والثالثة للفرح، والرابعة للشبع، وكان إذا غَنَّى إبراهيم، وضَرب له منصور المعروف بِـ"زَلْزَل" اهتزّ لهما المجلس، وكان إبراهيم زَوْجَ أخت زلْزلْ.

قال إبراهيم[٢] النديم: ولما أردنا الانصراف ليلة عن المأمون التفت إلى إبراهيم بن المهدي[٣]، عمه فقال: بحقِّي عليك يا عم إلا ما صنعت أبياتاً، وصنعت عليها لحنًا، ثم قال لي مثل ذلك، وقال: بَكِّرَا عليَّ فقد اشتهيتُ الصَّبُوح غدا، فقال [أبو][٤] إسحاق: فقلت: والله لأكيدنّ إبراهيم، ولأسرقنّه، فلما صليتُ العشاء الآخرة ركبتُ وسرتُ إلى ساباط لإبراهيم كان له عليه مجلس يقعد فيه، فدعوتُ الحارس[٥] فأعطيته دينارا، وقلت له: لا تُعلم أحدًا بمكاني، وصَرَفتُ غلامي، وأمرته أن يأتيني بدابتي سَحَرًا، فلم ألبث أن جاء إبراهيم، فجلس في مجلسه ذلك، ودعا جواريه ، وجعل يلقنهنّ الشعر، وقد صاغ عليه اللحن، فهو يضرب بالعود، وأنا أضرب على فخذي إيقاع الصوت، حتى أخذته، وأَحْكَمتُه، فلما كان السحَرُ أتاني غلامي بدابتي، فصرتُ من فوري إلى باب المأمون، فقال لي أحمد بن هشام: بكّرت، ثم

والموسيقى، كان ندىَّ الصوت جدا، ماهر بالعود. ت ١٨٨هـ ترجمته وأخباره في الأغاني ١٥٤/٥، ووفيات الأعيان ٤٢/١ ، والبداية والنهاية ٦٦٦/١٣ وسير أعلام النبلاء ٧٩/٩ .

(١) في النسختين د ، ك : "للتفهم".

(٢) لم أعثر على هذه الحكاية ، ولكن هناك ما يشبهها في الأغاني ١٧٢/٥ في مجلس للرشيد .

(٣) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ، وكنيته أبو إسحاق ويعرف بالتنين لضخامته ولونه وهو أخو هارون الرشيد ، وكان فصيح اللسان ، جيد الشعر ، وكان سخيا وبارعا في الغناء ت٢٢٤هـ ، ترجمته وأخباره في الأغاني ٩٦/١٠ ، ووفيات الأعيان ٣٩/١ ، وأشعار أولاد الخلفاء ١٧ ، وسير أعلام النبلاء ٥٥٧/١٠ .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من عندي يتم بها القول ؛ لأن الحديث عن إبراهيم الموصلي أبي إسحاق ، وليس عن إسحاق .

(٥) في المخطوطات : "الحارث" وهو خطأ من النسّاخ ، وما ذكرته هو الصحيح إن شاء الله .

دخلَ فأعلمه، فأذِن لي، فدخلتُ على المأمون، فقال: أكلتَ؟ فقلت: لا، فدعا لي بالطعام، وقد كان أكل وشرب، فَغَنَّيْتُه شعرَ إبراهيمَ ولَحْنَه، وهو شعر[1]:

قَالَــتْ نَظَــرْتَ إِلَى غَــيْرِي فَقُلْــتُ لَهَــا ۞ وَمَـا تَـرَى الـدَّمْعَ مِـنْ عَيْـنَيَّ مَحْـدُورُ[2]

[٢٦١/و]نَفْسِــي فِــدَاكِ فَطَــرْفُ الْعَــيْنِ ۞ وَالْقَلْـبُ مِـنِّي عَلَيْـكِ الـدَّهْرَ مَقْصُـورُ[3]

اَلْعَــــيْنُ تَنْظُــــرُ أَحْيَـــانًا وَبَاطِنُــــهُ ۞ مِمَّــا يُقَاسِــي بِظَهْــرِ الْغَيْــبِ مَسْــتُورُ

فطرب المأمون عليه، وشرب، فما لبثنا ساعة حتى استؤذن لإبراهيم بن المهدي، فدخل، فدُعي له بالطعام، وسُقِيَ، ثم جلس فغَنَّى هذا الشعر في هذا اللحن، فقال المأمون: يا هذا أراك تسرق أشعار الناس وتَدّعيها لنفسك، واحمرَّت عيناه، وغضب غضبًا شديدًا، وكاد يسطو بإبراهيم، فقام إبراهيم على قدميه وقال: وقَرَابتك من رسول الله (ﷺ)، وبَيعتك في عنقي ما سبقني إليه أحد، فقال المأمون: هذا [أبو][4] إسحاق يغنيه، وقال: ياأبا إسحاق غَنِّهِ، فغنّيتُه، فبقي إبراهيم مبهوتاً لا يجد[5] جوابا، فلما رأيتُ المأمون على تلك الحالة فقلتُ[6] ياأميرَ المؤمنين، الشعر واللحن له، ولكن سَرَقَتْه منه اللصوص، وحدثتُه الحديث، فسكن حينئذ وقال: يا أحمد بن هشام، خذ من مال إبراهيم ثلاثين ألف درهم، وادفعها إلى [أبي] إسحاق، لتضْيِيعِ إبراهيمَ سرَّه، فغدوتُ على إبراهيم فقلت: أيها الأمير، اقْبَلْها مني،

(١) لم أعثر على الأبيات ، وهي من البسيط .

(٢) في المخطوطات : جاء الشطر الثاني على الصورة التي هو عليها ، وتصحيحه يكون هكذا : "أما يُرَى . . ." وفى النسخة د : " . . . عن عيني محذور"

(٣) في نسخة الأصل م : "فطرق العين . . ." واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من عندي يتم بها القول ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ، ويؤكد هذه الزيادة قوله بعد : "يا أبا إسحاق غَنّه" .

(٥) في النسختين د ، ك : "لا يحسن" .

(٦) الأحسن في رأيي "قلت" بدون الفاء ، والله أعلم .

واعتذرت إليه، فقال: لا أقبلُ منك ما جادَ به أمير المؤمنين، ولكن والله كدتَ أن تسفكَ[١] دمي يا أبا إسحاق، فلا تَعُدْ في المزْحِ إلى مثلها، فإن الملوك تعفو عن الكثير، وتقتل في اليسير.

وكان الرشيد يهوى جارية يقال لها بادرة، فغضب منها، ودام الغضب، فأمر جعفرُ البَرمكيُّ العباسَ بن [٢٦١/ظ] الأحْنَف أن يعملَ في ذلك شيئا، فعمل هذين البيتين شعر[٢]:

رَاجِــعْ أَحِبَّتَــكَ الَّــذِيْنَ هَجَــرْتَهُمْ ... إِنَّ الْمُتَــيَّمَ قَــلَّ مَــا يَتَجَنَّــبُ

إِنَّ التَّجَنُّــبَ إِنْ تَطَــاوَلَ مِنْكُمَــا ... دَبَّ السُّــلُوُّ لَــهُ فَعَــزَّ الْمَطْلَــبُ

وأمر إبراهيم الموصلي يغنِّي به الرشيدَ، فلما سمعه بَادَرَ إلى بادِرَةَ فَتَرَضَّاها، فسألتْ عن السبب في ذلك، فقيل لها، فأمرتْ لكل واحدٍ من العباس وإبراهيم بعشرة آلاف، وسألت الرشيد أن يكافئهما، فأمرَ لهما بأربعين ألفا[٣].

قال الواثق[٤]: ما غنّاني إسحاق الموصليُّ قط إلا خُيِّل لي أن يزيدَ في ملكي، وإن إسحاق لَنعمةٌ من نِعَمِ الْمُلْك التي لم يحظَ أحدٌ بمثلها، ولو أن العمر والنشاط مما يُشترى لشريتُه له بشطر مُلكي.

وجلس[٥] إسحاقُ الموصليُّ يوماً عند (إسحاق بن)[٦] إبراهيم بن مُصْعب للشراب،

---

(١) في المخطوطات : "يسفك" بالمثناة التحتية .

(٢) ديوان العباس بن الأحنف ٤٤ ضمن أربعة أبيات ، وهما من الكامل .

(٣) في المخطوطات : "ألف" بدون ألف في آخره ليدل على النصب ، وهو خطأ .

(٤) في الأغاني ٢٨٥/٥ و ٢٨٦ .

(٥) جاء هذا في الأغاني ٣٣٠/٥ ، والمختار من قطب السرور ٣١٣ .

فسقى الغِلْمانُ مَنْ حضر، وجاء غلام قبيحُ الوجهِ بقَدَحٍ إلى إسْحاقَ، فلم يأخذْه منه، فقال له (إسحاق بن)[1] إبراهيم: ألا تشرب؟ فقال[2]:

اِصْبَحْ نَدِيْمَكَ أَقْدَاحًا يَسُلْسِلُهَا ... مِنَ الشَّمُولِ وَأَتْبِعْهَا بِأَقْدَاحِ

مِنْ كَفِّ رِيْمٍ مَلِيحِ الدَّلِّ رِبْقَتُهُ ... بَعْدَ الْهُجُوعِ كَمِسْكٍ أَوْ كَتُفَّاحِ

لاَ تَشْرَبِ الرَّاحَ إِلاَّ مِنْ يَدَيْ رَشَإٍ ... تَقْبِيلُ رَاحَتِهِ أَشْهَى مِنَ الرَّاحِ

فقال : فدعا [إسحاق بن][3] إبراهيم بوصيفة تامة الحُسْن في زيِّ غلام، عليها أقبية ومِنْطَقَة، فسقته حتى سكر، ثم أمر بتوجيهها إليه بكل ما معها إلى داره.

وقال في كتاب الأغاني[4]: حُكي أن[5] إبراهيم قال: استأذنتُ الرشيد أن يَهَب لي يوما من الجمعة لا يبعثُ لي[6] فيه بوجه، لأخلوَ فيه بجواريَّ وإخواني[7]، فَأَذِن لي في يوم [٢٦٢/و] السبت، وقال لي هو يوم أستثقله، فَالْهُ فيه بما شئتَ، فلما كان من يوم السبت قعدتُ في منزلي، وتقدمتُ بإصلاح طعامي وشرابي، وأمرتُ بغلق أبوابي، وأمرتُ بوَّابِي أن لا يأذن لأحد عليَّ البتَّة، فبينما أنا في مجلسي، والحُرَم قد حَفُّوا بي، وجواريَّ يترددْنَ بين، إذا أنا

(٦) ما بين القوسين زيادة من الأغاني والمختار من قطب السرور يتم بها الاسم .

(١) ما بين القوسين زيادة يتم بها القول ، وفى المصدرين المذكورين : "فرآه إسحاق فقال له . . ."

(٢) الأبيات في المصدرين المذكورين ، وهي من البسيط .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من عندي اعتمادا على ما سبق ؛ وذلك ليتم القول .

(٤) جاء هذا في كتاب الأغاني ٢٣١/١٠-٢٣٥ .

(٥) في المخطوطات : "حكى ابن . . ." ، وهو خطأ ، وقد صوبته بما يتناسب مع السياق .

(٦) في النسختين د ، ك : "لا يبعث له . . ." ، وما في نسخة الأصل م يوافق الأغاني .

(٧) في المخطوطات : "وإخواتي" والتصحيح من الأغاني .

بشيخ ذي هَيبة وجمال، وعليه قمصان ناعمات، وعلى رأسه قلنسوةٌ لاطئة[١]، وبيده عكّاز مُقَمّعة بفضّة ، وروائح الطِّيب تفوح منه ، حتى ملأ[٢] البيت والدار ، فَدَاخَلني لدخوله عليَّ مع ما تقدمتُ[٣] به من غَلْق الباب غيظٌ ما دَاخَلَني قط مثله ، وهممتُ بطرد بوابي ومَن يحجبني لأجله، فسلّم عليَّ أحسن سلام، فرددتُ عليه، وأمرته بالجلوس، ثم مرّ في أحاديث الناس وأيام العرب وأشعارهم حتى سَلَّى[٤] ما كان بي من الغضب، وظننتُ أن غلماني تحرَّوْا مسرَّتي بإدخال مثله عليَّ لأدبه وظرفه ، فقلتُ له : هل لك في الطعام ؟ فقال: لا حاجة لي فيه ، فقلتُ : فهل لك في الشراب ؟ فقال : ذلك إليك ، فشربتُ رطلا، وسقيتُه مثله ، فقال : يا أبا إسحاق ، هل لك أن تغني لنا شيئا فنسمع من صنعتك ما تفرّدت به عند الملوك والخاص والعام، فغاظَني قوله، ثم سهّلتُ الأمر على نفسي فأخذتُ العود، وجسستُه ثم ضربتُ وغنيتُ، فقال: أحسنتَ يا إبراهيم، فازداد غيظي، وقلت: ما رضي بما فعله من دخوله عليّ بغير إذن، واقتراحه بأن أغنيَّهُ حتى سمّانيَ ولم يكنّني ولم يجمل مخاطبتي! ثم قال : هل لك أن تزيدنا؟ فتقدمتُ وأخذتُ [٢٦٢/ظ] العود (فغنيتُ)[٥] فقال: أجدتَ يا أبا إسحاق! ، فاتمم هَزَارَك[٦] حتى نكافئك ونغنّيك، فتحفظتُ وقمتُ بما غنيته إياه قياماً تاماً ما تحفّظتُ مثله، وما قمت بغناء كما قمتُ به بين يدَيْ خليفة قطُّ ولا غيره، لقوله: سأكافئك، فطرب وقال: أحسنتَ يا سيدي، ويا وثيق عددي، ثم قال: أتأذن لي في الغناء؟ فقلت:

---

(١) يقال : تقلس باللاطئة وهى قلنسوة صغيرة تلطأ (تلزق) بالرأس . [من هامش الأغاني] .

(٢) في نسخة الأصل م : "حتى ملات" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك لموافقته الأغاني .

(٣) في النسختين د ، ك : "مع ما تقدم من غلق" .

(٤) لعله ضمّن سَلّى معني أذهب وأزال ، على أنه لا يبعد أن يكون معناه "سَلَّ" . [من هامش الأغاني] .

(٥) ما بين القوسين من الأغاني يتم بها القول .

(٦) الأنشودة والمقطوعة . [من هامش الأغاني] .

شأنك، واستضعفتُ عقله في أن يغني بحضرتي بعد ما سمعه مني، فأخذ[١] العود فجسّه (وحبسه)[٢]، فوالله لقد خِلْت أنه ينطق بلسان عربي لحُسن ما سمعته من صوت جَسَّته[٣] ثم غنى. شعرا[٤]:

وَلِي كَبِـــدٌ مَقْرُوحَـــةٌ مَـــنْ يَبِيْعُـــنِي بِهَـا كَبِـدًا لَيْسَـتْ بِـذَاتِ قُـرُوحِ

أَبَاهَـا عَلَـيَّ النَّـاسُ مَـا يَشْـتَرُونَهَا وَمَـنْ يَشْـتَرِي ذَا عِلَّـةٍ بِصَـحِيْحِ ؟ !

أَئِـنُّ مِـنَ الشَّـوْقِ الَّـذِي فِي جَـوَانِحِي أَنِـيْنَ غَصِـيْصٍ بِالشَّـرَابِ جَـرِيْحِ

قال إبراهيم: فوالله لقد خُيّل لي أن الحيطانَ والأبوابَ وكلَّ ما في البيت[٥] يجيبه ويغني معه؛ لحسن غنائه، حتى خِلتُ أن أعضائي وثيابي تجاوبه، وبقيت مبهوتاً لا أستطيع، الكلام ولا الجواب، ولا الحركة مما خَالَط قلبي. ثم غنى: شعرا:

أَلاَ يَا حَمَامَـاتِ اللِّـوَى عُـدْنَ عَـوْدَةً فَـإِنِّي إِلَى أَصْـوَاتِكُنَّ حَنِـيْنُ[٦]

فَعُـدْنَ فَلَمَّـا عُـدنَ كِـدْنَ يُمِتْنَـنِي وَكِـدْتُ بِأَسْـرَارٍ لَهُـنَّ أُبِـيْنُ

دعَـوْنَ بِـتَرْدَادِ الْهَـدِيْلِ كَأَنَّمَـا شَـرِبْنَ سُـلاَفًا أَوْ بِهِـنَّ جُنُـونُ

فَلَـمْ تَـرَ عَيْـنِي مِـثْلَهُنَّ حَمَائِمًـا بَكَـيْنَ وَلَمْ تَـدْمَعْ لَهُـنَّ عُيُـونُ

---

(١) في النسختين د ، ك : "فأخذ العود فحبسه فوالله . . ." .

(٢) ما بين القوسين زيادة من الأغاني يتم بها القول .

(٣) في النسختين د ، ك : "حبسه" ، وفي الأغاني : "ما سمعته من صوته" .

(٤) سقطت كلمة "شعرا" من النسختين د، ك، وهى ليست في الأغاني، والأبيات في الأغاني ، وهي من الطويل.

(٥) في نسخة الأصل م : "وكل ما في الأبواب" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك لموافقته الأغاني .

(٦) الأبيات في الأغاني ، وفيه : " . . . إلى أصواتكن حزين" ، وهي من الطويل .

فكاد عقلي أن يذهب طربا وارتياحا لما سمعته، ثم غنَّى ليزيد بن الطثرية[١] :

[٢٦٣/و] أَلاَ يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجْتَ مِنْ نَجْدِ ... فَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجْدًا عَلَى وَجْدِ

أَأَنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى ... عَلَى غُصُنٍ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرُّنْدِ[٢]

بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيْدُ صَبَابَةً ... وَذُبْتُ مِنَ الْحُزْنِ الْمُبَرِّحِ وَالْجَهْدِ[٣]

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْسُحِبِّ إِذَا دَنَا ... يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ[٤]

بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يَشْفِ مَا بِنَا ... عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ

عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا كَانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي وُدِّ

ثم قال يا إبراهيم ، هذا الغناء الماخوري ، فخذ وانحُ نحوه في غنائك ، وعلِّمْهُ جواريك ، فقلتُ: أعِده، فقال: ليس[٥] تحتاج، قد أخذته وفرغت منه، ثم غاب من بين عينيّ، فارتعت[٦]، وقلت للجواري: أي شيء سمعتنّ عندي، فقلن: سمعنا[٧] غناء أطيب غناء سمع قط، فجردتُ السيف، وقمتُ وعدوْتُ إلى أبواب الحُرَم فوجدتها مغلقة، فخرجتُ إلى باب الدار فوجدته مغلقا، فسألت البواب عن الشيخ فقال: أي شيخ ؟ ! والله ما دخل اليوم

(١) [كذا] جاءت النسبة في المخطوطات ، والصواب أن الأبيات لابن الدمينة ، وهى في ديوانه موزعة بين صفحات ٨٢ ، ٨٥ مع اختلاف في الترتيب عما هنا ، وجاءت الأبيات منسوبة إلى ابن الدمينة في الحماسة البصرية ٩٩٥/٣ ، والأبيات غير منسوبة في الأغاني ، وهي من الطويل .

(٢) رونق الضحى : حسنه وإشراقه . والرُّند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية .

(٣) في الأغاني : "كما يبكى الحزين صبابة" وما هنا يوافق الديوان والحماسة البصرية .

(٤) في المخطوطات : ". . . إذا دنا يعل . . ." ، والتصحيح من المصادر المذكورة .

(٥) في الأغاني : "لست" ، وفى هامشه ذكر أنه في الأصل "ليس" ، ومعنى ذلك أن التغيير من المحقق .

(٦) في المخطوطات : "فارتقبت" ، والتصحيح من الأغاني .

(٧) في المخطوطات : "سمعن" والتصحيح من الأغاني .

عليك أحد، فرجعتُ لأتأمل أمري، فإذا هو قد هَتَف بى من جانب البيت : لا بأس عليك يا إبراهيم ، أنا إبليس ، وإنما كنتُ نديمك اليوم ، فركبت إلى الرشيد وقلت: لا أُطْرِفُه[١] بطُرفة مثل هذه، فدخلتُ إليه، وحَدّثته الحديث، فقال: ويْحك: تأمل هذه الأصوات هل أخذتها؟ فأخذت العود فامتحنتها[٢]، فإذا هي راسخة في قلبي كأنها لم تزل ، فطرب الرشيدُ منها ، وجلس يشرب ، ولم يكن عزم على الشرب، وأمرَ لي بِصِلّة، وقال : الشيخ كان أعلم بما قال من أنك أخذتها وفرغتَ منها ، فليته أمتعنا بنفسه يومًا واحدًا كما أمتعك[٣] .

وغَنّى[٤] إبراهيم [٢٦٣/ظ] بن المهدي يوما محمدًا[٥] الأمين صوتا في شعر أبي نواس[٦] :

يَا كَثِـــيْرِ النَّـــوْحِ فِي الـــدِّمَنِ	لاَ عَلَيْهَـا بَـلْ عَلَـى السَّـكَنِ
سُـــنَّةُ الْعُشّـــاقِ وَاحِـــدَةٌ	فَـــإِذَا أَحْبَبْـــتَ فَاسْـــتَكِنِ[٧]
ظَـــنَّ بِي مَـــنْ قَـــدْ كَلِفْـــتُ بِـــهِ	فَهْـــوَ يَجْفُـــونِي عَلَـــى الظِّـــنَنِ
رَشَـــأٌ لَـــوْلاَ مَلاَحَتُـــهُ	خَلَـتِ الـدُّنْيَا مِـنَ الْفِـتَنِ[٨]

(١) في النسختين د ، ك : "لا أظرفه بظرفة" ، وفي نسخة الأصل م : ". . . بظرفة" وهو تصحيف ، والتصحيح من الأغاني .

(٢) في نسخة الأصل م : فامتحنتها : ، وما في النسختين د ، ك يوافق الأغاني .

(٣) في نسخة الأصل م : "كما متعك" وما في النسختين د ، ك يوافق الأغاني ، وهو الذي اعتمدته .

(٤) جاء هذا في الأغاني ١٠/١٣٨ ، وجاء بصورة مقاربة في المختار من قطب السرور ٢٣٢ .

(٥) في جميع المخطوطات "محمد" بإسقاط الألف التي تدل على النصب ، وقد صححته .

(٦) ديوان أبي نواس ٤١٢ ، وهي من المديد .

(٧) في جميع المخطوطات : "فاستبن" مكان "فاستكن"، والتصحيح من المصدرين السابقين والديوان .

(٨) هذا البيت ساقط من نسخة الأصل م واعتمدته من النسختين د ، ك .

فأمر له بثلاثمائة دينار، فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، قد أَجَزْتَني[١] إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم، فقال: وهل هي[٢] إلا خَراجُ بعض الكُوَر!، وقيل: إنه لما أراد الانصراف قال: أَوْقِرُوا حَرَّاقة[٣] عمي دنانير، فأوقروها .

وإبراهيم هذا هو أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي ، أخو هارون الرشيد ، كان له اليد العليا في المنادمة والمطارحة ، لاسيما في الغناء والضرب في الملاهي ، وكان أسود اللون ؛ لأن أُمه جارية ، وكان مع سواده عظيم الجثة ، وافر العقل غزير[٤] الأدب، رَضِيَّ النفس، سَخِيَّ الكف، تولّى الخلافة، وبويع له فيها ببغداد سنة اثنتين ومائتين، خَلَع المأمون وهو بخراسان، وكان سبب خَلْع المأمون وبيعته أن المأمون لما كان بخراسان جعل وليَّ عهدِهِ عليَّ ابنَ موسى الرِّضَىَّ، فشقّ ذلك على العباسيين ببغداد؛ خوفا من انتقال الأمر إلى العَلَويين، فبايعوا إبراهيم المذكور، ولقّبوه المبارك، ومبايعته يوم الثلاثاء[٥] لخمس بقين من ذي الحجة سنة إحدى ومائتين ، وذلك[٦] ببغداد ، وبايعه العباسيون في الباطن ، ثم بايعه أهل بغداد في أول يوم من المحرم ، أظهروا ذلك ، وصعد إبراهيم المنبر ، وكان المأمون لما بايع عليَّ بن موسى بولاية العهد أمر الناس بترك لباس السواد [٢٦٤/و] الذي هو شعار بني العباس، وأمرهم بلباس الخُضرة، فعزّ ذلك على بني العباس أيضا ، وكان من جملة الأشياء التي تعنّتوا بها على المأمون، ثم لبس السواد يوم الخميس لليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع ومائتين . ذكره الطَّبري في تاريخه[٧] .

---

(١) في نسخة الأصل م : "أنخرتني" ، وفي النسختين د ، ك "أخرتني" ، والتصحيح من الأغاني .

(٢) في جميع المخطوطات : "وهلى في" ، ولا معنى له ، والتصحيح من الأغاني .

(٣) في الأغاني : "أو قروا زورق" ، وهما بمعنى واحد .

(٤) في نسخة الأصل م : "عزيز" وهو تصحيف ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٥) في النسختين م ، ك : "يوم الثلاث" وهى اللهجة المصرية ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٦) سقطت كلمة "وذلك" من النسختين د ، ك .

(٧) تاريخ الطبري ٨/٥٥٤-٦٠٥ .

فغلب إبراهيم على بلاد الكوفة والسواد ، وخُطب له على المنابر ، ونزل بعساكره على مدائن كسرى ، ثم رجع إلى بغداد ، وأقام بها والحَسن بن سَهل مقيم في حدود واسط خليفة عن المأمون ، والمأمون إذ ذاك ببلاد خراسان مقيم، ولم يزل إبراهيم بن المهدي مقيما ببغداد على أمره يُدعى بأمير المؤمنين ، يُخْطَب له على منابر العراق إلى أن وصَلَ المأمون من خراسان متوجها إلى العراق ، وقد تُوفي عليٌّ بن موسى الرضا ، فلما أشرف المأمون على العراق ، وقَرُب من بغداد ، وضعُف إبراهيم، وقَصُرَت يده عن بَذْل الأموال، وتفرّق الناس عنه ، ولم يزل على ذلك إلى أن صَلّى عيد الأضحى من سنة ثلاث ومائتين ، ثم عاد من الصلاة إلى قصر الرُّصَافَةِ ، وأطعَم الناس طعام العيد، ومضَى من يومه إلى داره إلى آخر النهار، ثم خرج منها ليلاً فاستتر، وانتقَض أمره وأقام في استتار ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام(١) .

وقال إبراهيم: قال لي المأمون، وقد دخلتُ عليه بعد العفو عني : أنت الخليفة الأسود، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أنت الذي مَنَنْتَ عليه بالعفو، ثم قال: شعر(٢)

إنْ كَنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا ... أَوْ أَسْوَدُ الْخَلْقِ إِنِّيَ أَبْيَضُ الْخُلُقِ

[٢٦٤/ظ] فقال: يا عم، أخرجك الهزلُ إلى الجد، وأنشد شعرا(٣) :

لَيْسَ يُزْرِي السَّوَادُ بِالرَّجُلِ الشَّهْـ ... ـمِ وَلاَ بِالفَتَى ٱلأَدِيْبِ اَلأَرِيْبِ

إنْ يَكُنْ لِلسَّوَادِ فِيْكَ نَصِيْبٌ ... فَبَيَاضُ ٱلأَخْلاَقِ مِنْكَ نَصِيْبِي

وكان المأمون لما دخل بغداد اختفى عمه المذكور، والفضل بن الربيع، فجدَّ المأمون في

(١) تاريخ الطبري ٨/٥٥٤-٦٠٥ .

(٢) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د ، ك . ولم أعثر على البيت ، وهو من البسيط .

(٣) سقطت كلمة "شعرا" من النسختين د ، ك . ولم أعثر على البيتين ، وهما من الخفيف .

طلبهما، فأما إبراهيم فإنه[1] أُخذ لثلاث عشرة[5] ليلة خَلَتْ من ربيع الآخر سنة عشر ومائتين ليلا، وهو مُتَنَقِّبٌ بين امرأتين في زيِّ امرأةٍ، أخذه حارس، فدفع إليه إبراهيم من إصبعه خاتما له قَدْرٌ عظيم ، فلما رأى الحارسُ الخاتم، وعليه فَصٌّ ياقوتٍ استرَاب بالنسوة، وحَسَر عن وجه إبراهيم فرأى لحيته، فرَفَعه إلى صاحب الجسر، وحُمل إلى دار المأمون، فأمرَ أن يقعد على هيئته إلى غد، ليراه بنو هاشم، والقوادُ والجندُ، وصيروا[2] المقنعة التي كان مُنْتَقبا بها في عُنقه، والمِلْحَفة في صدره، ليراه الناس كيف أُخذ، ثم حُوّل إلى منزل أحمد بن أبي خالد، فحُبِس عنده، وبقى إلى أن دخل المأمون ببوران، فأمر بحمل إبراهيم خلفه، فلما كان في الليلة التي دخل المأمون على بوران فيها جلَس المأمون معها يحادثها، وهما على حَصِير ذهب معمول، نثرت جدتها عليها ألفَ دُرّة كباراً، كانت في صينية ذهب، فتناثر الدُّرُّ على الحَصِير ، فلما رآه المأمون قال : قَاتَلَ اللهُ أبو نُواس ! كأنه حاضر هذا المجلس في قوله[3] :

[٢٦٥/و] كأن صُغْرَى وكُبْرَى من فَوَاقِعِها   حَصْـبَاءُ دُرٍّ علـى أرضٍ مـن الـذهب

فأمر المأمون بجمعه فجُمع ، ووضعه في حجرها ، وقال لها : هذه نِحْلتُك، وسَلِي حوائجك ، فأمسكت ، فقالت لها جَدَّتُها : كلمى سيدك ومولاك في حوائجك ؛ فقد أمرك ، فسألت الرضا عن إبراهيم المذكور ، فقال: قد فعلتُ ، وسألت الإذن لأُمّ جعفرَ زبيدةُ أمُّ الأمين في الحج، فأذن لها، فلما كان من الغد دعا إبراهيم ، فلما دخل عليه فقال [4] : هيه يا إبراهيم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، وَلِيُّ الثأر محكَّمٌ في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كل ذنب دونك ، فإن تُعَاقب فبحقك ، وإن

(١) في تاريخ الطبري ٦٠٣/٨ .

(٥) في جميع المخطوطات :"لثلاث عشر"بإسقاط التاء,والتصحيح من تاريخ الطبري.

(٢) في جميع المخطوطات : "وسيروا" بالسين المهملة ، والتصحيح من تاريخ الطبري ٦٠٣/٨ .

(٣) ديوان أبي نواس ٧٢ ، وهو من البسيط .

(٤) في تاريخ الطبري ٦٠٤/٨ : "قال" ، وهو الأحسن .

تَعْفُ فبفضلك ، فقال : بل أعفو[1] يا إبراهيم ، فكبّر وسجد ، ورفع رأسه قائلا[2]:

يَا خَـيْرَ مَـنْ ذَمَلَـتْ إِلَيْـهِ مَطِيَّـةٌ بَعْـدَ الرَّسُـولِ لآيِـسٍ أَوْ طَـامِعِ[3]

ومن جملتها شعر[4] :

فَعَفَـوتَ عَمَّـنْ لَمْ يَكُـنْ عَـنْ مِثْلِـهِ عَفْـوٌ وَلَمْ يَشْـفَعْ إِلَيْـكَ بِشَـافِعِ

فَرَحِمْـتَ أَطْفَـالاً كَـأَفْرَاخِ الْقَطَـا وَعَوِيْـلَ عَانِسَـةٍ كَقَـوْسِ النَّـازِعِ

اَللهُ يَعَلْـمُ مَـا أَقُـولُ فَإِنَّهَـا جَهْـدُ الأَلِيَّـةِ مِـنْ حَنِيْـفٍ رَاكِـعِ

مَـا إِنْ عَصَـيْتُكَ وَالْغُـوَاةُ تَمُـدَّنِي أَسْـبَابُهَا إِلاَّ بِنِيَّـةِ طَـائِعِ

وذُكر أن المأمون قال حين أنشده هذه القصيدة : أقول كما قال يوسف لإخوته: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[5]، وكان المأمون أرسل إلى شِكْلة أم إبراهيم يتوعَّدها ، فأرسَلت إليه: إني من أمهاتك، فإن كان ابني قد عَصَى

(١) في جميع المخطوطات : "بل أعف" ، والتصحيح من تاريخ الطبري .

(٢) الأبيات في تاريخ الطبري ٧٠٤/٨ ، والأغاني ١١٧/١٠ ، وشعر إبراهيم بن المهدي ١٩ في كتاب أشعار أولاد الخلفاء [ضمن كتاب الأوراق] .

(٣) في جميع المخطوطات : ". . . زملت . . ." بالزاي ، واعتمدت ما في المصادر المذكورة ، وفي جميع المصادر جاء الشطر الأول هكذا : "يا خير من ذملت يمانية به" . زمل – بالزاي – عدا وأسرع معتمدا في أحد شقيه رافعا جنبه الآخر ، وكأنه يعتمد على رِجل واحدة ، وليس له بذلك تمكن المعتمد على رجليه جميعا . اللسان في [زمل] . وذمل – بالذال المعجمة – من الذميل وهو ضَرْبٌ من السير ، وقيل : هو السير اللّين ما كان ، وقيل : هو فوق العَنَق . . . اللسان في [ذمل] ، وهو من الكامل .

(٤) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د ، ك .

(٥) سورة يوسف، الآية: (٩٢).

الله فيك، فلا تَعْصِهِ فيّ .

ومن أعظم الندماء إسحاق [٢٦٥/ظ] بن إبراهيم النديم المَوْصلي[١] ، وقد سبق ذِكرُ أبيه ، وكان من ندماء الخلفاء ، وله الظَّرفُ المشهور[٢] ، والغناء ، والخلاعة اللذان تفرّد بهما، واختلف هو وإبراهيم بن المهدي المتقدم ذِكره في صوت ، فقال إسحاق إلى مَنْ نتحاكم والناس ما عَدَانا بهائم ! ! .

وله نَظْمٌ حسن ، فمن نظْمه البديع قولُه في الرشيد[٣] . شعر :

وَآمِــرَةٍ بِالْبُخْــلِ قُلْــتُ لَهَــا اقْصِــرِي ... فَــذَلِكَ شَــيءٌ مَــا إِلَيْــهِ سَــبِيْلُ

أَرَى النَّــاس خِــلاَّنَ الجْــوَادِ وَلاَ أَرَى ... بَخِــيْلاً لَــهُ فِي الْعَــالَمِيْنَ خَلِيْــلُ

فَــإِنِّي رَأَيْــتُ الْبُخْــلَ يُــزْرِى بِأَهْلِــهِ ... فَأَكْرَمْــتُ نفْسِــي أَنْ يُقَــالَ بَخِيْــلُ

وَمِــنْ خَــيْرِ حَــالاَتِ الْفَــتَى لَــوْ عَلِمْتِــهِ ... إِذَا نَالَ شَــيْئًا أَنْ يَكُــونَ يُنِيْــلُ[٤]

عَطَــائِي عَطَــاءُ الْمُكْثِــرِيْنَ تَكَرُّمًــا ... وَمَــالِي كَمَــا قَــدْ تَعْلَمِــيْنَ قَلِيْــلُ[٥]

وَكَيْــفَ أَخَــافُ الْفَقْــرَ أَوْ أُحْــرَمَ الْغِــنَى ... وَرَأْيُ أَمِــيْرِ الْمُــؤْمِنِيْنَ جَمِيْــلُ !

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) في نسخة الأصل م : "المشهورة" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٣) الأبيات في الأغاني ٣٢٢/٥ ، وسقطت كلمة "شعر" من النسختين د و ك ، وهي من الطويل .

(٤) في جميع المخطوطات : ". . . أن يكون نبيل" ، وهو تصحيف من النسّاخ .

(٥) في نسخة الأصل م : "ومالي كما تعلمين . . ." بإسقاط "قد" ، وهو سهو من الناسخ ، والتصحيح من الأغاني والنسختين د ، ك .

ولما سمعها الرشيد قال : لله درُّك ودَرُّ أبياتٍ تجيء بها ، فما أحكمَ أصولَهَا، وأحسنَ فصولَهَا، وأقلَّ فضولَهَا، فقال: هذا الكلامُ والله أحسنُ يا أمير المؤمنين كما تقدم .

وكان إسحاق من العلماء باللغة والأشعار، وأخبار الشعراء ، وأيام الناس، وروى عنه مصعب بن عبد الله الزُّبَيْري ، والزُّبير بن بَكَّار ، وغيرهما ، وكان له يدٌ طُولَى في الفقه والحديث وعلم الكلام .

قال محمد بن عطية[1] العطوي الشاعر: كنت[2] في مجلس القاضي يحيى ابن أَكْثَمَ فوافى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم ، ثم تكلم في الفقه فأحسن [٢٦٦/و] وقَاسَ واحتَجّ ، وتكلم في الشعر واللغة ففاق مَن حضر ، ثم أقبلَ على القاضي يحيى بن أكثم فقال: أعزَّ الله القاضي، أفي أي شيء مما ناظرتُ فيه أو حكيته نقْصٌ؟ قال: لا، قال فما بالي أقوم بسائر هذه العلوم قيام أهلها وأُنْسَبُ إلى فنٍّ واحد اقتصر الناس عليه، يعنى الغناء، قال العطوي: فالتفتَ إليّ القاضي يحيى وقال لي: الجواب في هذا عليك، وكان العطوي من أهل الجدل ، فقال للقاضي يحيى: نعم – أعزَّ الله القاضي – الجواب عليَّ ، ثم أقبلَ على إسحاق فقال: يا أبا محمد، أنت كالفَرَّاء، والأَخْفَش في النحو؟ قال: لا، فقال: أنت في اللغة والشعر كالأَصْمعي، وأبي عبيدة؟ فقال: لا، فقال: أنت في علم الكلام كأبي الهذيل العَلاّف[3] والنَّظَّام البلخي؟ فقال: لا ، فقال : أنت في الفقه كالقاضي؟ ، وأشار إلى القاضي يحيى، قال: لا ، فقال: أنت في الشعر كأبي العتاهية وأبي نواس؟ قال:

(١) محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية ، مولى بني ليث بن بكر ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، بصريُّ المولد والمنشأ ، كان شاعرا وكاتبا من كتاب الدولة العباسية ، وكان أحد المتكلمين الحذاق . الأغاني ١٢٣/٢٣ ، ومعجم الشعراء ٣٧٧ ، ووفيات الأعيان ٢٠٢/١ في ترجمة إسحاق الموصلي .

(٢) الخبر في وفيات الأعيان ٢٠٢/١ و ٢٠٣ .

(٣) في نسخة الأصل م : "العلامي" ، وفى النسختين د و ك : "العلاي" ، والتصحيح من وفيات الأعيان .

لا، قال فمن هنا نُسبت إلى ما نُسبتَ إليه، لأنه لا نظير[1] إليك فيه، وأنت في غيره دون رؤساء أهله، فضحك وقام، وانصرف، فقال القاضي يحي للعطوي: لقد وفيتَ الحُجْة حقها. وفيها ظُلم قليل لإسحاق.

قال أبو عبد الله[2] أحمد بن حمدون: لقيتُ إسحاقَ فأخبرتُه، ثم شكوتُ له غمِّي بقطع أذني، فجعل يسليني ويعزيني، ثم قال: مَن المتقدم اليوم عند أمير المؤمنين؟ قلت: محمد ابن عمر، قال ومَن هذا الرجل، وما مقدار أدبه، وعلمه؟ قال[3] : أما أدبُهُ فلا أدري، ولكن أخبرك بما سمعت منه، حضرنا الدار يوم عقد المتوكل لأولاده الثلاثة، فدخل مَرْوانُ ابن أبي حَفْصَة[4] [٢٦٦/ظ] فأنشده قصيدته التي يقول فيها[5]:

بَيْضَــــــــــاءُ فِي وَضَــــــــــآتِهَا وَرْدٌ فَكَيْـــــفَ لَنَــــا بِشَــــمِّهْ ؟

فَسُرَّ بذلك سرورا، وأمر فنُثر عليه بِدْرَةُ دنانير، وأمره بالجلوس، وَعَقَدَ له على اليمَامة والبَحْرين، فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيتُ كاليومِ، ولا أرى، أبقاك الله تعالى ما دامت السماوات، والأرض، فقال لي إسحاق: ويلك! جزعت على أُذُنك حتَّى[6] تسمع مثل هذا؟!

(١) في جميع المخطوطات : "لا نظر" ، والتصحيح من وفيات الأعيان .

(٢) في نسخة الأصل م : "أبو عبيد الله" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك ، وهو يوافق ما جاء في الأغاني ٢٧٧/٥ وغير ذلك كثير في ترجمة إسحاق الموصلي ، والإماء الشواعر ٦٢ و ١٤٠ وغير ذلك ، وفى كل الأحوال لم أعثر له على ترجمة .

(٣) في النسختين د ، ك : "فقال" ، والأحسن أن يكون "فقلت" ؛ ليناسب السياق .

(٤) مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة، وكنيته أبو السمط، ويعرف بمروان الأصغر، ويلقب بغبار العسكر ببيت قاله، كان يمدح المتوكل، ويتقرب إليه بهجاء آل عليّ بن أبي طالب، فلما أفضت الخلافة إلى المنتصر طرده، ومنعه من الدخول عليه أبدا، لما كان يسمعه منه في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. ترجمته وأخباره في طبقات ابن المعتز ٣٩١ ، والأغاني ٢٠٦/٢٣ ، ومعجم الشعراء ٣٢١ ، وسير أعلام النبلاء ٤٨١/٨ .

(٥) لم أعثر على البيت، وهو من مجزوء الكامل.

(٦) هكذا جاءت "حتى" في جميع المخطوطات ، ويخيل لي أن الأحسن منها "حين" .

ومولد إسحاق النديم في سنة خمسين ومائة، وهى السنة التي وُلد فيها الإمام الشافعي، ولما مات رثاه بعض أصحابه بقوله[1] :

أَصبَحَ اللَّهْوُ تَحْتَ عَفْرِ التُّرَابِ ... ثَاوِيًا فِي مَحَلَّةِ ٱلْأَحْبَابِ

إِذْ قَضَى الْمَوْصِلِيُّ وَانْقَرَضَ ٱلْأُنْـ ... ـسُ وَمُحَّتْ مَشَاهِدُ ٱلْأَتْرابِ[2]

بَكَتِ الْمُلْهِيَاتُ حُزْنًا عَلَيْهِ ... وَبَكَاهُ الْهَوَى وَصَفْوُ الشَّرَابِ

وَبَكَتْ آلَةُ الشَّرَابِ وَحَتَّى ... رَحِمَ الْعُودُ عَبْرَةَ الْمِضْرَابِ[3]

وعلى ذِكر النَّديمِ والنُّدمانِ لا بأس بإبراز نكتة تتعطَّرُ بها الطُّرُوسُ ، وتَرْتَاحُ لسماعها النفوسُ، وهى ما حكاه ابن خلّكانَ في تاريخه[4] أن أبا نَصر محمدَ بنَ محمدٍ الفَارَابيَّ[5] دَخَل على سيف الدولة، وكان مجلسُه مجتمعَ الفُضَلاءِ، فأُدخل عليه وهو بزيِّ الأتراك، وكان ذلك زِيُّهُ دائما، فوقف، فقال له سيف الدولة: اجلس، فقال: حيث أنا أم حيث أنت، فقال: حيث أنت، فتخطَّى رقاب الناس حتى انتهى إلى مستند سيف الدولة، وزَاحَمه فيه حتى أخرَجه عنه، وكان على رأس سيف الدولة مماليك، وله معهم لسان خاص يسارّهم[6] به، قَلَّ أن يعرفه

(١) الأبيات لرجل يرثي إبراهيم الموصلي في الأغاني ٥/٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وهي من الخفيف.

(٢) جاء هذا البيت مختلفاً اختلافاً كبيراً في الأغاني.

(٣) وجاء هذا البيت أيضا مختلفاً في الأغاني .

(٤) وفيات الأعيان ٥/١٥٥ ، ١٥٦ .

(٥) محمد بن محمد بن طَرْخَان بن أوْزَلَغ، التركي الفارابي المنطقي، كنيته أبو نصر، أحكم العربية بالعراق، ولقي = = مَتَّى ابن يونس، وأخذ عنه، وسار إلى حرَّان فلزم بها يوحنا بن جيلان النصراني، وسار إلى مصر، وسكن دمشق ، ويقال: إنه أول من اخترع القانون . ت ٣٣٩هـ . وفيات الأعيان ٥/١٥٣ ، والبداية والنهاية ١٥/٢٠٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/٤١٦ .

(٦) في جميع المخطوطات : "يساردهم" ، ويبدو أن المقصود يساورهم" ، واعتمدت ما في وفيات الأعيان .

أحد، فقال [٢٧٦/و] لهم بذلك اللسان: إن هذا الشيخ قد أساء الأدب، وإني مُسَائِلُهُ عن أشياءَ إن لم يوفِ بها وإلا فاخرقوا به[١]، فقال له أبونصر بذلك اللسان : أيها الأمير ، اصْبر فإن الأمور بعواقبها ، فعجب سيف الدولة منه ، وقال له : أَتُحْسِن هذا اللسان؟ فقال: نعم ، وأُحسن سبعين[٢] لسانا فعظم (عنده)[٣]، ثم أخذ يتكلَّم مع العلماء الحاضرين في ذلك المجلس في كلِّ فنٍّ ، فلم يزلْ كلامُه يَعْلُو[٤] وكلامهم يسفل، حتى صَمَت الكُلّ، وبقي يتكلَّمُ وحْدَهُ، ثم أخذوا يكْتُبُون ما يقول، فصَرَفهم سيف الدولة، وخلا به فقال له: هل لك في أن تأكل؟ قال: لا ، فقال: هل تشرب؟ قال: لا، قال فهل تسمع ؟ قال: نعم ، فأمر سيف الدولة بإحضار القِيَانِ، فحَضَر جمعٌ من أهل هذه الصناعة بأنواع الملاهي، فلم يُحرك أحد منهم آلاته إلا دَاعَبه أبو نصر وقال: أخطأتَ، فقال له سيف الدولة: وهل تُحْسِنُ من هذه الصناعةِ شيئا؟ قال: نعم ، ثم أخرج من وسَطه خريطةً ففتحها وأخرَج منها عِيدَانا وركَّبها، (ثم لعب بها، فضحك منها كلُّ مَن كان في المجلس، ثم فكّها وركّبها تركيباً آخرَ، وضرَبَ بها فبكَى كلُّ مَن كان في المجلس[٥]، ثم فكّها وغيّر تركيبها وحرّكها فنام كل مَن في المجلس)[٦] حتى البواب، فتركهم نياما وخرج.

ومن الندماء المشهورين الذي جمع بين حُسن المنادمة والغناء جَحْظَة[٧] البرمكي، وهو

---

(١) في جميع المخطوطات : "فاحزقوا" ، وهو تصحيف ، واعتمدت ما في وفيات الأعيان . والمقصود أن يهينوه ويعبثوا به .

(٢) في وفيات الأعيان : "أكثر من سبعين لسانا" .

(٣) ما بين القوسين زيادة من وفيات الأعيان والنسختين د و ك ، وهو ساقط من نسخة الأصل م .

(٤) في جميع المخطوطات : "يعلو لسانا فعظم عنده ، وهو سهو من النساخ حيث أعادوا الكلام الذي فوقه . والتصحيح من وفيات الأعيان .

(٥) ما بين القوسين ساقط من النسختين د و ك .

(٦) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من وفيات الأعيان والنسختين د و ك .

(٧) بالإضافة إلى ما سيأتي من قول ابن خلكان ، فقد جاءت أخبار جحظة وترجمته في معجم الأدباء ٢٠٧/١ [ط إحسان] ، وتاريخ بغداد ٦٥/٤ ، والنجوم الزاهرة ٢٥٠/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢١/١٥ ، والبداية والنهاية

أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى البرمكي، قال ابن خَلِّكَانَ[1]: كان فاضلا، صاحبَ فنون، ونجوم ونوادر، ومنادمة وكان من ظرفاء عصره، وهو من ذرية البرامكة ، وله الأشعار [٢٦٧/؟] الرائقَة ، والأخبار الفائقة ، فمن ذلك قوله[2] :

أَنَا ابْــنُ أُنَاسٍ قــوَّلَ النَّــاسَ جُــودُهُمْ　　فَأَضْــحوْا حَــدِيْثًا لِلنَّــوالِ الْمُشَــهَّرِ

فَلَــمْ يَخْــلُ مِــنْ أَخْبَــارِهِمْ لَفْــظُ مُخْــبِرٍ　　وَلَمْ يَخْـلُ مِــنْ تَقْــرِيْظِهِمْ بَطْــنُ دَفْــتَرِ

وله :

وَقَائِلَـــةٍ لِي كَيْـــفَ حَالُـــكَ بَعْـــدَنَا　　أَفِي ثَــوْبِ مُثْــرٍ أَنْــتَ أَمْ ثَــوْبِ مُقْــتِرِ

فَقُلْــــتُ لَهَــــا لاَ تَسْــــأَلِيْنِي فَإِنَّمَــــا　　أَرُوحُ وَأَغْــــدُو فِي حَــــرَامٍ مُقَــــتَّرِ

وله[3] :

وَرَقَّ الْجَــــوُّ حَــــتَّى قِيْــــلَ هَــــذَا　　عِتَــــابٌ بَــــيْنَ جَحْظَــــةَ وَالزَّمَــــانِ

وله ديوان شعره أكثره جيد، وكان كاتبا شاعرا مغنيا حاذقا ، وكان مع ذلك قبيح الوجه جاحظ العينين ، مُشَوّه الخِلْقة ، ولابن الرومي[4] في هذا المعنى[5]:

. ٩٧/١٥

(١) وفيات الأعيان ١٣٣/١ و ١٣٤ وفيه الأشعار المذكورة ، وهي من الطويل .

(٢) ديوان جحظة البرمكي ٩٨ مع بعض اختلاف ، وهما من الطويل .

(٣) ديوان جحظة البرمكى ١٧٧ ، وهو من الوافر .

(٤) علي بن العباس بن جريج ، وكنيته أبو الحسن ، وهو أشعر أهل زمانه بعد البحتري ، وهو في الهجاء مقدم لا يلحقه فيه أحد من أهل عصره ، وكان يتطيّر من أشياء كثيرة . مات مسموما سنة ٢٨٣هـ ترجمته وأخباره معجم الشعراء ١٤٥ ووفيات الأعيان ٣٥٨/٣ ، ومروج الذهب ٢٨٣/٤ ، والبداية والنهاية ٦٦٦/١٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤٩٥/١٣ .

(٥) ديوان ابن الرومي ٢٥١٢/٦ باختلاف يسير ، وهما من الكامل .

وَجْـــهٌ لجَحْظَـــةَ تَسْـــتَعِيْرُ جُحُوظَـــهُ مِـــنْ بَيْـــتِ شِـــطْرَنْجٍ وَمِـــنْ سَـــرَطَانِ

وَارَحْمَتَــــا لِمُنَادِمِيْـــــهِ تَحَمّلُـــــوا أَلَمَ الْعُيُـــــونِ لِلَــــــذَّةِ ٱلآذَانِ

حدّث عليُّ بنُ سعيد قال(١): قال لي جحظةُ: إن كتمتَ عليَّ أخبرتك بحديث ما مَرَّ على مَسَامعك قطُّ، قلتُ: أنا موضع سِرِّك، والمجالس بالأمانة، قال: أصبحتُ يوما مخمورًا، فبينما أنا جالس على باب داري إذْ أقبلت جارية مُنْتَقِبَة راكبة على حمار، وبين يديها وصائف كالغزلان يحففن بها، ويمسكن عنان حمارها ، وقد سَطَعت السكّةُ من ريحها ورائحة طيبها فبقيتُ مبهوتاً متحيراً من كمال خَلْقِها ونُورِ ما بدا إلي من وجهها ، فلما جاوزتني وقفتُ وتأملتُ ساعةً، ثم سلَّمتْ فرددتُ عليها السلام، وقمتُ على قدميّ إجلالا لها، فقالت: يا فتى، هل في منزلك [٢٦٨/و] محلّ للقائك هذا اليوم، فقلت: يا سيدتي على الرُّحب والسعة، ولكِ الفضلُ والمِنَّة، فما كذبت أن ثَنَتْ رِجلَها ونزلت ، وقالت : ادخل بين يديّ ، وأمرت جواريها فدخلن بالحمار إلى الدهليز ، وما أحسب جميع ما أراه إلا نومًا لا يقظة ، وشكًّا لا يقينًا ، فلما استقر بها المجلس ألقت قِنَاعها فخلتُه كما قال الشاعر(٢) :

فَأَلْقَــتْ قِنَاعًــا دُونَــهُ الشَّــمْسُ وَاتَّقَــتْ بِأَحْسَـــنِ مَوْصُـــولَيْنِ كَـــفٍّ وَمِعْصَـــمِ

ففكرت في أمري، وأنا لا أعقل من السرور ، فقلت : هذه جارية مغنية بلغها عني صوتٌ من صنعتي فأرادت أن تأخذه عني ، فقلت : يا سيدتي ، أتأذني أن أُقرِّب ما حَضَرَ من طعام وشراب وأُغَنِّيكِ ما لعله بلغك من متخيَّر أصواتي ؟

---

(١) هذه القصة السخيفة في قطب السرور ١٦٢-١٦٥ .

(٢) البيت لأبي حية النميري ضمن أربعة أبيات في الصناعتين ٤٤٦ ، وهو من الطويل .

فقالت ما على ذلك فَوْتٌ، ولكن قم الآن وشأنَك فاقض[١] حاجتك، ثم تصير إلى ما تريد، فقمتُ إليها وقد أخذني الزّمَعُ[٢] حتى أني ما أملك نفسي مهابة لها[٣]، فلما فرغتُ مما لم أكن آمله، ولا تَسمو هِمّتي إليه قلت: هل لكِ في الطعام والشراب؟ أو أدعو بالعود فأُغنيك؟ قالت : عسى أن يكون هذا في يوم غير هذا، ومدَّت يدها إلى قناعها فاعْتَجَرَت به، ونهضَت مُسرعةً، فلم أُحِرْ جوابا، وبقيتُ متحيّرًا، فلما صارت إلى الدهليز لتركب قلتُ: سألتُك بنعمة الله عليك ، ما خبرك؟ قالت : لو تركت المسألة كان أحب إليك، وأعود عليك، قلت: لا بُدَّ لي من عِلْمِ حالك، فقالت أما إذْ أبيت فسأصدقك، لي ابن عم، هو بَعْلٌ لي يخالفني إلى جارية لي مُشَوَّهة [٢٦٨/ظ] المنظر، وأقسمتُ بالأَيْمان المحرجة[٤] أن أطوف بغداد حتى أبذل نفسي لأقبحِ مَن أرى وجهًا، وأحسن مَن أقدر عليه صورة، فأنا أطوفُ من الفجر إلى هذا الوقت فما رأيت بها أقبحَ منك فبَرَرت قَسمي، وإن عاد إلى مثل فعله عُدْتُ إليك إنْ لم أجد أوحشَ منك، وهذا يسيرٌ في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها ثم تَوَلّتْ عني، وبقيت آخر من يدخل[٥] النار، فوالله ما ظننتُ أن إفراط القبح ينقمع حتى كان ذلك اليوم، قلت: هوِّن عليك؛ فإن القرد إنما يقع السرور به والضحك منه لتجاوزه في قُبح الصورة، قال: فاكتُمْ عليَّ، قلتُ: نعم.

وقول الناظم: "والندامة في المدَامَةْ" في المدامة بمعنى "على" ، يقال: نادمه على

---

(١) في نسخة الأصل م : "فاقص" بالصاد المهملة ، وهو تصحيف ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك وقطب السرور.

(٢) الزَّمَعُ : الدَّهَش ، أو رعدة تعترى الإنسان إذا هم بأمر . اللسان في [زمع] .

(٣) في نسخة الأصل م : "إليها" ، واعتمدت ما في النسختين د و ك ، وهو يوافق قطب السرور .

(٤) كذا جاءت الكلمة في جميع المخطوطات "المحوجة" ، والتصحيح من قطب السرور .

(٥) في نسخة الأصل م : "دخل" ، واعتمدت ما في النسختين د و ك وفي قطب السرور "فبقيت أخزى ممن دخل النار.

الشراب فهو نديم، والمدامة: الخمر، وقيل : سُميت مُدامة لدَوامها في الدَّنّ[١]، وقيل: لأنهم يديمون شُربها، وقيل: لأنها تعالي[٢] عليهم حتى تَسْكُن ؛ لأنه يقال : دام إذا سكن وثبت، فإن قيل[٣]: فهو يقال لكل ما سكن مدامة، قيل: الأصل هذا، ثم يُخصُّ الشيءُ باسم، وقد خُصّت الخمرُ بأسماء وصفات، فهذه أسماء الخمر وصفاتها، فبعض ذلك عن البصريين، وبعضه عن الكوفيين: هي الخَمْرَة[٤]، والقَهْوَة، والسُّلاف، والمدَام[٥]، والمدامة، والعُقار، والرَّاح، والشَّمُول، والقَرْقَف، والإسفنط، والسَّلْسَل، والسَّلْسَال، والخَنْدَرِيس، والسَّلْسَبِيل، والخُرطُوم، والرَّحِيق (والزرجون)[٦]، والغانية [٢٦٩/و] والصديفة، والمشْعشعة، والصَّهْباء، والسُّخَاميَّة، والصَّرْخَدِيّة، والمِفْدِيَّة، والحِمْضَة، والكُمَيْت، والعاتِق، والماويَّة، والمزَّاء، والمزَّة[٧]، والكَلْفَا.

ثم قيل : سميت خمرًا لسترها العقل، ومُخالطتها إياه، وكل ما سَتَر العقل من الشراب فهو خَمْر، ومنه سُمِّيَ الخمار، ومنه قيل: خَمْر الطريق، وهو ما سُتر، ومنه اختمر العجين ، أي غطاه الفَطرة ، والعرب تقول خامري أي خالطي. وسُميت قَهوة، لأن شاربها إذا شَربها لم يشتَهِ الطعام إذا امتنعت منه، والسُّلافة: السائلة، من سلف، وقد ذكرنا المدام فيما تقدم باشتقاقه، وسميت عُقارا، لأنها تعقر الدّن، أي تكون فيه، وسميت راحا؛ لأن شاربها يشتغل بطيب ريحها، وسميت قرقفا ؛ لأن شاربها تأخذه الرِّعدة ، ولا يسمى قرقفا منها إلا ما كان كذلك،

(١) في النسخة د : "المدن" .

(٢) في نسخة الأصل م : "تغالى" بالعين المعجمة، واعتمدت ما في النسختين د و ك .

(٣) في نسخة الأصل م : "فإن قتل" وهو تصحيف .

(٤) في النسختين د ، ك "الدام" .

(٥) جاءت هذه الأسماء في نهاية الأرب ٨٦/٤ و ٨٧ .

(٦) ما بين القوسين سقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسختين د ، ك .

(٨) في جميع المخطوطات: "والمرا، والمرة" بالراء، والتصحيح من نهاية الأرب ٨٩/٤ . وفي نسخة الأصل م : "والعانية" بالعين المهملة، وهو تصحيف، وفي النسختين د و ك: "العاينة" بتقديم المثناة التحتية على النون، = =وهو تصحيف أيضا، والتصحيح مما جاء في الشرح بعد حيث يقول: "والغانية منسوبة إلى الغانة". وينظر في أسماء الخمر : المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، للسري الرفاء ٤/ ١٦.

والإسفنط: الرقيقة، والسَّلْسَل والسَّلْسَال والسلسبيل: الذي تسلسل دخولها، والخرطوم أول ما تُعْصَر، والخندريس كلما[1] إلى الحمرة[2]، يقال: خلطه خندريس إذا حمرَّت من طول المكث، والرحيق: السهلة، والزّرجون بالفارسية لون يشبه لون الذهب، والغانية منسوبة إلى الغانة[3]، والصريف منسوب إلى صريفين ، والمشعشعة الرقيقة، والصهباء التي تضرب إلى الحمرة، والسخامية: اللينة، يقال : شعر سخامي إذا كان ليِّنًا، والصرخديّة منسوبة إلى صَرخد، والحمضة التي [٢٦٩/ظ] فيها حموضة، والكُمَيْت التي تضرب حُمْرتُها إلى السَّوَاد ، والعاتق التي لم يُفْضَضْ ختامُها، والماويَّة: مَشوبة، وكأنها التي بها شيءٌ من الحلاوة، والمرّا: التي فيها مرارة، والكلفا: التي تَضْرِبُ حمرتُها إلى السَّواد.

وقد أنزل الله تعالى تحريم الخمر في كتابه العزيز في ثلاث آيات[4] : الأولى قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾[5]، ، فكان في المسلمين من شارب وتارك ، إلى أن شربها رجل ودخل في الصلاة فهجر[6] ، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾[7]، فشربها مَن شربها مِن المسلمين، وتركها مَن تركها ، حتى شربها عمرُ[8] فأخذ لَحيَ[9]

---

(١) في نسخة الأصل م : "كأنما"،وهي أقرب إلى الصحة، والتصحيح من النسختين د و ك .

(٢) في النسخة ك : "الحمرة" بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٣) في نهاية الأرب : والعانية بالعين منسوبة إلى عانة، وهو الصحيح، جاء في لسان العرب :"والعانِيَّة: الخَمْر، منسوبة إليها. الليث: عاناتُ موضع بالجزيرة تنسب إليها الخمر العانِيَّة؛ قال زهير:

كأَنَّ رِيقَتَها بعد الكَرى اغْتَبَقَتْ ... من خَمْرِ عانَةَ، لَمَّا يَعْدُ أَن عَتَقا

وربما قالوا عاناتٌ كما قالوا عرفة وعَرَفات".اللسان / عون.

(٤) جاء هذا في تفسير الطبري ٦٨٢/٣ وما بعدها ، والآية الثانية في التفسير ٤٦/٥ وما بعدها .

(٥) سورة البقرة، الآية: (٢١٩).

(٦) في النسخة د : "فجهر" وهو تحريف من الناسخ ، وهَجَر : أي قال هُجْرًا أو فُحْشًا .

(٧) سورة النساء، الآية: (٤٣).

بعير فَشَجّ رأس عبد الرحمن بن عوف، ثم قَعدَ ينوح على قَتْلَى بدر بشعر الأسود بن يعفر[1]، وهو:

وَكَــائِنْ بِالْقَلِيْــبِ قَلِيْــبِ بَــدْرٍ مِــنَ الْفِتْيَــانِ وَالشَّــرْبِ الْكِــرَامِ[2]

وَكَــائِنْ بِالْقَلِيْــبِ قَلِيْــبِ بَــدْرٍ مِــنَ الشِّــيْزَى تُكَلَّــلُ بِالسَّــنَامِ[3]

أَيُوعِــدُنَا ابْــنُ كَبْشَــةَ أَنْ سَــنَحْيَا وَكَيْــفَ حَيَــاةُ أَصْــدَاءٍ وَهَــامِ ؟![4]

---

(٨) لم أجد في كتب التفسير – الطبري والدر المنثور – ما يفيد أن عمر فعل ذلك ، ولكن جاء في تفسير الطبرى ٦٨٢/٣ بعد الآية : "فشربها من شربها ، وجعلوا يتقونها عند الصلاة ، حتى شربها – فيما زعم أبو النموص – رجلٌ ، فجعل ينوح على قتلى بدر . . " ، ويبدو أن هنا سقطا لأن عمر هو الذي كان يدعو بأن يبين الله الأمر في الخمر ، ولكن في نهاية الأرب ٨٠/٤ أن الذي فعل ذلك رجل من الأنصار .

(٩) حائط الفم وهو العظمة التي فيها الأسنان من داخل الفم من كل ذي لَحْي ، وهما لحْيانِ. اللسان في [لحا] .

(١) نسبة الأبيات للأسود بن يعفر خاطئة . والتعليق الآتي فيه التوضيح ، وهي من الوافر .

(٢) تنسب الأبيات إلى أبي بكر بن الأسود بن شَعُوب الليثي، وهو شداد بن الأسود في سيرة ابن هشام ٣-٢٩/٤ ، وجاءت غير منسوبة في تفسير الطبري ٦٨٢/٣ وفي الهامش تخريج ، وجاء بذات النسبة في السيرة في البداية والنهاية ٢٩٤/٥ ، وليس فيه تخريج ، مع اختلاف كبير بين هذه المصادر وبين ما معنا ، والذي يكاد يكون مثل الذي معنا في رسالة الغفران ٤٢١ ، ٤٢٢ مع النسبة إلى شداد بن الأسود الليثي . وستكون المقابلة مع رسالة الغفران في الأعم الأغلب وفي د و ك : "من الفتيان والسرب . ." بالسين المهملة .

(٣) في جميع المخطوطات : "من السندي يكلل . . ." والتصحيح من المصادر السابقة . والشيزي : جفان تصنع من خشب وسميت باسم الشجرة التي تتخذ منها ، وإنما أريد أصحابها الذين يطعمون فيها . [من هامش المصادر السابقة بتصرف] . والسنام : لحم ظهر البعير [من هامش السيرة] .

(٤) هذا البيت لم يرد في السيرة ولا في تفسير الطبري ، ولا البداية والنهاية بهذا النص ، ولكنه في رسالة الغفران ، والذي في السيرة ، والبداية والنهاية كذلك مع اختلاف يسير :

يخبرنا الرسول لسوف نحيا وكيف لقاء أصداء وهام

والأصداء : جمع صَدَى ، وهى بقية الميت في قبره ، وهى أيضا طائر يقولون : هو ذكر البوم . والهام : جمع هامة ، وهو طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل إذا قتل ، فيصيح : اسقوني ، اسقوني ، فلا يزال يصيح

أَيَعْجَـــزُ أَنْ يَـــرُدَّ الْمَـــوْتَ عَـــنِّي   وَيَنْشُـــرَنِي إِذَا بَلِيَـــتْ عِظَـــامِي ؟![1]

أَلاَ مَـــنْ مُبْلِـــغُ الـــرَّحْمَنِ عَـــنِّي   بِأَنِّي تَارِكٌ شَـــــهْرَ الصِّـــــيَامِ[2]

فَقُـــــلْ لِلَّه يَمْنَعُـــــنِي شَـــــرَابِي   وَقُـــلْ لِلَّهِ يَمْنَعُـــنِي طَعَـــامِي[3]

فبلغ ذلك رسول الله (ﷺ) فخرج مُغْضَبًا يجر رداءه ، فرفع شيئا كان في يده يضربه ، فقال : أعوذ بالله من غضب الله [٢٧٠/و] وغضب رسوله فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [4]، فقال عمر : انتهينا ، انتهينا .

ومن الأخبار المتفق عليها في تحريمها قول رسول الله (ﷺ): **"لا يدخل الجنة مُدْمِنُ خمر"**[5]، وقوله (ﷺ): **"أول ما نهاني ربي بعدَ عبادةِ الأوثانِ شربَ الخمر، ومُلاَحاةَ**

كذلك حتى يؤخذ بثأره ، فحينئذ يسكن . [من هامش السيرة] .

(١) لم يرد هذا البيت إلا في رسالة الغفران ، وفيه :

أتترك أن يرد الموت عنى   وتحييني إذا بليت عظامي ؟ !

(٢) لم يرد هذا البيت إلا في رسالة الغفران .

(٣) لم يرد هذا البيت في كل المصادر ، بما فيها رسالة الغفران .

(٤) سورة المائدة، الآية: (٩١).

(٥) جاء هذا الحديث بصور مختلفة في مسند الإمام أحمد (٦٨٩٢و١١١٠٧و١١٧٨١و٢٧٤٨٤) وفيه تخريجات جيدة. وفي الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٢٠٤: لا يدخل الجنة مدمن خمر ، ولا مصر على زنى ، ولا قتَّات، ولا ديوث– الخ. هو موضوع. وفي كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٣٧٨/٢: (لا يدخل الجنة مدمن خمر). رواه ابن ماجة عن أبي الدرداء ، ولابن جرير عن قتادة: لا يدخل الجنة عاق لوالديه، ولا ولد زنا ، ولا مدمن خمر، والله أعلم ، وجاء كحديث في نهاية الأرب٨١/٤ وجاء في محاضرات الأدباء٦٣٥/٢ [صادر] كخبر، والقَتَّات النمام.

الرجال"[١].

وممن تركها في الجاهلية ترفُّعًا عنها عبد الله بن جُدعان[٢]، وكان جَوادا من سادات قريش؛ وذلك أنه شرب[٣] مع أُمَيَّةَ[٤] بنِ (أبي)[٥] الصلت الثقفي، فضَربه على عينه ، فأصبحَ وعين أُمية مخضرة يُخَاف عليها الذَّهاب، فقال له عبد الله: ما بَالُ عينك؟! فسكَتَ فلح[٦] عليه فقال: ألست صاحبها بالأمس؟ ! فقال: أو بَلَغ[٧] مِنِّي الشراب ما أَبلُغُ معه إلى هذا؟!. لا أشربها أبدًا بعد اليوم، ولكن دية، فدَفَع له عشرة آلاف درهم، وقال: الخمر عليَّ حرام لا أَذُوقها بعد اليوم. وممن حَرَّمها في الجاهلية قَيْس بن عاصم[٨]، وذاك أنه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو أخته، فهرَبت منه، فلما أصبحَ سأل عنها فقيل له: أو ما علمتَ ما صنعتَ

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث.

(٢) عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، أحد أجواد العرب في الجاهلية ، وقدم على كسرى مرة، وأكل عنده الفالوذ، فأعجب به ، فابتاع غلاما من عند كسرى يصنعه، واصطحبه معه إلى مكة، فصنع الفالوذ ، ونادى على الناس ليأكلوه . ترجمته وأخباره في الأغاني ٣٢٧/٨ ، والاشتقاق ١٤١ وما بعدها.

(٣) الحكاية في الأغاني ٣٣٢/١ ، ونهاية الأرب ٨٨/٤ .

(٤) أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبى ربيعة بن عوف الثقفي، وقيل: أمية بن أبى ربيعة، كان مطلعا على الكتب السماوية السابقة، ونَبْذ عبادة الأصنام، وحرّم على نفسه الخمر، أدرك الإسلام، ولكنه لم يوفق في الدخول فيه ت ٥ هـ . ترجمته وأخباره في طبقات ابن سلام ٢٦٢/١ ، والشعر والشعراء ٤٥٩/١ ، والأغاني ١٢٠/٤ وخزانة الأدب ٢٤٧/١ .

(٥) ما بين القوسين زيادة من جميع المصادر يصح بها الاسم ، وما بين القوسين ساقط من جميع المخطوطات .

(٦) هكذا "فَلَحّ" في جميع المخطوطات ، وهى لهجة المصريين ، وفي الأغاني "فألح" ، وهو الأحسن .

(٧) في الأغاني : "أو بلغ مني الشراب الذي أبلغ معه من جليسي !" ، وفي هامشه : أو بلغ مني الشراب هذا الحد الذي يجرى فيه لجليسي ذلك !

(٨) قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي، وكنيته أبو على، كان أحد عقلاء العرب، قدم على النبي (ﷺ) في وفد بنى تميم، وقال عنه الرسول (ﷺ):"**هذا سيد أهل الوبر**". ت. عام٢٠هـ ترجمته وأخباره في المحبر ٢٣٧، والعقد الفريد ٣٤٦/٦، وسمط اللآلي ٤٨٧/١ والأعلام ٢٠٦/٥.

البارحة؟ وأُخبر بالقصة، فحرّم الخمر على نفسه(١) .

وممن حَرَّمها في الجاهلية أيضا العباس بن مِرْدَاس(٢)، وقَيْس بن عاصم ؛ وذلك أن قَيسًا(٣) شرب ليلة فجعلَ يتناول القمر ويقول(٤): والله لا أبرحُ حتى أُنزله، ثم يَثِب الوَثبة بعد الوَثبة، ويقع على وجهه، [٢٧٠/ظ] فلما أصبحَ وأفَاقَ قال: ما لي هكذا؟ فأخبروه بما اتفق له، فقال: والله لا أشربها أبدا.

وقيل للعباس بن مرداس: لِمَ تركتَ الشراب وهو يزيد في سماحتك؟ قال(٥) أكره أن أُصبح سَيِّدَ قومي وأُمسى سَفِيهَهُم.

وقال رجل لعيد بن سالم : لِمَ لا تشرب النبيذ ؟ قال(٦) : تركتُ كثيره لله وقليله للناس .

ودخل(٧) نُصيب(٨) على عبد الملك بن مروان فأنشده ، فأعجبه إنشاده وشعره ،

---

(١) جاءت الحكاية في نهاية الأرب ٨٨/٤ .

(٢) العباس بن مرداس السُلَمِي ، وكنيته أبو الهيثم أو أبو الفضل، أمه الخَنساء، كان أحد فرسان الجاهلية وشعرائهم، وفد على النبي (ﷺ)، وكان أحد المؤلفة قلوبهم. ترجمته وأخباره في الشعر والشعراء ٣٠٠/١ و ٧٤٦/٢، ومعجم الشعراء ١٠٢ ، والأغاني ٣٠٢/١٤ ، والاستيعاب ٨١٧/٢ .

(٣) في جميع المخطوطات : "أن قيس" [كذا] ، وصححته بما يناسب الإعراب .

(٤) تروى هذه الحكاية عن عبد الله بن جدعان في أدب النديم ٦٣ .

(٥) هذا القول في المختار من قطب السرور ٣٦٢ ، ومحاضرات الأدباء ٦٣٢/٢ [صادر] ، ونهاية الأرب ٨٩/٤ ونسب إلى عدي بن حاتم في نهاية الأرب ٨٤/٤ .

(٦) جاء القول دون نسبة في محاضرات الأدباء ٦٣٢/٢ [صادر]، وفيه تركت كثيرة [لله تعالى] إجلالاً، وقليله للناس جمالاً، ونهاية الأرب ٨٩/٤.

(٧) الحكاية في محاضرات الأدباء ٦٣١/٢ وفيه تخريج، وفي نهاية الأرب ٨٤/٤ وجاء مرتين، واحدة مع عبد العزيز ابن مروان الأخرى مع عبد الملك.

(٨) نُصيب بن رباح، كان مولى عبد العزيز بن مروان، وكان من أهل ودان عبدًا لرجل من بني كنانة، وكنيته أبومحجن، وكان فصيحًا عفيفًا، كبيرة النفس ت١٠٨هـ. ترجمته وأخباره في طبقات ابن سلام ٦٧٥/٢، والشعر والشعراء ٤١٠/١، والأغاني ٣٢٤/١، وسير أعلام النبلاء ٢٦٦/٥ .

ووصله ، ثم دعا بالطعام فطعم معه ، فقال له عبد الملك : يا نُصيب فيما ينادم عليه ؟ قال: يا أمير المؤمنين ، جلدي أسود ، وخَلْقِي مشوَّه ، ووجهي قبيح ، وإنما بلغني مجالستك ومؤاكلتك العقل[١] ، عقلي عزيز ، وأنا أكره أن أُدخل عليه ما ينقصه ، فأعجبه كلامه ، ووصله .

وقال الوليد[٢] بن عبد الملك للحجاج في وَفْدَة وَفَدَها عليه : هل لك في الشراب ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لا خلاف فيما أمرت ، ولكن أنا أمنع أهلي منه ، وأكره أن أمنعهم من شيء ولا أمتنع منه ، وقد قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٤].

وقيل[٥] لأعرابي : لم لا تشرب النبيذ ؟ فقال : لا أشرب ما يشرب عقلي . وقال الضَّحَّاك بن مُزَاحم لرجل : ما تصنع بشرب النبيذ ؟ قال : يهضم طعامي ، قال : أما إنه يهضم من دينك ومن عقلك أكثر .

وقال ابن أبي أوفى[٦] لقومه حين نُهُوْا عن الخمر. شعر[٧]

(١) في جميع المخطوطات: "العقلاء"، والتصحيح من محاضرات الأدباء، ونهاية الأرب.

(٢) في محاضرات الأدباء ٦٣٣/٢ باختلاف يسير، ونهاية الأرب ٨٥/٤ وفيهما: ولكن أمنع أهلي عملي.

(٣) سورة هود، الآية: (٨٨).

(٤) سورة البقرة، الآية: (٤٤).

(٥) في محاضرات الأدباء ٦٣١/٢ ، والمختار من قطب السرور ٣٥٩ ، ونهاية الأرب ٨٤/٤ .

(٦) لم أعثر له على ترجمة ، وقد جاء اسمه هذا في محاضرات الأدباء ٧٣٣/٢ دون ترجمة .

(٧) سقطت كلمة "شعر" من النسخة د وحدها .

أَلاَ يَا لَقَــوْمِي لَــيْسَ فِي الْخَمْــرِ رِفْعَــةٌ   فَـلاَ تَقْرَبُـوا مِنْهَـا فَلَسْـتُ بِفَاعِـلِ[١]

[٢٧١/و] فَإِنِّي رَأَيْتُ الْخَمْرَ شَيْئًا وَلَمْ يَزَلْ   أَخُـو الْخَمْـر خِـلاًّ لَهَـا شِـرَارَ المنـازِلِ[٢]

وقال الحسن[٣]: لو كان العقل يُشترى لَتَغَالَى الناسُ في ثمنه، فالعجب لمن يشتري بماله ما يُفسد عقله[٤].

وقال رسول الله (×)[٥] : **"من بات سكرانًا بات للشيطان عروسًا"** . وقال عيسى (×)[٦] : **"حُبُّ الدنيا رأسُ كل خطيئة ، والنساء حبائل الشيطان ، والخمر داعيةٌ إلى كل شرّ"** .

قال بعضهم[٧] : شعر :

بَلَــوْتُ النَّبِيْــذِيِّيْنَ فِي كُــلِّ بَلْــدَةٍ   وَلَــيْسَ لإِخْــوَانِ النَّبِيْــذِ حِفَــاظُ

إِذَا دَارَتِ الْأَرْطَــالُ أَرْضَــاكَ بِالْمُــنَى   وَإِنْ فَقَــدُوهَا فَــالْوُجُوهُ غِــلاَظُ

وقال حكيم[٨]: إياك وإخوانَ النبيذ؛ فبينما أنت مُتَوَّجٌ بينهم مُخَدَّمٌ مُكَرَّمٌ معظَّم إذ

---

(١) لم أعثر على البيتين ، وهما من الطويل .

(٢) في جميع المخطوطات : " . . . رأيت الخمر شيئا" ، ويبدو لي أن الأوفق "رأيت الخمر شرا" .

(٣) الحسن بن يسار ، مولى الأنصار ، كنيته أبو سعيد ، وأُمُّه "خَيْرَة" مولاة لأم سلمة زوجة الرسول (×) ، ورضى الله عنها ، ويروى أن أمه ربما غابت في حاجة أم سلمة فيبكى الحسن فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجئ أمه ، فيدر ثديها فيشربه ، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة أتته من بركة ذلك . ت ١١٠هـ . ترجمته وأخباره في المعارف ٤٤٠ ، ووفيات الأعيان ٦٩/٢ ، والنجوم الزاهرة ٢٦٧/١ ، وسير أعلام النبلاء ٥٦٣/٤ .

(٤) القول في نهاية الأرب ٨٥/٤ مع بعض اختلاف ، وبذات النسبة .

(٥) لم أعثر على هذا الحديث ، وفي جميع المخطوطات : "من بات سكرانا" ، وهو جائز كما في اللسان .

(٦) لم أعثر على هذا القول كله ، ولكنني وجدت في كتاب كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٤/٢ : "الشباب شعبة من الجنون والنساء حبالة الشيطان" ، وفي ٣١٥/٢ : "النساء حبائل الشيطان" ، وفيه تخريجه .

(٧) لم أعثر على البيتين ، وهما من الطويل .

زَلَّت بك القدم فجردوك على شوك السَّلَمِ، فاحفظ قولَ[1] القائل :

وَقِيْـــــلَ أُنَاسٌ يَحْفَظُـــونَ حَـــرِيْمَهُمْ ... وَلَـيْسَ لأَصْـحَابِ النَّبِيْـذِ حَـرِيْمُ[2]

لَـئِنْ قُلْـتُ هَـذَا لَمْ أَقُـلْ عَـنْ جَهَالَـةٍ ... وَلَكِنَّـــنِي بِالْفَاسِـــقِيْنَ عَلِـــيْمُ

وللأعرج الطائي[3] :

تَرَكْــتُ الشِّــعْرَ وَاسْــتَبْدَلْتُ مِنْــهُ ... إِذَا دَاعِــي صَــلاَةِ الصُّــبْحِ قَامَــا[4]

كِتَــابَ اللهِ لَــيْسَ لَــهُ شَــرِيْكٌ ... وَوَدَّعْــتُ الْمُدامَــةَ وَالنَّــدَامَى

نكتة : اجتمع محدِّثٌ[5] ونَصراني في سفينة ، فَصَبَّ النصراني خمرًا من زِقٍّ كان معه في شَرْبة ، وشرب ، ثم صبَّ فيها وعرضها على المحدِّث ، فتناولها من غير نُكْر ولا مُبالاة، فقال النصراني: جُعلتُ فِداك ، إنما هو خَمْرٌ، قال من أين علمتَ أنها خمر ؟ فَشرِبها المحدِّث على عَجَلٍ ، وقال للنصراني : يا أحمق ، نحن أصحاب الحديث نُضعِّف سفيان بن عُيَينة ، ويزيد بن هارون ، فنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي ! والله ما شَربتها إلا لضعف الإسناد .

---

(٨) القول دون نسبته إلى حكيم في نهاية الأرب ٨٤/٤ مع بعض اختلاف .

(١) في النسختين د ، ك : "فاحفظ قال القائل" .

(٢) البيتان ضمن أربعة أبيات دون نسبة في نهاية الأرب ٨٤/٤ مع بعض اختلاف ، وهما من الطويل .

(٣) عدي بن عمرو بن سُويد بن ريان الأعرج الطائي ، وقيل : اسمه سويد بن عدي ، وهو مخضرم . معجم الشعراء ٨٥ .

(٤) البيتان ضمن ثلاثة أبيات في معجم الشعراء ٨٥ ، والثالث يتمم المعنى وهو

وحرَّمتُ الخمورَ وقد أراني ... بها سَدِكًا وإن كانت حرامًا

وهي من الوافر ، السَّدِك : الملازم ، أو المولع بالشيء ، اللسان في [سدك] ، وفيه البيت هذا .

(٥) جاءت الحكاية في قطب السرور ٢٠٣ ، ٢٠٤ مع رجل عادي ، وليس مع محدِّث وفيها زيادة ونقص .

[٢٧١/ظ] ومن ذلك ما حُكِي أن سكرانا استدعى[١] على طريق، فجاء كَلْب فَلَحَس شَفَتيه فقال: خَدموك بَنوك ولا عَدموك، ثم بَالَ على وجهه فقال: وماء حار! بارك الله عليك. وقيل السكارى ثلاثة: قردٌ حَرّك رأسه فرَقص، وكلب هَارَشَ ونَبَح وحية رَوِيَتْ[٢] فنامت. ومَرَّ عقالٌ بِمِرداس بن خذام[٣] الأسدي[٤] فاستسقاه لبنًا، فصَبّ خمرًا وعَلاَه بلَبن، فشربه فسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام وقال[٥] . شعر[٦]

سَقَيْتُ عِقَالاً بِالْعَشِيَّةِ شَرْبَةً ... فَمَالَتْ بِعَقْلِ الْكَاهِلِيِّ عِقَالِ

قَرَعْتُ بِأُمِّ الْخَلِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ ... فلَمْ ينتعِشْ منها ثَلاثَ لَيَالِ

قيل[٧] : إن آدم (×) لما غَرَس شجرة الكَرْم جاء إبليسُ اللعينُ إليها فَذَبَح عليها طاووسًا، ثم قردًا ، ثم أسدًا ، ثم خِنزيرًا، فشربت من دماء الأربعة، فلذلك شاربها تعتريه هذه الأحوال، فالأول يَتَمخطر[٨] كالطاووس ، ثم يُعربد ويرقص كالقرد ، ثم تلحقه الحرارة الغضبية فيصير كالأسد ، ثم ينقطع وينام كالخنزير .

---

(١) في جميع المخطوطات : "استدعى" ، ويبدو لي أن الصواب استرخى .

(٢) في النسختين د ، ك : "دويت" ولا معنى له هنا .

(٣) في جميع المخطوطات : ابن جذم" بالجيم ، وهو تصحيف .

(٤) في المؤتلف والمختلف ١٥٥ : مرداس بن خذام الأسدي، لا أعرف من أي بطون أسد هو، إسلامي كان ينزل الكوفة ، وهو شاعر خبيث.

(٥) البيتان ضمن ثلاثة أبيات في المؤتلف والمختلف ١٥٥ ، والحكاية موجودة دون ذكر عقال الناسك ، والأبيات تدل عليه ، وهما من الطويل .

(٦) سقطت كلمة شعر من النسختين د ، ك .

(٧) لم أعثر على هذا .

(٨) لم أعثر على هذا اللفظ في لسان العرب ، ولكن فيه تَبَخْتر ، وكذلك في مختار الصحاح . ويبدو لي أن هذه لفظة عامية .

وقد ترنمت بمدحها الشعراء جاهلية وإسلاما ، فمن ذلك قول عَنْتَرة[1] :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَمَا ... رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ[2]

بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسِرَّةٍ ... قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ فِي الشِّمَالِ مُقَدَّمِ[3]

فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ ... مَالِي ، وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ[4]

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى ... وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائِلِي وَتَكَرُّمِي

وقال عمرُو بُن كلثوم[5] :

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِيْنَا ... وَلاَ تُبقِى خُمُورَ ٱلأَنْدَرِيْنَا[6]

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيْهَا ... إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِيْنَا[7]

---

(١) عنترة بن شداد بن معاوية العبسي ، أحد أغربة العرب ، لم يلحقه أبوه بنسبه إلا بعد الكبَر ، وكان من أشد أهل زمانه ، وأجودهم بما في يده ، وشهد حرب داحس والغبراء ، وأبلى فيها بلاء حسنا . ترجمته وأخباره في طبقات ابن سلام ١/١٥٢ والشعر والشعراء ١/٢٥٠ ، والأغاني ٨/٢٣٧ ، وخزانة الأدب ١/١٢٨ .

(٢) ديوان عنترة ٢٠٥-٢٠٧ . وركَدَ الهواجر : سكنت ، وذلك عند قائم الظهيرة . والمشوف المعلم : يعنى الدينار الذي حُلى وزُين ، أو الدرهم ، ويقال : المشوف المعلم بُرْدُه ورداؤه ، والمعلم : الذي عليه علامة [من شرح الديوان] ، وهي من الكامل .

(٣) الأسرّة: طرائق في الشراب عند المرح، وأصل الأسرّة الخطوط التي في الكف. وأراد بالأزهر إبريقًا أبيض برّاقا. والمفدِّم : الذي عليه فدام ، وهى خرقة تشد على فم الإبريق . [من الديوان] .

(٤) يُكْلَم : يُجرح ، والمقصود أنه لم يُنقص من عرضه شيء .

(٥) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ، وكنيته أبو الأسود أو أبو عمير ، وهو فارس شاعر مقدم ، وهو أحد فُتال العرب ، وهو الذي قتل عمرو بن هند في حكاية مشهورة . ترجمته وأخباره في طبقات ابن سلام ١/١٥١ ، والشعر والشعراء ١/٢٣٤ ، والأغانى ١١/٥٢ ، وخزانة الأدب ٣/١٨٣ ، والأبيات من الوافر .

(٦) شروح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣٧١-٣٧٣ . هُبِّي : قومي . فأصبحينا : اسقينا صبوحا ، وهو شُرب الغداة . والأندرين : قرية بالشام كثيرة الخمر . [من شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات] .

(٧) في جميع المخطوطات : "كأن الجص" بالجيم ، وهو تصحيف . والتصحيح من المصدر المذكور . المشعشعة : الخمر

تَجُـــورُ بِـــذِي الُّلبَانَـــةِ عَـــنْ هَـــوَاهُ   إِذَا مَـــا ذَاقَهَـــا حَـــتَّى يَلِيْنَـــا[1]

[٢٧٢/و] تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيْحَ إِذَا أُمِرَّتْ   عَلَيْـــهِ لِمَالِـــهِ فِيهَـــا مُهِيْنَـــا[2]

وقال غيره[3]:

وَمَشْـــمُولَةٍ فِي الْكَـــأْسِ تَحْسَـــبُ أَنَّهَـــا   سَمَـــاءُ عَقِيْـــقٍ رُصِّـــعَتْ بِالْكَوَاكِـــبِ

بَنَـــتْ كَعْبَـــةَ اللَّـــذّاتِ فِي حَـــرَمِ الْمُـــنَى   فَحَـــجَّ إِلَيهَـــا اللَّهْـــوُ مِـــنْ كُـــلِّ جَانِـــبِ

وقد جرى في زمان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصةٌ يليق ذِكْرُها في هذا الموضع ، وهى ما حكاه أبو بكر الخرائطي بإسناده قال[4]: بينما عمر رضي الله عنه يطوف في سِكَّةٍ من سكك المدينة إذ سمع امرأة تهتف في صوتها بشعر[5] :

هَـــلْ مِـــنْ سَـــبِيْلٍ إِلَى خَمْـــرٍ فَأَشْـــرَبَهَا   أَمْ مِـنْ سَبِيْلٍ إِلَى نَصْرِ بْـنِ حَجَّـاجِ ؟

إِلَى فَـــتًى مَاجِـــدِ ٱلأَعْـــرَاقِ مُقْتَبِـــلٍ   سَـــهْلِ الْمُحَيَّـــا كَـــرِيمٍ غَـــيْرِ مُحْتَـــاجِ

التي أُرِقّ مَزْجُها . الحُصّ : الوَرْسُ . وسخينا : اختلف في معناه ، فقيل : كنا أسخياء إذا شربناها ، أي ازداد سخاؤنا، وقيل : أنها تمزج بالماء الحار، يقال ماء سخين، أي مُسخّن. [من المصدر المذكور بتصرف].

(١) في جميع المخطوطات: "يجود"، والتصحيح من المصدر المذكور. اللبانة: الحاجَة. ومعنى البيت أن الخمر تميل بشاربها عن حاجته. [من المصدر المذكور].

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د: "ترى اللحن"، وهو تحريف من النساخ. اللحز: الضيّق البخيل، أو السيء الخلق اللئيم [من المصدر السابق].

(٣) لم أعثر على البيتين، وهما من الطويل.

(٤) الحكاية والأبيات في الأوائل ١٥٣ و١٥٤ في أول من عَسَّ بالليل، ومصارع العشاق ٢٦٦/٢ – ٢٦٨، وخزانة الأدب ٨٠/٤ – ٩٠ مع بعض اختلاف في ألفاظ الحكاية وأبيات الشعر.

(٥) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د و ك، والأبيات من البسيط.

تَنْمِيْــهِ أَعْــراقُ صِــدْقٍ حِــيْنَ تَنْسُــبُهُ　　أَخَـا حِفَـاظٍ عَـنِ الْمَكْـرُوبِ فَـرَّاجِ[1]

سَــامِي الْمَــوَاطِنِ مَــنْ يَنْمِــي لَــهُ مُهُــرٌ　　تُضِــيءُ صُــورَتَهُ لِلْحَالِــكِ الــدَّاجِي[2]

فقال عمر رضي الله عنه: أرى معي في المصر مَن تهتف به العواتق في خِدْرها ، عَلَيَّ بنَصر ابن حَجَّاج .

قلت : وهو نصر بن حجاج بن علاط[3] السُّلَمي[4] البَهْزِي[5]، وكان والده من الصحابة رضي الله عنهم فإذا هو من أحسن الناس وجهًا وعينًا وشَعْرًا ، فأمر بشعره فجُزّ، فخرجت له جبهةٌ كأنها شقة قمرٍ، فأمره أن يعتمَّ، فاعتمَّ فافتتن النساءُ بعينيه، فقال عمر رضي الله عنه: والله لا تُساكنِّي ببلدة أنا بها، قال: يا أمير المؤمنين: ولم؟ قال: هو ما أقول لك، فَسَيَّره إلى البصرة، وخشيتِ المرأة التي سمع منها عمر رضي الله عنه أن يبدوَ من عمر إليها شيء ، فدسَّتْ إليه أبياتا، وهي. شعر[6]:

[٢٧٢/ظ] قُــلْ لِلإِمَــامِ الَّــذِي تُخْشَــى　　مَــا لِي وَلِلْخَمْــرِ أَوْ نَصْــرِ بْــنِ حَجَّــاجِ

إِنِّي عُنِيْـــــتُ أَبَا حَفْـــــصٍ بِغَيْرِهِمَـــــا　　شُــرْبِ الْحَلِيْــبِ وَطِــرْفٍ فَــاتِرٍ سَــاجِ[7]

إِنَّ الْهَــــوَى زمــــت التَّقْــــوى مَحْبِسَــــه　　حَــــتَّى أُقِــــرَّ بِإِلْجَــــامٍ وَإِسْــــرَاجِ[8]

---

(١) هذا البيت والذي بعده ليسا في المصادر المذكورة.

(٢) في النسختين د، ك: ".. من ينهى له مهر".

(٣) في جميع المخطوطات: "عراط"، وهو تحريف من النساخ، والتصحيح من عيون الأخبار ٢٤/٤.

(٤) في النسختين د، ك: "المسلمي".

(٥) في جميع المخطوطات: "الهندى"، والتصحيح من عيون الأخبار ٢٣/٤.

(٦) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د و ك .

(٧) في الأوائل : "إني غنيت" بالغين المعجمة ، ولا معنى له .

(٨) في جميع المخطوطات : "إن الهوى زمت التقوى محبسه" واعتمدت ما في المصادر مع بعض اختلاف فيها ، ففي

مَـــا مُنْيَــــةٌ أَدَبًا فِيْهَـــا بِضَـــائِرَةٍ وَالنَّـاسُ مِـنْ صَـادِقٍ فِيْهَـا وَمِـنْ رَاجِ[١]

لاَ تَجْعَــــلِ الْحَــــقَّ ظَنًّـــا أَوْ تَيْقَّنَـــهُ إِن السَّــبِيْلَ سَــبِيْلُ الْخَـائِفِ الرَّاجِــي

قال: فبكى عمر رضي الله عنه، وقال: الحمد لله الذي حبس التقوى الهوى، قال: وأتى على نَصر بن حَجّاج زمانٌ، واشتدّ على أمِّه غَيبتُه، فتعرضت لعمر رضي الله عنه أُمُّهُ بين الآذان والإقامة، فقعدت له على الطريق ، فلما خرج يريد الصلاة ، أي صلاة العصر، قالت: يا أمير المؤمنين، لأُخَاصِمَنّك بين يدي الله تعالى يوم القيامة، أنت تَبَاتُ[٢] وعبد الله، وعاصم إلى جنبك، وبيني وبين ابني المَفَاوِزِ والفَيَافي والجبال، فقال رضي الله عنه: يا أم نصر، إن عبد الله، وعاصما لم تهتف بهما العواتق في خُدُورهن، فانصرَفت، ومضَى عمر رضي الله عنه إلى الصلاة.

قال : وسيّر عمرُ رضي الله عنه بريدًا إلي البصرة ، فمكث في البصرة أياما، ثم نادى مناديه: مَن أراد أن يكتب إلى المدينة فليكتب، فإن بريد المسلمين خارج، فكتب الناس، وكتب نصر بن حجاج: سلامٌ عليك، فأما بعد، فيا أمير المؤمنين. شعر[٣] :

لَعَمْـــرِي لَـــئِنْ سَـــيَّرْتَنِي وَحَـــرَمْتَنِي فَمَـا نِلْـتَ مِـنْ عِرْضِـي عَلَيْـكَ حَـرَامُ[٤]

الأوائل : "زمه التقوى فحبَّسه" ، وفي المصارع : "ذمة التقوى فقيده" وفي الخزانة : زمة التقوى فخيسّه" ، وما اعتمدته تلفيق من الأوائل والمصارع .

(١) هذا البيت ساقط من جميع المصادر ما عدا الأوائل : وفيه : "أمنيّة لم أُرد فيها بضائرة . . . ومن ناج" .

(٢) يجوز في مضارع "بات" أن يقال "يبيت ويَبَاتُ" . اللسان في [بات] .

(٣) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د و ك . والأبيات بحر الطويل .

(٤) في نسخة الأصل م "العمرتني" ، والتصحيح من المصادر ، والنسختين د و ك ، وفي مصارع العشاق والخزانة : "أو حرمتني" ، وما هنا يوافق الأوائل ، وفي المصارع جاء البيت في صورة النثر هكذا : "لئن سيرتني أو حرمتني وما نلت منى عليك بحرام" [كذا] ، وفي الأوائل والخزانة جاء الشطر الثاني هكذا : "وما نلتُ ذنبًا إنّ ذَا الحرامُ"

وَمَــا لِي ذَنْــبٌ غَــيْرَ ذَنْــبٍ ظَنَنْتَــهُ   وَفِي بَعْــضِ تَصْــدِيْقِ الظُّنُــونِ أَثَامُ
فَــإِنْ غَنَّــتِ الــذَّلْفَاءُ يَوْمًــا بِمُنْيَــةٍ   فَــبَعْضُ أَمَــانِيِّ النِّسَــاءِ غَــرَامُ
ظَنَنْـتَ بِي ٱلأَمْــرَ الَّــذِي لَـيْسَ بَعْـدَهُ   بَقَــاءٌ فَمَــا لِي فِي النَّــدِيِّ كَــلاَمُ
[٢٧٣/و] فَأَصْبَحْتُ مَنْفِيًّا عَلَى غَيْرِ رِيْبَةٍ   وَقَــدْ كَــانَ لِي بِالْمَكَّتَــيْنِ مُقَــامُ
وَيَمْنَعُــنِي مِــمَّ تَظُــنُّ تَكَرُّمِــي   وَآبَاءُ صِــدْقٍ سَــابِقُونَ كِــرَامُ
وَيَمْنَعُهَــا مِمَّــا تَقُــولُ صَــلاَتُهَا   وَحَــالٌ لَهَــا فِي قَوْمِهَــا وَصِــيَامُ
فَهَــاتَانِ حَــالاَنَا فَهَــلْ أَنْــتَ رَاجِعِــي   فَقَــد جُــبَّ مِنَّــا غَــارِبٌ وَسَــنَامُ(١)

فقال عُمر رضي الله عنه : أما وَلِيّ إمارة فلا، وأقطعه مالاً بالبصرة ودارًا، قال أبوبكر الخَرَائطي: رَحِمَ الله عمر رضي الله عنه ما كان أنظره بنور الله وفراسته، كان والله كما قال الشاعر:

بَصِــيْرٌ بِأَعْقَــابِ ٱلأُمُــورِ بِرَأْيِــهِ   كَـأَنَّ لَـهُ فِي الْيَـوْمِ عَيْنًـا عَلَـى غَـدِ(٢)

وذلك(٣) أن نَصر بن حَجّاج لما نَفَاه عمر رضي الله عنه إلى البصرة كان يدخل على مُجاشع بن مسعود السّلمي ، وكان به معجبا، وكانت امرأته يقال لها الخَضراء(٤) ، وكانت من أجمل النساء، وكان لا يَصبر عنها، وهو يومئذ أمير على البصرة نيابة عن أبي موسى الأشْعَرِيّ

---

(١) في جميع المخطوطات : "فهاتان حالات" والتصحيح من المصادر ، وفي النسختين د و ك : "فقد حُب" بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٢) البيت، من بحر الطويل ، وهو مروي في كثير من المصادر بلا نسبة، مثل زهر الأكم في الأمثال والحكم، وعيون الأخبار، ونهاية الأرب، ووفيات الأعيان.

(٣) الحكاية في الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ٢٧٥ و ٢٧٦ ، وخزانة الأدب ٨٥/٤ و ٨٦ باختصار .

(٤) في نسخة الأصل م : "الخضيراء" ، وما في النسختين د و ك يوافق هامش الخزانة ، وفي المصدرين السابقين "شميلة" .

رضي الله عنه ، وكان لشَغَفه بها يجمعها في مجلسه، فحانت يوما من مُجاشع التفاتة ونَصر بن حَجّاج يَخُطُّ في الأرض خطوطًا، فقالت الخضراء: وأنا والله، فعلم مجاشع أنه جواب كلام فقال: ما قال لك؟ قالت: قال: ما أحسن سَواد بيتكم! قال: والله ما هذه جواب هذه، وكان لا يكتب، وهى تكتب، فدعا بإناء فَكَفَأَهُ على الخطوط، ودعا كاتبًا فقرأَه فإذا هو: إني أُحبك حبا شديدا لو كان فوقك لأَظَلَّك، ولو كان تحتك لأَقلَّك، فقال مُجاشع: هذه لهذه، وبلغ نصر بن حَجّاج ما صَنَع مُجَاشع فاستحيا ولزم بيته، وضنى بُجبه حتى [٢٧٣/ظ] صار كالفَرْخ، فقال مجاشع لامرأته: اذهبي إليه، وأسنديه إلى صدرك، وأَطْعميه الطعامَ بيدك، فأَبَتْ، فعزَم عليها فذهبت إليه، فأَسْنَدَته إلى صَدرها، وأطْعَمته بيدها، فلما تَحَامَل خرَج من البصرة، وقيل: إن مُجاشِعًا طلقها، وقال لنصر بن حَجاج: تزوج يا ابن أخي إن أردتَ، وكانوا لا يكتمون من أمرائهم شيئا، فأتَى مُجاشع أبا موسى الأشعري فأخبره، فقال أبو موسى لنصر: أقسم بالله ما أخرجك أمير المؤمنين (من خبر، اخرج عنا، فأتَى فارس، وعليها عثمان بن أبي العاص الثقفي ، فنزل على دهقان فأعجبها فأرسلت إليه، فبلغ ذلك عثمان بن أبي العاص، فبعث إليه فقال: ما أخرجك أمير المؤمنين) [١] وأبو موسى الأشعري من خبر، اخرج عنا، فقال : والله لئن فعلتم هذا لألحقن بالشِّرك، فكتَب عثمان بن أبي العاص إلى أبي موسي وكتب أبو موسى إلى عمر رضي الله عنه، فكتَب إليه عُمر رضي الله عنه : أَنْ جُزُّوا شَعْرَه، وسَحِّرُوا[٢] قميصه، وأَلزِمُوه المسجدَ، فقال نَصر بن حَجّاج في حق عمر رضي الله عنه شعرا[٣] :

ظَـنَّ ابْـنُ خَطَّـابٍ عَلَـيَّ مُجَنِّـبِي ... إِذَا رَحَلَـتْ تَهْتَـزُّ هَـزَّ السَّلاَسِـلِ[٤]

---

(١) ما بين القوسين سها عنه ناسخ النسخة الأصل م ، ثم كتبه في الهامش .

(٢) من معاني هذه الكلمة الإفساد . اللسان في [سحر]

(٣) في نسخة الأصل م : "شعر" وهو جائز كالمعتاد على اعتبار الفصل بين الكلمة وسابقها ، ويجوز النصب على اعتبار المفعولية ، وقد اعتمدت ما في النسختين د و ك .

(٤) البيتان من بحر الطويل ولم أعثر عليهما .

يُصَلِّعُ رَأْسًا لَمْ يُصَلِّعْهُ رَبُّهُ ... يَرِقُّ رَقِيْقًا بَعْدَ أَسْوَدَ حَامِلِ

ومما قيل في الخمر قولُ الشاعر(١) :

وَشَمْسَةُ خَمْرٍ بُرْجُهَا قَعْرُ دَنِّهَا ... فَمَطْلَعُهَا السَّاقِي وَمَغْرِبُهَا فَمِي

مُدَامٌ كَتِبْرٍ فِي إِنَاءٍ كَفِضَّةٍ ... وَسَاقٍ كَبَدْرٍ مَعْ نَدَامَى كَأَنْجُمِ

وقال آخر(٢) :

قُمْ فَاسْقِنِي بِنْتَ الْعِنَبْ ... مُدَامَةً لَهَا لَهَبْ

كَأَنَّمَا بَاذِلُهَا ... مَدَّ شَرِيْطًا مِنْ ذَهَبْ

وقال آخر(٣) :

وَمُدَامَةٍ حَمْرَاءَ فِي قَارُورَةٍ ... زَرْقَاءَ تَحْمِلُهَا يَدٌ بَيْضَاءُ

[٢٧٤/و] فَالرَّاحُ شَمْسٌ وَالْحَبَابُ كَوَاكِبٌ ... وَالْكَفُّ قُطْبٌ وَالإِنَاءُ سَمَاءُ

وقول الآخر(٤) :

وَلَمْ نَرَ شَمْسًا قَبْلَهَا فِي زُجَاجَةٍ ... مُكَلَّلَةٍ مِنْ نَفْسِهَا بِنُجُومِ

وَتَنْظُرُ مِنْ سِتْرِ الزُّجَاجِ كَأَنَّهَا ... سَنَا الْبَرقِ يَبْدُو مِنْ رَقِيْقِ غُيُومِ

وقول الآخر(٥) :

---

(١) البيتان من بحر الطويل ولم أعثر عليهما .

(٢) البيتان من مجزوء الرجز . ولم أعثر عليهما .

(٣) البيتان من الكامل . ونسب البيتان إلى يزيد بن معاوية في نهاية الأرب ١٠٨/٤ .

(٤) البيتان من الطويل . ولم أعثر عليهما .

صَـفْرَاءُ تَطْـرُقُ فِي الزُّجَـاجِ فَـإِنْ سَـرَتْ فِي الْجِسْـمِ تَسْـرِى مِثْـلَ صِـلٍّ لاَدِغِ
خَفِيــتْ عَلَــى شُــرَّابِهَا فَكَــأَنَّهُمْ يَجِـــدُونَ رَتًّا فِي إِنَاءٍ فَـــارِغِ

وقول الآخر[1] :

صَـدَحَ الـدِّيْكُ فِي الـدُّجَى فَاسْـقِنِيْهَا قَهْـوَةً تَـتْرُكُ الْحَلِـيْمَ سَـفِيْهَا
لَسْـتُ أَدْرِى مِـنْ رِقَّـةٍ وَصَـفَاءٍ هِيَ فِي الْكَأْسِ أَمْ هُوَ الْكَأْسُ فِيْهَا[2]

ولابن حجة[3] :

صَـبَّ فِي الْكَـأْسِ عَقِيْقًـا فَجَـرَى وَطَفَـا الـدُّرُّ عَلَيْـهِ فَطَفَـحْ
نَصَـبَ السَّـاقِي عَلَـى حَافَاتِهَـا شَـبَكَ الْفِضَّـةِ فَاصْـطَادَ الْفَـرَحْ

ولبعضهم[4] :

(٥) البيتان من الطويل، وهما للحاجب أبي جعفر بن عثمان المصحفي، حاجب المنصور بن أبي عامر الأندلسي، وله ترجمة في كتاب نفح الطيب ٥٩٤/١، وفي النسخة ك في البيت الأول: "صل لادع" بالعين المهملة، وهو تصحيف .

(١) البيتان من الخفيف . وجاء في المختار من قطب السرور ٣٩٧ وصُدرا بقول المؤلف : أظنه لابن المعتز . ، ولم أجدهما في ديوانه [ط عالم الكتب] .

(٢) في جميع المخطوطات : "هي في الكأس أم الكأس فيها" بإسقاط "هو" ، والتصحيح من المختار من قطب السرور ؛ ليستقيم الوزن .

(٣) البيتان من الرمل . وجاءا منسوبين إلى العسكري في نهاية الأرب ١١٧/٤ ، وهما في ديوان العسكري ٨٨ ، وفي نهاية الأرب والديوان في البيت الأول : ذاب في الكأس عقيق" ، وفي نهاية الأرب "فسبح" مكان "فطفح" وما في المخطوطات يوافق الديوان .

(٤) البيتان من الطويل وينسبان إلى ديك الجن في نهاية الأرب ١١٥/٤ وهما في ديوان ديك الجن ١٨١ وفيه تخريج البيتين .

وَحَمْرَاءَ قَبْلَ الْمَزْجِ صَفْرَاءَ بَعْدَهُ أَتَتْ بَيْنَ ثَوْبَيْ نَرْجِسٍ وَشَقَائِقِ

حَكَتْ وَجْنَةَ الْمَحْبُوبِ صِرْفًا فَسَلَّطُوا عَلَيْهَا مِزَاجًا فَاكْتَسَتْ ثَوْبَ

ولبعضهم(٢) :

وَكَـأْسٍ تُرِيْنَـا آيَـةَ الصُّـبْحِ فِي الـدُّجَى فَأَوَّلُهَـا شَمْـسٌ وَأخِرُهَـا بَـدْرُ

مُقَطَّبَـةً مَـا لَمْ يَزُرْهَـا مِزَاجُهَـا فَـإِنْ زَارَهَـا جَـاءَ التَّبَسُّـمُ وَالْبِشْـرُ(٣)

فَيَـا عَجَبًـا لِلـدَّهْرِ لَمْ تَخْـلُ مُهْجَـةٌ مِنَ الْعِشْقِ حَتَّى الْمَاءُ يَعْشَقُهُ الْخَمْرُ(٤)

وقول الآخر(٥) :

شَـرِبْنَا بِالصَّـغِيْرِ وَبِالْكَبِـيْرِ وَلَمْ نَحْفِـلْ بِأَحْـدَاثِ الـدُّهُورِ

وَقَـدْ رَكَضَـتْ بِنَـا خَيْـلُ الْمَلاَهِـي وَقَـدْ طِـرْنَا بِأَجْنِحَـةِ السُّـرُورِ

[٢٧٤/ظ] ورئيس هذا الفن هو أبو النواس(٦)، فإنه صنّف فيه "حلبة الكُمَيْتِ"، ولرقة أشعارها، ومبالغة ما قال فيها، قيل: عجبا لمن طالع حلبة الكُمَيْت ولم يسكر، فمن قوله

(١) في نسخة الأصل م : "فاكتسب" مكان "فاكتست" وهو تصحيف من الناسخ .

(٢) الأبيات من الطويل . ولم أعثر عليها .

(٣) في النسختين د و ك : "ما لم تزرها" ، وهو تصحيف .

(٤) في نسخة الأصل م : "يا عجبا . . ." ، واعتمدت ما في النسختين د و ك ؛ لكي نبتعد عن عيب الخرم في أول الطويل .

(٥) لم أعثر على البيتين . وهما من الوافر .

(٦) في هامش نسخة الأصل م كتب بذات الخط "لعله النواجى" . وأقول : إن كتاب حلبة الكميت هو للنواجي فعلا ، وليس لأبى نواس .

فيها[١] :

وَعِنْــدِي مِــنْ بَنَــاتِ الْكَــرْمِ بِكْــرٌ   لَيَالِيهَــا وَإِنْ طَالَــتْ قِصَــارُ [٢]

تَخَــالُ الْكَــأْسَ عِنْــدَ الْمَــزْجِ عِقْــدٌ   وَمِــنْ فَضْــلِ النَّــدِيمِ لَهَــا سِــوَارُ[٣]

وله[٤] :

كَــأَنَّ صُــغْرَى وَكُــبْرَى مِــنْ فَوَاقِعِهَــا   حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَـى أَرْضٍ مِـنَ الـذَّهَبِ

ولابن وكيع[٥] :

كَأَنَّهَــا فِي الْكُــؤُوسِ إِذْ جُلِيَــتْ   مِــنْ عَسْــجَدٍ رَقَّ لَوْنُهَــا وَصَــفَا[٦]

أَغْضَــبَهَا الْمَــاءُ حِــيْنَ مَازَجَهَــا   فَأَزْبَــدَت فِي كُؤُوسِــهَا أَلْفَــا

فائدة[٧] : هل يجوز التداوي بالخمر ؟ المنقول في مذهبنا أنه لا يجوز مطلقا ، إلا في إساغة الغاصّ فقط . وهل يجوز التداوي بالمحرَّم غيرها ؟ ظاهر مذهبنا المنع ، لكن نقل صاحب الحاوي من أئمة مذهبنا أنه يُرخص التداوي بالمحرم غير الخمر ، إذا عُلم أن فيه

(١) لم أعثر على البيتين وهما من الوافر .

(٢) في نسخة الأصل م : "وإن طالت قصارا" [كذا] بالنصب ، والتصحيح من النسختين د و ك .

(٣) في نسخة الأصل م : ". . . لها سوارا" [كذا بالنصب] ، والتصحيح من النسختين د و ك .

(٤) البيت لأبي نواس في ديوانه ٧٢، [البسيط] .

(٥) الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي ، المعروف بابن وكيع التنيسي ، أديب فاضل ، شاعر مجيد، عارف بفنون العلم. ت ٣٩٠هـ. ترجمته وأخباره في وفيات الأعيان ١٠٤/٢ ، ومعجم الأدباء ٩٩٣/٣ ت إحسان عباس .

(٦) البيتان من المنسرح، وهما في وفيات الأعيان ١٠٥/٢ ضمن ثلاثة أبيات ، وفي المختار من قطب السرور ٤٦٨ ضمن ثلاثة عشر بيتا .

(٧) في هامش نسخة الأصل م كتب : "مسألة فقهية" .

الشفاء ، أي بإخبار طبيب حاذق مسلم ، ولم يُعلم دواء آخر . فإن قيل : هل الخمر[(١)] حقيقة في التي من ماء العنب إذا غلا واشتد وقذف بالزَّبْد مجاز في غيره من الأشربة المسْكرة ؟ خلاف في ذلك .

وفى الحديث[(٢)] : **"كل مُسكر خَمْر ، وكل خَمْر حرام"** ، قال شُرّاح الحديث : يُتأول هذا الحديث على وجهين: أحدهما: أن الخمر اسم لكل ما يوجد فيه الإسْكار من الأشربة كلها، ومَن ذهب إلى هذا قال : إن للشريعة أن تحدث الأسماء بعد أن لم تكن ، كما لها أن تضع الأحكام بعد أن لم تكن . والوجه [٢٧٥/و] الآخر : أن يكون كالخمر في الحُرْمة ووجوب الحَدّ على شاربه ، وإن لم تكن عَيْنَ الخمر ، وإنما أُلحق بالخمر حُكما إذ كان في معناها ، وهى كما جعلوا النبَّاش[(٣)] في حُكم السارق، والمتلوّطَ في حُكم الزاني، وإن كان كل واحد منهما مختصا في اللغة بغير السرقة، وغير الزنا.

وليُعلم أنه يجب الحد على مَن شرب الخمر إذا كان مُسلما، ناطقا، مُكَلَّفا، ولو بقَطْرة بلا قيدٍ سكر[(٤)] أو سكر من غيره طَوعا عالما بالحُرمة بعد الإفاقة . ويقع عندنا طلاق السكران زَجرًا له .

وقد تقدم ذمُّها في القرآن العظيم، وقد تقدم، وفى الحديث أيضا من ذلك: **"الخمر أم الخبائث، فمن شربها لم تُقْبَل صلاته أربعين يوما"** قال الجَلال السيوطي[(٥)]: حكمة ذلك أنها

(١) في النسختين د و ك : "هذا الخمر" .

(٢) جاء الحديث بلفظه هنا ، وبلفظ "كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام" في مسند الإمام أحمد ٤٦٤٥ و ٤٨٣٠ و ٤٨٣١ و ٤٨٦٣ و ٥٧٣٠ و ٥٧٣١ و ٥٨٢٠ و ٦١٧٩ و ٦٢١٨ . وجاء في سير أعلام النبلاء كاملا أو الجزء الأول أو الجزء الثاني في ٤٤٩/١ و ٤٠١/٨ و٥٥٥ و ٣٧٥/١٠ و ٦٣/١١ و ٤٨/١٧ ، وكذلك في البداية والنهاية ٣٨٠/٧ ، وجاء بنصه هنا في الدر المنثور ، في التفسير بالمأثور ٤٧١/٥ وفيه تخريجه .

(٣) النبّاش : هو الذي ينبش القبور ، ويستخرج المدفون . اللسان في [نبش] .

(٤) يبدو لي أن هنا سقطا ، ويمكن تصحيح الأسلوب هكذا " بلا قيد ، سَكِرَ منه أو سكر من غيره" .

(٥) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، جلال الدين السيوطي، (ت ٩١١هـ) ط٢ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م دار

تبقى في عروق شاربها أربعين يوما وإدمانها – والعياذ بالله – دليل على سوء الخَاتمة.

وعَرَقُ مُدمنها نَجس في قول عندنا، وقد ارتضاه بعض أئمتنا. ولا يخفى ما بين العساكر والدساكر، والمدامة والندامة في قول الناظم من الجِنَاس اللاحق، كما في قولهم : ليل دَامِس، وبحر طَامِس، على ما تقدم بيانه. انتهى .

قال الناظم[1] :

وَسُـــــــــقَاتُهَا الْمُتَلاَعِبُـــــــــو نَ بِلُـــــبِّ مَـــــنْ أَعْطَـــوْهُ جَامَـــهْ

السُّقاة: جمع ساقٍ، كرماة جمع رامٍ، والضمير في سقاتها عائد على المدامة، وأصل السقاء أن يكون للّبن والماء ، قال في المختار: السِّقاءُ يكون للَّبن والماء ، والقِرْبةُ للماء خاصة. وسقاه من باب رَمَى، وأسقاه قال له: سَقْيًا وسقاه الله الغيثَ وأسقاه، والاسم السُّقْيَا بالضم، وقيل: سقاه لشَفَتِه، وأسقاه لماشيته وأرضه ، والمِسْقَوِيّ[2] من الزرع ما يُسقى بالسَّيْح. انتهى.

وقوله: المتلاعبون [٢٧٥/ظ] قال في القاموس[3] : لعَّب وتلعّب وتلاعب ضد جَدّ، وهو لَعِبٌ ولِعِب وأُلْعُبان، ولُعبة كهُمزة، وتِلْعَاب وتِلْعَابة، وتلعّاب[4] وتلعّابة كثير اللعب، وبينهم أُلْعُوبَة أي لَعِبٌ، والمِلْعَبُ موضعه، ولاَعَبَهَا لَعِب معها، وألعبها جعلها تلعب ، أو[5]

الكتب العلمية– بيروت،والمقولة في كتابه (جمع الجوامع)،والحديث بنص أطول مما أورده الأدهمي في(الجامع الصغير)للسيوطي:٢٥٢برقم٤١٤٤.

(١) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٢) في نسخة الأصل م "المسقو" بإسقاط الياء المشددة من الآخر ، والنسختين د ، ك "السقو" بإسقاط الميم من أوله والياء من آخره ، والتصحيح من المختار . .

(٣) جاء الكلام في جميع المخطوطات دون ضبط ، وضبطته من القاموس .

(٤) في نسخة الأصل م : "وتلعا" بإسقاط الباء من الآخر ، وهو سهو من الناسخ .

(٥) في جميع المخطوطات : "وجاء" بإسقاط الهمزة من "أو" ، والتصحيح من القاموس .

جاء بما تلعب به ، واللُّعْبَة التمثال ، وما يلعب به كالشِّطرنج ونحوه ، والأحمق يُسخَر به ، وملاعب الريح مدارِجُها ، ورجل لُعْبَةٌ بالضم يُلعَبُ به . انتهى .

وقوله : بِلُبّ أي بعقل، ويجمع على ألباب وأَلْبُب. قال في القاموس: واللُّبّ بالضم خالص كلِّ شيءٍ ، ومن النخل والجوز قَلْبُها، والعقل. والجمع[1] ألباب. وأَلَبَّ بالمكان أقام به، واللَّبَبُ المنَحْرَ كاللَّبَّة وموضع القلادة من الصدر، واللَّبّة المرأة اللطيفة، ولَبَّهُ ضرب لَبَّتَهُ، واللَّبْلَب كسَبْسَب وبُلْبُل: البارُّ بأهله وجيرانه، ورجل لَبٌّ ولبيبٌ لازم للأمر، ومَلْبوب موصوف بالعقل، واللَّبيب العاقل، وجَمْعه أَلِبّاء. انتهى .

وقوله أعطوه ، قال في القاموس : العَطْوُ التناول، والعَطَا — وقد يُمَدّ — نَوْلَكَ السَّمْحَ[2] وما يُعطَى كالعطية، والجمع أَعْطية، والإعطاء المناولة كالمعَاطاة[3] والعَطَاء والانقياد، والتّعَاطي التناول، وتناول ما لا يحق، والتنازع في الأخْذ، والقيام على أطراف أصابع الرجلين مع رفْع اليدَين إلى الشيء، ومنه[4]: ﴿ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾[5] وعَاطَى الصّبيُّ أهلَه: عمل لهم، وناولهم ما أرادوا، وهو يعاطيني ويعطيني ينصفني ويخدمني. انتهى[6] .

والجام كما في القاموس : إناء من فضة ، وجَمْعُه أَجْؤُم بالهمزة[7] [٢٧٦/و] وأجْوَام، وجَامات ، وجُوَمٌ ، وجامٌ من أعمال نَيسابور، وجامَ جَوْمًا طلبَ شيئا خيرا أو شرًّا، وجُوَيم

(١) في النسختين د و ك : "والجمع ألباب وألب وألبب واللبة المنحر واللبة" .

(٢) في نسخة الأصل م : "السمح السمع" ، وفي النسختين د و ك : "السمح السمى" [كذا] والتصحيح من القاموس .

(٣) في نسخة الأصل م : "كالمعطاة" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك لموافقته ما في القاموس .

(٤) في جميع المخطوطات : "تعاطى" بإسقاط الفاء . واعتمدت ما في القاموس .

(٥) سورة القمر، الآية: (٢٩).

(٦) في جميع المخطوطات : "التهى" وهو سهو من النسّاخ .

(٧) في القاموس : "بالهمز" بدون التاء . وكلاهما صحيح، إلا أن التنبيه إلى الأصل أوفق .

كَزُبَيْر بلد بفارس.

قال أبو الفَتح البُستي[1]:

كُلُّكُـــمْ قَـــدْ أَخَـــذَ الجَــا مَ وَلاَ جَـــــامَ لَنَـــــا[2]

مَــا الَّــذي ضَــرَّ مُــدِيْرَ الْــ جَــــامِ لَــــوْ جَامَلَنَــــا

أي عاملنا بالجميل. وبيت أبي الفتح فيه الجناس المفروق ، وإنما سُمي بالمفروق لافتراق اللفظين في الخَطّ ، وليس من الجِناس المفروق قول الحَرِيري[3] :

وَالْمَكْــرَ مَهْمَــا اسْــطَعْتَ لاَ تَأْتِــهِ لِتَقْتَـــنِي السُّــــؤْدَدَ وَالْمَكْرُمَـــهْ

وقوله[4] :

وَلاَ تَلْــهُ عَــنْ تِــذْكَارِ دَيْنِــكَ وَابْكِــهِ بِــدَمْعٍ يُحَــاكِي الْمُــزْنَ حَــالَ مَصَــابِهِ

وَمَثِّــلْ لِعَيْنَيْــكَ الحِمَــامَ وَوَقْعَــهُ وَرَوْعَـــةَ مَلْقَـــاهُ وَمَطْعَـــمَ صَـــابِهِ

إذ يجب في المفروق أن لا يكون المركب مركبا من كلمة وبعض كلمة ، ومتى كان مركبا

(١) على بن محمد الكاتب البستى، وكنيته أبو الفتح، كان كاتب الباتيور صاحب بست. فلما فتحها ناصر الدولة عمل له ، واستمر معه إلى أن نبذه إلى بلاد الترك ، فمات في بلدة أوزجن ببخاري غريبا، وهو صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس البديع التأسيس . ت ٤٠٠هـ . ترجمته وأخباره في يتيمة الدهر ٣٠٢/٤ ، ووفيات الأعيان ٣٧٦/٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٤٧/١٧ .

(٢) البيتان في ملحق ديوانه ٣٧٢ ، وهما في شروح التلخيص ٤١٨/٤، وهما من مجزوء الرمل.

(٣) البيت في مقامات الحريري، المقامة الحلبية٤٠٧، وهو من [السريع] .

(٤) البيتان بذات النسبة مقامات الحريري– المقامة الرازية ١٧٩، في شروح التلخيص٤١٧/٤، وهما من [الطويل].

من كلمة وبعض كلمة يسمى التجنيس مَوْفُوًّا[١] ، كما في قول الحريري ومنه الحديث[٢]:

بِسْـــمِ ٱلإِلَـــهِ وَبِـــهِ بَــدينَا فَحَبَّـــذَا رَبًّا وَحُـــبُّ دِيْنَـــا[٣]

ومما قيل في السقاة شعر: [٤]

فَكَأَنَّهَـــا وَكَـــأَنَّ حَامِـــلَ كَأْسِـــهَا إِذْ قَـــامَ يَجْلُوهَـــا عَلَـــى النُّـــدَمَاءِ

شَمْسُ الضُّحَى رَقَصَتْ فَـنَقَّطَ وَجْهَهَا بَـــدْرُ الـــدُّجَى بِكَوَاكِـــبِ النُّـــدَمَاءِ

وقول الآخر[٥] :

كَـــأَنَّ النَّـــدَامَى وَالسُّـــقَاةَ وَدِنَّنَـــا وَكَاسَـــاتِنَا فِي الـــرَّوْضِ تَحْلَـــى وَتَشْـــرَبُ

شُمُـــوسٌ وَأَقْمَـــارٌ وَفُلْـــكٌ وَأَنْجُـــمٌ وَنَـــوْرٌ وَنَـــوَّارٌ وَشَـــرْقٌ وَمَغْـــرِبُ

وقال آخر[٦] :

وَنَـــدْمَانٍ سَـــقَيْتُ الـــرَّاحَ صِـــرْفًا وَأُفْـــقُ اللَّيْـــلِ مُرْتَفِـــعُ السُّـــجُوفِ

صَـفَتْ وَصَـفَتْ زُجَاجَتُهَـا فَكَانَـتْ كَمَعْـــنَى دَقَّ فِي ذِهْـــنٍ لَطِيْـــفِ

وقال آخر[٧] :

(١) شروح التلخيص ٤/٤١٧ .

(٢) لا أدرى معنى قوله : "ومنه الحديث" ، إلا إذا كان يقصد شعرا حديثا في عصره .

(٣) لم أعثر على هذا ، وهو من [الرجز].

(٤) لم أهتد إلى البيتين. وهما من [الكامل]. وسقطت كلمة "شعر" من النسختين د و ك .

(٥) لم أعثر على البيتين . وهما من [الطويل] .

(٦) البيتان لابن المعتز في ديوانه ٢/١٦٨و١٦٩ [ط عالم الكتب] ، وجاءا بذات النسبة في قطب السرور ٦٤١ ، وهما من الوافر .

(٧) جاء البيتان منسوبين إلى على بن جبلة في المختار من قطب السرور٣٩٢ ضمن خمسة أبيات، وهي في شعره المجموع: شعر علي بن جبلة الملقب بالعكوك جمعه، وحققه د. حسين عطوان ، دار المعارف بمصر، ص ٧٢

وَصَـــافِيَةٍ لَهَـــا فِي الْكَـــأْسِ لِـــيْنٌ   وَلَكِـــنْ فِي النُّفُـــوسِ لَهَـــا شِمَـــاسُ

كَـــأَنَّ يَـــدَ النَّـــدِيْمِ تُـــدِيْرُ مِنْهَـــا   شُـــعَاعًا لاَ يُحِـــيْطُ عَلَيْـــهِ كَـــاسُ

[٢٧٦/ظ] ومن ذلك قول ابن الرومي[١] :

وَسَـــاقٍ صَـــبِيْحٍ لِلصَّـــبُوحِ دَعَوْتُـــهُ   فَقَـــامَ وَفِي أَجْفَانِـــهِ سِـــنَةُ الْغَمْـــضِ

يَطُـــوفُ بِكَاسَـــاتِ الْعُقَـــارِ كَـــأَنْجُمٍ   فَمِـــنْ بَـــيْنِ مُـــنْقَضٍّ عَلَيْنَـــا وَمُـــنْفَضّ

وَقَـدْ نَشَّـرَتْ أَيْـدِي الْجُنُـوبِ مَطَارِفًـا   عَلَـى الْجَـوِّ دُكْنًـا وَالْحَوَاشِـي عَلَـى الْأَرْضِ

يُطَرِّزُهَـــا قَـــوْسُ السَّـــحَابِ بِأَخْضَـــرٍ   عَلَـــى أَحْمَـــرٍ فِي أَصْـــفَرٍ إِثْـــرَ مُبْـــيَضّ

كَـــأَذْيَالِ خَـــوْدٍ أَقْبَلَـــتْ فِي غَلاَئِـــلٍ   مُصَـــبَّغَةٍ وَالْـــبَعْضُ أَقْصَـــرُ مِـــنْ بَعْـــضِ

قلت : وقد نقلت في رحلتنا الشامية[٢] أني قد سئلت في حَلَب الشَّهْباء عن قوله:

وَقَـدْ نَشَّـرَتْ أَيْـدِي الْجُنُـوبِ مَطَارِفًـا   عَلَـى الْجَـوِّ دُكْنًـا وَالْحَوَاشِـي عَلَـى الْأَرْضِ

فأجبت أن الدُّكنة[٣] بالضم لون إلى السواد ، يقال : دَكِنَ كفرح فهو أدكن ، ودَكَن المتاع كنصر نُضّد بعضه على بعض كدَكَّنَه . أي[٤].

والبيتان من [الوافر] .

(١) ديوان ابن الرومي ١٤١٩/٤ مع بعض اختلاف وذكر المحققون في الهامش التخريج ، والاختلاف في نسبة الأبيات لابن الرومي . والأبيات من الطويل .

(٢) هو كتابه : تحفة الأدب ، مخطوط بدار الكتب المصرية، ونشرت منه مقتطفات منه بمجلة المجمع العربي بدمشق نشرها أحمد تيمور ، ولم أستطع الحصول على المخطوط ولا على المنشور.

(٣) في جميع المخطوطات : "الدكن" والتصحيح من القاموس .

(٤) [كذا] في جميع المخطوطات ، ويبدو لي – والله أعلم – من خلال المتابعة أن : أي ليست زائدة وإنما هي لازمة

وهذا البيت من أبيات لابن الرومي : حكى[1] ابنُ درستويه وغيره أن لائِمًا لاَمَه فقال : لم لا تُشبه كتشبيهات ابن المعْتَز[2] ، وأنت أشعر منه ، فقال : أنشدني شيئا من قوله الذي أعجزني مثله ، فأنشد قوله في الهلال[3] :

وَانْظُــرْ إِلَيْــهِ كَــزَوْرَقٍ مِــنْ فِضَّــةٍ   قَــدْ أَثْقَلَتْــهُ حُمُولَــةٌ مِــنْ عَنْــبَرِ

فقال له: زِدني، فأنشد قوله في الأذريون، وهو زهر أصفر في وسطه خمل[4] أسود، وليس بطيب الرائحة ، والفُرس تعظمه ، بالنظر إليه وتشده[5] في المنزل ، وهو قوله[6] :

كَــــــأَنَّ آذَرْيُونَهَــــــا[7]   وَالْشَّــــــمْسُ فِيْــــــهِ كَالِيَــــــهْ

مَــــــدَاهِنُ مِــــــنْ ذَهَــــــبٍ   فِيْهَــــــا بَقَــــــايَا غَالِيَــــــهْ

من لوازم أسلوب المؤلف، وهو يستخدمها بمعنى نعم. التي يقولها أهل العلم عند انقطاع حديثهم، فكأنهم يصلون بها بين كلام منقطع وكلام مستأنف. .

(١) الحكاية في معاهد التنصيص ١٠٨/١ بذات النسبة إلى ابن درستويه .

(٢) عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ، وكنيته أبو العباس ، أخذ العلوم عن مجموعة من أفاضل علماء عصره ، كان شاعرا مطبوعا وأديبا بليغا ، ومعدودا في العلماء والأدباء . ت ٢٩٦هـ . ترجمته وأخباره في تاريخ الطبري في أحداث عام ٢٩٦هـ والأغاني ٧٣/١٠ ، ومعاهد التنصيص ٣٨/٢ .

(٣) ديوان ابن المعتز ١٨٥/٢ [دار المعارف] . والبيت من [الكامل] .

(٤) في جميع النسخ المخطوطة : "حمل" بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . واعتمدت ما في معاهد التنصيص .

(٥) في المعاهد : "وفرشه" ويبدو أنه أوفق .

(٦) ديوان ابن المعتز ٤٨٣/٢ [دار المعارف] ، والبيتان من [مجزوء الرجز] .

(٧) في نسخة الأصل م : "كأن آرريونا" [كذا] ، وفى النسختين د ، ك : "آزريونها" بالزاي والتصحيح من الديوان، والمعاهد، وكالية لم أقف على معناها ، ولعلها تخفيف كالئة، بمعنى راعية إذ الشمس من الزهور بمنزلة الأم التي تكلؤها.

فصاح : واغوثاه ، تالله ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ۚ ﴾[١]، ذاك إنما يصف ماعون بيته ؛ لأنه ابن خليفة ، وأنا أي شيء أصف ، ولكن انظروا[٢] إذا أنا وصفتُ ما أعرف أين [٢٧٧/و] يقع قولي من الناس، هل لأحدٍ مثل قولي في قَوس الغَمام، وأنشد الأبيات المتقدمة.

قلت[٣] : المشهور أن هذه الأبيات لابن الرومي[٤]، لكن صاحب اليتيمة ذكر أنها لِسَيف الدولة بن حَمدان[٥]. انتهى .

ويعجبني قول ابن النبيه[٦]:

اِنْهَضْ إِلَى ذَوْبِ ياقوتٍ لها حَبَبٌ	تَنُوبُ عَنْ ثَغْرِ مَنْ تَهْوَى جَوَاهِرُهْ[٧]
حَمْرَاءُ فِي وَجْنَةِ السَّاقِي لَهَا شَبَهٌ	فَهَلْ جَنَاهَا مع العنقودِ عَاصِرُه[٨]

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٨٦).

(٢) في المعاهد : "انظر" وهو المناسب للحديث مع واحد ، وليس مع جماعة .

(٣) هذا القول يوهم أنه من قول المؤلف ، والحق أنه من قول صاحب المعاهد ١/١٠٨ .

(٤) على بن العباس بن جُريج ، وكنيته أبو الحسن ، كان أشعر أهل زمانه بعد البحتري ، وهو في الهجاء لا يلحقه أحد ، وكان شديد التطيّر ، مات مسموما سنة ٢٨٣هـ . ترجمته وأخباره في معجم الشعراء ١٤٥ ، ووفيات الأعيان ٣/٣٥٨ ، ومعاهد التنصيص ١/١٠٨ .

(٥) جاء هذا في يتيمة الدهر ١/٤٣ .

(٦) علي بن محمد بن الحسن بن يوسف بن يحيى ، الأديب الشاعر البارع كمال الدين ابن النبيه المصري ، مدح بني أيوب ، كان كاتب الإنشاء للملك الأشرف ، سكن نصيبين ، وتوفى بها سنة ٦١٩هـ . ترجمته في فوات الوفيات ٣/٦٦ وفيه مصادر أخرى، والأبيات في ديوانه بتحقيق عمر محمد الأسعد ط دار الفكر ١٩٦٩م ، ص ٥٢٧.

(٧) الأبيات في فوات الوفيات ٣/٦٩ و ٧٠ وهي من [البسيط] .

(٨) في النسختين د و ك : "من العنقود" وكانت في نسخة الأصل م كذلك ، ولكن الناسخ ذاته أصلحها إلى "مع" مع بقاء دائرة النون .

سَاقٍ تَكَوَّن مِنْ صُبْحٍ وَمِنْ غَسَقٍ　　وَابْيَضَّ خَدَّاهُ وَاسْوَدَّتْ غَدَائِرُهُ

سُودٌ سَوَالِفُهُ لُعْسٌ مَرَاشِفُهُ　　نُعْسٌ نَوَاظِرُهُ خُرْسٌ أَسَاوِرُهْ[1]

ومعنى البيت: أين السقاةُ الصِّباح المتلاعبين بالعقول عند مناولة الأقداح، والجواب محذوف وِفْقِ ما تقدم من نظائره .

(١) في الفوات : "بيض سوالفه" ، وما هنا أوفق ؛ لأن سواد السوالف يناسب الغزل .

قال الناظم :

مِـــــنْ كُـــــلِّ أَهْيَـــــفَ يُـــــزْرِي بِالشَّـــــمْسِ إِنْ يَهْـــــزُزْ قَوَامَـــــهْ [١]

الهَيَفُ في القاموس محركة: ضُمْرُ البطن، ورقّةُ الخاصرة[٢] .

وأهيف في البيت صفة موصوف محذوف تقديره مليح. والازدراء والإزراء[٣] الانتقاص والاحتقار، والملائم لقوله: إن يهْزُزْ قوامَه أن يكون بدل "الشمس" "الغصن، أو الرمح" ، لكن الذي رأيناه في النسخة "الشمس" كما ترى[٤] ، والهَزُّ : التحريك، قال في المختار: هَزّ الفرَسَ[٥] فاهتزّ: حرَّكه فتحرك[٦]، وبابه "رَدَّ" ، والهِزَّة بالكسر النشاط والارتياح . انتهى . وعليه قول الشاعر[٧] :

وَإِنِّي لَتَعْـــــرُونِي لِـــــذِكْرَاكِ هِـــــزَّةٌ كَمَـــا انْـــتَفَضَ الْعُصْـــفُورُ بَلَّلَـــهُ الْقَطْـــرُ

والقَوَامُ: القامة. قال في المختار: قَوَام الرجل قامَتُه وحُسْنُ طولِهِ [٢٧٧/ظ] وقِوَام[٨] الأمر بالكسر نظامُه وعمادُهُ، يقال : فلان قِوَام أهل بيته[٩] ، وهو الذي يقيم شأنهم ، ومنه

---

(١) في نفح الطيب : "يزرى بالغصن . . ." ، وهو أحسن ، وسيشير المؤلف إلى ذلك لاحقا .

(٢) في جميع المخطوطات : "الخاصر" بإسقاط التاء ، والتصحيح من القاموس .

(٣) في جميع المخطوطات : "والازدرى والازرى" [كذا] .

(٤) يبدو أن النسخة التي عند المؤلف غير التي معنا .

(٥) في المختار : "هز الشيء" ، وهو الأحسن .

(٦) في جميع المخطوطات : "حركه متحرك" ، والتصحيح من مختار الصحاح .

(٧) القائل هو مجنون ليلى ، والبيت في ديوانه ١٣٠ . والبيت من [الطويل] .

(٨) في نسخة الأصل م : "ومهدت الأمر" مكان "وقوام الأمر" واعتمدت ما في النسختين د ، ك لموافقته ما في مختار الصحاح (قوم).

(٩) في المختار : "فلان قِوَام أهل بيته ، وقيام أهل بيته" .

قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا ﴾[(١)]، وقامة الإنسان قَدُّه، وقائم السيف وقائمته مقبضه ، والقيّم اسم من أسماء الله تعالى. انتهى. ومن اللطائف ما نقله الشهابُ الخفاجيُّ[(٢)] أن ابن مكانس[(٣)] قال بيتين وأعجب بهما في حضرة سيدي أبي الفضل بن وفا، وهما[(٤)] :

وَهَيْفَاءَ مِثْلِ الْبَدْرِ قَالَتْ لَصَبِّهَا ... بِحَضْرَةِ أُنْسٍ وَهْوَ يَخْشَى مَلاَلَهَا[(٥)]

إِذَا لَمْ تُدِرْ لِي الْكَأْسَ مَلأَى وَتَسْقِنِي ... أُمِيتُكَ مَهْجُورَا فَخَافَ مَلاَلَهَا[(٦)]

فقال الأستاذ أنت سرقتها من قولي[(٧)] :

وَأَهْيَفَ أحْيَانِي بِرَشْفِ رُضَابِهِ ... وَمِنْ رِيْقِهِ الْخَمْرِ الْحَرَامِ حَلاَلِ

أَدَارَ لِي الْكَأَسَيْنِ خَمْرًا وَرِيْقَةً ... ونَزَّهَنِي عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلاَلِ

قلت : وقد كنا في مجلس يوما قد رَقّ وراق ، مع عصابة من الإخوان والرفاق ،

---

(١) سورة النساء، الآية: (٥).

(٢) أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري، قاضي القضاة، وصاحب التصانيف في الأدب واللغة المتوفى ١٠٦٩هـ ، ترجمته وأخباره في الأعلام ٢٣٨/١، وتحدث عنه المحبي حديثا طويلا يقرظه فيه وذلك في نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ٤/ ٣٩٥، ٤٧٧ .

(٣) عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم ، أبو الفرج ، فخر الدين المعروف بابن مكانس ، وزير شاعر ، مصري، أصله من القبط. ترجمته في الأعلام ٣١٠/٣، وفي النجوم الزاهرة، توفي في خامس ذي الحجة من السنة الثالثة من سلطنة الظاهر برقوق وهي سنة ٧٩٤هـ النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، ط الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٨م ، ١٢/ ١٣١.

(٤) البيتان جاءا منسوبين إلى محمد الإبياري القباني في ريحانة الألباء ١٢٨/٢ . وهما من [الطويل] .

(٥) في الريحانة : "بمجلس أنس . . ." .

(٦) في الريحانة : "أبيتك مهجورا . . ." وما هنا أحسن .

(٧) لم أعثر على البيتين . وهما من [الطويل] .

فجرى ذِكرُ الجآذر الأوانس وبيتي[1] الفخر بن مكانس، فأشار لي صديق أنيس أن أصنع عليهما تشطيرا أو تخميسا[2] ، فقلت مبتدرا[3] ، ولهما مشطِّرًا[4] :

وَهَيْفَاءَ مِثْلِ الْبَدْرِ قَالَتْ لَصَبِّهَا مَقَالَةَ تِيْهٍ وَهْيَ تُبْدِى دَلاَلَهَا

وَأَوْمَتْ بِغَنْجٍ ثُمَّ نَادَتْ لِعَاشِقٍ بِحَضْرَةِ أُنْسٍ وَهْوَ يَخْشَى مَلاَلَهَا

إِذَا لَمْ تُدِرْ لِي الْكَاسَ مَلأَى وَتَسْقِنِي وَتُرْضِعُنِي بِكْرًا أَمُصُّ زُلاَلَهَا

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْحَانِ عَبْدًا لِحَضْرَتِي أُمِيْتُكَ مَهْجُورًا فَخَافَ مَلاَلَهَا

وأما التخميس فهو :

[٢٧٨/و] وَلَمْ أَنْسَ إِذْ جَادَتْ سُلَيْمَي بِقُرْبِهَا وَمَنَّتْ بِرَشْفٍ مِنْ رُضَابِ لِحُبِّهَا

وَغَنَّتْ بِشِعْرٍ مِنْ سُوَيْدَاءِ قَلْبِهَا وَهَيْفَاءَ مِثْلِ الْبَدْرِ قَالَتْ لَصَبِّهَا

بِحَضْرَةِ أُنْسٍ وَهْوَ يَخْشَى مَلاَلَهَا

وَحَقِّ الَّذِي بِالْحُسْنِ دُونَكَ خَصَّنِي وَأَتْحَفَ ذَاتِي بِالْجَمَالِ وَحَفَّنِي

وَمَيَّلَ قَدِّي بِالنَّسِيْمِ وَهَزَّنِي إِذَا لَمْ تُدِرْ لِي الْكَاسَ مَلأَى وَتَسْقِنِي

أُمِيْتُكَ مَهْجُورًا فَخَافَ مَلاَلَهَا

وقد سَبَّعَ هذين البيتين مَن هو بمنزلة الإنسان من العين صديقنا الأمجد مولانا الشيخ

(١) في جميع المخطوطات : "وبيتين الفحر" وهو خطأ وقد صححته ، وأرجو أن أكون قد وفقت .

(٢) في جميع المخطوطات : "أو تخميس" ، وهو خطأ ، والصواب النصب كسابقه .

(٣) في النسختين د و ك : "مبتدا" .

(٤) التشطير من [الطويل] ، وكذلك التخميس الذي بعده .

المَنَاوِي أحمد(١) حيث قال تسبيعًا كالسحر الحلال :

وَمَايِسَــةٍ كَالْغَصْــنِ ضَــنَّتْ بِقُرْبِهَــا   عَلَـى كَبِـدٍ أَيْـدِي النَّـوَى لَعِبَـتْ بِهَـا

وَصَادَتْ بِسَيْفِ اللَّحْظِ قَلْبَ مُحِبِّهَا   وَأَضْـحَتْ تُحَـاكِي بِالـدَّلاَلِ وَعُجْبِهَـا

فَتَــاةٌ سَــبَتْ كُــلَّ ٱلأَنَامِ بِحُبِّهَــا   وَهَيْفَـاءَ مِثْـلِ الْبَـدْرِ قَالَـتْ لَصَـبِّهَا

بِحَضْــرَةِ أُنْــسٍ وَهْــوَ يَخْشَــى مَلاَلَهَــا

أَلاَ فَاسْـقِنِي صِـرْفَ الْمُدَامَـةِ تُحْيِـنِي   وَأَنْعِـشْ فُـؤَادِي بِالسُّـلاَفِ وَأَحْيِـنِي

وَهَــاتِ وَلاَ تَبْخَــلْ عَلَــيَّ فَــإِنَّنِي   وَحَـقِّ الَّـذِي بِالسِّـحْرِ جَمَّـلَ أَعْيُـنِي

وَمَــنْ فِي سَمَــاءِ الْحُسْــنِ بَـدْءًا أَهَلَّـنِي   إِذَا لَمْ تُـدِرْ لِي الْكَـأْسَ مَـلأَى وَتَسْـقِنِي

أُمِيْتُــكَ مَهْجُــورًا فَخَــافَ مَلاَلَهَــا

وفائدة تعليق الجواب بالشرط قول الناظم : إن يَهْزُزْ قَوَامَهْ ، كمال الظهور في ذلك ؛ لأن الغصن إذا مال واهتز يظهر ما فيه من عيبٍ ، فهو مثل قول القائل(٢) :

أَقْبَــلَ كَالْغُصْــنِ حِــيْنَ يَهْتَــزْ   فِي حُلَــلٍ دُونَ لُطْفِهَــا الْخَــزْ(٣)

مَهَفْهَــفُ الْقَــدِّ ذُو مُحَيًّــا   بِقَــارِضِ الْخَــدِّ قَــدْ تَطَــرَّزْ

---

(١) لم أعثر له على ترجمة ، ولم أعثر على هذا التسبيع .

(٢) جاءت الأبيات منسوبة إلى قطب الدين المكي النهرواني في ريحانة الألبا ٤٠٩/١ و ٤١٠ ، وهي من [مخلع البسيط] .

(٣) في جميع المخطوطات : "في حلل دونها الخز" ، وهو خطأ من حيث الوزن ، والتصحيح من الريحانة .

[٢٧٨/و] دَارَتْ بِخَدَّيْــهِ وَاوُ صُــدْغٍ وَالصَّــــادُ مِــــنْ لَحْظِـــهِ تَلَـــوَّزْ[١]

اَلْجَمْـــــرُ وَالخَمْـــــرُ فِي لَمَـــــاهُ وَخَـــــدُّهُ ظَـــــاهِرٌ وَمُلْغِـــــزْ[٢]

يَشْــكُو لَــهُ الْخَصْــرُ جَــوْرَ رِدْفٍ أَزْعَجَـــــهُ حَمْلُـــــهُ وَأَعْجَـــــزْ[٣]

طَلَبْـــتُ مِنْـــهُ شِـــفَاءَ سُـــقْمِي فَقَـــالَ : لَحْظِـــي لِـــذَاكَ أَعْـــوَزْ

قَـــدْ غَفَـــرَ اللهُ ذَنْـــبَ دَهْـــرٍ لِمِثْـــلِ هَـــذَا الْجَمَـــالِ أَبْـــرَزْ[٤]

جَـــزَّ فُـــؤَادِي بِسَـــيْفِ لَحْـــظٍ أَوَّاهُ لَـــــوْ دَامَ ذَلِـــــكَ الْجَـــــزْ

أَفْدِيْـــه مِـــنْ أَغْيَـــدٍ مَلِـــيْحٍ فِي الْحُسْـــنِ فِي عَصْـــرِهِ تَمَيَّـــزْ(٥)

كَـــــانَ نَـــــدِيْمِي فَمُـــــذْ رَآنِي أَسِـــــيْرُهُ فِي الْهَـــــوَى تَعَـــــزَّزْ

حَـــرَّمَ مِـــنْ وَصْـــلِهِ حَـــلاَلاً لَمَّـــا أَحَـــلَّ الْقِلَـــي وَجَـــوَّزْ[٦]

يَا قَلْـــــبُ لاَ تَسْـــــلُ هَـــــوَاهُ وَاثْبُـــتْ وَكُـــنْ فِي هَـــوَاهُ مَرْكَـــزْ[٧]

قلتُ : والتعبير بمثل هذا الذي سلكه الناظم تبع فيه كثيرا من المولَّدين ، فإن شعرهم

---

(١) في الريحانة : "دار بخديه . . ." ، وكلاهما صحيح .

(٢) في الريحانة : "الخمر والجمر . . . " .

(٣) في جميع المخطوطات : "أعجزه حمله وأعجز" ، واعتمدت ما في الريحانة .

(٤) في الريحانة : "لمثل هذا المليح . . ." .

(٥) في الريحانة : "بالحسن . . ." .

(٦) في الريحانة : "حرم من وصله مباحا" ، ويبدو أنه أحسن .

(٧) في الريحانة : ". . . وكن في الغرام . . ." .

كما قال صاحب يتيمة الدهر أبدع من أشعار المحْدَثين ، والصناعة الشعرية موجودة في كلامهم أكثر من كلام غيرهم ، وكذلك سَلَكه بعض المحْدَثين ، وأبدعوا فيه، فمن ذلك قول بعضهم(١) :

قَاسُــوكَ بِالْبَــدْرِ يَا مَــنْ لاَ أُسَمِّيْــهِ ... مِــنْ أَيْــنَ لِلْبَــدْرِ مَعْــنًى أَنْـتَ حَاوِيْــهِ

وَالْغُصْــنُ قَــدُّكَ لاَ وَاللهِ مَــا صَــدَقُوا ... بَــلْ أَنْــتَ أَعْــدَلُ مِنْــهُ فِي تَثَنِّيْــهِ

وما أحلى قول ابن الحُلاَوِي(٢) :

يَقُولُونَ يَحْكِي الْبَدْرَ فِي الْحُسْنِ وَجْهُهُ ... وَبَـدْرُ الـدُّجَى عَنْ ذَلِكَ الْقَـدْرِ يَـنْحَطُّ

كَمَـا شَــبَّهُوا غُصْــنَ النَّقَـا بِقَوَامِــهِ ... لَقَـدْ بَالَغُـوا بِالْمَـدْحِ لِلْغُصْـنِ وَاشْـتَطُّوا

[٢٧٩/و] وقول ابن سناء الملك(٣) ملك المغرب(٤) من جملة قصيدة مطلعها(٥) :

---

(١) لم أعثر على البيتين . وهما من [البسيط] .

(٢) ابن الحلاوي المتوفى عام ٦١٢هـ وترجمته في النجوم الزاهرة ، ٢١٠/٦ قال ابن تغري بردي:" وفيها توفي فقيه بغداد أبو بكر محمد بن معالي بن غنيمة بن الحلاوي الحنبلي، وكان من أبناء السبعين. والحافظ عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن محمود بن الأخضر، وله سبع وثمانون سنة في شوال". وله ترجمة في الوافي بالوفيات ١٠٢/٨– ١٠٨، وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٤، والبيتان آخر أبيات له في ترجمته في فوات الوفيات١٤٧/١ وهما من الطويل.

(٣) القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبي عبد الله محمد ابن هبة الله بن محمد السعدي، الشاعر المشهور المصري صاحب الديوان البديع والنظم الرائق ، وكان كثير التخصص . ت ٦٠٨هـ . وترجمته وأخباره في وفيات الأعيان ٦١/٦.

(٤) لم أجد هذه الصفة في الترجمة، ولم يعرف بها في حدود ما أعرف، وأظن ضبط الكلمة المغْرِب، أي في الشعر، وليست المغرب بفتح الميم؛ إذكان ابن سنا الملك مصريا مشرقياً.

(٥) لم أجد هذه الأبيات في ديوان ابن سناء الملك ط الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة٢٠٠٣م، بتحقيق محمد إبراهيم نصر ود. حسين نصار وتقديم عوض الغباري. والأبيات من [الطويل] .

إِذَا أَقْبَلَـــتْ تَخْتَـــالُ بَـــيْنَ الـــذَّوَائِبِ فَـلاَ تَسْـأَلُوا كَـمْ مِـنْ نُفُـوسٍ ذَوَائِـبِ

نَسَبْتُ إِلَيْهَـا الْغُصْـنَ وَالْبَـدْرَ فَـازْدَرَتْ وَقَالَـتْ وَقَـدْ أَبْـدَتْ تَلَهُّـبَ غَاضِـبِ

إِذَا كَـانَ قَـدْ نَاسَـبْتَ بِي قَمَـرَ الـدُّجَى فَمَالَـــكَ لاَ يُغْنِيْـــكَ عَـــنِّ مُنَاسِـــبِي

وَتَـزْعُمُ أَنَّ الْغُصْـنَ قَـدِّي فَـإِنْ يَكُـنْ صَـحِيْحًا فَعَـانِقْ كُـلَّ غُصْـنٍ وَلاَعِـبِ

وقال بعض الشعراء الفضلاء في موشحة له[١]:

شَـــــبَّهُوا الْمَحْبُـــــوبَ بِالْقَمَـــــرْ وَبِغُصْـــــــنٍ نَاعِـــــــمٍ نَضِـــــــرْ

وَبِـــــرَوْضٍ يَانِـــــعِ الزَّهَـــــرْ وَهْـــوَ عِنْـــدِي فَـــوْقَ مَـــا وَصَـــفُوا

ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول بعض ذوي الألباب . شعر[٢] :

قَـاسَ الْـوَرَى وَجْـهَ الْحَبِيْـبِ بِالْقَمَـرْ بِجَـــامِعٍ بَيْنَهُمَـــا وَهْـــوَ الْخَفَـــرْ

قُلْـــتُ الْقِيَـــاسُ بَاطِـــلٌ بِفَرْقِـــهِ وَبَعْـدَ ذَا عِنْـدِيَ فِي الْوَجْـهِ نَظَـرْ[٣]

قال الناظم[٤] :

ذِي غُـــــــــرَّةٍ لأْلاَؤُهَـــــــــا تَمْحُـــو عَـــنِ النَّـــادِي ظَلاَمَـــهْ

قوله : ذي غُرةٍ ، الغُرَّةُ بالضم – كما في المختار – : بياض في جبهة الفرس فوق

(١) لم أجد هذه الموشحة .

(٢) لم أعثر على البيتين . وهما من [الرجز] .

(٣) في النسختين د ، ك : ". . . باطل الفرقة" .

(٤) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

الدرهم ، يقال : فرس أَغَر ، والأَغَر أيضا : الأبيض ، وقوم غُران ، ورجل أغر أيضا ، أي شريف ، وفلان غُرة قومه أي سيدهم ، وغرة كل شيء أوله ، والغُرة العَبْد والأَمَة ، وفى الحديث[١] : "قضى رسول الله (ﷺ) بغرة" ، وكأنه عبّر عن الجسم كله بالغرة ، ورجل غِرّ بالكسر وغرير أي غير مُجرّب ، والغارّ بالتشديد الغافل ، واغتر بالشيء خُدع به ، والغَرَر بفتحتين الخطر ، ونهى[٢] عليه السلام عن بيع الغَرَر ، وهو مثل بيع السمك في الماء، والطير في الهواء ، والغَرُور بالفتح الشيطان ، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[٣] [٢٧٩/ظ] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[٤] والغَرور أيضا ما يُتغرغر به من الأدوية . انتهى .

(وفى القاموس : الغَرُور الدنيا وما يُتغرغر به من الأدوية ، وما غَرَّك مطلقا)[٥][٦] ، أو

---

(١) في سير أعلام النبلاء ٤٨٩/٨ : "قضى رسول الله (ﷺ) في الجنين بغُرة عبد أو أمة فرس أو بغل" ثم قيل بعده : "وهذا حديث غريب جدا" . وفي الهامش قيل : والصحيح ما أخرجه مالك في الموطأ : ٨٥٥/٢ ، والبخاري : ٢١٨/١٢ ، ٢١٩ ، ومسلم (١٦٨١) من طريق ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة : أن امرأتين من هذيل رمت إحداهما الأخرى فطرحت جنينها ، فقضى فيه رسول الله (ﷺ) بغرة أو عبد أو وليد . وروى البخاري ٢٠/١٢ ، ومسلم (١٦٨١) (٣٥) من طريق ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة : أنه قضى رسول الله (ﷺ) في جنين امرأة من بنى لحيان سقط ميتا بغرة عبد أو أمة . انتهى من سير أعلام النبلاء . هذا وقد جاء الحديث ضمن حديث طويل يرويه عبادة بن الصامت في مسند الإمام أحمد ٤٣٦/٣٧ في الحديث رقم (٢٢٧٧٨) ، وفيه تخريج طويل جدا جدا .

(٢) في مختار الصحاح : "ونهى رسول الله (ﷺ)" .

(٣) سورة لقمان، الآية: (٣٣).

(٤) سورة فاطر، الآية: (٥).

(٥) ما بين القوسين جاء في نسخة الأصل م هكذا : "وفى القاموس الغرور الدنيا وما يتغرغر به من الأدوية انتهى . وفى القاموس الغرر ما غرك مطلقا" [كذا] ، وهو خطأ من الناسخ ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

يخص بالشيطان ، وبالضم الأباطيل ، جمع غارٍ ، وأنا غريرك منه أي أحذركه ، والأغَرُّ الأبيض من كل شيء ، والغِرَار بالكسر حَدُّ الرمح والسيف والسهم والقليل من النوم . انتهى .

وقوله لألاؤها ، اللألاء : اللمعان ، قال في القاموس(١): تلألأ البرقُ لمع، ولألأت المرأة بعينها برَّقتَها ، والنار توقدت ، والدمع حدره . انتهى .

وقال في القاموس : والنادي والنَّدْوة والمنتدى مجلس القوم نهارا، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه، وما يندوه(٢) من نادي ما يسعه، وتندّى تَسَخَّى

وقال تعالى حكاية عن أبى جَهْل: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾(٣)، قال ابن عباس(٤) رضي الله عنه : لما قال أبو جهل للنبي (ﷺ): ألم أنهك عن الصلاة؟ انتهره النبي (ﷺ)، وأغْلَظَ عليه وتهدَّده، فقال أبو جَهل: أَتُهَدِّدُنِي وأنا أكبرُ أهل الوادي؟ فوالله لأملأنَّ هذا الوادي عليك خَيْلا جُرْدًا، ورجالاً مُرْدًا ، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾(٥)، أي فليدع قومه وعشائره ليعاونوه سندع الزبانية [٢٨٠/و] ليأخذوه .

والنادي المجلس في اللغة كما تقدم، والمراد بالمجلس هنا أهل المجلس ، والزبانية هم الملائكة الموكلون بتعذيب أهل النار ، واحدهم زبني ، والزَّبْن الدَّفْع ، يقال: زبنت الناقةُ الحالبَ إذا رَكَضَته برِجلها، قال (ﷺ): **"لو دَعَا ناديه لأَخَذتْهُ الزَّبَانِيَةُ حالا"** .

---

(٦) كلمة (مطلقا) ليست في القاموس .

(١) القاموس / لألأ، وهو بتصرف؛ لأن العبارتين في القاموس ليستا متجاورتين، وإنما كل منهما في موضع.

(٢) في القاموس : "وما يندوهم النادي ما يسمعهم" ثم قيل في هامشه : "قوله بما يسمعهم الصواب ما يسعهم المجلس من كثرتهم كما في الصحاح" ، وأشير إلى هذا الخطأ في تاج العروس ٥٦/٤٠ .

(٣) سورة العلق، الآيتان: (١٧، ١٨).

(٤) جاء تفصيل كبير لهذا في تفسير سورة العلق في تفسير الطبري ٥٣٣/٢٤-٥٤٠ ، وبروايات مختلفة .

(٥) سورة العلق، الآيتان: (١٧، ١٨).

ورُوِيَ أن النبيَّ[1] (ﷺ) كان يصلي بعد هذه السورة فأتاه أبو جهل ليؤذيه على عادته؛ فوجده يقرأ هذه السورة؛ فخاف وانصرف. فقيل له: أخِفْتَهُ؟ فما الذي منعك أن تفعل ما هممت به؟ قال: وجدت عنده حارسا يحرسه، وسمعته يهددني بالزبانية، أما الحارس فهو فحلٌ أهوى إليَّ أراد أن يأكلني، ووالله ما أدري ما زبانيته فهربت.

ومعنى البيت أن ذا الغُرَّة وهو الساقي المتقدمُ إذا أدار كؤوس المدَامِ على أهل النَّادي أذهبَ ظلامَه ببياض وجهه.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَالْشّـــــــــــــــمْسُ فِي أَزْرَارِهِ وَالْبَـــــدْرُ فِي يَـــــدِهِ قُلاَمَـــــةْ[2]

الشمس تؤنث، وجمعه شموس، وضرب من المشط، وضربٌ من القلائد ، وصنم قديم ، وعين ماء ، وأبو بطن ورُسِمَتْ بعبد شمس ، ونَصَّ أبوعليّ الفارسي على منعه الصرف للتعريف والتأنيث ، وأُضيف إلى شمس السَّمَاء؛ لأنهم كانوا يعبدونها ، والنسب عَبْشَميٌّ، وأما عبشمس بن مَعْدِ بن زَيد مَناةٍ فأصله عب شمس، أي ضَوءها ، والعين مبدلة من الحاء، والمراد به الكوكب النهاري، الذي ينسخ ظهوره وجود الليل، وهو النير الأعظم، وفيه [٢٨٠/ظ] من المنافع ما قاله العلماء من نضاج الثمر ، وإصلاح المعادن ، والكسوف للشمس ، والخسوف للقمر ، وبضد ذلك ، والأفصح في اللغة أن الأول لها والثاني له .

والكسوف عند علماء الهيئة عبارة عن احتجاب نور الشمس لتوسط القمر بينها وبين أبصارنا ، لأن جِرم القمر كَمَدٌ ومظلم ، فيحجب ما وراءه عن الأبصار ، لأن فلكه دون فلك الشمس ، فإذا اجتمع معها في درجة واحدة كان مسامت إحدى العقدتين الرأس أو

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا في التعليق السابق .

(٢) في نفح الطيب : "فالشمس في . . ." .

الذَّنَب ، وكان قريبا من إحداهما فإنه يجوز تحت الشمس فيحول بينها وبين أبصارنا ، وقال علماء الهيئة : إن كسوف الشمس لا حقيقة له لعدم تغيرها في نفسها لاستفادة ضوئه من جرمها ، وإنما القمر يحول بظلمته بيننا وبينها مع بقاء نورها ، فيرى نور القمر كَمَدًا في وجه الشمس فيظن ذهاب ضوئها ، وأما خسوف القمر فحقيقة بذهاب ضوئه ؛ لأن ضوءه من ضوء الشمس ، وخسوفه بحيلولة ظل الأرض بينه وبين الشمس ، فلا يبقى فيه ضوء البتة .

وقد نقض[١] على علماء الهيئة ابنُ العربي[٢] المحدِّث فقال[٣] : هم أي علماء الهيئة يزعمون أن الشمس أضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغيرُ الكبيرَ إذا قابله ؟ أم كيف يُظلم القليلُ الكثيرَ ؟ لاسيما وهو من جنسه ، وكيف تحجب الأرضُ نورَ الشمس وهو زاوية منها ؟ لأنهم يزعمون أن الشمس أكبر من الأرض بأضعاف كما سيأتي .

وكانوا في الجاهلية يقولون : إن كسوف الشمس ، وخسوف القمر [٢٨١/و] لا يكونان أو أحدهما إلا لحياة عظيم أو موته ، فرد عليهم اعتقادَهم الفاسد الشارعُ بقوله (ﷺ)[٤] : **"إن الشمسَ والقمرَ لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكنهما آيتان من آيات الله يخوّفُ بهما عباده"** وفي رواية أخرى زيادة على ما ذكر وهي **"إن الله إذا تَجلّى بشيء من خلفه خشع"** ، وهذه نكتة أخرى زائدة على ما ذكر من التخويف .

---

(١) في النسختين د ، ك : "نقص" بالصاد المهملة ، وهو تصحيف .

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسى الإمام الحافظ القاضي المالكي ، ارتحل إلى بغداد للعلم فسمع على مجموعة من العلماء ، وتفقه بالإمام أبى حامد الغزالي . ت ٥٤٣هـ ترجمته وأخباره مفصلة في سير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠ .

(٣) لم أعثر على هذا القول .

(٤) الحديث في مسند الإمام أحمد (٥٨٨٣) و (٥٩٩٦) و ٦٧٦٣) و (١٧١٠١) و (١٨١٤٢) و (٢٥٣١٢) و (٢٥٣٥١) وفيه تخريجات واسعة جدا .

وفى تفسير القُرطبي في سورة "يس"[1] أن الشمس إذا غَرَبت دخلت محرابا تحت العرش تسبح الله فيه ، وهى مخلوقة من نور العرش ، والقمر من نور الكرسي ، وهو أسرع سَيرًا منها ، وهو في غلاف من ماء ، فكل ليلة يظهر منه شيء من الغلاف حتى يتكامل فيقطع الفَلَك في ثمانية وعشرين ليلة ، وذلك عدد المنازل المنقسمة على اثني عشر بُرْجًا ، لكل بُرج منزلتان وثلث .

والسَّنَة تدور على أربعة فصول ، ولكل فصل سبع منازل ، أول الفصول فَصْلُ الربيع ، وأيامه اثنان وتسعون يوما ، أولها خمسة عشر من آذار ، وتقطع الشمس فيه سبع منازل وثلاثة بروج ، وهى الحَمَل ، والثَّور ، والجَوزاء ، ثم يدخل فصل الصيف في خمسة وعشرين يوما من حُزَيران ، وعدد أيامه اثنان وسبعون يوما ، وتقطع الشمس فيه سبع منازل وثلاثة بروج ، وهى السَّرَطان ، والأسد ، والسُّنبلة ، ثم يدخل فصل الخريف في خمس وعشرين يوما من أَيْلُول ، وعدد أيامه إحدى[2] وتسعون يوما ، تقطع الشمس فيها سَبع منازل [٢٨١/ظ] وثلاثة بروج ، وهى الميزان ، والعقرب ، والقوس ، ثم يدخل فصل الشتاء في خمسة عشر يوما من كانون الأول ، وعدد أيامه تسعون ، وربما يكون إحدى[3] وتسعون يوما ، وتقطع الشمس فيه سبع منازل وثلاثة بروج ، وهى الجَدْي ، والدَّلْو ، والحُوت . وقد ورد في الخبر أن الشمس والقمر وجهها إلي العرش وظهرهما إلى الأرض يعنى وجوههما لأهل السموات السبع ، وظهورهما لأهل الأرضين السبع ، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[4].

والشمس لفظٌ كليٌّ يصدق على كثيرين بحسب الأماكن، ولم يوجد منه في الخارج إلا

---

(١) هذا التفسير استغرق صفحات كثيرة من تفسير القرطبى من ١٥/٢٦-٣٣ .

(٢) هكذا في جميع المخطوطات والصواب "واحد" .

(٣) هكذا في جميع المخطوطات والصواب "واحدا" .

(٤) سورة نوح، الآية: (١٦).

هذا الفرد الواحد، وهو الكوكب النهاري الذي هو أعظم الكواكب، قال الجِغْمِيني[1]: والشمس جِرْمٌ كُرِيٌّ مصْمَتٌ مركوزٌ في جِرْمِ الفَلَك الخارج المركز مفرق فيه، بحيث يساوي قطرها لحذاء الفلك، ويماسُّ سطحها سطحيه. انتهى.

فقوله : مُصمت، أي غير مجوف ليس له إلا سطح واحد، وقوله: مركوز، أي عند منتصف ما بين قطبيه، وقوله: بحيث يساوى قطرها، هو الخط المستقيم المار بركوزها المنتهي طرفاها إلى محيطها، وقوله: ويماسُّ سطحها سطحيه، أي على نقطتين مشتركتين . ومَحَلّ بسط الكلام على ذلك علم الهيئة .

وتقدم أن الشمس يجمع على شموس ؛ وذلك إما باعتبار ما تحتها من الأفراد الممكنة، أو لأنهم نزلوا كل ناحية منها منزلة الشمس [٢٨٢/و] وتصغيرها شُميسة ، وقالوا شَمُسَ يومنا من باب نصر ، إذا كان شمس ، وأَشْمُس أيضا . انتهى .

والأزرار[2] جمع زِرّ بالكسر ، وهو الذي يوضع في القميص ، ويجمع على زُرُور ، ويطلق على حد السيف وطَرَف الوَرِك في النُّقرة ، وخشبة من أخشاب الخباء، (وذو الزرَّين)[3] سفيان بن مُلجَم (أو)[4] ملحَج القَرَديّ، وزِرُّ الدين قِوامه، وبالفتح شَدُّ الأزرار والطرد، واللعن، والنتف، والعض، وتضييق العينين ، والجمع الشديد، ونقض المتاع، وزرِرَ كسمع تعدى على خصمه، وعقل بعد حُمق، والزِّرِير كأمير الذكر الخفيف، والزَّرْزوُر المركب الضيق، وطائر، وزَوْزَر صوّت، وتَزَوْزَر تحرك، والزِّرَّة بالكسر أثر العضة، والزُّرارة بالضم ما

(١) الجغميني (ت ٦١٨ هـ ؟ ١٢٢١م): محمود بن محمد بن عمر، أبو على، شرف الدين الجغميني الخوارزمي: فلكي، من العلماء بالحساب. نسبته إلى "جغمين" من أعمال خوارزم. من كتبه (الملخص في علم الهيئة) ترجم إلى الالمانية ونشر في مجلة جمعيتها الشرقية. الأعلام ١٨١/٧.

(٢) هذا من القاموس بتقديم وتأخير ، والضبط من القاموس .

(٣) في جميع المخطوطات : "والزران" [كذا] والتصحيح من القاموس .

(٤) في جميع المخطوطات : "و" ، والتصحيح من القاموس .

رميت به في حائط فلزق، وزُرْزُرُ بن صهيب بالضم محدِّث.

والبدر القمر الممتلئ نورا ، ولا يكون بَدرا إلا في رابعة عشر الشهر ، وقيل : وخامسته ، وإنما جمع المصنِّف بين البدور والشمس في وصْف الساقي للمبالغة في وصفه بصفة الجمال.

بقى هل التشبيه بالبدر أَولَى أو التشبيه بالشمس أَولَى لكونها أكثر نورا ؟ قلتُ : الذي سَلَكه علماء الأدب أن التشبيه بالبدر أبلغ من التشبيه بالشمس؛ وذلك لأن القمر يملأ بنوره الأرض ، ويستأنس به كل مَن شاهده ، ويجمع النور من غير أذى ، فتتمكن الناس من مشاهدته ، بخلاف الشمس فإنها تُغَشّى البصر ، وتمنع من تَمكُّن الرؤية ، [٢٨٢/ظ] وأيضا فالبدر يكون ليلاً وقت الظُّلْمة فيزيلها بنفسه ، ووقت الخلوة واجتماع الفكر ، دون الشمس ، ويدل على ذلك ما قلناه في حديث[١] ابن أبي هَالَة: كان رسول الله (ﷺ) فَخْمًا مفخَّما[٢] يتلألأ نورًا تلألؤ القمر ليلة البدر، وأما تشبيه صاحب الهمزيّة للنبيّ (ﷺ) بالشمس في قوله[٣] :

وَمُحَيًّا كَالْشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيءٌ   أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَّاءُ

فالمقصود منه الإشراق والاستدارة، لا مطلق التشبيه، وكأنه إشارة إلى ما رواه مُسلم من حديث جابر بن سَمرة، وقد قال له رجل[٤]: كان وجه رسول الله (ﷺ) مثل السيف، قال:

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث .

(٢) في النسختين د و ك : "نجما منجما" .

(٣) هو من [الخفيف] وهو فى ديوان البوصيري صـ٥٠ .

(٤) الحديث في صحيح مسلم برقم٦٢٣٠ ونصه:" وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ سِمَاكٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَدْ شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ وَكَانَ إِذَا = =ادَّهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ وَإِذَا شَعِثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ فَقَالَ رَجُلٌ وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ قَالَ لاَ بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَكَانَ مُسْتَدِيرًا وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ". صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن

لا، مثل الشمس والقمر، وكان مستديرا، وإنما قال مستديرًا للتنبيه على أنه جَمَعَ الصفتين، لأن قوله: مثل السيف يحتمل أنه يريد به الطول، ويحتمل أنه يريد به اللَّمعان، فَرَدَّه المسئول ردًّا بليغا، ولما جرى التعارف أن التشبيه بالشمس إنما يُراد به غالبا الإشراق ، وبالقمر إنما يريد به المِلاحة دون غيرها ، فقوله : وكان مستديرًا أشار به إلى أنه أراد به التشبيه بالصفتين معًا : الحُسن والاستدارة .

قالوا : ولم يكن وجهه (×) في غاية التدوير، بل هو إلى التدوير أقرب، لما ورد أنه (×) كان أَسِيل الخَدّين، قال[1] ابن الأثير: الأسالة في الخد الاستطالة، وأن لا يكون مرتفع الوجه. قال الحافظ ابن حجر[2]: ولعل [٢٨٣/و] هذا هو الحاصل لمن سأل : أكانَ وجهه مثل السيف ؟ وفى البخاري[3]: سُئل البَرَاء : أكان وجهُ رسول الله (×) مثل السيف ؟ قال : لا ، بل مثل القمر ، أي في التدوير ، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصّقال[4]، قال : بل فوق ذلك ، وعَدَل إلى القمر لجَمعه الصفتين من التدوير واللمعان ، وقال الحافظ النَّسَّابَةُ أبو الخَطاب بن دِحْيةَ[5] في كتاب "التنوير" في مولد النبي (×) عند إيراد

الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت، ٧/ ٨٦.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٩/١ .

(٢) جاء هذا القول في كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني،في شرحه لحديث مسلم السابق في باب صفة النبي ،كتاب المناقب،

(٣) الحديث في البخاري برقم ٣٥٥٢ ونصه:"حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ سُئِلَ الْبَرَاءُ أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ × مِثْلَ السَّيْفِ قَالَ لَا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ". الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله × وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري بتحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،: دار طوق النجاة الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ ٤/ ١٨٨

(٤) في النسختين د و ك : "السقال" ، وهو خطأ من الناسخ .

(٥) ابن دحية = عمر بن الحسن ٦٣٣ دحية الكلبي (ت نحو ٤٥ هـ = نحو ٦٦٥ م) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة"، الأعلام ٣٣٧/٢.

حديث البَراء المذكور ما لفظه : ففي هذا الحديث من العلم أن التشبيه ممن لا يُحسنه لا يصلح الإقرار عليه ؛ لأن السائل شَبّه وجه رسول الله (ﷺ) بالسيف ، ولو شَبهه بالشمس لكان أَولَى ، فَرَدّ عليه البَراء قوله وقال : لا ، بل مثل القمر ؛ لأن القمر يملأ الأرض بنوره ، ويُؤْنِسُ كل مَن يشاهده ، ونوره من غير حرٍّ يفزع ، ولا كليلٍ[1] ينزع ، والناظر إلى القمر متمكّن من النظر بخلاف الشمس التي تغشّي البصر ، وتجلب للناظر الضَّرر ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه : ما رأيتُ شيئا أحسن من رسول الله (ﷺ) ، كأن الشمس تجري في وجهه، قال الطيبي: شبه جريان الشمس في فَلكها بجريان الحُسن في وجهه (ﷺ)، قال: ويحتمل أن يكون عن تناهي التشبيه جعل وجهه مقرًّا ومكانا للشمس، ولله دَرّ القائل[2] :

لِمَ لاَ يُضِيءُ لَكَ الْوُجُودَ وَلَيْلُهُ ... فِيْهِ صَبَاحٌ مِنْ جَمَالِكَ مُسْفِرُ[3]

فَبِحُسْنِ شَمْسِكَ كُلُّ يَوْمٍ مُشْرِقٌ ... وَبِبَدْرِ وَجْهِكَ كُلُّ يَوْمٍ مُقْمِرُ

وعلى كل حال فالتشبيه بالبدر أكمل من التشبيه بالقمر أيضًا كما عليه الأدباء ؛ لكمال التشبيه بكمال البدر . انتهى .

ولبعضهم في الشمس[4] :

[٢٨٣/ظ] أَوَ مَا تَرَى شَمْسَ الأَصِيْلِ عَلِيْلَةً ... تَزْدَادُ مَا بَيْنَ الْمَغَارِبِ مَغْرِبَا !

(١) في النسختين د و ك : "ولا كل" .

(٢) لم أعثر على البيتين . وهما من [الكامل] .

(٣) سقط الشطر الثاني من هذا البيت ، والشطر الأول من البيت الآتي من نسخة الأصل م .

(٤) لم أعثر على البيتين . وهما من [الكامل] .

قَامَــــتْ لِتَحْجُـــــبَ شَخْصَــــهَا فَكَأَنَّمَـــــا مَــدَّتْ عَلَـى الـدُّنْيَا مِـلاَءً مُـذْهَبَا[1]

ولآخر[2] :

الشَّــمْسُ فِي مَشْــرِقِهَا قَــدْ بَــدَتْ مُسْــــفِرَةً لَــيْسَ لَهَـــا حَاجِـــبُ

كَأَنَّهَـــا بَوْتَقَـــــةٌ أُحْمِيَـــــتْ يَجُـــولُ فِيهَـــا ذَهَـــبٌ ذَائِـــبُ

ولآخر[3] :

تَظَـــلُّ الشَّــــمْسُ تَرْمُقُنَـــا بِطَــرْفٍ مَــرِيْضٍ مُــدْنَفٍ مِــنْ خَلْــفِ سِــتْرِ

تُحَـــاوِلُ فَتْـــقَ غَـــيْمٍ وَهْـــوَ يَأْبَى كَعِنِّـــيْنٍ يُحَـــاوِلُ فَتْـــقَ بِكْـــرِ

ولآخر[4] :

كَـأَنَّ طُلُـوعَ الشَّـمْسِ فِي كُـلِّ غُـدْوَةٍ عَلَـــى وَرَقِ ٱلْأَشْـــجَارِ أَوَّلُ طَـــالِعِ

دَنَانِـــيْرُ فِي كَـــفِّ ٱلْأَشَـــلِّ يَضُـــمُّهَا إِلَيْـهِ فَتَهْـوِي مِـنْ فُـرُوجِ ٱلْأَصَـابِعِ

ولآخر[5] :

وَلَمَّـا احْتَمَـتْ مِنَّـا الْغَزَالَـةُ فِي السَّـمَا وَعَـــزَّ عَلَـــى قَنَّاصِـــهَا أَنْ يَنَالَهَـــا

---

(١) في نسخة الأصل م : "ملأت على الدنيا . . ." ، واعتمدت ما في النسختين د و ك .

(٢) جاء البيتان منسوبين إلى الوزير المهلبي في نهاية الأرب ٤٤/١ . وهما من [السريع] .

(٣) البيتان لابن المعتز في ديوانه ٥٢٤/٢ [ط عالم الكتب] وهما من [الوافر] .

(٤) نسب البيتان إلى المعوج الشاعر في معاهد التنصيص ٣٣/٢ ، ونفحة الريحانة ٥٧/٢ وهما من [الطويل] .

(٥) لم أعثر على البيتين وهما من الطويل .

نَصَبْنَا شِبَاكَ الْمَاءِ فِي الْأَرْضِ حِيْلَةً   عَلَيْهَا فَلَمْ نَقْدِرْ فَصِدْنَا خَيَالَهَا

ولآخر[1] :

كَأنَّ الشَّمْسَ إِذْ غَرَبَتْ غَرِيْقٌ   هَوَى لِلْبَحْرِ أَوْ وَافَى مَغَاصَا

فَوَافَاهَا الْهِلاَلُ عَلَى عَقِيْبٍ   بِزَوْرَتِهِ يُرِيْدُ لَهَا خَلاَصَا[2]

ومن أحسن التضمين قول السيد محمد العرجي[3]:

لاَ يَدَّعِي قَمَرٌ لِوَجْهِكَ نِسْبَةً   فَأَخَافُ أَنْ يَسْوَدَّ وَجْهُ الْمُدَّعِي[4]

وَالشَّمْسُ لَوْ عَلِمَتْ بِأَنَّكَ دُونَهَا   هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ[5]

والقُلامَة هو ما يسقط من الظُّفر بعد قَطعه ، قال في القاموس ، وقَلَم الظُّفر يَقْلِمُه وقَلَّمه : قطعه ، والقُلامَةُ ما سقط منه ، ومقالم الرمح كعوبه ، وكمنبر وعاء قضيب البعير، وبهاءٍ وعاء قلم الكتابة ، والقالم العزب[6] جمعه قَلَمَة محركة . انتهى .

وقد بالَغ الناظم في وصف السقاة حيث جعل صدره شمسا ، فهو تشبيه بليغ بحذف

---

(١) لم أعثر على البيتين وهما من الوافر .

(٢) في النسختين د و ك : "فوفاها الهلال" .

(٣) في النسختين د و ك : "العرضي" ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٤) ديوان فتح الله بن النحاس الحلبي المدني ت ١٠٥٢هـ بتحقيق د. محمد عيد الخطراوي ط أولى، ١٤١٢هـ ١٩٩١م، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ص:١٦٤. وقد جاء البيتان منسوبين إليه في نفحة الريحانة ٢/٥٢٥، وهما من [الكامل] .

(٥) المقصود بالتضمين هنا هو ما جاء من قول ابن سينا:

هبطت إليك من المحل الأرفع   هيفاء ذات تدلل وتمنع

(٦) في جميع المخطوطات : "العرب" بالراء ، والتصحيح من القاموس (قلم).

أداته ، أو جعله شمسا حقيقة ادعاء ، أو من باب الاستعارة على حد قوله : قد زَرّ أزراره [٢٨٤/و] على القمر ، وإنْ كان فيه الجمع بين المشبه والمشبه به ؛ لأن ذلك[١] إنما يضران لو كان على وجه ينبئ عن التشبيه ، أما إذا كان على وجه لا ينبئ عن التشبيه فإنه تجوز فيه الاستعارة على ما عليه المولى سعد الدين وغيره ، وزاد في المبالغة حيث جعل البدر قلامة ظفر .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

يُصْـــمِي الْقُلُـــوبَ إِذَا رَمَـــى عَـــنْ قَـــوْسِ حَاجِبِـــهِ سِـــهَامَهْ

الصمي هو الرمْيُ مع القتل ، يقال : أصميت الصيدَ إذا رميته فقتلته وأنت تراه ، وفي الحديث : **"كُلْ ما أصميتَ ودَعْ ما أَنميت"**[٢] ، وفي القاموس[٣]: الصَّمَيَان محركة التقلب والوثب والسرعة، صَمَى وأصْمَى والشجاع الصادق الحملة ، وأصمى الصيدَ رماه فقتله مكانه ، والأمر فلانا حلّ به ، وما صماك عليه ما حملك عليه .

والقلوب جمع قلب ، قال في الصحاح[٤] : في قلب القلب الفؤاد ، قد يعبر به عن العقل، قال الفَرّاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[٥] أي عقل ، ثم قال في فأد الفؤاد القلب ، والجمع الأفئدة . انتهى ، وكلامه في الموضعين صريح في أن القلب هو الفؤاد ، وكذلك قال الشيخ زكيّ الدين عبد العظيم[٦] في

(١) في النسختين د و ك : "لأن ذاك" .

(٢) جاء هذا الأثر عن ابن عباس، في صحيح مسلم، شرح الإمام النووي، في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الصيد بالكلاب المعلمة

(٣) القاموس (صمي).

(٤) الصحاح / قلب.

(٥) سورة ق، الآية: (٣٧).

(٦) هو المنذري صاحب مختصر صحيح مسلم، والترغيب والترهيب ت٦٥٦هـ .

نكت على مختصره لصحيح مسلم في قوله (×) : "**أفئدتهم مثل أفئدة الطير**" الفؤاد القلب والجمع الأفئدة ، وقوله (×): "**أَلْيَن قلوبا وأرق أفئدة**"[١] كرره لاختلاف اللفظين. انتهى. وهو صريح أيضا في ترادفهما، وفرّق بينهما الراغب في كتاب [٢٨٤/ظ] "المفردات" بالاعتبار، فقال[٢] : الفؤاد كالقلب ، لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤُّد(٣) ، أي التوقّد ، ذكره في فأد ، وقال في قلب[٤] : قلبُ الإنسان قيل : سُمي به لكثرة تَقَلّبه ، يعبر[٥] بالقلب عن المعاني التي يختص به من الروح والعلم والشجاعة وسائر[٦] ذلك ، وقال في صدر[٧] : قال بعض الحكماء : حيثما ذكر الله تعالى القلب فإشارة إلى العقل والعلم نحو: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[٨] ، وحيثما ذكر الصدر فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القُوَى ضد الشهوة والهوى والغضب ونحوها[٩] .

وسمي بالقلب لكثرة تقلبه ، وذلك لتقلبه في خواطره وعزمه ، قال الشاعر[١٠] :

وَمَا سُمِّيَ ٱلإِنْسَانُ إِلاّ لأُنْسِهِ   وَلاَ الْقَلْبُ إِلاَّ أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ[١١]

---

(١) الحديث في صحيح مسلم برقم ١٩٩ ونصه:" حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – × – « أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ ».

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٦٤٦ .

(٣) في جميع المخطوطات : "التفأد" والتصحيح من المفردات .

(٤) في مفردات ألفاظ القرآن ٦٨١ .

(٥) في المفردات : "ويعبر" .

(٦) في المفردات : "وغير ذلك" .

(٧) مفردات ألفاظ القرآن ٤٧٧ .

(٨) سورة ق، الآية: (٣٧).

(٩) إلى هنا ينتهي النقل من المفردات .

(١٠) البيت دون نسبة في أدب الدنيا والدين ٩١ وهو من [الطويل] .

(١١) في جميع المخطوطات : ". . . إلا لنسيانه" ، وهو خطأ في الوزن ، والتصحيح من أدب الدنيا والدين ، وفى هامشه : "إلا لنسيه" .

قال الزَّمَخْشَري[1] : مشتق من التقلُّب الذي هو المصدر لفرط تقلبه ،

وروى أبو موسى الأشعري عن رسول الله (×)[2] : "**مثل هذا القلب ريشة مُلقاة بفَلاَة يقلبها بطنًا لِظَهر**" ، وإلى هذا المثل أشار المتَنبي[3] بقوله :

كَرِيْشَــــةٍ فِي مَهَـــبِّ الــرِّيْحِ سَـــاقِطَةٍ لاَ تَسْــتَقِرُّ عَلَــى حَــالٍ مِــنَ الْقَلَــقِ[4]

وقيل : الفؤاد عبارة عن باطن القلب ، وقيل : الفؤاد من القلب ، وقيل : الفؤاد غشاء القلب ، والقلب جثته وسُوَيداؤه ، والقلب هو الشكل الصنوبري المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص، وفى باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود، وهو منبع الروح ومَعدنه ، وعليه الجمهور [٢٨٥/و] خلافًا لمن أنكرَ ذلك ، وهذا المعنى يتعلق به غرض الأطباء ، وأما غرض السادة الصوفية فهو كما قال الغَزالي[5] : لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجثماني تعلُّق ، وتلك اللطيفة في حقيقة الإنسان وهى المدركة العالمة العارفة من الإنسان ، وهو المخاطب والمعاتب والمطالب (وهي المضْغَة)[6] التي أثبتَها النبي (×) لجميع أولاد آدم بقوله[7] : "**إن في جسد ابن آدم مضغة**" الحديث ، وهي موجودة

(١) لم أعثر عليه في أساس البلاغة، ولا في تفسيره الكشاف، وربما كان له في مكان آخر .

(٢) الحديث في مسند الإمام أحمد ٤٣٠/٣٢ و ٥٣٠ بصيغتين مختلفتين عن أبي موسى الأشعري في الحديثين ١٩٦٦١ و ١٩٧٥٧ وفى المكانين التخريج والرأي فيه من حيث الضعف أو الوقف .

(٣) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي ، وكنيته أبو الطيب ، ولكنه يعرف بالمتنبي ، انقطع فترة طويلة لمدح سيف الدولة ، ثم هجره إلى كافور ، ثم رحل إلى فارس فمدح عضد الدولة ، وقتله فاتك الأسدى في أثناء عودته من فارس سنة ٣٥٤هـ . ترجمته وأخباره في يتيمة الدهر ١٢٦/١ ، ووفيات الأعيان ١٢٠/١ ، ومعاهد التنصيص ٢٧/١ .

(٤) شرح ديوان المتنبي المسمى [التبيان في شرح الديوان] المنسوب للعكبري ٣٦٠/٢ ، والبيت من [البسيط] .

(٥) إحياء علوم الدين-الغزالي، أبو حامد ، دار االمعرفة – بيروت٣/٣.

(٦) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسختين د ، ك .

(٧) جاء الحديث في مسند الإمام أحمد ٣٢٤/٣٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ في الحديثين رقم ١٨٣٧٤ و ١٨٤١٢ وفيهما تخريج واسع .

للبهائم أيضا ، بل هي موجودة للميت ، وهى قطعة لحم لا قدر له ، وهو من عالم الملك ، وإن له روحا وهو الذي أثبت لبعض دون بعض بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[1] ، وقد سمَّى الله[2] تعالى لمن لم يكن له روح للقلب ميتا، يقول تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾[3] ، وأما منشأ صورة التي هي المضْغَة فهو الذَّرة التي استخرجها الله من ظهر آدم يوم الميثاق ، وأما منشأ روحه الذي هو به حي فهو الذي استفادته الذرة عند استماع خطاب ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [4] من الفَيْض الإلهي ، فكما أن تلك الذرة المستخرجة صارت بذر شجرة القلب وثمرتها وهي التقلب[5] كذلك صار ذلك الفيض المستفاد من الفيض الإلهي بذر شجرة روح القلب وثمرتها ، وهي روح روحه ، وهو الذي أخبر الله تعالى بقوله: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[6] وهو الإيمان الفطري عند خطاب ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [7]، وهو بذر شجرة الإيمان الكسبي إذا آمنوا وعملوا الصالحات [٢٨٥/ظ] انتهى .

وللقلب أخلاق : فمنها التوبة والإنابة والوَرَع والرِّقة والوَجْد والصَّفَاء والوفاء والصبر

---

(١) سورة ق، الآية: (٣٧).

(٢) الأحسن : "وقد سمى الله تعالى من لم يكن..." ؛ لأن الفعل "سمّى" يتعدى بنفسه .

(٣) سورة الروم، الآية: (٥٢).

(٤) سورة الأعراف، الآية: (١٧٢).

(٥) في النسختين د و ك : "القلب" .

(٦) سورة المجادلة، الآية: (٢٢).

(٧) سورة الأعراف، الآية: (١٧٢).

والقناعة والذِّكر والفكر والمراقبة والترصد والتواجد والحزن والصدق والإخلاص والحب والعلم والسخاء والحِلم والإنابة والديانة والسماحة والشجاعة والزهد والفقر والاستسلام والانقياد والندامة والشفقة والرحمة ، وله صفات حميدة عديدة أُخَر ، وقد ذكر الإمام الغزالي في "الإحياء" أمثلته وخاصته بما فيه الشفاء فليراجع . انتهى .

وقد اختلف العلماء هل العقل مسكنه في القلب أو الرأس ؟ فذهب الإمام الأعظم(١) إلى أنه في الرأس ، ونوره ممتد إلى القلب ، وذهب الإمام الشافعي إلى أنه في القلب ونوره متصل إلى الدماغ ، وقيل محله هما(٢) معا ، وقال إمام الحَرَمَيْن(٣): لا محل له معين ، ووقع السؤال عن العقل هل هو من قبيل الأعراض أو الجواهر أو لا(٤) ؟ وعلى كل هل هو مخصوص بالنوع الإنساني أو هو كُلِيٌّ مشترك بينه وبين كلِّ مخْلوقٍ؟ وعلى ذلك هل هو من الكُلِّيِّ المشكك أو المتواطئ؟ والجواب(٥) هو عند العلماء، أي علماء السنة عَرَضٌ قائمٌ بالقلبِ متصل بالدماغ أو بالرأس متصل بالقلب ، ويزيد وينقص ، وعند الحكماء جوهر مجرد

---

(١) يقصد أبا حنيفة النعمان .

(٢) في النسختين د ، ك : "محلهما" مكان "محله هما" .

(٣) هو:"عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد ابن حيويه. إمام الحرمين، أبو المعالي ابن الإمام أبي محمد الجويني. الفقيه؛ الملقب ضياء الدين رئيس الشافعية. قال السمعاني: كان إمام الأئمة على الإطلاق، المجمع على إمامته شرقاً وغرباً. لم تر العيون مثله. ولد سنة تسع عشرة وأربع ماية في المحرم، وتوفي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربع ماية، ودفن في داره، ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين، ودفن إلى جانب أبيه، وكسر منبره في الجامع، وأغلقت الأسواق؛ وكان له نحو أربع مائة تلميذ فكسروا محابرهم وأقلامهم، وطافوا في البلد ناحبين عليه، مبالغين في الصياح والجزع، وأقاموا على ذلك حولاً؛ ووضع المناديل على الرؤوس عاماً بحيث إنه ما اجترأ أحد على ستر رأسه من الرؤوس والكبار. وصلى عليه ابنه أبو القاسم بعد جهد، وأكثر" الوافي بالوفيات للصفدي.

(٤) في نسخة الأصل م : "أولاولا" [كذا] ، وهو خطأ من الناسخ .

(٥) في النسختين د ، ك : "والجواب عند علماء السنة" .

عن المادة مقارن لها في الفعل ، وهو للإنسان والمَلَك والجن ، ولكنه في النوع الإنساني أكمل ، ومن ثم كان من قبيل المشكك لا المتواطئ ، والمشكك هو اتحاد اللفظ وتعدد الحكم مع النظر إلى زيادته [٢٨٦/و] ونقصانه ضعفا وقوة ، والمتواطئ هو المساوي في اللفظ والحكم . انتهى .

وقوله : إذا رمى ، قال في القاموس: رمى الشيء وبه ألقاه كأرمى فارتمى، وعلى[(١)] الخمسين زاد كأرمى[(٢)]، واللهُ نصره، وفى يده وأنفه وغير ذلك دعاء[(٣)] عليه ، والسهم عن القوس وعليها لا بها رميًا ورماية بالكسر، وراميته مراماة ورماءً وتَرْماءً[(٤)] ، وترامى الأمر تراخى ، وأل[(٥)] أمره إلى الظفر ، والمِرْماة كمسحاة سهم صغير ضعيف أو سهم يُتعلم به الرمي ، وأرماه ألقاه من يده ، وكغنىّ[(٦)] (قِطَعٌ)[(٧)] صغار من السحاب أو سحابة عظيمة القطر والوقع[(٨)] جمع[(٩)] أرماءً وأرمية ورمايا وأرمت به البلاد وترامت أخرجته ، والرِّمِّي كإلى صوت الحجر يَرمِى به الصبي .

قوله[(١٠)] : سهامه : المراد به[(١١)] السهم هنا النبل ، ويطلق على الحظ وعلى القِدْح

(١) في جميع النسخ المخطوطة : "وعلى الخميس" ، والتصحيح من القاموس .

(٢) في جميع المخطوطات : "كأرمي الله بصره" ، والتصحيح من القاموس .

(٣) في نسخة الأصل م : "دعي" ، وفى النسخة ك : "دعا" ، واعتمدت ما في النسخة د لموافقة القاموس .

(٤) في نسخة الأصل م : والنسخة د : "مرماء" ، وسقطت الكلمة من النسخة ك ، والتصحيح من القاموس .

(٥) ليس في القاموس : "وآل" .

(٦) في جميع المخطوطات : "كفتى" ، والتصحيح من القاموس .

(٧) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٨) في نسخة الأصل م : "ووقع" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك لموافقة القاموس .

(٩) الصواب أن يقال : "الجمع" ؛ لئلا يظن أن الكلمة جمع لسابقتها .

(١٠) في النسختين د ، ك : "قال" .

(١١) هذا أسلوب ركيك ، والأفضل أن يقال : المراد به السهم وهو هنا النبل ، أو المراد بالسهم هنا النبل .

يقارَع به ، وبضمتين غَزْل عين الشمس والحرارة[1] الغالبة ، والعقلاء والحكماء ، العمال[2] ، والسُّهمة[3] بالضم القرابة والنصيب ، وكسحاب حَرُّ السموم ووهج الصيف ، وإبل مسهَّمة كمعظَّمة ، والساهمة الناقة الضامرة ، والسُّهوم العبوس، وبالفتح العُقَاب الطائر، وذو السهم معاوية بن عامر؛ لأنه كان يعطى سَهْمَه[4] أصحابه ، ورجل مُسْهَمُ الجسم ذَاهِبُهُ في الحب، وأسهم فهو مُسْهَم كأسهب فهو مُسْهَب زِنَةً ومعنى ، وسَاهِم فرس كان لِكِنْدة. انتهى قاموس .

ومعنى البيت: أن الساقي إذا قابل بوجهه من يسقيه يميت قلبه مما يخيل له من السهام التي تُرمى من قِسِيِّ الحواجب، وتشبيه الحواجب بالقِسِيّ أمرٌ تداولتْهُ[5] [٢٨٦/ظ] أهل الأدب كثيرا، قال الشاعر[6] :

يَا قَــوْمِ قَــدْ شَــفَّنِي وَجْــدٌ بِبَــدْرِ دُجًــا ... عَلَـــى قَضِـــيْبِ أَرَاكٍ نَاعِـــمٍ نَضِـــرِ

فِي حَاجِبَيْـــــــــهِ وَمَنْطِقِـــــــــهِ ... شِــبْهٌ مِــنَ القِسْــيِ وَالأَسْــهَامِ وَالــدُّرَرِ

وقال آخر[7]:

(١) في جميع المخطوطات : "والجرادة الغالية" ، والتصحيح من القاموس .

(٢) في جميع المخطوطات : "والعمال" ، ولكن في نسخة الأصل م ضُرب على الواو . والتصحيح من القاموس .

(٣) في جميع المخطوطات : "والسهم" ، والتصحيح من القاموس .

(٤) في جميع المخطوطات : "سهم" ، والتصحيح من القاموس .

(٥) الأحسن أن يقال : "تداوله" .

(٦) لم أعثر على البيتين . هما من [البسيط] .

(٧) ديوان ابن نباتة، الشيخ جمال الدين بن نباتة المصري ت ٧٦٨هـ، سلسلة الذخائر، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٧م، الذخيرة ١٦٠، ص ٥٧٩. والبيتان من [الوافر] .

فَـــدَيْتُكَ أَيُّهَـــا الرَّامِـــي بِقَـــوْسٍ　　وَطَـــرْفٍ يَا ضَـــنَى جَسَـــدِي عَلَيْـــه

لِقَوْسِـــكَ نَحْـــوَ حَاجِبِـــكَ انْجِـــذَابٌ　　وَشِـــبْهُ الشَّـــيْءِ مُنْجَـــذِبٌ إِلَيْـــهِ

ويعجبني في رام[1] :

وَلَمَّـــا رَمَـــانِي بِالسِّـــهَامِ تَعَمُّـــدًا　　وَفِيْهَا نِصَالُ الْهَجْرِ حَتَّى امْتَلاَ صَدْرِي

فَقُلْـــتُ لَـــهُ لاَ تَـــرْمِ قَلْـــبِي فَإِنَّـــهُ　　مَكَانَـــكَ وَالْمَرْمِـــيُّ أَنْـــتَ وَلاَ تَـــدْرِي

وقال آخر[2] :

وَأَهْيَـــــفِ الْقَـــــدِّ ذِي دَلاَلٍ　　طَـــائِرُ قَلْـــبِي عَلَيْـــهِ وَاجِـــبْ

كَالْشَّـــــمْسِ فِي كَفِّـــهِ هِـــلاَلٌ　　يَرْمِـــي إِلَى الْبَـــدْرِ بِالْكَوَاكِـــبْ

قال الناظم[3] :

وَيَـــــرُوقُ حُسْـــــنًا إِنْ رَنَا　　وَيَفُـــوقُ آرَامًـــا بِرامَـــــهْ

أي ويروق أي يخلص حسنا ، قال في القاموس : الرَّوْق من الشباب أوله ، والسيد والصافي من الماء وغيره ، والمعجِب والإعجاب بالشيء وقد راقه ، والجماعة ، والحب الخالص

---

(١) هما من الطويل، لم أعثر عليهما معا، ورأيت البيت الثاني منهما مع آخر غير الذي هنا، -بغير نسبة- البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ في باب السابق واللاحق، مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٩٦٠ بتحقيق أحمد أحمد بدوي، وروايته:

شققتُ صفوفَ العالمينَ أريدهُ　　وألبستُ قلبي دونه زردَ الصبر

وقلتُ لهُ: لا ترمِ قلبي، فإنه　　مكانك، والمرميُّ أنتَ ولا تدري

(٢) البيتان في المستطرف للإبشيهي من غير نسبة، باب "في ذكر رقائق الشعر" وهما من [مخلع البسيط] .

(٣) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

، ورَوْقٌ جَدُّ محمد بن الحسن الروقيّ(١) المحدِّث ، ومصدر رَاقَ عليه أي(٢) زَادَ عليه فَضْلا ، ورمى بأرواقه على الدابَّة ركبها ، وألقت السحابة أرواقها مطرَها وَوَابِلهَا أو مياهها الصافية ، وأرواق الليل أثناءُ ظلمته ، ومن العين جوانبها ، وأسْبَلت أرْوَاقها سالَت دموعُها ، والرِّواق ككتاب وغُراب بيت كالفسطاط ، أو سقف في مقدم البيت ، وجَمْعُه أرقة ورُوقٌ بالضم [٢٨٧/و] وحاجب العين ، والرَّاووق المِصْفاة والباطية والكأس بعينها ، ورَيْق الشباب بالفتح وككيّس أوله وأصله رَيْوِق(٣) ، والرُّوقَة الشيء اليسير والجميل جدا، وبالفتح الجمال الرائق . انتهى .

وحسنا تمييز محوَّل عن الفاعل ، والأصل يروق حسنُه ، ورَنا إليه أدام النظر ، فهو رَانٍ أي ناظر ، ويفوق يعلو ، قال في القاموس : وفاق أصحابه فَوْقًا وفَوَاقا علاهم بالشرف ، والفائق الخيار من كل شيء ، والفَوَقَة محركة الأدباء الخطباء ، وفُوقٌ ملك للروم نسب إليه الدنانير(٤) الفُوقيه ، وتفوّق ترفّع ، ورجل مستفيق كثير النوم وافتاق افتقر، وشاعر مُفيق مُفْلِق .

والآرام جمع رِيم، وهى الظِّباء البيض الخالصة البياض، ويطلق الريم على آخر النهار إلى اجتلاب الظُّلْمة ، وعلى انضمام فم الجرح للبُرْء ، والساعة الطويلة والدرجة والزيادة والبراح ، والمرْيَمُ كمَقْعَد هي التي تحب حديث الرجال ولا تفجُر، واسم، ورَيّم عليه زاد، ورَيْمَان موضعان ، (والرَّيْم)(٥) الجبال الصغار والقبر أو وسطه ، والرامة كما تقدم(٦) مكان في الحجاز يغلب

---

(١) في جميع المخطوطات : "الرومي" وهو خطأ ، والتصحيح من القاموس .

(٢) في جميع المخطوطات : "أو زاد" والتصحيح من القاموس .

(٣) في نسخة الأصل م : "يرق" ، وفى النسخة د : "ويرق" ، وفي النسخة ك : "ديرق" ، والتصحيح من القاموس .

(٤) في نسخة الأصل م : "الدراهم" ، واعتمدت ما في النسختين د و ك لموافقة القاموس .

(٥) ما بين القوسين ساقط من جميع المخطوطات ، وهو زيادة من القاموس يتم بها القول ، مع إسقاط الواو التي كانت

على أهلها الجمال وكثيراً ما تغزّلت الشعراء بآرام رَامَة من ذلك قولهم من توشيح[1] :

ياريمُ رَامَـــــــــــةَ تَلَفَّــــــــــتِ نَحْـــــوِى وَخَلَّـــــــى نِفَــــارِكْ

عَقْـــــــدُ اصْـــــطِبَارِي تَفَلَّــــــتَ وَقَـــــدْ تَبَاعَـــــدَ مِـــــنْ مَـــــزَارِكْ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

أَنَّ لَهَـــــا ثَغْـــــــرٌ حَـــــلاَ ذَوْقًـــــا لِمَـــــــنْ رَامَ الْتِثَامَـــــــهْ

الثغر[2] : الفم ، أو الأسنان ، أو مقدمها ، أو ما دامت في منابتها [٢٨٧/ظ] ويطلق على ما يلى دار الحرب ، وموضع المخافة من فروج البلدان ، وثَغَر كمنع (ثلم)[3] ، والثُّلْمة[4] سدها ضد ، والثُغْرة بالضم نُقْرة النَّحْر بين الترقوتين ، والناحية من الأرض ،

قبل "الجبال" لأنه كان قد عطفها على "ريمان" ، وهو خطأ .

(٦) لم يتقدم شيء في تفسيره هنا ، ولكنه ينقل من القاموس مع تقديم وتأخير وحذف فيختلط عليه الأمر .

(١) لم أعثر عليه . وفى النسختين د و ك في البيت الأول : يا ريم ريمَة" ورامة كما في معجم البلدان:"هي منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة، ومنه إلى إمرة وهي آخر بلاد بني تميم، وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة، وفيها جاء المثل تسألني برامتين سلجما، وقيل رامة هضبة، وقيل جبل لبني دارم... و رامة أيضا من قرى البيت المقدس بها مقام إبراهيم الخليل عليه السلام". معجم البلدان ياقوت بن عبد الله الحموي أبوعبدالله ، دار الفكر – بيروت ١٨/٣. ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد ،عالم الكتب – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ تحقيق : مصطفى السقا ٦٢٨/٢. وزاد:"رامة بالميم على وزن فعلة موضع بالعقيق وقال عمارة بن عقيل وراء القريتين في طريق البصرة إلى مكة وفي رسم عارمة ما يدل أنها من ديار بني عامر".

(٢) هذا كله من القاموس دون أن يذكره كما عودنا .

(٣) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٤) في جميع المخطوطات : "والسلمي" [كذا] ، والتصحيح من القاموس .

والطريق السهلُ[1] ، وأثغر الغلام ألقى ثَغْرَهُ ونَبَتَ ثَغْرُه ضدّ ، وأَمْسَوْا ثغورا ، أي متفرقين الواحد ثَغْر ، وكصبور حصن باليمن لحمير ، وكصُبْرة ناحية من أعراض المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام[2] .

وأنَّى في أول البيت موضوعة للاستفهام ، وتارة تستعمل بمعنى كيف ، ويجب أن يكون بعده فعلٌ نحو: ﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[3] أي على أي حال ومن أي شِقٍّ أردتم، بعد أن يكون المأتى مَوضع الحَرث[4] ، وآخر بمعنى مِن أين نحو: ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ﴾[5] أي من أين لكِ هذا الرزق الآتي كل يوم ، ويحتمل أنها في المعنيين من باب الاشتراك ، وأن تكون في أحدهما حقيقة وفي الآخر مجاز[6] . وقد ذكر بعض النُّحاة[7] أن أَنَّى بمعنى أين إلا أنه في الاستعمال يكون مع مِنْ ظاهرة كما في قوله .

مِنَ أَيْنَ عِشْرُونَ لَنَا مِنْ أَنَّى

أو مقدرة كقوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ﴾[8] أي من أين ، وهي مختصة بالتصور ، بخلاف هل فإنها مختصة بطلب التصديق ، والهمزة تأتى لهما ، وقد تخرج عن معنى الاستفهام البتة كما ذُكر[9] في موضعه .

---

(١) في القاموس : "السهلة" ، وكلاهما صحيح .

(٢) إلى هنا ينتهي النقل من القاموس .

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٢٣).

(٤) في النسختين د ، ك : "الخرق" .

(٥) سورة آل عمران، الآية: (٣٧).

(٦) الصواب مجازا" .

(٧) هذا التفصيل مع شاهده الآتي من الرجز في شرح الكافية لابن الحاجب ٤٤٩/١/٢ ، وفيه الشواهد التي ذكرها القرآن الكريم .

(٨) سورة آل عمران، الآية: (٣٧).

(٩) في النسختين د ، ك : "كما ذكره" ، ولا معنى لهذه الهاء .

قوله : حلا ، قال في المختار : الحُلو ضد المرّ ، وقد حلا الشيء يحلو حلاوة ، وتَحالَت المرأة أظهرت حَلاوة [٢٨٨/و] وعُجْبا ، والحَلْيُ حَلْيُ المرأة وجمعه حُلِيّ[١] مثل ثَدْي[٢] وثُدِيّ، وقد تكسر الحاء، وقد قرئ: ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾[٣] بضم الحاء وكسرها، وحليةُ السيف جمعها حِلًى مثل لحية ولِحًى ، وحلية الرجل صفته، وحَلِيَ فلانٌ بعيني وفي عيني وفي بصري[٤] وبصدري وفى صدري بالكسر حلاوةً إذا أعجبني[٥]: وقال الأَصْمعي: حَلِيَ[٦] في عيني بالكسر ، وحَلاَ في فمي بالفتح . وتحلَّى[٧] (بالحَلْي) مُزيّن به، وقولهم[٨] : لم يَحْلُ منه بطائل: لم يستفد منه كبير فائدة . والحلوى[٩] التي تؤكل تُمَدّ وتقصر .

وقوله: ذوقًا تمييز محوّل عن الفاعل، والأصل حلا ذوقه، قال في القاموس: ذاقه ذَوقًا وذَوَاقا ومذاقة اختبر طعمه، وأذقتُه أنا وذاق القوسَ جذب وتَرَها اختبارًا، وأذاق زيد بعدك كرَما أي[١٠] صار كريما، وتذوّقه ذاقه مرة بعد مرة، وتذاوقوا الرماح تناولوها.

قوله: لمن رَامَ، الرَّوْم[١١] الطلب كالمرام، ويطلق على شَحْمة الأذن، وعلى حركة مختلسة، وبالضم رجل من ولد الرُّوم ، والرُّومة بالضم الغراء يُلصق به ريش السهم، وتروَّم به

(١) في نسخة الأصل م : "حُلاً" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك لموافقة المختار .

(٢) في جميع المخطوطات : "سدى وسَدًى" ، والتصحيح من المختار .

(٣) سورة الأعراف، الآية: (١٤٨).

(٤) قوله : "وفي بصري" ليس في المختار ، وهو يتكرر مع قوله : "وفي عيني" .

(٥) في المختار : "إذا أعجبك" .

(٦) في جميع المخطوطات : "حلا" والتصحيح من المختار .

(٧) في جميع المخطوطات : "وتحلى به" والتصحيح بالزيادة لما بين القوسين من المختار .

(٨) في جميع المخطوطات : "وقوله" والتصحيح من المختار .

(٩) في المختار : "والحلواء الذي . . ." ، وكلاهما صحيح .

(١٠) كلمة "أي" ليست في القاموس .

(١١) هذا الشرح من القاموس .

تهزّأ ، والرَّام شجر، والله أعلم.

قوله: التثامه، أي تقبيله، قال في القاموس: لَثِمَ فاها كسمع وضرب قبّلها[1] ، ولثم البعير الحجارة بخُفِّه يلثمها كسرها، وأنفَه لَكَمَه وككتاب ما على الفم من النقاب ، ولثمتُ والتثمتُ وتلثمتُ شَدَّدْه، وهي حسنة اللِّثْمَة بالكسر، واللَّيْثَمِيّة لُبْسَةٌ[2] سريعة.

ومعنى البيت: من أين لظباء رَامَة ثَغْر قد حلا ذوقُه لمن رَامَ تقبيله [٢٨٨/ظ] فهو تنوير لما ادعاه الناظم من وصفه السقاة بأنها[3] تفوق آرام رامة.

ومما قيل في الثغر[4]:

سَأَلْتُهُ فِي ثَغْرِهِ قُبْلَةً فَقَالَ ثَغْرِي لَمْ يَجُزْ لَثْمُهْ
فَهَاكَهَا فِي الْخَدِّ وَاقْنَعْ بِهَا مَا قَارَبَ الشَّيءَ لَهُ حُكْمُهْ

وقال آخر[5] :

أَنْفَقْتُ كَنْزَ مَدَائِحِي فِي ثَغْرِهِ وَجَمَعْتُ فِيهِ كُلَّ مَعْنًى شَارِدِ
وَسَأَلْتُهُ فِي قُبْلَةٍ أَحْظَى بِهَا فَأَبَى وَرَاحَ تَغَزُّلِي فِي الْبَارِدِ

وقال آخر[6] :

(١) في جميع المخطوطات : "قتلها" ، والتصحيح من القاموس .

(٢) في جميع المخطوطات : "واللثمة كيسة" [كذا] ، والتصحيح من القاموس .

(٣) الأحسن "بأنهم يفوقون" .

(٤) البيتان في المستطرف للإبشيهي من غير نسبة، في باب :" الخلق وصفاتهم". وهما من [السريع] .

(٥) البيتان من الكامل وهما لصلاح الدين الصفدي، -وقد رواهما له مع ترجمة له وافية- ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ١١/ ١٩ .

(٦) البيتان من الكامل وهما لابن تميم مجير الدين محمد بن يعقوب بن علي، وقد أورد البيتين مع الترجمة له ابن تغرى

لِمَ لاَ أَهِــيْمُ مِــنَ الــرِّيَاضِ وَحُسْــنِهَا وَأَظَــلُّ مِنْهَــا تَحْــتَ ظِــلٍّ ضَــافِي

فَـــالزَّهْرُ حَيَّـــانِي بِثَغْـــرٍ بَاسِـــمٍ وَالْمَـــاءُ وَافَـــانِي بِقَلْـــبٍ صَـــافِي

وللعز المَوْصلي[1] :

لَقَدْ كُنْتَ لِي وَحْدِي وَوَجْهُكَ رَوْضَتِي وَلِي فِي لَمَــي ذَاكَ الرُّضَــابِ مَــآرِبُ[2]

فَعَارَضَـــنِي فِي وَرْدِ خَـــدِّكَ عَـــارِضٌ وَزَاحَمَـــنِي فِي وِرْدِ ثَغْـــرِكَ شَـــارِبُ

ولأبي[3] الصَّلْت[4] :

دَبَّ الْعِـــذَارُ بِخَـــدِّهِ ثُمَّ انْثَـــنَى عَـنْ لَـثْمِ مَبْسَـمِهِ الْـبَرُودِ الأَشْـنَبِ[5]

بردي في النجوم الزاهرة٧ /٣٦٨. وكذا في المستطرف، نسبا إليه.

(١) البيتان من الكامل، وقد وردا في معاهد التنصيص منسوبين للعز الموصلي، وترجمته في الدرر الكامنة، وهو : "علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر بن محمد بن أبي الخير العلامة عز الدين الموصلي الشاعر المشهور نزيل دمشق مهر في النظم وجلس مع الشهود بدمشق تحت الساعات وأقام بحلب مدة وجمع ديوان شعره في مجلد وله البديعية المشهورة قصيدة نبوية عارض بها بديعية الصفي الحلي وزاد عليه أن التزم أن يودع كل بيت اسم النوع البديعي بطريق التورية أو الاستخدام وشرحها في مجلدة واحدة وله أخرى لامية على وزن بانت سعاد مات في سنة ٧٨٩ ". الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الهند ١٩٧٢ ، ط٢، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ٤/ ٥٠، وله ترجمة في الأعلام: ٤/٢٨٠.

(٢) في جميع المخطوطات رسمت كلمة "لَمَي" هكذا "لما" .

(٣) في نسخة الأصل م : "ولابن الصلت" واعتمدت ما في د ، ك لموافقة مصادر الترجمة الآتية.

(٤) أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت، أبو الصلت من أهل الأندلس، كان أديبا فاضلا، حكيما منجما، وهو صاحب فصاحة بارعة وعلم بالنجوم والطب. ت ٥٢٩هـ. ترجمته وأخباره في معجم الأدباء٢/٧٤٠-٧٤٣ [ط إحسان] وفى هامشه مصادر كثيرة للترجمة .

(٥) البيتان بذات النسبة في نفحة الريحانة ٤٩١/١ .

لاَ غَـرْوَ أَنْ خُشِـيَ الـرَّدَى فِي لَثْمِـهِ فَـالرِّيْقُ سُـمٌّ قَاتِـلٌ لِلْعَقْـرِبِ[١]

وفي المعنى[٢] :

أَيَّتُهَـا الـنَّفْسُ إِلَيْـهِ اذْهَـبِي فَحُبُّـهُ الْمَشْـهُورُ مِـنْ مَـذْهَبِي

مُفَضَّـضُ الثَّغْـرِ لَـهُ نُقْطَـةٌ مِسْـكِيَّةٌ فِي خَـدِّهِ الْمُـذْهَبِ[٣]

ولابن العمار[٤] :

عَزَمْـتُ عَلَـى رُقْيَـا مَحَاسِـنِ وَجْهِـهِ بِأَنْـوَارِ آيَاتِ الضُّـحِى حِـيْنَ أَقْـبَلاَ[٥]

فَلَمَّـا بَـدَا يَفْـتَرُّ عَـنْ نَظْـمِ ثَغْـرِهِ بَـدَأْتُ بِبِسْـمِ اللهِ فِي الـنَّظْمِ أَوَّلاَ

وللصلاح الصَّفَدى[٦]:

أَحْبَبْتُـهُ كَالْغُصْـنِ كَـمْ شَـاعِرٍ لَـهُ عَلَيْـهِ نَـوْحُ وَرْقَـاءِ[٧]

---

(١) في النسختين د ، ك رُسمت كلمة "الردى" هكذا "الردا" .

(٢) البيتان أول ثلاثة أبيات لأبي القاسم بن طلحة في نفحة الريحانة ١٨١/١ وهما من [السريع] .

(٣) في نفحة الريحانة : ". . . له شامة من عنبر . . " .

(٤) لعله محمد بن عمار المهدي الأندلسي الشّلبي, وكنيته أبوبكر, وزير, وشاعر هجّاء, يلقب بذي الوزارتين,كان مقربا جدا من المعتمد بن عباد , ثم غضب عليه فقتله سنة ٤٧٧هـ. ترجمته وبعض أخباره في الأعلام الجزء السادس ص٣١٠ و٣١١ .

(٥) لم أعثر على البيتين ، وهما من [الطويل] .

(٦) خليل ابن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، ونسبته إلى صَفَد بفلسطين، تولى وظائف عالية في مصر والشام ، كان أديبا شاعرا، وقد مهر في تراجم الأعيان، وله ما يقرب من مائتي مؤلف. ت ٧٦٤هـ . ترجمته وأخباره في الأعلام ٣١٥/٢ و ٣١٦ .

(٧) والبيتان منسوبان إليه في "تزيين الأسواق" للأنطاكي، في باب:" تتمات يفتقر إليها الناظر في هذا الكتاب".

[٢٨٩/و] وَثَغْـرُهُ الصَّـادِيَ مِـنْ حُسْـنِهِ يَحْتَــــارُ فِي تَشْــــبِيهِهِ الطَّـــــائِي

وليوسف بن مسعود الصواف[١] :

رَأَى ثَغْـرَ مَـنْ أَهْـوَى عَـذُولِي فَقَـالَ لِي وَلَمْ يَـدْرِ أَنَّ اللَّـوْمَ فِي حُبِّـهِ مُغْـرِي

شُـغِلْتَ بِهَـذَا وَارْتَبَطْـتَ بِحُسْـنِهِ وَأَحْسَـنُ مَـا يَكُـونُ الـرِّبَاطُ عَلَـى الثَّغْـرِ

ومن قول النواجي[٢]:

لِلَّهِ ثَغْــرٌ لِلْحَبِيْــبِ تَجَمَّعَــتْ فِي ضِــمْنِهِ لِلْعَاشِــقِيْنَ نَفَــائِسُ[٣]

فِيْــه الرَّحِيْـقُ وَخَالُـهُ مِسْـكُ الخِتَـامِ وَفِيْــهِ فَلْيَتَنَــافَسِ الْمُتَنَــافِسُ

وللصلاح الصَّفَدي[٤] :

أُشَــبِّهُ الخَــالَ عَلَــى خَــدِّهِ تَشْــبِيْهَ مَــنْ لاَ عِنْــدَهُ شَــكُّ[٥]

---

(١) لم أعثر له على ترجمة، والبيتان في المستطرف منسوبان إلى مجهول، والمنسوب إلى الصواف بيتان قبلهما بقليل؛ فربما قرأهما الأدهمي، فأخطأ في نسبة هذين إلى الصواف، وإنما رواهما صاحب المستطرف تحت قوله: "وقال آخر ..." وهما من [الطويل].

(٢) محمد بن حسن بن على بن عثمان النواجى، نسبة إلى نواج [من غربية مصر]، شمس الدين عالم بالأدب، نقاد، له شعر، وله مؤلفات كثيرة أغلبها مخطوط. ت ٨٥٩هـ . ترجمته في الأعلام ٨٨/٦. والضوء اللامع ٢٢٩/٧، والبدر الطالع ١٥٦/٢.

(٣) البيتان من [الكامل] وهما في تزيين الأسواق، منسوبان للنواجي، والصفحة التي بين يديك برمتها وبترتيب أبياتها في تزيين الأسواق لداوود الأنطاكي .

(٤) جاء البيتان منسوبين إلى العز البغدادي في نفحة الريحانة٥٠٠/٢، وهما من السريع، البيتان بديوان الصفدي المسمى [الروض الباسم والعرف الناسم] بنفس النص الموجود هنا مع تغيير كلمة "ختمة" بكلمة "قُفلة ص١٣٦.

(٥) في النفحة : "أشبه الثغر على خاله" .

بِسُبْحَةٍ مِنْ جَوْهَرٍ أُودِعَتْ   حُقَّ عَقِيْقٍ خَتْمُهُ مِسْكُ

ولبعضهم[1] :

وَشَاعِرٍ يَسْحَرُنِي طَرْفُهُ   وَرِقَّةُ ٱلْأَلْفَاظِ مِنْ شِعْرِهِ

أَنْشَدَنِي نَظْمًا بَدِيْعًا فَمَا   أَحْسَنَ ذَاكَ النَّظْمَ مِنْ ثَغْرِهِ

ولآخر[2] :

وَحُلْوُ الذَّوْقِ ذُو شَعْرٍ وَثَغْرٍ   نِظَامُهُمَا حَلاَ لِلنَّاظِرِيْنِ[3]

فَقَالَ نَظَمْتُ قُلْتُ الدُّرَّ ثَغْرًا   فَقَالَ نَثَرْتُ قُلتُ دُمُوعَ عَيْنِي

وللأمير حسن[4] المعروف بابن الأعوج[5] :

آهِ مَنْ لِي بِظَبْيَةٍ فَتَّانَهْ   وَهْيَ تَلْهُو وَمُهْجَتِي وَلْهَانَهْ[6]

---

(١) البيتان من [السريع] وهما لـ"بدر الدين ابن الفويرة محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن حفاظ، بدر الدين السلمي الحنفي الدمشقي، ابن الفويرة؛ تفقه على الصدر سليمان، وبرع في المذهب ودرس وأفتى، وأخذ العربية عن الشيخ جمال الدين ابن مالك ونظر في الأصول، وقال الشعر الفائق، وكان ذا مروءة ودين ومعروف، وهو والد القاضي جمال الدين ابن الفويرة. ومن شعره... وذكر البيتين" فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت ط١، ٣/ ٣٩٤.

(٢) في النسختين د ، ك : "وللآخر" .

(٣) لم أعثر على البيتين ، وهما من [الوافر] .

(٤) حسن بن محمد المعروف بابن الأعوج ، حاكم حماة، أمير وابن أميره فارس ميدان البراع والصفاح، وصاحب الرماح الخطية والأقلام الفصاح . ت ١٠١٩هـ من نفحة الريحانة.

(٥) في جميع المخطوطات : "الأعرج" ، والتصحيح من النفحة .

(٦) البيتان بنصهما في نفحة الريحانة ٤٢٥/٢ ، وهما من [الخفيف] .

ذَاتُ ثَغْــــرٍ كَأَنَّـــهُ اللُّؤْلُـــؤُ الرَّطْــــ ــــبُ حَكَــى كَفَّهَــا وَحَــاكَى بَنَانَــهْ

قال صاحب الحانة[1] : قولهم[2] : في اللؤلؤ الرطب، هو كناية عما فيه من ماء الرونق والبهاء ونعومة البشرة، لأن الرطوبة فَضْلٌ[3] لذاتِ الماء، وهي تنوب عنه في الذكر، وليس يغني في الرطوبة فيه المعنى الذي هو نقيض اليبوسة.

قال أبو رَيحان[4] في كتابه الجواهر[5]: وقوله: حكى كفّها، المراد بمُحاكاته كفها في تناسب أصابعه، ومساواتها، ومُحاكاتها لبنانه في حُمرتها[6]، [٢٨٩/ظ] وهذان البيتان من قصيدة طويلة وله من قصيدة أخرى[7]:

تَبَـدَّتْ فَأَضْـحَى الْبَـدْرُ فِي اْلأُفْـقِ غَائِبًـا وَشَـامَتْ فَـوَلَّى الظَّـبْيُ فِي الْبِيْـدِ هَـارِبَا[8]

رَبِيْبَــةُ خِــدْرٍ يَحْــرُسُ الحُسْــنُ وَجْهَهَــا بِسَــهْمِ لِحَـاظٍ يَجْعَـلُ الْقَـوْسَ حَاجِبَـا[9]

إِذَا ابْتَسَـمَتْ عَــنْ صُــبْحِ ثَغْــرٍ مُنَــوَّرٍ تُشَـــاهِدُ مِنْهَـــا فِي النَّهَـــارِ كَوَاكِبَـــا

---

(١) هكذا [الحانة] في جميع المخطوطات ، ويبدو لي أن الصواب هو [الريحانة] ، لأن الكلام الآتي منقول من نفحة الريحانة ورشحة طِلَاءِ الحانة للمحبي.

(٢) هذا القول مع بعض اختلاف في نفحة الريحانة ٤٢٥/٢ .

(٣) في النفحة : "فصل مقدم لذات" وبالصاد المهملة في أول الكلمة .

(٤) هو أبو الريحان البيروني مؤلف كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر المطبوع بالهند ت ٤٤٠هـ ، وهذا القول في نفحة الريحانة ٤٢٦/٢ .

(٥) كذا [الجواهر] في جميع المخطوطات، والصواب: "الجماهر" كما في نفحة الريحانة ٤٢٦/٢ واسم الكتاب بالكامل كما هو مذكور في هامش النفحة "الجماهر في معرفة الجواهر" .

(٦) لهذا الكلام تكملة في النفحة هي : "فيكون قصَد تشبيهين : تشبيه أسنانها وتشبيه شفتيها" .

(٧) الأبيات بذات النسبة في نفحة الريحانة ٤٢٤/٢ أول تسعة أبيات ، وهما من [الطويل] .

(٨) في جميع المخطوطات : "وشامت فأوى" [كذا] ، والتصحيح من النسخة .

(٩) في جميع المخطوطات : "ربيبة خدر يحسد" [كذا] ، والتصحيح من النسخة .

وللسيد محمد العُرْضِيّ[1] :

تِلْـــكَ الثَّنَـــايَا وَا شَـــقَائِي بِهَـــا بَاتَــتْ تُــرِيْنِي عِنْــدَ لَــثْمِ الطَّرِيْــقْ[2]

تَبَـــدَّدَتْ مِـــنْ عَـــيْرَةٍ عِنْـــدَهَا سُـــبْحَةُ دُرٍّ نُظِّمَـــتْ فِي عَقِيْـــقْ

أخذه من قول الصلاح الصَّفَدي[3] : "أشبه الخال" الخ كما تقدم آنفا.

وممن أبدعَ في ذكر الثنايا والثغر وأغرب، وأتى بما فيه العجب العجاب، ولا عجب، عبد الرحمن بن إبراهيم الموصلي[4]، وذكر قصيدة عجيبة فأحببتُ ذكرها بِرُمَّتها لأجل التحلّي بفرائد أبكارها، والجَنْي من خَمائل أزهارها، وهي[5]:

سَـــلَبُوا الْغُصُـــونَ مَعَاطِفًـــا وَقُـــدُودَا وَتَقَـــاسَمُوا وَرْدَ الـــرِّيَاضِ خُـــدُودَا

طَعَنُـــوا الْقُلُـــوبَ بِمَـــا تَلاَشَـــى دُونَـــهُ طَعْنَ الرِّمَاحِ وَسَدَّدُوا تَسْدِيْدَا

---

(١) محمد بن عمر بن عبد الوهاب العُرْضيّ، الحلبي، كان من الفضل في مرتبة الآحاد، ومن الأدب في مرتبة لا تُنَال بالاجتهاد ، ولى القضاء مدة ، ثم اشتغل بالتدريس، ثم ولى إفتاء الحنفية بحلب سنتين، ثم سافر إلى الروم، وحين مات أخوه أخذ مكانه في إفتاء الشافعية بحلب، والوعظ بجامعها. ت١٠٧١هـ. هذا من هامش ريحانة الألبا٢٧٤/١ وهامش نفحة الريحانة٤٨٣/٢.

(٢) البيتان بذات النسبة في نفحة الريحانة ٥٠٠/٢ وكذلك في ذيل نفحة الريحانة ٣٥٩ وهما من [السريع] .

(٣) سبق أن ذكرت أن هذا جاء منسوبا إلى العز البغدادي في نفحة الريحانة ٥٠٠/٢ ، وديوان الصفدي ١٣٦ .

(٤) عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن الموصلي ، الشافعي ، الميداني ، الدمشقي ، الصوفي ، طلب العلم ، ومهر، وساد ، وأقبل على دواوين الشعر وكتب الأدب ، وكان أديبا فاضلا ، بارعا ، ناظما . ت سنة ١١١٨هـ . هذا من هامش نفحة الريحانة ٤٣٠/١ باختصار .

(٥) القصيدة في نفحة الريحانة ٤٣٢/١-٤٣٤ وهي من [الكامل] .

فَتَنُوا الْوَرَى بِلَوَاحِظٍ وَتَجَاوَزُوا   بِالْفَتْكِ مِنْ نَهْبِ الْعُقُولِ حُدُودَا[1]

تَرَكُوا الْحُلِيَّ سَآمَةً وَاسْتَبْدَلُوا   حُلَلَ الْمَحَاسِنِ وَالْبَهَاءِ بُرُودَا[2]

فَغَدُوْا بِهَا مُسْتَعْبِدِيْنَ أُولِي النُّهَى   مِمَّا يَشِيْقُكَ طَارِفًا وَتَلِيْدَا[3]

نَظَمُوا الثَّنَايَا فِي الْمَبَاسِمِ لُؤْلُؤًا   تَحْتَ الزُّمُرُّدِ وَالعَقِيْقِ عُقُودَا

تَخِذُوا الْبَنَفْسَجَ فِي الشَّقِيْقِ عَوَارِضًا   وَالْيَاسَمِيْنَ مَعَاطِفًا وَزُنُودَا

بَدَلُوا الْخُصُورَ مِنَ الْخَنَاصِرِ رِقَّةً   وَاسْتَبْدَلُوا حُقَقَ الْلُّجَيْنِ نُهُودَا

[٢٩٠/و] فَهُمُ الْمُلُوكَ الصَّائِلُونَ عَلَى   وَهُمُ الظِّبَاءُ الْقَائِدُونَ أُسُودَا

نَظَرُوا إِلَى الْجَوْزَاءِ دُوْن مَحَلِّهِمْ   فَغَدُوا عَلَى هَامِ السِّمَاكِ قُعُودَا[4]

مِنْ كُلِّ مَنْ جَعَلَ الدُّجَى فَرْعًا لَهُ   وَالْبَدْرَ وَجْهًا وَالصَّبَاحَ الْجِيْدَا

---

(١) في جميع المخطوطات : "فتنوا الورى بتلاحظ" [كذا] والتصحيح من النفحة . وفى النفحة بعد هذا البيت بيت لم يُذكر هنا وهو :

وتقاسموا أن لا يراعوا ذمةً   لمتيّم أو يحفظون عهودا

وفى الهامش ذكر المحقق – رحمه الله – أن هذا البيت ساقط من بعض النسخ المخطوطة ، ويبدو أن المؤلف هنا وقع على إحدى النسخ التي ليس فيها البيت .

(٢) في النفحة : "تركوا الحلي شهامة . . . والبهاء ورودا" ، وما هنا أحسن .

(٣) في النفحة : "مستبعدين ألى" [كذا] .

(٤) في النفحة : "فعدوا على همام . . ." ، وفى الهامش ذُكر أنه في سلك الدرر : "فغدوا" .

رَيَّانُ مِــــنْ مَـــاءِ النَّعِــــيْمِ إِذَا بَـــدَا خَــرَّتْ لَـهُ زُهْــرُ النُّجُــومِ سُــجُودَا[(١)]

كَالْمَـــاءِ جِسْــمًا غَــيْرَ أَنَّ فُــؤَادَهُ أَضْـحَى عَلَـى أَهْــلِ الْهَـوَى جُلْمُــودَا

تَــزْدَادُ مِــنْ فَــرْطِ الْحَيَــاءِ خُــدُودُهُ عِنْــدَ اسْــتِمَاعِ تَــوَلُّهِي تَوْرِيْــدَا[(٢)]

لَــوْ أَبْصَــرَ النُّصَّــاحُ فَــائِقَ وَجْهِــهِ عَــذَلُوا الْعَــذُولَ وَحَــارَبُوا التَّفْنِيْــدَا

أَوْ لَـــوْ رَآهُ رَاهِـــبٌ مِـــنْ بَيْعَـــةٍ أَلْقَـــى الصَّـــلِيْبَ وَلاَزَمَ التَّوْحِيْـــدَا

كَـــمْ ذَا تُـــذَكِّرُنِي الْعَقِيْـــقَ خُـــدُودُهُ وَالْطَــرْفُ حَــاجِرَ وَالْعِــذَارُ زَرُودَا[(٣)]

وَإِذَا بَـــدَا مُتَلَفِّتًـــا مِـــنْ عُجْبِـــهِ بِالْجِيْــدِ أَذْكُــرُ فِي طُــلاَهُ الْغِيْــدَا[(٤)]

مَــا الظَّــبْيُ أَحْسَــنَ لَفْتَــةً مِــنْ جِيْــدِهِ عِنْــدَ النِّفَــارِ وَإِنْ أَقَــامَ شُــهُودَا

يَحْمِــي اللَّمَــى وَالْخَـدَّ عَقْـرَبُ صُـدْغِهِ عَـــنْ وَارِدٍ أَوْ مَـــنْ يَـــرُومُ وُرُودَا[(٥)]

---

(١) في نسخة الأصل م : "خرت له نجم النجوم" واعتمدت ما في النسختين د ، ك لموافقة النفحة وليستقيم القول . وفى نسخة الأصل م : "إذا بدى" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك ؛ لأن الفعل الناقص إذا كان ثلاثيا وكانت ألفه أصلها واو كتب ألفا ، مثل بدا ودعا ، وسما ، وإذا كانت الألف أصلها ياء كتبت ياء مثل سعى ورمى الخ .

(٢) في النفحة : "عند استماع تأوهي . . . " .

(٣) في هامش النفحة كتب : العقيق اسم لمواضع عدة . انظر معجم البلدان ٦٦٩/٣ ، والشاعر يلحظ الجوهر أيضا المسمى بالعقيق ، وهو حجر كريم . وحاجر : موضع قبل معدن النقرة . معجم البلدان ١٨٢/٢ ، وزرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان ٩٢٨/٢ . وهذه المواضع الثلاثة مما يكثر ذكره في الشعر ، ولا يراد به المكان بعينه .

(٤) في النفحة : ". . . بالجيد أذكرني طلاه . . . " .

(٥) في جميع المخطوطات : "عن وارد من أن يروم ورودا" ، واعتمدت ما في النفحة .

قَــدْ رَقَّ مِنْــهُ الْخَصْــرُ حَــتَّى خِلْتُــهُ   عِنْــــدَ اهْتِــــزَازِ قَوَامِــــهِ مَفْقُــــودَا

مَــا خِلْتُــــهُ إِلاَّ النَّسِــــيْمَ إِذَا سَــــرَى   بَــيْنَ الــرِّيَاضِ وَإِنْ أَطَــالَ صُــدُودَا[١]

قلتُ : قال[٢] الأمينيُّ[٣] : لولا أن قصدي استجلاب الثناء لهذا الأديب لَضَننتُ بهذه الأبيات خوفًا من أن لا يُراعى حقُّها عند أهل التأديب، ولوددتُ أنها عُلِّقت في جبهة الأسد الكاسر، أو ضُمت للنيرات في الفَلَك العاشر.

ولبعضهم[٤]:

وَشَــاكَلَتْ مُلَحًــا فِي الْحُسْــنِ أَرْبَعَــةً   مَـا فِي الْـرِّيَاضِ وَفِي الْأَشْـجَارِ مِـنْ مُلَـحِ

ثَغْــرٌ وَخَــدٌّ وَنَهْــدٌ وَاخْتِضَــابُ يَــدٍ   كَــالطَّلْحِ وَالْــوَرْدِ وَالرُّمَّــانِ وَالْــبَلَحِ

[٢٩٠/ظ] ولآخر[٥] :

كَأَنَّمَـــا الثَّغْـــرُ الشَّـــهِيُّ رُضَـــابُهُ   ضِــمْنَ الشِّــفَاهِ مَــعَ الْوِشَــامِ الْأَخْضَــرِ

دُرٌّ نَضِــــيْدٌ ضِــــمْنَ حُــــقِّ زَبَرْجَــــدٍ   وَلَــــهُ غِطَــــاءٌ مِــــنْ عَقِيْــــقٍ أَحْمَــــرِ

وقال آخر[٦] :

---

(١) في النفحة : "ما خلقه إلا النسيم . . ." ، وما هنا أحسن .

(٢) هذا القول في النفحة ٤٣٤/١ .

(٣) في نسخة الأصل م : "قال الأرميني" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك لأن المؤلف يقصد مؤلف النفحة وهو محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي.

(٤) لم أعثر على البيتين ، وهما من [البسيط] .

(٥) لم أعثر على البيتين ، وهما من [الكامل] .

(٦) لم أعثر على البيتين ، وهما من [الكامل] .

وَاللهِ لاَ أَدْرِي بِأَيِّ صِفَاتِهِ ... مَلَكَ الْقُلُوبَ فَأُوْثِقَتْ فِي أَسْرِهِ

أَبِوَجْهِهِ أَمْ شَعْرِهِ أَمْ ثَغْرِهِ ... أَمْ نَحْرِهِ أَمْ رِدْفِهِ أَمْ خَصْرِهِ

وقال [أحمد بن] محمد الجابري[١] مضمنا :

فَدَيْتُ مِنَ الْمِلاَحِ غَزَالَ إِنْسٍ ... لَهُ قَدٌّ تَثَنَّى كَالرَّدَاحِ[٢]

وَخَدٌّ رَائِقٌ يَزْهُو بِوَرْدٍ ... وَثَغْرٌ زَانَهُ حُسْنُ الْأَقَاحِ[٣]

وَإِنْ فَخَرَ النَّهَارُ بِضَوْءِ صُبْحٍ ... فَإِنِّي بِالثَّلاَثَةِ ذُو انْشِرَاحِ

جَبِينٌ وَالْمُقَبَّلُ وَالثَّنَايَا ... صَبَاحٌ فِي صَبَاحٍ فِي صَبَاحِ[٤]

ويعجبني قولُ عنترة[٥] :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ ... مِنِّي وَبِيْضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

فَوَدِدْتُ تَقْبِيْلَ الرِّمَاحِ لأَنَّهَا ... لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ الْمُتَبَسِّمِ

وقد تلاعبت في هذا المعنى الشعراء قديما وحديثا، قال مُصْعب بن زُرَارَةَ[٦]:

(١) في جميع المخطوطات : "محمد الجابري" ، وزدت ما بين القوسين من النفحة ليصح الاسم . وهو أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الجابري الشِّحْرِي ، أديب باهر وأريب ماهر ، له نظم كمَا رِق السحر وعبق أريج الشِّحْر، ونثر كما رَقّ السَّحَر، وصافح النسيم الشجر. والشِّحريّ نسبة إلى ساحل البحر بين عدن وعمان، وينسب إليه العنبر الشحري . نفحة الريحانة ٥٠٢/٣، ولم أجد له ترجمة سوى هذه ولم يذكر المؤلف سنة ميلاده ولا تاريخ وفاته.

(٢) الأبيات في نفحة الريحانة ٥٠٤/٣ وهي من [الوافر] والرداح: العظيمة الأوراك.

(٣) في النفحة:"... يزهو كورد... ". والأقاح زهر طيب الرائحة.

(٤) في النفحة: "جبين والمقلد . . " .

(٥) هما في ديوان عنترة وهما من معلقته المشهورة وفى الديوان السيوف بدل الرماح في البيت الثاني، وهما من [الكامل] ، وهما في هامش نفحة الريحانة ٢٤٤/٤ .

وَلَقَــــدْ ذَكَرْتُــــكِ وَالْمَنِيَّـــةُ بَيْنَنَـــا تَحْـــتَ الْخَوَافِـــقِ والْقُلُـــوبُ خَوَافِـــقُ

مجنون ليلى[1]:

ذَكَرْتُـــكِ وَالْحَجِـــيْجُ لَـــهُ ضَـــجِيْجٌ بِمَكَّـــةَ وَالْقُلُـــوبِ لَهَـــا وَجِيْـــبُ

الوزير أبو الحسن[2] بن القَبْطُرْنَة:

ذَكَـــرْتُ سُـــلَيْمَى وَحَـــرُّ الْـــوَغَى بِقَلْـــبِيَ سَـــاعَةَ فَارَقْتُهَـــا[3]

وَأَبْصَـــرْتُ بَـــيْنَ النَّقَـــا قَـــدَّهَا وَقَـــدْ مِلْـــنَ نَحْـــوِى فَعَانَقْتُهَـــا

أبو طالب الرقي[4] :

وَلَقَــدْ ذَكَرْتُــكِ وَالظَّــلاَمُ كَأَنَّــهُ يَــوْمُ النَّــوَى وَفُــؤَادُ مَــنْ لَم يَعْشَــقِ

عطية السلمي[5] :

---

(٦) لم أعثر له على ترجمة ، والبيت في نفحة الريحانة ٢٤٢/٤ بذات النسبة . ، وهو من [الكامل] .

(١) ديوان مجنون ليلى ٦٤ وهو من [الوافر] .

(٢) في النسختين د و ك: "أبي الحسن" . وفى جميع المخطوطات: "القبطرة"، والتصحيح من نفحة الريحانة. وهو أبو الحسن محمد بن سعيد بن القَبْطُرْنَة، كان كاتبا للمتوكل بن الأفطس من هامش الريحانة ٢٤٢/٤.

(٣) البيتان بذات النسبة في نفحة الريحانة ٢٤٣/٤ . وهما من [المتقارب] . وفى جميع المخطوطات رُسمت كلمة "سُليمي" هكذا "سليما" .

(٤) ترجم له:" الثعالبي في يتيمة الدهر قال:"أبو طالب الرقي لم أجد ذكره إلا عند أبي بكر الخوارزمي، وسمعته يقول: إنه أحد المقلين المحسنين، الذين يطبقون المفصل في أغراضهم، وينظمون الدر المفصل في معانيهم وألفاظهم" ولم يحدد تاريخ مولده ووفاته، والبيت بذات النسبة في نفحة الريحانة 243/٤ وهو من [الكامل].

(٥) هو عطية بن علي بن حسن السلمي المكي،كان فقيها في عصره،من كتبه (تفسير القرآن العظيم)ت٩٨٣هـ . والبيتان في نفحة الريحانة ٢٤٣/٤ بذات النسبة . وهما من [الكامل] .

[٢٩١/و] وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ تَنُوشُنِي عِنْدَ ٱلإِمَامِ وَسَاعِدِي مَغْلُولُ

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ – وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ – وَالسَّيْفُ بَيْنَ ذُؤَابَتِي مَسْلُولُ

أبو حيان[١] :

لَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالْبَحْرُ الْخِضَمُّ طَغَتْ أَمْوَاجُهُ وَالْوَرَى مِنْهُ عَلَى حَذَرِ[٢]

الصفي الحلي[٣] :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالْجَمَاجِمُ وُقَّعٌ تَحْتَ السَّنَابِكِ وَٱلأَكُفُّ تَطِيرُ[٤]

وَالْهَامُ فِي أُفُقِ الْعَجَاجَةِ حُوَّمٌ فَكَأَنَّهَا فَوْقَ النُّسُورِ نُسُورُ

فَطَنَنْتُ أَنِّي فِي مَجَالِسِ لَذَّتِي وَالرَّاحُ تُجْلَى وَالْكُؤُوسُ تَطِيرُ[٥]

وله أيضا[٦] :

(١) هناك الكثير ممن يطلق عليه أبو حيان ، ولذلك لم أهتد إلى ترجمته . والبيت في نفحة الريحانة ٢٤٣/٤ بذات النسبة . وهو من [البسيط] .

(٢) في جميع المخطوطات ونفحة الريحانة:"ولقد ذكرتك" بواو في أوله، وهو خطأ مع وجود الواو لأنه والحالة هذه تكون التفعيلة الأولى من الكامل، وباقي البيت من البسيط، والصواب حذف الواو ليكون البيت كله من البسيط، وقد حذفت الواو.

(٣) عبد العزيز بن سرايا بن على بن القاسم النبسي الطائي. ولد ونشأ في الحلة (بين الكوفة وبغداد] ، اشتغل بالتجارة ، فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها، وتقرب إلى ملوك الدولة الأرتقية ومدحهم، وأجزلوا له عطاياهم، ورحل إلى القاهرة، ومدح السلطان الملك الناصر، له عدد من الكتب بعضها مخطوط وبعضها مطبوع.ت٧٥٠هـ .

(٤) الأبيات بذات النسبة في نفحة الريحانة ٢٤٣/٤ و ٢٤٤ . وهي من [الكامل] .

(٥) في جميع المخطوطات "والراح تحكى" ، والتصحيح من النفحة .

(٦) البيتان بذات النسبة في نفحة الريحانة ٢٤٤/٤ . وهما من [الكامل] .

وَلَقَــــدْ ذَكَرْتُـــكِ وَالْعَجَـــاجُ كَأَنَّـــهُ   مَطْـلُ الْغَـنِيِّ وَسُـوءُ عَـيْشِ الْمُعْسِـــرِ

فَطَنَنْـــتُ أَنِّيَ فِي صَـــبَاحٍ مُسْـــفِرٍ   مِـنْ ضَـوْءِ وَجْهِـكِ أَوْ سَـنَاءٍ مُقْمِـرِ(1)

الطُّغرائيّ(2) ، وما أرق قوله(3) :

إِنِّي لأَذْكُــرُكُمْ وَقَــدْ بَلَــغَ الظَّمَــا   مِـــنِّي فَأَشْـــرَقُ بِالــزُّلاَلِ الْبَـــارِدِ

وَأَقُــولُ لَيْـــتَ أَحِبَّـــتِي عَـــايَنْتُهُمْ   قَبْـلَ الْمَمَـاتِ وَلَـوْ بِيَـوْمٍ وَاحِـدِ

أبو عطاء السنديّ الحماسي(4) :

ذَكَرْتُـــكِ وَالْخَطِّـــيُّ يَخْطِـــرُ بَيْنَنَـــا   وَقَـدْ نَهَلَـتْ مِـنِّي الْمُثَقَّفَـةُ السُّـمْرُ(5)

---

(١) في هامش النفحة ذكر المحقق أنه في ديوان الصبابة "من ضوء وجهك أو مساء مقمر" وهو أولى .

(٢) الحسين بن على بن محي بن عبد الصمد ، الملقب مؤيد الدين الأصبهاني ، المعروف بالطغرائي ، كان غزير الفضل ، لطيف الطبع ، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر . قتل سنة ٥١٣ أو ٥١٤ أو ٥١٨ هـ ترجمته في وفيات الأعيان ١٨٥/٢ .

(٣) البيتان بذات النسبة في نفحة الريحانة ٢٤٤/٤ . وهما من [الكامل] ، وجاء البيت الأول في ديوان الطغرائي ١٤١ أول تسعة أبيات ، وليس فيه البيت الثاني الذي هنا .

(٤) أفلح بن يسار السندي، وكنيته أبو عطاء، كان عبدا أسود، وقد عاش في الدولتين الأموية والعباسية، كان متعصبا للأمويين، وهاجم الهاشميين، وكانت فيه عجمة، لا يستطيع معها أن يلقى الشعر فتبنى وصيفا سماه "عطاء"، ويكنى به، فكان يلقى الشعر عنه. ت ١٨٠ هـ . ترجمته وأخباره في الشعر والشعراء ٧٦٦/٢ وفيه اسمه مرزوق، ومعجم الشعراء ٤٥٦، والأغاني ٣٢٧/١٧، وخزانة الأدب ٥٤٥/٩، وله شعر مجموع في مجلة المورد العراقية ، مجلد ٩ عدد ٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. أبو عطاء السندي: حياته وشعره، صنعه : قاسم راضي مهدي. والبيتان في حماسة القرشي، باب المراثي.

(٥) البيت بذات النسبة في نفحة الريحانة ٢٤٤/٤ . وهو من [الطويل] .

وقال محمدٌ الْخَلِّيّ[(١)]:

وَلَقَـــدْ ذَكَرْتُـــكِ وَالْوُجُـــوهُ سَـــوَاهِمٌ   وَالْجَـوُ مِـنْ نَقْـعِ السَّـلاَهِبِ مُظْلِـمُ[(٢)]

وَالْحَـــرْبُ تُسْـــعَرُ بِالْحُتُـــوفِ كُمَاتُهَـــا   وَالْبِـــيْضُ تَنْثَـــرُ وَالْعَـــوَالِى تُـــنْظَمُ

وَكَأَنَّمَـــا خُضْـــرَ الـــدُّرُوعِ مَجَـــرَّةٌ   وَسَـــنَا الْمَغَـــافِرِ فِي سَمَاهَـــا أَنْجُـــمُ[(٣)]

فَغَـدَوْتُ أَقْـتَحِمُ الْمَعَـامِعَ إِذْ حَكَـتْ   مَعْـــنًى لِحُسْـــنِكِ أَبْلَجًـــا يَتَبَسَّـــمُ

[٢٩١/ظ] وكُنت قلت[(٤)] في عام خمس وثلاثين بعد المائة ، ونحن في السفينة ، وقد كثر البروق والرعود ، وثارت الرياح وأشرفت الأنفس على مُفارقة الأشباح:

وَلَقَـــدْ ذَكَرْتُـــكِ وَالْـــبُرُوقُ لَوَامِـــعٌ   وَالـــرُّوحُ تُزْهَـــقُ وَالنُّفُـــوسُ تُصَـــادُ

وَلَقَـدْ ذَكَرْتُـكِ فِي الْسَّـفِينَةِ إِذْ غَـدَتْ   لُجَـــجُ الْبِحَـــارِ كَأَنَّهَـــا أَطْـــوَادُ

وقال ابن رَشيق[(٥)] :

---

(١) في جميع المخطوطات: "الحلي" بالحاء، واعتمدت التصحيح والضبط من نفحة الريحانة ٢٣٥/٤ في ترجمة أخيه أحمد بن القاسم الخَلَّيّ. والذي هو معنا– على هذا – محمد بن القاسم الخَلِّيّ ، قال عنه صاحب النفحة : هو لروضِهِ شقيق ، ومثله بالمدح حقيق ، مشحوذ سنان البيان ، مصقول أطراف البنان .

(٢) في النفحة : "ولقد ذكرتك والنجوم . . " ، وهي من الكامل .

(٣) في النفحة : "وسنا المغافر في سناها . . ." .

(٤) الضمير للمؤلف : الأدهمي، والبيتان له وهما من الكامل، وهما في كتابه المخطوط : تحفة الأديب. ويلحظ أنه أسقط الألف من العدد، لمعرفته، والعام الذي ذكره هو عام ١١٣٥هـ.

(٥) الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني، أحد الأفاضل البلغاء، له التصانيف المليحة، منها كتاب العمدة في صناعة

وَلَقَــدْ ذَكَرْتُــكِ فِي الْسَّــفِينَةِ وَالــرَّدَى مُتَوَقَّـــعٌ بِــــتَلاَطُمِ اْلأَمْــــوَاجِ[1]

وَعَلَــتْ لأَصْــحَابِ الْسَــفِيْنَةِ ضَــجَّةٌ وَأَنَا وِذِكْــرُكِ فِي الْبِحَــارِ نُنَــاجِي[2]

قال الناظم[3] :

أَنَّ لَهَـــــا وَجْـــــهٌ يَشْبِـــــــهُ بِقَلْــــبِ مُبْصِــــرِهِ ضِــــرَامَهْ

قال في القاموس: الوجه مستقبل كل شيء، جَمْعُه: أَوْجُه، ووجُوه، وأجوه ، ونفس الشيء، ومن الدهر أوله، ومن النجم ما بدا لك منه، ومن الكلام السبيل المقصود، وسيد القوم، والوِجْهُ[4] بالضم والكسر: الجانب والناحية ، ووَجَهَه كَوَعَدَه: ضرب وجهه، فهو موجوه، وَوَجَّهه توجيهًا: أرسله وشرَّفه كأوْجَهَه ، والمطرةُ الأرض صيرتها وجْها واحدا ، ووِجَاهك[5] وتُجاهك مثلثين تلقاء وجهك ، ولقيه وِجاهًا ومواجهة [قابل وجهه][6] بوجهه ، وتواجها تقابلا ، ووِجاه ألف بالكسر زهاؤه ، والوجيه ذو الجاه جمعه وُجهاء ، وأوْجَهَه[7]

الشعر ونقده وعيوبه، وكتاب الأنموذج، والرسائل الفائقة، والنظم الجيد. ت٤٥٦ أو ٤٦٣هـ. ترجمته في وفيات الأعيان٢/٨٥.

(١) البيتان بذات النسبة في نفحة الريحانة ٤/٢٤٣. وهما من [الكامل].

(٢) في النفحة:"وأنا وذكرك في ألذّ تناجى" .

(٣) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى".

(٤) في جميع المخطوطات : "والوجهة" ، والتصحيح من القاموس .

(٥) في جميع المخطوطات : "ووجهك" ، والتصحيح من القاموس .

(٦) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٧) في جميع المخطوطات : "وواجهه" ، والتصحيح من القاموس .

صادفه وجيهًا وتوجيه القوائم(١) كالصدف ، أو هو تَداني [العجايتين و](٢) الحَافرين، والتواءٌ في الرسغين، وفى الشّعر الحرف الذي قبل الرَّوِيّ في القافية المقيدة، أو(٣) أن تضمه وتفتحه، والجِهة بالكسر والضم الناحية كالوِجهة(٤) .

والمراد هنا بالوجه وجه [٢٩٢/و] الإنسان، لأنه هو الأصل الجامع لمعظم

المحاسن، فقد ذكروا أن المِلاحة في العيون، وفى الثنايا، وفى الفم والحواجب، والخدود، والثغر، والجَبهة، والجَبِين، والأنف، وكل ذلك مجموع في الوجه.

وإنما سُمي وجهًا لأنه تقع(٥) به المواجهة، وحَدَّه الفقهاء بأنه من مبدأ سطح الجبهة إلى أسفل الذقن طولا، ومن شَحْمة الأُذن إلى شحمة الأذن عَرْضا، وله أحكام تخصه في الفقه، منها أنه يُفترض غَسلُ الحدِّ المذكور في الوضوء ، ومَسْحُه في التيمم ، وعدم سَتره للمرأة في الصلاة؛ لأنه ليس بعورة، ولا يلزم من كونه غير عَورة حِلُّ النظر للأجنبية؛ لأنه لا يخلو النظر من الشهوة، ومن حَامَ حول الحِمَى يوشك أن يقع فيه، حتى لو فُقدت الشهوةُ فيها بأن

---

(١) في نسخة الأصل م : "القوم" واعتمدت ما في النسختين د ، ك لموافقة القاموس .

(٢) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول ، ويستقيم، "والعُجاوَة: قدر مُضْغةٍ من لحْمٍ تكونُ موصولةً بِعَصبة تَنْحَدِرُ من رُكْبةِ البعيرِ إلى الفرْسِنِ، وهي من الفَرَسِ مَضِيغَةٌ، وهي العُجاية أَيضاً، وقيل: هيَ عَصَبة في باطِنِ يدِ الناقةِ. وقال اللحياني: عُجاوَةُ الساقِ عَصَبة تَتقَلَّع معَها في طَرَفِها مثلُ العُظَيْمِ، وجمعها عُجيً كَسَّروه على طرح الزائد فكأنهم جَمَعوا عُجْوَةً أَو عُجاةً؛ قال ابن سيده: وهذه الكلمة واوية ويائية. وقال ابن شميل: العُجاية من الفَرَسِ العَصَبةُ المسْتَطيلة في الوَظيفِ ومُنْتَهاها إلى الرُّسْغَين وفيها يكون الحَطْمُ، قال: والرُّسْغُ مُنتهى العُجايةِ. وقال ابن

سيده في معتلّ الياء: العُجايَة عصبٌ مركَّبٌ فيه فصوصٌ من عِظامٍ كأَمثالِ فُصُوصِ الخاتَمِ تكون عند رُسْغِ الدابةِ؛ زاد غيره: وإذا جاعَ أَحدُهم دَقَّها بين فِهْرَيْنِ فأَكلها". اللسان / عجا.

(٣) في جميع المخطوطات : "وأن" ، والتصحيح من القاموس .

(٤) في القاموس : "كالوجه والوِجهة .

(٥) في نسخة الأصل م : "يقع" بالمثناة التحتية في أوله ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

كانت عجوزا شَوْهَاء جاز النظر إليها.

ومن العجائب أن الله تعالى من حين خلق آدم لم تكمل المشابهةُ في الوجوه من كل جهة ، بل إن وافَق أحدٌ أحَدًا في عينيه اختلفا في الأنف مثلا ، أو فيه اختلفا في الحواجب ، فالحاصل أنه لا يمكن الموافقة من كل جهة ، وهذه حكمة ربانية .

وقد ذكرت الحُكماء أن أحسنَ ما في الإنسان وجهه ، فإن كان حسنا فما بعده من الصفات حَسنة ، وإن كان قبيحا فما بعده من الصفات قبيح ، وقد وَرَد(١): (اطلبوا الخَيْر عند حِسَان الوجوه) .

قال بعضهم(٢) : ثلاثة تذهب عنا الحزن : الماء والخضرة والوجه الحسن . وقد يُطلق الوجه على الذات كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ ﴾ (٣) [٢٩٢/ظ] أي

(١) ابتغوا الخير عند حسان الوجوه " (قط في الأفراد) عن أبي هريرة . قال الشيخ الألباني : (موضوع) انظر حديث رقم : ٣١ في ضعيف الجامع". صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ص ١٠٥. ولفظه في فيض القدير"(اطلبوا الخير) بهمزة وصل مضمومة (عند حسان الوجوه) وفي رواية للخطيب "صِباح الوجوه" أي الطلقة المستبشرة وجوههم فإن الوجه الجميل مظنة لفعل الجميل وبين الخلق والخلق تناسب قريب غالبا فإنه قل صورة حسنة يتبعها نفس رديئة وطلاقة الوجه عنوان ما في النفس وليس في الأرض من قبيح إلا ووجهه أحسن ما فيه". فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي ضبطه وصححه أحمد عبد السلام الجزء الأول حرف الهمزة ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م. ١/ ٦٨٩.

(٢) هذا القول مشهور كثير الذيوع، ومن الأدباء من يجعله حديثا كالراغب الأصفهاني، في : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، حيث يقول- في فصل طيب الربيع وحسنه-: "قال النبي ×: ثلاثة يحيين القلب: النظر إلى الماء وإلى الخضرة وإلى الوجه الحسن"، وأورده العباسي في معاهد التنصيص ضمن رجز لكنه لم ينسبه قال :" وقول الآخر من الرجز: ثلاثة تُذْهِبُ عن قلبي الحَزَنْ الماءُ والخضرةُ والوجهُ الحسَنِ".

(٣) سورة البقرة، الآية: (١١٥).

ذاته ، وقوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[1] أي تبقى ذاته ، لأنه مما يجب[2] تأويله تنزيهًا للباري عن صفات الحوادث .

وعن الحَسن رضي الله عنه[3] : النظر إلى الوجه الحَسَنِ عِبادة . وقيل[4] : النظر إلى الوجه الحسن والماء والخُضرة يزيد في العقل ونور البصر .

والوَجْهُ اسم مَغارة في طريق الحَجِّ، وقد تلاعبت به الشعراء كثيرا، قال قائلهم[5]:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْوَجْهَ سَالَ مِنَ الْحَيَا وَقَدْ طَابَ مِنْهُ لِلْحَجِيْجِ مُقَامُ

ومَدُّوا إِلَى الْغَيْثِ الْهَطُولِ أَكُفَّهُمْ فَجَادَ عَلَيْهِمْ بِالنَّوَالِ غَمَامُ

فَقُلْتُ سَرِيْعًا عِنْدَ رُؤْيَا مَسِيْلِهِ بِوَبْلِ سَحَابٍ لَيْسَ فِيْهِ جَهَامُ[6]

---

(١) سورة الرحمن، الآية: (٢٧).

(٢) من العلماء من لا يؤول ذلك ، ولا يراه ، ويقولون : إن له وجها ليس كوجوهنا .

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء في باب الرخصة في النظر قال :" قال الحسن: النظر إلى الوجه الحسن عبادة، معناه أن الرائي يقول: سبحان خالقه. ومنه قيل النظر إلى عليٍّ عبادة. ورؤي شريح بقارعة الطريق فقيل له: ما وقوفك؟قال: عسى أن أنظر إلى وجه حسن أتقوى به على العبادة."

(٤) لم أعثر على هذا القول، ولكن جاء في فيض القدير :" قال في اللسان: وروى جعفر بن علي الدقاق رضي الله عنه عن الحسين بن سهل التركي عن أبيه عن يحيى بن أكثم قال: دخلت على المأمون والعباس ابنه عن يمينه وكان من أحسن الناس وجها، فجعلت أتأمله فنظر إلي المأمون فزجرني قلت: يا أمير المؤمنين حدثني عبدالرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر رفعه النظر إلى الوجه المليح يجلو البصر وإن في بصري ضعفا أردت أن أجلوه" فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ ٣١٣/٣.

(٥) الأبيات جاءت منسوبة إلى نور الدين بن الجزار الشافعي في ريحانة الألبا ١٦٦/٢ و ١٦٧ مع بعض الاختلاف، والأول والأخير في نفحة الريحانة ٢٣٢/١ باختلاف يسير . والأبيات من [الطويل] .

(٦) هذا البيت ليس في ريحانة الألبا .

عَلَــى ذَلِــكَ الْوَجْــهِ الْمَلِــيْحِ تَحِيَّــةٌ مُبَارَكَـــةٌ مِـــنْ رَبِّنَـــا وَسَـــلاَمُ[١]

وقال آخر[٢] :

أَتَيْـــتُ إِلَى الْحِجَـــازِ فَقُلْـــتُ لَمَّـــا تَبَـــدَّى وَجْهُـــهُ لِيَ وَارْتَوَيْـــتُ

وَكَـــمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِـــنْ وَجْـــهٍ مَلِـــيْحٍ وَلَكِـــنْ مِثْـــلُ وَجْهِـــكَ مَـــا رَأَيْـــتُ

وقال آخر[٣] :

تَعَفَّفْـــتُ عَـــنْ زَادِ الرَّفِيْـــقِ وَمَائِـــهِ وَسِـــرْتُ بِبَيْـــتِ اللهِ أُهْـــدِي لَـــهُ شُـــكْرَهْ

وَوَفَّـــرْتُ مَـــا عِنْـــدِي احْـــتِرَازًا وَإِنَّـــنِي لِصَـــوْنِيَ مَـــاءَ الْوَجْـــهِ لَمْ أَرَ مَـــا أَكْـــرَهْ

وقد ذمّه القيراطي حين دخل إليه ولم يجد فيه ماء بقوله[٤] :

أَقُـــولُ وَقَـــدْ جِئْنَـــا إِلَى الْوَجْـــهِ جَمْعُنَـــا عِطَاشًـــا وَكُـــلٌّ خَـــابَ فِيْـــهِ رَجَـــاؤُهُ

إِذَا قَـــلَّ مَـــاءُ الْوَجْـــهِ قَـــلَّ حَيَـــاؤُهُ وَلاَ خَـــيْرَ فِي وَجْـــهٍ إِذَا قَـــلَّ مَـــاؤُهُ

وقد ضمّن هذين البيتين يوسف البديعي[٥] بقوله[٦] :

---

(١) هذا البيت بنصه في نفحة الريحانة ، وباختلاف في ريحانة الألبا .

(٢) جاء البيتان منسوبين إلى القيراطي في ريحانة الألبا ١٦٧/٢، ونفحة الريحانة ٢٣٢/١ . وهما من [الوافر] .

(٣) جاء البيتان منسوبين إلى فتح الله بن بدر الدين محمود البَيْلُوني الحلبي في ريحانة الألبا ٢٠٤/١ . وهما من [الطويل] . وسقطت كلمة "شكره" في البيت الأول من نسخة الأصل م في التصوير .

(٤) جاء البيتان منسوبين إلى الشهاب الخفاجي في ريحانة الألبا ١٦٧/٢ ، باختلاف يسير وجاءا منسوبين إلى القيراطي بنصهما في نفحة الريحانة ٢٣١/١ . وهما من [الطويل] .

(٥) يوسف البديعي الدمشقي ، أديب من شعراء نفحة الريحانة ، دمشقي المولد والمنشأ ، استقر واشتهر بحلب ، وتوفي بالروم في تركيا سنة ١٠٧٣هـ . ترجمته في الأعلام ٢٢٠/٨ و ٢٢١،وسير أعلام النبلاء ٣٣٥/٦ ، وهدية العارفين ٥٦٧/٢، ونفحة الريحانة ، وغيرها.

(٦) لم أجد البيتين منسوبين إلى يوسف البديعي ، ولكنهما جاءا منسوبين إلى محمد بن نور الدين الشهير بابن الدَّرَّا في نفحة الريحانة ٢٣١/١ . وهما من [الطويل] .

شَـكَا أَهْـلُ وَجْـهٍ قِلَّـةَ الْمَـاءِ عِنْـدَهُمْ وَأَنَّ الْحَيَـا شَـحَّتْ عَلَـيْهِمْ سَمَـاؤُهُ[1]

فَقُلْـتُ لَهُـمْ قَـوْلاً لَهُـمْ فِيْـهِ أُسْـوَةٌ إِذَا قَـلَّ مَـاءُ الْوَجْـهِ قَـلَّ حَيَـاؤُهُ

وبهذا[2] نتعلم مذهب العرب ، وأهل الأدب في مدح الشيء وذمه [٢٩٣/و] كما فعل الحريري في الدينارية[3]، وقد ألف الثعالبي[4] وابن رشيق في ذلك قال[5] : أكثر ما تجري هذه المحامِدُ والمذامُّ على جهة المسامحة، لا من باب المشاححة، وإلا فالشيء لا يوافق ضده، فيكون الحسنُ قبيحاً، والقبيحُ حَسَنا في حالة واحدة لمعنى واحد[6] ، لكن لكل شيء كما ذكر الجاحظ مساوٍ[7] ومحاسن كما فعل[8] عمرو بن الأهْتَم بين يدي رسول الله (ﷺ) ، وقد استشهد الزِّبْرِقَانُ بن بدر على ما ادعاه من الشرف في قومه. قال عمرو: أجل يا رسول الله

---

(١) في النفحة : ". . . قلة الما بأرضهم" ، وفي جميع المخطوطات : "وأن الحيا سحت . . ." بالسين المهملة ، والتصحيح من النفحة .

(٢) هذا وما بعده كله منقول من النفحة ٢٣٢/١ حتى آخر أبيات ابن الرومي .

(٣) شرح مقامات الحريري للشريشي ١٣١/١-١٥٧ .

(٤) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، وكنيته أبو منصور ، واشتهر بالثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها وكانت حياته حياة تحصيل ودرس وتأليف وسفر . ت ٤٢٩ أو ٤٣٠هـ . ترجمته وأخباره في زهر الآداب ١٢٧/١ ، ووفيات الأعيان ١٧٨/٣ . وقد حقق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان كتابه "يواقيت المواقيت في مدح كل شيء وذمه" وكتب في مقدمته كلاما طيبا عن الرجل والكتاب .

(٥) هذا الكلام – كما سبق – في نفحة الريحانة ٢٣٣/١ و ٢٣٤ ، وجاء هذا في شرح مقامات الحريري للشريشي ١٥٤/١ . وفي النفحة التي أصل ما هنا : "قال ابن رشيق" ، وهو أحسن .

(٦) في شرح المقامات : "فيكون الحسن قبيحا في حالة واحدة ، والمدح ذما لمعنى واحد" ، وهو أحسن في رأيي . وفي نسخة الأصل م : "لمعني واحدة" ، وهو خطأ من الناسخ .

(٧) في شرح المقامات : "مساوئ" ، وما هنا يوافق النفحة .

(٨) هذه القصة جاءت في البيان والتبيين ٥٣/١ ، وزهر الآداب ٥/١ ، والعقد الفريد ٦٤/٢ و ٦٥ و ٤/٤ ، ولباب الآداب لأسامة ٣٥٤ ، ومن اسمه عمرو من الشعراء ١١٨، وأدب الدنيا والدين ٢٧٢ ، وجمهرة الأمثال ١٣/١ ، ومجمع الأمثال ٩/١ ، وفصل المقال ١٦ وكتاب الأمثال ٣٧ [نقلت هذا من كتاب العمدة هامش ٣٩٦/١] .

إنه مانع حوزه[1]، مطاع في دينه[2]، شديد العارضة، فقال الزِّبْرِقانُ: أما والله لقد علم أكثر مما قاله، ولكن حسدني على شرفي، فقال عمرو: أمّا إذ قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيقَ العَطَنِ، زَمِنَ[3] المروءة، لئيم الخال، حديث الغنى. فبانت الكراهة في عين النبي (ﷺ) لما اختلف قوله، فقال يا رسول الله، رضيتُ فقلتُ أحسن ما علمت، وغضبتُ فقلت أقبح ما علمتُ، وما كذبت في الثانية، ولقد صَدَقتُ في الأولى، فقال النبي (ﷺ) [4]:**"إنَّ من الشعرِ لَحِكْمةً"**.

ولقد أحسن ابن الرومي حيث قال[5] :

فِي زُخْــرُفِ الْقَــوْلِ تَــزْيِينٌ لِبَاطِلِــهِ وَالحَــقُّ قَــدْ يَعْتَرِيْــهِ بَعْــضُ تَغْيِــيْرِ[6]

تَقُــولَ هَــذَا مُجَــاجُ النَّحْــلِ تَمْدَحُــهُ وَإِنْ تَعِــبْ قُلْــتَ ذَا قَــيْءُ الــزَّنَابِيْرِ

---

(١) في شرح المقامات والنفحة: "حوزته"، والكلمتان صحيحتان.

(٢) في شرح المقامات : "أنديته" ، وفي النفحة : "أدنيه" .

(٣) في شرح المقامات والنفحة : "زمر"، وما هنا يوافق إحدى نسخ المقامات كما في هامشه، والزمن: المريض، والزمن: المبطئ وكلاهما بمعنى في هذا السياق، إذ الإبطاء في المروءة أخو قلتها .

(٤) جاء الحديث في كتاب العمدة ٥/١: "إن من الشعر لحكما" ، وروى "لحكمة"، وجاء تخريجه في هامشه هكذا: "قال الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله – في تخريج الحديث في لباب الآداب ٣٣٣ : إن من الشعر لحكما ، وإن من البيان لسحرا ، الحكم : العلم والفقه ، والقضاء والعدل ، وهو مصدر حكم يحكم ، والمعنى : إن من الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه ، ويروى : لحكمة ، وهي بمعنى الحكم . قال في النهاية : والحديث رواه أحمد في المسند رقم ٢٤٢٤جـ٢٦٩/١ ، وفي مواضع أخرى ، ورواه أبو داود أيضا جـ٤ ص ٤٦١ ، وجاء عن غيره من الصحابة" ثم قال في ص٣٥٥ من ذات الكتاب : "وقد روى القسم الأول منه الترمذي ٣٨/٢ ، وابن ماجه ٢١٤/٢ ، وأحمد ١٢٥/٥ والبخاري ٣٤/٨ ، وفتح الباري ٤٤٦/١٠" .

(٥) ديوان ابن الرومي ١١٤٤/٣ مع بعض اختلاف . والأبيات من [البسيط] .

(٦) في الديوان : "ترجيح لقائله" ، وما هنا أحسن .

مَــدْحًا وَذَمًّــا وَمَــا جَــاوَزْتَ حَــدَّهُمَا   سِـحْرُ الْبَيَـانِ يُـرِى الظَّلْمَـاءَ فِي النُّـورِ[1]

ومما تُغُزِّل به في الوجه للصلاح الصفدي[2] :

يَــذُوبُ فُــؤَادِي عِنْــدَ رُؤْيَــةِ وَجْهِــهِ   وَكَـمْ ذَابَ مِـنْ شَمْـسِ النَّهَـارِ جَلِيْـدُ !

وَيَحْــيَ بِــهِ وَجْــدِي وَحُــزْنِيَ خَالِــدٌ   كَمَــا أَنَّ دَمْــعَ الْمُقْلَتَــيْنِ يَزِيْــدُ

وله أيضا[3] :

[٢٩٣/ظ] بِرُوحِي وَجْهَهُ الْمُحْمَرَّ أَضْحَتْ   عَلَيْــهِ شَــامَةٌ شَــرْطُ الْمَحَبَّــهْ

كَــأَنَّ الْحُسْــنَ يَعْشَــقُهُ قَــدِيْمًا   فَنَقَّطَــهُ بِــدِيْنَارٍ وَحَبَّــهْ

وقال آخر[4] :

وَبَــيْنَ الْوَجْــهِ وَالشَّــفَتَيْنِ خَــالٌ   كَزِنْجِــيٍّ أَتَــى رَوْضًــا صَــبَاحَا

تَحَــيَّرَ فِي الــرِّيَاضِ فَلَــيْسَ يَــدْرِي   أَيَجْــنِي الْــوَرْدَ أَمْ يَجْــنِي الْأَقَاحَــا

ابن صابر المنجفي[5] :

---

(١) في الديوان : "وما جاوزت وصفهما . . يرى الظلماء كالنور" ، وهو أحسن في رأيي .

(٢) هما في ديوان الصفدي بنفس النص ص١١٢ ، وهما من [الطويل] .

(٣) هما في ديوان الصفدي مع تغيير في الشطر الأول من البيت الأول، حيث جاء بنفسي خده ص١٣٦ . وهما من [الوافر] .

(٤) روى البيتان مع ثالث لهما في المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي، ونسبها لأبي علي الحسين النشار ، من شعراء زاد المسافر وقبلهما: أَلُوَّامِي على كَلَفي بيحيى   متى من حُبِّه أرجو سَرَاحا".

(٥) لم أعثر له على ترجمة ، ولم أعثر على البيتين . وهما من [مخلع البسيط] .

أَهْـــلاً بِوَجْـــهٍ كَالْبَـــدْرِ حُسْـــنًا صَـــــيَّرَنِي حُبُّـــــهُ هِـــــلاَلاَ[(١)]

قَـــدْ رَقَّ حَـــتَّى لَحَظْـــتُ فِيْـــهِ سَـــوَادَ عَيْـــنِي فَخِلْـــتُ خَـــالاَ

وقال آخر(٢) :

نَظَـــرْتُ إِلَيْـــهِ نَظْـــرَةً فَتَحَـــيَّرَتْ دَقَـــائِقُ فِكْـــرِى فِي مَعَـــانِي صِـــفَاتِهِ

فَـــأَوْحَى إِلَيْـــهِ الْـــوَهْمُ أَنِّ أُحِبُّـــهُ فَـــأَثَّرَ ذَاكَ الْـــوَهْمَ فِي وَجَنَاتِـــهِ

لابن تميم(٣) :

رَأَيْـــتُ حَبَّـــةَ قَلْـــبِي حِـــيْنَ لاَحَ لَهَـــا مَحْبُوبُهَـــا نَفَـــرَتْ مِـــنْ حَـــرِّ أَفْكَـــارِي

ثُمَّ اسْـــتَجَارَتْ بِوَجْـــهٍ مِنْـــهُ فَهْـــيَ بِـــهِ كَالْمُسْـــتَجِيْرِ مِـــنَ الرَّمْضَـــاءِ بِالنَّـــارِ

آخر(٤) :

---

(١) في الشطر الأول خطأ في الوزن، والأبيات من مخلع البسيط، وإنما جاء الخطأ من زيادة السبب الخفيف على مستفعلن الأولى، وهذه الزيادة تسمى ترفيلا، وهو علة بالزيادة، والعلل تختص بالأعارض والأضرب دون الحشو، وإن كانت زيادتها مستساغة، لأنها ليست غريبة على التفعيلة، فهي تزاد على ما آخره وتد مجموع.

(٢) البيتان دون نسبة في نفحة الريحانة ٣٦٢/١ ، وذيل نفحة الريحانة ٥٨. وكذا في سلك الدرر، وهما من [الطويل].

(٣) البيتان منسوبان له، في تزيين الأسواق في أخبار العشاق، لداوود الأنطاكي، في باب:"تتمات يفتقر إليها الناظر في هذا الكتاب" وابن تميم لعله :" مجير الدين ابن تميم محمد بن يعقوب بن علي، مجير الدين ابن تميم الإسعردي، وهو سبط فخر الدين ابن تميم؛ سكن حماة وخدم الملك المنصور، وكان جندياً محتشماً شجاعاً مطبوعاً كريم الأخلاق، بديع النظم رقيقه لطيف التخيل.توفي بحماة سنة أربع وثمانين وستمائة" فوات الوفيات لابن شاكر، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت ط١، ١٩٧٤م، ٥٥/٤.

(٤) جاء البيتان منسوبين إلى عون الدين العجمي في نفحة الريحانة٢٩٧/٢. وكذا في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، ٢/ ٦٧ وجاء فيه أنه:" عون الدين ابن العجمي سليمان بن عبد المجيد بن حسن بن عبد الله بن = =الحسن، الأديب البارع عون الدين ابن العجمي الحلبي الكاتب؛ ولد سنة ست وستمائة، وتوفي سنة ست

لَهِيْـــبُ الْوَجْـــهِ حِـــيْنَ رَآهُ طَـــرْفِي هَـــوَى قَلْـــبِي عَلَيْـــهِ كَـــالْفَرَاشِ

فَأَحْرَقَـــهُ فَصَـــارَ عَلَيْـــهِ خَـــالاً وَهَـــا أَثَـــرُ الـــدُّخَانِ عَلَـــى الْحَوَاشِـــي

آخر[1] :

بِوَجْـــهَ مُعَـــذِّبِي آيَاتُ حُسْـــنٍ فَقُـــل مَـــا شِـــئْتَ فِيْـــهِ وَلاَ تُحَاشِـــي

وَنُسْـــخَةُ حُسْـــنِهِ قُرِئَـــتْ فَصَـــحَّتْ وَهَـــا خَـــطُّ الْكَمَـــالِ عَلَـــى الْحَوَاشِـــي

آخر[2] :

أَعِـــدْ نَظَـــرًا فَمَـــا فِي الْوَجْـــهِ نَبْـــتُ حَمَـــاهُ اللهُ مِـــنْ رَيْـــبِ الْمَنُـــونِ

وَلَكِـــنْ رَاقَ مَـــاءُ الْوَجْـــهِ حَـــتَّى تَـــرَاءَتْ فِيْـــهِ أَهْـــدَابُ الْجُفُـــونِ

ولابن منجك[3] وأحسن[4] :

وخمسين وستمائة بدمشق، وشيعه الأعيان والسلطان".

(١) الصاحب فتح الدين ابن القيسراني عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن نصرٍ، المخزومي الحلبي ثم الدمشقي نزيل مصر. مولده سنة ثلاثٍ وعشرين ووفاته سنة ثلاثٍ وسبعمائة بالقاهرة. سمع أبا القاسم ابن رواحة ابن الجميزي ويوسف الساوي وابن خليل. وأحمد بن الحباب وجماعةً، وشارك في الفضائل والآداب وعني بالحديث وجمع وألف كتاباً في معرفة الصحابة. وله النظم والنثر، وخرج لنفسه أربعين حديثاً. ولي الوزارة في دولة الملك السعيد ابن الظاهر. روى عنه الدمياطي من نظمه وأخذ عنه فتح الدين ابن سيد الناس والبرزالي. أنشدني من لفظه الشيخ شمس الدين قال: أنشدني الصاحب فتح الدين من لفظ لنفسه: وذكر البيتين...". الوافي بالوفيات، للصفدي، حرف العين.

(٢) جاء البيتان منسوبين إلى الأرجّاني في ريحانة الألبا ٣٣٨/١ باختلاف يسير ولم أجدهما في ديوان الأرجاني ، وجاءا دون نسبة في نفحة الريحانة ٤٠٤/١ باختلاف يسير . وهما من [الوافر] .

لَمَّــا صَــفَتْ مِــرآةُ وَجْهِــكَ أَيْقَنَــتْ أَهْــوَايَ أَنَّ عُــدْتُ فِيْــهِ خَيَــالاَ

فَحَسِــبْتُ أَهْــدَابِي بِوَجْهِــكَ عَارِضًــا وَظَنَنْــتُ إِنْسَــانِي بِوَجْهِــكَ خَــالاَ(١)

[٢٩٤/و] لمحمد زين العابدين الجوهري(٢) :

بِالَّـــذِي أَوْدَعَ لَحْظَيْـــكَ حَبِيْـــبِ الْقَلْـــبِ حَتْفَــا(٣)

وَسَــقَانِي مِنْهُمَــا كَــأْ سًــا سَــرِيْعَ السُّــكْرِ صِــرْفَا

وَحَبَــا خَــدكَ وَرْدًا وَحَبَــا شَــكْلَكَ ظَرْفَــا(٤)

جُــدْ عَلَــى صَــبٍّ كَئِيْــبٍ ذِي أُوَارٍ لَــيْسَ يُطْفَــى

ولمحمد الحرفوشي(٥) من هذا القبيل:

---

(٣) الأمير منجك بن الأمير محمد بن منجك، الجركسي أصلا ومحتدا ، الشامي منشأ ومولدا أديب أريب ، ونجيب ابن نجيب . ت ١٠٨٠هـ . عن ريحانة الألبا ٢٣٢/١ .

(٤) البيتان بذات النسبة في نفحة الريحانة ٤٠٤/١ ، وذيل نفحة الريحانة ٣١٣ باختلاف يسير وهما من [الكامل] ، والبيتان في ديوان الأمير منجك باشا، ص ١٢٥، والرواية في :"عيناي" بدلا من "أهواي" و" فحسبت" بدلا من "فظننت" و"بخدك" بدلا من "بوجهك" ديوان الأمير منجك باشا، ت١٠٨٠هـ المطبعة الحنفية ١٣٠١هـ دمشق.

(١) في جميع المخطوطات : "فحسبت أهدابي بوجهك عارض" [كذا] بالرفع ، والتصحيح من المصدرين المذكورين. وفي المصدرين المذكورين : "وظننت إنساني بخدك . . ." ، وهو أحسن في رأيي.

(٢) محمد بن زين العابدين الجوهري، هو من جوهر منتقى، وما فوق مرقاته مرتقى، وآباؤه بتجارة الجوهر مشهورون، وهو لم يحترف بالصناعة، بل كان مستغنيا عن جواهر الأحجار بجواهر الكلام. من نفحة الريحانة ٣٨٨/١ بتصرف.

(٣) الأبيات بذات النسبة في نفحة الريحانة ٣٩٠/١ ، وذيل نفحة الريحانة ٣٥٤ ، وهي من [مجزوء الرمل] . وفي نسخة الأصل م :"بالذي أوع . . ." [كذا] بإسقاط الدال ، وهو خطأ من الناسخ .

(٤) في نسخة الأصل م : "وحَيَ . . ." في المرتين ، ومثله في ذيل النفحة ، وفي الذيل : "وحيى خديك" .

(٥) محمد بن على، المعروف بالحريري الحرفوشي، العاملي، الدمشقي، يقال له الحريري؛ لأنه كان يصنع القماش

بِالَّـــــــذِي أَنْشَـــــــاكَ فَـــــــرْدَا وَكَسَـــــــا خَـــــــدَّيكَ وَرْدَا[1]

وَالَّـــــــذِي أَعْطَـــــــاكَ حُسْـــــــنًا فَـــاتَ أَهْـــلَ الْعَصْـــرِ حَـــدَّا[2]

وَالَّـــــــذِي أَوْلَى فُـــــــؤَادِي مِنْـــــــكَ إِعْرَاضًـــــا وَصَـــــدَّا

صِـــلْ مُعَـــنًّى فِيْـــكَ يَقْضِـــي الْـــ لَيْـــــلَ تَسْـــــهِيْدًا وَوَجْـــــدَا[3]

وهذا[4] على أسلوب عبد المحسن الصوري[5] في أبياته المشهورة وهي[6]:

بِالَّـــــــذِي أَلْهَـــــــمَ تَعْذِيْـــــــ ـــــــبِي ثَنَـــــــايَاكَ الْعِـــــــذَابَا

العنايات المتخذ من الحرير بدمشق، ويقال له الحرفوشي، نسبة لآل الحرفوش، أمراء بعلبك، هو في المعارف نسيج وحده، والآداب طلاّع ثنايا نَجْدِه، ولديه تُنشد ضوال اللغة والإعراب، خرج من دمشق إلى حلب هاربا؛ لنسبته إلى الرفض، وخوفه من القتل ثم دخل بلاد العجم، فعظمه سلطانها شاه عباس، وصيره رئيس العلماء في بلاده. توفي ببلاد العجم ١٠٥٩ هـ. من نفحة الريحانة١/١٨٩ من المتن والهامش بتصرف، وفي جميع المخطوطات "الحرفوش"، واعتمدت ما في نفحة الريحانة.

(١) الأبيات بذات النسبة في نفحة الريحانة ١/٣٩٠ ، وهي من [مجزوء الرمل] .

(٢) في النفحة : "فات أهل الحسن حَدًّا" .

(٣) في جميع المخطوطات : "تسهيدا وصدّا" واعتمدت ما في النفحة لئلا تتكرر الكلمة في بيتين متتابعين ، وهذا عيب في الشعر .

(٤) هذا الجزء كله منقول من نفحة الريحانة ١/٣٩٠ و ٣٩١ .

(٥) عبد المحسن محمد بن أحمد بن غالب بن غَلْبُون الصوري، وكنيته أبو محمد أحد المحسنين الفضلاء، المجيدين الأدباء، وشعره بديع الألفاظ حسن المعاني، رائق الكلام ، مليح النظام ، من محاسن أهل الشام . ت ٤١٩هـ. ترجمته وبعض أشعاره في اليتيمة ١/٣١٢ ، وتتمة اليتيمة ٤٦ ، ووفيات الأعيان ٣/٢٣٢ وما فيه من مصادر ، وجاء هذا في هامش نفحة الريحانة ١/٣٩٠ .

(٦) الأبيات بذات النسبة في ديوانه، ط: وزارة الثقافة والإعلام ببغداد، بتحقيق مكي السيد جاسم، وشاكر هادي، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، ٢/ ١٢٣، وكذا في يتيمة الدهر ١/٣١٣ و ٣١٤ ، ونفحة الريحانة ١/٣٩١ ، والبيت الأول وحده في ذيل نفحة الريحانة ص٣٥٥، والأبيات من [مجزوء الرمل].

وَالَّـــــــذِي أَلْـــــــبَسَ خَدَّيْـــــــ ـــــــكَ مِـــــنَ الـــــوَرْدِ نِقَـــــابَا

وَالَّـــــــذِي صَـــــيَّرَ حَظِّـــــي مِنْـــــكَ هَجْـــــرًا وَاجْتِنَـــــابَا

يَا غَـــــزَالاً رَشَـــــقَ الْقَلْـــــ ـــــبَ بِسَـــــهْمٍ فَأَصَـــــابَا[1]

مَـــــا الَّـــــذِي قَالَتْـــــهُ عَيْنَـــــا كَ لِقَلْـــــبِي فَأَجَـــــابا؟!

أبو جعفر محمد بن جَرير الطَّبَري[2] :

إِذَا أَعْسَـــرْتُ لَمْ يَعْلَـــمْ شَـــقِيْقِي وَأَسْـــتَغْنِي فَيَسْـــتَغْنِي صَـــدِيْقِي[3]

حَيَـــائِي حَـــافِظٌ لِي مَـــاءَ وَجْهِـــي وَرِفْقِـــي فِي مُطَـــالَبَتِي رَفِيقِـــي

وَلَـــوْ أَنِّي سَمَحْـــتُ بِبَـــذْلِ وَجْهِـــي لَكُنْـــتُ إِلَى الْغِـــنَى سَـــهْلَ الْطَرِيْـــقِ

وللشهاب الخَفَاجي[4] :

عَلَـى خَـدِّهِ مُـذْ لاَحَ نَبْـتُ عِـذَارِهِ جَـرَتْ أَدْمُعِـي فِي الخَـدِّ ذَاتَ صَـبِيْبِ[5]

---

(١) في اليتيمة والنفحة جاء هذا البيت هكذا:

يا عز الأصاد باللَّحْ ظ فؤادي فأصابا

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وكنيته أبو جعفر، كان إماما في فنون كثيرة، منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك. ت ٣١٠هـ. ترجمته وأخباره في وفيات الأعيان ١٩١/٤، وما في هامشه من مصادر .

(٣) الأبيات بذات النسبة في وفيات الأعيان ١٩٢/٤ ، والأبيات من [الوافر] .

(٤) أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري ، نشأ في حجر أبيه ، وعليه تخرج في كثير من الفنون ، ودرس على مشايخ عصره . ت ١٠٦٩ هـ . من هامش نفحة الريحانة ٣٩٥/٤ بتصرف، وله ترجمة وافية في خلاصة الأثر للمحبي ٤٧٤/٢.

(٥) الأبيات في ريحانة الألبا ٣٣٧/١ ، والأبيات من [الطويل] .

إِذَا مَــا اسْــتَدَارَتْ دَارَةُ الْبَــدْرِ حَوْلَــهُ فَــإِنّ وَقُــوعَ الْقَطْــرِ غَــيْرُ عَجِيْــبِ[1]

لطيفة: قيل لما دخل[2] أبو عبد الله أحمد بن الخياط الدمشقيُّ إلى حلب، وهو رقيق الحال، لا يقدر على شيء: فكتب إلى ابن أبي الفتيان بن حَيُّوس الشاعر المشهور يستميحه من بِرّه بهذين البيتين[3]:

لَمْ يَبْــقَ عِنْــدِي مَــا يُبَــاعُ بِحَبَّــةٍ وَكَفَــاكَ مِــنّي مَنْظَــرِي عَــنْ مَخْــبَرِي

[٢٩٤/ظ] إِلاَّ بَقِيَّــةُ مَــاءِ وَجْــهٍ صُــنْتُهَا عَــنْ أَنْ تُبَــاعَ فَــأَيْنَ أَيْــنَ الْمُشْــتَرِي ؟ !

فلما وقَفَ عليها وصَلَه، وقال: ولو قال: "فأنت أنت المشتري" لكان حسنا.

لطيفة أخرى: قيل إن الوجيه المعروف بابن الدهان[4] كان فقيها حنفيًّا بعد أن كان حنبليًّا، ثم شَغَرَ منصب بتدريس النحو بالمدرسة النِّظَامية، وشَرْط الواقف أنه لا يفوض إلا

---

(١) في الجميع : "استدارت دارت" .

(٢) يبدو لي أن الأصوب : "لما رحل . . . " .

(٣) البيتان من الكامل،وهما في ديوان ابن الخياط ص٢٨٧،أرسل بهما إلى أبي الفتيان بن حيوس سنة٤٧٢هـ، وابن حيوس هو:" محمد بن سلطان بن حَيُّوس، أبو الفتيان الأمير، الشاعر الدمشقي، أحد الشعراء الشاميّين المحسنين المجيدين؛ له ديوان كبير، ومدح جماعة، وجمع ديوانه جماعة، أجوده ما جمعه ابن البُرين المعرّي نزيل مصر، فإنه أكبرها وأكثرها. أنبأنا محمد بن هبة الله بن مميل الشيرازي، أنبأنا أبو القاسم الدمشقي قال: قرأت بخط أبي الفرج غيث بن علي، ذكر لي الشريف النسيب أن مولد أبي الفتيان في سنة أربع وتسعين وثلاثمئة بدمشق.... أنبأنا الشيرازي، أنبأنا أبو القاسم الدمشقي، قال لنا محمد بن الأكفاني: وفيها – يعني سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة– توفي أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيُّوس، شاعراً مجيداً في شعبان بحلب؛ قلت: ودفن بمقبرة بني الموصل على جانب الخندق، خارج باب قِنَّسرين؛ رحمه الله تعالى". وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ٤٣٨/٤، معجم المؤلفين ٤٤/١٠، وينظر المحمدون من الشعراء، للقفطي الترجمة رقم:٣٢٥.

(٤) الوجيه ابن الدهان (٥٣٤ – ٦١٢ هـ = ١١٤٠ – ١٢١٥ م) المبارك بن المبارك بن سعيد، أبو بكر، وجيه = = الدين ابن الدهان الواسطي: أديب، من النحاة، ولد بواسطة، وتوفي ببغداد. وكان ضريرا، يحسن التركية والفارسية والرومية والحبشية والزنجية. له كتاب في "النحو" ترجمته في الأعلام ٢٧٢/٥، ومعجم الأدباء ٥٨/٩.

الشافعي، فترك مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، وانتقل إلى مذهب الإمام الشافعي ، وفي ذلك يقول المؤيد أبو البركات[1] بن زيد التكريتي الشاعر المشهور:

مَــنْ مُبْلِــغٌ عَــنِّي الْوَجِيْــهَ رِسَــالَةً ... إِنْ كَـانَ قَـدْ تُجْـدِي إِلَيْـهِ الرَّسَـائِلُ[2]

تَمَـذْهَبْتَ لِلنُّعْمَـانِ بَعْـدَ ابْـنِ حَنْبَـلٍ ... وَذَلِــكَ لَمَّــا أَعْوَزَتْــكَ الْمآكِــلُ

وَمَــا اخْــتَرْتَ رَأْيَ الشَّــافِعِيّ تَـدَيُّنًا ... وَلَكِنَّمَــا تَهْــوَى الَّــذِي مِنْــهُ حَاصِــلُ

وَعَمَّــا قَلِيْــلٍ أَنْــتَ لاَ شَــكَّ صَــائِرٌ ... إِلَى مَالِــكٍ فَــافْطِنْ لِمَــا أَنَا قَائِــلُ

وقول الناظم: يَشُبُّ بقلب مُبصره ضرامه، يشُبُّ أي يوقد، قال في المختار: وشبَّ النار والحرب أوقدها، وبابه رَدّ، وشبوبا أيضا بضم الشين، والشَّبوب بالفتح ما توقد به النار. انتهى .

وتقدم الكلام على القلب والضرامة، ومعنى هذا البيت كالذي قبله تنويرا لدعواه، مع أن السقاة تفوق آرام رامة؛ لأن السُّقَاةَ وُجوهٌ إذا نظرها الرائي أوقدت بقلبه من شدة حسنه شعلة نار.

---

(١) اسمه :" محمد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد المنقري التكريتي، أبو البركات بن أبي الفرج بن أبي نصر أصله من تكريت، وولد ببغداد في سنة أربعين وخمسمائة ونشأ بها، وكان يسكن بدرب الخبازين، وكان يبيع البربحان الصفة بسوق الثلاثاء، وكان كثير المخالطة لأهل الأدب والفضل... توفي أبو البركات بن زيد في شهر ربيع الأول من سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالموصل ودفن بها" المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للحافظ ابن النجار البغدادي انتقاء الحافظ أبي الحسين أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامي المعروف بابن الدمياطي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١/ ٨.، ومعجم الأدباء ٦٦/٩.

(٢) الأبيات من الكامل وهي في معجم الأدباء ٦٦/٩، ٦٧.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

أَسْـــــــتَغْفِرُ اللهَ لِلَغْـــــــــ ـــــوٍ لاَ يَـــرَى الشَّــرْعُ اعْتِيَامَـــهْ

[٢٩٥/و] لما ذكر الناظم السقاة، ووصفهم بالأوصاف المتقدمة فربما أنه يُظن به أن له مَيْلا لهم، أو مقصوده الترغيب فيهم، لا التنفير عنهم، وليس كذلك؛ لأنه كان يقول: وإن كانوا بهذه المثابات كلها، وقد اشتملوا على هذه الصفات الحِسَان ، فإياك أن تَركَن إليهم ، أو تميل بنظرك إلى صورهم ، فإن ذلك لغو وضياع ، فأراد إيضاح هذا المرام فقال: استغفر الله الخ ، فأشار بطلب المغفرة لهذه النكتة اللطيفة ، أي أطلبُ من الله المغفرة ، وهى ستر الذنب المقتضي ذلك العفو عنه ، والمسَامحة فيه ، وعدم المؤَاخَذة به ، وهو من الأفعال المتعدية إلى مفعولين[١] : أحدهما بنفسه ، والآخر بحرف الجر ، ثم توسعوا فيه فحذفوا الجار منه لكثرة الاستعمال ، فصار في اللفظ كالمتعدي لاثنين ، ثم حرف الجر تارة يكون "من" كما في بيت البردة ، وهو قوله : استغفرُ الله من قَولٍ بلا عمل ، وتارة يكون اللام كما في قول الناظم ، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾[٢]، فعند الحذف يجوز أن يكون المحذوف أحدهما فيقدره، وهذه الأفعال وردت مسموعة بحرف الجار تارة وتَرْكه أخرى : وهي اختار، وأمر، واستغفر، وهذه الثلاثة اشتهرت كثيرا، وغيرها دونها في الرتبة، وهي سمَّى، وكبر، ورعى، وزوج ، وصدق ، وخبر ، وحسن ، وزعم الجُرْجَاني أن من باب "اختار" كلمات ووزنت، وزعم ابنُ الطَّراوة[٣] وتلميذُه السُّهَيليُّ أن استغفر ليس أصلها [٢٩٥/ظ] التعدية إلى الثاني بحرف الجر،

---

(١) جاء مثل هذا في اللسان في [غفر] .

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٣٥)، وسورة النساء، الآية: (٦٤).

(٣) ابن الطراوة (٥٢٨ هـ =١١٣٤ م) سليمان بن محمد بن عبد الله السبائي المالقي، أبو الحسين ابن الطراوة: أديب، من كتاب الرسائل، له شعر، وله آراء في النحو تفرد بها. تجول كثيرا في بلاد الاندلس وألف "الترشيح" في النحو، مختصر، و "المقدمات على كتاب سيبويه" و "مقالة في الاسم والمسمى" قال ابن سمحون: ما يجوز على الصراط أعلم منه بالنحو! وتوفيّ سنة ثمان وعشرين وخمس مائة" الأعلام ١٣٢/٣، وانظر ترجمة ابن الطراوة في المقتضب

بل الأصل أن يتعدى إليه بنفسه ، وتعديته بمن إنما هو متضمن طلب التوبة والخروج من الذنب ، ولا يخفى أن الاستغفار وسيلة إلى الرحمة ، وذريعة إلى النعمة ، كيف لا وقد قال الله تعالى : ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾[2] الآية ، قيل في هذه الآية[3] إن الله تعالى كان حَبَس عن قوم موسى المطر حتى لم يبقَ لهم دابة ولا نبات أخضر، وأعْقَم أرحام النساء وأصْلاَبَ الرجال، حتى لم يكن لهم ولد في مدة سبع سنين، وعبارة البيضاوي[4] : حَبَس الله عنهم القَطْر أربعين سنة، وأعْقَم أرحام نسائهم. انتهى. فَوَعَدَهم نوحٌ عليه السلام بردِّ ذلك كله عليهم إنْ آمَنوا، ومن ثم كانت السُّنَّة في الاستسقاء تقديم القُرَب والطاعاتِ والاستكثار من الاستغفار، كما رُوِيَ[5] عن عُمَرَ رضي الله عنه أنه خرَجَ للاستسقاء فجعلَ يكثر من الاستغفار، فقيل له: ما

من التحفة: ١١ والمغرب ٢: ٢٠٨ والتكملة لابن الأبار "رقم: ١٩٧٩" وبغية الوعاة: ٢٦٣ والنفح ٣: ٣٨٤ وبغية الملتمس رقم: ٢٩٠. وله كذلك ترجمة في الوافي بالوفيات للصفدي.

وأما تلميذه السهيلي فهو:" السهيلي عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبع بن الحسين بن سعدون بن رضوان ابن فتوح، الإمام الخير أبو القاسم وأبو زيد ويقال أبو الحسن ابن الخطيب أبي عمر بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي الأندلسي المالقي الحافظ صاحب المصنفات. توفي سنة إحدى وثمانين وخمس مائة". وفيات الأعيان ١٤٣/٣، ترجمة السهيلي في زاد المسافر: ٩٦ وبغية الملتمس رقم: ١٠٢٥، والتكملة: رقم: ١٦١٣ والديباج المذهب: ١٥٠ والمغرب ١: ٤٤٨ والنفح ٢: ١٠٢ ونكت الهميان: ١٨٧ وإنباه الرواة ٢: ١٦٢ وتذكرة الحفاظ: ١٣٤٨ وعبر الذهبي ٤: ٢٤٤ والشذرات ٤: ٢٧١ وغاية النهاية ١: ٣٧١.

(١) سورة النمل، الآية: (٤٦).

(٢) سورة نوح، الآيتان: (١٠، ١١).

(٣) لم أعثر على هذا في تفسير القرطبي ، ولا تفسير ابن كثير ولا تفسير السيوطي .

(٤) العبارة للبيضاوي في تفسيره الآيات ١٠، ١١، ١٢، من سورة نوح.

(٥) جاء هذا في تفسير الطبري ٢٩٣/٢٣ و ٢٩٤ وابن كثير ٥٤٥/٤ .

سمعناك استسقيتَ (وما زدتَ على الاستغفار، فقال : لقد استسقيت)[١] بمجاديح[٢] السماء التي يستنزل بها القَطْر، ثم قرأ ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾[٣] الآية.

وكان بَكر بن عبد الله يقول[٤]: إن أكثر الناس ذنوبا أقلُّهم استغفارا، وأكثرهم استغفارا أقلُّهم ذنوبا.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت[٥]: طُوبَى لمن وَجَد في صحيفته استغفارا كثيرا.

وقال [٢٩٦/و] عليه الصلاة والسلام[٦] : **"مَن لَزِمَ الاستغفار جَعَلَ الله له مِن كل هَمٍّ فَرَجا، ومن كل ضِيقٍ مَخْرَجا، ورَزَقه من حيث لا يَحْتَسِب".**

وقال فيما يرويه عن رَبّه[٧] : **"يا عِبادي إنكم تُخْطِئُون بالليل والنهار ، وأنا أغفرُ الذنوب جَميعا ، فاستغفروني أغْفِرْ لكم"** .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من ك ، د .

(٢) في المخطوطات : "بمحاويج" والتصحيح من الطبري وابن كثير السابقين المجاديح جمع المِجْدَح : وهو عود مجنّح الرأس تمزج بها الأشربة، وربما يكون له ثلاث شعب، والمِجْدَح: نجم من النجوم... وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر، فجعل الاستغفار مشبَّها بالأنواء، مخاطبا لهم بما يعرفونه، لا قولا بالأنواء [من هامش تفسير الطبري] .

(٣) سورة نوح، الآية: (١٠).

(٤) لم أعثر على هذا القول.

(٥) في الأمالي الشجرية :" ... أخبرني أبو قيس أنه أتى عمر بن الخطاب في وفد، فقال سمعت بلالاً يقول، قال رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله اصطفى أكرم الكلام لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر، طوبى لمن وجد في كتابه استغفاراً كثيراً". الأمالي الشجرية لهبة الله الشرف بن الشجري، باب الدعاء والرغبة إلى الله تعالى.

(٦) جاء في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢٧٧/٢ .

(٧) في مسند الإمام أحمد ٣٣٢/٣٥ : "كل بنى آدم يخطئ بالليل والنهار ، ثم يستغفرني فأغفر له ولا أبالى" ضمن حديث طويل ، وجاء بصورة أخرى في المسند ٢٩٥/٣٥ و ٤٢٨ .

وقال تعالى: ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾[1].

كيف وللقلوب صَدَأ كصَدَأ الحديد ، وجِلاَؤُها الاستغفار ، كما رواه الطَّبَراني في مُعجمه عن أنَس مرفوعا. وقيل لبعضهم[2] : كيف حالك ، وما شأن دينك ؟ فقال : أخْرِقه بالمعاصي ، وأرْتقه بالاستغفار .

ولْيُعْلَمْ أنَّ أصلَ الغَفْرِ[3] السَّتْرُ، وغَفرتُ المِتاع سَترتُه، والمِغْفَرَةُ وقايةٌ تستر الرأس في الحرب.

وفضيلة الاستغفار ظاهرة لذَوي الأَلْباب، وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام[4]: **"لولا تذنبون وتَستغفرون لَذَهَب الله بكم، وجاءَ بقوم غيركم فيذنبون ويستغفرون فيغفر لهم"**.

قيل[5]: ومَن لازَم على هذه الأشياء السبعة عاش سعيداً، ومات شهيداً: أحدها: أن تقول عند ابتداء كل شيء: بسم الله، وعند الفراغ منه: الحمد لله، وإذا رأى ما يكره قال: لا حَولَ ولا قوة إلا بالله، وإذا رأى ما يستعظم قال : لا إله إلا الله ، وإذا أصابته مصيبة قال : إنَّا لله وإنا إليه راجعون، وإذا أذنبَ ذنبا قال: أستغفر الله، وإذا أراد أن يفعل فعلا قال: إن

---

(١) سورة الذاريات، الآية: (١٨).

(٢) وردت العبارة في الحيوان للجاحظ هكذا:"وقال بعض المجّان:

نُرقّع دُنْيانا بتمزيقِ ديننا   فلا دِينُنا يَبْقَى ولا ما نرقّعُ .

وسُئل بعضُ المجّان: كيف أنتَ في دينك؟ قال: أخرّقه بالمعاصي، وأرقّعه بالاستغفار". الحيوان للجاحظ ٥٠٦/٦ الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ٧٩، بتحقيق عبد السلام هارون، وتقديم أحمد فؤاد باشا.

(٣) في اللسان في [غفر] .

(٤) جاء في المسند في أرقام ٢٦٢٣ و ٨٠٤٣ و ٨٠٨٢ و ١٣٤٩٣ ، وجاء في الدر المنثور ٣٢/٤ و ٣٣ و٦٧٨/١٢ ، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ١٦٤/٢ باختلاف في الجميع .

(٥) لم أعثر على هذا القول، وإن كان معناه شائعا ذائعا في كثير من كتب الأدب، والرقائق، وغيرها.

شاء الله تعالى. فينبغي للعاقل أن يُعوّد لسانه عليها.

وذُكِر[١] عن وهب بن مُنَبِّه أن إبليسَ عليه لعنة الله لقي يَحيى بن زكريا عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء [٢٩٦/ظ] والمرسَلين أفضل الصلاة والسلام ، فقال له يَحيى : أخبرني عن طبائعِ بني آدمَ عندكم ، فقال إبليس لعنه الله : أما صِنف منهم فهم مثلك معصومون ، لا نقدر منهم على شيء ، وصِنف ثان هم بأيدينا كالكُرة في أيدي الصبيان ، والصِّنف الثالث أشد الأصناف علينا ، نقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا ، ثم يفرغ إلى الاستغفار ، فيفسد علينا ما أدركناه منه ، فنحن لا نيأس منه ، ولا ندرك حاجتنا منه . انتهى .

وروى التِّرْمذي عن النبي (ﷺ)[٢] أنه قال: **"مَن قال أستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحَيّ القَيّوم وأتوبُ إليه غُفر له ، وإن كان فرّ من الزحف"** .

فإن قلت: هل فرق بين الغفران والعفو أولا؟ وهل الاستغفار توبة أو لا؟ قلت: الظاهر أن بينهما فرقا، لأن الغفران لما لم يُطلع، والعفو لما اطُّلع عليه، فقد قيل[٣] في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡفُ عَنَّا ﴾[٤] أي فيما وقع منا وانكشف ، واغفر لنا استر علينا ما علمت منا ، كذا قال ابن عَطية[٥] .

---

(١) لم أعثر على هذه الحكاية .

(٢) في سنن الترمذي برقم ٣٩٢٦ ونصه:" حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الشَّنِّيُّ حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ مُرَّةَ قَالَ سَمِعْتُ بِلاَلَ بْنَ يَسَارِ بْنِ زَيْدٍ مَوْلَى النَّبِيِّ – ﷺ – حدثني أَبِي عَنْ جَدِّي سَمِعَ النَّبِيَّ – ﷺ – يَقُولُ « مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحيّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ"، وهو في فتح الباري، لابن حجر، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩ ٩٨/١١، وفيض القدير ٣/ ٣٦٤.

(٣) هناك شيء قريب من هذا في تفسير الطبري ١٦٤/٥ وتفسير ابن كثير ٤٤٨/١ والدر المنثور ٤٢٩/٣ .

(٤) سورة البقرة، الآية: (٢٨٦).

(٥) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، عالم مجاهد، وفقبه جليل، ت١٠٨٨هـ ، أندلسي من أسرة مهاجرة من

وقال بعضهم : إن بين مفهوميهما – بحسب الوضع – عموما وخصوصا من وجه، فإن المغفرة من الغَفْر وهو الستر ، والعفو بمعنى المِحْو، ولا يلزم من الستر المحو ، ولا عكسه بأن يحاسب بذنب على رؤوس الأَشْهاد ، ثم يعفو عنه ، أو يستره ، ويجازيه عليه ، أما بالنظر إلى كرم الله تعالى فهو إذا ستَر عفا ، فبينهما خصوص وعموم مطلق، ولذا يقال في مقام الملاطفة: في الأكثر: عفا الله عنه. انتهى .

ولا يخفى أن مجرد الاستغفار [٢٩٧/و] ليس بتوبة؛ لأن التوبة الندم والإقلاع، وردُّ المظالم، وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾(١)، فالندم مأخوذٌ من قوله: ﴿ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾ ؛ وذلك لأن العبد إذا أذنب ذنبا ، وذكر الله ندم على فِعْل ما يوجب العقوبة ، وأما الإقلاع وتَرْكُ العودِ ، وردُّ المظلمة فمستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ ﴾ ؛ لأنه من لم يقلع عن الذنب مُصِرٌّ عليه ، ومَن أقلعَ وعزَم على العَوْد إليه ، ولو بَعد مدة ، فهو مُصرٌّ أيضا ، وكذا مَن عَزم على ترك العَوْد مطلقا لكن أمسَك ما غَصَبه مثلا ، ولم يردّه فهو قد أصرَّ على ما فعل، ومجرد الاستغفار بدون ما ذُكر ليس بتوبة ، وفي الحديث(٢) : **"المستغفر من الذنب وهو مصرٌّ عليه كالمستهزئ بربه"** ، وما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام(٣) : **"الندم توبة"** أي معظم شروطها الندم كما في الحديث الآخر(٤) : **"الحَجُّ عَرَفَة"** أي معظمه ، وقوله عليه الصلاة

المشرق، ومصادر ترجمته الكتب الحديثة كالأعلام وغيره.

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٣٥).

(٢) لم أعثر على هذا الحديث .

(٣) جاء في المسند في أرقام ٣٥٦٨ و ٤٠١٢ و ٤٠١٤ و ٤٠١٦ عن طريق ابن مسعود .

(٤) جاء في المسند برقم ١٨٧٧٤ و ١٨٩٥٤ .

والسلام[1] : "**ما أصَرّ مَن استغفر**" فُسر الاستغفار بالتوبة ، أي تاب ، وإنما حملنا الاستغفار على التوبة لأنه هو الذي يحل عقد الإصرار ، ويثبت معناه في الجنان ، وأما مجرد التلفُّظ بالاستغفار باللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة فلا، ولذا روى عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: استغفارنا يحتاج إلى استغفار، لكن قال الغزالي: لا تظن أنه يذم حركة اللسان من حيث كونها ذِكْرًا [٢٩٧/ظ] ، بل يذم غفلة القلب ، فهو يحتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه ، لا من حركة لسانه [2].

لطيفة[3] : ورد في خبر مسند أن رجلا يؤمر به إلى النار فإذا بلغ ثلث الطريق التفت ، (وإذا بلغ نصف الطريق التفت ، وإذا بلغ ثلثي الطريق التفت)[4] ، فيقول الله تعالى : رُدُّوه ، ثم يسأله ، فيقول : لم التَفَتَّ ، فيقول : لما بلغتُ ثلث الطريق ذكرتُ قولك: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلاً ﴾[5] فقلت لعلك تغفرُ لي ، فلما بلغتُ نصف الطريق تذكرت قولك : ﴿ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[6] فقلت : لعلك تغفر لي ، فلما بلغتُ ثلثي الطريق

(١) جاء في تفسير الطبري ٦٨/٦ وفيه : "ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة" ، وكذلك في الدر المنثور ٣٥/٤ ، وكشف الخفاء ١٧٧/٢ .

(٢) كلام الغزالي في هذه القضية طويل أذكر منه قوله:" التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلا بل أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصانا بالإضافة إلى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي إن لساني في بعض الأحوال يجرى بالذكر والقرآن وقلبي غافل فقال اشكر الله إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعودة الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فإن تعود الجوارح للخير حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي... " إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة – بيروت ٤٩/٤ .

(٣) لم أعثر على هذه اللطيفة .

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من ك ، د .

(٥) سورة الكهف، الآية: (١٨).

(٦) سورة آل عمران، الآية: (١٣٥).

تذكرتُ قولك: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1] فازددتُ طمعا ، فيقول الله : اذْهَب فقد غفرتُ لك .

وقوله لِلَغْوٍ ، اللَّغْوُ : الساقط الذي لا يُعتد به من كلام أو غيره ، أو الباطل ، قال في المختار : لغا لغا[2] : قال باطلا ، وبابه عدا وصَدِيَ[3] ، وألغى الشيء أبطله ، وألغا[4] من العدد ألقى منه، واللاغية: اللغو، قال تعالى[5] : ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴾[6]، (أي كلمة ذات لَغْو. وقال في القاموس: كلمة لاغية[7]) فاحشة، ولَغَى في قوله كسَعَى ودَعَا ورضَى: لغا ولاغية أخطأ، ولغِيَ به كرضي لغا لهج، وبالماء أكثر منه، وهو لا يروَى مع ذلك.

وأما اللغو في اليمين فهي حلفه في ماضٍ أو في حال على شيء كاذباً يظنُّه صادقاً ، بخلاف الغموس فإنها هي التعمد في الحلف في الماضي.

وخصّ الشافعي اللغوَ مما جرى على اللسان من غير قصد، مثل لا والله، بلى والله ، ويُرجى له العفو ، وهو غير مؤاخذ في اللغو [٢٩٨/و] قال تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٥٣).

(٢) كذا في المخطوطات بتكرار الكلمة .

(٣) في المخطوطات "وصدا" والتصحيح من مختار الصحاح .

(٤) في المختار : وألغاه من العدد ألقاه منه .

(٥) في المخطوطات : "لا يسمع . . ." والتصحيح من المصحف والمختار .

(٦) سورة الغاشية، الآية: (١١) .

(٧) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدت ما في ك و د .، وجاء في اللسان والقاموس :" وكلمة لاغِيةٌ: فاحشة. وفي التنزيل العزيز: لا تسمع فيها لاغِيةً؛ هو على النسب أَي كلمة ذات لَغْو، وقيل أَي كلمة قبيحة أَو فاحشة، وقال قتادة أَي باطلاً ومَأْثماً، وقال مجاهد: شَتْماً، وهو مثل تامِرٍ ولابِنٍ لصاحب التمر واللبن، وقال غيرهما: اللاَّغِية واللَّواغِي بمعنى اللَّغْوِ، مثل راغِيةِ الإِبل ورَواغِيها بمعنى رُغائها، ونُباحُ الكلب لَغْوٌ أَيضاً" اللسان / لغا.

﴿فِىٓ أَيۡمَـٰنِكُمۡ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1] والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كَفّارة بما لا قَصدَ معه ، ولكن يؤاخذكم بهما أو بأحدهما بما قصدتم من الأَيْمان ، أي تَعَمّدتم الكذب فيهما ، والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو ، حليم حيث لم يعجل بالعقوبة والمؤاخذة على يمين الجد تربصا[2] للتوبة .

قوله : يرى الشرع ، الشرع والشريعة : ما شرعه الله تعالى لعباده ، وجاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وتطلق الشريعة على الظاهر المستقيم من المذاهب كالشِّرعة بالكسر فيهما ، وشرع لهم كمنع سَنَّ ، والناس في هذا شَرْعٌ ويحرك أي سواء ، وحيتان شُرَّع كرُكّع : رافعات[3] رؤوسها ، والشارع في الأصل كما في القاموس[4] العالم الرباني العامل المعلِّم .

ويُطلق على الرسول ×، ويطلق على الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ ۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾[5] الآية.

ونسبة الرؤية إلى الشرع إن كان المراد بها الشريعة فهي من النسب المجازية ، وإن أريد به الشارع كانت النسبة إليه حقيقية . والرؤية تتعدى إلى مفعول واحد إذا كانت بالعين، وإن كانت قلبية، وهي المسمَّاةُ بالحُلُمِيَّةِ[6] تعدت إلى مفعولين، وصارت بمعنى عَلِمَ من حيث

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٢٥)، وسورة المائدة، الآية: (٨٩).

(٢) في النسختين ك و د : "تربيصا" .

(٣) في النسختين ك و د : "رافعا" بإسقاط التاء .

(٤)القاموس(شرع).

(٥) سورة الشورى، الآية: (١٣).

(٦) يراجع في شرح ابن عقيل، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٤١٦/١، وما بعدها.

الإدراك بالحس الباطن، قال الشاعر[1]:

أَبُو حَسن يُؤَرِّقُنَا وَطَلْقٌ   وَعَمَّارٌ وَآوْنِةً أَبَالا [2]

أَرَاهُمْ رُفْقَتِي حَتَّى إِذَا مَا   تَجَافَى اللَّيْلُ وانخزل انْخِزَالا

[٢٩٨/ظ] إِذَا أَنَا كَالَّذِي يَجْرِي لِورْدٍ   إِلَى آلٍ فَلَمْ يُدْرِكْ بِلالا

فهم من أراهم[3] مفعول أول ، ورفقتي مفعول ثان[4]، ولا يجوز بلا دليل سقوط مفعولها ، ولا مفعوليها ، ويسمى اقتصارا ، أما عدم سقوط المفعول الواحد فبالإجماع وفى سقوط مفعوليها خلاف ، فعن سِيبويه والأَخْفَش المنع مطلقا ، وعن الأكثرين الجواز مطلقا تمسكا بنحو قوله تعالى: ﴿ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾[5]، وأما حذفهما لدليل ويسمى

(١) الأبيات من [الوافر] وهي لعمرو بن أحمر الباهلي، وهي في الحماسة البصرية في باب التأبين والرثاء، وأول القصيدة :

أَغَدواً واعَدَ الحَيُّ الزِبالا   وَشَوقاً لا يُبالي العَينَ بالا،

عمرو بن أحمر الباهلي ت٧٥هـ- ٦٩٤م شاعر جاهلي مخضرم، ولد ونشأ في نجد، وأدرك الإسلام وأسلم وشارك في الفتوحات ويروى أنه شارك في الفتوحات مع خالد بن الوليد وكذلك في مغازي الروم. مدح الخلفاء الراشدين عدا أبي بكر الصديق ومدح بعض الخلفاء الأمويين، وكان من المطالبين بدم عثمان والمعادين لعلي بن أبي طالب. وقد هجا في شعره يزيد بن معاوية وظل مختفياً عنه حتى وفاته. ثم عاد فأصلح ما فسد بينه وبين بني أمية فمدح عبد الملك بن مروان وغيره واختلف في تاريخ وفاته فقال المرزباني إنه توفي في عهد عثمان ابن عفان والأرجح أنه توفي في عهد عبد الملك بن مروان كما أشار أبو الفرج الأصفهاني لأنه مدح عبد الملك ابن مروان ومدح واليه على المدينة يحيى بن الحكم بن العاص سنة ٧٥ هـ.

(٢) في نسخة الأصل م : "وعمارا" بالنصب .

(٣) في نسخة الأصل م : "راهم" بحذف الهمزة من أوله سهوا .

(٤) في نسخة الأصل م :"ثاني" واعتمدت ما في ك , د.

(٥) في المختار : وألغاه من العدد ألقاه منه .

اختصارا فجائز إجماعا نحو قوله[1] :

بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَيَّ وَتَحْسَبُ[2]

وفى حذف أحدهما اختصارا خلاف ، فمنعه ابن ملكون[3]، وأجازه الجمهور . وقد تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، وذلك إذا دخلت عليها همزة النقل ؛ لأن هذه الهمزة تدخل على الفعل الثلاثي فيتعدى بها إلى مفعول كان فاعلا قبل ، فيصير متعديا بعد أن كان لازما، نحو جلَس زيد ، وأجلستُ زيدا ، ويزاد مفعولا إن كان متعديا ، نحو لَبِسَ زيد جبَّةً، وألبست زيدا جبة ، ورأيتُ الحق غالبا ، وعلمتُ الصِّدق نافعا ، وأعلَمني[4] اللهُ الصدق نافعا ، هذا إن كانت رأى الحلمية ، وإن كانت البصرية تعدت إلى اثنين بالهمز كما عرفت فتقول: أريتُ زيدا الهلال، والأصل رأى زيد الهلال ، ومثلها في ذلك عَلِمَ.

تتمة : أجاز الأخفش أن يُعامل غير رأى وعلم من أخواتهما القلبية الثنائية معاملتهما[5] في [٢٩٩/و] النقل إلى ثلاثة بالهمزة فيقال على مذهبه : أظَننت زيدا عمرًا[6] فاضلا ، وكذلك أحسبت ، وأخلت ، وأزعمت ، ومذهبه في ذلك ضعيف ؛ لأن المتعدى بالهمزة فرع المتعدى بالتجرد ، وليس في الأفعال متعديا بالتجرد إلى ثلاثة فيُحمل عليه متعديا

(١) القائل هو الكميت والبيت في شرح هاشميات الكميت ٤٩ ، وهو من الطويل .

(٢) في المخطوطات جميعها "عارا عليّ ونحكم" ، ولكن في هامش نسخة الأصل كتب : نسخة وتحسب ، وهو الذي يوافق شرح هاشميات الكميت ، وقد اعتمدت ما جاء في هامش نسخة الأصل م .

(٣) إبراهيم الحضرمي المتوفى (٥٨٤هـ) (١١٨٨م) وهو: إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون الحضرمي، الإشبيلي (أبو إسحاق) نحوي، لغوي. من مؤلفاته: إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهج لابن جني، النكت على تبصرة الصيمري في النحو، وشرح الحماسة لأبي تمام. معجم المؤلفين ١٠٨/١، والأعلام ٦٢/١، وفي الوافي بالوفيات أنه توفي رحمه الله سنة إحدى وثمانين وخمس مائة.

(٤) من هنا سقط من النسخة ك ، وهو بداية ص١٦٣/ظ إلى بداية ص١٨٤/ظ ، وهذه خسارة كبيرة .

(٥) في نسخة الأصل م : "معاملتها" بالإفراد ، واعتمدت ما في د .

(٦) رسمت الكلمة في نسخة الأصل م و النسخة د هكذا "عمروا" .

بالهمزة ، وكان مقتضى هذا أن لا ينقل عَلِمَ ورأى إلى ثلاثة ، لكن ورد السماع بنقلهما فقُبل ، ووجب أن لا يقاس عليهما ، ولا يستعمل استعمالهما إلا ما سُمع ، ولو ساغ القياس على أعلم وأرى لجاز أن يقال : أكتسيت زيدا عمرا[1] ثوبا ، وهذا لا يجوز إجماعا[2] . انتهى .

والاعتيام : الاختيار ، يقال : أخذت عتمةَ ماله أي خياره ، ومنه قول طَرَفة[3] بن العَبد في مُعَلّقته[4] :

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

فقول طرفة : يعتام أي يختار ، والكرام جمع كريم ، وهو الشريف الفاضل ، ويقال للصفوح كريم بتفضُّله ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾[5]، ويقال للكثير كريم، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[6]، أي كثير، ويقال للحسن كريم ، ومنه: ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾[7] أي حسن. ويصطفي: يختار، وعقيلة

(١) رسمت الكلمة في نسخة الأصل م والنسخة د هكذا "عمروا" .

(٢) جاء هذا الكلام في شرح الرضي لكافية ابن الحاجب٢/٢/٩٧٦وما بعدها ، وارتشاف الضرب٤/٢١٣٥وما بعدها .

(٣) عمرو بن عبد – أو عبيد بن عبد – بن سفيان ، ولُقب طرفة ببيت شعر قاله، وكان هو والمتلمس ينادمان عمرو بن هند ثم هجياه، فأمر عامله بهجر أن يقتلهما، وكتب ذلك في كتاب مع كل منهما ولكن المتلمس أفلت بعد أن عرف ما في الكتاب، وأصر طرفة على الذهاب فقُتل، ولم يجاوز العشرين. ترجمته وأخباره في طبقات ابن سلام ١/١٣٨ والشعر والشعراء ١/١٨٥ و الأغاني ٢٩/٩٧٧٤ [ط دار الشعب] ضمن أخبار المتلمس، وخزانة الأدب ٢/٤١٩ .

(٤) البيت في شرح القصائد السبع الطوال ٢٠٠ ضمن معلقته ، وهو من [الطويل] وفى نسخة الأصل م : " . . . مال الفاحش المتعدد" وما في النسخة د يوافق المصدر المذكور ، والشرح الآتي يؤيده .

(٥) سورة النمل، الآية: (٤٠).

(٦) سورة الأنفال، الآية: (٧٤)، وسورة النور، الآية: (٢٦).

(٧) سورة الدخان، الآية: (٢٦)، وسورة الشورى، الآية: (٥٨).

المال: أكرمُه وأنفسُه عند أهله. والفاحش: القبيح السيئ الخلق . والمتشدد: البخيل ، وكذلك الشديد . وبعد قول طَرفة[١] :

أَرَى الــدَّهْرَ كَنْــزًا نَاقِصًــا كُــلَّ لَيْلَــةٍ وَمَــا تَــنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالــدَّهْرُ يَنْفَــدُ[٢]

لَعَمْــرُكَ إِنَّ الْمَــوْتَ مَــا أَخْطَــأَ الْفَــتَى لَكَــالطِّوَلِ الْمُرْخَــى وَثِنْيَــاهُ فِي الْيَــدِ[٣]

الطِّوَل : الحبل . وثنياه : ما ثني به ، ويقال : طَرَفَاه ، والمعنى : أرى [٢٩٩/ظ] الموت يعتام وقت ما أخطأ الفتى، والمعنى أن الموت في إخطائه الفتى وأن يطول[٤] عمره بمنزلة حبل بين يدي دابة ، وطرفه في يد رجل ، والحبل مُرخى ، فمتى شاء الرجل جَذَبه ، فكأنه يقول : فكذلك الفتى متعلق بالموت ، والموت متعلق به .

فائدة: قد يُطلق الاستغفار على الصلاة، كما في قوله تعالى في آل عمران: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾[٥] يعنى المصلين ، وكقوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٦] أي يصلون ، وكقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٧] أي يصلون .

وفي بيت الناظم الخَزْلُ، وهو اجتماع الإضْمارِ والطيّ. والإضْمَارُ إسْكانُ ثاني السبب

---

(١) المصدر السابق ٢٠١ .

(٢) في المصدر السابق : "أري العيش . . ." وهو الأحسن .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د "لكان لطول المرخا وثنياه باليد" واعتمدت ما في شرح القصائد السبع الطوال ، والشرح يؤيده .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "تطول" بالمثناة الفوقية ، وصححته بما يناسب القول .

(٥) سورة آل عمران، الآية: (١٧).

(٦) سورة الذاريات، الآية: (١٨).

(٧) سورة الأنفال، الآية: (٣٣).

المتحرك. والطيّ حذف الرابع الساكن. فبعد أن كان الجزء متفاعلن انتقل إلى مفتعل، وهو معيب، وإن وقع في أشعار المتقدمين مثله، كما أشار إليه صاحب "الخَزْرجية"[1]، بقوله : كل ذا الباب مجتوي. انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

بَـــــلْ أَيْـــــنَ أَرْبَابُ الْعُلُـــــو مِ أُولُـــو التَّصَـــدُّرِ وَالْإِمَامَـــهْ[2]

تقدم أن بل تكون للانتقال من أسلوب إلى آخر ، وللإضراب ، والمراد هنا الأول ؛ لأنه لما ذكر الناظم رحمه الله تعالى الملوك وأحوالهم وما صاروا إليه ، وذكر الفصحاء والشعراء ، والكرماء ، والمدامة والندامى والسقاة ، وما هم عليه من الجمال عَدَّ ذلك من اللغو ، فأتى بالاستغفار كما تقدم ، ثم انتقل [٣٠٠/و] إلى ذكر العلماء ، فقال : بل أين أرباب العلوم ، والأرباب جمع رب ، ورب كل شيء مالكه ، والرب اسم من أسماء الله تعالى ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة ، قال في القاموس : الرب باللام لا يطلق لغير الله عز وجل ، ورب كل شيء مالكه ومستحقه أو صاحبه ، ويجمع[3] أيضا على رُبُوب كما جمع على أرباب، والربَّاني المتألّهُ العارفُ بالله عز وجل ، ومنسوب إلى الرب، أي إلى الله تعالى، ومربوب بيّن الربوبية ، ورَبَّ جَمَعَ وزاد ولزم وأقام كأربّ، والأمر أصلحه، والدُّهن طيَّبه كَرَبَّبه ، والشيءَ ملكه ، والربيب : المربوب، والمعاهَد والمالك[4]، وزوج الأم[5]، والرِّبابة بالكسر العهد، والرُبِّي كحُبلى

---

(١) الخزرجية، منظومة في العروض ألفها عبد الله بن محمد الخزرجي، الأندلسي، المالكي (ضياء الدين، أبو محمد) عروضي. من آثاره: القصيدة الخزرجية في العروض وتعرف بالرامزة، وشرحها عدد كبير من العلماء، كابن الدماميني، والسعد، وغيرهما. ينظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ١١٣٥، ١٣٣٧. معجم المؤلفين ١١٧/٦.

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "أولى التصدر . . ." والتصحيح من نفح الطيب ١٠/١ .

(٣) في القاموس : "ج أرباب وربوب" .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "والمالك" واعتمدت ما في القاموس .

(٥) في النسخة د : "ولزوج الأم" .

الشاة إذا ولدت، وإذا مات ولَدها أيضا، والإحسان والنعمة والحاجةُ والعقدة المحْكمة . جمع رُباب بالضم نادر ، والإرباب بالكسر الدنوُّ ، والرَّباب السحاب الأبيض واحدته بالهاء[١]، وآلة لهو يُضرب بها، والرَّبَّبُ محركة الماء الكثير ، وأخذه برُبّانه بالضم ويفتح أى أوله أو جميعه، ورُبَّ وربَّةَ[٢] وربما وربتما بضمهِن مشدّدات ومخففات ، وبفتحهن كذلك، ورُبُ[٣] بضمتين مخففة ورُبْ كمُذْ حرف خافض لا يقع إلا على نكرة، أو اسم، وقيل: كلمة تقليل أو تكثير ، أو لهُمَا، أو في موضع المباهاة للتكثير، أو لم توضع للتقليل ولا للتكثير[٤]، بل يستفاد من سياق الكلام، واسم جمادى الأولى رُبَّى[٥] ورُبُّ ، والآخرة رُبَّى ورُبَّة ، وذي القعدة رُبَّةُ[٦] بضمهن ، والرَّابَّة: امرأة [٣٠٠/ظ] الأب ، والرُّبُّ بالضم سلافة خُثَارة كل ثمرة[٧] بعد اعتصارها ، والرُّبان بالضم رئيس الملاحين كالرُّبّاني والمرْتَبُّ[٨] المنْعِم، والربرب القطيع من بقر الوحش. انتهى .

والعلوم جمع عِلْم ، وقد اختُلف في حقيقة العلم وتقسيمه ، فقال إمام الحَرَمين والغزالي : العلم نظري لا يُعرف بالحقيقة ، بل بالقسمة ، كأن يقال : الاعتقاد إما جازم أَوْ لاَ ، والجازم إما مطابق أوْ لاَ ، إلى آخر ما قاله بالقسمة أو بالمثال، كأن يقال: العلم إدراك البصيرة المشابه لإدراك الباصرة، أو يقال هو كاعتقادنا أن الواحد نصف الاثنين. وقال الإمام الرَّازي: هو ضروري، فيستحيل أن يكون غيره كأشغاله، وإنما كان ضروريا عنده

---

(١) في القاموس : "بهاء" .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وربت" واعتمدت القاموس .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وربو" ، والتصحيح من القاموس .

(٤) في القاموس "لتقليل ولا لتكثير" .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "ربلا" ، والتصحيح من القاموس .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د : "ربت" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د : "تمرة" بالمثناة الفوقية ، واعتمدت ما في القاموس .

(٨) في نسخة الأصل م والنسخة د : "والمربب" والتصحيح من القاموس .

لأنَّ(١) عِلْمَ كلِّ أحدٍ بأنَّه موجودٌ مثلاً ضروريٌّ بجميع أجزائه، ومنها تَصوُّرُ العلم بأنه موجود بالحقيقة، وهو علم تصديقي خاص، فيكون تصور مطلق العلم التصديقيّ بالحقيقة ضروريا ، وهو المدَّعى ، وأجيب بمنع أن يتعين أن يكون من أجزاء ذلك تصوُّر العلم المذكور بالحقيقة ، بل يكفي تصوُّرُه من وجْه، ثم قال الرازي(٢): العلم هو حكم الذهن الجازم المطابق لموجب ، أي من حس ، أو عقل ، فحده مع قوله ضروري ، وقيل : بل يُعرف الضروري كغيره . والمختار قول أبي بكر البَاقِلاني(٣) أن العلم معرفة المعلوم ، وقد اضطرب كلام ابن سِينا في

(١) في نسخة الأصل م : "لأن علم كل أحد عالم بأنه . . ." وهو ركيك ، واعتمدت ما في النسخة د . وكل هذا كلام فلسفي لا يقدم ولا يؤخر ، وكذلك ما يأتي بعده ، فهو سفسطة لا طائل من ورائها ، وفي أدب الدنيا والدين من ص٤١ وما بعدها كلام في العلم أفضل من هذا .

(٢) الفخر الرازي ت ٥٤٤ – ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ – ١٢١٠ م، وهو:" محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيميّ البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب.أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب – ط) ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و (لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات" و "معالم أصول الدين " و "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين". الأعلام ٦/٣١٣ ، وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ١: ٤٨٦ وابن الوردي ٢: ٩٥ وطبقات الشافعية ٤: ٩٠.

(٣) أبو بكر الباقلاني:" القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيدا اعتقاده وناصرا طريقته، وسكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، وكان في علمه أوحد زمانه وانتهت إليه الرياسة في مذهبه، وكان موصوفا بجوده الاستنباط وسرعة الجواب، وسمع الحديث؛ وكان كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة،وجرى يوما بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة، فأكثر القاضي أبو بكر المذكور فيها الكلام ووسع العبارة وزاد في الإسهاب، ثم التفت إلى الحاضرين وقال اشهدوا على أنه إن أعاد ما قلت لاغير لم أطالبه بالجواب، فقال الهاروني: اشهدوا علي أنه إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما قال. وتوفي القاضي أبو بكر المذكور آخر يوم السبت، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد، رحمه الله تعالى، وصلى عليه ابنه الحسن، ودفنه في داره بدرب المجوس، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب." وفيات لأعيان ٤/٢٦٩، وذكر المحقق في الهامش مراجع يمكن أن تراجع لترجمة البلاقلاني وهي: تاريخ بغداد ٥: ٣٧٩ وترتيب

كون العلم عدميا أو وجوديا ، والأوجه أنه وجودي ، كما عليه أهل التحقيق .

وينقسم العلم [٣٠١/و] إلى قديم وحادث ، والحادث إلى ضروري ونظري ، فالضروري يقع بقدرة الله تعالى غير مقدور للعباد ، والنظري مقدور للعباد بالقدرة الحادثة عند الكثيرين بقدرة الله تعالى . والحادث ينقسم باعتبار تعلقه بغيره إلى تصور ؛ وهو إدراك الماهية من غير حكم عليها بنفي أو إثبات ، وإلى تصديقي ؛ وهو إدراكها مع الحكم عليها بنفي أو إثبات، والتصديق عند الحكماء نفس الحكم، وهو إدراك أن النسبة واقعة أو ليست بواقعة، والتصورات الثلاثة فيه أعنى المحكوم عليه والمحكوم به والنسبة الحكمية شروط التصديق عندهم وفي العلوم الحادثة من حيث اتصافها بالضرورة والنظر مذاهب أربعة: أحدها: أن الجميع ضروري لعدم حصول شيء بقدرتنا، إذ لا تأثير لها عندنا. ثانيها: أن الجميع نظري ، إذ الضروري يمتنع خلو النفس عنه ، وما من عِلم إلا والنفس خالية عنه في مبدأ الفطرة ، ثم يحصل لها[1] علوم بالتدريج بحسب ما يتفق من الشروط ، كالإحساس ، والتجربة ، والتواتر ، فيكون الجميع نظريا . ثالثها : وهو الأصح أن بعضها ضروري ، وبعضها كسْبي ، أي نظري ، إذ لو كان جميعها ضروريا لما جهلنا شيئا ، أو نظريا لدار أو تسلسل. رابعها: التفصيل بين التصوري فيجعل ضروريا، والتصديقي فيجوز فيه الضروري والنظري، والبديهي لا ينقلب كسبيا، وإلا جاز الخلو عن الضروري، وهو محال، ولا ينقلب الكسبي بديهيا، وإلا لجاز الخلو عن النظري ، وهو محال، وجوَّز في المواقف انقلاب النظري ضروريا، [٣٠١/ظ] وحكي في الكسبي ثلاثة مذاهب، فليراجع.

وفي تفاوت العلوم الحادثة قولان : الأول : منع التفاوت فيها أنفسها ، فليس بعضها

المدارك ٤: ٥٨٥ وتبيين كذب المفتري: ٢١٧ والوافي ٣: ١٧٧ والديباج المذهب: ٢٦٧ والمنتظم ٧: ٢٦٥ والشذرات ٣: ١٦٨.

(١) في نسخة الأصل م : "له" ، واعتمدت ما في النسخة د .

ولو ضروريا أقوي من بعض ولو نظريا ، وإنما التفاوت فيها بحسب المتعلقات كثرة وقلة . والثاني : أنها متفاوتة ، إذ العلم بأن الواحد نصف الاثنين أقوى في الجزم من العلم بأن العالَمَ حادث . وأجاب المانعون عن هذا بأن التفاوت في ذلك ونحوه ليس من الجزم ، بل من حيث غيره ، كإلف النفس بأخذ المعلومين دون الآخر ، ومنع القاضي أبو بكر الباقلاني العلم بالشيء من وجهة والجهل به من آخر ، إذ المعلوم غير المجهول ضرورة ، فمتعلق العلم والجهل شيئان متغايران قطعا ، والمشهور جوازه ؛ إذ الشيء قد يلاحظ في نفسه باعتبار عارضه كالضحك للإنسان إذا جعل آلة لملاحظته ، فيكون الإنسان معلوما باعتبار عارضه ، ومجهولا باعتبار حقيقته فيتحد المعلوم والمجهول ، لكنه معلوم من حيثية ، ومجهول من أخرى ، ولا استحالة فيه .

فائدة : قد اختلف في العلم من أي المقولات ، فقيل من مقولة الفعل ، وقيل : من مقولة الانفعال ، وجرى عليه غير واحد . والتحقيق أنه من مقولة الكيف كما حققه السيد ، والكَيْف عبارة عن الهيئة ، وقد مثلوا ذلك بختم الخاتم على شمعه مثلا ، فنقش الخاتم[1] عبارة عن الفعل ، وقبول الشمعة للختم عبارة عن الانفعال ، والهيئة الحاصلة من[2] [٣٠٢/و] الختم عبارة عن الكيف ، ولما كان هو التحقيق فسروا العلم بأنه حصول صورة الشيء في الذهن ، إلى أن قالوا : هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أي الصورة الحاصلة في الذهن ، وكذا في قولهم إدراك أن[3] النسبة واقعة أو ليست بواقعة ، أي النسبة المدرَكة بناءً على هذا التحقيق ، وأَورد على كونه من مقولة الكيف أنه يلزم أن يكون حقيقة واحدة باعتباره[4] من مقولة الجوهري ، وباعتبار آخر من مقولة العرض ، بناء على ما عليه المحققون من أن الأشياء

(١) في نسخة الأصل م : "الختم" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٢) تكرر الحرف من في آخر صفحة ٣٠١/ظ وأول صفحة ٣٠٢/و .

(٣) سقطت : "أن" من النسخة د .

(٤) في النسخة د : "باعتبار" بإسقاط الهاء .

بأنفسها تحضر في الذات ، وأن العلم عين المعلوم بالذات مغاير له بالاعتبار ، فإن الصورة باعتبار أنها سبب للانكشاف علم ، وباعتبار أنها حاصلة في النفس مثلا معلوم ، وأجاب بعضهم بأنه لا مانع من كون الشيء جوهرا في الخارج عرضا في الذهن ، ونوقش بأن العرض ماهية إذا وجدت في الخارج كانت لا في موضع ، وما هنا ليس كذلك ، وأورد العلاّمة الغنيمي رحمه الله بأن كونه من مقولة الكيف مشكل مع قولهم الكيف عرض لا يقبل القسمة لذاته ، ولا يتوقف على تصوّر غيره ؛ لأنه لا يصدق على العلوم الكَسْبية ؛ لأن تصورها يتوقف على تصوّر غيرها ، وليعلم أن فضل العلم قد ورد في القرآن الكريم ، والتوراة والإنجيل ، والزَّبُور ، والأحاديث الصحيحة ، أما القرآن الكريم فقوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[١] ، وقوله تعالى : ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[٢] ، والله تعالى لم يأمر نبيه عليه الصلاة والسلام[٣] باستزادة صفة أو حالة سوى العلم[٤] ، فعُلم أن العلم أفضل الصفات ، قال قَتَادَة : لو كان للعلم غاية لكان ينبغي أن يحصل لموسى عليه السلام ، ولو كان موسى عليه السلام بالغا غاية العلم لما كان يذهب إلى الخِضر لتعلُّم العلم منه ، ولما قال له[٥] : ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[٦] ، فلما لم يصل موسى عليه السلام مع جلالة قدره إلى آخر العلم علم أن ليس للعلم غاية ، ولا يخفى أن فضل الله تعالى على

(١) سورة فاطر، الآية: (٢٨).

(٢) سورة طه، الآية: (١١٤).

(٣) في النسخة د : "عليه السلام" .

(٤) سقطت كلمة "العلم" من نسخة الأصل م .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د في الآية : "على أن تعلمني" .

(٦) سورة الكهف، الآية: (٦٦).

سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كان كثيرا ، ومع ذلك لم يقل في شيء منه إنه عظيم سوى العلم ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[١] . وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[٢] ، وقال في موضع آخر تعالى : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾[٣] ، فكما أنه ليس بين الأعمى والبصير ، ولا بين الخبيث والطيب نسبة فكذلك ليس بين العالم والجاهل نسبة ، وقد ذكر الله تعالى العلماء في آيتين في المرتبة[٤] الثانية ، وذكر في آيتين[٥] بعد ذكر ذاته من غير واسطة ، أما الأوليان فقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾[٦] ، وقوله تعالى[٧] : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾[٨] على اختيار كثير من العلماء أن المراد من أولى الأمر العلماء ؛ لأن سيف السلاطين تابع لقلم العلماء ، وقلم العلماء ليس [٣٠٣/و] بتابع لسيف السلاطين ، وأما الآيتان اللتان ذكر فيهما العلماء بلا واسطة فقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾[٩]، وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى

(١) سورة النساء، الآية: (١١٣).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٩).

(٣) سورة المائدة، الآية: (١٠٠).

(٤) في النسخة د : "في الرتبة" .

(٥) في النسخة د : "في اثنين" .

(٦) سورة آل عمران، الآية: (١٨).

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د : "قل أطيعوا . ." بزيادة "قل" في الأول وهو خطأ في هذه الآية .

(٨) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٩) سورة آل عمران، الآية: (٧).

وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[١]. وأما دليل التوراة، قال[٢] تعالى فيها: ياموسى عظّم الحكمة فإني لا أجعل الحكمة في قلب عبد إلا وأردت أن أغفر له، فتعلَّمْها، ثم اعمل بها ، ثم ابْذُلها كي تَنال كرامتي في الدنيا والآخرة . وفى الزَّبور قال الله تعالى : ياداود قُل لأحبار بني إسرائيل : حابوا من الناس الأتقياء ، فإن لم تجدوا فيهم تقيا فحابوا العلماء ، فإن لم تجدوا العلماء فحابوا العقلاء ، فإن التقوى والعلم والعقل ثلاث مراتب ، ما جعلتُ واحدة منهن في أحدٍ من خَلقي وأنا أُريد هلاكه .

فإن قيل : قدَّم التقوى على العلم فيلزم أن تكون التقوى أفضل من العلم ، قلنا التقوى لا تكون إلا بالعلم ؛ لأن مَن لا عِلم له لا يَعرف العمل الذي ينبغي أن يؤتى به من العلم[٣] الذي ينبغي أن يُترك ، فإذن لا تحصل التقوى من غير علم ، فالمتَّقِى هو العالِم العامل الذي عَمِلَ بعلمه[٤] .

وفي الإنجيل ذكر الله تعالى فيه : ويلٌ لمن لم يسمع بالعِلم فلم يطلبه كيف يُحشَر مع الجُهّال إلى النار . اطلبوا العلم وتعلّموه ولا تقولوا[٥] نخاف أن نعلم ولا نعمل ، ولكن قولوا نرجو أن نعلم فنعمل ، والعلم شفيع لطالبه ، وحق على الله تعالى أن يجزيه . ويقول الله سبحانه وتعالى: يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون: ظننا أن ترحمنا وتغفر لنا ، فيقول الله تعالى: فإني قد فعلت، إني استودعتكم العلم لا لشرٍّ أردته بكم بل لخير أردته بكم، فادخلوا [٣٠٣/ظ] جنتي برحمتي[٦].

---

(١) سورة الرعد، الآية: (٤٣).

(٢) في النسخة د : "إذ قال" .

(٣) في نسخة الأصل م : "من العمل" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٤) في نسخة الأصل م : "الذي عمل به" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٥) في نسخة الأصل م : "ولا تقول" ، واعتمدت ما في النسخة د ليناسب السياق .

(٦) لم أجده بنصه ولكن وجدت في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة

قال مُقَاتِل بن سُليمان: قال الله تعالى في الإنجيل لعيسى عليه السلام: عظِّم العلماء واعرف فضلهم ؛ فإني فضَّلتهم على جميع خَلْقي إلا النبيين والمرسلين كفضل الشمس على الكواكب، وكفضل الآخرة على الدنيا، وكفضلي على كل شيء.

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله × [(١)] : **"من أحب أن ينظر إلى عُتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلِّمين ، فوالذي نفسي بيده ما من مُتعلّم يختلف إلى باب عالِمٍ إلا كَتَبَ الله له بكل قَدَم عبادة سَنة، وبنى له بكل قَدَم مدينة بالجنة، ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له، ويصبح مغفورا له، وشهدت الملائكة بأنهم عُتَقَاء الله من النار"** .

ورُوى عن عُقْبة بن عامر الجُهَنيّ عن النبي × أنه قال[(٢)] : **"يُؤتَى بِمِدَاد العلماء ودِماء الشُّهداء يوم القيامة لا يفضل أحدهما على الآخر"** . وفي رواية : يترجَّح مِداد العلماء .

وفي الخبر[(٣)] : عشرة[(٤)] يُستَجاب لهم الدعوة[(٥)] : عالِم ، ومُتَعلم ، وحَسَنُ الخُلق ،

---

٨٠٧ هـ، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة١٤١٢ هـ، الموافق ١٩٩٢م، ما نصه:" وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ×: "يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول: يا معشر العلماء إني لم أضع فيكم علمي لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم" ورقم الحديث في مجمع الزوائد هو : ٥٢٨.

(١) في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢٢٢/٢، وفيه: قال ابن حجر الهيثمى نقلا عن السيوطى: كذب موضوع.

(٢) في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٤٠٠/٢ : "يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء" وفيه تخريجه ما بين القبول والتضعيف . وجاء في الفوائد المجموعة ٢٨٧ : "مداد العلماء أفضل من دم الشهداء" ، ثم قيل : هو من قول الحسن البصري ، ثم قيل : ورواه ابن عبد البر عن أبي الدرداء مرفوعا بلفظ : يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء" ، ثم ضعف في الهامش .

(٣) لم أعثر على هذا الخبر .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "عشر" بحذف التاء ، وصححته بما يناسب السياق .

(٥) في النسخة د : "دعوة" .

ومريض، ويتيم، وغاز، وحَاجّ ، وناصح الخلق، والولد المطيع للأبوين، والزوجة المطيعة لزوجها .

وفى الأثر عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال لتلميذه(١) : العلم خير من المال ؛ لأنه يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالإنفاق .

وقيل لحكيم(٢) : نحن نرى أبدا أن صاحب العلم يتردد إلى باب صاحب المال ، ويندر تردّد صاحب المال إلى باب صاحب العلم ، فلو كان العلم خيرا من المال لكان الأمر على العكس ، فقال في جوابه : العالم يعلم منفعة العلم والمال ، فيطلب كليهما جميعا [٣٠٤/و] والجاهل لا يعلم منفعة العلم ، فلا يطلبه .

وعنه(٣) : خُيِّرَ سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم ، فأُعطى المال والملك معه .

وعنه أنه أوصَى ابنه فقال(٤) : يا بنى عليك بالأدب فإنه دليل على المروءة ، وأنيس في الوحشة ، وصاحب في الغُربة، وقَرِين في الحَضَر ، وصَدْرٌ في المجالس ، ووسيلة إلى تحصيل المطالب، وغِنًى عن العُدم، ورفعةٌ للخسيس، وكمال للشريف، وجلال للملك.

---

(١) القول في أدب الدنيا والدين ٤٨ مع بعض اختصار، والعقد الفريد، ط الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ٢٠٠٤م ، ٢١٢/٢، والمخاطب هو: كميل النخعي.

(٢) القول في أدب الدنيا والدين ٤٢ .

(٣) لم أعثر على هذا القول .

(٤) بعض هذا القول فى : عين الأدب والسياسة، لابن هذيل ١٢٣، وقريب منه ما رواه الجاحظ في البيان والتبيين منسوبا إلى شبيب بن شيبة قال الجاحظ:" وقال شبيب بن شيبة: اطلب الأدب فإنّه دليلٌ على المروءة، وزيادةٌ في العقل، وصاحبٌ في الغُربة، وصِلَة في المجلس." البيان والتبيين، للجاحظ، مكتبة الخانجي القاهرة، بتحقيق عبد السلام هارون، ط٧، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ٣٥٢/١.

ورُوى عنه × أنه قال[١] : **"تَعلَّموا العِلم ، فإن تعلُّمه لله تعالى[٢] حسنة ، ومُدَارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه مَن لا يعلم صَدَقة، وبذْله لأهله قُربة، لأنه مَعالم الحلال والحرام ، ومَنَار سُبل الجنة والنار ، والأنيس في الوَحشة ، والصاحب في الغُربة، والمحدِّث في الخُلوة، والدليل على السَّراء والضَّراء، والسلاح على الأعداء، يَرفَع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة . الحديث"** .

وقال رسول الله ×[٣] : **"نَوْم على عِلم خيرٌ من صلاة على جهل"** . وقال عليه السلام[٤] : **"إن بابًا من العلم يتعلّمه الرجل ولا يَعمل به خير له من أن لو كان أبو قبيس ذَهَبا فأنفقه في سبيل الله"** .

وقد جاء في الخبر[٥] : الجهل أقرب إلى الكفر من بياض العين إلى سوادها . وقال الأَنْطَاكي[٦] : أعظم الذنوب العبادة بالجهل ، فرُب عبدٍ يَعَمَلُ بالجهْلِ يَتولَّدُ منْهُ الكُفرُ فيجرُّه ذلك إلى النَّارِ كأبليسَ، وربَّ عَبد يذنب ذنبا فيتداركه بالعلمِ فينْدَمُ ويتوب فيجرُّه إلى الجنة كآدم صلوات الله عليه.

ورُوى عن وهب بن مُنَبِّه أنه قال : التزَم داوود عليه السلام [٣٠٤/ظ] العبادة ، وفارَق الناس ، فأوحَى الله سبحانه وتعالى إليه : يا داود ، أُخرج إلى الناس ، وعلِّمهم العلم ، فإن ذلك أفضل من الدنيا وما فيها .

(١) في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٣٠٨/١ : "تعلموا العلم وعلموه الناس" ، ثم : "تعلموا الفرائض وعلموه الناس ؛ فإنه نصف العلم ، وهو ينسى ، وهو أول شيء ينزع من أمتي" . ولم أجد غير ذلك .

(٢) سقطت كلمة "تعالى" من نسخة الأصل م ، واعتمدتها من النسخة د .

(٣) في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٣٥٩/٢ عن طريق أبي نعيم عن سلمان .

(٤) لم أعثر على هذا الحديث .

(٥) لم أعثر على هذا الخبر .

(٦) لم أعثر على هذا القول .

وحكي عن الحَسن البصري أنه قال[١] : إن فتى من بنى إسرائيل زوّجه مولاه امرأة، وبنى له دارا ، فخرج الفتى بإذن مولاه لطلب العلم إلى عالم لهم ، فعلَّمه ثلاث كلمات : اتق الله ، واصبر ، ولا تعجل ، فحفظ الفتى ، ورجع مكتفيا بهن فلما وصل إلى بلدته ودخل داره فإذا هو برجل نائم في ناحية الدار ، فأخذ السيف وهَمَّ بقتله ، ثم تفكّر الكلمات المحفوظة ، فأحْجَم عنه ، فعل ذلك ثلاث مرات ، فأيقظه فإذا هو مولاه ، فقال له : ما أصبتَ في سفرك من العلم ، قال : أصبتُ ما حَالَ بيني وبين قَتْلك ، وقصَّ عليه القصة ، فعلم أن القليل من العلم ليس بقليل .

قال الفَتْح المَوْصِلي[٢] أليس المريض إذا مُنع عنه الطعام والشراب والدواء يموت ؟ قيل: نعمْ، قال فكذلك القلب إذا مُنع عنه الحِكمة والعلم ثلاثة أيام .

قال صاحب روح الإحياء[٣] : العلوم كلها محمودة إلا ما يتعلق به مفسدة كالسحر، والنارنجيات، والأشعار التي منها هُجْرٌ، ونحو ذلك. وفضل العلم يظهر من وجهين: أحدهما: أنه لذيذ في ذاته . الثاني: أنه وسيلة إلى السعادة في الآخرة ، وإلي العز في الدنيا ، فإن أغبياء التُّرك حَمْقَى ، والأَكْرَاد ، وأجْلاف العرب يوقِّرون مَشَايخهم لاختصاصهم بمزيد علم ، والبَهيمة توقّر الآدمي بشعورها بتميزه بكمال ليس فيها .

---

(١) لم أعثر على هذا القول .

(٢) لعله :"عثمان بن جنيٍ أبو الفتح النحوي وكان جني أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصنف في ذلك كتباً أبر بها على المتقدمين، وأعجز المتأخرين، ولم يكن في شيءٍ من علومه أكمل منه في التصريف، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه، ومات لليلتين بقيتا من صفرٍ سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة في خلافة القادر، ومولده قبل الثلاثين وثلاثمائةٍ" انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢٤٦/٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/١٧.

(٣) لم أعثر على هذا القول .

وقال الفقيه أبو الَّليث[١] : [٣٠٥/و] اعلم أن العلم على أنواع ، وكل ذلك عند الله حسن ، وليس كالفقه ، فينبغي للرجل أن يكون الفقه أحبَّ إليه من غيره ؛ لأن من تعلم الفقه تيسر عليه سائر العلوم ، والفقه هو قوام الدين .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي × أنه قال[٢] : **"ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين"** . وقال عليه السلام[٣] : **"فقيهٌ واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد"** .

وقال أبو هريرة[٤] : لأن أجلسَ فأتفقّه ساعة أحب إليَّ من أن أُحيي ليلة .

ورُوى عن رسول الله × أنه قال[٥]: **"مَنْ يرد اللهُ به خيرًا يُفَقِّه في الدين"**.

قال الفقيه رحمه الله تعالى[٦]: فإذا أخذ الإنسان حظًّا وافرًا من الفقه فينبغي له أن لا يقتصر على الفقه، ولكن ينظر في علم الزهد، وفى كلام الحكماء الزاهدين ، وشمائل الصالحين ، فإن الإنسان إذا تعلّم الفقه ولم ينظر في علم الزهد والحِكَم قسا قلبُه ، والقلبُ القاسي بعيدٌ

---

(١) لم أعثر على هذا القول، وأبو الليث هو: " الحنفي نصر بن محمد بن إبراهيم الإمام الفقيه الحنفي أبو الليث السمرقندي، صاحب كتاب الفتاوى، توفي سنة خمسٍ وسبعين وثلاثمائة" . الأعلام٨/٢٧.

(٢) جاء هذا الحديث في أدب الدنيا والدين ٤٥ ، والفوائد المجموعة ٢٨٥ ، وفيه قبوله وتضعيفه ، وكذلك في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢/١٨٩ .

(٣) في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢٨٥ ، وفيه قيل : أسانيده ضعيفة ، لكن يتقوى بعضها ببعض ، وجاء في أدب الدنيا والدين ٤٥ مع حديث : "ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين" .

(٤) لم أعثر على هذا القول .

(٥) جاء في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢/٢٨٥ عن رواية الشيخين وأحمد ، وجاء في محاضرات الأدباء ١/٣١ بزيادة "وعرفه عيوب نفسه" وليس فيه تخريج .

(٦) لم أعثرعلى هذا القول.

من الله تعالى.

حُكى أنه جاء رجل إلى أبي ذَر رضي الله عنه فقال[1] : إني أريد أن أَتعلّم العِلم، وأخاف أن أُضيعه ولا أعمل به، قال: إن توسّدت العلم خير لك من أن توسدت الجهل، ثم ذهب هذا الرجل إلى أبي الدَّرْدَاء فسأله، فقال له أبو الدَّرْدَاء: إن الناس يُبعثون من قبورهم على ما ماتوا عليه ، يُبعث العالم عالما، والجاهل جاهلا.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال[2]: الناس رجلان: عالم ربانيٌّ، ومتعلم على سبيل النجاة وسائرهم همج رعاة، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح.

وقال ابن سِيرِين[3]: دخلتُ مسجدَ[4][٣٠٥/ظ] البَصرة، والأسْوَد بن سريع يَقصُّ على الناس، وقد اجتمع إليه أهل المسجد، وحلقة من أهل العلم والفقه جلوس في آخره يتحدثون الفقه، ويتذاكرون، فركعت بينهم وبين المذكور، فلما فرغتُ قلتُ: لو أتيتُ الأسود فعسَى أن يصيبهم إجابة ورحمة فيصيبني معهم، ثم قلتُ: لو أتيتُ الحلقة لعلِّي أسمعُ كلمة

(١) جاء جزء من هذا القول مع أبي هريرة في أدب الدنيا والدين ص ٥٠ .

(٢) جاء هذا القول في صفوة الصفوة لأبي الفرج ابن الجوزي، دارالمعرفة ، بيروت ١٩٧٩م ط٢، تحقيق محمود فاخوري، ومحمد رواس قلعجي، ٣٢٩/١، وروايته:" واحفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم علي سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق"، وانظره في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، ٣٧٩/٦، ولسان العرب، مادة : ربب، وانظره في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٢١٢/٢، وقد أشرت إلى وصية علي رضي الله عنه للكميل في العقد الفريد من قبل.

(٣) محمد بن سيرين البصري ، وكنيته أبو بكر ، كان أبوه عبدا لأنس بن مالك ، وأُمه أَمة لأبى بكر الصديق رضي الله عنه ، وكانت لابن سيرين اليد الطولى في تفسير الأحلام . ت ١١٠هـ ترجمته في المعارف ٤٤٢ ، ووفيات الأعيان ١٨١/٤ .

(٤) لم أعثر على هذا القول .

أسمعها فأعمل بها ، فلم أزل أخَيِّر نفسي في ذلك حتى جاوزتهم ، فلم أقعدُ إلى واحدٍ منهم ، فأتاني آتٍ في المنام فقال : أما إنك لو أتيت الحلقة لوجدتَ جبريل معهم جالسا .

وقال سالم بن أبي الجَعْد[١] : اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم ، فأعتقني فقلتُ: في أي الحِرَف أحترف، فاحترفتُ العلم على كل الحِرف ، فلم تمضِ مدة حتى أتاني الخليفة زائرًا فلم آذن له .

وحُكي عن صالح المرّي[٢] قال : دخلتُ على أمير المؤمنين فأجلسني على وسادته فقلتُ: رَحِم الله حسناً، صَدَق الحسن، فقال أمير المؤمنين: وما قال الحسن[٣]؟ قال: إن هذا العلم يزيد الشريف شرفا، ويبلغ المملوك به مجالس الملوك ثم قال : لولا أن العلم (خير)[٤] من صالح المريّ لم يجلس على وسادة أمير المؤمنين.

شعر[٥] :

---

(١) سالم بن أبي الجعد: أحد ثقات التابعين ذكره بعضهم في المخضرمين معتمدا على ما حكاه بن زبر أنه مات سنة تسع وتسعين وله مائة وخمس عشرة سنة فيكون أدرك من الحياة النبوية ستا وعشرين سنة، وهذا باطل فقد جزم أبو حاتم الرازي بأنه لم يدرك ثوبان ولا أبا الدرداء ولا عمرو بن عبسة فضلا عن عثمان فضلا عن عمر فضلا عن أبي بكر". الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، دار الجيل ، بيروت، ط١، ١٩٩٢م تحقيق علي محمد البجاوي،٢٧٤/٣. وفي الكامل أنه توفي سنة ١٠٣هـ، الكامل في التاريخ للشيباني، دار الكتب العلمية ، بيروت، بتحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط٢، ١٩٩٥، ٣٠٣/٤.

(٢) صالح بن بشير القارئ ، المعروف بالمري، وكنيته أبو بشير ، من أهل البصرة ، حدث عن مجموعة من العلماء، وحدث عنه مجموعة من العلماء ، كان عبدا صالحا ، وكان شديد الحزن والبكاء . ت ١٧٦هـ . ترجمته في وفيات الأعيان ٤٩٤/٢ .

(٣) جاء هذا القول مرويا عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ في أدب الدنيا والدين ٤٧ هكذا : "إن الحكمة تزيد الشريف شرفا، وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك"، والمقصود بالحسن هو الحسن البصري.

(٤) ما بين القوسين زيادة من د ، وقد سقط من نسخة الأصل م .

(٥) سقطت كلمة "شعر" من النسخة د ، وهذا يوهم بأن البيتين من قول صالح المري، وليس كذلك، وجاء البيتان دون

تَعَلَّــمْ فَلَــيْسَ الْمَــرْءُ يُولَــدُ عَالِمًــا وَلَــيْسَ أَخُــو عِلْــمٍ كَمَــنْ هُــوَ جَاهِــلُ

فَــإِنَّ كَبِــيرَ الْقَــوْمِ لاَ عِلْــمَ عِنْــدَهُ صَــغِيرٌ إِذَا الْتَفَّــتْ إِلَيْــهِ الْمَحَافِــلُ

وحُكي أنه كان عَطاء بن أبي رَبَاح[1] أسودَ اللون مستوحَشَ الخِلْقةِ فجاء إليه سُلَيمان بن عبد الملك وهو خليفة ، ومعه [٣٠٦/و] وَلَدَاه، فجلسوا يسألون عن المناسك، فحدَّثهم وهو مُعْرِض عنهم بوجهه، فقال سليمان لِوَلَدَيْه: قُوما ولا تَنيا في طلب العلم، فهل شيء أعظم من هذا الذي أجلسنا بين يدي هذا العبد الأسود[2]؟! قيل[3]: الملوك حُكّام على الناس، والعُلماء حكّام على الملوك.

وقال أبو إسماعيل الكاتب[4] :

لاَ تَيْأَسَــنَّ إِذَا مَــا كُنْــتَ ذَا أَدَبٍ عَلَــى خُمُولِــكَ أَنْ تَرْقَــى إِلَي الْفَلَــكِ

نسبة في تحرير التحبير٤٠٩، وهما من الطويل. ونسبهما الحافظ اليغموري في نور القبس لمحمد بن كناسة، (١٢٣ – ٢٠٧ هـ = ٧٤١ – ٨٢٣ م) وهو محمد بن عبد الله (الملقب بكناسة) ابن عبد الأعلى المازني الأسدي، من أسد خزيمة، أبويحيى: من شعراء الدولة العباسية.من أهل الكوفة. كان يجتنب في شعره المدح والهجاء.وكان عالما بالعربية وأيام الناس، راوية للكميت وغيره من الشعراء" الأعلام ٢٢١/٦، ومعجم المؤلفين ٦/ ١٦٢، وسير أعلام النبلاء ٦٠٤/٢.وفي المستطرف٤٦/١أن البيتين مما أنشده عمر بن عبد العزيز.

(١) عطاء بن أبى رباح أسلم– وقيل سالم– بن صفوان، مولى بنى فهر أو غير ذلك، وكنيته أبو محمد، كان أسود أعور أفطس أشل أعرج، ثم عمى، مفلفل الشعر. توفى سنة ٢١٥هـ. من وفيات الأعيان٢٦١/٣ وما بعدها.

(٢) لم أعثر على هذا الحكاية .

(٣) لم أعثر على هذا القول .

(٤) قال عنه الصفدي في الوافي بالوفيات:" الكاتب المغربي إبراهيم بن غانم بن عبدون أبو إسماعيل الكاتب، قال ابن رشيق في الأنموذج: كان شاعراً كتابي الشعر لطيف الألفاظ نظيفها رشيق المعاني وجيزها صافي مزاج الطبع على أسلوب واحد متفرداً بعلم المساحات والأشكال غواصاً في بحر الحكمة على در البديع قليل المديح والهجاء كلفاً بالمواعظ في شعره ملغزاً بالتشبيهات مولعاً بالتلويح والإشارات... وكان أبو إسماعيل قد توجه إلى مصر وأقام بها مدة ثم عاد وتوفي بالقيروان سنة إحدى وعشرين وأربع مائة وقد نيف على الستين رحمه الله تعالى".

بَيْنَـا يُـرَى الـذَّهَبُ ٱلإِبْرِيـزُ مُطَّرَحًـا ... فِي الـتُّرْبِ إِذْ صَـارَ إِكْلِـيلاً عَلَـى الْمَلِـكِ

يقال[1]: مَن غرَس العلم اجتنى النباهة، ومَن غرَس الزهدَ اجتنى العزّ، ومَن غرَس الإحسان اجتنى المحبة، ومَن غرَس الكبْر اجتنى المقت، ومَن غرَس الحرص اجتنى الذل، ومَن غرَس الفكرة اجتنى الحكمة، ومَن غرَس الوَقَار اجتنى المهابة، ومَن غرس الطمع اجتنى الذل، ومن غرس الحسد اجتنى الكَمَد.

وقال سُفيان[2]: ما من عَمِل أفضل من طلب العلم إذا صَحّت به النية. يعنى: تريد به وجه الله.

وعن بعض السَّلَف[3]: العلوم أربعة: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنجوم للزمان، والنَّحْو للسان.

قيل[4]: العلم علمان: علم ينفع، وعلم يرفع، فالرافع هو الفقه، والنافع هو الطب.

وقال[5] أبو يُوُسف رحمه الله تعالى: تعلّم كل علم إلا ثلاثة: النجوم، فإنه يكثر الشؤم، والكيمياء فإنه يكثر الإفلاس، والجدال في الدين فإنه يكثر الزندقة.

أتى أبو حَنِيفة رضي الله عنه إلى حَمّاد لطلب الفقه، فقال: تعلّم في كل يوم ثلاث مسائل، ولا تزد عليها شيئا حتى يتفق لك العلم ، فَفَقِهَ حتَّى أُشيرَ إليه بالأصابع.

---

(١) لم أعثر على هذا القول .

(٢) ورد هذا القول منسوبا إلى سفيان الثوري، في كتاب: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري، باب: العلم والحكمة، والأدب، والكتاب والقلم" ولم أعثر عليه إلا في نسخة إلكترونية على الموسوعة الشعرية، وفيها أن الكتاب طبع في القاهرة عام ١٢٩٢هـ.

(٣) لم أعثر على هذا القول .

(٤) العبارة للزمخشري في كتاب المشار إليه آنفا ، من نفس المصدر.

(٥) لم أعثر على هذا القول .

سأل الأعمشُ أبا حَنِيفَةَ عنَ مسائلَ، فأجابه، فقال[1] [٣٠٦/ظ] الأعمش من أين لك هذا؟ قال، مما حَدَّثْتَنا به، فقال: يا مَعشر الفقهاء أنتم الأطباء، ونحن الصيادلة.

وكان أبو يُوُسفَ إذا سُئل عن مسألة أجاب فيها ، وقال[2] : هذا قول أبي حَنيفة. ومَن جعله بينه وبين الله فقد استبرأَ لدينه. الأئمة الأجِلَّة الحنفية أزمّة المِلّة الحنيفية. الجود والحلم حاتمي وحنفي. والعلم حنيفي وحنفي.

كان يقال[3]: أربعة لم يُسبقوا ولم يُلحقوا: أبو حَنِيفة في فقهه، والخَلِيل في نَحْوه ، والجَاحِظ في تأليفه، وأبو تَمّام في شعره.

وقال[4] أحمد بن حَرْب: أبو حَنيفة في العلماء كالخليفة في الأُمراء.

قيل[5] : المتعبد بغير علم كحِمار الطَّاحون ، يدور ولا يقطع المسافة .

قال عيسى عليه السلام[6] : من علم وعلم عُد في الملكوت الأعظم عظيما .

وقال حكيم[7] : قُوت الأجساد المِشارب والمطاعم ، وقوت العلم العقل .

---

(١) لم أعثر على هذا القول .

(٢) لم أعثر على هذا القول .

(٣) العبارة في كتاب الزمخشري المشار إليه آنفا، ورواها تحت قوله :" ويقال..."، وكذا في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، للثعالبي، باب : "فيما يضاف وينسب إلى القراء والعلماء".

(٤) العبارة في البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، عن الموسوعة الشعرية، وقد ذكرت الموسوعة عن الكتاب أنه: " طبع بتحقيق الدكتورة وداد القاضي" في تسعة أجزاء، والعبارة في الجزء السادس، ولم أعثر على الكتاب المطبوع.

(٥) العبارة في كتاب الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار السابق ذكره، وفي عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، بتقديم د. عبد الحكيم راضي، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، الذخيرة ١٠٢، المجلد الثاني، ص: ١٢٤.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

وقال الزُّهري[1] : تَعلُّم سُنّة خير من عبادة سنين، وثمرة الأدب العقل الراجح ، وثمرة العلم العمل الصالح .

يقال[2]: عليك بالدرس فإن الدرس غَرْس . قيل : لم يدرك العلم مَن لم يطل درسه ، ولم يكدّ نفسه .

قيل[3] لابن عَباس رضي الله عنه: بم أدركتَ هذا العلم؟ قال: بلسان سَؤول، وقلب عَقول. ورَوْيٍ غير مَلول.

قال النَّخْعي[4] : سَل مسألة الحَمْقَى، واحفظ حفظ الأذكياء.

وقال الحسن[5] مَن استتر عن الطلب بالحَياء لَبِس بالجهل سِرْبالاً، فاقطعوا سَرابيل الحَياء، فإنه مَن رَقّ وجهُه رَقّ علمُه . [٣٠٧/و] وقال[6] مجاهد رضي الله عنه : لا يتعلم العلم مُسْتَحٍ ، ولا مُتكبِّر. قيل[7] : إذا فاتكَ الأدب فالزم الصمتَ فإنه من أعظم الآداب . وقال أرسطاليس[8] : مَن ترك الأدب عَدِمَ عَقْلَه. مَن قعد به عقله نَهَضَ به أدبه . حُسن

---

(١) لم أعثر على هذا القول .

(٢) لم أعثر على هذا القول .

(٣) في أدب الدنيا والدين ٧٩ وروى عن (دغفل في المحاضرات) ١/ ١٠٠ .

(٤) العبارة في البيان والتبيين ، بتحقيق عبد السلام هارون، ط: الخانجي، ٢٩٧/١، وترجمته في ذات الكتاب ، والجزء ص ١٩٢، وهو :" أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي الفقيه، روى عن مسروق، وعلقمة، وشريح وروى عنه الأعمش ومنصور وحماد بن سليمان ، ولد سنة ٥٠ هـ وتوفي سنة ٩٦هـ ، وأخباره في صفوة الصفوة ٤٧/٣.

(٥) العبارة في عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، بتقديم د. عبد الحكيم راضي، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر، الذخيرة ١٠٢، المجلد الثاني، ص: ١٢٣.

(٦) هذا جاء في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢/ ٣٧٠ ، وفيه قيل : رواه البخاري عن مجاهد من قوله .

(٧) العبارة في عيون الأخبار ٢/ ١٧٦.

(٨) لم أعثر على هذا القول .

الأدب يستر قبيح النَّسَب . الفضل بالعلم والأدب لا بالأصل والنَّسَب . من ساء أدبه ضاع نسبه . كل خير يُنال بالطلب يزداد بالأدب . الأدب مال واستعماله كمال . جالينوس[١] : إن ابن الوَضِيع إذا كان أديبا كان نَقْصُ أبيه زائدا في منزلته . وإن ابن الشريف إذا كان غير أديب كان شرفُ أبيه زائدا في سقوطه . وقال لُقْمان[٢] : أُغْدُ عالما أو متعلِّما أو مستَمِعا أو مُحبا ولا تكن الخامس . كان يقال : العلم قائد ، والعمل سائق ، والنفس حَرون، فإذا كان قائد بلا سائق بلدت، وإذا كان سائق بلا قائد عدلت يمينا وشمالا .

وكتب رجل[٣] إلى أخ (له)[٤] : إنك قد أوتيت علما ، فلا تطفئن نور علمك بظُلمة الذنوب فتبقى في الظلمة . وعن أبي حنيفة[٥] رحمه الله : إني لأدعو الله لحَمّاد فأبدأ به قبل أبَوَيّ . دخل على الواثق معلمُه فبالَغ في إكرامه وإجلاله ، فقيل له في ذلك فقال[٦] : هو أول مَن فَتَق لساني بذكر الله تعالى ، وأدناني من رحمته . سئل الإسكندر فقيل له[٧] : ما بالك تعظِّم مؤدِّبك أشد من تعظيمك لأبيك ؟ قال : أبي حطني من السماء إلى الأرض ، ومؤدِّبي رَفَعني من الأرض إلى السماء . لقي الرشيد الكِسَائي في بعض الطرقات ، فوَقف عليه

(١) العبارة في ربيع الأبرار السابق ذكره للزمخشري، في الباب نفسه، وفي البصائر والخائر لأبي حيان التوحيدي الجزء التاسع.

(٢) جاء هذا القول منسوبا إلى على رضي الله عنه في أدب الدنيا والدين ٥١ .

(٣) جاء هذا القول منسوبا إلى الشافعي رحمه الله في محاضرات الأدباء ٧٠/١ ، وذكر في عيون الأخبار غير منسوب ٢/ ١٢٥.

(٤) ما بين القوسين زيادة من النسخة د .

(٥) في ربيع الأبرار للزمخشري، الباب الذي سبق ذكره، وأغلب أقوال هذا الفصل من هذا الكتاب.

(٦) رويت العبارة في ربيع الأبرار للزمخشري كالآتي:" دخل على الواثق هارون بن زياد معلمه، فبالغ في إكرامه وإجلاله، فقيل له في ذلك، فقال: هو أول من فتق لساني بذكر الله، وأدناني من رحمة الله".

(٧) جاء هذا في محاضرات الأدباء ٩١/١ ، وفي ربيع الأبرار للزمخشري، وفي التمثيل والمحاضرة باب:" سياقة ما يجري مجرى الأمثال"

وسأله عن حاله فقال[1] : لو لم أجْتَنِ[2] من ثمرة العلم والأدب إلا ما وَهَبني من [٣٠٧/ظ] وقوف أمير المؤمنين عليّ لكان كافيا[3] ولما قدم ابن المبَارك[4] إلى الرّقّة أشرفت أُم ولد له من قصرها فرأت الغُبار قد ارتفع، وأسرَع الناس، وقالت ما هذا ؟ قالوا قدم من خُرسان عالم يقال له ابن المبارك، فقالت: هذا والله هو الملك، لا هارون الذي لا يَجمع الناس إلا بالصوت. وقال طَاووس: ما حمل العلم في مثل قِرَب الحلم. ذو النُّون المصري[5]: إياك أن تطلب العلم بالجهل، قيل: كيف يُطلب العلم بالجهل؟ قال: إذا قصدت العالم في غير وقته، وتخطيتَ الرقاب، وتركت في طلبه حُرمة الشيوخ ولم تستعمل فيه السكينة والوقار والأدب، فذلك طلب العلم بالجهل. قال الحسن[6]: لقيت قوما من أصحاب رسول الله ✖ يقولون: من عمل بغير علم كان ما يُفسده أكثر مما يصلحه . قيل[7] : العالم بغير علم كالسائر على غير الطريق ، فاطلبوا العلم طلبا لا يَضُرُّ به. وما أحسن قول ابن الوردي[8] :

---

(١) ربيع الأبرار للزمخشري، الباب ذاته.

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "أجتنى" ، وهو خطأ .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "كافي" ، وهو خطأ .

(٤) لم أعثر على هذا .

(٥) العبارة في ربيع الأبرار، للزمخشري، الباب والمرجع نفسيهما.

(٦) العبارة في المستطرف من كل أدب مستظرف، باب العلم والأدب وفضل العالم والمتعلم.

(٧) العبارة في ربيع الأبرار للزمخشري، وروايتها فيه "والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم " وأراها الرواية الصحيحة.

(٨) عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، القاضي الأجل، الإمام الفقيه، الأديب الشاعر، زين الدين ابن الوردي المعرى الشافعي، تفنن في العلوم، وأجاد في المنثور والمنظوم ، نظمه جيد إلى الغاية، وفضله بلغ النهاية . ت ٧٤٩هـ من فوات الوفيات ١٥٧/٢. والأبيات من [الرمل] ، وهي من لاميته المشهورة التي أولها:

اعتزلْ ذكرَ الأغاني والغزلْ ... وقلِ الفصلَ وجانبْ مَنْ هزلْ

ودعِ الذكرى لأيامِ الصِّبا ... فلأيامِ الصِّبا نجمٌ أفلْ

إنَّ أحلى عيشةٍ قضيتُها ... ذهبتْ لذاتُها والإثمُ حلْ

وهي في ديوانه، ص ٤٣٦.

أُطْلُبِ الْعِلْمَ وَلاَ تَكْسَلْ فَمَا أَبْعَدَ الْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلْ

وَاحْتَفِلْ لِلْفِقْهِ فِي الدِّيْنِ وَلاَ تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلْ

وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ يَعْرِفِ الْمَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَذَلْ

لاَ تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلْ

فِي ازْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَا وَجَمَالُ الْعِلْمِ إِصْلاَحُ الْعَمَلْ

جَمِّلِ الْمَنْطِقَ بِالنَّحْوِ فَمَنْ يُحْرَمِ الْإِعْرَابَ فِي النُّطْقِ اخْتَبَلْ

أُنْظُرِ الشِّعْرَ ولاَزِمْ مَذْهَبِي فِي اطِّرَاحِ الرِّفْدِ فَالدُّنْيَا أَقَلْ

فَهْوَ عُنْوَانٌ عَلَى الْفضْلِ وَمَا أَحْسَنَ الشِّعْرَ إِذَا لَمْ يُبْتَذَلْ

(وما أحسن قول الإمام الشافعي(١) رضي الله تعالى عنه(٢):

يَذُوقُ الْفَتَى ذُلَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً مِنَ الْعِلْمِ إِذْ لاَ يَعْلَمَنَّ بِذَاتِهِ

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ ذُلَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ

وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيْمُ وَقْتَ شَبَابِهِ فَكَبِّرْ عَلَيْهِ أَرْبَعًا لِوَفَاتِهِ

---

(١) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع... القرشي المطلبي، وكنيته أبو عبد الله، كان كثير المناقب، جم المفاخر، منقطع القرين ، وهو أول من تكلم في أصول الفقه، وهو الذي استنبطه. ت ٢٠٤ هـ من وفيات الأعيان ١٦٣/٤.

(٢) الأبيات في ديوانه ٢٩ باختلاف كبير في البيت الأول ، والأبيات من [الطويل] .

حَيَـــاةُ الْفَـــتَى وَاللهِ بِالْعِلْـــمِ وَالتُّقَـــى إِذَا لَمْ يَكُـــونَا لاَ اعْتِبَـــارَ بِذَاتِـــهِ)[1]

[٣٠٨/و] وما أحسن قول بعضهم في مدح النحو خاصة[2]:

النَّحْـــوُ خَـــيْرُ عُلُـــومٍ مِنْـــهُ يُلْـــتَمَسُ لِأَنَّـــهُ مِـــنْ كِتَـــابِ اللهِ يُقْتَـــبَسُ

إِذَا الْفَـــتَى مُـــنِحَ ٱلإِعْـــرَابَ كَـــانَ لَـــهُ مَهَابَـــةً عِنْـــدَ قَـــوْمٍ حَوْلَـــهُ جَلَسُـــوا

لا يَنْطِقُـــونَ حِـــذَارًا أَنْ يُلَحِّـــنَهُمْ كَأَنَّمَـــا بِهِـــمُ مِـــنْ خَـــوْفِهِمْ خَـــرَسُ

لا يَسْـــتَوِي مُعْـــرِبٌ مِنَّـــا وَمُـــنْعَجِمٌ هَـلْ تَسْـتَوِي الْبَغْلَـةُ الْحَمْقَـاءُ وَالْفَـرَسُ ؟

وكفى العلم[3] فخرا أن بِمَدْحِه جاءت الآيات تترى.

وقوله: وأولو التصدر، أي أصحاب التصدر. وأولو مما أُلحق بجمع المذكر السالم في الإعراب بالحرفين ، وهو اسم جمع لا جمع ، والتصدر قال في القاموس : تصدر جلس في صدر المجلس ، ونصب صدره (في الجلوس ، والمصدّر كمعظم القوية ومن بلغ العَرَقُ صدره)[4]، والسابق من الخيل والغليظ الصَّدر من السهام ، وأول القداح الغُفْل[5] والأسد والذئب[6] ، وصدر كل شيء أوله .

---

(١) ما بين القوسين من هنا إلى "وما أحسن قول بعضهم في مدح النحو خاصة" ساقطة من نسخة الأصل م، واعتمدته من النسخة د.

(٢) لم أعثر على الأبيات ، وهي من [البسيط] .

(٣) في النسخة د : "وكفي العلم" .

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسخة د .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "العقل" ، والتصحيح من القاموس .

(٦) في النسخة د : "والذئب والأسد" وما في نسخة الأصل م يوافق القاموس .

قال بعضهم[١] :

صَـدْرُ الْمَجَلِـسِ حَيْـثُ حَـلَّ لَبِيبُهَـا كُنْـتَ اللَّبِيْـبَ وَأَنْـتَ صَـدْرُ الْمَجْلِـسِ

والإمامة : التقدم ، قال في القاموس : أَمَّهم وبهم تَقَدَّمهم ، وهى الإمامة ، والإمام ما ائْتُمّ به من رئيس أو غيره ، والإِمّة بالكسر الحالة والشِّرْعة[٢] والدين ، وتضم والنعمة والهيئة والشباب[٣] والنضارة والعيش والسنة والطريقة ، والأَمام نقيض الوَرَاء[٤] ، كقُدّام، يكون اسما وظرفا، وقد يُذَكّر، وأمامَك كلمة تحذير، والأُمَّةَ جماعة أُرسل إليهم رسول، والرجل الجامع للخير، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٥] نُزِّلَ- لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد تُحْصَى وتوجد[٦] إلا مُفَرّقة في أشخاصٍ كثيرةٍ - مَنْزِلةَ الأُمَّةِ [٣٠٨/ظ] قال الشَّاعِرُ[٧]:

لَـيْسَ عَلَـي اللهِ بِمُسْـتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَـعَ الْعَـالَمَ فِي وَاحِـدِ[٨]

وقد ورد ذكر الإمام في القرآن بمواطن، منها قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ

---

(١) البيت في زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن بن مسعود اليوسي ت ١١٠٢هـ، غير منسوب إلى معين وهو من [الكامل] .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "والسرعة" بالسين المهملة ، والتصحيح من القاموس .

(٣) في القاموس : "والشأن وغضارة العيش" .

(٤) رسمت الكلمة في نسخة الأصل "م" هكذا "الورى" ، وفى النسخة "د" رسمت هكذا "الورا" .

(٥) سورة النحل، الآية: (١٢٠).

(٦) [كذا] في نسخة الأصل م والنسخة د ، ويبدو أن هنا سقطا ، ويمكن أن يكون "وتوجد الإمامة مفرقة . . ." ، وفى النسخة د : "متفرقة" .

(٧) القائل هو أبو نواس ، والبيت في ديوانه ٤٥٤ ، وهو من [السريع] .

(٨) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وليس على الله . . ."، وهو خطأ في الوزن ، وقد حذفت الواو ليصح الوزن، وهذه الرواية في هامش الديوان ، ولكن في متن الديوان : "وليس لله . ." .

بِإِمَـٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[1]، أي بمن ائتموا به من نبي، أو مقدَّم في الدين ، أو كتاب ، أو دين . وقيل : بكتاب أعمالهم التي قدموها . وقيل : بالقوى الحاصلة لهم على عقائدهم وأفعالهم . وقيل : بأمهاتهم جمع أُم كخُف . والحكمة في ذلك أي على هذا إجلال عيسى عليه السلام ، وإظهار شرف الحَسن والحُسين ، وأن لا يفتضح[2] أولاد الزنا ، كذا قال البيضاوي[3]. ومنها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[4]، أي يقتدون بنا في أمر الدين بإضافة العلم والتوفيق للعمل، وإنما لم يجمع هنا لعدم اللبس . وقيل : جمع أُم كصَائم وصيام . ومعنى هذا قاصدين لهم ، مُقتدين بهم ، وليعلم أن الإمامة على أقسام كبرى ، وهي خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب إتباعه على كافة الأمة ، وفى "المقاصد"[5] أنها رياسة عامة في الدنيا والدين خلافة عن النبي ×، ونصْب الإمام واجب على الأمة عندنا مطلقا سمعا لا عقلا ، خلافا للمُعْتَزلة ، حيث قال بعضهم واجب على الأمة عقلا ، وبعضهم كالكَعْبي وأبى الحَسن عقلا وسمعا ، وينبغي أن يكون ظاهرًا لا مختفيا ، ولا منتظرا خلافاً للرَّوَافِض، وأن يكون حُرًّا ذَكَرا بالغا عاقلا شجاعا قرشيا ، ولا يشترط كون الإمام هاشميا، أي من ولد هاشم ابن عبد مَنَاف جد النبي × ، ولا كونه معصوما خلافاً للرَّوَافِض، ولا كونه أفضل أهل زمانه [٣٠٩/و] فتُعقد إمامة المفضول في قيام الفاضل خلاف للروافض، وزاد كثير من العلماء الاجتهاد، وفي الأصول، أي أصول الدين وأصول الفقه، وفي

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٧١).

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "تفتضح" بالمثناة الفوقية في أوله ، وصححته بما يناسب القول .

(٣) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)،تفسير سورة الإسراء آية:٧١

(٤) سورة الفرقان، الآية: (٧٤).

(٥) لا أعرف كتابا بهذه العنوان إلا كتاب المقاصد الحسنة للسخاوي المتوفى ٩٠٢هـ ، وعنوانه: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، دار الكتاب العربي. بيروت. غير أني لم أعثر على تحرير هذه القضية عند السخاوي في كتابه المذكور.

الفروع ليتمكن من ذلك من إقامة الحجج، وحَلِّ الشُّبه في العقائد الدينية، ويستقل بالفتوى في النوازل وأحكام الوقائع نصًّا واستنباطا، لأن أهم مقاصد الإمامة حفظ العقائد ، وفَصْل الحكومات، وقيل لا يُشترط الاجتهاد، ولا الشجاعة؛ لِنُدْرة اجتماع هذه الأمور في واحد، والعدالة ليست بشرط عندنا للصحة، فإذا قُلِّد الإمام عدْلاً ثم جَارَ في الحكم وفسق بذلك أو غيره لا ينعزل، ولكن يستحق العزل إن لم يستلزم عزلُه فتنة، وإذا وُجدت الشروط في جماعة فالأولى بالولاية أفضلُهم، فإن ولي المفضول مع وجوده صحّت إمامته، ولا يولى الإمامة أكثر من واحد، ولو تعذر وجود العلم فيمن تصدر للإمامة بأن تغلّب عليها جاهل أو فاسق، وكان في صَرْفه عنها إثارة فتنة لا تطاق، حكمنا بانعقاد إمامته؛ كيلا يكون كمن بنى قصرًا وهدم مِصْرًا ، وفي "العمدة النَّسَفِية" ما نَصَّ رسول الله × على إمامة أحد بعده، إذ لو نَصَّ لاشتُهر، لكن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على الصّدّيق رضي الله عنه استدلالا بأمر الصلاة، ثم على عُمر رضي الله عنه لقوله ×: **"اقتدوا باللَّذَيْن من بعدي"** فلو أنكر أحد خلافتهما لَكَفَر، ثم على عثمان ذي النُّورَيْن، ثم على عَلِيّ المرْتَضى كرم الله وجهه، وعلى هذا [٣٠٩/ظ] ترتيبهم في الفضيلة، وقد قال عليه الصلاة والسلام : **"الخلافة بعدي ثلاثون سنة"** ، وقد تمت بعَلِيّ رضي الله عنه.

وصُغرى: وهي ربط صلاة المؤتمّ بالإمام بشروط عشرة: نية المؤتمّ الاقتداء ، أو اتحاد مكانهما وصلاتهما، وصحة صلاة إمامه، وعدم مُحَاذاة امرأة، وعدم تقدمه عليه بعقبه، وعلمه بانتقالاته وبحاله من إقامة وسَفَر، ومشاركته في الأركان، وكونه مثله أو دونه فيها وفي الشرائط، وثبوت هذه بقوله تعالى: ﴿ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[١] ومن حكمتها نظام الألفة، وتعلُّم الجاهل من العالم، وهي واجبة على الرجال العقلاء البالغين الأحرار القادرين على الصلاة

---

(١) كذا في النسختين م ، د ، والأحسن "وكانت الكراهة" .

بالجماعة من غير حرج، ويُسقط الوجوب لعذر[1] كمرض وعَمَى وكِبَر ومَطَر وَوَحْل وبَرْد شديد وظُلمة. ومَن واظَب على تَرْكها تكاسلا عُزِّر[2] ولا تُقبل شهادته إلا بتأويل بدعة الإمام، أو عدم مراعاة مذهبه.

والأحق بالإمامة الأعلم بأحكام الصلاة صحة وفسادا ، ثم الأحسن تلاوة وتجويدا للقرآن، ثم الأوْرَع، أي الأكثر اتقاء للشُّبهات، ثم الأسَنّ، أي الأقدم إسلاما، ثم الأحسن خُلقا – بالضم – ألفة بالناس، ثم الأحسن وجها ثم الأشرف نسبا، ثم الأحسن صوتا، ثم الأنظف ثوبا، ثم المقيم على المسافر، ثم الحرّ الأصلي على العتيق، فإن استووا يُقْرع بينهم، والسلطان أو القاضي أولى بالإمامة من غيره مطلقا، ومن أَمَّ قوما وهم له كارهون إن[3] الكراهة لفساد فيه، أو لأنهم أحق بالإمامة منه كره [٣١٠/و] له ذلك تحريما، لحديث أبي داود[4]: **"لا يَقبل الله صلاة مَن تقدَّم قوما وهم له كارِهون"** ، وإن هو أحق لا، والكراهة عليهم، وكُره تنزيها إمامة عَبدٍ، -أي- ولو معتقا، وأعرابي، والمراد به العامي، سواء كان تُركمانيا أو كُرديا، أو غير ذلك، وفاسق وأعمى، إلا إذا كان الأعمى أعْلَم القوم فهو أولَى، ومبتدع لا يكفر بها، وإن كفر بها فلا يصح الاقتداء به أصلا، وكذلك تُكره إمامة ولد الزنا، وهذا إن وُجد غيرهم، وإلا فلا كراهة. ويصح إرادة كلا المعنيين في قول الناظم: والأنسب، أراد الإمامة الكبرى المناسب لسياق الكلام سابقا ولاحقا؛ لأن المقام مقام[5] ذكر مَن مضى مِن العظماء خُلفاء ومُلوكا ووزراء وغيرهم من الرؤساء .

(١) في نسخة الأصل م : "كعذر" بالذال ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٢) في نسخة الأصل م : "عذر" بالذال ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٣) كذا في النسختين م ، د ، والأحسن "وكانت الكراهة" .

(٤) الحديث بنصه وشرحه ، ورواياته في فيض القدير ٤٢٥/٣ وما بعدها، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي ضبطه وصححه احمد عبد السلام، جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .

(٥) سقطت الكلمة من النسخة د .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وذوو الـــــــــوِزَارَةِ والحِجَـــــــا بَـــــــةِ والكِتَابَـــــةِ والعَلامَـــــهْ

تقدم الكلام على الوزارة مبسوطا ، وهى مطلوبة بنص القرآن الكريم ؛ لأن الوزير من الملك بمنزلة الروح من الجسد ، قال تعالى حكاية عن موسى : ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴾[1] وقال ×[2] : **"لكل نبي وزير ، ووزيراي أبو بكر وعمر"** . وثبت[3] أن آصف بن برخيا كان وزير سيدنا سليمان عليه السلام.

والوزراء على مراتب ، منهم مَن جمَع بين الكرم والعقل كالبَرَامكة المتقدم ذكرهم، ومنهم من جمع بين الكرم والعقل والمروءة والأدب، وهم على مراتب، منهم بنو وَهْب، قال الحُصْرِيُّ[4]: وبنو وهب من مشاهير الوزراء، وأدبائهم، ولهم الرسائل الفائقة [٣١٠/ظ] والشعر (الجيد)[5]، وفيهم يقول أبو تمّام[6]: شعر[7]

كُـــلُّ شِــعْبٍ كُنْـــتُمْ بِـــهِ آلَ وَهْـــبٍ فَهْـوَ شِـعْبِي وَشِـعْبُ كُـلِّ أَدِيْـبِ[8]

---

(١) سورة طه، الآية: (٢٩).

(٢) جاء هذا الحديث بصورة موسعة في اللفظ في "يواقيت المواقيت في مدح كل شيء وذمه" ٤٣ وفى هامشه قيل : سنن الترمذي ٢٧٨/٩ مع اختلاف في التعبير ، وفى النسختين : "ووزراى".

(٣) في "يواقيت المواقيت في مدح كل شيء وذمه" ٤٣ .

(٤) في زهر الآداب ٦٢٥/٢ و ٦٢٦ مع بعض اختلاف .

(٥) ما بين القوسين زيادة من النسخة د .

(٦) ديوان أبى تمام ١٢٤/١ و ١٢٥ ، وهما من [الخفيف] .

(٧) سقطت كلمة "شعر" من النسخة د .

(٨) في نسخة الأصل م : "كنتم به أهل . . ." ، وما في النسخة د يوافق الديوان وزهر الآداب .

إِنَّ قَلْبِي لَكُمْ لكَالْكَبِدِ الْحَرْ رَى وَقَلْبِي لِغَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ[١]

ومن الوزراء المشهورين القاضي الفاضل[٢] عبد الرحيم البيساني ، وَزَرَ للملك صلاح الدين بن أيوب ، وتمكنّ منه غاية التمكّن ، وبرَز في صناعة الأدب والإنشاء ، وفَاقَ المتقدِّمين والمتأخِّرين ، قال العِماد الأصْفَهاني في كتابه "الخريدة"[٣] في حقه : وصاحب القرآن الكريم عديم الأقْران، رَبُّ القلم والبيان، واللَّسَنِ واللسان، والقريحة الوَقّادة، والبصيرة النّقّادة والبديهة المعجزة، والبديعة المطرزة، فهو كالشريعة المحمدية التي نَسَخَت الشرائع، ورَسَخَت بها الصنائع. وذكر الصَّلاح الصَّفَدي في تذكرته قال[٤]: حكى القاضي أبو المكارم قال: دخلتُ على الوزير الفاضل فوجدتُ بين يديه أُترجة كبيرة مُفرطة الضخامة، فلما جلستُ حدقتُ إليها، وفكّرتُ فيها فذهلتُ عن نفسي، فأخذ يَتَنادر معي ثم قال: يا مولاي، ما هذه الفكرة؟ وما أظنها إلا في هذه الأُترجة، وقد تعجبتُ من المناسبة بيننا، قال: فدهشتُ خوفا، ثم رجع إليّ خاطري فقلت: لا والله، بل أُفكر في معنى وقع لي فيها، ثم نَظمتُ بيتين فقلت[٥]

---

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "ككبد" بإسقاط اللام وهو خطأ في الوزن، والتصحيح من الديوان وزهر الآداب .

(٢) عبد الرحيم بن على بن الحسن... اللخمي، الشامي، البيساني الأصل، العسقلاني المولد : المصري الدار ، وكنيته أبو على الكاتب، صاحب ديوان الإنشاء الصلاحي، انتهت إليه براعة الترسل وبلاغة الإنشاء، ولا يشق غباره في ذلك ت ٥٩٦هـ من سير أعلام النبلاء ٣٣٨/٢١ . قلت : وقد تتلمذ عليه ومدحه شاعر مصر –غير منازع– في العصر الأيوبي، ابن سناء الملك.، وفي القاضي الفاضل قال صلاح الدين عبارته الشهيرة : ما نصرت بسيوفكم ولكن نصرت بقلم القاضي الفاضل.

(٣) الخريدة ٣٥/١ القسم المصري، وجاء جزء من هذا القول في وفيات الأعيان ١٥٩/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٣٤١/٢١ .

(٤) أخبرني أستاذي المشرف أن التذكرة الصفدية ، موسوعة في الأدب والشعر تقع في ثلاثين مجلدا ، مخطوطة يوجد لها عدد من المخطوطات..

(٥) جاء البيتان دون نسبة في ريحانة الألبا ١٨٥/١ ، والبيتان من [السريع] . قلتُ: وصحة البيت الأخير : "من هيبة الفاضل" وليس :" من هيبة القاضي" إذ بالأخيرة ينكسر الوزن، وبالأولى يصح.

:

لِلَّهِ بَـــــلْ لِلْحُسْـــــنِ أُتْرُجَّـــــةٌ تُـــذَكِّرُ النَّـــاسَ بِعَهْـــدِ النَّعِـــيْمِ

كَأَنَّمَـــا قَـــدْ جَمَعَـــتْ نَفْسَـــهَا مِـــنْ هَيْبَـــةِ الْقَاضِـــي عَبْـــدِ الـــرَّحِيْمِ

[٣١١/و] قال فاستحسنها ، ثم إنني اجتمعتُ ببعض الأفاضل فذكرتُ له البيتين فقال : أما خَشيتَ أن يصحّف عليك هَيبة بهية، فسقط في يدي وقلت: والله ما فهمتها إلا منك، أي لأن الوزير الفاضل حَدبةً يسترها الطَّيْلَسان، وكان ينكّت على نفسه، ويشبه هيبته، فمن ذلك قوله، وقد كان بنى له قبة في الديوان يجلس فيها : ما كان يكمل ذا الديوان حتى ازداد فيه، فكأنني فيها خروف شُوِيَ، ومن فوقه مكبّة ، وكان السلطان صلاح الدين قد أقطَعه قريتي ريفة(١) وأُدرنكة بالأسيوطية لخاصته ، فسئل عنها يوما فقال: أما ريفة وأُدرنكة(٢) فلو رآهما معطيهما لاستحيا مما أعطى ، ولو قرّ الطائر الخائف بِحرثهما لأَفناهما لَقْطَا .

وعُرضت(٣) عليه رقعة بأسماء مؤذِّنين يُستخدمان، اسم أحدهما مُرتَضَى، والآخر زِيَادة ، فكتب على الرقعة موقِّعا: أما مرتَضى فزيادة، وزيادة فمرتَضى، ومن لطائفه أنه حضر من العجم واعظ جميل مبدع في الحسن، فاجتمع الناس عليه ، فوعظهم وأظهر لهم ما ينافي الخشوع ، فقال الوزير الفاضل: يا لها موعظة متعظة ، وذكر الشهاب يوسف الكتبيّ الدمشقيّ أنه تزوج امرأة وطلقها، قال: فمضيت إلى دار العماد الأصفهاني الكاتب، فبلغ زوجها أن رجلا كان عدوا له قد خطبها من دار العماد، وكانت في العِدّة، قال، فطَاشَ لُبي فجئت إلى الوزير الفاضل أشكو إليه، فوجدته يملى على كُتّابِهِ، ويتحدّثُ مع رسول ملك الإفرنج،

---

(١) لم أعثر على هذا الاسم في معجم البلدان ، وفي النسخة د : "ديفه" بالدال المهملة ، ولم أجده أيضا .

(٢) في جميع المخطوطات "درنكة" ، والتصحيح من معجم البلدان .

(٣) لم أعثر على هذا .

فشكوتُ إليه [٣١١/ظ] فقال لي: ما تطلب؟ فقال: توصي (بي) [١] العماد، فكَتَب في الحال من غير رَوِيّة: سيدنا عماد الدين، أدام اللهُ علاه، قد عُلم حال يوسف الكتبيّ، وما ابتُلي به من امرأته، وما ابتليتُ أنا به منه، وما ابتُليتْ به الحضرة مني، وقد بلغه الآن أن رجلا طرائفاً شرَع في التعريض للخِطْبة[٢] وقدم النفقة، والأول مُباح شَرعا، والثاني محظور قطعا، وبلغه أن الزوجة اشتَطّت في سَومها، وطلبت ما لا طاقةَ له به، وقد حضَر شيطانه، وصار أقربَ إليه من حبل الوريد مارستانُه، وسيدنا يمنع أن تطمع الزوجة إلى سوام[٣]، ويثبت عندها أن لا تتعداه، فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، ويصبره إلى وقت انقضاء عدتها، على ما لم يستطع عليه صبرا، وقد أحيا لنا هذا المجنون مجنون ليلى، وقَيْس لُبْنى، وعَمرو بن عَجلان الذي قتلته هِندٌ، وحلّى[٤] زمانا بما كان منه عاطلا، وأملى معاني الغزل وفهمها ما كان لها جاهلا، وله حرفة يرعاها الأدباء، ووسيلة يشفعها الكرماء، ورأيه الموفق. والسلام.

ومن وزراء المشرق الصَّاحب بن عَبّاد، وقال العَبّاسي[٥] في "شرح شواهد التلخيص"[٦] في ترجمته: هو إسماعيل بن عباد[٧]، وأول من سُمي الصاحب من الوزراء، قال الثَّعالبي في "اليتيمة"[٨]: واحْتفّ بابن عباد جماعة من نجوم الأرض وأفراد العصر بأصْبهان مثل السلامي والخُوارَزمي والمأموني والبديهي والرُّسْتُمي والبَديع الهَمَذاني وغيره، ومدحه مكاتبةً[٩]

---

(١) مابين القوسين زيادة من النسخة د .

(٢) في النسخة د :"للخطيئة ".

(٣) في نسخة الأصل م : "سوأة" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٤) رسمت الكلمة في نسخة الأصل م والنسخة د هكذا : "حلا" .

(٥) في النسخة د : "العباس" ، وفي نسخة الأصل م كتب فوقها بخط مختلف "عبد الرحيم" .

(٦) من معاهد التنصيص ١١١/٤ وما بعدها باختصار .

(٧) وله ترجمة في وفيات الأعيان ٢٢٨/١ .

(٨) يتيمة الدهر ١٩٢/٣ .

(٩) في نسخة الأصل م والنسخة د : "كاتبه" ، والتصحيح من اليتيمة ، وأشير إلى ذلك في هامش المعاهد ١١٢/٤ .

الشريف الرَّضي، وابن حَجَّاج، والصَّابي، وابن سُكَّرة الهاشمي، وقال الخُوارزمي: [٣١٢/و] إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها، ودَرج في وكرها، ورَضَع أفاويق دَرّها، كما قال الرُّستميّ[١] فيه:

وَرِثَ الْوَزَارَةَ كَابِرٍ مَوْصُولَةَ ٱلإِسْنَادِ بِٱلإِسْنَادِ[٢]

يَرْوِي عَنِ الْعَبَّاسِ عَبَّادٌ وَزَا رَتَهُ وَإِسْمَاعِيلُ عَنْ عَبَّادِ

قال[٣] : وحدثني أبو الحسن محمد بن الحسن بن النحوي[٤] قال: سمعتُ الصاحب ابن عباد يقول: أنفذ إليّ أبو العباس ياسر[٥] الحاجب رقعة في السر بخط مخدومه نوح بن منصور ملك خراسان، وما وراء النهر، يحثني فيها على الانحياز إلى حضرته، ليلقي إليّ مقاليد ملكه، ويعتمدني لوزارته، قال: وفيما اعتذرتُ به إليه من تَرْكي امتثال أمره ذِكر طول ذيلي بكثرة الحاشية، وحاجتي لنقل كتبي خاصة إلى أربعمائة جَمَل، فما ظنك بما يليق بها من تجملاتي.

وحدث أبو الفضل بديع الزمان[٦] قال: لما أدخلني أبي إلى الصاحب بن عَبّاد، ووصلتُ إلى مجلسه، ووصلت[٧] الخدمة، فقال: يا بنيَّ، اقعد، كم تسجد؟ كأنك[٨] هُدْهُد.

---

(١) محمد بن محمد بن الحسن بن على بن رستم ، وكنيته أبو سعيد ، وهو من أبناء أصبهان ، وأهل بيوتاتها ، ومن شعراء العصر في الطبقة الكبرى. من يتيمة الدهر ٣١٩/٣ .

(٢) البيتان في مصادر الترجمة ، وهما من [الكامل] .

(٣) أي صاحب معاهد التنصيص .

(٤) كلمة "بن" غير موجودة في المعاهد .

(٥) في اليتيمة والمعاهد : "تاش" ، ويبدو أنه الصواب .

(٦) في اليتيمة ١٩٧/٣ والمعاهد ١١٦/٤ .

(٧) في اليتيمة والمعاهد : "واصلت الخدمة بتقبيل الأرض" ، وهذا يتم به القول والسياق الآتي .

(٨) في نسخة الأصل م والنسخة د : "كأنني" ، والتصحيح من اليتيمة .

ووقع[1] في رقعة رجل يطلب العمل والتصرف: التصرف لا يُلتمس بالتكفف إن احتجنا إليك صَرَّفناك، وإلا صَرَفناك.

وقال الثعالبي[2] : إن الصاحب بن عباد وقّع في رقعة بنقطة، وفي الأخرى بألف، وذلك أن بعض الفضلاء العفاة التمس منه شيئا، ثم كتب في آخر الرقعة: فإن رأى مولاي ذلك فعل. فوقّع قبل "فعل" ألفا، فصار "أفعل"، فخرج التوقيع، ولم يشعر به، ثم عاد إلى الصاحب، فقال له: قد وقعت، ففطن لذلك[3].

وأما النقطة فإنه وضعها [٣١٢/ظ] في رقعة على لفظة "يفعل" فنقط الياء من فوقها. فصارت نوناً.

ورفع إليه بعضهم أن رجلا غريب الوجه يدخل داره، ويتلطّف لاستراق السمع فوقّع فيها[4]: دارنا هذه خان يدخلها من وَفَى[5] ومَن خَان.

وحكى أبو منصور الربيع قال[6]: دخلتُ يوما على الصاحب بن عباد، وطاولته الحديث، فلما أردتُ القيام قلت: لعلى طوّلتُ، فقال: بل تطوّلتَ.

وحكى الهمداني قال: واحد[7] من الفقهاء يعرف بابن الحُصيري[8] يحضر مجلس الصاحب بالليالي، فَغَلَبته عينه مرة وخرَجت منه ريح لها صوت، فخَجل وانقطَعَ عن المجلس،

(١) في اليتيمة ٢٠١/٣ .

(٢) في اليتيمة ١٩٩/٣ ، والمعاهد ١٢٠/٤ بتصرف .

(٣) في نسخة الأصل م : "ذلك" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٤) في اليتيمة ٢٠١/٣ .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "ووقى" ، وهو تصحيف ، والتصحيح من اليتيمة .

(٦) في المعاهد ١١٧/٤ .

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د هكذا "واحد"، ويبدو أن الأحسن "هناك واحد"، وفي اليتيمة "كان واحد".

(٨) في اليتيمة "الخضيري" ، وفى المعاهد "الخطيري" .

فأرسلَ إليه الصاحب[١]:

يَا ابْنَ الحُصَيْرِيّ لاَ تَذْهبْ عَلَى خَجَلٍ لِحَادِثٍ كَانَ مِثْلَ النَّاي وَالْعُودِ

فَإِنَّمَا الرِّيحُ لاَ تَسْطِيعُ تَحْبِسَهَا إِذْ أَنْتَ لَسْتَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدِ

وحكى أبو الفتح أن الصاحب بن عباد دارى[٢] أحد ندمائه بتغير الوجه فقال له: ما الذي بك؟ فقال: حما[٣]، فقال الصاحب: قَهْ، فقال النديم: وَه[٤]، فاستحسن الصاحب منه ذلك، وخَلع عليه، ولقد أحسن الصاحب في تعقيب لفظة "حما" فيما صارت به "حماقة" ، وتلطف النديم بما جعله "قهوة" ، وهكذا فلتكن مداعبة الأذكياء الندماء .

---

(١) البيتان في المصدر السابق ، وفي ديوان الصاحب ٢١٧ ، وهما من [البسيط] .

(٢) كذا جاء القول في المخطوطتين م ، د ويبدو أن الصواب : رأى أحد ندمائه متغير الوجه" .

(٣) رسمت الكلمة في نسخة الأصل م والنسخة د هكذا "حَمَى" .

(٤) في اليتيمة ١٩٧/٣ : "يعنى القهوة" .

وله رسائل بديعة، وديوان شعر، أحسن فيه منه قوله يرثي كثير بن أحمد الوزير[1]:

يَقُولُــونَ لِي أَوْدَى كَثِــيرُ بْــنُ أَحْمَــدٍ وَذَلِـــــكَ رُزْءٌ فِي الْأَنَامِ جَلِيــــــلُ

فَقُلْــتُ دَعُــونِي وَالْعُــلاَ نَبْكِــهِ مَعًــا فَمِثْــــلُ كَثِــــيرٍ فِي الْأَنَامِ قَلِيــــلُ

حكى[2] القاضي أبو جعفر عن الحاكم بن سعيد قال: سمعت الشاعر [٣١٣/و] الأوسي يقول: مدحت الصاحب بن عباد بقصيدة، وكنتُ أنشدها بين يديه، منها[3]:

لَمَّــا رَكِبْــتُ إِلَيْــكَ مُهْــرِي نَعَلْتُــهُ بَــدْرَ السَّــمَا وَسَمَّرْتُــهُ بِالْكَوَاكِــبِ

قال لي الصاحب: لِمَ أَنثت المهر، وهو مذكر؟، ولِمَ شبهتَ النعل بالبدر، وهو لا يشبهه؟ ولو شبهته بالهلال لكان أحسن؛ لأنه على هيئته وصورته، قال: أما تأنيث المهر فإني عنيتُ المهرة ، وأما تشبيه النعل فلأني أردت النعل المطبقة. ونوادر الصاحب كثيرة، ولطائفه مستفيضة غزيرة.

وممن اشتهر من الوزراء في الأدب، وحاز الفصاحة، ففاقَ فيها بُلغاء العرب الوزير فخر الدين بن مكانس[4]، من رقة كلامه[5] الذي يربو على السحر، وغمزات اللحاظ النواعس، فمما اخترعه من بنات الأفكار، وداعبَ به الأدباء، فكانت له نشوة تفوق العقار: ما كتبه بدر الدين البشتكيّ ، وقد كان بمجلس أُنس في الروضة أيام وفاء النيل، فكتب إليه يداعبه بهذه الرسالة، وهي[6]: بلغني رَفَع الله قَدْرك على السِّماك، وأعلى محِلَّكَ وأسْمَاكَ،

(١) ديوان الصاحب بن عباد ١٧٦ و ١٧٧ وفيه تخريجهما ، وهما من [الطويل] .

(٢) لم أعثر على هذه الحكاية .

(٣) [كذا] جاء البيت في نسخة الأصل م والنسخة د ، ووزنه، مضطرب، ولم أعثر عليه.

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) في النسخة د : "من رقة كلامه تربو" .

(٦) لم أعثر على هذه الرسالة .

وأجرى سعد أمرك في نهر السماء وبحور[1] الأرض الأفلاك، ولا زالت همم نظمك البدرية ونثرك تعلو على النثرة، وفتكات عزائمك الملكوتية تسمو إلى صيد نسر السماء من وكره، وحوتها من المجرة، ولا برحت تصرف حروف المحاسن فتخدمك من كل محجر عين، ومن كل جانب ثون[2]، ولا فتئت تجمع شمل المعاني إلى أن يفترق الفَرْقَدان ، ويجتمع الضَّب والنُّون ، ويغدو سهيل في السماء مصادف الثريا ، ويصبو الحوت للسرطان [٣١٣/ظ] أن مولانا مع جماله خلافا للمعرى أقلق السابح في لجه وراع[3] كل حوت حتى حوت الأرض في تخومه ، وحوت السماء في برجه ، وجاور دواب البحر فكان لهم بئس الجار بطعمه الذي أقامه في الحلية مقام بنجه[4]، وأنه شد وسطه إلى الصيد وكان من الحزم، وأرسل آلة صيده إلى الأحمر والأسود من أمم البحر ، فعادت عَود أولى العَزْم ، ثم قَعد بعد ذلك مولانا للصيد بالمرصاد ، وأطاعته حروف النص ، فكلما تلا[5] لسان البحر نون[6] تلا لسان العزم صاد، وهى السعادة في السماك ، فلو تشاء لطعنت منها رامحا بالأعزل ، فمن ذلك صيد الحوت الذي قدم من أقصى النيل ، فياله من سفر بعيد ، وورد مع التيار السريع في البحر المديد ، فأوى إلى الشط طالبا غَدَاه إذ لقي من سفره هذا نَصَبا ، وركن إلى البر فليته لوعقه واتخذ سبيله في البحر سَرَبا ، ولم يعلم أن سيدنا وضع الحبل ، وجعله لصيده معنى وصوره سَبَبا، فاخترمته يَد المنِيّة باعوجاج السنارة التي نَصَبها لدواب البحر فخًّا للقهر، والضعيفة التي تعامل أقوياء السمك في أعظم البحور السائلة بالنهر، وكان هذا المسكين من صالحي الأسماك الذي أفنى الأيام سَبْحا

---

(١) [كذا] في نسخة الأصل م والنسخة د .

(٢) لم أقف على معناها، ولعلها محرفة "قين" فيكون الكلام:"ويخدمه مِنْ كُلِّ جَانِبٍ قَيْنٌ" على معنى أن القين: الخادم. ولعل هذا يتناسب مع السجعة، قبلها في كلمة :"عين".

(٣) في النسخة د : "وداع" .

(٤) [كذا] في نسخة الأصل م ، وفي النسخة د : "ببخه" ، ولم أقف على المقصود بها في النسختين.

(٥) في نسخة الأصل م رسمت هذه الكلمة هكذا "تلي" .

(٦) سقطت كلمة "نون" من النسخة د .

طويلا ، فساح وأتى يقبّل جدارًا حلَّ فيه قدم مولانا وبركته ، فجازاه مجازاة التمساح، أو كأنه لجأ إلى البرّ هربا من عوارض الأمواج ، وأمن بمجاورته ، فأُخذ من مأمنه، وخاب أمله من لاج فسبح بعد بحار الأمن [٣١٤/و] إلى بحار[١] المنُون في لجج، وقالت له الحيتان، إذا أعماك القضاء عن رشدك حدِّثْ عن البحر ولا حرج، وكان ظنه أن عَوْمه في البحر ينجيه، فكان حَتْفه في ذلك العوم، وعلى الجملة فقد آن أجلُه، ولو أوى إلى جبل لقيل له: لا عَاِصم اليوم، فأنت به حوتاً[٢] يلوح بياضه بين هضاب الموج كالبدر من سُجُفِ الغَمام، وتبدو عليه مَهابة تشعر أنه من نَسل حوت يُونس عليه السلام ، فأعيذ هذا الحوت بالنون ، وصائده الكاتب الأديب بالقلم وما يَسْطرون ، فلقد ظفر بما لم يظفر له الحَواريون في شِباكهم المشتبكة ، ووقع له ما لو وقع لابن صيّاد لتطاول عجبا ، (وانتفخ حتى) [٣] ملأ[٤] الشبكة ، وحصل به للجماعة من السرور ما لا يحصل بوفاء النيل ، وشاهدوا من جزله العظيمة كل خير جزيل، ومنحوا من سنِّه وعظمه بالجوهر النقي وأنياب الفيل ، وأرخصوه للقِرَى بعد أن أمسى في القدور يغلى وقلوه فطاب مأكلا ، وإن كان مما يُقلَى ، ونوعوه محلّى وحامضا، فالمحلّى جعلوه نقلا على الكؤوس حين تُجلَى، وفازوا على رأس ابن حزم، وإن لم يكن من أصحاب الرأس بالمحلى والمجلى، والحامض فقطعوا عند أكله بالذوق أن ذلك الحوت من لا محالة. وقال آخرون بل هو هالة؛ لتناسب البدر والهالة، وحملوا به الموائد، وحكموا الصائد بالتقدم على الضفدع الأديب في مصايد الشوارد، وقدموه على ما عندهم من طري وبايت، وأكلوه من ساعته كيلا يندموا [٣١٤/ظ] على فايت قائلين لا تؤخروه وللتأخير آفات ولا تبيتوه، فكل ما بات فات، وبادروا طراوته لعلمهم أن أطيب ما يؤكل من السمك الطريّ، واستطابوه

---

(١) في النسخة د : "من بحار" ، وهو خطأ .

(٢) في النسخة د : "حورا" .

(٣) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسخة د .

(٤) في نسخة الأصل م : "وامتلأ حتى ملأ" ، واعتمدت ما في النسخة د .

ضرورة، ولا خلاف أن □ائد الحوت أكثر تلذذ بأكله من المشترى، هذا وأما الأسماك فقد نادى مناديهم في ذلك الشط بالرحيل، وقال أديبهم للبنية – مصحِّفا – يا بُثينة ليس المقام هنا جميل[١]، فكم فرخٍ حال[٢] وكرُه هناك وشال، وكم سمكةٍ ضرجت فاها[٣] وقطعت الحبال، وكم طائفةٍ من رشادها فرت إلى البرور الخالية من الصياد ، وكم طائفةٍ تخلفت فوقعت في الشِّباك، فقيل: ضلّت عن سبيل الرشاد، وكم طائفةٍ أسرعت إلى رؤوس الجبال الحركة، وكذبت العروضيين في قولهم: (لم)[٤] أر على رأس جبل سمكة، وكم سمكة قال لفراخها: اهجروا ماءكم ومأواكم كما هجروا مأوى[٥]، وأخلوا هذه الديار وإن أعشبت وابتغوا □ائب الرأي، ومن[٦] عمل إلى عمق البحر لجاه، وسارت به سفينة عزمه في موج كالجبال، وكان سبب النجاة، وتوا□لوا لما رأوا طغيان الماء أن لا يأوي إلى البرور، وتحققوا أن الطوفان لما فار على أخيهم المصاب التنور، وكم قائل الحمد لله الذي قطع عنا آثار هذا النون العظيم، وأزال عينه، وقائلة سبحان من أراح ضعفاء السمك من هذا الجبار، وفرق بينهم وبينه، فشكرا إذ غدا مولانا شيخ البحر والبر، وأضحى في نسكه [٣١٥/و] ابن السماك[٧]، وفي □دق حديثه أبا ذر،

---

(١) [كذا] جاءت كلمة "جميل" في نسخة الأ□ل م والنسخة د .

(٢) في النسخة د : "حوله" .

(٣) في النسخة د : "فافا" .

(٤) ما بين الرقمين ساقط من نسخة الأ□ل م ، واعتمدته من النسخة د .

(٥) [كذا] في نسخة الأ□ل م ، والنسخة د .

(٦) [كذا] جاء القول في نسخة الأ□ل م ، والنسخة د .

(٧) "ابن السماك أبو العباس محمد بن □بيح المذكر مولى بني عجل، المعروف بابن السماك القاص الكوفي الزاهد المشهور؛ كان زاهداً عابداً حسن الكلام □احب مواعظ، جمع كلامه وحفظ،ولقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم: مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما. وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة، رحمه الله تعالى. والسماك:بفتح السين المهملة والميم المشددة وبعد الألف كاف، هذه النسبة إلى بيع السمك و□يده" وفيات = = الأعيان٣٠٢/٤، ترجمته في حلية الأولياء ٨: ٢٠٣ و□فة الصفوة ٣: ١٠٥ واللباب (السماك) وطبقات المعتزلة: ٤٢ والوافي ٣: ١٥٨ وعبر الذهبي ١: ٢٨٧ والشذرات ١: ٣٠٣ وتاريخ بغداد ٥: ٣٦٥..

وأمسى ضرع البلاغة مسخرا له، فإن جمع(١) لغيره أو أبي در(٢). أحياه الله بدرا(٣) يشرق في سماء المعالي، ويحلى أجياد الفصاحة من نظمه ونثره بالجواهر واللآلي، وجمّل به السماء كما جمّل به الأرض، ولا جعله كأدباء هذا الزمان الذي يأكل بعضهم بالغيبة لحم بعض.

ومن لطيف مبتدعاته، وعجيب مخترعاته هذه الرسالة التي كتبها في شخص يلقب بسقيط ، وهي(٤) : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد حمد الله المتطول بحلمه ، المستبد بحكمه ، الذي لا تسقط ذرة إلا بعلمه ، الآمر بالسعي في مناكب الأرض ، ليغنى من رزقه شَبَعَاً ورِيَّاً، القائل: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾(٥)، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي سقطت الأ□نام يوم ميلاده ، وبعثه الله رحمة لعباده وبلاده، الذي أسقط شطط التكاليف عن المؤمنين ، وردّ الصلاة إلى خمس بعد خمسين، × ما(٦) سقط ورق على شجره ، وعلى آله و□حبه جمال الدهر وغدره، وبعد، فإن كلام الرجل دليل عقله، ولسانه ترجمان علمه وجهله، وإنني ما زلت منذ أُلهمتُ رشدي، وبلغتُ أشدّى مولعا بفنون الأدب، مشمرا عن ساعد الاجتهاد والطلب أهاجر إلى أبواب الأدباء والعلماء، وأغشى منازلهم، كما يغشى الطير منازل الكرماء، وأنا مشغوف بمحبتهم كالدّنِفِ الصَّبّ، وأهرع إليهم، كما يسقط الطير حيث يلتقط الحب، [٣١٥/ظ] أجوب على الاجتماع بهم البلاد، وأبذل وأُذهب في لقائهم الطارف والتلاد؛ حر□ا على مسألة أضبطها، وفائدة تسقط منهم فألقطها بحسب فهمي، وما يصل إليه مبلغ علمي ، فإن لكل ساقطة لاقطة ، ولكل جامحة

(١) [كذا] جاء القول في نسخة الأ□ل م ، والنسخة د ، ومعناه: أن ضرع البلاغة يأبى أن يدر لغيره، و□حة در أن تأتي منصوبة على المفعولية، فيقال :"دراً" ولكن المفعول به المنصوب المنون يجوز الوقوف فيه على السكون بقلة.

(٢) في النسخة د : "ددر" .

(٣) في نسخة الأ□ل م : "بدا" ، وهو خطأ من الناسخ ، والتصحيح من النسخة د .

(٤) لم أعثر على هذه الرسالة .

(٥) سورة مريم، الآية: (٢٥).

(٦) في نسخة الأ□ل م : "وما" ، ولا معنى لهذه الواو ، واعتمدت ما في النسخة د .

ضابطة ، إلى أن حمت حول حماهم الخصيب ، ومنحتني[١] ملاحظتهم ببعض نصيب ، فحملت الحملة ، ولم تدعني عنايتهم ساقطا من الحملة ، وأنا مصرٌّ على الحرص والاجتهاد ، باقٍ[٢] على حسن الظن والاعتقاد ، فاتفق اجتماعي في يوم سقطت أنواؤه ، وحجبت بأجنحة الفواخت سماؤه ، بشخص عليه جلابيب[٣] النبلاء ، ودعواه دعوى الفضلاء ، فقلت : هذا يوم اكتساب الفضائل ، والتقاط ما يسقط من هذا الخيْر من فرائد المسائل ، ورأيتها طلعة تشعر بالفائدة ، ولحية تدل على انتهاز الفر□ة من الغنيمة الباردة ، وكان في النفس حزازات من تفسير آيات في القرآن الكريم ، وكلمات من أحاديث النبي[٤] ×، وعليه أفضل الصلاة والتسليم، ومعاني أمثال عربية، ومشكلات من مسائل حكمية ، ونكت في أبيات أدبية ، فقلت : أسأله عنها لعله يزيل ما عندي منها، ولكن السؤال قبل أن أبدى له قولا عن ترجمة الرجل وعلومه أولى ، فسألت بعض الجماعة عن شُهرته ، واسمه وعن نسبته وعلمه ، ولم أدرِ أن أ□حابه به يهزؤون ، وعليه يضحكون ، فقالت الجماعة : هذا الذي [٣١٦/و] تُشد إليه الرحال ، وترقد عن مصادمته في الدروس الأبطال ، هذا النقمة على المبتدع والحلولي ، هذا المولى شهاب[٥] الدين أحمد ابن المتولي ، هذا الذي يغنى عن تحديده الشهرة ، وإن كان مشهورا بسقيط ، فما هو مما يدل على سقوط القدر والقدرة ، وإنما اشتقاقه من سقيط الدر الذي وَهَى به الإفراط ، وكأنه المعنى بقولهم : يوجد في الإسقاط ما لا يوجد في الأسفاط[٦] ، رأيت أن السؤال عن اشتقاق لقبه أدل في جوابه على غزارة علمه ، ومواد أدبه فاستأذنت في السؤال فقال : قل ما شئت ، وسل عما بدا لك ، ولو عن رموز

(١) في النسخة د : "ومنحتين" [كذا] .

(٢) في النسخة د : "وباق" .

(٣) في النسخة د : "جلابيبه" .

(٤) في النسخة د : "النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم" .

(٥) في نسخة الأ□ل م : "شهاد" واعتمدت ما في النسخة د ، ولم أعثر لشهاب الدين هذا على ترجمة.

(٦) الأسفاط جمع سَفَط وهو الجوالق . اللسان في [سفط] .

حف شيث ، فقلت : ما حجة الفلاسفة الإسلاميين القائلين بالعلم الكلى والجزئي في قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ ﴾[1] ، وفيمن نزل قوله تعالى في الأعراف: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ ﴾[2]، وقوله تعالى في التوبة: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3] ، وما سبب نزول قوله تعالى في الإسراء : ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ﴾[4][5]، ومن قيلت له ، ومن قالها : وقوله تعالى: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[6] ، وهذه الآية الكريمة في سورة الطور: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾[7] حكاية عمن ولمن ، وفيمن نزلت هذه الآية [٣١٦/ظ] في سورة سبأ : ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾[8]، ولم أذكر كل آية من أي سورة إلا ليسهل عليك الكشف ، لتعلم سياق الآية ومناسبتها لما قبلها وما بعدها ؛ ليعينك ذلك على التفسير ، وأنا أسألك في هذه الآيات الكريمة عن أسباب النزول والإعراب ، وذِكرِ مذاهب الناس ، وأقوال النحاة والمفسرين واللغة والمعاني والبديع ، وما في مشكل الألفاظ من التصريف ، وما وازن اللفظ من الأفعال والمصادر ، وما تصريفها ، وما فاؤها وما عينها وما لامها ، فقال : على الخبير وقعت ، وبها سقطت ، ثم الخطاب ، وخذ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (٥٩).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٤٩).

(٣) سورة التوبة، الآية: (٤٩).

(٤) سورة الإسراء، الآية: (٩٢).

(٥) سقطت كلمة "قبيلا" من نسخة الأصل م.

(٦) سورة الشعراء، الآية: (١٨٧).

(٧) سورة الطور، الآية: (٤٤).

(٨) سورة سبأ، الآية: (٩).

الجواب ، فقلت : ما مذهبك في مسألة سقوط يد السارق ، وكذلك ما يسقط الدية عن القاتل ، وما يسقط الزكاة ، وما في ذلك من الأقوال والطرق والوجوه ، وما هو مستخرج من الكتاب والسنة ، وما هو مستنبط بالاجتهاد والقياس ، وما في ذلك من الحكم والتعليل ، وما تعليل الحكم . وأخبرني أسقط الله تكاليفك وهمومك ما قال النحاة في سقوط التنوين بماذا ؟ وما آلة التعريف ؟ هل هي آل أو اللام خاصة أو أل؟ فإن الحريري يقول في "المِلْحة": وقال قوم: إنها اللام فقط إذ ألف الوصل متى يدرج سقط، فمن قال ذلك؟ ومن خالفه؟ وما معنى قولهم: هي مسقط رأسي؟ وما معنى تسمية أبي العلاء المعري ديوانه "بسِقْطِ الزَّنْدِ"؟ وما بين هذا الاسم والشعر من النسبة؟ وما معنى قولهم: فلان [٣١٧/و] سقط نجمه؟ هل ذلك حقيقة أم استعارة لمن أصيب بمحنة؟ فإن الحديث يرجح الثاني. وأخبرني عما يسقط من النجوم، أَكُلَّما سَقَطَ وجم أو رجم[١] وغيره؟، وهل كان نجم يسقط قبل البعثة؟ فإن سقط فلأيِّ شيء؟ إذا[٢] لم يكن لاستراق. وعرِّفني عن قولهم لمن مات سقط، أي عربية صحيحة أم اصطلاحية. وأفدنا ما جهل الراسخون ما يكتب بالصاد خاصة، فإنه إذا صحت المودة سقطت شروط التكليف. وأخبرني من القائل حين بويع عليّ وددت أن هذه سقطت على هذه، يعنى السماء على الأرض، فإن أبا الهذيل[٣] شيخ المعتزلة ذكر ذلك في رسالة طويلة لا

---

(١) في النسخة د : "وحم أو رحم" بالحاء المهملة فيهما .

(٢) في نسخة الأصل م "إذ" بحذف الألف من آخر اللفظ ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٣) "أبو الهذيل العلاف أبو الهذيل محمد الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، المعروف المتكلم؛كان شيخ البصريين في الاعتزال، ومن أكبر علمائهم، وهو صاحب مقالات في مذهبهم ومجالس ومناظرات، وهو مولى عبد القيس. وكان حسن الجدال قوي الحجة كثير الاستعمال للأدلة والإلزامات. ...وكانت ولادة أبي الهذيل سنة إحدى – وقيل أربع، وقيل خمس–وثلاثين ومائة. وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين بسر من رأى؛ وقال الخطيب البغدادي توفي سنة ست وعشرين، وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب: إنه توفي سنة سبع وعشرين ومائتين، رحمه الله تعالى، وكان قد كف بصره وخرف في آخر عمره، إلا أنه كان لا يذهب عليه شيء من الأصول، لكنه ضعف عن مناهضة المناظرين وحجاج المخالفين، وضعف خاطره." وفيات الأعيان ٢٦٥/٤، وترجمته في تاريخ بغداد٣:٣٦٦ ومواضع متفرقة من مقالات الإسلاميين والفرق بين الفرق ومختصره، ومروج الذهب ٢: ٢٩٨

يجوز روايتها، وما عندك من حكاية الشهود الثلاثة الذين أُسقطوا عند شهادتهم بالزنا على المغيرة بن شُعبة؟ وأخبرني متى سقط هاروت وماروت؟ وما قصتهما ؟ وقصة الطائرين الخُضر(١) الذَين سقطا(٢) بسرنديب أيام الفطحل، حيث كانت الحجارة رطبة، وإذ كل شيء ينطق، وما كان أمرهما؟ واكشف عنا ما نحن فيه من الحيرة بسب سقوط النساء، وما عندك من كلام حذاق الأطباء فيه؟ وما تعلم من أسباب سقوط الخَورنق، وقصة سِنمَّار، وسقوط سدير وقصر شداد والأبلق.

وقد اقتصرتُ منها على هذا المقدار، وما ذكرته إلا ليَعلمَ الناظرُ فيه سعة اطلاع هذا البليغ، وطول باعه وفضله. انتهى.

ومن مشاهير الوزراء [٣١٧/ظ] البلغاء: ذو الوزارتين الكاتب المجيد البليغ المفيد ، الناظم الناثر اللَّسِنُ أبو الوليد(٣) أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن غالب بن زَيْدون المخُزومي الأندلسي القُرطبي، وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقُرطبة، برع أدبه، وجاد(٤) شعره، وعلا شأنه، وانطلق لسانه، ثم إنه انتقل من قرطبة إلى المعتضد بن عباد صاحب إشْبيلية في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، فجعله من خَواصه، وصار يجالسه في خلوته ، ويعمل بإشارته، وكان معه في صورة وزيره، وكان أولا قد انقطع لابن جَهْوَر أحد ملوك الطوائف المتغلبين بالأندلس، فخف عليه، وتمكّن منه، واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الأندلس، فأعجب القوم به، وتمنوْا ميله إليهم؛ لبراعته وحسن سيرته، فاتفق أن نقم ابن جَهور على ابن

وأمالي المرتضى ١: ١٧٨ والانتصار:١٧٩ وطبقات المعتزلة: ٤٤ ونكت الهميان: ١٧٧ والشذرات ٢: ٨٥ ولسان الميزان ٥: ٤١٣ وروضات الجنات: ١٥٨.

(١) [كذا] في نسخة الأصل م والنسخة د ، ويبدو لي أن الأصل "الأخضرين" .

(٢) في نسخة الأصل م "سقط" بالإفراد ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٣) هذه الترجمة تكاد تكون بالنص من وفيات الأعيان ١٣٩/١ وما بعدها .

(٤) في نسخة الأصل م "وجار" ، وما في النسخة د يوافق وفيات الأعيان .

زَيدون فحبَسه، فاستعطفه ابن زيدون بالرسالة المشهورة ، فما أجدى شيئا، ففر من محبسه لما أعياه الخطْب، فاتصل بابن عباد، فلم يزل عنده وعند ابنه المعتمد قائم الجاه، وافر الحُرمة إلى أن توفى بإشبيلية سنة ٤٦٣، (١) وكانت وفاته بالبيرة، وحُمل إلى قُرْطُبَةَ، ودفن بها، ومولده سنة ٣٥٤(٢)، وكان يخضب بالسواد، وكان له ولد يقال له: أبو بكر، تولى وزارة المعتمد، وقُتل يوم أخذ يوسف بن تَاشفين قُرطبة من بني عَبّاد – رحمهم الله تعالى – وكانت غالب أشعاره في معشوقته وَلاّدة ، فإنه كان يحبها حبا شديدا، وولاّدة(٣) كانت من بنات الأمويين المنسوبين [٣١٨/و] إلى عبد الرحمن بن الحَكَم المعروف بالداخل من بنى أُمية، أبوها المستكفى بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن، ولما زَالَت دولتهم بعد قَتْل أبيها وتغلُّب ملوك الطوائف على ملكهم ابتُذل حِجابُها، فصارت تجلس للشعراء والكتّاب، وتشاعِرُهُم، وتُحاضِرُهُم ، ويتَعَشَّقُها الكُبَرَاءُ منهم ، وكانت في نساء بني (٤)أمية كعُلَيَّة (٥) في نساء بني العباس، ولكن

---

(١) خلط المؤلف هنا بين ابن زيدون وبين والده، فقد قيل في وفيات الأعيان ١٤١/١ : "وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة أباه وأثنى عليه، وقال: كان يكنى أبا بكر، وتوفى بالبيرة سنة خمس وأربعمائة، وسيق إلى قرطبة فدفن بها يوم الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر من السنة، وكانت ولادته سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وكان يخضب بالسواد" فهذا الجزء خاص بوالد ابن زيدون فأشكل الأمر على المؤلف. قال محقق الوفيات: لابن زيدون ترجمة في الذخيرة ١/١: ٢٨٩ والقلائد: ٧٠ والمغرب ١: ٦٣ والجذوة: ١٢١ والمطرب: ١٦٤ وإعتاب الكتاب: ٢٠٧ والوافي ٧، الورقة: ٤٢ وقد نشر ديوانه عدة مرات آخرها بتحقيق الدكتور علي عبد العظيم (القاهرة: ١٩٥٧) وله في نفح الطيب أخبار وأشعار كثيرة.

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د "٣٥٣" والتصحيح من وفيات الأعيان .

(٣) هذه الترجمة مجمعة من المطرب من أشعار أهل المغرب ٨ ، ونفح الطيب ٢٠٥/٤ وفوات الوفيات ٢٥١/٤.

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسخة د .

(٥) العباسةُ (١٦٠ – ٢١٠ هـ = ٧٧٧ – ٨٢٥ م) عُلَيَّةُ بنت المهدي بن المنصور، من بني العباس: أخت هارون الرشيد. أديبة شاعرة، تحسن صناعة الغناء. من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن فضلا وعقلا وصيانة. كان أخوها إبراهيم ابن المهدي يأخذ الغناء عنها. وكان في جبهتها اتساع يشين وجهها فاتخذت عصابة مكللة بالجوهر، لتستر جبينها، وهي أول من اتخذها. قال الصولي: لا أعرف لخلفاء بني العباس بنتا مثلها. كانت أكثر أيام طهرها مشغولة بالصلاة ودرس القرآن ولزوم المحراب، فإذا لم تصل اشتغلت بلهوها. وكان أخوها الرشيد يبالغ في إكرامها

هذه تزيد بالجمال الفائق، والنوادر المعجبة، فمما كتَبت من نَظْمها لابن زَيدون في وقت رضائها عنه، وعدم امتناعها منه هذا الشعر(١) :

تَرَقَّـــبْ إِذَا جَـــاءَ الظَّـــلاَمُ زِيَارَتِي فَـــإِنِّي رأَيْـــتُ اللَّيْـــلَ أكْـــتمَ لِلسِّـــرِّ

فَـبِي مِنْـكَ مَـا لَـوْ كَـانَ بِالْبَـدْرِ لَمْ يُنِـرْ وَبِاللَّيْـلِ لَمْ يُظْلِـمْ وَبِالـنَّجْمِ لَمْ يَسْـرِ(٢)

وقولها فيه وهي غَضْبَى عليه(٣) :

إِنَّ ابْـــنَ زَيْـــدُونَ عَلَـــى فَضْـــلِهِ يَلْهَـــجُ بِي شَـــتْمًا وَلاَ ذَنْـــبَ لِي

يَلْحَظُـــــنِي شَـــــزْرًا إِذَا جِئْتُـــــهُ كَأَنَّمَـــا جِئْـــتُ لأِخْصـــي عَلِـــي

يعنى(٤) غلاما له يسمى عليّاً، وهذا الشعر قالته فيه حين اتهمها بموالاة الوزير ابن عامر بن عَبدوس، ومما يُنسب إليها أيضا(٥):

أَلْحَـــاظُكُمْ تَجْرَحُنَـــا فِي الْحَشَـــا وَلَحْظُنَـــا يَجْـــرَحُكُمْ فِي الْخُـــدُودْ

جُـــرْحٌ بِجُـــرْحٍ مَـــا جَعَلُـــوا ذَا بِـــذَا فَمَـــا الَّـــذِي أَوْجَـــبَ هَـــذَا الصُّـــدُودْ

ويجلسها معه على سريره وهي تأبى ذلك وتوفيه حقه. تزوجها موسى بن عيسى العباسي. الأعلام ٣٥/٥، ومعجم المؤلفين ٢٦٧/٧، وأعلام النساء، عمر رضا كحالة، ط الرابعة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، ٣٣٤/٣ – ٣٤٢، وفي المراجع المذكورة مصادر كثيرة لترجمتها.

(١) البيتان في المطرب من أشعار أهل المغرب ٩ ، ونفح الطيب ٢٠٦/٤ ، وهما من [الطويل] .

(٢) في النسخة د : "... ما لو كان بالبدر لم ين" .

(٣) البيتان من نفح الطيب ٢٠٦/٤ وفوات الوفيات ٢٥٣/٤ وهما من [السريع] ، وفي نسخة الأصل م : "وهي غضبانة" واعتمدت ما في النسخة د .

(٤) الأحسن "تعنى" بالمثناة الفوقية في أوله، أو يعنى قولُها ...

(٥) في المطرب٦ قيل إن أمة العزيز أنشدتهما، ولكن في النفح١٦٩/٤ و١٧٠نسبا إلى أمة العزيز وهما من السريع.

ولما سمع بها ابن عَبدوس هَامَ بحبها، وأرسل إليها امرأة تستميلها إليه، وتعدّد لها محاسنه ومَناقبه، وترغبها في التفرد بموا􀀀لته، فلما بلغ خبرها ابن زَيدون كتب هذه [٣١٨/ظ] الرسالة على لسانها جوابا لابن عبدوس، فبلغت منه كل مبلغ، واشتهر ذكرها في الآفاق، وأمسك ابن عبدوس عن التعرض لولاّدة إلى أن انتقل ابن زيدون إلى إشبيلية كما تقدم، وهذه الرسالة التي أرسلها له[١]: أما بعد، أيها المصاب بعقله، المؤبط[٢] بجهله، البيّن سقطُه، الفاحش غلطُه السادل ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره، الساقط سقوط الذباب على الشراب ، المتهافت تهافت الفَرَاش في الشهاب ، فإن العُجبَ أجرب[٣] ، ومعرفةُ المرءِ نفسه أ􀀀وب ، فإنك أرسلتني مستهديا من 􀀀لتي ما 􀀀فرت به يدُ[٤] أمثالك، مرسلا خليلتك مرتادة، مستعملا عشيقتك قَوادة، كاذبا[٥] على نفسك أنك ستنزل عنها إليّ، وتخلف بعدها عليّ :

وَلَسْــــــــتَ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّـــــــــةٍ دعَتْـــهُ لِمَـــا لَـــيْسَ بِالنَّائِـــلِ[٦]

ولا شك أنها قَلَتْك إذ لم[٧] تضنَّ بك[٨]، وقَلَتْك[٩] إذْ[١٠] لم تَغَرْ عليك، فإنها أعذرت

---

(١) الرسالة في ديوان ابن زيدون ٢٣٥ نقلا عن الذخيرة ونهاية الأرب .

(٢) في الرسالة في الديوان : "المورط" .

(٣) في الرسالة في الديوان : "فإن العجب أكذب" ، وهو المناسب للقول . وفي النسخة د : "أجذر" .

(٤) في الرسالة "أيدي" أمثالك .

(٥) في الرسالة "كاذبا نفسك" .

(٦) البيت للمتنبي، ديوانه بتحقيق د. عبد الوهاب عزام، وتقديم محمد السيد عيد، دار الجمهورية مصر ٢٠٠٦م ٢٢٥/٢ من التي أولها: إلامَ طَماعِيَةُ العاذِلِ وَلا رَأى في الحُبِّ لِلعاقِلِ* وهو من [المتقارب]. وفي النسخة الأ􀀀ل م :"..همة دنية"، وفي النسخة د :"... همة داعية"، وجاء البيت في 􀀀ورة النثر في النسختين.

(٧) في النسخة د : "إذ لم . ." .

(٨) في النسخة د : "تضربك" .

في السفارة لك، وما قصرت في النيابة لك، زاعمة(١) أن المروءة لفظ أنت معناه، والإنسانية جسم(٢) أنت جسده(٣) وهيولاه ، قاطعةً أنك انفردت بالجمال، واستأثرت بالكمال، واستعليت(٤) في مراتب الجلال ، واستوليت على محاسن الخلال ، حتى خِلْت(٥) أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه، وأن(٦) امرأة العزيز رأتك فَسَلَتْ عنه ، وأن قارون أ□اب بعض ما ملكت ، والنَّطِفُ(٧) عثر على ما [٣١٩/و] كنزت ، وكسرى حمل غاشيتك(٨) ، وقيصر رَعَى ماشيتك ، والإسكندر قتل دارا في طاعتك ، وأزدشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك ، والضّحاك استدعى(٩) مسالمتك ، وجذيمة(١٠) الأبرش تمنى منادمتك ، وبلقيس غايرت الزباء عليك ، وشيرين(١١) نافست بوران(١٢) فيك ، وأن مالك بن نُويرة(١٣) إنما أردف لك ، وعروة بن جعفر(١٤) إنما رحل لك ، وكليب بن ربيعة(١٥) إنما حمى

---

(٩) في نسخة الأ□ل م : "ملّتك" بإسقاط الواو ، واعتمدت ما في النسخة د لموافقة الرسالة .

(١٠) في نسخة الأ□ل م : "إذا لم" ، واعتمدت ما في النسخة د لموافقة الرسالة .

(١) في النسخة د : "زاحمة" .

(٢) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "والإنسان" ، والتصحيح من الرسالة .

(٣) في الرسالة : "جسمه" وهو الأحسن . وهيولاه : المادة التي يتكوّن منها .

(٤) هذه الجملة ليست في الرسالة ، ولكنها في مصادرها .

(٥) في الرسالة "خَيّلت" .

(٦) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "وأن امرأة العزيز رأتك فسالت عنك" ، والتصحيح من الرسالة .

(٧) في نسخة الأ□ل م : "والنطق" ، واعتمدت ما في النسخة د لموافقة الرسالة والنَّطِف : رجل من العرب كان فقيرا فاغتنى فضُرِب به المثل [من هامش الرسالة] .

(٨) الغاشية : السرج [من هامش الرسالة] .

(٩) في نسخة الأ□ل م : "استعدى عن مسالمتك" ، وفي النسخة د : "استدعى مسالمتك" ، والتصحيح من الرسالة.

(١٠) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "جذيمة بن . . ." والتصحيح من الرسالة . وجذيمة الأبرش كان ملكا على عرب الحيرة قبل الإسلام [من هامش الرسالة] .

(١١) شيرين زوجة أحد ملوك الفرس ، وهو أبرويز بن هرمز [من هامش الرسالة] .

(١٢) بوران : هي بنت أبرويز، تولت عرش فارس في زمن النبي (ﷺ) [من هامش الرسالة] .

(١٣) كان من فرسان العرب في الجاهلية. وأردف لك : الردف الجالس عن يمين الملك، وقد ينوب عن الملك في حال

المرعى بعزتك ، وجَسّاسا[1] إنما قتله بأنفتك ، وحاتما إنما جاد بوفرك[2]، ولقي الضيفان ببشرك ، والسَّموءل إنما وَفَىَ عن عهدك ، والأحنفَ إنما احتبي[3] في بُردك، وزيدَ بنَ مهلهل[4] إنما ركب بفخذيك ، والسُّليكَ بن السُّلكة إنما عَدا على رجليك ، وعامرَ بنَ مالك[5] إنما لاعب الأَسِنَّة بيديك ، وقيسَ بنَ زهير[6] إنما استعان بدهائك ، وإياسَ بنَ معاوية[7] إنما استضاء بمصباح ذكائك ، وسحبانَ[8] إنما تكلم بلسانك ، وعمرو ابنَ الأهتم[9] إنما سحر ببيانك ، والصلح[10] بين بكر وتغلب تَمَّ برسالتك ، والحَمَالات[11] بين عبس[12] وذبيان أُسْنِدت[13] (إلى كفالتك ، وأن احتيال هرم[14] لعلقمة وعامر حتى رضيا كان[15] عن إشارتك

غيبته [من هامش الرسالة] .

(١٤) هو عروة بن جعفر من بنى عامر بن صعصعة ، وكان يعرف بعروة الرحّال؛ لرحلته إلى الملوك، وكان عاقلا شهما، وهو من أرداف الملوك [من هامش الرسالة] .

(١٥) هو كليب بن ربيعة.. كان يحمي المراعي، فإذا مَرّ بمرعى قذف فيه جِرْوًا فيعوي لا يَرْعَى فيه أحدٌ [من هامش الرسالة بتصرف] .

(١) هو جساس بن مرة قاتل كليب لأنه قتل ناقة خالته، وهو صهر كليب؛ إذ هو أخو جليلة زوجة كليب.

(٢) الوفر المال الكثير .

(٣) احتبى بالثوب جمع به بين ساقيه وظهره .

(٤) هو مهلهل بن ربيعة أخو كليب.

(٥) هو عامر بن مالك بن جعفر بن صعصعة، ويعرف بملاعب الأسنة .

(٦) هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسيّ ، صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب داحس والغبراء .

(٧) هو إياس بن معاوية بن قرة المزني ، ولي قضاء البصرة ، كان صادق الفراسة، وضرب به المثل في الذكاء.

(٨) هو سحبان بن زفير بن إياس الوائليّ ، يضرب به المثل في الفصاحة والبيان .

(٩) هو عمرو بن الأهتم التميميّ ، كان من أكابر بنى تميم وشعرائهم وخطبائهم .

(١٠) في الرسالة : "وأن الصلح" ، وهو أحسن .

(١١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "والحاملات" ، والتصحيح من الرسالة . والحاملات الدِّيات .

(١٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "بين سعد . . ." والتصحيح من الرسالة .

(١٣) في نسخة الأصل م : "اشتدت" والتصحيح من الرسالة وفي النسخة د : "أشدت" .

(١٤) هو هرم بن قطبة بن سيار من بنى فزارة ، كان من حكماء العرب وقضاتهم ، وكان علاثة وعامر بن الطفيل قد تحاكما إليه ليحكم أيهما أفضل، فلم يفضل أحدهما على الآخر خشية الفتنة ، ولكن الشاعر الأعشى أوقع الفتنة

، وجوابَه لعُمَرَ وقد سأله أيهما كان يُنَفِّر وقع عن إشارتك[1]، وأن الحجاج تَقَلَّد العراق بجدك، وقتيبة[2] فتح ما وراء النهر بسعدك، والمهلب إنما أوهن[3] شوكة الأزارقة بيدك[4]، وأن هُرْمُسَ[5] أعطى بَلِينُوسَ[6] ما أخذ منك، وأفلاطون أورد على أرسطاليس ما نقل عنك ، وبطليموس سَوّى الأسطرلاب [٣١٩/ظ] بتدبيرك، ووضع الكرة بتقديرك[7]، وأَبِقْرَاطَ عَلِم العلل والأعراض بلطف حسك، وجالينوس عرف طبائع الحَشائش[8] بدقة حَدْسِك، وكلاهما

.

(١٥) في الرسالة : "كان ذاك" .

(١) في الرسالة : "عن إرادتك" ، ويحكى أن عمر سأل هرم بن قطبة بعد ذلك بسنين عن أيهما كان يفضل فقال: لو قلت الآن شيئا لعادت الفتنة . فأعجب عمر بهذا الجواب .

(٢) قتيبة بن مسلم أبو حفص قتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو بن الحصن بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن قضاعي بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الباهلي أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي لأنه كان أمير العراقين، وكل من كان يليهما كانت خراسان مضافة إليه.... لما مات الوليد في سنة ست وتسعين وتولى الأمر أخوه سليمان بن عبد الملك وكان يكره قتيبة لأمر يطول شرحه، فخاف منه قتيبة وخلع بيعة سليمان وخرج عليه وأظهر الخلاف، فلم يوافقه على ذلك أكثر الناس، وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان بن [قيس بن يوسف بن كلب بن عوف بن مالك بن غدانة واسم غدانة أشرس] وكنيه وكيع أبوالمطرف الغداني (١) عن رياسة بني تميم، فحقد وكيع عليه وسعى في تأليب الجند سرا وتقاعد عن قتيبة متمارضا، ثم خرج عليه وهو بفرغانة فقتله مع أحد عشر من أهله، وذلك في ذي الحجة سنة ست وتسعين للهجرة، وقيل سنة سبع وتسعين. ومولده سنة تسع وأربعين، وتولى خراسان تسع سنين وسبعة أشهر، هكذا قال السلامي في تاريخ ولاة خراسان وهو خلاف ما قيل أولا [وقال الطبري: تولى خراسان سنة ست وثمانين]. وفيات الأعيان ٨٦/٤.

(٣) في نسخة الأصل م : "أوهز" ، وفي النسخة د : "أوهى" ، واعتمدت ما في الرسالة .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "بجدك" ، واعتمدت ما في الرسالة لئلا تتكرر الكلمة مع حديث الحجاج .

(٥) هرمس : كان بزعم الصابئة أنه نبي مرسل ، وأنه إدريس عليه السلام ، ويسندون إليه شرائعهم .

(٦) بلينوس : هو الذي خلف هرمس ، وأخذ عنه العلوم والأسرار .

(٧) في الرسالة : "على تقديرك" .

(٨) في الرسالة :"الحسائش" بالسين المهملة ، وهو تصحيف .

قلدك (في)[١] العلاج، وسألك عن المزاج، واستوصفك تركيب الأعضا ، واستشارك في الداء والدواء، وأنك نهجتَ لأبي مَعْشر[٢] طريق القضاء ، وأعطيت النَّظَّام[٣] أصلا أدرك به الحقائق ، وجعلت للكِنْدي[٤] رسما استخرج به الدقائق ، وأن صناعةَ الألحان اختراعُك ، وتأليفَ الأوتار والأنقار توليدُك وابتداعُك ، وأن عبد الحميد بنَ يحيى[٥] بارى أقلامك ، وسهلَ ابنَ هارون[٦] مدوِّنُ كلامك، وعمرَو بن بحر[٧] مستمليك، ومالكَ بنَ أنس[٨] مستفتيك ، وأنك الذي أقام البراهين ، ووضع القوانين ، وحَدَّ الماهية[٩] ، وبيَّن الكيفية والكميّة ، وناظر في الجوهر[١٠] والعَرَض ، وميّز الصحة من المرض[١١] ، وفكّ المعمّى ، وفصل بين الاسم والمسمّى ، وضرَب[١٢] وقسَّم ، وعدَّل وقوّم ، وصنف الأسماء والأفعال ، وبوّب الظرف والحال ، وبيّن وأعرب ، ونفى وتعجب ، ووصل وقطع ، وثنَّى وجمع ، وأظهر وأضمر ، واستفهم وأخبر ، وأهمل[١٣] وقيّد ، وأرسل ، وأسند وبحث ونظر ، وتصفح الأديان ، ورجح بين مذهبي ماني[١٤]

(١) ما بين القوسين زيادة من الرسالة .

(٢) هو جعفر بن محمد بن عمر البلخى المنجم المشهور ، والمراد بحكم القضاء هو حكم المنجمين بتأثير الكواكب.

(٣) هو إبراهيم بن سيار ، من كبار المعتزلة ، وأصبح له مجموعة منهم تنسب إليه فيقال النظامية .

(٤) هو يعقوب بن إسحاق ، كان متبحرا في الحكمة اليونانية والفارسية والهندية .

(٥) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامرى ، كان كاتبا مجيدا ، ضرب به المثل في الكتابة .

(٦) هو سهل بن هارون ، من أهل نيسابور ، نزل البصرة فنُسب إليها ، كان متمكنا في البلاغة والحكمة .

(٧) هو عمرو بن بحر الجاحظ ، كان من أئمة المعتزلة ، وكان من أعلام اللغة والأدب .

(٨) هو مالك بن انس بن مالك . . التميمي إمام المدينة المنورة .

(٩) ماهية الشيء تصوره في الفكر ، ومعرفة ما هو ، والماهية والكيفية من اصطلاحات المناطقة .

(١٠) الجوهر : الجسم ، والعَرَض : الوصف والحال المتعاقب .

(١١) في نسخة الأصل م : "في المرض" ، وما في النسخة د يوافق الرسالة .

(١٢) في الرسالة : "وصرف" ، ويبدو أن ما هنا أوفق ؛ لأن الضرب والقسمة من أعمال الحساب .

(١٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وأهمل الحديث" بزيادة لفظ "الحديث" ، واعتمدت ما في الرسالة . والمقصود بالإهمال والتقييد هو إعجام الحروف وضبطها أو إهمال ذلك .

(١٤) مانى : كان راهبا بنجران ، يدين بنبوة المسيح ، ثم زنى فسقطت مكانته . وغيلان هو ابن يونس القدرى

وغيلان ، وأشار بذبح الجعد[(١)] ، وقتْل بشار ابن برد ، وأنك لو شئت خرقت العادات ، وخالفَت المعهودات ، فأحلتَ البحار عذْبة ، وأعدتَ السِّلام[(٢)] رطبة ، ونقلتَ غدا فصار أمسا ، وزدتَ في العنا□ر فكانت خَمْسَا ، وأنك المقول فيه[(٣)] : كل الصيد في جوف الفرا . شعر[(٤)] :

وَلَـــــــيْسَ لِلَّهِ بِمُسْـــــــــتَنْكَرٍ   أَنْ يَجْمَـعَ [٣٢٠/و] الْعَـالَمَ فِي وَاحِـدِ

(والمعنيُّ بقول أبي تمام)[(٥)]

فَلَـــو صَـــوَّرْتَ نَفْسَـــكَ لَمْ تَزِدْهَـــا   عَلَـى مَـا فِيـكَ مِـنْ شـرف الطِّبَـاعِ[(٦)]

وأنك المراد بقول أبي الطيب[(٧)] :

ذُكِـــــرَ ٱلأَنَامُ فَكَـــــانَ قَصِـــــيْدَةً   كُنْـتَ الْبَـدِيعَ الْفَـرْدَ مِـنْ أَبْيَاتِهَـا[(٨)]

فكدمت غيرَ مَكْدَم[(٩)] ، واسْتَسْمَنْتَ[(١٠)] ذا وَرَم ، ونفخت في غير ضَرَم ، ولم تَجِدْ[(١١)]

الدمشقي ، كان أول من تكلم في القَدَر وخلق القرآن الكريم .

(١) هو الجعد بن درهم مولى بنى الحكم ، كان معلم مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية فنسب إليه فيقال مروان الجعدى ، وكان يقول بخلق القرآن الكريم ، ثم قُتل في أخر أمره .

(٢) السِّلام بكسر السين : الحجارة .

(٣) في مجمع الأمثال ١١/٣ وهو يضرب للشيء المرْبى على غيره . والفرا : حمار الوحش .

(٤) البيت لأبى نواس في ديوانه ٤٥٤ ، وهو من [السريع] . وفي النسخة د : "وليس على الله" ، وهو خطأ في الوزن ، وفي الرسالة "ليس على الله" .

(٥) ما بين القوسين زيادة من الرسالة يتم بها السياق .

(٦) ديوان أبي تمام ٣٤٠/٢ وفي نسخة الأ□ل م والنسخة د : "فلو حورت" وهو تحريف ، والبيت من [الوافر] .

(٧) ديوان المتنبي ٢٣٥/١ والبيت من [الكامل] .

(٨) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "فكنّ قصيدة" ، والتصحيح من الديوان والرسالة .

(٩) الكدْم : العضّ بأدنى الفم ، والمكدم : موضع العضّ .

لريح مهزّا ، ولا لشفرة[1] محزّا ، بل رضيت من الغنيمة بالإياب ، وتمنيت الرجوع بخُفَّيْ حُنَين ، ونَخَرْتَ[2] وكفرتَ ، وعَبَسْتَ وبَسَرْتَ ، وأبدأت[3] وأعدتَ ، وأبرقتَ وأرعدَت ، وهممتُ ولم أفعل ، وكدتُ وليتني ، ولولا أن للجوار ذمَّةً ، وللضيافة حُرمةً ، لكان الجواب في قَذَال الدُّمُسْتُق[4] ، والنعل حاضرة[5] إن عادت العقرب ، والعقوبة ممكنة إن أ□رّ المذنب ، وهَبَها[6] لم تلاحظك بعين كليلة عن[7] عيوبك ، مِلْؤُها[8] حبيبُها، حَسَنٌ[9] فيها من تَوَدُّ ، وكانت إنما حلَّتك بحُلاك[10] ، ووسَمَتْكَ[11] بسيماك ، ولم تُعِرْكَ شهادة ، ولا تكلَّفتْ لك زيادة ، بل □دقت سِنَّ[12] بكرها فيما ذكرته عنك ، ووضعتِ الهِناء مواضع النَّقْب فيما

---

(١٠) في النسخة د : "واستشمنت" ، وهو تصحيف .

(١١) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "ولم تجر . . ." واعتمدت الرسالة .

(١) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "لسفرة" بالسين المهملة ، والتصحيح من الرسالة .

(٢) نخر : □وتّ من الأنف ، وأكثر ما يكون هذا عند الغضب .

(٣) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "وأبدلت" واعتمدت ما في الرسالة .

(٤) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "الدمشق" والتصحيح من الرسالة . يشير بذلك إلى جيش الروم الذي قاده الدمستق ، فهزمه سيف الدولة شر هزيمة ، والعبارة حَلٌّ لبيت المتنبي :

وكنت إذا كاتبته قبل هذه   **كتبت إليه في قذال الدمستق**

(٥) هذه العبارة حَلٌّ لبيت الفضل اللهبي :

إن عادت العقرب عدنا لها   **وكانت النعل لها حاضرة**

(٦) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "ووهبك" واعتمدت الرسالة .

(٧) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "من عيوبك" واعتمدت الرسالة .

(٨) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : رسمت الكلمة هكذا : "ملاها" واعتمدت الرسالة .

(٩) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "حسن ما فيها من قود" والتصحيح من الرسالة .

(١٠) في النسخة د : "بحلال" وما في نسخة الأ□ل م يوافق الرسالة .

(١١) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "وسمتك بسماك" والتصحيح من الرسالة .

(١٢) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "بسن" والتصحيح من الرسالة . وهذا مثل يضرب في الصدق ، وأ□له أن رجلا ساوم رجلا في بعير فقال : ما سنّه ؟ فأخبره بأنه بكر ، فكشف عنه فوجده □ادقا .

نسبتْهُ[١] إليك ، ولم تكن كاذبة فيما أثنت[٢] به عليك ، فالمعيدى[٣] تسمع به خير من أن تراه ، هجينُ القَذَال ، أرعن السِّبال ، طويل العنق والعِلاوة[٤] ، مفرط الحُمق والغباوة ، جافي الطبع ، سيِّئ الإجابة[٥] والسمع ، بغيض الهيئة ، سخيف الذهاب والجيئة ، ظاهر الوسواس ، منتنُ الأنفاس ، كثير المعايب ، مشهور المثالب ، كلامك تَمْتَمة ، وحديثك غَمْغَمة ، وبيانك فَهْفَهة[٦] ، وضحكك قهقهة ، ومشيُك هَرْوَلة ، وغِنَاك[٧] مسألة ، ودِيُنك زندقة ، وعملك مَخْرقة[٨] ، مفرد :

[٣٢٠/ظ] مَسَاوٍ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْغَوَانِي　　　لَمَـــا أُمْهِـــرْنَ إلاَّ بِالطَّـــلاَقِ[٩]

حتى أن بَاقِلا[١٠] مو□وف[١١] بالبلاغة إذا قُرن بك ، وهَبَنَّقه[١٢] مستوجب اسم العقل إذا أضيف إليك ، وطُويسا[١٣] مأثور عنه يُمن الطائر إذا قيس عليك فوجودك[١٤] عدم،

---

(١) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "نسبت" واعتمدت الرسالة .

(٢) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "أثنيت" واعتمدت الرسالة .

(٣) هذا مثل جاء في مجمع الأمثال ٢٢٧/١ ويضرب لمن يكون خبره خيراً من رؤيته .

(٤) العلاوة : أعلى الرأس ، وقيل : أعلى العنق .

(٥) في الرسالة : "الجابة" وكلاهما بمعنى واحد .

(٦) في نسخة الأ□ل م : "قهقهة" وهو تصحيف .

(٧) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "غناؤك" واعتمدت الرسالة .

(٨) مخرقة : أي تحايل وغش .

(٩) البيت لأبي تمام في ديوانه ٤٠٧/٤ وهو من [الوافر]، وفيه "لما جُهِّزْن إلا . . " وفي نسخة الأ□ل م والنسخة د: "مساوئ" واعتمدت ما في الديوان والرسالة .

(١٠) هو عمرو بن ثعلبة الإيادى ، يضرب به المثل في العِيّ .

(١١) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "المو□وف" واعتمدت ما في الرسالة .

(١٢) هو يزيد بن ثروان أحد بنى قيس بن ثعلبة ويكنى بأبي الودعات؛ لأنه نظم وَدَعا لنفسه في سِلْك ، وجعل علامة له لئلا يضيع .

(١٣) هو عيسى بن عبد الله مولى بنى مخزوم ، كان مخنثا ماجنا ، وقد ضُرب به المثل في الشؤم ؛ لأنه وُلد يوم وفاة النبي

والاغتباط بك ندم ، والخيبة فيك ظفر ، والجنة معك سَقَر ، كيف رأيت لؤمَك لكرمي[١] كفاءً، وضِعتك[٢] لشرفي وفاءً[٣]، وأَنَّي جهلتَ أن الأشياء تنجذب إلى أشكالها، والطيرَ إنما تقع على أُلاَّفها ، وهلاَّ علمتَ أن الشرق والغرب لا يجتمعان ، وشعرتَ أن المؤمن والكافر لا يتقاربان ، وقلتَ : الخبيثَ والطيب لا يستويان ، وتمثلت:

أَيُّهَـــا الْمُـــنْكِحُ الثُّـــرَيَّا سُـــهَيْلاً   عَمْـــرَكَ اللهَ كَيْـــفَ يَجْتَمِعَـــانِ ؟ [٤]

وذكرت أني عِلْقٌ[٥] لا يباع ممن[٦] زاد ، وطائر لا يصيده مَن أراد ، وغرض لا يصيبه إلا مَن أجاد ، ما أحسبك إلا كنت قد تهيأت[٧] للترقية ، وترشحت للتهنئة ، ولولا[٨] أن جُرح العجماء جُبار للقيتَ من الكواعب ما لاقى يَسارٌ[٩] ، فما هَمَّ إلا ببعض ما هممت[١٠]

(×) ، وفطم يوم مات أبو بكر وخُتن يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان .

(١٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "فجودك" واعتمدت ما في الرسالة .

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "للكرماء كفوًا" واعتمدت ما في الرسالة ليناسب الآتي .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وصنعتك" واعتمدت ما في الرسالة .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "دفاء" والتصحيح من الرسالة .

(٤) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٥٠٣ وهو من [الخفيف] .

(٥) العِلْق : النفيس من كل شيء .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د : "فيما زاد" واعتمدت الرسالة .

(٧) في الرسالة : " . . . تهيأت للتهنئة وترشحت للترقية" .

(٨) في نسخة الأصل م والنسخة د : لولا" بإسقاط الواو، واعتمدت ما في الرسالة. وجرح العجماء جبار: حديث شريف والعجماء: البهيمة، والجُبَارُ: الدمُ الهَدْرُ، والمراد عدم القصاص في جرح البهيمة، وضرب به المثل لمن يستهان به .

(٩) في مجمع الأمثال ٢١٤/٢ في المثل "صبرا على مجامر الكرام" قيل : قال قوم : راود يسارُ الكواعب مولاته عن نفسها، فنهته، فلم ينته، فقالت: إني مبخرتك ببخور، فإن صبرت عليه طاوعتك، ثم أتته بمجمرة، فلما جعلتها تحته قبضت على مذاكيره فقطعتها وقالت: صبرا على مجامر الكرام، وقيل فيه قصة أخرى.

(١٠) في الرسالة : "إلا ببعض ما به هممت" .

، ولا تعرّضَ إلا لأيسر ما تعرّضتَ[١]. أين ادعاؤك رواية الأشعار ، وتعاطيك حفظ السير والأخبار[٢] ؟ أما ثَابَ إليك قول الشاعر[٣] :

بَنُـــو دَارِمٍ أَكْفَـــاؤُهُمْ آلُ مِسْـــمَعٍ وَتُـــنْكَحُ فِي أَكْفَائِهَـــا الْحَبِطَـــاتُ

وهَلاَّ عَشَّيْتَ[٤] ولم تَغْتَر ، وما أشك أن تكون وافد البراجم[٥] ، أو ترجع بصحيفة المتَلَمس[٦] ، أو أفعل بك ما فعله عقيل بن عُلَّفَةَ[٧] بالجهني حين أتاه خاطبا ، فدهن اسْته بزيت وأدناه من قرية النَّمل ، ومتى كثر تلاقينا ، واتصل ترائينا فيدعوني إليك ما دعا ابنة

---

(١) في الرسالة : "ما له تعرضت" .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "والأغيار" بالغين المعجمة ، والتصحيح من الرسالة .

(٣) البيت للفرزدق وقد شرحه البغدادي في الخزانة في آخر شرح الشاهد السابع والثلاثين بعد الثمانمائة، وهى في ديوانه، في مقطوعة من ثلاثة أبيات هي:

إِنِّي لَقاضٍ بَينَ حَيَّينِ أَصبَحا مَجالِسَ قَد ضاقَت بِها الحَلَقاتُ

بَنو مِسمَعٍ أَكفاؤُهُم آلُ دارِمٍ وَتَنكِحُ في أَكفائِها الحَبَطاتُ

وَلا يُدرِكُ الغاياتِ إِلّا جِيادُها وَلا تَستَطيعُ الجِلَّةُ البَكَراتُ

وهي من [الطويل] .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وهل لا عسيت ولم تفتر" ، والتصحيح من الرسالة وعشّيت : ترفقت .

(٥) كان عمرو بن هند قد توعّد بحرق مائة من بنى تميم بسبب قتْل أخيه ، فحرق منهم تسعة وتسعين ، فبينا هو يلتمس بقية المائة إذ مرّ رجل من البراجم فاشتم رائحة اللحم فظن أن الملك قد اتخذ طعاما ، فعدل إليه فقيل له: ممن أنت ؟ قال : من البراجم ، فألقى في النار ، وقيل : إن الشقي وافد البراجم .

(٦) صحيفة المتلمس : هي الصحيفة التي أعطاها له عمرو بن هند ليسلمها إلى عامله بالبحرين ، وأوهمه أنه يأمره بأن يعطيه صلة ، ولكنه في وسط الطريق أعطى الرسالة لطفل كي يعرفه ما فيها ، ولما عرف رماها ، ولم يذهب فنجا من الموت بخلاف طرفة الذي لم يصدقه ، فذهب فقتله عامل البحرين . والمتلمس هو جرير بن عبد المسيح ، أحد بنى صعصعة ، وهو خال طرفة بن العبد .

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د : "عقيل بن علقمة" ، والتصحيح من الرسالة ، وعقيل بن علفة كان رجلا جافى الطبع ، فيه خشونة ، وكان لا يرى أحد كفؤا له ، ولما خطب إليه الجهني إحدى بناته كتفه ودهن إسته بالزيت ، وأدناه من قرية النمل ، فآذته إيذاء شديدا .

الخُسّ[(١)] إلى [٣٢١/و] عبدها من طول السِّوَاد[(٢)] وقُرب الوساد ، وهل فقدت الأراقم[(٣)] فأنكح في جنب[(٤)]، أو عضلني[(٥)] همام بن مُرة فأقول : زوج من عُود[(٦)] خير من قُعود، ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت عن هذه الحِطّة ، ولا رضيت بهذه الخُطّة ، فالنار ولا العار ، والمنيّة ولا الدنيّة ، والحرة تجوع ولا تأكل بثدييها[(٧)] . مفرد :

فَكَيْـــفَ وَفِي أَبْنَـــاءِ قَـــوْمِي مَـــنْكَحٌ وَفِتْيَـــانُ هِـــزَّانَ الطِّـــوَالِ الْغَرَانِقَـــهْ[(٨)]

ما كنت لأتخطّى المسكَ إلى الرَّمَاد[(٩)] ، ولا أمتطى الثور بعد الجواد ، فإنما يتيمم من لا يجد ماء ، ويَرعى الهشيم من عَدِم الجميم[(١٠)] ، ويركب الصعب من لا ذلول له ، ولعلك إنما غَرّك من علمت ▯بْوتي إليه ، وشهدت مُساعفتي له من أقمار[(١١)] العصر ، وريحان المصر ، الذين هم الكواكب علوَّ همم ، والرياضُ طيبَ شِيَم . مفرد :

مَـنْ تَلْـقَ مِـنْهُمْ تَقُـلْ لاَقِيْـتُ سَـيِّدَهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرْى بِهَا السَّارِي[(١٢)]

(١) ابنة الخس هي هند بنت الخس الإيادى ، كانت في الجاهلية ، وقد زنت بعبدها .

(٢) السِّوَاد : المسارة .

(٣) في نسخة الأ▯ل م والنسخة د : "الأرامل" والتصحيح من الرسالة .

(٤) في نسخة الأ▯ل م والنسخة د : "في جنب الأقارب" ، واعتمدت ما في الرسالة بحذف "الأقارب" .

(٥) عضل تستعمل بمعنى تأخير الرجل بنته عن الزواج .

(٦) في نسخة الأ▯ل م والنسخة د : "عور" ، والتصحيح من الرسالة .

(٧) في نسخة الأ▯ل م والنسخة د : "بثديها" ، واعتمدت ما في الرسالة .

(٨) البيت للأعشى في ديوانه ٢٩٩ ، وهو من [الطويل] ، وفيه : "فقد كان في شبان قومك منكح" . وفي نسخة الأ▯ل م والنسخة د : "وفتيان نهران" والتصحيح من الرسالة . هزان : اسم قبيلة . والغرانقة جمع غُرنوق بضم أوله : وهو الشاب الأبيض الجميل .

(٩) في نسخة الأ▯ل م والنسخة د : "الزناد" ، والتصحيح من الرسالة .

(١٠) الهشيم : النبات اليابس . والجميم : النبات كثير الغصن .

(١١) في نسخة الأ▯ل م والنسخة د : "من أبناء . . ." ، والتصحيح من الرسالة .

(١٢) البيت لابن العرندس وهو من البسيط .

تَحِنَّ[١] قِدْحٌ ليس منها ، وما أنت وهُم ؟ وأين[٢] تقع منهم ؟ . وهل أنت إلا واو عمرو فيهم ؟ وكالوشيظة[٣] في العَظْم بينهم، وإن كنتَ إنما بلغتَ قَعْر تابوتك، وتجافيتَ عن بعض قُوتك ، وعطّرت أردانك ، وجررت هِمْيَانِك[٤]، واختلتَ في مشيتك، وحذفتَ فضول لِحْيتك، وأصلحتَ شاربك، ومططتَ حاجبك ، ورقّقتَ خط عذارك، واستأنفتَ عَقد إزارك ، رجاء الاكتنان فيهم، وطمعا في الاعتداد منهم ، فظننتَ عجزًا، وأخطأتِ استُك الحُفْرة[٥]، والله لو كساكَ محرّقُ[٦] البردين ، وحلّتك مارية[٧] بالقُرطين ، وقلدك عمرٌو[٨] الصمصامة ، وحملك الحارث[٩] على [٢٣١/ظ] النعامة ، ما شككتُ فيك ، ولا سترتَ أباك ، ولا كنتَ إلا ذاك ، وهَبْك ساويتهم[١٠] في ذروة المجد والحسب ، وجاريتهم في غاية الظَّرف والأدب ، ألست تأوِي إلى بيت قَعيدته لكاع[١١] ؟ إذ كلهم عَزَب خالي الذراع[١٢] ، وأين من أتفردُ[١٣]

---

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "قدح ليس منهم" [كذا] وبإسقاط "تَحِنّ" والتصحيح من الرسالة . تحن قدح : مثل يضرب لمن يتشبه بقوم ليس منهم .

(٢) في الرسالة : "وأنى" .

(٣) الوشيظة : قطعة عظم تكون زيادة عن العظم الأصلي ، أي هو حشو فيهم .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وجددت . . ." ، والتصحيح من الرسالة والهميان : هو هميان الدراهم الذي تجعل فيه النفقة والهميان : شداد السراويل ، قال ابن دريد : أحسبه فارسيا معربا . اللسان في [همي] .

(٥) أخطأت استك الحفرة : مثل يضرب لمن يطلب أمرا فيخطئه ولا يناله .

(٦) محرق : هو عمرو بن هند ، وسبق ذكر أنه حرّق مائة من بنى تميم بثأر أخيه ، وأما قصة البردين فقد روى أنه اجتمعت عنده وفود العرب فأخرج بردين وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فيأخذهما ، فقام عامر بن أحمير فأخذهما ، وأثبت أنه من أعز العرب قبيلة .

(٧) هي ماريه بنت ظالم بن وهب الكندي ، زوجة الحارث الأكبر الغساني ، وكان له قرط به لؤلؤتان عجيبتان يتوارثهما الملوك ، وقد أهدت ماريه قرطيها إلى الكعبة ، وهما درتان في حجم بيض الحمام .

(٨) هو عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، وهو فارس مشهور ، وصاحب غارات في الجاهلية والإسلام ، والصمصامة سيفه .

(٩) هو الحارث بن عُباد البكري ، أكبر سادات بنى وائل ، وهو الذي اعتزل حرب داحس والغبراء ، والنعامة فَرَسُه.

(١٠) في الرسالة "ساميتهم" .

(١١) القعيدة : امرأة الرجل . ولكاع : لئيمة النفس ، وهو مبنى على الكسر ، وهو يشير إلى بيت الحطيئة :

أُطوِّف ما أُطوِّف ثم آوى إلى بيت قعيدتُه لكاعِ

(١٢) عزب : بعيد عن الزوجة . وخالي الذراع كناية عن الفراغ .

به ممن لا غَلَب إلا على الأقل الأخسِّ منه ، وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة ، والشهوة الوافرة ، والنفس المصروفة إليَّ واللّذّة المقصورة[١] عليّ، وبين آخر قد نَضَب غَديره ، ونزَحت بِيرُه[٢] ، وذهب نشاطُه ، ولم يبقَ إلا ضراطُه ، وهل يجتمع لي فيك إلا الحشفُ وسوء الكيلة[٣] ، ويقترن[٤] عليّ بك إلا الغُدّة والموت في بيت سَلولية ؟ .

تَعَـــالَى اللهُ يَا سَـــلْمَ بْـــنَ عَمْـــرٍو   أَذَلَّ الْحِـــرْصُ أَعْنَـــاقَ الرِّجَـــالِ[٥]

ما كان أخلقك بأن تَقْدِرَ[٦] بِذَرْعك ، وتَرْبع[٧] على ظَلْعِك ، ولا تكن[٨] براقش الدالة[٩] على أهلها ، وعنز السوء المستثيرة[١٠] لحتْفها ، فما أراك إلا سقط بك العشاءُ على سِرْحان[١١] ، وبك[١٢] لا بظبْيٍ أَعْفر ، أَعْذرتُ[١٣] إن أغنيتُ شيئًا ، وأسمعت لو ناديتُ

---

(١٣) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "تفرد" بإسقاط الهمزة من أوله ، والتصحيح من الرسالة .

(١) في الرسالة : "الموموقة" .

(٢) هذان التعبيران كناية عن ضعف ابن عبدوس عن النكاح .

(٣) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "الكيل" واعتمدت ما في الرسالة . والحشف : هو أردأ أنواع التمر ، وهذا مثل يضرب لمن جمع بين خصلتين رديئتين .

(٤) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "وتجتمع إلابك إلا الغدة" [كذا] ، والتصحيح من الرسالة . وهذا مثل قاله عامر بن الطفيل عندما أ□ابه الطاعون بدعوة رسول الله (ﷺ) ، وكان قد توعد الرسول (ﷺ) فقال الرسول (ﷺ) : "اللهم اكفني عامرا بما شئت" .

(٥) البيت لأبي العتاهية في ديوانه ٢٩٦ وهو من [الوافر] .

(٦) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "بأن نقدر بردعك" [كذا] والتصحيح من الرسالة وتقدر بذرعك : تقيس الأمور بجهدك .

(٧) في الرسالة : "وتربع بذلك على ظلعك" . وهذا مثل لمن يكلف نفسه ما لا طاقة له به .

(٨) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "ولا تكون" ، واعتمدت ما في الرسالة وبراقش هي الكلبة التي نبحت فدلت الأعداء على مكانهم .

(٩) في نسخة الأ□ل م : "الذلة" ، وفي النسخة د : "الدلة" ، والتصحيح من الرسالة .

(١٠) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "المستشيرة" ، والتصحيح من الرسالة . وهذا مثل يضرب لمن يعين على ضرر نفسه .

(١١) هذا مثل يضرب لمن أراد أمرا فوقع على حتفه .

حيًّا:

إنَّ الْعَصَــا قُرِعَــتْ لِــذِي الْحِلْــمِ وَالشَّــيءُ تَحْقِــرُهُ وَقَــدْ يَنْمِــى[1]

وإن بادرت بالندامة[2] ، ورجعتَ على نفسك بالملامة ، كنتَ[3] قد اشتريتَ العافية لك بالعافية منك ، وإن قلتَ جَعْجَعةٌ ولا طِحْن[4] ، ورُب صلف تحت الراعدة، وأنشدت :

لاَ يُؤْيِسَــنَّكَ مِــنْ مُخَــدَّرَةٍ قَــوْلٌ تُغَلِّظُــهُ وَإِنْ جَرَحَــا[5]

فعدت لما نُهيت عنه ، وراجعتَ ما استعفيتَ منه ، بعثتُ من يزعجك إلى الخضراء[6] [٣٢٢/و] دَفْعًا ، ويستحثّك نحوها وَكْزًا وَصَفْعًا ،

فإذا صرتَ[7] إليها عبث أكاروها بك ، وتسلّط نواطيرها عليك ، فمن قَرْعَةٍ مُعَوِّجَة[8] في قفاك ، ومن فُجْلَةٍ[9] مُنتنِةٍ يُرمى بها تحت خصاك ، وذلك بما قَدّمت يداك ، لتذوق وَبَال أمرك ، وترى ميزان قَدْرك :

(١٢) مثل يضرب للشماتة بالرجال .

(١٣) أي بلغت العذر في نصيحتك إن قبلت منى ، وتركت التعرض إلى .

(١) مثل يضرب لمن يُنبه عند الخطأ . والبيت من [الكامل] .

(٢) في نسخة الأصل م : "بالنعامة" ، وما في النسخة د يوافق الرسالة .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وكنت" ولا معنى لهذه الواو ، واعتمدت ما في الرسالة .

(٤) هذا القول والذي بعده مثلان يضربان لمن يتوعد ولا يفعل .

(٥) البيت لبشار بن برد في ديوانه ٧٢/٢ وهو من [الكامل] .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د : "الحضرة" واعتمدت ما في الرسالة .

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د : "فإذا وصلت عبثت أكارها . . ." واعتمدت ما في الرسالة ، والأكارون جمع أكّار : وهو الزارع .

(٨) في نسخة الأصل م والنسخة د : "معجوجة" ، والتصحيح من الرسالة ، وفى الرسالة : "معوجة تقوم في قفاك".

(٩) هذا القول كناية عن أن الزرّاع يُدخلون الفُجلة في دُبره .

وَمَـــنْ جَهِلَـــتْ نَفْسُــــهُ قَـــدْرَهُ   رَأَى غَـــيْرُهُ مِنْـــهُ مَـــا لاَ يَـــرَى[1]

ومن الوزراء المشهورين أبو الطاهر محمد بن بقية[2] بن على الملقب نصير الدولة وزير عز الدولة بن معز الدولة بن بويه ، كان من جلة الرؤساء ، وأكابر الوزراء ، وأعيان الكرماء ، وسُئل الشماع[3] عن راتب عز الدولة من الشمع (كم)[4] كان ، فقال : كان راتب وزيره محمد بن بقية[5] ألفَ مَنٍّ في كل شهر، فإذا كان هذا راتب الشمع خا؟ة مع قلّةِ الحاجة إليه ، فكم يكون غيره مما يحتاج إليه ؟ ! ، وكان في أول أمره تو؟ل إلى أن ؟ار ؟احب مطبخ معز الدولة (والد عز الدولة)[6] ، ثم تنقل إلى غيرها من الخدم ، ولما مات معز الدولة ، وأفضى الأمر إلى عز الدولة حسنت حاله عنده ، ورَعَى له خدمته ، وتقدم إلى أن استوزره عز الدولة يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة سنة اثنتين[7] وستين وثلاثمائة ، ثم إنه قُبض عليه لسبب اقتضى ذلك ، يطول شرحه ، وحا؟له أنه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة ، فالتقيا على الأهواز ، وكُسر عز الدولة ، ونُسب ذلك إلى رأيه ومشورته ، وفي ذلك يقول أبو غشان[8] الطبيب بالبصرة :

---

(١) البيت للمتنبي في ديوانه ٤٤/١ ، وهو من [المتقارب] وفى الرسالة : "فمن جهلت .." ، وما هنا يوافق الديوان.

(٢) في نسخة الأ؟ل م والنسخة د : "تقية" بمثناة فوقية في أوله ، وهو تصحيف ، والتصحيح من المصدر الآتى . وهذه الترجمة من وفيات الأعيان ١١٨/٥ .

(٣) الشماع : هو المسئول عن الشمع كما يتضح من الآتي

(٤) ما بين القوسين زيادة من النسخة د ، ووفيات الأعيان .

(٥) في نسخة الأ؟ل م والنسخة د : "تقية" ، وقد سبق مثل ذلك .

(٦) ما بين القوسين زيادة من وفيات الأعيان يتم بها القول .

(٧) في نسخة الأ؟ل م والنسخة د : "اثنين" ، والتصحيح من وفيات الأعيان .

(٨) في نسخة الأ؟ل م : "غشان" ، وفى النسخة د : "عشان" ، وهو تصحيف فيهما ، والتصحيح من الوفيات ، ولم أعثر على ترجمة له ، ولم أعثر على البيتين في غير وفيات الأعيان ، وهما من [الطويل] .

أَقَـامَ عَلَـى ٱلْأَهْـوَازِ خَمْسِـينَ لَيْلَـةً ... يُـدَبِّرُ أَمْـرَ الْمُلْـكِ حَـتَّى تَـدَمَّرا[(١)]

فَـدَبَّرَ أَمْـرًا كَـانَ أَوَّلُـهُ عَمًـى ... وَأَوْسَـطُهُ بَلْـوَى وَآَخِـرُهُ خَـرَا[(٢)]

وكان قبضه يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة [٣٢٢/ظ] سنة ست وستين وثلاثمائة بمدينة واسط ، وسَمَل عينيه ، ولزم بيته ، وكان في مدة وزارته يبلغ عضد الدولة عنه أمورٌ تسوؤه ، منها أنه كان يسميه أبا بكر الغددي[(٣)]، تشبيها برجل أشقر أزرق يسمى أبا بكر كان يبيع الغدد[(٤)] ببغداد ، وكان عضد الدولة بهذه الحلية[(٥)] ، وكان الوزير يفعل ذلك تقربا إلى مخدومه عز الدولة ، فلما قُتل عز الدولة وملك عضد الدولة ببغداد ، ودخلها طلب ابن بقية[(٦)] ، وألقاه تحت أرجل الفيلة ، فلما قتله صلبه ببغداد ، وذلك يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة . قال ابن الهمداني[(٧)] في كتاب "عيون السير" : لما استوزر عز الدولة ابن بقية[(٨)] المذكور بعد أن كان يتولى أمر المطبخ قال الناس : من

---

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "حتى تدبرا" والتصحيح من الوفيات .

(٢) في النسخة د : "خزا" بالزاي وهو تصحيف .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "العددي" بالعين المهملة والتصحيح من الوفيات .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "العدد" بالعين المهملة ، والتصحيح من الوفيات .

(٥) في نسخة الأصل م : "الجلية" وفى النسخة د : "الحيلة" وهو خطأ فيهما ، والتصحيح من الوفيات .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د : "تقية" ، والتصحيح من الوفيات .

(٧) هذا القول موجود في وفيات الأعيان ١١٩/٥ .

(٨) في نسخة الأصل م والنسخة د : "تقية"، وابن بقية هو:"الوزير أبو الطاهر محمد بن محمد بن بقية بن علي، الملقب نصير الدولة، وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه، ... ولما جرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة قبض عز الدولة عليه وسمله وحمله إلى عضد الدولة مسمولاً، فشهره عضد الدولة وعلى رأسه برنس، ثم أمر بطرحه للفيلة فقتله، ثم صلبه عند داره بباب الطاق، وعمره نيف وخمسون سنة". وفيات الأعيان١١٨/٥، وأشار محقق الوفيات إلى أن أخباره في تاريخ ابن الأثير ج: ٨، وتجارب الأمم ج : ٢، وراجع الإمتاع والمؤانسة ج:١، والشذرات ٣: ٦٣. فانظر ذلك في هامش (٣)

الغضارة[1] إلى الوزارة ، وستر كرمُه عيوبَه ، فقد خلع في عشرين يوما عشرين ألف حُلة ، قال أبو إسحاق[2] الصَّابي : رأيته وهو يشرب في بعض الليالي ، وكلما لبس خلعة خلعها على أحد الحاضرين ، فزادت على مائتي خلعة ، فقالت له مغنية[3] : يا سيدنا الوزير ، في هذه الثياب زَنابير ما تدعها تثبت على جسمك ؟ ! فضحك ، وأمر لها بحقة حُلِيّ ، وهو أول وزير لُقب بلقبين ، فإن الإمام المطيع لَقّبه بالنا□ح ، ولَقّبه[4] ولَده الطائع بنصير[5] الدولة ، ولما □لب رثاه أبو الحسن محمد[6] بن عمر بن يعقوب الأنبارى أحد العدول ببغداد بقوله[7] :

عُلُـــــوٌّ فِي الْحَيَـــــاةِ وَفِي الْمَمَـــــاتِ   بِحَقِّـــكَ أَنْـــتَ إِحْـــدَى الْمُعْجِـــزَاتِ

كَـــأَنَّ النَّـــاسَ حَوْلَـــكَ حِـــينَ قَـــامُوا   وُفُـــــودُ نَـــــدَاكَ أَيَّامَ الصِّـــــلاَتِ

[٣٢٣/و] كَأَنَّــكَ قَــائِمٌ فِــيهِمْ خَطِيبًــا   وَكُلُّهُـــــــمُ قَـــــــائِمٌ لِلصَّـــــــلاَةِ

---

(١) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "العضارة" بالعين المهملة ، والتصحيح من الوفيات .

(٢) هذا القول في وفيات الأعيان .

(٣) في نسخة الأ□ل م : "معنية" بالعين المهملة ، وهو تصحيف ، واعتمدت ما في النسخة د وهو يوافق هامش الوفيات ، وفي الوفيات : "مغنيته" .

(٤) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "ولقب" ، والتصحيح من الوفيات .

(٥) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "بنصر" ، والتصحيح من الوفيات .

(٦) محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري، وكنيته أبو الحسن، كان شاعرا مُقلاً، وكان أحد العدول ببغداد في وقته. توفي عام ٣٨٠ هـ ، وكان أحد العدول ببغداد. ومات □وفياً واعظاً. اشتهر بقصيدته في رثاء الوزير ابن بقية التي أولها: *علو في الحياة وفي الممات* قال □لاح الدين الصفدي: لم يسمع في مصلوب أحسن منها". تاريخ بغداد ٣٥/٣، وأخباره والقصيدةِ في كثيرٍ من مراجع الأدب، غير أنها تُذكَر في ترجمة ابن بقية في الأغلب.

(٧) الأبيات في قصيدة طويلة في النجوم الزاهرة ١٣٠/٤ و ١٣١ بالإضافة إلى ما في وفيات الأعيان والأبيات من [الوافر] .

مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ احْتِفَاءً　　　كَمَدِّكِهَا إِلَيْهِمْ بِالْهِبَاتِ

أَصَارُوا الْجَوَّ قَبْرَكَ وَاسْتَنَابُوا　　　عَنِ ٱلأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ

وَتُشْعَلُ عِنْدَكَ النِّيرَانُ لَيْلاً　　　كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ

وَلَوْ أَنِّي قَعَدْتُ عَلَى قِيَامٍ　　　لِحَقِّكَ وَالْفُرُوضِ الوَاجِبَاتِ[1]

مَلأْتُ ٱلأَرْضَ مِنْ نَظْمِ الْقَوَافِي　　　وَنُحْتُ بِهَا خِلاَفَ النَّائِحَاتِ

وَلَكِنِّي أُصَبِّرُ عَنْكَ نَفْسِي　　　مَخَافَةَ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْجُنَاةِ[2]

وَمَالَكَ تُرْبَةٌ فَأَقُولُ تُسْقَى　　　لأَنَّكَ نُصْبُ هَطْلِ الْهَاطِلاَتِ

عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الرَّحْمَنِ تَتْرَى　　　بِرَحْمَاتٍ غَوَادٍ رَائِحَاتِ[3]

ولم يزل مصلوباً إلى أن تُوفِّي عضدُ الدولةِ فأُنزل عن الخشبة، فدُفن في موضعه، فقال فيه أبو الحسن[4] الأنباريّ صاحب المرثية[5]:

لَمْ يُلْحِقُوا بِكَ عَارًا إِذْ صُلِبْتَ وَقَدْ　　　بَاءُوا بِإِثْمِكَ ثُمّ اسْتَرْجَعُوا نَدَمَا

وَأَيْقَنُوا أَنَّهُمْ فِي فِعْلِهِمْ غَلِطُوا　　　وَأَنَّهُمْ نَصَبُوا فِي سُؤْدَدٍ عَلَمَا

---

(١) في النسخة د : "لفرض والحقوق الواجبات" ، وفي الوفيات "لفرضك والحقوق . . . " .

(٢) في نسخة الأصل م : ". . . أن أُعدمن الحبات" وفي النسخة د : "من الحيات" وهو خطأ فيهما ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٣) في نسخة الأصل م : "برحمات عواد . . ." بالعين المهملة ، وهو تصحيف .

(٤) في وفيات الأعيان "أبو الحسن ابن الأنبارى" [كذا] .

(٥) الأبيات ضمن خمسة أبيات في وفيات الأعيان ١٢١/٥ مع بعض اختلاف ، وهي من [البسيط] .

تَقَاسَمَ النَّاسُ حُسْنَ الذِّكْرِ فِيكَ كَمَا ... مَا زَالَ مَالُكَ بَيْنَ النَّاسِ مُقْتَسَمَا

قال ابن عساكر(١) في "تاريخ دمشق" : لما صنع أبو الحسن المرثية الثانية كتبها ورماها في شوارع بغداد، فتداولها الأدباء إلى أن وصل الخبر إلى عضد الدولة، فلما أُنشدت بين يديه تمنّى أن يكون هو المصلوب دونه، فقال: عليّ بهذا الرجل فطلبه سنة كاملة، واتصل الخبر بالصاحب بن عَبّاد فكتَبَ له الأمان، فقصده فقال له أنت القائل هذه الأبيات؟ قال: نعم، قال: أنشدنيها، فلما أنشدها وقال:

[٣٢٣/ظ] فَلَمْ أَرَ قَبْلَ جِذْعِكَ قَطُّ جِذْعًا ... تَمَكَّنَ مِنْ عِنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ

فقام إليه الصاحب ، وعانَقَه وقَبَّل فاه ، وأنفذَه إلى عضد الدولة، فلما مثل بين يديه قال له: ما الذي حَمَلك على مَرثية عدوي؟ فقال: حقوقٌ سَلَفت وأيادٍ مضت فجاش الحزن قلبي فرثيته. فقال: فهل يحضرك شيء في الشموع؟ والشموع تزهر بين يديه، فأنشأ يقول(٢):

كَأَنَّ الشُّمُوعَ وَقَدْ أَظْهَرَتْ ... مِنَ النَّارِ فِي كُلِّ رَأْسٍ سِنَانَا

أَصَابِعُ أَعْدَائِكَ الْخَائِفِينَ ... تَضَرَّعُ تَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا

فلما سمعها، خلع عليه، وأعطاه فرسا وبدرة. انتهى كلامه.

---

(١) هذا القول في وفيات الأعيان ١٢١/٥ . وقد فتشت عنه فلم أجده،في: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها تصنيف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر: ٤٩٩ - هـ - ٥٧١ هـ، دراسة وتحقيق علي شيري دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٢) البيتان في وفيات الأعيان ١٢٢/٥ ، وهما من المتقارب.

ومن الأبيات[1] :

رَكِبْـــتَ مَطِيَّـــةً مِـــنْ قَبْـــلُ زَيْـــدٌ   عَلاَهَـــا فِي السِّـــنِينَ الْمَاضِـــيَاتِ

وزيد هذا هو أبو الحسين[2] (زيد) بن زين العابدين (علي بن الحسين)[3] ابن عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه، وكان قد ظهر في أيام هشام بن عبد الملك في سنة اثنتين[4] وعشرين ومائة ، ودعا إلى نفسه ، فبعثَ إليه يوسف بن عمر الثقفي وَالِي العراق يومئذ جيشا مقدمه العباس المري ، فرماه رجل منهم بسهم فأصابه فمات ، وصُلب بكناسة الكوفة، ونقل رأسه إلى البلاد في صفر سنة إحدى وعشرين ومائة، ولزيد اثنتان[5] وأربعون سنة يومئذ ، وهو صاحب المسجد الذي بين مصر وبين بركة قارون بالقُرب من جامع ابن طولون، يقال: إن رأسه مدفون به، والله أعلم.

[6] ومن شعر أبي الحسن الأنباري المذكور في الباقلاني الأخضر:

فُصُـــــوصُ زُمُـــــرُّدٍ فِي غُلْـــــفِ دُرٍّ   بَأَقْمَـــاعٍ حَكَـــتْ تَقْلِـــيمَ ظُفْـــرِ[7]

وَقَـــدْ خَلَـــعَ الرَّبِيـــعُ لَهَـــا ثِيَـــابًا   بِهَـــا لَـــوْنَانِ مِـــنْ بِـــيضٍ وَخُضْـــرِ

---

(١) في وفيات الأعيان ١٢٠/٥ ، ١٢٢ .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "أبو الحسن" واعتمدت ما في وفيات الأعيان ، وما بين القوسين زيادة من وفيات الأعيان يتم بها الاسم .

(٣) ما بين القوسين زيادة من وفيات الأعيان يتم بها الاسم .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "اثنين" بالعين المهملة ، والتصحيح من وفيات الأعيان .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د ووفيات الأعيان "اثنان" وهو خطأ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، وما في النسخة د يوافق ما جاء في وفيات الأعيان ١٢٤/٥ .

(٧) في هامش وفيات الأعيان ١٢٤/٥ قيل : "ورد البيتان في حلبة الكميت ٢٣٥ منسوبين إلى الصنوبري ، وانظر ديوانه ٤٨٠" والبيتان من [الوافر]. وفي الديوان (الباقلا) .

ومن الوزراء الأدباء الوزير ابن السقاط[١] ، فمن ملاطفته ما كتبه إلى بعض أصحابه يستدعيه بقوله[٢] : أعزك الله [٣٢٤/و] نقبت شمس بقناع الغمام ، وذهبت طاسُه بشعاع المدام ، ونحن من نضير النُّوَار على نَضَائر النُّضار[٣] ، ومن مُفاكهة الندمان بين زهر البستان ، ومن سقاة الكؤوس ، وتعاطى المدام بين مشرقات الشموس ، وعواطى الآرام ، فرأيك في مصافحة الأقمار ، ومنافحة الأنوار إن شاء الله تعالى . شعر[٤] :

تَفَضَّـلْ بِحَـقِّ الْكَـاسِ وَالـرَّاحِ وَالْهَـوَى وَتَرْحِيـلِ أَصْـدَاغٍ غَـدَوْنَ عَلَـى خَـدِّ

وَكُـنْ غَـيْرَ مَـأْمُورٍ جَـوَابَ سُـؤَالِنَا وَلاَ تُوحِشَـنَّا بِالتَّعَلُّـلِ وَالْوَعْـدِ

وأنشد أبو الفتح البُستي في الوزير[٥] :

يَا مَـنْ أَعَـادَ رَمِـيمَ الْمُلْـكِ مَنْشُـورَا وَضَـمَّ بِالـرَّأْيِ أَمْـرًا كَـانَ مَنْشُـورَا

أَنْـتَ الْـوَزِيرُ وَإِنْ تُـؤْتَ مَنْشُـورَا وَالْأَمْـرُ بَعْـدَكَ إِنْ لَمْ تُـؤْتَمَنْ شُـورَى

ولابن الوردي[٦] :

قَـالُوا فَـلاَنٌ قَـدْ وَزَرْ فَقُلْـتُ كَـلاَّ لاَ وَزَرْ

اَلـدَّهْرُ كَالـدُّولاَبِ لاَ يَـدُورُ إِلاَّ بِالْبَقَـرْ

---

(١) لم أعثر له على ترجمة ، ويبدو أنه من عصر المؤلف والله أعلم .

(٢) لم أعثر على هذا المكتوب .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "على نضائر" ، ويبدو لي أن الصواب "نظائر" .

(٤) لم أعثر على البيتين ، وهما من [الطويل] ، وجاء البيت الأول في النسخة د على صورة النثر .

(٥) ديوان أبي الفتح البستي ٢٦١ ، ٢٦٢، وهما من [البسيط] .

(٦) لم أعثر على البيتين في ديوانه، وهما من [الرجز] .

وقد ذم بعضهم وزيرا فقال[١] :

مِنْ آلَةِ الدَّسْتِ مَا عِنْدَ الْوَزِيرِ سِوَى تَحْرِيكُ لِحْيَتِهِ فِي حَالِ إِيمَاءِ

فَهْوَ الْوَزِيرُ وَلاَ أَزْرٌ يُشَدُّ بِهِ مِثْلُ الْعَرُوضِ لَهُ بَحْرٌ بِلاَ مَاءِ

ومن الوزراء أهل الأدب والفصاحة أبو جعفر بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزَّيّات ، وزير المعتصم ، كما ذكره ابن خَلِّكان قال[٢] : كان من أهل الأدب الظاهر، والفضل الباهر ، فاضلا بليغا ، عالما بالنحو واللغة[٣] ، ذكر ميمون بن هارون الكاتب أن[٤]

---

(١) البيتان للغزي في ريحانة الألبا ٣٣١/١ ، وهما من [البسيط] ، وفي ترجمة الغزي في الوافي بالوفيات للصفدي، باب : حرف الألف، وفي وفيات الأعيان ٥٩/١.

(٢) الوزير ابن الزيات أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، المعروف بابن الزيات، وزير لمعتصم؛ كان جده أبان رجلاً من أهل جبل من قرية كان بها يقال لها الدسكرة يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد، فسمت بمحمد المذكور همته – على ما سيأتي ذكره فيه – وكان من أهل الأدب الظاهر والفضل الباهر، أديباً فاضلاً بليغاً عالماً بالنحو واللغة.وكان ابن الزيات المذكور قد اتخذ تنوراً من حديد وأطراف مساميره المحددة إلى داخل، وهي قائمة مثل رؤوس المسال، في أيام وزارته، وكان يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه، فيجدون لذلك أشد الألم لم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة، وكان إذا قال أحد منهم أيها الوزير ارحمني، فيقول له: الرحمة خور في الطبيعة، فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله في التنور، قيده بخمسة عشر رطلاً من الحديد فقال: يا أمير المؤمنين ارحمني، فقال له: لرحمة خور في الطبيعة، كما كان يقول للناس، فطلب دواة وبطاقة فأحضرتا إليه فكتب: =

= **هي السبيل فمن يوم إلى يوم ... كأنه ما تريك العين في النوم**

لا تجزعن، رويداً إنها دول ... دنيا تَنَقَّلُ من قوم إلى قوم

وسيرها إلى المتوكل، فاشتعل عنها ولم يقف عليها إلا في الغد، فلما قرأها المتوكل أمر بإخراجه، فجاؤوا إليه فوجدوه ميتاً، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وكانت مدة إقامته في التنور أربعين يوماً، وكان القبض عليه لثمان مضين من [illegible]فر من السنة المذكورة. وفيات الأعيان ٩٤/٥– ١٠١. أخباره في تاريخ الطبري والمسعودي وابن الأثير وتاريخ بغداد ٢: ٣٤٢ ومعجم المرزباني: ٣٦٥ والخزانة ١: ٢١٥ والأغاني ٢٢: ٤٦٣ والفهرست: ١٢٢ والوافي ٤: ٢٣ وعبر الذهبي ١: ٤١٤ والشذرات ٢: ٧٨.

(٣) في نسخة الأ[illegible]ل م والنسخة د : "والفقه" واعتمدت ما في وفيات الأعيان .

أبا عثمان المازِني قدم بغداد في أيام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يخوضون[١] بين يديه في علم النحو ، فإذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم أبو عثمان: ابعثوا إلى هذا الفتى — يعنى ابن [٣٢٤/ظ] الزيات ، فاسألوه ، فيفعلون ، وقد ذكره أبوعبد الله هارون بن المنجم في كتاب "البارع"، وأورد له من شعره عدة مقاطيع، وكان في أول أمره من جملة الكتّاب، وكان أحمد[٢] بن عمار بن شادي البصري وزير المعتصم فورد على المعتصم كتاب من بعض العمال[٣] فقرأه الوزير عليه، فكان في الكتاب ذِكر الكَلأ ، فقال المعتصم: ما الكلأ ؟ فقال: ما أعلم ، وكان قليل المعرفة بالأدب ، فقال المعتصم: خليفة أُمِّي ووزير أُمي عامي، وكان المعتصم ضعيف الكتابة ، ثم قال أبصروا من بالباب مِن الكتاب فوجدوا محمد بن الزّيات فأدخَلوه إليه ، فقال له ما الكَلأ ؟ قال الكلأ: العُشب على الإطلاق ، فإن كان رطبًا فهو الخلا، فإذا يبس فهو الحشيش، وشرع في أنواع تقسيم النبات ، فعلم المعتصم[٤] فضْله فاستَوزره ، وحكمه وبسط يده ، وحكى أبوعبدالله البيمارستانيّ أن أبا حفص الكرمانيّ كاتب عمرو بن مسعدة[٥] كتب إلى محمد بن عبدالملك الزيات المذكور: أما بعد فإنك ممن إذا غرس سقى غرسه، وإذا أسس بنى (ليستتم بناء)[٦] أُسه ويجتني ثمرة غرسه، وبناؤك في وُدِّي[٧] قد وَهَى ، وشارف الدروس ، وغرسُك عندي قد عطش وأشفى على اليبوس[٨] فتداركْ بناء ما

---

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "ابن أبي عثمان" [كذا] ، والتصحيح من وفيات الأعيان .

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "يحضرون" ، والتصحيح من وفيات الأعيان .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "أحمد بن عماد شادي البصري" ، والتصحيح من وفيات الأعيان .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "الأعمال" ، والتصحيح من الوفيات .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "المعتضد" ، والتصحيح من الوفيات .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "سعده" بالعين المهملة ، والتصحيح من الوفيات .

(٦) ما بين القوسين زيادة من الوفيات يتم بها الأسلوب .

(٧) في النسخة د : "في وادي" .

(٨) في نسخة الأصل م والنسخة د : "السوس" ، واعتمدت ما في الوفيات .

أسست، وسَقْيَ ما غرست، فقال البيمارستاني: فحدثت بذلك (أبا)[1] عبد الرحمن العطوي فقال في هذا المعنى يمدح محمد بن عمران بن موسى بن يحيى بن خالد بن بَرْمك، ثم وجدت الأبيات في ديوان أبي نُواس صنعة الأصبهاني[2] :

[٣٢٥/و] إِنَّ الْبَرَامِكَـةَ الْكِـرَامَ تَعَلَّمُـوا ... فِعْـــلَ الْجَمِيـــلِ وَعَلَّمُـــوهُ النَّاسَــــا

كَــانُوا إِذَا غَرَسُـــوا سَــقَوْا وَإِذَا بَنَـــوْا ... لاَ يَهْـــدِمُونَ لِمَـــا بَنَـــوْهُ أَسَاسَــــا

وَإِذَا هُــمُ صَـنَعُوا الصَّـنَائِعَ فِي الْـوَرَى ... جَعَلُــوا لَهَــا طِيــبَ الْبَقَــاءِ لِبَاسَــا[3]

فَعَــلاَمَ تَسْــقِينِي – وَأَنْــتَ سَــقَيْتَنِي ... كَــأْسَ الْمَــوَدَّةِ – مِــنْ جَفَائِـكَ كَاسَــا

آنَسْـــتَنِي مُتَفَضِّـــلاً أَفَـــلاَ تَـــرَى ... أَنَّ الْقَطِيعَـــةَ تُـــوحِشُ الإِينَاسَـــا ؟

وقد[4] تقدم في ترجمة عبد المحسن الصوري هذا المعنى.

ولابن الزيات المذكور أشعار رائعَة، فمن ذلك قوله[5]:

سَمَاعًـــــا يَا عِبَـــــادَ اللهِ مِـــــنِّي ... وَكُفُّـــوا عَـــنْ مُلاَحَظَـــةِ الْمِـــلاَحِ

---

(١) ما بين القوسين زيادة من وفيات الأعيان تصح بها النسبة . وفي النسخة د : "العطرمى" .

(٢) الأبيات الثلاثة في ديوان أبي نواس تحقيق الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي ص٥٨٢ ، ولكنها في وفيات الأعيان ضمن الترجمة ٩٥/٥ وهي من [الكامل] .

(٣) في وفيات الأعيان " . . . طول البقاء . . ." . ، وهو أفضل .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وقد تقدم ترجمة عبد المحسن الصوري في هذا المعني" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٥) في وفيات الأعيان ٩٥/٥ و ٩٦ ،وفي ديوانه، والأبيات من [الوافر] .

فَـــإِنَّ الْحُـــبَّ آخِـــرُهُ الْمَنَـــايَا وَأَوَّلُـــهُ يُهَـــيَّجُ بِالْمُـــزَاحِ[١]

وَقَـــالُوا دَعْ مُرَاقَبَـــةَ الثُّـــرَيَّا وَنَمْ فَاللَّيْـــلُ مُسْـــوَدُّ الْجَنَـــاحِ

فَقُلْـتُ وَهَـلْ أَفَـاقَ الْقَلْـبُ حَـتَّى أُفَـرِّقُ بَـيْنَ لَيْلِـى وَالصَّـبَاحِ ؟[٢]

وذكر الخطيب[٣] في "تاريخ بغداد"[٤] أن ابن الزيات المذكور كان يعشق جارية من جواري القيان ، فبيعت من رجل من أهل خراسان ، فأخرجها ، فذُهل عقلُه ، حتى خُشي عليه ، ثم أنشأ يقول ، ويترنم بقوله[٥] :

يَا طُـولَ سَـاعَاتِ لَيْـلِ الْعَاشِـقِ الـدَّنِفِ وَطُـولَ رَعْيِـهِ لِلـنَّجْمِ فِي السَّـدَفِ

مَـا قَـالَ يَا أَسَـفَا يَعْقُـوبَ مِـنْ كَمَـدٍ إِلاَّ لِطُـولِ الَّـذِي لاَقَـى مِـنَ الأَسَـفِ

مَـنْ سَـرَّهُ أَنْ يَـرَى مَيْـتَ الْهَـوَى دَنِفَـا فَلْيَسْـتَدِلَّ عَلَـى الـزَّيَّاتِ وَلْيَقِـفِ[٦]

ومن[٧] شعره ما ذكره في كتاب البارع يرثي جاريته، وقد خلّفت له ابن ثمان سنين، وكان يبكي عليها ، فيتألم بسببه[٨] :

---

(١) كتب البيت في هامش نسخة الأصل م ، وفيه "وأوله شبيه" ثم كتب هكذا "أرويه" وما في النسخة د يوافق الوفيات.

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وقد أفاق" وفي النسخة د : "أفاق الحب" ، والتصحيح من وفيات الأعيان .

(٣) في وفيات الأعيان ٩٦/٥ .

(٤) تاريخ بغداد ٣٤٣/٢ .

(٥) وفيات الأعيان ٩٦/٥ ضمن أربعة أبيات ، والأبيات من [البسيط] .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د : "أن يرى البيت" ، والتصحيح من وفيات الأعيان .

(٧) في الوفيات أيضا ٩٦/٥ .

(٨) الأبيات في الوفيات ٩٧/٥ ، والعمدة ٨٤٦/٢ وهي من [الطويل] .

أَلاَ مَــنْ رَأَى الطِّفْــلَ الْمُفَــارِقَ أُمَّــهُ بُعَيْــدَ الْكَــرَى عَيْنَــاهُ تَنْسَــكِبَانِ[1]

رَأَى كُــلَّ أُمٍّ عَيْنُهَــا عَــيْنُ أُمِّــهِ يَبِيتَــانِ تَحْــتَ اللَّيْــلِ يَنْتَجِيَــانِ[2]

وَبَاتَ وَحِيــدًا فِي الْفِــرَاشِ يَحُثُّــهُ بَلاَبِــلُ قَلْــبٍ دَائِــمِ الْخَفَقَــانِ[3]

[٣٢٥/ظ] فَهَبْــنِي أَطَلْــتُ الصَّــبْرَ جَلِيــدٌ فَمَــنْ لِلصَّــبْرِ بِابْــنِ ثَمَــانِ ؟

ضَعِيفُ الْقُوَى لاَ يَعْرِفُ الصَّبْرُ جِسْمُهُ وَلاَ يَأْتَسِــي بِالنَّــاسِ فِي الْحَــدَثَانِ[4]

ومدحه[5] البحتري بقصيدته الدالية ، وأحسن في و□ف خطه وبلاغته ، وقال في آخرها[6] :

وَأَرَى الْخَلْــقَ مُجْمِعِــينَ عَلَــى فَضْــ لِــكَ مِــنْ بَــيْنِ سَــيِّدٍ وَمَسُــودِ

عَــرِفَ الْعَــالِمُونَ فَضْــلَكَ بِالْعِلْــ ــمِ وَقَــالَ الْجُهَّــالُ بِالتَّقْلِيــدِ

ولإبراهيم[7] بن العباس الصولي المتقدم ذكره فيه مقاطيع يعتب[8] فيها منها قوله :

---

(١) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "ينسكبان" بالمثناة التحتية في أوله ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٢) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "رأى كل أم عينها عين أمه" واعتمدت ما في الوفيات والعمدة ، و في نسخة الأ□ل م : "ينتحبان" وما في النسخة د : يوافق المصدرين المذكورين .

(٣) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "دائر الخفقان" ، والتصحيح من المصدرين المذكورين .

(٤) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "لا يعرف الصبر حبه . . . بالناس في الحركان" ، والتصحيح من الوفيات ، وفي العمدة "لا يعرف الصبر حسبة" .

(٥) في وفيات الأعيان ٩٧/٥ . وفي نسخة الأ□ل م والنسخة د : البخترى" ، وهو تصحيف .

(٦) البيتان في وفيات الأعيان ٩٧/٥ وديوان البحتري ٦٣٨/١ ، وهما من [الخفيف] .

(٧) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "ولأبي العباس الصولي" ، والتصحيح من وفيات الأعيان . وهو إبراهيم بن العباس بن محمد بن □ول ، وكنيته أبو إسحاق ، وهو ابن أخت العباس بن الأحنف ، وعمل بالكتابة لجمع من الخلفاء

أَخٌ كُنْــتُ آوِى مِنْــهُ عِنْــدَ ادِّكَــارِهِ ... إِلَي ظِــلِّ آبَاءٍ مِــنَ الْعِــزِّ شَــامِخِ

سَــعَتْ نُــوَبُ ٱلأَيَّامِ بَيْــنِي وَبَيْنَــهُ ... فَــأَقْلَعْنَ مِنْــهُ عَــنْ ظَلُــومٍ وَصَــارِخِ

وَإِنِّي وَإِعْــدَادِي لِــدَهْرِي مُحَمَّــدًا ... كَمُلْــتَمِسٍ إِطْفَــاءَ نَارٍ بِنَــافِخِ[1]

وقوله[2] :

قُلْــتُ لَهَــا حِــينَ أَكْثَــرَتْ عَــذْلِي ... وَيْحَــكِ أَوْدَتْ بِنَــا الْمُــرُوءَاتُ

قَالَــتْ فَــأَيْنَ السَّــرَاةُ ؟ قُلْــتُ لَهَــا : ... لاَ تَسْــأَلِي عَــنْهُمْ فَقَــدْ مَــاتُوا

قالــت : (ولِمَ ذاكَ) قلــت لهــا : ... هَــذَا وَزِيْــرُ ٱلإِمَــامِ زَيَّاتُ[3]

وله غير ذلك ، وما زالت الأشراف تهجى وتُمدح .

وكان ابن الزيات قد هجا القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي المتقدم ذكره بتسعين بيتا فعمل[4] القاضي أحمد فيه بيتين ، وهما قوله[5] :

أَحْسَــنُ مِــنْ تِسْــعِينَ بَيْتًــا أَتَــتْ ... جَمْعُــكَ مَعْنَــا هُــنَّ فِي بَيْــتِ

، وتنقل في الأعمال والدواوين . ت ٢٤٣هـ وترجمته في الأغاني ٤٣/١٠ ، ووفيات الأعيان ٤٤/١ .

(٨) في وفيات الأعيان : "يعبث به فيها" ويبدو أنها أحسن ، والأبيات من [الطويل] .

(١) في وفيات الأعيان : "إطفاءه نار نافخ" ، وما هنا يوافق ديوان الصولى ١٥٧ ضمن كتاب الطرائف الأدبية .

(٢) في وفيات الأعيان ٩٨/٥ ، والأبيات من [المنسرح]، وهي في: الطرائف الأدبية، خرجه وصححه ، وعارضه، وذيله: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص ١٥٦.

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "قالت فأين السراة قلت لها" وهو تكرير البيت السابق سهوا من الناسخ ، واعتمدت ما في الوفيات ، وفي نسخة الأصل م : "هذا وزير الأنام" وما في النسخة د يوافق وفيات الأعيان .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "ففعل القاضي" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٥) في وفيات الأعيان ٩٨/٥ ، والبيتان من [السريع] .

مَـــا أَحْـــوَجَ الْمُلْـــكَ إِلَي نَظْـــرَةٍ تَغْسِـــلُ عَنْـــهُ وَضَـــرَ الزَّيْـــتِ[1]

ولما مات المعتصم وقام بالأمر ولَده الواثق أنشده[2] ابن الزيات المذكور[3] :

قَـــدْ قُلْـــتُ إِذْ غَيَّبُـــوُهُ وَانْصَـــرَفُوا فِي خَـــيْرِ قَـــبْرٍ لِخَـــيْرِ مَـــدْفُونِ

لَـــنْ يَجْـــبُرَ اللهُ أُمَّـــةً فَقَـــدَتْ مِثْلَـــكَ إِلاَّ بِمِثْـــلِ هَـــارُونِ[4]

[٣٢٦/و] وأقرَّه[5] الواثق على ما كان عليه في أيام المعتصم بعد ما كان متسخطا عليه في أيام أبيه، وحلف يمينا مغلظة أنه ينكبه إذا صار الأمر إليه، فلما ولى أمر الكتاب أن يكتبوا ما يتعلق بأمر البيعة، فكتبوا فلم يرض ما كتبوه، فكتب ابن الزيات نسخة رضيها، وأمر بتحرير المكاتبات عليها، فكفّر عن يَمينه وقال: المال[6] والفِدية عن اليمين عوض، وليس عن الملك وعن (ابن)[7] الزيات عوض، فلما مات وتولى المتوكل كان في نفسه منه شيء، فسخط عليه بعد ولايته بأربعين يوما، وقبض عليه، واستصفى أمواله، وكان سبب قبضه عليه أنه لما مات الواثق بالله أخو المتوكل أشار محمد المذكور بتولية ولد الواثق، وأشار القاضي أحمد بن (أبي)[8] دؤاد المتقدم ذكره بتولية المتوكل، وقام في ذلك وقعد حتى عممه بيده، وألبسه البُردة، وقبّل بين عينيه، وكان المتوكل في أيام الواثق يدخل (على)[9] الوزير المذكور فَيَتَجَهّمه[10]،

---

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وطر الزيت" ، والتصحيح من الوفيات .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "فأنشده" ولا معنى لهذه الفاء ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٣) البيتان في وفيات الأعيان ٩٩/٥ ،وفي ديوانه، وهما من [المنسرح] .

(٤) في وفيات الأعيان ٩٩/٥ .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "أبت بخيرا له" ، والتصحيح من الوفيات .

(٦) في وفيات الأعيان : "عن المال والفدية" ، وهو خطأ مطبعي ؛ إذ لا معنى للحرف "عن" في أول الكلام .

(٧) ما بين القوسين زيادة من الوفيات يتم بها القول .

(٨) ما بين القوسين زيادة من الوفيات يتم بها القول .

(٩) ما بين القوسين زيادة من الوفيات يتم بها القول .

ويغلظ عليه، وكان يتقرب في ذلك إلى قلب الواثق، فحقد المتوكل عليه ذلك، فلما ولى الخلافة خشي إن نكبه[1] عاجلا أن يستر أمواله فتفوته، فاستوزره ليطمئن، وجعل القاضي أحمد يغريه[2] ويجد عنده لذلك موقعا، فلما قبض عليه ومات في التنور –كما سيأتي ذكره– لم يجد من جميع أملاكه وضياعه وذخائره إلا ما كانت قيمته مائة ألف دينار ، فتندم على ذلك ، ولم يجد عنه عوضا ، وكان ابن[3] الزيات المذكور قد اتخذ تَنُّورًا من حديد وأطراف مساميره المحددة إلى داخل ، وهي قائمة مثل رؤوس المسالّ ، في أيام وزارته، وكان يعذِّب [٣٢٦/ظ] فيه[4] المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارته تدخل المسامير في جسمه، فيجدون لذلك أشد الألم، ولم يسبقه أحد إلى هذه العقوبة، وكان إذا قال واحد منهم: أيها الوزير ارحمني، فيقول له: الرَّحمة خَوَرٌ[5] في الطبيعة، فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله التنور، وقيّده بخمسة عشر رطلا من الحديد، فقال يا أمير المؤمنين ارحمني ، فقال له: الرحمة خَوَرٌ[6] في الطبيعة، كما كان يقول للناس، فطلب دواة وبطاقة فكتب شعر[7]:

هِيَ السَّبِيلُ فَمِنْ يَوْمٍ إِلَي يَوْمِ ... كَأَنَّهُ مَا تُرِيكَ الْعَيْنُ فِي النَّوْمِ[8]

---

(١٠) في نسخة الأ◻ل م والنسخة د : "فيتهجمه" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(١) في نسخة الأ◻ل م والنسخة د : "أن يكلمه عاجلا فيسير أمواله" ، والتصحيح من الوفيات ، وفي النسخة د : ". . . عاجلا فسير" .

(٢) في نسخة الأ◻ل م والنسخة د : "يقويه" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٣) في وفيات الأعيان ١٠٠/٥ .

(٤) في نسخة الأ◻ل م : "فيهما" ، وما في النسخة د يوافق الوفيات .

(٥) في نسخة الأ◻ل م والنسخة د : "جور" ، وهو تصحيف والتصحيح من الوفيات .

(٦) في نسخة الأ◻ل م والنسخة د : "جور" ، مثل السابق .

(٧) سقطت كلمة شعر من النسخة د وهي ليست في الوفيات .

(٨) البيتان في الوفيات ١٠٠/٥ ، وهما من [البسيط] .

لاَ تَجْـــــزَعَنَّ رُوَيْــــدًا إِنَّهَـــا دُوَلٌ   دُنْيَـــا تَنَقَّـــلُ مِـــنْ قَـــوْمٍ إِلَي قَـــوْمِ

وسيرها عن المتوكل فاشتغل عنها، ولم يقف عليها إلا في الغد، فلما قرأها أمر بإخراجه، (فجاءوا إليه)[١] فوجدوه ميتا، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وكانت مدة إقامته في ذلك التنور أربعين يوما، وكان القبض عليه لثمان مَضَيْن[٢] من صفر من السنة المذكورة، ووجدوه[٣] قد كتب بالفحم في جانب التنور[٤] :

مَــــنْ لَـــــهُ عَهْـــــدُ بِنَـــوْمٍ   يُرْشِــــــدِ الصَّــــبَّ إِلَيْــــــه

رَحِــــــمَ اللهُ رَحِيمًـــــــا   دَلَّ عَيْــــــــنَيَّ عَلَيْــــــــهِ[٥]

سَــــــهِرَتْ عَيْــــنِي وَنَامَــــتْ   عَــــيْنُ مَــــنْ هُنْـــتُ عَلَيْــــهِ

وقال أحمد (الأحول)[٦]: لما قبض على ابن الزيات تلطفتُ إلى أن وصلتُ إليه، فرأيته في حديد ثقيل، فقلتُ له: يعزّ عليّ ما أرى، فقال[٧]:

سَـــلْ دِيَارَ الْحَـــيِّ مَـــنْ غَيَّرَهَـــا   وَعَنَاهَـــا وَمَحَـــا مَنْظَرَهَـــا[٨]

---

(١) ما بين القوسين زيادة من الوفيات يتم بها السياق .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "بقين" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٣) في نسخة الأصل م : "ووحده" ، وهو خطأ من الناسخ .

(٤) الأبيات في وفيات الأعيان ٥/١٠٠ و ١٠١ ، وهي من [مجزوء الرمل] .

(٥) في نسخة الأصل م : "دل عيناى" ، وهو خطأ ، وما في النسخة د يوافق الوفيات .

(٦) ما بين القوسين زيادة من الوفيات يتم بها القول

(٧) الأبيات في الوفيات ٥/١٠١ ، وهي من [الرمل] .

(٨) في نسخة الأصل م : ". . . ما غيّرها" ، وفي نسخة الأصل م والنسخة د : "وبها وعز محي منظرها" [كذا] ، والتصحيح من الوفيات .

هَـــذِهِ الــــدُّنْيَا إِذَا مَـــا أَقْبَلَـــتْ　　　صَـــيَّرَتْ مَعْرُوفَهَـــا مُنْكَرَهَـــا[١]

إِنَّمَـــا الــــدُّنْيا كَظِـــلِّ زَائِـــلٍ　　　نَحْمَـــــدُ اللهَ كَـــــذَا قَــــدَّرَهَا[٢]

[٣٢٧/و] ولما حصل في التنور قال له خادمه: يا سيدي، قد □رتَ (إلى)[٣] ما □رتَ إليه، وليس لك حامد، فقال: وما نفع البَرامكة □نعهم؟ فقال: ذِكرك لهم هذه الساعة، فقال: □دقتَ.

وقد اختلف في اشتقاق الوِزَارَةِ على قولين: فقال ابن قتيبة: إنها من الوِزْر بسكون الزاي، وهو الحِمْل[٤]، كأن الوزير قد حمل عن السلطان الثقل. وقال أبو إسحاق[٥] الزّجّاجي: إنها من الوَزَر بفتح الواو والزاي، وهو الجبل الذي يُعتصم به لينجى من الهلاك ، وكذلك الوزير الذي يعتمد عليه الخليفة والسلطان ، ويلتجئ إليه في رأيه . وما ذكرناه من أخبار الوزراء العظام فيه بُلغة لذوى الأفهام ، ومن تأمل هذه اللطائف علم أنه ليس الفخر بالوزارة ، بل بالعلوم والمعارف ، فإن شرف الوزير بما هو منطوٍ كما أن فضيلة الإنسان بأ□غَرَيه ، فشرف المنصب بالأمير . ومما يستدل به على حسن نظام الملك كمال عقل الوزير .

والحِجَابة بالكسر مصدر حَجَبه إذا منعه، كذا قال العلاّمة السندوبي، والذي في القاموس أن مصدر حَجبه إنما هو حَجْبا وحجابا، قال فيه: حجبه حجابا وحَجْباً ستره، وقد احتجب وتَحَجَّب، والحاجب البوَّاب جمع[٦] حَجَبَةٍ وحُجَّاب ، وخطَّتُه[٧] الحجابة، والحجاب

---

(١) في الوفيات : "وهي الدنيا . . ." .

(٢) في الوفيات : " . . . كظل مائل" .

(٣) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأ□ل م .

(٤) هذا المعنى في اللسان في [وزر] ، ولكنه غير منسوب إلى ابن قتيبة .

(٥) القول بذات النسبة في اللسان في [وزر] .

(٦) يقصد أن الجمع منه كذا .

ما احتجب به جمع حُجُب، والحَجَبُ[1] محركة مجرى النَّفَس، وككتف الأكمة، والحاجب[2] الشعر النابت على العظم جمع حواجب، ومن كل شيء حرفُه، ومن الشمس [٣٢٧/ظ] ناحية منها، واستحجبه ولاّه الحجابة. انتهى .

ويطلق على الحاجب لفظ البواب، وعلى السادن، فهو مُرادف له؛ لأن كلا منهما خدمته البوابة. انتهى.

فائدة[3]: لما فَتَحَ اللهُ مكة على يد نبيه عليه الصلاة والسلام أتى البيت ليدخله ، فسأل عن المفتاح فقيل : هو مع عثمان بن طَلْحة بن عبد الدار ، وكان سادن الكعبة ، فأرسل إليه فقال : هاتِ المفتاح ، فأبَى ، فألوى عليٌّ (رضي الله عنه) يده ، وأخذه منه ، وفتح الباب ، ودخل رسول الله (ﷺ) وصلى فيه ركعتين ، فلما خرج قال له عمه العباس : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، اجعل لي السّدانة مع السِّقَاية ، يعنى اجعل لي مفتاح البيت، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[4]، فأمرَ رسول الله (ﷺ) عليا رضي الله عنه أن يرد المفتاح إلى عثمان بن طلحة ، فردّه عليه ، فقال عثمان : أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأشهدُ أن محمدًا رسول الله ، وأسْلَم فقال جبريل للنبي (ﷺ) : ما دام هذا البيت أول لبنة من لبناته قائمة فإن المفتاح في أولاد عثمان بن طلحة ، وفى رواية أنه لما طلب المفتاح من عثمان أَبَى ، فقال النبي (ﷺ) : يا عثمان ، إن كنتَ تؤمن بالله واليوم الآخر

---

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وخطبته" ، والتصحيح من القاموس

(١) هذا الضبط من القاموس .

(٢) في القاموس : "والحاجبان العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما ، أو الحاجب الشعر النابت" الخ ، وهو أحسن للتوضيح .

(٣) كتب التاريخ كلها تتحدث عن فتح مكة ، وما حدث فيه ، ولكن أقرب الروايات إلى ما هنا هو ما جاء في تفسير الدر المنثور ٤/٤٩٥-٤٩٧ في تفسير آية {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها} .

(٤) سورة النساء، الآية: (٥٨).

فهات المفتاح ، فقال : هاك أنت يا رسول الله ، خذه بأمانة الله ، فأخذ النبي (ﷺ) المفتاح ، ففتح الباب ومكث في البيت ما شاء الله ، فلما خرج نزل جبريل عليه السلام بالآية . انتهى

ومما قيل في مدح الحاجب[1] :

[٣٢٨/و] وَافَيْتُ مَنْزِلَهُ فَلَمْ أَرَ حَاجِبًا إِلاَّ تَلَقَّانِي بِسِنٍّ ضَاحِكِ

وَالْبِشْرُ فِي وَجْهِ الْغُلاَمِ إِشَارَةٌ لِمُقَدِّمَاتِ ضِيَاءِ وَجْهِ الْمَالِكِ

ولبعضهم:

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ فَمَا فَضْلُ الْكَرِيمِ عَلَى اللَئِيْمِ[2]!

وقال ابن أبي السمط[3] :

(١) البيتان لابن الخازن ، وهو :" ابن الخازن الكاتب أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق المعروف بابن الخازن، الكاتب الشاعر الدينوري الأ[صل] البغدادي المولد والوفاة؛ كان فاضلاً نادرة في الخط أوحد وقته فيه، وهو والد أبي الفتح نصر الله الكاتب المشهور، كتب من المقامات نسخاً كثيرة وهي موجودة بأيدي الناس، واعتني بجمع شعر والده فجمع منه ديواناً، وهو شعر جيد حسن السبك جميل المقا[صـ]ـد، ... وكانت وفاته في [صـ]ـفر سنة ثماني عشرة وخمسمائة، وعمره سبع وأربعون سنة، وقال الحافظ ابن الخوري في كتابه المنتظم: توفي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، والله أعلم، رحمه الله تعالى". والأبيات ثلاثة هي:

وافيت منزله فلم أرحاجباً إلا تلقاني بسن ضاحك

والبشر فيوجه الغلام أمارة لمقدمات حياء وجه المالك

ودخلت جنته وزرت جحيمه فشكرت رضواناً ورأفة مالك

وفيات الأعيان ١٤٩/١، الأعلام ٢١٤/١، والمنتظم ٩: ٢٠٤ والوافي ٨، الورقة: ٣٤ والشذرات ٤/ ٥٧.

(٢) البيت في ثمرات الأوراق، للحموي ص٢٦٨، دون عزو، وهو من الوافر.

(٣) هو مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة ، يكنى أبا السمط، ويلقب غبار العسكر ببيت قاله ، ويعرف بمروان الأ[صـ]ـغر ، وكان يتشبه بجده في شعره ، ويمدح المتوكل ، ويتقرب إليه بهجاء على بن أبي طالب، فلما أفضت الخلافة إلى المنتصر طرده ، وحلف ألا يدخل إليه أبدا ؛ لما كان يسمعه منه في أمير المؤمنين على بن أبي طالب [من هامش العمدة ١١٧/١ وأحال فيه إلى مصادر لترجمته: منها معجم الشعراء٣٢١، طبقات ابن المعتز

لَـهُ حَاجِـبٌ عَـنْ كُـلِّ أَمْـرٍ يَشِـينُهُ   وَلَـيْسَ لَـهُ عَـنْ طَالِـبِ الْعُـرْفِ

ولبعضهم في ذم حاجب[2] :

سَـأَتْرُكُ بَابًا أَنْـتَ تَمْلِـكُ إِذْنَـهُ   وَلَوْ كُنْتُ أَعْمَى عَنْ جَمِيعِ الْمَسَالِكِ

وَلَـوْ كُنْـتَ بَـوَّابَ الْجِنَـانِ تَرَكْتُهَـا   وَحَوَّلْـتُ وَجْهِـي مُسْـرِعًا نَحْـوَ مَالِـكِ

ولآخر[3] :

مَـاذَا عَلَـى بَـوَّابِ بَابِكُـمُ الَّـذِي   لاَ ٱلإِذْنَ يُعْطِيْنَـا وَلاَ يَسْـتَأْذِنُ

لَـوْ رَدَّنَا رَدًّا جَمِـيلاً عَـنْكُمُ   أَوْ كَـانَ يَـدْفَعُ بِالَّـتِي هِـيَ أَحْسَـنُ

والكتابة بكسر الكاف – هي الخط بالقلم ، وقد مُدحت قديما وحديثا ، فقد قيل: إن فيها تسع خصال حميدة[4] ، بها قد جُمع القرآن الكريم ، وبها حُفِظت الآثار ، وأُكدت العهود ، وسيقت التواريخ ، ونُقشت السّكك ، وبها عُرفت الأخبار ، وثَبتت الحقوق .

وأول[5] مَن خَطَّ بالعربية إسماعيل عليه السلام ، والصحيح عند أهل العلم أنه مُرَامِرُ[6] بن مُرة من أهل[7] الأَنْبَارِ ، وقيل : إنه من بنى مُرة ، ومن الأنْبَار انتشرت الكتابة في

٣٩١، الأغاني ٢٠٦/٢٣، والورقة ٤٧، وفيات الأعيان ١٩٣/٥، سير أعلام النبلاء ٤٨١/٨.

(١) البيت لأبي السمط في زهر الآداب ٥٠٧/١ ، ويسبقه بيت آخر ، وهو من [الطويل] .

(٢) البيتان ذكرا غير منسوبين في المستطرف، "باب في ذكر الحجابة والولاية" وقد رويا بتغيير طفيف وهو وضع "رجلي" بدلا من "وجهي".

(٣) وهذين كالسابقين ، في ذات الكتاب وذات الباب.

(٤) في النسخة د : "حميد يدة"، وهو خطأ من الناسخ .

(٥) هذا كله منقول من وفيات الأعيان ٣٤٤/٣ في ترجمة ابن البواب .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د : "من أمر" ، وهو تحريف ، والتصحيح من الأوائل ٨٤ والعقد الفريد ١٥٧/٤، بالإضافة إلى وفيات الأعيان . وفي وفيات الأعيان "مرامر بن مروة" ، واعتمدت ما في الأوائل والعقد الفريد.

الناس ، قال الأصمعي : إن قريشا سُئِلوا : من أين لكم الكتابة ؟ فقالوا من الأنبار، وروى ابن الكَلْبي، والهَيْثَم بن عَدِي أن الناقل لهذه الكتابة من الحِيرة إلى الحجاز هو حرب ابن أُمية بن عبد شمس القرشي [٣٢٨/ظ] ، وكان قد قَدِم الحيرة وعاد إلى مكة بهذه الكتابة، وقيل: لأبي سفيان بن حرب: من أين أخذ أبوك هذه الكتابة؟ فقال: من أسلم بن سدرة، وقال سألت: ممن أخذتَ الكتابة؟ فقال: من واضعها ، مُرَامر[1] بن مرة، فحدوث هذه الكتابة قبل الإسلام بقليل.

وكان لحمير كتابة تسمى المسند، وحروفها منفصلة غير متصلة، وكانوا يمنعون العامة من تعلمها، فلا يتعاطاها أحد إلا بإذنهم، فجاءت ملة الإسلام وليس بجميع اليمن مَن يقرأ ويكتب، وجميع كتابات[2] الأمم من سكان المشرق والمغرب اثنتا[3] عشرة كتابة، وهي العربية، والحِمْيرية، واليونانية، والفارسية، والسُّريانية، والعِبرانية، والرومية، والقِبطية، والبَرْبَرية، والأندلسية، والصينية. والله أعلم.

والعرب تقول : القلم[4] أحد اللسانين، واليأس إحدى[5] الرَّاحتين، والردَّ الجميل إحدى[6] الصدقتين، والبشر أحد القراءين، وحسن الأدب إحدى[7] النسبتين، والمرق أحد اللحمين ، وقلّة العيال أحد اليسارين ، والحاجةُ إحدى المنيّتين .

ولم تزل الكُتّاب أرباب المعارف ، لهم الفخر في التليد والطارف ، فمنهم أبو على

(٧) في النسخة د : "ابن أهل الأنبار" .

(١) في نسخة الأصل م "مزامر" وهو تصحيف ، وفي النسخة د : "من أمر" .

(٢) في النسخة د : "الكتابات" .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "اثني" [كذا] .

(٤) هذا القول والذي بعده في عيون الأخبار ٤٧/١ مع بعض اختلاف .

(٥) في نسخة الأصل م : "أحد" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٦) في نسخة الأصل م : "أحد" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٧) في نسخة الأصل م : "أحد" ، واعتمدت ما في النسخة د .

محمد بن الحسين بن مُقْلة[1] الكاتب ، كان في أول أمره مُتَولِّياً لبعض أعمال فارس، ويجبى خَراجها ، وتنقلت أحواله إلى أن استوزَره الإمام المقتدر بالله ، وخلَع عليه لأربع[2] عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلاثمائة ، ثم نفاه إلى بلاد فارس بعد أن استوزره الإمام القاهر بالله ، فأرسل إليه إلى فارس رسولا يجيء به ، ورتّب له نائبا عنه ، فوصل ابن مقلة من فارس بكرة [٣٢٩/و] يوم الأضحى من سنة عشرين وثلاثمائة، وخلع عليه ، ولم يزل وزيره حتى اتهمه[3] بمعاضدة عليِّ بن بليق على الفتك به، وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر في أول شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، ثم استوزره (الراضي بالله)[4] أيضا لسبع خلون من جمادى الأول سنة اثنتين[5] وعشرين وثلاثمائة ، واتفق رأيهم على تفويض الوزارة إلى عبد الرحمن بن عيسى بن داود الجرّاح فقلده الراضي الوزارة ، وسلّم إليه أبا عليٍّ[6] بن مُقلة، فضَرَبه بالمقارع، وجرى عليه من المكاره بالتعليق وغيره من العقوبة شيء كثير، وأخذ خطه بألف ألف دينار ثم خلص وجلس في داره، ثم أن أبا بكر ابن رائق[7] استولى على الخلافة، وخرج عن طاعتها، فأنفذ إليه الراضي واستماله ، وفوض إليه تدبير المملكة، وجعله أمير الأمراء، وردّ إليه تدبير أعمال الخراج والضِّياع من جميع النواحي، وأمر له أن يُخطب له على جميع المنابر، فقوى أمره وعظم شأنه ، وتصرف على حسب اختياره، واحتاط على أملاك ابن مقلة وضياعه وأملاك ولده أبي الحسن ، فحضر إليه ابن مقلة وإلى كاتبه وتذلل لهما[8] في

(١) هذا من وفيات الأعيان ١١٣/٥-١١٨ بما يكاد يكون بالنص .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "لأربعة عشر" واعتمدت ما في الوفيات .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "حتى اتهمه فأمر عليّ بن بليق بالفتك به" [كذا] ، والتصحيح من الوفيات.

(٤) ما بين القوسين زيادة بتصرف من وفيات الأعيان يتم بها القول .

(٥) في نسخة الأصل م ، والنسخة د : "اثنين" [كذا] .

(٦) في نسخة الأصل م ، والنسخة د : "أبو على" .

(٧) في نسخة الأصل م : "راتق" ، وما في النسخة د يوافق الوفيات .

(٨) في النسخة د : "إليهما" ، وما في نسخة الأصل م يوافق الوفيات .

معنى الإخراج عن أملاكه ، فلم يحصل منهما إلا على المواعيد ، فلما رأى ابن مقلة ذلك أخذ في السعي بابن رائق المذكور من كل جهة، وكتب إلى الراضي يشير إليه بإمساكه والقبض عليه، وضمن له أنه متى فعل ذلك وقلده الوزارة استخرج له ثلاثمائة ألف ألف دينار، وكانت مكاتبته على يد هارون المنجم النديم المقدم ذكره، فأطمعه الراضي بالإجابة إلى ما سأل ، وترددت الرسل بينهما [٣٢٩/ظ] في ذلك، فلما استوثق ابن مقلة من الراضي اتفقا على أن ينحدر إليه سرا ويقيم عنده إلى أن يتم التدبير، فركب من داره، وقد بقى من شهر رمضان ليلة واحدة ، فاختار هذا الطالع لأن القمر يكون تحت الشعاع، وهو يصلح للأمور المستورة[١]، فلما وصل إلى دار الخليفة لم يمكنه من الوصول إليه ، واعتقله في حجرة، ووجه الراضي مَن غَدَا إلى ابن رائق وأخبره بما جرى، وأنه احتال[٢] عَلَى ابن مقلة حتى حصل في أمره، وترددت بينهما المراسلات في ذلك، فلما كان رابع عشر شوال سنة ست وعشرين وثلاثمائة أظهر الراضي أمْرَ بن مقلة، وأخرجه من الاعتقال، وحضر حاجب ابن رائق[٣] وجماعة من القواد ، وتقاتلا ، وكان ابن رائق[٤] قد التمس قَطْعَ يده التي كتب بها المطالعة ، فلما انتهى كلامهما في المقاتلة قُطعت يده اليمنى ، ورُدّ إلى محبسه ، ثم ندم الراضي على ذلك ، وأمر الأطباء بملازمته للمداواة فلازَموه حتى برئ ، وكان ذلك نتيجة دعاء أبي الحسن محمد بن شنبوذ المقرئ عليه بقطع يده ، وملخص ذلك أن ابن شنبوذ المقرئ[٥] كان فيه ديانة وصلاح ، ولكن كان فيه حُمْقٌ ، كثير اللحن ، قد تفرّد بقراءة من الشواذ ، وكان يقرأ بها في المحراب ، فبلغ ذلك الوزير ابن مُقلة ، فأمر بإحضاره ورسم عليه أياما في داره ، ثم أحضره ،

(١) في نسخة الأصل م : "المستوزرة" ، وما في النسخة د يوافق الوفيات .

(٢) في النسخة د "احتار" .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "راتق" .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "راتق" .

(٥) هذا يكاد يكون بالنص من وفيات الأعيان ٤/٢٩٩-٣٠١ .

وأحضر القاضي أبا الحسين ، وأبا بكر أحمد بن موسى المقرئ ، وجماعة من أهل القرآن ، وأحضر ابن شنبوذ المذكور [٣٣٠/و] ونوظر بحضرة الوزير ، فأغلظ في الخطاب على الوزير والقاضي ، ونسبهم إلى قلة المعرفة ، فأمر الوزير بضربه فضُرب سبعا ، فدعا وهو يُضرب بقطع يده فكان الأمر كما ذكر ، ثم بعد ذلك استتابوه فتاب ، وقيل إنه رجع عما كان يقرأ به وأن لا يقرأ إلا مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه وبالقراءة المتعارفة ، واستقرره الوزير ، فأقر بما كان يقرأ به أولاً من الشواذ ، وكَتب بذلك محضرًا ، وأمره أن يكتب خَطّه في آخر المحضر ، ونسخة المحضر : سئل محمد بن أحمد المعروف بابن شنبوذ عن ما حُكى عنه أنه يقرؤه وهو : (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله) فاعترف به ، وعن : (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) ، فاعترف به ، وعن : (تبت يدا أبي لهب وقد تبّ) ، فاعترف به ، وعن آيات شاذة غير ذلك ، فاعترف بها ، وعن : (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) ، وعن (كالصوف المنفوش) ، فاعترف به ، وعن آيات شاذات ، وغير ذلك فاعترف بها ، فكتب الشهود الحاضرون شهادتهم في المحضر حسبما سمعوه من لفظه ، وكتب ابن شنبوذ خطه وصورة ما كتب : يقول أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ : ما في هذه الرقعة صحيح ، وهو قولي واعتقادي ، وذلك في يوم الأحد لسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٣ [٣٣٠/ظ] في مجلس الوزير أبي على محمد بن مقلة أدام[١] الله توفيقه ، ثم كلم أبو أيوب السمسار الوزير في أمره ، وسأله إطلاقه وأن يعفو عنه ، وسأله أن ينفذه إلى منزله ليلا سرا ؛ لئلا تقتله العامة ، فأجابه الوزير إلى ذلك ، وأنفذه إلى داره سرا . انتهى من ابن خَلِّكان .

قال (أبو) الحسن[٢] ثابت بن سِنان بن ثابت بن قُرة الطبيب ، وكان يدخل إلى ابن

---

(١) في نسخة الأصل م : "أدم" بإسقاط الألف ، وهو سهو من الناسخ .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "قال الحسن بن ثابت" ، والتصحيح من وفيات الأعيان ، وهذا القول في وفيات الأعيان ١١٥/٥ .

مُقلة لمعالجته ، قال : كنتُ إذا دخلتُ إليه في تلك الحال يسألني عن أحوال أبي الحسن ، فأعرفه استتاره وسلامته ، فَتَطِيب نفسه ، ثم يَنوحُ على يده ويبكي ويقول : خدمتُ بها الخلفاء وكتبتُ بها القرآن الكريم دفعتين ، وتقطع كما تقطع أيدي اللصوص !! فأسلّيه وأقول له هذا انتهاء المكروه ، فينشدني ويقول[١] :

إِذَا مَـا مَـاتَ بَعْضُـكَ بَعْضَـا فَـإِنَّ الْـبَعْضَ مِـنْ بَعْـضٍ قَرِيْـبُ

ثم عاد وأرسل إلى الراضي من الحبس وأطمعه في المال ، وطلب الوزارة وقال : إن قطع اليد (ليس)[٢] مما يمنع الوزارة ، وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به ، ولما قدم بَجْكَم التركي من بغداد ، وكان من المنتمين إلى ابن رائق[٣] أمرَ بقطع لسانه أيضا فقُطع ، وأقام في الحبس مدة طويلة ، ثم لحقه ذَرَب ولم يكن له مَن يخدمه فكان يستسقى الماء بنفسه من البئر ، فيجذب بيده اليسرى جذبة وبفمه أخرى ، وله أشعار في شرح حاله ، ورثاء[٤] يده ، والشكوى من المنا[?]حة وعدم تلقيها بالقَبول ، فمن ذلك قوله[٥] :

[٣٣١/و] مَا سَئِمْتُ الْحَيَاةَ لَكِنْ تَوَثَّقْـ ـتُ بِأَيْمَانِهِمْ فَبَانَـتْ يَمِينِي

بِعْـتُ دِيـنِي مِـنْهُمْ بِـدُنْيَايَ حَـتَّى حَرَمُـونِي دُنْيَـاهُمُ بَعْـدَ دِيـنِي

وَلَقَـدْ حَفِظْـتُ مَـا اسْـتَطَعْتُ بِجُهْـدِي حِفْـظَ أَرْوَاحِهِـمْ فَمَـا حَفِظُـونِي

لَـيْسَ بَعْـدَ الْيَمِـينِ لَـذَّةُ عَـيْشٍ يَا حَيَـاتِي بَانَـتْ يَمِيـنِي فَبِيـنِي

---

(١) في وفيات الأعيان ١١٦/٥ ، والبيت من [الوافر] ، ولكن البيت منسوب إلى الخريمي في ثمار القلوب ٢١١، ولم أجده في ديوانه.

(٢) ما بين القوسين زيادة من وفيات الأعيان.

(٣) في نسخة الأ[?]ل م والنسخة د : "راتق" ، والتصحيح من الوفيات.

(٤) في نسخة الأ[?]ل م : "ورثى" ، وما في النسخة د يوافق الوفيات .

(٥) في وفيات الأعيان ١١٦/٥ ، والأبيات من [الخفيف] .

ومن المنسوب إلى ابن مقلة[1] :

لَسْـــتُ ذَا ذِلَّـــةٍ إِذَا عَضَّـــنِي الدَّهْــ ـــــرُ وَلاَ شَـــامِخًا إِذَا وَافَـــانِي

أَنَا نَارٌ فِي مُلْتَقَـــى نَفَـــسِ الْحَـــا سِـــدِ مَـــاءٌ جَـارٍ مَـــعَ الْإِخْـــوَانِ[2]

ومن شعره أيضا ما ذكره الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر[3] :

فَـــإِذَا رَأَيْـــتُ فَـــتًى بِأَعْلَـــى رُتْبَـــةٍ فِي شَـــامِخٍ مِـــنْ عِـــزِّهِ الْمُتَرَفِّـــعِ

قَالَـــتْ لِيَ الـــنَّفْسُ الْعَـــرُوفُ بِقَـــدْرِهَا مَـــا كَـــانَ أَوْلاَنِي بِهَـــذَا الْمَوْضِـــعِ

ولم يزل على هذه الحالة إلى أن توفى في موضعه يوم الأحد عاشر شوال سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ودُفن بمكانه ، ثم نُبش بعد زمان وسُلم إلى أهله ، وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر لتسع بقين من شوال سنة اثنتين[4] وسبعين ومائتين ببغداد ، ويقال : إنه أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين في هذه الصورة .

ولابن مقلة ألفاظ منقولة مستعملة ، فمن ذلك قوله[5] إني إذا أحببتُ تهالكت ، وإذا أنفقتُ[6] أهلكت ، وإذا رضيتُ آثرت ، وإذا غضبتُ أثّرت . ومن كلامه[7] : يعجبني من

---

(١) في وفيات الأعيان ١١٦/٥ ، مع بعض الاختلاف ، وهما من [الخفيف] .

(٢) في النسخة د : "أنا نار في ملتقى" ، وفي نسخة الأصل م والنسخة د "وماء جار" بزيادة واو ، وهو خطأ في الوزن ، والتصحيح من الوفيات .

(٣) هذا في وفيات الأعيان ١١٧/٥ ، ولم أجده في اليتيمة.

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "اثنين" .

(٥) في وفيات الأعيان ١١٧/٥ .

(٦) في وفيات الأعيان "وإذا أبغضت" ، وكل منهما له جماله .

(٧) وفيات الأعيان ١١٧/٥ .

يقول الشعر تأدبا لا تكسُّبا ، ويتعاطى الغناء تطرُّبا لا تطلُّبا ، وله كل معنى مليح في النظم والنثر .

وكان ابن الرومي[1] الشاعر يمدحه ، فمن معانيه الجيدة ما قال فيه[2] :

[٣٣١/ظ] إِنْ يَخْدُمِ الْقَلَمَ السَّيْفُ الَّذِي خَضَعَتْ لَـهُ الرِّقَـابُ وَدانَـتْ خوفَـهُ الأُمَـمُ[3]

فَـالْمَوْتُ وَالْمَـوْتُ لاَ شَـيْءٌ يُعَادِلُـهُ مَـا زَالَ يَتْبَـعُ مَـا يَجْـرِى بِـهِ الْقَلَـمُ

كَـذَا قَـيَّضَ اللهُ لِلأَقْـلاَمِ مُـذْ بُرِيَـتْ أَنّ السُّـيُوفَ لَهَـا مُـذْ أُرْهِفَـتْ خَـدَمُ

وكان أخوه أبو عبد الله الحسن بن عليّ بن مقلة كاتبا أديبا بارعا ، والصحيح أنه صاحب الخط المليح .

ومن مشاهير الكتاب الموصوفين بالبلاغة والآداب أبو الحسن عليّ بن هلال المعروف بابن البواب[4] الكاتب المشهور، لم يوجد من كتاب (المتقدمين ولا)[5] المتأخرين مَن سَاوَاه ولا قارَبه ، وإن كان أبو علي بن مقلة أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين ، وأبرزها في هذه الصورة ، وله بذلك فضيلة السبق[6] ، وخطّه أيضا في غاية الحسن ، لكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها ، وكساها طلاوة وبهجة ، وقيل : إن صاحب الخط المنسوب ليس هو

(١) على بن العباس بن جريج، وكنيته أبو الحسن، وهو أشعر أهل زمانه بعد البحتري، وكان كثير الطيرة، ومات مسموما. ت ٢٨٣هـ وترجمته في معجم الشعراء ١٤٥، ووفيات الأعيان ٣/٣٥٨.

(٢) الأبيات في وفيات الأعيان ٥/١١٧ وفي ديوان ابن الرومي ٦/٢٢٩٤ ، وهي من [البسيط] .

(٣) في نسخة الأصل م سقطت كلمة "القلم" من الشطر الأول، وفي نسخة الأصل م والنسخة د "وكانت دونه القمم" والتصحيح من الوفيات والديوان .

(٤) هذه الترجمة تكاد تكون بالنص من وفيات الأعيان ٣/٣٤٢-٣٤٤ .

(٥) ما بين القوسين زيادة من وفيات الأعيان يتم بها القول .

(٦) في نسخة الأصل م "السيف" ، وهو خطأ ، وما في النسخة د يوافق وفيات الأعيان .

أبا علي المذكور ، وإنما هو أخوه (أبو)[١] عبد الله الحسن ، ولما شاهد أبو عُبيد البكري[٢] الأندلسي صاحب التصانيف خطَّ ابن مقلة المذكور أنشد[٣]:

خَــطُّ ابْــنِ مُقْلَــةَ مَــنْ أَرْعَــاهُ مُقْلَتَــهُ وَدَّتْ جَوَارِحُــهُ لَــوْ أَصْــبَحَتْ مُقَــلاَ

فَالــدُّرُّ يَصْــغُرُ لإِسْتِحْسَــانِهِ حَسَــدًا وَالنُّــورُ يَحْمُــدُ مِــنْ نُــوَّارِهِ خَجَــلاَ[٤]

والكل معترفون لأبي الحسن بالتفرُّد ، وعلى منواله ينسخون، وليس فيهم مَن يلحق شأوه ، ولا يدعي ذلك، مع أن في الخلق من يدّعي ما ليس فيه، ويقال له ابن السَّتْرِي أيضا؛ لأن أباه كان بوابا، والبواب لازم ستر الباب، فلهذا نُسب إليه، وكان شيخه في الكتابة ابن أسد[٥] الكاتب المشهور، وهذا [٣٣٢/و] أبو عبد الله محمد بن أسد بن علي ابن سعيد القاري الكاتب البزاز البغدادي. وتوفي ابن البواب المذكور يوم الخميس ثاني جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ببغداد، ودُفن جوار الإمام أحمد ابن حنبل، وقد رثاه بعض الفضلاء بقوله[٦] :

استشــعر الْكُتَّــابُ فَقْــدَكَ سَــالِفًا وَقَضَــــتْ بِصِـــحَّةِ ذَلِـــكَ الأَيَّامُ

---

(١) ما بين القوسين زيادة من وفيات الأعيان تتم بها الكنية .

(٢) عبد الله بن عبد العزيز البكري، وكنيته أبو عبيد، كان أميرا بساحل لَبْلَة، وصاحب جزر شلطيس، بلد صغير من قرى أشبيلية على البحر، كان معاقرا للخمر، لا يصحو من خمارها، ولا يستريح إلا إلى معاطيها، وله مؤلفات كثيرة. ت ٤٨٧هـ وترجمته من معجم الأدباء ١٥٣٤/٤ وما بعدها.

(٣) البيت الأول في وفيات الأعيان ٣٤٢/٣، ومعجم الأدباء ١٥٣٥/٤، وهو من [البسيط] .

(٤) هذا البيت ليس في الوفيات ولا معجم الأدباء.

(٥) في نسخة الأصل م : "ابن أشيد" ، وما في النسخة د "أسيد" ، والتصحيح من الوفيات .

(٦) البيتان من الوفيات ٣٤٣/٣ ، وهما من [الكامل] .

فَلِــــذَاكَ سُـــــوِّدَتِ الـــــدُّوِيُّ كَآبَـــــةً   أَسَـــفًا عَلَيْـــكَ وَشُـــقَّتِ ٱلأَقْـــلاَمُ(١)

وهذا معنى حسن جدا، ومما وُصف به كتابٌ حسن الخط وهي(٢):

كِتَـابٌ كَوَشْـيِ الـرَّوْضِ خَـطَّ سُـطُورَهُ   يَـدُ ابْـنِ هِـلاَلٍ عَـنْ فَـمِ ابْـنِ هِـلاَلِ(٣)

وَلَمَّـا أَتَـى مِنْـكَ الْكِتَـابُ الَّـذِي حَـوَى   قَلاَئِـــدَ سِـــحْرٍ لِلْبَيَـــانِ حَـــلاَلِ

وَقَفْـتُ عَلَـى رَبْـعٍ مِـنَ الْفَضْـل آهِـلٍ   وُقُـــوفِي بِرَبْـــعٍ لِلأَحِبَّـــةِ خَـــالِي

أُرَقِّـــقُ دَمْعِـــي وَأُدْمِـــنُ لَثْمَـــهُ   وَأَسْـــأَلُ أَطْـــلاَلاً تُجِيـــبُ سُـــؤَالِي(٤)

ومن الكتاب المشهورين أبو الدُّر ياقوت الكاتب(٥) بن عبد الله المَوْصِلي الكاتب الملقب أمين الدين المعروف بالمِلكِي ، نسبة إلى السلطان أبي الفتح مَلِكشاه ابن سلجوق بن محمد بن مَلِكشاه الأكبر ، نزل الموصل وأخذ النحو عن أبي محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدَّهان النحوي ، وقرأ عليه من تصانيفه جملة ، ولم يكن في آخر زمانه مَن يقاربه في حُسن الخط ، ولا يؤدي طريقة ابن البواب في النسخ مثله مع فضل غزير ونباهة تامة، وكان

(١) في نسخة الأصل م : "فلذلك" ، وما في النسخة د يوافق الوفيات ، وفي نسخة الأصل م والنسخة د "سودت الدواة" ، بإفراد الدواة" ، واعتمدت ما في الوفيات بالجمع ليناسب "الأقلام" في آخر البيت .

(٢) [كذا] جاءت "وهي" في نسخة الأصل م والنسخة د ، وقد جاءت في وفيات الأعيان ولكن قبلها كلام يقتضيها .

(٣) الأبيات ضمن خمسة أبيات في وفيات الأعيان ٣٤٣/٣ ، ولكن جاء الأول وحده قبل الأبيات مجتمعة ، ثم جاء بعد ذلك في آخر الأبيات . والأبيات من [الطويل] . وفي نسخة الأصل م والنسخة د : "يدان هلال" [كذا] ، والتصحيح من الوفيات .

(٤) في وفيات الأعيان بعد هذا البيت بيت آخر لا يقل جمالا ، وهو :

وَهِمْتُ به حتى توهمت لفظه   نجوم ليال أم سموط لآلي

(٥) هذه الترجمة تكاد تكون بالنص من وفيات الأعيان ١١٩/٦-١٢٢ .

مُغرًى بنسخ كتاب "الصِّحاح" للجوهري ، فكتبَ منه نسخا كثيرة ، كل نسخة مجلد واحد ، وكل نسخة تباع بمائة دينار ، وكتب عليه خلق كثير ، وانتفعوا [٣٣٢/ظ] به ، وكانت له سمعة كبيرة في زمانه ، وقصده الناس من البلاد ، وسيّر إليه من بغداد النجيب (أبو)[1] عبد الله الحسين بن علي بن أبي بكر الواسطي[2] قصيدة مدحه بها ، ولم يكن رآه بل على السماع به، وهى قصيدة جيدة في بابها، ووصف حسن خطه فأبلغ، فمنها قوله يصف حُسن خطه[3]:

ذُو يَـــرَاعٍ يَخَـــافُ سَـــطْوَتَهُ الْأُسْـــ ـــــدُ وَتَعْنُـــو لَـــهُ الْكَتَائِـــبُ ذُلاًّ[4]

وَإِذَا افْـــتَرَّ ثَغْـــرُهُ عَـــنْ سَـــوَادٍ فِي بَيَـاضٍ فَـالْبِيضُ وَالسُّـمْرُ خَجْلَـى

يَقِـــظٌ فِي حِرَاسَـــةِ الْمُلْـــكِ لاَ يُعْـــ ـمِـــلُ سَـــهْمًا وَلاَ يُجَـــرِّدُ نَصْـــلا

ومنهم أبو الفضل[5] محمد بن العميد أبى عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد[6]، (والعميد)[7] نعت والده، لقّبوه بذلك على عادة أهل خراسان في إجرائه مجرى التنظيم، وكان فيه فضل وأدب وله ترسّل.

---

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "ابن عبد الله" ، والتصحيح من الوفيات .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

(٣) الأبيات في وفيات الأعيان ١٢١/٦ ضمن قصيدة طويلة من تسعة وثلاثين بيتا ، وهي من [الخفيف] .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "ذا يراع" ، والتصحيح من الوفيات .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "أبو الفضل محمد بن عبد الله بن الحسين بن محمد . . ." ، والتصحيح من الوفيات ١٠٣/٥ والذي حدث هنا خطأ من الناسخ . .

(٦) هذه الترجمة تكاد تكون بالنص من وفيات الأعيان ١٠٣/٥ وما بعدها .

(٧) ما بين القوسين زيادة من الوفيات يتم بها القول ، ويصححه .

وأما ولَده[1] أبو الفضل فإنه كان وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي، تولى وزارته عقب موت وزيره (أبي)[2] علي بن القمي ، وذلك في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وكان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم، وأما الأدب[3] والترسل فما يقاربه فيه[4] أحد في زمانه، كان يسمى الجاحظ الثاني، وكان كامل الرياسة جليل المقدار، ومن بعض أتباعه الصاحب بن عباد المتقدم ذكره ، ولأجل صحبته قيل له الصاحب، وكانت له في الرسائل اليد العليا ، وقال الثعالبي في كتابه "اليتيمة"[5]: كان يقال: بُدِئَت الكتابة بعَبد الحميد، وخُتمت [٣٣٣/و] بابن العميد، وكان الصاحب بن عبَّاد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له: كيف وجدتها؟ قال بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد، وكان يقال له الأستاذ، وكان سائسا مدبرًا للمملكة[6] قائما بحقوق الملك.

وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد ومدحوه، فمنهم أبو الطيب المتنبي، ومدحه بقصيدتين إحداهما التي أولها[7]:

بَادٍ هَـــوَاكَ صَـــبَرْتَ أَوْ لَمْ تَصْـــبِرَا   وَبُكَـاكَ إِنْ لَمْ يَجْـرِ دَمْعُـكَ أَوْ جَـرَى

---

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وأما والده" ، والتصحيح من الوفيات .

(٢) ما بين القوسين زيادة من وفيات الأعيان لتصحيح القول . و في نسخة الأصل م والنسخة د : "العمى" بالعين المهملة مكان القاف ، والتصحيح من الوفيات .

(٣) في نسخة الأصل م : "وأما الآداب" ، وما في النسخة د يوافق الوفيات .

(٤) في نسخة الأصل م : "فيها" ، وما في النسخة د يوافق الوفيات .

(٥) القول في اليتيمة، في باب ملح أشعار أهل الجبال وفارس، في حديث طويل عن هذا الثنائي: عبد الحميد ، وابن العميد ، وهو يذكر قصيدة لأبي محمد عبد الله بن أحمد الخازن يقرنهما معا فيها....

(٦) في نسخة الأصل م : "للملكة" ، وهو خطأ من الناسخ ، واعتمدت ما في النسخة د ، وفي الوفيات "وكان سائسا مدبرا للملك قائما بحقوقه" .

(٧) الأبيات في الوفيات ١٠٤/٥ و١٠٥ وديوان المتنبي ١٦٠/٢ و١٦٤ و١٧٠ و١٧١ والأبيات من [الكامل].

أَرَجَـــانَ أَيَّتُهَـــا الجِيَـــادُ فَإِنَّـــهُ   عَزْمِـي الَّـذِي يَـذَرُ الْوَشِـيجَ مُكَسَّـرَا(١)

لَـوْ كُنْـتُ أَفْعَـل مَـا اشْـتَهَيْتُ فَعَالَـهُ   مَـا شَـقَّ كَوْكَبُـكِ الْعَجَـاجَ الْأَكْـدَرَا

أُمِّـــي أَبَا الْفَضْـــلِ الْمُـــبِرّ أَلِيَّـــتِي   لأُيَمِّمَـــنَّ أَجَـــلَّ بَحْـــرٍ جَـــوْهَرَا(٢)

مَـــنْ مُبْلِـــغُ الْأَعْـــرَابَ أَنِّيَ بَعْـــدَهَا   شَـــاهَدْتُ رَسْـــطَالِيسَ وَالْإِسْـــكَنْدَرَا(٣)

وَمَلِلْـــتُ نَحْـــرَ عِشَـــارِهَا وَأَضَـــافَنِي   مَـن يَنْحَـرُ الْبِـدَرَ النُّضَـارَ لِمَـنْ قَـرَى(٤)

وَسَمِعْـــتُ بَطْلَيْمُـــوسَ دَارِسَ كُتْبِـــهِ   مُتَمَلِّكًـــا مُتَبَـــدِّيًا مُتَحَضِّـــرَا(٥)

وَلَقِيـــتُ كُـــلَّ الْفَاضِـــلِينَ كَأَنَّمَـــا   رَدَّ الْإِلَـــهُ نُفُوسَـــهُمْ وَالْأَعْصُـــرَا

نُسِـقُوا لَنَـا نَسْـقَ الحِسَـابِ مُقَـدَّمًا   وَأَتَـى فَـذَلِكَ إِذْ أَتَيْـتُ مُـؤَخَّرَا(٦)

وهي من القصائد المختارة، قال ابن الهمداني في كتابه"عيون السِّير(٧)": أعطاه ثلاثة

---

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "الذي بدر الوشيح" ، والتصحيح من الوفيات .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "إني أبا الفضل" ، والتصحيح من الوفيات ، وأُمِّي : اقصدي . [من شرح الديوان] .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "من يبلغ" ، واعتمدت ما في الوفيات والديوان .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د :

وملكت مهر عشارها وأخافنى   من ينحر البدن العشار لمن قرا

والتصحيح من الوفيات والديوان .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "متكلما" ، وهو تحريف ، والتصحيح من الوفيات والديوان .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د :

نسقوا لنا نسق الحساب بعدما   وأنا فداؤك أو أتيت مؤخرا

والتصحيح من الوفيات .

(٧) عيون السير هو كتاب لمحمد بن عبد الملك الهمداني المؤرخ، ذكره ابن خلكان في الوفيات في ترجمة الوزير ابن الفرات

آلاف دينار .

وقد كان أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي[1] قد ورد عليه وهو بالري، وامتدحه بهذه القصيدة[2] :

بَـــــرَحُ اشْـــــتِيَاقٍ وَادِّكَـــــارِ وَلَهِيـــــبُ أَنْفَـــــاسٍ حِـــــرَارِ

وَمَـــــدَامِعٌ عَبَرَاتُهَـــــا تَـــــرْفَضُّ عَـــــنْ نَـــــوْمٍ مُطَـــــارِ

للهِ قَلْـــــبِي مَـــــا يُجِنْـــــنُ مِـــــنَ الْهُمُـــــومِ وَمَـــــا يُـــــوَارِي

فَقَـــدِ انْقَضَـــى سُـــكْرُ الشَّـــرَا بِوَمَا انْقَضَى وَصَبُ [٣٣٣/ظ] الْخُمَارِ[3]

وَمَـــــوَاطِنُ اللَّـــــذَّاتِ أَوْ طَـــــانِي وَدَارُ اللَّهْـــــوِ دَارِي

وَإِذَا اسْـــتَهَلَّ ابْـــنُ الْعَمِيـــدِ تَضَـــاءَلَتْ دِيَمُ الْقِطَـــارِ

خِـــرْقٌ صَـــفَتْ أَخْلاَقُـــهُ صَـــفْوَ السَّـــبِيكِ مِـــنَ النُّضَـــارِ[4]

وذكر أنه استقى منه ومن غيره معلومات الترجمة قال:" وهذا الذي ذكرته في هذه الترجمة نقلته من عدة مواضع: منها كتاب " أخبار الوزراء " تأليف الصاحب ابن عباد، وكتاب " عيون السير " تأليف محمد ابن عبد الملك الهمداني" ٤٢٥/٣، وذكره مرة أخرى في ٥٩/٥، وثالثة في ١٠٥/٥، ورابعة في ١١٩/٥، وترجمة الكتاب وصاحبه في معجم المؤلفين ١٠/ ٢٥٤.

(١) هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نُباتة بن حُميد بن نُباتة. . . التميمي السعدي، كان شاعرا مجيدا، جمع بين حسن السبك وجودة المعنى ، طاف البلاد ، ومدح الملوك والوزراء والرؤساء . من ترجمته في وفيات الأعيان ١٩٠/٣ .

(٢) القصيدة في وفيات الأعيان ١٠٥/٥ و ١٠٦ ، وجاءت القصيدة في ديوان ابن نباتة ٥٩٩/٢ في ملحق الديوان في الشعر المنسوب إليه نقلا عن الوفيات وغيره ، وهي من [مجزوء الكامل] .

(٣) في الوفيات : " . . . سكر الشباب . . ." .

(٤) الخرق : السخي .

فَكَأَنَّمَــــــا رَقَّـــــــتْ مَـــــوَا   هِبُـــــــهُ بِأَمْـــــــوَاجِ الْبِحَـــــــارِ[١]

وَكَـــــــأَنَّ نَشْـــــــرَ حَدِيثِـــــــهِ   نَشْـــــــرُ الْخُزَامَـــــــي وَالْعَـــــــرَارِ

وَكَأَنَّنَـــــــا مِمَّـــــــا تُفَـــــــرْ   رِقُ رَاحَتَـــــــاهُ فِي نِثَـــــــارِ[٢]

كَلِـــــفٌ بِحِفْـــــظِ السِّـــــرِّ تَحْـــــ   ـسَـــــبُ صَـــــدْرَهُ لَيْـــــلَ السِّـــــرَارِ[٣]

إِنَّ الْكِبَـــــارَ مِـــــنَ الْأُمُـــــو   رِ تُنَـــــالُ بِالْهِمَـــــمِ الْكِبَـــــارِ

وَإِلَي أَبِي الْفَضْـــــلِ اتَّبَعْـــــ   ـــتُ هَـــوَاجِسَ الـــنَّفْسِ السَّـــوَارِي[٤]

فتأخرت صلته عنه ، فشَفَع هذه[٥] القصيدة بأخرى ، وأتبعها برقعة فلم يزده ابن العميد على الإهمال ، مع رقة حاله التي ورد عليها ، فتوصل إلى أن دخل عليه يوم الخميس في مجلس حفل بأعيان الدولة ومقدمي أرباب الديوان ، فوقف بين يديه ، وأشار بيده إليه ، وقال أيها الرئيس ، إني لزمتك لزوم الظِّل ؛ وذللت لك ذل النعل ، وأكلتُ النوى المحرقة ، انتظارا لصلتك، والله ما بي (من)[٦] الحرمان، ولكن شماتة الأعداء، قوم نصحوني

---

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : ". . . بأنواع البحار" ، والتصحيح من الوفيات والديوان .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : جاء هذا البيت هكذا :

وكأننا ممن نرى من راحتيه من نثار

والتصحيح من الوفيات والديوان .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : ". . تحسب مده" ، والتصحيح من الوفيات والديوان .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وإلى أبى الفضل انبعثت" ، والتصحيح من الوفيات والديوان . في نسخة الأصل م والنسخة د : سقطت كلمة "النفس" من الشطر الثاني .

(٥) في نسخة الأصل م : "فشفع بهذه" وما في النسخة د يوافق الوفيات .

(٦) ما بين القوسين زيادة من الوفيات .

فاغتششتهم[١]، و□دقوني فاتهمتهم ، فبأي وجه ألقاهم ؟ وبأي حُجة أقاومهم ، ولم أحصل من مديح بعد مديح ، ومن نثر بعد نظم إلا على ندم مؤلم ويأس مسقم ، فإن كان للنجاح علامة فأين هي ؟ وما هي إلا أن الذين نحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك ، وأن الذين هجوا كانوا مثلك في الاستزادة ، فزاحم[٢] بمنكبك أعظمهم شأنا ، وأنورهم شعاعا ، وأشرفهم بقاعا ، فحار رُشد ابن العميد [٣٣٤/و] ولم يدر ما يقول ، فأطرق ساعة ، ثم[٣] رفع رأسه وقال : هذا وقت يضيق علي[٤] الإطالة (منك في الاستزادة وعن الإطالة مني)[٥] في المعذرة، وإن تواهبنا ما دفعنا إليه استأنفنا ما نتحامد عليه، فقال ابن نباتة: أيها الرئيس. هذه بقية قصيد وفد منذ زمان ، وفضلة لسان قد خرس منذ دهر ، والغني إذا مطل لئيم ، فاستشاط ابن العميد وقال: والله ما استوجبت هذا العتب من أحد من خلق الله، ولقد نافرت العميد من[٦] دون ذا حتى دُفعنا إلى قَرِيٍّ[٧] عائم، ولجاج قائم ، ولست وليَّ نعمتي فأحتملك، ولا □نيعتي فأغضي عليك ، وإن بعض ما (أوقرت)[٨] في مسامعي ينقض (مِرَّة)[٩] الحليم ، ويبدد شمل الصبر . هذا ، وما (استقدمتك)[١٠] بكتاب ، ولا استدعيتك

(١) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "فاعتششهم" ، والتصحيح من الوفيات .

(٢) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "تراهم" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٣) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "ثم أطرق" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٤) في الوفيات : "يضيق عن" .

(٥) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأ□ل م ، واعتمدته من النسخة د والوفيات ، ما عدا كلمة "منى" في آخر القول فهي ساقطة من النسخة د .

(٦) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "من دون راحتى رفعنا قري حاشم" [كذا] ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٧) القري الروي ، جاء في لسان العرب : هذا الشِّعْرُ على قَرِيٍّ" مادة قرا .

(٨) في نسخة الأ□ل م : "أقرت" ، وفي الوفيات "أقررته" ، واعتمدت ما في النسخة د للسياق .

(٩) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "من الحليم" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(١٠) في نسخة الأ□ل م والنسخة د : "وما استنقذتك" ، واعتمدت ما في الوفيات .

برسول ، ولا سألتك مدحي ، ولا كلفتك تقريضي[1] ، فقال ابن نباتة : صدقت أيها الرئيس ، إنك ما (استقدمتني)[2] بكتاب ، ولا استدعيتني برسول ، ولا سألتني مدحك ، ولا كلفتني تقريضك ، ولكن جلست في صدر إيوانك بأبهتك وقلت لا يخاطبني أحد إلا بالرياسة ، ولا ينازعني خَلْقٌ في أحكام السياسة ، فإني كاتب ركن الدولة ، وزعيم الأولياء والحضرة ، والقيم بمصالح المملكة ، فكأنك دعوتني بلسان الحال ، ولم تدعني بلسان المقال ، فثار ابن العميد مغضبا ، وأسرع إلى صحن داره مارًّا يقول: إن سَفَّ التراب والمشي على الجمر أهون من هذا ، فلعن الله الأدب إذا كان بائعه مهينا ومشتريه مُمَاكِسًا، فلما سكن غيظ ابن العميد ، وثاب إلى حلمه التمسه من [٢٣٤/ظ] الغد ليعتذر إليه ، ويزيل ما كان منه ، فكأنما غاص في سبع أَرَضِين ، فكانت حسرة في قلب ابن العميد إلى أن مات . انتهى .

وكان أبو الفرج[3] أحمد بن محمد الكاتب (مكينا)[4] عند مخدومه ركن الدولة بن بويه، وله الرتبة العالية لديه، وكان ابن العميد لا يوفيه حقه من الإكرام، فعاتبه مرارا فلم يفد، فكتب إليه[5]:

مَالُكَ مَوْفُورٌ فَمَا بَالُهُ ... أَكْسَبَكَ التِّيهَ عَلَى الْمُعْدِمِ[6]

---

(١) في النسخة د : "تقريظي" بالظاء المعجمة ، وما في نسخة الأصل م يوافق الوفيات . والتقريض بالضاد المعجمة – الثناء في الخير والشر ، أي يتجازيان ، والتقارظ بالظاء المعجمة : المدح والخير خاصة ، وقال ابن خالويه : هما بمعنى واحد [اللسان في قرض] .

(٢) في نسخة الأصل م : "إنك ما استنفذتني" وفي النسخة د : "إنك استنفذتني" بإسقاط "ما" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٣) هذا في وفيات الأعيان ١٠٨/٥ .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "مكتبا" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٥) الأبيات في وفيات الأعيان ١٠٨/٥ ، وهي من [السريع] .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د : "موفور فما ذا الذي" ، والتصحيح من الوفيات . وفي نسخة الأصل م " . . . عن المعدم" ، وما في النسخة د يوافق الوفيات .

إنْ كُنْـتَ ذَا عِلْـمٍ فَمَـنْ ذَا الَّـذِي   مِثْـلَ الَّـذِي تَعْلَـمُ لَمْ يَعْلَـمِ[١]

وَلَسْـتَ فِي الْغَـارِبِ مِـنْ دَوْلَـةٍ   وَنَحْـنُ مِـنْ دُونِـكَ فِي الْمنْسِـمِ[٢]

وَقَـدْ وُلِينَـا وَعُزِلْنَـا كَمَـا   أَنْـتَ فَلَـمْ نَصْـغُرْ وَلَمْ تَعْظُـمِ[٣]

تَكَافَـأَتْ أَحْوَالُنَـا كُلُّهَـا   فَصِـلْ عَلَـى ٱلإِنْصَـافِ أَوْ فَاصْـرِمِ

وللصاحب[٤] بن عباد فيه مدائح كثيرة، وكان ابن العميد قد قدم مرة إلى أصبهان والصاحب فيها فكتب إليه يقول شعرا[٥] :

قَـالُوا رَبِيعُـكَ قَـدْ قَـدِمْ   قُلْـتُ الْبِشَـارَةُ إِذْ سَـلِمْ[٦]

أَهُـوَ الرَّبِيـعُ أَخُـو الشِّـتَا   ءِ أَمِ الرَّبِيـعُ أَخُـو الْكَـرَمْ ؟!

قَـالُوا الَّـذِي بِنَوَالِـهِ   أَمِـنَ الْمُقِـلُّ مِـنَ الْعَـدَمْ[٧]

قُلْـتُ الـرَّئِيسُ ابْـنُ الْعَمِيـ   ـدِ إِذًا فَقَـالُوا نَعَـمْ

---

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "مثل الذي يعلم لم تعلم" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وأنت في الغارب . . . في الميسم" ، والتصحيح من الوفيات . والغارب : أعلى كل شيء ، وأعلى مقدم السنام ، والذروة . والمنسم : طرف خف البعير وغيره .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : ". . . فلم تصغر" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٤) في وفيات الأعيان ١٠٨/٥ .

(٥) في النسخة د "شعره" ، والكلمة بصورتيها غير موجودة في الوفيات .

(٦) الأبيات في الوفيات ١٠٨/٥ وديوان الصاحب بن عباد ٢٧٧ و ٢٧٨ مع بعض اختلاف وهي من [مجزوء الكامل] . وفي نسخة الأصل م والنسخة د : "إذا قدم" ، واعتمدت ما في الوفيات والديوان .

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د : "أمل المقل" ، واعتمدت ما في الوفيات وفي الديوان ؛ "يغنى المقل" .

ومن محاسن ألفاظه ما كتبه لبعض الإخوان[1]: نحن يا سيدي في مجلس غني إلا عنك، شاغر[2] إلا منك، قد تفتحت فيه عيون النرجس، وتوردت فيه خدود الورد، وفاحت مجامر الأُتْرُج، وانطلقت ألْسُنُ العيدان، وقامت خطباء الأطيار، وهبّت رياح الأقداح، وقام منادي الطرب، وطلعت كواكب الندمان، فبحياتي إلا ما حضرت لنحصل بك في جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقد .

وكتب [٣٣٥/و] إلى بعض إخوانه[3] : مجلسنا يا سيدي مفتقر إليك ، ومعول عليك ، قد أَبتْ راحةٌ أن تصفو أو تتناولها يمناك ، وأقسمت غناؤه أن يطيب أو تعيه أذناك، فأما خدود نارنجه فقد احمرّت خَجلا لإبطائك ، وعيون نرجسه فقد حدّقت تأميلا للقائك ، فبحياتي عليك إلا ما تعجلت الحضور لئلا يخبث من يومنا ما طاب ، ويعود من همي ما طار وغاب .

ومن ظريف كلامه[4] : أطيب ما يكون الحَمَل إذا حلَّت الشمس بُرج الحَمَل ، ومن خير الكلام ما أغناك جدُّه ، وألهاك هزلُه[5] .

وكان ابن العميد كثير الإعجاب بقول بعضهم[6] :

وَجَـاءَتْ إِلَي سِـتْرٍ عَلَـى الْبَـابِ بَيْنَنَـا ... مُجَـافٍ وَقَـدْ قَامَـتْ عَلَيْـهِ الْوَلاَئِـدُ[7]

---

(١) لم أعثر على هذا القول .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "شاكر" ، ولا معنى له ، وأصلحته بما يناسب السياق ، والله اعلم بالصواب .

(٣) لم أعثر على هذا الكتاب ، وفي نسخة الأصل م والنسخة د : "إخوان" ، وأصلحته بما يناسب ، والله أعلم بالصواب .

(٤) لم أعثر على هذا القول .

(٥) في نسخة الأصل م : "هزله وحده" ولا معنى لكلمة "وحده" ، واعتمدت ما في النسخة د بإسقاط كلمة "وحده" .

(٦) في الوفيات ١٠٨/٥ و ١٠٩ ، والأبيات من [الطويل] .

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وجاءت إلى . . . بخال . . . " ، والتصحيح من الوفيات .

لِتَسْـمَعَ شِـعْرِي وَهْـوَ يَقْـرَعُ قَلْبَهَـا ... بِـوَحْيٍ يُؤَدِّيـهِ إِلَيْـهِ الْقَصَـائِدُ[1]

إِذَا سَمِعَـتْ مِـنِّي لَطِيفًـا تَنَفَّسَـتْ ... لَـهُ نَفَسًـا تَنْقَـدُّ مِنْـهُ الْقَلائِـدُ

وتوفي ابن العميد المذكور في المحرم سنة ستين وثلاثمائة بالري – رحمه الله – وكان أبو الفضل بن العميد يعتاده القولنج تارة والنِّقْرِس[2] أخرى ، وقال لسائل سأله : أيهما أصعب عليك وأشقّ ؟ فقال : إذا عارضني النقرس فكأني بين فكّي سَبُع يمضغني مضغا ، وإذا اعتراني القولنج وددت لو استبدلت النقرس عنه . ويقال أنه رأى في بستان رجلا يأكل خبزا ببصل ولبن، وقد أمعن منه، فقال: وددت لو كنت كهذا الأكار[3] أشبع مما أشتهي. قلت[4]: هذه شيمة[5] الدنيا قلَّ أن تصفو من الشوائب .

وحُكِي[6] أن الصاحب بن عباد مَرَّ على داره بعد وفاته فلم ير هناك أحدا بعد أن كان الدهليز يغض[7] من زحام الناس فأنشد[8] :

[٣٣٥/ظ] أَيُّهَا الرَّبْعُ لِمْ عَلاَكَ اكْتِئَابُ ... أَيْـنَ ذَاكَ الْحِجَـابُ وَالْحُجَّـابُ ؟ !

أَيْـنَ مَـنْ كَـانَ يَفْـزَعُ الـدَّهْرُ مِنْـهُ ؟ ... فَهُـوَ الْيَـوْمَ فِي الـتُّرَابِ تُـرَابُ

---

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "لمستمع شعري ويقرع قلبها" ، وهو خطأ ، والتصحيح من الوفيات .

(٢) داء المفاصل ، ويسمونه مرض الملوك من كثرة أكل اللحم .

(٣) الأكار : الفلاح الذي يزرع .

(٤) هذا في الوفيات ٥/١١٠ .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "سيمة" بالسين المهملة ، وهو تصحيف ، والتصحيح من الوفيات .

(٦) في الوفيات ٥/١١٠ .

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د : "لا يغض" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٨) البيتان ضمن ثلاثة أبيات في الوفيات ٥/١١٠ ، ولم أجدها في ديوانه ، وهي من [الخفيف] .

ولما[١] مات رتَّب ركن الدولة مخدومه عليا، ولقبه ذا الكفايتين مكانه في دست الوزارة ، وكان جليلا نبيلا .

ومثل[٢] هذه الحكاية ما حكاه على بن سليمان قال : رأيت بالري دارًا لم يبقَ إلا رسم بابها ، وعليه مكتوب[٣] :

إِعْجَبْ لِصَرْفِ الزَّمَانِ مُعْتَبِرًا ... فَهَذِهِ الدَّارُ مِنْ عَجَائِبِهَا

عَهْدِي بِهَا بِالْمُلُوكِ زَاهِيَةً ... قَدْ سَطَعَ النُّورُ فِي جَوَانِبِهَا

تَبَدَّلَتْ وَحشَةً بِسَاكِنِهَا ... مَا أَوْحَشَ الدَّارَ بَعْدَ صَاحِبِهَا

وكتب إلى صديق له يستهديه خمرا مستورًا عن والده[٤] : قد اغتنمت الليلة – أطال الله بقاءك يا سيدي – رَقْدةً من عين دهري ، وانتهزت فرصة من فُرص عمري ، وانتظمت مع أصحابي في سِمْط الثريا ، فإن لم تحفظ[٥] علينا هذا النظام بإهداء المدام عُدنا كبنات نَعْشٍ . والسلام .

ومن المنسوب إلى أبي الفتح بن العميد[٦] :

يَقُولُ لِيَ الْوَاشُونَ كَيْفَ تُحِبُّهَا ... فَقُلْتُ لَهُمْ بَيْنَ الْمُقَصِّرِ وَالْغَالِي

---

(١) في الوفيات ٥/١١٠ ولما مات رتب مخدومه ركن الدولة ولده ذا الكنايتين أبا الفتح عليا مكانه في دست الوزارة" ، وهو أحسن في رأيي لعدم الركاكة .

(٢) في الوفيات ٥/١١٠ .

(٣) الأبيات في المصدر السابق ، وهي من [المنسرح] .

(٤) في وفيات الأعيان ٥/١١١ .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "فإن لم يحفظ" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٦) في وفيات الأعيان ٥/١١٢ ، والأبيات من [الطويل] .

وَلَــوْلاَ حِــذَارِي مِــنْهُمُ لَصَــدَقْتُهُمْ فَقُلْــتُ هَــوًى لَمْ يَهْــوَهُ قَــطُّ أمْثَــالِي

وَكَــمْ مِــنْ شَــفِيْقٍ قَــالَ مَالَــكَ وَاجِمًــا ؟ فَقُلْـتُ تَـرَى مَا بِي وَتَسْأَلُ عَنْ حَالِي ؟!

ومن بلاغة(١) الكتّاب ما أورد ابن زنبل في تاريخه أن السلطان سليم — رحمه الله — لما أخذ مصر من الغوري قال لخير بك: قصدي أعلم ما يتحصل من مال مصر في السنة، فقال له: يا مولانا [٣٣٦/و] القاضي أبو بكر بن الجيعان يعلمكم به، فأمر به، فلما أُحضر أمره السلطان بأن يجعل له دفترًا بمحصول مصر مختصرا ، فقال له : في غَدٍ سعادتكم يتم ذلك ، ثم انصرف ، وحضر في اليوم الثاني وقال : يا مولانا السلطان ، محصولها كذا ، وتصاريفها كذا ، والباقي لمولانا السلطان كذا ، بعد المصاريف ، قال : وجعل في أثناء كلامه ينظر إلى ظُفْر إبهامه ، فتعجب منه السلطان سليم — رحمه الله — ثم قال له : مالك تنظر إلى ظُفرك ؟ فقال له: كتبتُ فيه رؤوس الأبواب حتى إذا شرد عنى باب راجعته، فتعجب السلطان سليم — رحمه الله— من حافظته ، وشرّفه بخلعة ، وقدّره في الرزنامية(٢).

ومن لطائف الكتاب ما حُكى(٣) أن أحمد بن سليمان بن وهب كان يكتب في كتاب فدخل أبوه فقال: يا بنى، سألت عليَّ بن يحيى أمس أن يؤنسني اليوم، فاكتب إليه رقعة بإنجاز

---

(١) تاريخ السلطان سليم مع قانصوه الغوري: لأحمد بن زنبل الرمال. طبع بمصر ١٢٧٨هـ ، ابن زنبل ت٩٨٠هـ = ١٥٧٢ م، أحمد بن علي بن أحمد بن زنبل: عارف بالتاريخ من أهل مصر. كان يتعاطى النظر في الرمل والنجامة فيقال له (الرمال) ثم كان من موظفي نظارة الجيش. له كتاب (فتح مصر – ط) و (سيرة السلطان سليم – خ) و (تحفة الملوك في عجائب البر والبحر – خ) و (المقالات في السحر والرمل – خ) و(قانون النجامة).

(٢) في نسخة الأ[illegible]ل م : "الرزمانية" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٣) لم أعثر على هذه الحكاية، وأحمد بن سليمان هو :" أحمد بن سليمان بن وهب ابن سعيد الكاتب، أبو الفضل، وأبوه أبو أيوب سليمان بن وهب الوزير، وعمه الحسن بن وهب معروفان مشهوران، مذكوران في هذا الكتاب، ونسب هذا البيت مستقصى في ترجمة الحسن بن وهب، مات فيما ذكره أبو عبد الله في كتاب معجم الشعراء في سنة خمس وثمانين ومائتين" معجم الأدباء ١٠٣/١ .

وعْده بالأمس، فأخذ القرطاس وكتب[١]:

يَا مَـــنْ فَـــدَتْ أَنْفُسُـــنَا نَفْسَـــهُ   مَوْعِـــدُنَا بِالْأَمْـــسِ لاَ تَنْسَـــهُ

ومن مشاهير الكتّاب البلغاء الإمام الفاضل الكاتب القاضي محيي الدين بن عبدالظاهر[٢] أحد أشياخ الإنشاء، لا بل إمام مَن ترسّل وتوصّل ، فمن ذلك رسالته التي كتب بها إلى الأمير ناصر الدين بن النقيب في معنى شخص تنقّصه وهي[٣]: بلغني — أعزك الله، ولا برحت فناء الفخر قشيب ملبس العمر، يانع ثمر الشكر، مفعم حياض البر — أن فلانا غَضَّ منى كلّ غَضٍّ الجني ، وأنه عبث بي عبث الأيام بالمنى [٣٣٦/ظ] وأنه ردّني إلى أرذل العمر في الإطراح ، وأغلق في وجه تنجحي[٤] أبواب النجاح، وزعم أن إنائي غير مفعم، وبناء مجدي غير محكم، وجواد إجادتي غير مُلْجم، وأن ميلاد مجدي حديث، وسبب سعدي رثيث، وأن جوارح إجادتي جريحة ، وقرائح ارتجالي قريحة، وأن صدور المجالس تنكر إقدامي، وبطون الطروس لا تلقح بوطء[٥] أقلامي، وأنى لا أُعَد في جملة الكتاب، وإذا دخلوا من أبواب متفرقة لا أدخل معهم من باب، شعر[٦] :

وَإِذَا أَتَتْـــكَ مَـــذَمَّتِي مِـــنْ نَاقِـــصٍ   فَهِـــي الشِّـــهَادَةُ لِي بِأَنِّيَ كَامِـــلُ[٧]

وقد بنيتُ مقالة هذا القائل على أمور ، وحملتها على احتمالات ، غَرَّه في جميعها

---

(١) لم أعثر على هذا البيت وهو من [السريع] .

(٢) هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة الجذامي المصري، وكنيته محيي الدين، الكاتب الناظم الناثر، شيخ أهل الترسل. ت ٦٩٢ هـ من فوات الوفيات ١٧٩/٢ .

(٣) لم أعثر على هذه الرسالة .

(٤) في نسخة الأصل م : "تبجحي" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٥) في نسخة الأصل م "بوطي" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٦) سقطت كلمة شعر من النسخة د .

(٧) البيت للمتنبي في ديوانه ٢٦٠/٣ وهو من [الكامل] .

الجهلُ ، كما غرّه بالله الغَرُور ، والذي أقول له مخاطبا ، وأوحيه[١] إليه مجاوبا إن كان استرسالك أيها العائب عبثا فما كل الأفاعي تعبث بها الأنامل ، ولا كل المراعي تنصب بها الحبائل ، ولا كل نسر واقع ، ولا كل نير[٢] راجع ، ولا كل السموم تدخل درياق ، ولا كل مطوق يجذب بالأطواق ، فإن كنت ما قلت حلما فإن من الأحلام ما يروع ، أو وهما فإن من الأوهام ما يخامر الضلوع ، أو جهلا فإن المندل الرطب لا يضر كونه حَطَبا في معدنه وموطنه ، والتِّبْر لا يضره كونه ترابا في معدنه ، ولا يضر الزناد الواري قدح القادح كما أنه لا يضر النجم الساري نبح النابح ، ولا عليّ إذا قلت ملاما ، وقلت أنا سلاما ، والفخر في أن أحلم إذا قلت اهتضاما ، لا في أن [٣٣٧/و] تقول فيّ كلما حلمت مناما ، كما[٣] أن ما في يدك أن تحدث لي ضرا ، وفي يدي أن أوسعك صبرا ، وفي قدرتي أن تستغضبني فلا أغضب ، وفي قدرتك أن أسترضيك فلا ترضى ، وعندك أنك تأكل لحمى ميتا ، وعندي أنى لا أستحل أن آكل لك لقمة ولا بعد ثلاث ، ويعجبني أنك تحفر لي بئرا وتقع فيها ، ولا يعجبني أن أقع فيك . شعر[٤] :

أُنَــزِّهُ قَــدْرِي عَــنْ مُجَــارَاةِ مِثْلِــهِ ... مَتَى كَانَتِ الْآسَادُ مِثْلَ الثَّعَالِبِ ؟ ![٥]

وأعود إلى محاققة النفس فتأبى إلا إظهار الملبس[٦] فأقول : هل أنت يا فلان إلا متخرّصٌ[٧] بزور ، وآيسٌ من الخير كما ييأس الكُفّار من أصحاب القبور ، وآمنٌ من العواقب

---

(١) في نسخة الأصل م "وأوحيه" ، وهو سهو من الناسخ ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٢) في النسخة د : "زير" .

(٣) في نسخة الأصل م : "كما أنك في ما يدك أن" [كذا] ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٤) سقطت كلمة شعر من النسخة د .

(٥) لم أعثر على البيت ، وهو من [الطويل] .

(٦) في النسخة د : "النفس" .

(٧) متخرِّص : كذاب . من خرَص يخرُص . اللسان في [خرص] .

، ولله عاقبة الأمور ، وما مبالاتي بك إلا مبالاة الديك بالبط ، والشمعة بالقط ، ورماح الخُط بأقلام الخَط ، ومتى خافت الرعود من الوعود ؟ ، أو متى أحجمت الأسود عن القرود ؟ أم متى جزعت البحار من التيار ؟ أم متى صارت النار كالأنوار ؟ أم متى خافت هَرَمَا[١] مصر من الأيام ، وهي التي يخاف منها على الأيام ؟ وهل تبالي الدرة المضيئة إذا قيل لها اليتيمة ؟ أو هل تُعاب الأعين النُّجل إذا قيل لها سقيمة ؟ وما مبالاتي بما يقوله إلا مبادرة آدم بعدم السجود من إبليس ، ولا ضرري منك إلا ضَرر الصَّرْح المُمَرّد من قَوَارير بوطية[٢] بلقيس . شعر[٣] :

وَلَـــــوْ أَنِّ بُلِيـــــتُ بِهَـــــاشِمِيٍّ   خُؤُولَتُـــــهُ بَنُـــــو عَبْـــــدِ الْمَـــــدَانِ

لَهَـــانَ عَلَـــيَّ مَـــا أَلْقَـــى وَلَكِـــنْ   تَعَـــالَوْا فَـــانْظُرُوا بِمَـــنِ ابْـــتَلاَنِي

ولعمري لقد استنطقت من ثلبي[٤] مفوَّها ، وأثرت من ذَمِّي مُرَفَّهًا ، وهززت (من قلبي مثقّفا) [٥]، وأصلقت[٦] من كلمي مُرْهفا . مفرد[٧] :

---

(١) [كذا] في نسخة الأصل م والنسخة د ، ويبدو أن الصواب "أهرامات" .

(٢) [كذا] جاءت الكلمة في نسخة الأصل م والنسخة د . ولم أجد في اللسان إلا الآتي في [بوط] : لا البوطة : التي يذيب فيها الصانع ونحوه من الصناع ، ابن الأعرابي : باط الرجل يبوط إذا ذلَّ بعد عِزٍّ أو افتقر بعد غِنىً .

(٣) جاء البيتين منسوبين إلى زياد بن عبد الله الحارثي في أخبار أبي تمام ٣٨ و ٣٩ ، وجاءا دون نسبة في جمهرة الأمثال ١٩٣/٢ ، وهما من [الوافر] .

(٤) في النسخة د : "قلبي" .

(٥) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسخة د .

(٦) [كذا] في نسخة الأصل م ، وفي النسخة د : "وأصلتت"، ويبدو أن الصواب هو "وأصقلت" أو "وأصلتَّ" .

(٧) هكذا في النسخ ، والصواب في كلمة القافية: "سآل" بزنة فعَّال، مبالغة من السؤال، والبيت لأبي العلاء المعري، من التي أولها:

مَغانِي اللّوَى من شخصِكِ اليومَ أطلالُ   وفي النومِ مَغْنىً مِن خيالِكِ مِحْلال.

وقبل البيت الذي معنا قوله: **طَوَيْتُ الصّبَا طَيَّ السجِلّ وزارَنِي   زَمانٌ له بالشيْبِ حُكْمٌ وإسجال.**

[٣٣٧/ظ] مَـتَى سَـأَلَتْ بَغْـدَادُ عَـنِّي وَأَهْلُهَـا فَـإِنِّيَ عَـنْ أَهْـلِ الْعَوَاصِـمِ سَـائِلُ

وأما ما توهمتَ من حلولي في أخريات المجالس، وكوني في ذلك غير مناقش ولا منافس فلا عيب على السنان إذا ختم الأنابيب، ولا حلول القافية آخر البيت من الأعاجيب، والبدر أحسن ما تراه العين في ذيل الأفق، ولا حَطّ منزلة الحَمْدَلَةِ إذا أتى بها في آخر الكتاب[1] من كتب، ولا تشان سورة الإخلاص إذا تقدمتها سورة أبي لَهَب. مفرد[2]:

وَلَـوْ لَمْ يَعْـلُ إِلاَّ ذُو مَحَـلٍّ تَعَـالَى الجَـيْشُ وَانْحَـطَّ القَتَـامُ

ولا تعاب الشمس إذا كان لها دون فَلَك زُحل مقام، ولا يوم عَروبة إذا جاء سادسا للأيام، من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضعه، والبيت بأهله، والغمد بنصله، والثوب بلابسه، والجواد بفارسه، والقوس براميها، والصهوة براقيها، ومن أسافل البحور تترقّى الدرر إلى النحور، ولئن تأخرت الواو في "عمرو" في الهجاء فلطالما كانت في صدر الكلام في الابتداء ، وقد ورد[3] التصغير للتعظيم ، ونطق القرآن الكريم بالتهكم بلفظ التكريم[4] على أن السعد بحمد الله لا يتوقف على الجلوس في ذيل المجالس ، ولا الحلول منها في الأواخر ، ولا يحصَّن المرتفع ، ويحصّن المتضع ، (فقد عُطلت السبابة والوسطى ، وحُليت دونهما الخناصر) [5]، ولا حسن الثوب إلا بسجافه ، ولا رُقم العلمُ في بُردٍ إلا في أطرافه .

والبيت من الطويل

(١) في هامش نسخة الأصل م كتب : "في المصاحف . . صح" .

(٢) البيت للمتنبي في ديوانه ٧٢/٤ وهو من [الوافر] .

(٣) في نسخة الأصل م "ور" [كذا] بإسقاط الدال سهوا من الناسخ .

(٤) يقصد قوله تعالى : {فبشِّرهم بعذاب أليم} [آل عمران : ٢١ والتوبة : ٣٤] .

(٥) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسخة د .

شعر[١] :

إِذَا أَنْــتَ أُعْطِيــتَ السَّــعَادَةَ لَمْ تُبَــلْ وَلَــوْ نَظَــرَتْ شَــزْرًا إِلَيْــكَ الْقَبَائِــلُ

تَقَتْــكَ عَلَــى أَكْتَــافِ أَبْطَالِهَــا الْقَنَــا وَهَاتِيــكَ فِي أَغْمَــادِهِنَّ الْمَنَاصِــلُ[٢]

ولقد لامست منى شَيْهَمًا[٣] ، ومارست ضيغما ، وجالست أرقما ، وزاحمت جندلاً ، وهادَيت[٤] أجدلا . مفرد[٥] :

يَا سَــالِكًا بَــيْنَ ٱلأَسِــنَّةِ وَالْقَنَــا إِنِّي أَشُــمُّ عَلَيْــكَ رَائِحَــةَ الــدَّمِ

وها أنا[٦] وجدت مكان القول ذا سعة [٣٣٨/و] والسيف أقطع ما يكون إذا هُزَّ، والجواد أسرع ما يكون إذا لُزّ[٧]، وإن مع اليوم غدا، ولو تُرك القَطا لهدا، وعداوة الشعراء بئس المقتنى، ومن تعلق به حُمَةُ[٨] الأفاعي يعش إن فاته الأجل عليلا، وإن قلتَ إنك لا يضرك هذا الإزعاج، ولا يثيرك هذا الإرهاج، ولا تبالي به إلا مبالاة الزجاج بالزجاج، ولا تأنف به إلا أنفة الحجاج بالحجاج. مفرد[٩] :

---

(١) البيتان لأبي العلاء المعري في شروح سقط الزند ٥٤٨/٢ و ٥٤٩ ، وهما من [الطويل] .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "تفتك" ، والتصحيح من شروح الزند .

(٣) الشّيهم : الدُّلْدُل، والشيهم: ما عظم شوكه من ذكور القنافذ. [اللسان في شهم] .

(٤) في النسخة د : "وهاويت" .

(٥) لم أعثر على البيت، وهو من [الكامل] .

(٦) في نسخة الأصل م رسمت الكلمة هكذا "هانا" ، وهو سهو من الناسخ .

(٧) لُزَّ : شُدّ وأُلصق . [اللسان في لزز] .

(٨) الحُمَةُ: السُّم، وقيل : الإبرة التي تضرب بها الحية والعقرب والزنبور ونحو ذلك، أو تلدغ بها. اللسان/ حما.

(٩) لم أعثر على البيت وهو من [الوافر] .

فَـــإِنَّ بَــــنِي النُّــــوَيْرَةِ أَدْرَكَـــتْهُمْ ❊ مَــــــذَمَّتُهُمْ بِعَبْـــــدِ أَبِي سِــــــرَاجِ

وإن الذبابة تقيّء النفس، وإن بعقدة الجوزاء يخسف القمر، وتكسف الشمس، وأعود فأقول: ما أظنك وقعت مني على الخبير، ولا أنت في الفحص عن الحالي[1] في قَبيل ولا دَبير، ولا علمت أن جدي سعد وسعدي جذيذة[2]، ولا أبي بحمد الله المأمون، ولا كيف لا ووالدي الرشيد، ولا أن لي أبا يضع لي فوق البدر مهادًا، وشيما تجعل الجوزاء تحت يدي وسادا.

وَقَـدْ سَـارَ ذِكْـرِي فِي الْـبِلاَدِ فَمَـنْ لَهُـمْ ❊ بِإِخْفَــاءِ شَمْــسٍ نُورُهَــا مُتَكَامِــلُ[3]

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْـــتُ الأَخِــــيرَ زَمَانُــــهُ ❊ لآَتٍ بِمَــــا لَمْ تَسْــــتَطِعْهُ الأَوَائِـــــلُ

وتالله إن يومي ينافس فيّ الأمس، وقومي يفخرون بي كما فخر عصام بالنفس. شعر[4]

إِنَّا ذَوُو الحَسَـــبِ الْقَصِـــيرِ وَطُولُنَـــا ❊ أَعْيَــا عَلَــى الْكُـــبَرَاءِ وَالأَشْـــرَافِ

وَالـرَّاحُ إِنْ قَـالُوا ابْنَـةَ الْعِنَـبِ اكْتَفَـتْ ❊ بِأَبٍ عَــــنِ الأَسْمَــــاءِ وَالأَوْصَــــافِ

---

(١) في النسخة د : "حالي" .

(٢) في النسخة د : حديدة" بالحاء المهملة .

(٣) البيتان لأبى العلاء المعري في شروح سقط الزند ٥٢٣/٢ ، ٥٢٥ ، وجاء البيتان في نسخة الأصل م والنسخة د في صورة النثر، وهما من [الطويل] .

(٤) سقطت كلمة "شعر" من النسخة د. والبيتان من [الكامل]، وهما لأبي العلاء المعري من التي أولها:

أَوْدَى فلَيتَ الحادِثاتِ كَفَافِ ❊ مالُ المُسيفِ وعنبرُ المُستافِ.

وهو بها يرثي الشريف الرضي. قال اليوسي:" والنسب القصير هو أن يقول: أنا فلان ابن فلان، فيعرف لكون أبيه أو جده الأدنى من الأعيان، والطويل هو ألاّ يعرف إلى رأس القبيلة".المحاضرات في الأدب واللغة، للحسن ابن مسعود بن محمد أبو علي نور الدين اليوسي، وذلك في ترجمته لنفسه في أول كتابه.

ولا أعلم أيها المتنقص لي ذنبا يستدعى هذا الإسهاب، ولا بيني وبينك خطوبا فُهتُ به من الخطاب، اللهم إني لا أعتقد اعتقادك المضلل، ولا أرى رأيك المؤول، ولا أقلد عبدالله بن سينا [٣٣٨/ظ] في اعتقاده، ولا أبا الخطاب الأسدي في اجتهاده، ولا أوافق هشام بن مسلم الجواليقي على مراده، ولا أنشدك(١) :

أَلاَ إِنَّ ٱلأَئِمَّـــةَ مِـــنْ قُـــرَيْشٍ وُلاةُ الْحَـــقِّ أَرْبَعَـــةٌ سَـــوَاءُ

عَلِـــيٌّ وَٱلأَئِمَّـــةُ مِـــنْ بَنِيـــهِ هُـــمُ ٱلأَسْـبَاطُ لَـيْسَ لَهُـمْ خَفَـاءُ

فَسِـــبْطٌ سِـــبْطُ إِيمَـــانٍ وَبِـــرٍّ وسِـــبْطٌ غَيَّبَتْـــهُ كَـــرْبَلاَءُ

وَسِـــبْطٌ لاَ يَـــذُوقُ الْمَـــوْتَ حَـــتَّى يَقُـــودَ الْخَيْـــلَ يَقْـــدُمُهَا اللِّـــوَاءُ

ولا أنشدك قول السيد الحميري عفا الله عنه:

أَلاَ قُـــلْ لِلرَّضِـــيِّ فَـــدَتْكَ نَفْسِـــي أَطَلْـــتَ بِـــذَلِكَ الْجَبَـــلِ الْمُقَامَـــا(٢)

---

(١) الأبيات من [الوافر]، وهي لكثير عزة، في يوانه : جمعه وشرحه د. إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ص ٥٢٢، وقالها في محمد بن الحنفية، (بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد سمَّى ابن الحنفية سبطا وليس كذلك، وقد وأوردها الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات ثم قال معلقاً:" قلت: هذا فيه نظر لأن السبط هو ابن البنت؛ فأما الحسن والحسين رضي الله عنهما فولدا بنت رسول الله وأما محمد هذا فإنه من الحنفية وليس من فاطمة رضي الله عنها". الوافي بالوفيات للصفدي، ترجمة محمد بن الحنفية. باب محمد. والأبيات في الشعر والشعراء لابن قتيبة في ترجمته لكثير، وكذا في الأغاني في الجزء السابع.

(٢) البيتان في ديوان السيد الحميري ٣٧٩ ، مع بعض اختلاف، وهما من [الوافر]. والسيد الحميري (١٠٥ - ١٧٣هـ = ٧٢٣ - ٧٨٩ م) هو: إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة ابن مفرغ الحميري، أبو هاشم أو أبوعامر: شاعر إمامي متقدم. قال صاحب الأغاني:يقال: إن أكثر الناس شعرا في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشار وأبو العتاهية والسيد، فإنه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع. وكان أبو عبيدة يقول: أشعر المحدثين السيد الحميري وبشار". الأعلام ٣٢٢/١. وقد أشار المحقق إلى مجموعة من الكتب التي ترجمت له وهي:" الاغاني ٧: ٢ - ٢٣ وروضات الجنات١: ٢٨ وضوء المشكاة - خ - والذريعة١: ٣٣٣ - ٣٣٥ وسفينة البحار١: ٣٣٦ ومنهج المقال ٦٠ ، ولسان الميزان١: ٤٣٦ وفيه: وفاته في خلافة الرشيد، وقيل سنة ١٧٨ وقيل ١٧٩ هـ".

أَضَـــرَّ بِمَعْشَـــرٍ وَالَـــوْكَ مِنَّـــا　　　وَسَمَّـــوْكَ الْخَلِيفَـــةَ وَالْإِمَامَـــا

وأنك تعتقد أني من شيعة أبي كامل، أو أني اتفقتُ أنا وابن مُلْجم على تلك الغوائل، أو أنني من الطالبين بثأر الدار إذ جد الوهل، أو أنني من بنى ضَبة في يوم الجَمَل، أو أنني تأولت في قَتْل عمار بن ياسر، ذلك التأويل السقيم، أو أنني كنت من جملة مَن رَفع المصاحف لطلب التحكيم، أو استبْريت عقل أبي موسى الأشعري بالمشاورة، أو خَدعته فخلَع الرَّجُلَيْن في المشاورة، أو أنني اتبعت عبد الله الراسبي في جهة، أو ناظرت عبد الله بن عباس لما حضر لمناظرته على ضعة، أو ساعدت معاوية بن خديج على فِعْله، أو أشرتُ على معاوية بإرسال بشير[1] بن أرْطَاة إلى المدينة حين لا عهد لها بمثله، أم تراني أنشدت يوم قتْل الحسين رضي الله عنه. شعر[2] :

نُفَلِّـــقُ هَامًـــا مِـــنْ رِجَـــالٍ أَعِـــزَّةٍ　　　عَلَيْنَـــا وَهُـــمْ كَـــانُوا أَعَـــقَّ وَأَظْلَمَـــا

[٣٣٩/و] أم[3] تراني ألقى الله بعمل سنان بن أنس، أم قد أقدمت إقدامه حين ضربه حتى ألقاه عن الفَرَس، حاش لله، ما أنا من هذا القبيل، ولا سالك هذا السبيل ، وعلى

والبداية والنهاية ١٠: ١٧٣ وابن الوردي ١: ٢٠٥ وهو فيهما من وفيات سنة ١٧٩ واعتمدت في تأريخ ولادته ووفاته على ما جاء في فوات الوفيات ١: ١٩ والمورد ٣: ٢: ٢٢٩.

(١) [كذا] في نسخة الأصل م والنسخة د ، ويبدو لي أن الصواب "بشر" .

(٢) سقطت كلمة "شعر" من النسخة د ، والبيت من [الطويل] وهو من قصيدة للحصين بن الحمام المري، أولها: = =

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجِدْ　　لنفسي حياةً مثل أن أتقدما

وهي في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ١٩٩/١، ب"أناس" بدلا من "رجال". قلت: وكل من ترجم للحصين ذكر القصيدة أو بعض أبياتها لما لها من شرف، مثل: كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة، وحماسة الأعلم الشنتمري، وذكر أخبارها البغدادي في خزانته في شرح الشاهد السادس والستون بعد الخمسمائة.

(٣) في النسخة د "ألم" .

تقدير قد أنى أتيت بأكثر من[1] هذا القبيل ، ولا سالك هذا السبيل ، وعلى تقدير أنى أتيت بأكثر من هذه الذنوب ، وأن قافل توبتي لا يؤوب ، أليس لي نفس لا تصبر على ضَيْم ، وشمس إبائي لا يسترها غَيْم ، وبياض خُلُق لا بياض خلْق جسيم ؟ أأمنت كاتب الدرجات باتفاق الاسمين لما ظهر الفرق في كتاب النبي (ﷺ) بين العيدين ، أو باختلاف المنزلتين لما غلبت بنيّة الشمس على القمر وبينهما الزهرة وعطارد بعد فلكين ؟ شعر[2]:

وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الْغَبِيِّ فَعَاذِرٌ   أَنْ لاَ تَرَانِي مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ(٣)

أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَا زُوحِمَتْ   وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنَّنِي الْجَوْزَاءُ

انتهى .

وإذا ذكرنا جملة من أخبار الكتاب معدن الفصاحة والصواب فلنذكر بالمناسبة ذكر ما يحتاج إليه صاحب الكتابة والإنشاء، ليعلم المتأمل علوَّ مقامهم، وذلك فضلُ الله يؤتيه مَن يشاء. قال صاحب "عين النبع"[4] : يحتاج المترسل إلى حفظ الكتاب العزيز ، وإدمان تلاوته، وإلى معرفة جانب جيد من اللغة ، كالمعَلّقة ، والدُّرَيْدِيّة، ومختار الحَماسة، وكفاية المتحفظ[5]، وألفاظ عبد الرحمن[6]، وبعض المفَضّليات، وإلى جانب جيد من النحو،

---

(١) من هنا سقط سهوا من الناسخ في النسخة د إلى "بأكثر من هذه الذنوب" .

(٢) سقطت كلمة شعر" من النسخة د .

(٣) في نسخة الأصل م "على البغي" ، واعتمدت ما في النسخة د . والبيتان للمتنبي ديوانه، بتحقيق د. عبد الوهاب عزام، وتقديم محمد السيد عيد ، دار الجمهورية ، مصر ٢٠٠٦م ص١٣٢، وهو من التي أولها:

أَمِنَ اِزدَيارَكِ في الدُجى الرُقَباءُ   إِذ حَيثُ أَنتِ مِنَ الظَلامِ ضِياءُ

(٤) لم أعثر على هذا الكتاب ، ولم أعثر على القول .

(٥) يعني: كتاب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لابن الأجدابي الطرابلسي.

(٦) يعني: كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني .

(والتصريف، والمعاني، والبيان، والبديع[١]، وشيء من) [٢] التفسير والحديث، مثل كتابة[٣] الشهادات والأحكام السلطانية، والآثار المنقولة عن الصحابة، وما دار بين الخلفاء وعُمالهم، وما دار بين [٣٣٩/ظ] عليّ ومعاوية رضي الله عنهما من الأجوبة، وتواقيع الخلفاء والوزراء والكُتّاب، وأمثال العرب وأيامهم ووقائعهم ، وما أمكن من المقامات الحَرِيرية ، والخُطَب النباتية ، وتَرَسّل القاضي الفاضل والإكثار منه ، ومنتقى شعر أبي الطَّيِّب ، والطَّائِيين ، وسقط الزّند ، ومُراجعة كتب الآداب من الأُمهات[٤]، مثل الأغاني، والعقد، والبَيان والتبيين لِلجاحظ ورسائله، والذَّخيرة لابن بَسّام، وقلائد العقيان، والتذكرة الحَمْدُونية، والكامل للمُبرّد، وأمالي القَالي، والوقوف على رسائل الكتّاب المتأخرين ، ومراعاة النظير فيما قصدوه في كل فن، والتهاني والتعازي، والفتوحات، ووصايا تقاليدهم وتواقيعهم وأوامرهم ونواهيهم ، وافتتاحات أدعيتهم في كل فن وكتبهم الإخوانية في الشوق والعتاب ، إلى غير ذلك ، ولأبي الفتح (البُستي)[٥] في الكتابة[٦] :

إِنْ سَلَّ أَقْلاَمَهُ يَوْمًا لِيُعْمِلَهَا ... أَنْسَاكَ كُلّ كَمِيٍّ هَزَّ عَامِلَهُ

وَإِنْ أَقَرَّ عَلَى رَقٍّ أَنَامِلَهُ ... أَقَرَّ بِالرِّقِّ كُتَّابُ الأَنَامِ لَهُ

---

(١) إلى هنا ينتهي السقط الكبير من النسخة ك ، الذي سبق أن أشرت إليه .

(٢) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسخة د .

(٣) في النسختين د ، ك "كتاب". وهو هنا لا يعني الأحكام السلطانية، الكتاب الشهير لأبي الحسن الماوردي. وإنما يعني أدب الأحكام السلطانية، والكتب التي تتناول التعريف به، ومنها كتاب الماوردي أيضا يسمى نصيحة الملوك.

(٤) هذه الكتب مشهورة معروفة مطبوعة، وقد رجعت إليها أو إلى جلها في هذا البحث.

(٥) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م واعتمدته من النسختين د ، ك. والبيتان منسوبان إلى البستي في معاهد التنصيص، للعباسي في باب: شواهد الفن الثالث وهو البديع، ونثر النظم وحل العقد للثعالبي، في باب فضائل الكُتَّابِ، ويتيمة الدهر له أيضا في باب: محاسن أشعار أهل خراسان وما وراء النهر.

(٦) ديوان أبو الفتح البستي ٢٩٨ [ط الخولي] و ١٥٨ [ط الخطيب والصقال] وهما من البسيط .

وقد آن للقلم أن يَبْلَعَ (دافق)[١] رِيقهُ اكتفاء بما أبرزه من محاسن الأدباء على حسن[٢] طراز ، وإبداع تنميقه ؛ فإن بما ذُكر بُلغة للناظر، وجلاء لمرآة الفكر والخاطر .

والعلامة في قول الناظم إن كان بفتح العين فهي السمة، قال في القاموس: والعلامة بفتح العين السِّمةُ كالعُلومة[٣] بالضم جمع علام[٤] ، والفصل بين الأَرْضَيْن ، ومنصوب في الطريق يُهتدي به كالقلَم فيهما ، وإن كان[٥] بضم العين فهو [٣٤٠/و] الخفيف الذكي ، كما قاله في القاموس . انتهى .

قال الناظم رحمه الله[٦] :

كَأَئِمَّـــــــــةٍ سَــــــــكَنُوا بِأَنْــــــــ ـــــــدَلُسٍ فَلَـــــمْ يَشْــــكُو سَــــآمَهْ

لما ذكر الناظم – رحمه الله – مَن مَضَى من أرباب العلوم ، والمو□وفين بالتصدر والإمامة[٧] ، والوزراء والحُجّاب والكُتّاب ؛ لأجل أن يعتبر الناظر ، ويعلم أن الدنيا دار زوال ، جديرة بأن تو□ف بأنها كطَيف خيال ، أكد ذلك بذكر الأندلس ، مقدما ذكر أئمتها الذين هم في الفصاحة نتيجة الليالي والأيام ، لم تزل لهم في البلاغة اليد الطولي ، وفي غرائب الفنون السابقة الأولى ، فهم في الأدب بين الناس بمنزلة القمر من الكواكب ، وفي التقدم والسبق بمنزلة البسملة بين الذِّكر في المراتب ، وحين ذِكرى نَزْرًا يسيرا من أفاضلهم الأعيان ترى من حسن كَلِمِهِمْ ما يجرى في الجسد مجرى الروح في الأبدان .

---

(١) ما بين القوسين زيادة من النسختين د و ك .

(٢) في نسخة الأ□ل م والنسخة ك "أحسن" ، واعتمدت ما في النسخة د ليناسب "وإبداع" .

(٣) في القاموس "كالأُعلومة" .

(٤) في القاموس "أعلام" .

(٥) في القاموس "والعُلامي بالضم الخفيف الذكي" ويبدو أن المؤلف أخطأ في النقل .

(٦) في النسختين د و ك : "رحمه الله تعالى" .

(٧) تكررت كلمة "والإمامة" في نسخة الأ□ل م ، وهو سهو من الناسخ .

فمنهم أبو الصَّلْت[١] (بن عبد العزيز) بن أبي الصَّلت الأندلسي ، كان فاضلا في علوم الأدب[٢] ، صنف كتابه الذي سماه "الحديقة" على أسلوب "يتيمة الدهر" للثعالبي ، وكان عارفا بفن الحكمة ، وكان يقال له الأديب الحكيم ، وكان ماهرا في علم[٣] الأوائل وانتقل من الأندلس وسكن الإسكندرية[٤] ، وذكره العِمَاد الكاتب في "الخَرِيدة" ، وأثنى عليه ، وذكر شيئا من نظمه ، ومن جملة ما ذكر له قوله لمن جاد عليه مدحه بقوله[٥] :

لاَ غَـرْوَ أَنْ سَـبَقَتْ يَـدَاكَ مَـدَائِحِي فَتَـدَفَّقَتْ جَـدْوَاكَ مِثْـلَ إِنَائِهَـا

يُكْسَـى الْقَضِـيبُ وَلَمْ يَحِـنْ إِثْمَـارُهُ وَتُطَـوَّقُ الْوَرْقَـاءُ قَبْـلَ غِنَائِهَـا[٦]

[٣٤٠/ظ] ومن شعره أيضا[٧] :

إِذَا كَـانَ أَصْـلِي مِـنْ تُـرَابٍ فَكُلُّهَـا بِـلادِي وَكُـلُّ الْعَـالَمِينَ أَقَـارِبِي

وَلاَ بُـدَّ لِي أَنْ أَسْـأَلَ الْعِـيسَ حَاجَـةً تَشُـقُّ عَلَـى شُـمِّ الـذُّرَى وَالْغَـوَارِبِ[٨]

وله أيضا[٩]:

---

(١) هذه الترجمة بما فيها من أشعار وغير ذلك منقولة من وفيات الأعيان ٢٤٣/١ مع بعض اختصار ، وله ترجمة في نفح الطيب ١٠٥/٢ وما بعدها ، وما بين القوسين زيادة من المصدرين السابقين يتم بها الاسم .

(٢) في الوفيات : "الآداب" .

(٣) في الوفيات : "علوم" ، ويبدو لي أنه أفضل .

(٤) في الوفيات : "ثغر الإسكندرية" .

(٥) في هامش الوفيات : الخريدة قسم المغرب ٢٢٣/١-٢٤٣ ، وفي هامش نفح الطيب : الخريدة ٢٢٣/١/٤-٣٤٣ ، والبيتان في وفيات الأعيان ٢٤٤/١ والنفح ١٠٦/٢ ، وهما من [الكامل] .

(٦) في نسخة الأصل م : "ولم يحز ثماره" ، وما في د و ك يوافق الوفيات والنفح .

(٧) البيتان في الوفيات ٢٤٤/١ ونفح الطيب ١٠٩/٢ ، وهما من [الطويل] .

(٨) في نسخة الأصل م والنسختين د ، ك : "يشق" بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما في المصدرين السابقين .

(٩) في الوفيات ٢٤٥/١ والنفح ١٠٧/٢ ، وهما من [الكامل] .

وَمُهَفْهَفٍ شَرِكَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ ... مَا مَجَّهُ فِي الْكَأْسِ مِنْ إِبْرِيقِهِ

فَفَعَالُهَا مِنْ مُقْلَتَيْهِ وَلَوْنُهَا ... مِنْ وَجْنَتَيْهِ وَطَعْمُهَا مِنْ رِيقِهِ

وأورد له أيضا في كتاب "الخريدة" في ترجمة الحسن بن أبي الشخباء[١] :

عَجِبْتُ مِنْ طَرْفِكَ فِي ضَعْفِهِ ... كَيْفَ يَصِيدُ الْبَطَلَ ٱلأَصْيَدَا[٢]

تَفْعَلُ فِيْنَا وَهْوَ فِي غِمْدِهِ ... مَا يَفْعَلُ السَّيْفُ إِذَا جُرِّدَا

وشعره كثير وجيد ، وقد كان انتقل في آخر عهده إلى المهدية ، وتوفي بها في يوم الاثنين مستهل سنة ٥٢٩ ، ودُفن بالمَنَسْتِير[٣] . ونظم أبياتا وأوصى أن تكتب على قبره ، وهي آخر شيء قاله ، وهي هذه[٤] :

سَكَنْتُكِ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا ... بِأَنِّي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ

وَأَعْظَمُ مَا فِي ٱلأَمْرِ أَنِّيَ صَائِرٌ ... إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ بِجُورُ[٥]

(١) في نسخة الأصل م والنسختين د ، ك : "الشحنا" ، واعتمدت ما في الوفيات، وهو :" ابن أبي الشخباء الشيخ المجيد أبو علي الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني صاحب الخطب المشهور والرسائل المحبرة؛ كان من فرسان النثر، وله فيه اليد الطولى. ويقال: إن القاضي الفاضل، رحمه الله تعالى، كان جل اعتماده على حفظ كلامه وإنه كان يستحضر أكثره ... وذكر أنه توفي مقتولاً بخزانة البنود، وهي بمدينة القاهرة المعزية، سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، رحمه الله تعالى. والشخباء: بفتح الشين المثلثة وسكون الخاء المعجمة وبعد الباء الموحدة ألف ممدودة. والعسقلاني: نسبة إلى مدينة عسقلان وهي مشهورة على الساحل." وفيات الأعيان، ٨٩/٢، والأعلام ١٩٥/٢، معجم المؤلفين ٢٨٥/٣.

(٢) البيتان في الوفيات ٢٤٥/١ ، وهما من [السريع] ، وليسا في النفح .

(٣) في نسخة الأصل م "بالمستير" ، وفي النسختين د و ك : "بالسير" ، والتصحيح من الوفيات .

(٤) الأبيات في الوفيات ٢٤٦/١ ، والنفح ١٠٨/٢ ، وهي من [الطويل] .

(٥) في نسخة الأصل م والنسختين د ، ك : "يجير" ، والتصحيح من المصدرين السابقين .

فَيَالَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا   وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ[1]

فَإِنْ أَكُ مُجْزِيًّا بِذَنْبِي فَإِنَّنِي   بِشَرِّ عِقَابِ الْمُذْنِبِينَ جَدِيرُ[2]

وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ مِنْهُ عَنِيّ وَرَحْمَةٌ   فَثَمَّ نَعِيمٌ دَائِمٌ وَسُرُورُ[3]

ولما اشتد مرض موته قال لولده عبد العزيز ، وكان شاعرا ، عند الموت[4] :

أَنَا قَدْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا   تَدْرِيهِ فَاحْفَظْ فِيهِ عَهْدِي

فَلَئِنْ عَمِلْتَ بِهِ فَإِنْ   نَكَ لاَ تَزَالُ حَلِيفَ رُشْدِي

وَلَئِنْ نَكَثْتَ لَقَدْ ضَلَلْ   تَ وَقَدْ نَصَحْتُكَ حَسْبَ جَهْدِي

ووُلد له ولدٌ سماه عبد العزيز ، وكان شاعرًا مهابًا ماهرًا ، له في الشطرنج يد بيضاء وتوفى هذا الولد ببجاية في [٣٤١/و] سنة ست وأربعين وخمسمائة .

وصنَّف ابنه عبد العزيز[5] وهو في اعتقال الأفضل بمصر رسالة "العمل بالأصطرلاب" وكتاب "الوجيز" في علم الهندسة[6] ، وكتاب "الأدوية المفردة" ، وكتابا سماه بـ"الانتصار في الرّد على عليّ بن رضوان في رَدّه على حُنين[7] بن إسحاق في مسائله"، ولما صنّف الوجيز

(١) سقطت كلمة "شعري" في الشطر الأول من نسخة الأصل م ، وما في النسختين د و ك يوافق المصدرين المذكورين .

(٢) في نسخة الأصل م والنسختين د و ك : ". . . عقاب المؤمنين" ، والتصحيح من المصدرين المذكورين .

(٣) في نسخة الأصل م والنسختين د و ك : "وإن يك عفوا منه منا" [كذا] والتصحيح من المصدرين المذكورين .

(٤) الأبيات ضمن أربعة أبيات في الوفيات ٢٤٦/١ ، وليست في النفح ، وهي من [مجزوء الكامل] .

(٥) في الوفيات ٢٤٧/١ : "وصنف أميه وهو في اعتقال . . ." ، ويبدو أنه الأصح .

(٦) في الوفيات : "في علم الهيئة" .

(٧) في نسخة الأصل م والنسختين د و ك : "على حسن" ، والتصحيح من الوفيات .

للأفضل عَرَضَه على منجِّمه أبي عبد الله الحلبي، فلما وقَف عليه قال له: هذا الكتاب لا ينتفع به المبتدئ، ويستغنى عنه المنتهى.

وله من أبيات من نظمه الفائق حيث قال[١] :

كَيْــــفَ لاَ تَبْلَــــى غَلاَئِلُــــهُ   وَهْـــوَ بَــــدْرٌ وَهْـــيَ كَتَّـــانُ ؟!

وإنما قال (هذا)[٢] لأن الكتان إذا تركوه في ضوء القمر بَلِيَ، وكان مرضه الاستسقاء.

ومن أئمة الأندلس أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خَفاجة الأندلسى[٣] الشاعر، ذكره ابن بسّام في "الذخيرة"، وأثنى عليه، وكان مقيما بشرق الأندلس، ولم يتعرض لاستماحة ملوكهم مع تهافتهم على أهل الأدب ، وله ديوان شعر أحسن فيه كل الإحسان، من ذلك قوله في عشية[٤] أُنس، وقد أبدع فيه[٥]:

وَعَشِــيّ أُنْــسٍ أَضْــجَعَتْنِي نَشْــوَةٌ   فِيـــهِ تُمَهِّــدُ مَضْــجَعِي وَتُــدَمِّثُ

خَلَعَــتْ عَلَــيَّ بِهَــا ٱلأَرَاكَــةُ ظِلَّهَــا   وَالْغُصْــنُ يُصْــغِي وَالْحَمَــامُ يُحَــدِّثُ[٦]

(١) [كذا] جاء البيت منسوبا إليه في الوفيات ، ولم يعلق المحقق عليه بأي تعليق ، والصواب أن البيت جاء منسوبا إلى الشريف الرضي في من غاب عنه المطرب ٢٠٨ ، وفي هامشه ذكر المحقق التخريج ومنه الديوان ٢/٥٠٥ ، ثم قال : انظر ما قيل في خصيصة القمر مع الثياب في اليتيمة ١/١٠٧ وأسرار البلاغة ٢٦٥ ومعاهد التنصيص ٢/١٢٩ ، والبيت من [المديد] .

(٢) سقطت كلمة "هذا" من نسخة الأصل م ، وما في النسختين د و ك يوافق الوفيات .

(٣) هذه الترجمة بما يكاد يكون بالنص من وفيات الأعيان ١/٥٦ وما بعدها .

(٤) في نسخة الأصل م والنسختين د و ك : "عيشة" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٥) الأبيات في الوفيات ١/٥٦ ، وديوانه ٢٨٥ و ١٢٦ و ٦١ [كذا] والأبيات من [الكامل] .

(٦) في الوفيات : "خلعت عليّ به" ، وفي نسخة الأصل م والنسختين د ، ك : "والغصن يسعى . . ." ، واعتمدت ما في الوفيات .

وَالشَّـــمْسُ تَجْــنَحُ لِلْغُــرُوبِ مَرِيضَــةً   وَالرَّعْــدُ يَرْقِــى وَالْغَمَامَــةُ تَنْفُــثُ[١]

وله[٢] أيضا معنى وهو حسن[٣] :

مَــا لِلْعِــذَارِ وَكَــانَ وَجْهُــكَ قِبْلَــةً   قَـدْ خَـطَّ فِيـهِ مِـنَ الـدُّجَى مِحْـرَابَا[٤]

[٣٤١/ظ] وأَرَى الشَّبَابَ وَكَانَ لَيْسَ بِخَاشِعٍ   قَــــدْ خَــــرَّ فِيــــهِ رَاكِعًــــا وَأَنَابَا

وَلَقَــدْ عَلِمْــتُ بِكَــوْنِ ثَغْــرِكَ بَارِقًــا   أَنْ سَــوْفَ يُرْخِــى لِلْعِــذَارِ سَــحَابَا[٥]

ولد أبو إسحاق بجزيرة شُقْر من أعمال بَلَنْسِيَة من بلاد الأندلس في سنة خمسين وأربعمائة ، وتوفى بها سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، لأربع بقين من شوال يوم الأحد ، وشُقْر — بضم الشين المثلثة وسكون القاف وبالراء المهملة — وهي بُلَيدة بين شَاطِبة[٦] وبلنسية، وإنما قيل لها جزيرة لأن الماء محيط بها . وبلنسية — بفتح الباء الموحدة وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح الياء[٧] (المثناة من تحتها . والأندلس — بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال المهملة ، وضم اللام والسين) المهملة — وهي جزيرة متصلة بالبر الطويل ، والبر الطويل متصل بالقُسطنطينية .

---

(١) في النسختين د و ك : "والرعد يرثى" ، وما في نسخة الأصل م يوافق الوفيات .

(٢) في الوفيات : "وله أيضا ، وهو معنى حسن" ، وهو أفضل مما في المخطوطات .

(٣) الأبيات في الوفيات ٥٦/١ ، وهي من [الكامل] .

(٤) في الوفيات : "ما للعذار كأن . . ." .

(٥) في نسخة الأصل م: "أن سوف ترخى"، وفي النسختين د، ك: "أن سوف ترضى"، والتصحيح من الوفيات.

(٦) في نسخة الأصل م : "ساطبة" بالسين المهملة وهو تصحيف .

(٧) في نسخة الأصل م والنسختين د ، ك : "وفتح الياء وضم المعجمة وسكون الهاء المهملة ، وهي جزيرة . . ." [كذا] ، والتصحيح من الوفيات .

ومنهم أبو علي جعفر بن عليّ الأندلسيّ[١] صاحب المسيلة[٢] وأمير الزاب[٣] من أعمال إفريقية، كان سمحا[٤] كثير العطاء، مؤثر[٥] أهل العلم، ولأبي القاسم محمد بن هانئ الأندلسي[٦] فيه[٧] من المدائح الفائقة ما يجاوز حد الواصف[٨]، وهو القائل فيه حيث[٩] يقول:

الْمُدْنَفَانِ مِنَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا ... جِسْمِي وَطَرْفٌ بَابِلِيٌّ أَحْوَرُ[١٠]

وَالْمُشْرِقَاتُ النَّيِّرَاتُ ثَلاَثَةٌ ... اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَجَعْفَرُ

وكان أبو علي قد بنى المسيلة، وهي معروفة (بهم)[١١] إلى الآن ، فكان بينه وبين زيرى بن مناد[١٢] جد المعز بن باديس[١٣] مُشَاجرات أفْضَت إلى القتال ، فتواقَعا وجرَت بينهما

(١) هذه الترجمة منقولة من وفيات الأعيان ١/٣٦٠ .

(٢) في النسخة د : "المسئلة" .

(٣) في نسخة الأصل م والنسختين د ، ك : "الرى" ، والتصحيح من الوفيات .

(٤) في نسخة الأصل م والنسختين د ، ك : "شيخا" ، والتصحيح من الوفيات .

(٥) في الوفيات : "مؤثرا لأهل" ، وكلاهما صحيح .

(٦) محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي ، وكنيته أبو القاسم، أو أبو الحسن، كان أبوه من المهدية بتونس، وكان شاعرا أديبا، وهو عند الأندلسيين كالمتنبي عند المشرقيين، وقد تعدّى الحق في مدائحه. مات في برقة، وفي قصة موته روايات كثيرة. ت ٣٦٢هـ [من هامش العمدة ١/١٧٥ ، ١٧٦ بتصرف كبير]، وترجمته في الوفيات ٤/٤٢١.

(٧) في نسخة الأصل م : "في المدائح"، واعتمدت ما في الوفيات وسقط القول كله من النسختين د، ك.

(٨) في الوفيات: "الوصف". وهو أفضل .

(٩) سقط : "حيث يقول" من النسخة د ، ومن الوفيات ، وهو أفضل .

(١٠) البيتان في الوفيات ١/٣٦٠ وديوان ابن هانئ الأندلسى ١٦٥ ، وهما من [الكامل] المدنفان ، مثنى مدنف : من ثقل عليه المرض . البابلي : الساحر نسبة إلى بابل التي ينسب إليها السحر والخمر . [من هامش الديوان] .

(١١) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م .

(١٢) في نسخة الأصل م والنسختين د ، ك : "ابن مياد" ، والتصحيح من الوفيات .

(١٣) في نسخة الأصل م : "المغرب بن باديس" [كذا] ، وفي النسختين د ، ك : "العز بن باديس" ، والتصحيح من

معركة عظيمة (فقتل)[١] [٣٤٢/و] زيري فيها ، ثم قام ولده بُلْكين واستظهر على جعفر المذكور ، فعلم أنه ليس (له)[٢] به طاقة ، فترك بلاده ومملكته وهرب إلى الأندلس ، فقُتل بها سنة أربعين وثلاثمائة .

والمسيلة مدينة من أعمال الزّاب ، والزّاب كُورة بإفريقية . والله أعلم

ومن أئمة الأندلس عبد الملك[٣] بن أبي العلاء زُهر بن مَرْوان عبد الملك ابن أبي بكر محمد بن مَرْوان بن زُهر الإيادي الأندلسي الإشبيلي، كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حُكماء ووزراء، نالوا المراتب العلية، وتقدّموا عند الملوك، ونفذت أوامرهم.

قال الحافظ[٤] أبو الخَطّاب دحية في كتابه المسمى "المطْرب من أشعار أهل المغرب": وكان شيخنا أبو بكر – يعني ابن زُهر المذكور – بمكان من اللغة مكين، ومَوْرد من الطب[٥] عذْب غير معين، كان يحفظ شعر[٦] ذي الرُّمّة، وهو ثلث لغة العرب، مع الإشراف على جميع أقوال[٧] أهل الطب، والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب، مع سُمو النسب، وكثرة النَّشَب، صحِبته زمانا طويلا، واستفدتُ منه أدبا جزيلا[٨]. ومن شعره[٩]:

الوفيات .

(١) ما بين القوسين ساقط من جميع المخطوطات ، واعتمدته من الوفيات ليتم القول .

(٢) ما بين القوسين زيادة من وفيات الأعيان يتم بها القول .

(٣) هذه الترجمة من وفيات الأعيان ٤٣٤/٤ وما بعدها . والذي في الوفيات – وهو الأصح – : "أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زُهر بن أبي مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زُهر الإيادي الأندلسي الإشبيلي" .

(٤) في وفيات الأعيان ٤٣٤/١ ، والكلام لابن دحية الكلبي، في المطرب، في ترجمته لأبي بكر بن زهر ٥٩/١.

(٥) في جميع المخطوطات : "من الطلب غير معين" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٦) في نسخة الأصل م : "سفر" ، وما في النسختين د ، ك يوافق الوفيات .

(٧) في جميع المخطوطات : "الأقوال" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٨) في الوفيات : "جليلا" ، ويبدو لي أنه أوفق .

وَمُوَسّــدِينَ عَلَــى ٱلأَكُــفِّ خُــدُودَهُمْ قَــدْ غَــالَهُمْ نَــوْمُ الصَّــبَاحِ وَغَــالَنِي[١]

مَــا زِلْــتُ أَسْــقِيهِمْ وَأَشْــرَبُ فَضْــلَهُمْ حَــتَّى سَــكِرْتُ وَنَالَهُــمْ مَــا نَالَــنِي

وَالْخَمْــرُ تَعْلَــمُ حِــينَ تَأْخُــذُ ثَأْرَهَــا أَنِّ أَمَلْــــتُ إِنَاءَهَــــا فَأَمَــــالَنِي[٢]

قال ابن دحية: وسألته عن مولده فقال : ولدتُ[٣] سنة سبع وخمسمائة . انتهى كلام ابن دحية .

قال ابن خَلِّكان[٤] : وقد ألَمَّ ابنُ زُهر المذكور في هذه الأبيات[٥] بقول الرئيس أبي غالب عبيد الله بن[٦][٣٤٢/ظ] هبة الله بن الأصباغي وهو[٧] :

عَقَّــرْتُهُمْ مَشْــمُولَةً لَــوْ سَــالَمَتْ شُــرَّابَهَا مَــا سُمِّيَــتْ بِعُقَــارِ[٨]

ذَكَــرَتْ حَقَائِــدَهَا الْقَدِيمَــةَ إِذْ غَــدَتْ صَــرْعَى تُــدَاسُ بِأَرْجُــلِ الْعَصَّــارِ

---

(٩) الأبيات في الوفيات ٤/٤٣٤ ، وهي من [الكامل] .

(١) في المخطوطات جميعها : "قد غالهم يوم السبوح . . ." ، والتصحيح من الوفيات .

(٢) في المخطوطات جميعها : "والخمر تعرفني فآخذ ثأرها" [كذا] ، والتصحيح من الوفيات .

(٣) في المخطوطات جميعها : "ولد" بإسقاط التاء ، والتصحيح للسياق من الوفيات .

(٤) في الوفيات ٤/٤٣٥ .

(٥) في نسخة الأصل م : "في هذه السنة" ، وما في النسختين د ، ك يوافق الوفيات .

(٦) في نسخة الأصل م : تكررت كلمة "ابن" في أول الصفحة ، وكانت جاءت في نهاية السابقة وهو سهو من الناسخ .

(٧) في نسخة الأصل م : "وهي" ، وما في النسختين د ، ك يوافق الوفيات .

(٨) في جميع المخطوطات : " . . . مشمولة لو سلمت . . لشرابها . . ." ، والتصحيح من الوفيات للوزن ، والأبيات من [الكامل] .

لاَنَـتْ لَهُـمْ حَـتَّى انْتَشَـوْا وَتَمَكَّنَـتْ   مِـنْهُمْ فَصَـاحَتْ فِـيهِمُ بِالثَّـارِ[١]

ومن المنسوب إليه أيضا في كتاب جالينوس الحكيم المسمى "حيلة البرء" ، وهو من أجلّ كتبهم وأكبرها[٢] :

حِيلَـةُ الْـبُرْءِ صُـنِّفَتْ لِعَلِيـلٍ   يَتَرَجَّـى الْحَيَـاةَ أَوْ لِعَلِيلَـهْ[٣]

فَـإِذَا جَـاءَتِ الْمَنِيَّـةُ قَالَـتْ   حِيلَـةُ الْـبُرْءِ لَـيْسَ فِي الْـبُرْءِ حِيلَـهْ

ومن شعر ابن زُهر يتشوق إلى ولد صغير بقوله[٤] :

وَلِي وَاحِـدٌ مِثْـلُ فَـرْخِ الْقَطَـا   صَـغِيرٌ تَخَلَّفْـتُ قَلْـبِي لَدَيْـه

نَأَتْ عَنْـهُ دَارِي فَيَـا وَحْشَـتَا   لِـذَاك الشُّـخَيصِ وَذَاكَ الْوُجَيْـهِ

تَشَـوَّقَنِي وَتَشَـوَّقْتُهُ   فَيَبْكِـي عَلَـيَّ وَأَبْكِـي عَلَيْـهِ

لَقَـدْ بَعَـثَ الشَّـوْقُ مَـا بَيْنَنَـا   فَمِنْـهُ إِلَيَّ وَمِـنِّي إِلَيْـهِ[٥]

وله وقد شاخ وغلب عليه الشيب[٦] :

---

(١) في جميع المخطوطات : " . . . حتى إذا ما مُكنت . . . فصاحت منهم" ، والتصحيح من الوفيات .

(٢) في المخطوطات جميعها : "وأكبر" واعتمدت ما في الوفيات .

(٣) البيتان في الوفيات ٤/٤٣٥ ، وهما من [الخفيف] ، وجاء البيتان في صورة النثر في النسختين د ، ك . وفي النسختين د ، ك : "وصنعت العليل" [كذا] ، وفي المخطوطات جميعها : "أو إجليله" [كذا] والتصحيح من الوفيات .

(٤) في الوفيات ٤/٤٣٥ ، وهي من [المتقارب] .

(٥) في النسختين د ، ك : "لقد بعثت" وهو خطأ في الوزن ، وما في نسخة الأصل م يوافق الوفيات .

(٦) في المخطوطات جميعها : "الشوق" مكان "الشيب" ، واعتمدت ما في الوفيات لمناسبة الأبيات .

إِنِّي نَظَـــرْتُ إِلَى الْمِــــرْآةِ إِذْ جُلِيَـــتْ فَـــأَنْكَرَتْ مُقْلَتَـــايَ كُـــلَّ مَـــا رَأَتَا[1]

رَأَيْــتُ فِيْهَــا شُــوَيْخًا لَسْــتُ أَعْرِفُــهُ وَكُنْــتُ أَعْهَــدُهُ مِــنْ قَبْــلِ ذَاكَ فَـتَى[2]

فَقُلْـتُ أَيْـنَ الَّـذي بِالأَمْـسِ كَـانَ هُنَـا مَـتَى تَرَحَّـلَ عَـنْ هَـذَا الْمَكَـانِ مَـتَى ؟![3]

فَاسْتَضْـحَكَتْ ثُمَّ قَالَـتْ وَهْـيَ مُعْجَبَـةٌ إِنَّ الَّــــذِي أَنْكَرَتْـــهُ مُقْلَتَـــاكَ أَتَـــى

كَانَـتْ سُـلَيْمَي تُنَـادِي يَا أُخَـيَّ وَقَـدْ صَـارَتْ سُـلَيْمَى تُنَـادِي الْيَـوْمَ يَا أَبَتَـا

والبيت الأخير[4] من هذه الأبيات ينظر إلى قول الأخْطَل[5] [٣٤٣/و] الشاعر المشهور[6] :

وَإِذَا دَعَوْنَـــــكَ عَمَّهُــــنَّ فَإِنَّــــهُ نَسَــــبٌ يَزِيــــدُكَ عِنْــــدَهُنَّ خَبَــــالاَ

وَإِذَا دَعَوْنَــــكَ يَا أُخَــــيَّ فَإِنَّـــهُ أَدنىَ وَأَقْـــــرَبُ وَوِصَــــــــالاَ[7]

---

(١) الأبيات في الوفيات ٤/٤٣٥ ، وهي من [البسيط] ، وفي نسخة الأصل م : "فأنكرت مقلتايا" [كذا] ، وما في النسختين د ، ك يوافق الوفيات ، وفي المخطوطات جميعها رسمت الكلمة الأخيرة هكذا "كلما رأتا" .

(٢) في الوفيات : "رأيت شييخا" ، وما هنا يوافق نفح الطيب ٢/٢٤٩ .

(٣) في نسخة الأصل م : "فقلت أين الذي قد كان بالأمس هنا" ، وهو خطأ ، وفي النسختين د ، ك : "فقلت أي والذي بالأمس كان هنا" وهو خطأ أيضا ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٤) هذا التعليق في الوفيات ٤/٤٣٥ .

(٥) هو غياث بن غوث . . من نصارى تغلب ، وكنيته أبو مالك ، كان مقدما عند خلفاء بني أمية ، وكان له دالّة عليهم . ت ٩٠هـ [من هامش العمدة ١/٥٠ بتصرف] .

(٦) البيتان في الوفيات ٤/٤٣٦ وفي ديوان الأخطل ١/١٠٧ جاء الأول في المتن والثاني في الهامش ، وهما في شرح الديوان للسكري الأول في المتن والثاني في الهامش ص٨٥ والأول ورد ضمن قصيدة طويلة عدتها ٤٧ بيتًا والثاني ورد في النقائص ووفيات الأعيان ونفح الطيب . وهما من [الكامل] .

(٧) في المخطوطات جميعها : "وإذا دعوتك" ، وهو تصحيف ، وفي نسخة الأصل م : "فإنه أني" [كذا] بإسقاط الدال المهملة ، وهو سهو من الناسخ .

وأوصى أنه إذا مات يُكتَب على قبره هذه الأبيات ، وفيها إشارة إلى طبه ومعالجته الناس[١] :

تَأَمَّـــــــلْ بِحَقِّـــــــكَ يَا وَاقِفًـــــا　　　وَلاَحِـــظْ مَكَـــانًا دُفِعْنَـــا إِلَيْـــهِ

تُـــرَابُ الضَّـــرِيحِ عَلَـــى وَجْنَـــتِي　　　كَـــأَنِّيَ لَمْ أَمْـــشِ يَوْمًـــا عَلَيْـــهِ

أُدَاوِى ٱلْأَنَامَ حِــــــذَارَ الْحِمَـــــــامِ　　　وَهَـــا أَنَا قَـــدْ صِـــرْتُ رَهْنًـــا لَدَيْـــهِ[٢]

وقال ابن دحية[٣] في حقه أيضا: والذي انفرد به شيخنا وانقادت لتخيله[٤] طباعُه، وصارت النبهاءَ فيه خَوَلُه وأتباعه الموشحات ، وهي زُبدة الشعر ونُخبته ، وخلاصة جوهره وصفوته ، وهو[٥] من الفنون التي[٦] أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق ، (فظهروا فيه كالشمس الطالعة والضياء المشرق)[٧] ، وأورد له[٨] موشحا حسنا .

وقال في حق جَدِّه أبي العلاء زُهر[٩] : إنه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه ، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه.

---

(١) الأبيات في الوفيات ٤٣٦/٤ ، وهي من [المتقارب] .

(٢) في الوفيات : "حذار المنون" .

(٣) في وفيات الأعيان ٤٣٦/٤ .

(٤) في نفح الطيب ٢٥٠/٢ : "لتحليته" ، وهو أحسن في رأيي .

(٥) في الوفيات والنفح : "وهي" ، وكلاهما صحيح .

(٦) في المخطوطات جميعها : "التي أغرت بها أهل المجون والمغرب على أهل المشرق" ، واعتمدت ما في الوفيات والنفح .

(٧) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسختين د ، ك والوفيات والنفح .

(٨) تكررت كلمة "له" في نسخة الأصل م .

(٩) في نسخة الأصل م : "أبي العلاء بن زهر" ، والتصحيح من النسختين د ، ك والوفيات .

ثم قال في حق جَدِّ جَدِّه محمد بن مَرْوان : إنه كان عالما[1] بالرأي[2] ، حافظا للأدب ، فقيها حاذقا بالفتوى ، مُقدما في الشورى ، متفننا في الفنون ، فاضلا[3] ، جمع الرواية والدراية ، وزُهر بضم الزاي وسكون الهاء بعدها راء . انتهى .

ومنهم أبو عبد الله محمد بن غالب الأندلسيُّ[4] الرفاءُ الرُّصافِيُّ الشاعر المشهور ، له أشعار ظريفة ، ومقاصد في النظر لطيفة ، وشعره سائر في الآفاق ، ومن أشهر شعره أبياته التي [٣٤٣/ظ] نظمها في غلامٍ صنعتُهُ النَّسج، وأجاد فيها وهي[5] :

قَــالُوا وَقَــدْ أَكْثَــرُوا فِي حُبِّــهِ عَــذَلِي ... لَــو لَمْ تَهِــمْ بِمُــذَالِ الْقَــدْرِ مُبْتَــذَلِ[6]

فَقُلْـتُ لَـوْ كَـانَ أَمْـرِي فِي الصَّـبَابَةِ لِي ... لاَخْــتَرْتُ ذَاكَ وَلَكِــنْ لَــيْسَ ذَلِــكَ لِي

غُــــزَيِّلاً لَمْ تَــــزَلْ فِي الْغَـــزْلِ جَائِلَــــةً ... بَنَانُــــهُ جَــــوَلاَنَ الْفِكْــــرِ فِي الْغَــــزَلِ[7]

جَــــذْلاَنُ يُلْعِــــبُ بِالْمِحْــــرَاكِ أَنْمُلَــــهُ ... عَلَــى السُّــدَى لَعِــبَ ٱلأَيَّامِ بِالــدُّوَلِ[8]

---

(١) في نسخة الأصل : "علما" ، وما في النسختين د ، ك يوافق الوفيات .

(٢) في جميع المخطوطات : "بالري" ، والتصحيح من الوفيات .

(٣) في الوفيات : "وسيما فاضلا" .

(٤) هذه الترجمة منقولة من وفيات الأعيان ٤٣٢/٤ وما بعدها .

(٥) الأبيات في وفيات الأعيان ٤٣٢/٤ ونفح الطيب ٢٠٣/٣ ، وهي من [البسيط] .

(٦) في المخطوطات جميعها : "لو لم تهم فذاك القدر . . ." [كذا] واعتمدت ما في المصدرين السابقين .

(٧) جاء هذا البيت في جميع المخطوطات هكذا :

غزيلا لم يزل في الغزل حامله ... بنان جود لأن الفكر في الغزل [كذا]

والتصحيح من المصدرين السابقين .

(٨) في المخطوطات جميعها : جدلان" بالدال المهملة ، وهو تصحيف ، وفي جميع المخطوطات رسمت كلمة "السُّدى"

جّـــذْبًا بِكَفَّيْـــهِ أَوْ فَحْصًـــا بِأَخْمُصِـــهِ   تَخَـــبُّطَ الظَّـــبْيِ فِي أَشْـــرَاكِ مُحْتَبِـــلِ[١]

وله[٢]:

وَمُهَفْهَـــــفٍ كَالْغُصْـــــنِ إِلاَّ أَنَّـــــهُ   تَتَحَـــيَّرُ ٱلأَلْبَـــابُ عِنْـــدَ لِقَائِـــهِ

أَضْـــحَى يَنَـــامُ وَقَـــدْ تَكَلَّـــلَ خَـــدُّهُ   عَرَقًـــا فَقُلْـــتُ الْـــوَرْدُ رُشَّ بِمَائِـــهِ

وله غير هذا المقطوع أشياء رائقة ، فمن ذلك قوله في غلام يبلّ عينيه بريقه، ويُظهر أنه يبكي، وليس بباكٍ[٣] :

عّـــذِيرِيَ مِـــنْ جَـــذْلاَنَ يَبْكِـــي كَآبَـــةً   وَأَضْـــلُعُهُ مِمَّـــا يُحَاوِلُـــهُ صِـــفْرُ[٤]

يَبُـــلُّ أَمَـــاقِي زَهْرَتَيْـــهِ بِرِيقِـــهِ   وَيَحْكِـي الْبُكَـا عَمْـدًا كَمَـا ابْتَسَـمَ الزَّهْـرُ

وَيُـــوهِمُ أَنَّ الْـــدَّمْعَ بَـــلَّ جُفُونَـــهُ   وَهَلْ عُصِرَتْ يَوْمًا مِنَ النَّرْجِسِ الْخَمْرُ؟!

وتوفي في شهر رمضان سنة اثنتين[٥] وسبعين وخمسمائة بمدينة مالقة. والرُّصافي بضم الراء وفتح الصاد المهملة ، نسبة إلى الرصافة ، وهي بُلَيدة[٦] صغيرة بالأندلس عند بلنسية[٧]

هكذا "السدا" .

(١) في النسختين د ، ك : "أو فحصا بأغمضه" ، وفي المخطوطات جميعها : "في أشراك مختبل" والتصحيح من المصدرين المذكورين .

(٢) في وفيات الأعيان ٤٣٣/٤ ، وهما من [الكامل] .

(٣) الأبيات في وفيات الأعيان ٤٣٢/٤ ، وهي من [الطويل] .

(٤) في نسخة الأصل م : "جديري من . . ." ، وفي جميع المخطوطات : "من جدلان" بالدال المهملة ، والتصحيح من المصدر المذكور .

(٥) في جميع المخطوطات : "اثنين" والتصحيح من الوفيات .

(٦) في جميع المخطوطات : "بلدة" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٧) في جميع المخطوطات : "بليسية" ، والتصحيح من الوفيات .

. انتهى .

ومنهم القاضي النباهي[1] ، كان رحمه الله – من المشهورين بذلك الإقليم في زمنه ممن له الفصاحة والبلاغة والجلالة من الاتصاف بالعلم والمعرفة والتبحر في العلوم معقولها ومنقولها ، ذكره صاحب "الإحاطة"[2] ، وأثنى عليه [٣٤٤/و] وذكر أن ولادته عام ثلاثة عشر وسبعمائة ، وتأخّرت وفاته عن ابن الخطيب ، قال صاحب "الإحاطة"[3] في ترجمة السلطان ابن الأحمر : ثم قدم للفضل الفقيه فسدّد وقارَب ، وحمل الكل ، وأحسن مصاحبة الخطبة والخطة ، وأكرم المشيخة ، مع النزاهة ، ولم يقف في النصح عند غاية ، أعانه الله ورحمه رحمة واسعة .

ومنهم أبو زكريا يحيى[4] السراج، قال صاحب "الإحاطة": هو الشيخ الفقيه قاضي الجماعة بالأندلس وخطيبها، أخذَ عن أبي محمد عبد الله بن أحمد التجيبي "الموطأ" و"الشفاء" وأكثر الصحيحين، وله – رحمه الله تعالى– بحث في مسألة الدعاء بعد الصلاة، رَامَ فيه الرد على الشيخ الإمام أبي إسحاق الشَّاطِبِي – رحمه الله تعالى – وله مؤلفات منها كتاب

(١) النباهي (٧١٣ - بعد ٧٩٢ هـ = ١٣١٣ - بعد ١٣٩٠ م) علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي المالقي النباهي، أبو الحسن، المعروف بابن الحسن: قابض، من الادباء المؤرخين. ولد بمالقة، ورحل إلى غرناطة، ثم ولي خطة القضاء بها. وأرسل مرتين في سفارة سياسية من غرناطة إلى فاس (سنة ٧٦٧ و ٧٨٨ هـ) وكان صديقا للسان الدين ابن الخطيب ثم انقلبا عدوين، فنال منه ابن الخطيب ولقبه بالجعسوس (القصير) ازدراء له، وكتب رسالة في هجائه سماها " خلع الرسن في وصف القاضي ابن الحسن " الأعلام ٤/ ٣٠٦، ونفح الطيب ١١٩/٦.

(٢) الإحاطة، ٤/ ٨٨، ٨٩ .

(٣) هذا الكلام بنصه للمقري التلمساني في أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، وهو في حق السلطان بن الأحمر، ذكر كلاما قبله عن أبي زكرياء يحي السراج، ثم أعقبه بكلام لابن خلدون، ثم عقب هو بالكلام المذكور الذي نسبه الأدهمي لصاحب الإحاطة، وهو لسان الدين بن الخطيب.

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

"المرْقَبة[1] العُليا في مسائل القَضَاء والفُتْيا"، في جُزأين، وهو كتاب عظيم للغاية.

ومنهم ابن زمرك[2] محمد بن يوسف الصريحي أبو عبد الله، قال صاحب "الإحاطة"[3] : وُلد هذا الفاضل بغرناطة، ونشأ بها ، وهو من مفاخرها ، وكان صدرا من صدور طلبة الأندلس ، مختصا مقبولا ، مهذب الفكاهة ، حلو المجالسة ، حسن التوقيع ، خفيف الروح ، عظيم الانطباع ، فطنا بالمعاريض ، حاضر الجواب ، شعلة من شعل الذكاء[4] ، تكاد تحتدم جوانبه ، كثير الرقة ، فكها غزلا ، مع حياء[5] وحشمة ، جوادا بما في يده ، مشاركا لإخوانه[6] ، نشأ طاهرا كلفا بالقراءة ، اشتهر فضلُه ، وذاع أرجُه[7] ، وفشا خبره ، واضطلع [٣٤٤/ظ] بكثير من الأغراض ، ومشارك في جملة من الفنون ، فأصبح[8] متلقفا كرة البحث ، وصارخ الحلقة ، وسابق الحلبة ، ومظنة الكمال ، ثم عانى الأدب فحصل ما لم يحصله غيره ، فترقَّى إلى الكتابة عند ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب ، وامتد في ميدان النظم والنثر باعُه ، فصدر عنه من المنظوم قصائد بعيدة عن الشأو في مدى[9] الإجادة ، خَفاجي[10] النزعة ، كلف بالمعاني البديعية والألفاظ الصقيلة، مولده في رابع عشر شوال عام ثلاثة

(١) في النسخة ك : "المرقية" .

(٢) جاءت ترجمته في نفح الطيب ١٤٥/٧ في صفحات كثيرة جدا . وفي نسخة الأصل م : "ابن زيرك" ، وفي النسختين د ، ك : "ابن زكرك" ، والتصحيح من النفح .

(٣) هذا القول في النفح ١٤٥/٧ وما بعدها مع بعض اختلاف .

(٤) في النسختين د ، ك : "المذكاة" [كذا] .

(٥) في جميع المخطوطات : "مع جنا" [كذا] ، والتصحيح من النفح .

(٦) سقطت كلمة : "لإخوانه" من النسخة د .

(٧) في النسختين د ، ك : "وذاع أدبه" ، وما في نسخة الأصل م يوافق النفح .

(٨) في جميع المخطوطات : "فأصبح متلفا كثرة البحث ، وصادح الحليقة ، وسابق المحلية" والتصحيح من النفح .

(٩) في النسخة د : "في عدى" [كذا] .

(١٠) في المخطوطات جميعها : "مفاجى" [كذا] ، والتصحيح من النفح .

وثلاثين وسبعمائة ، ومن كلامه[١] :

أَيَا لائِمِـي فِي الجُـودِ وَالجُـودُ شِـيمَتِي جُبِلْـتُ عَلَـى إِيثَارِهَـا يَـوْمَ مَوْلِـدِي[٢]

ذَرُونِي فَلَـو أَنِّي أُخَلَّـدُ بِالْبَقَـا لَكُنْـتُ ضَـنِينًا بِمَـا مَلَكَـتْ يَـدِي[٣]

وله[٤] :

لَقَـدْ عَلِـمَ اللهُ أَنِّي امْـرُؤٌ أُجَـرِّرُ ثَـوْبَ الْعَفَـافِ الْقَشِـيْبْ[٥]

فَكَـمْ غَمَّـضَ الـدَّهْرُ أَجْفَانَـهُ وَفَـازَتْ قُـدُورِي بِوَصْـلِ الحَبِيـبْ[٦]

وَقِيـلَ رَقِيبُـكَ فِي غَفْلَـةٍ فَقُلْـتُ أَخَـافُ ٱلإِلَـهَ الرَّقِيـبْ[٧]

وله[٨] :

مَـا لِي بِحَمْـلِ الْهَـوَى يَـدَانِ مِـنْ بَعْـدِ مَـا أَعْـوَزَ التَّـدَانِي

أَصْـبَحْتُ أَشْـكُوهُ مِـنْ زَمَـانٍ مَـا بِـتُّ مِنْـهُ عَلَـى أَمَـانِ

---

(١) في نفح الطيب ١٥٩/٧ ، وهما من [الطويل] .

(٢) في النفح : "ألائمة . . شيمة" ، وهو جائز وفي النسختين د ، ك : "ألا يا لائمي . . ." ، وهو خطأ في الوزن .

(٣) في النفح : "ذريني . . . أخلد بالغنى" .

(٤) في نفح الطيب ١٥٩/٧ وهي من [المتقارب] .

(٥) في جميع المخطوطات : "أني امريء" ، ولكن في النسخة م ضبطت الهمزة بالضم ، وفي جميع المخطوطات "أجدد ثوب" ، والتصحيح من النفح .

(٦) في النفح : "وفازت قداحي" ، وهو أفضل في رأيي .

(٧) في جميع المخطوطات : "فقلت أخلى" ، والتصحيح من النفح .

(٨) الأبيات في النفح ٣٣٩/٧ ، وهي من [مخلع البسيط] .

مَــــا بَالُ عَيْنَيَــــكَ تَسْـــجُمَانِ   وَالـــدَّمْعُ يَـــرْفَضُّ كَالْجُمَـــانِ[1]

نَادَاكَ وَٱلإِلْــــفُ عَنْــــكَ وَانِي   وَالْبُعْــدُ مِــنْ بَعْــدِهِ كَــوَانِي[2]

يَا شِــقَّةَ الــنَّفْسِ مِــنْ هَــوانِ   مَــنْ لَجَّ فِي أَبْحُــرِ الْهَــوَانِ[3]

لَمْ يُثْنِــهِ عَــنْ هَــوَاكَ ثَانِي   يَا بُغْيَــةَ الْقَلْــبِ قَــدْ كَفَــانِي

وبالجملة فأئمة أهل الأندلس لا يُغفل أمرُهم ، ولا يُنكر [٣٤٥/و] فخرُهم ، حتى قال الرئيس ابن الجياب[4] مفتخرا :

أَبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ تَكُــونَ الْيَــدُ الْعُلْيَــا   لأَنْـدَلُسٍ مِـنْ غَـيْرِ شَـرْطٍ وَلاَ ثَنْيَـا[5]

فَمَــا عَــدِمَتْ أَهْــلَ الْبَلاَغَــةِ وَالْحِجَــا   مُقِيمُــونَ فِيهَــا الرَّسْــمَ بِالــدِّينِ وَالــدُّنْيَا

إِذَا خَطَبُــوا قَــامُوا بِكُــلِّ بَلِيغَــةٍ   تُجَلِّـى الْقُلُـوبَ الْغُلْـفَ وَٱلأَعْـيُنَ الْعُمْيَـا

وَإِنْ شَــعَرُوا جَــاءُوا بِكُــلِّ غَرِيبَــةٍ   تَخَــالُ النُّجُــومَ النَّــيِّرَاتِ لَهَــا حَلْيَــا

فَأَسْــأَلُ فِي الــدُّنْيَا مِــنَ اللهِ سَــتْرَهُ   عَلَيْنَــا وَفِي ٱلأُخْـرَى إِذَا حَانَـتِ الُّلقِيَــا

---

(١) في جميع المخطوطات : "ما بال عينك تسبحان" ، والتصحيح من النفح .

(٢) في جميع المخطوطات : "والبعد منه لقد كواني" ، وهو ركيك ، واعتمدت النفح .

(٣) في النفح جاء الشطر الثاني هكذا : "لجّح في أبحر الهوان" .

(٤) هو علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري الغرناطي ، أبو الحسن ، وهو من مشايخ لسان الدين بن الخطيب ، وفيه يقول : وهو شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ . من النفح ٤٣٤/٥ .

(٥) الأبيات في نفح الطيب ٤٥٨/٥ ، وهي من [الطويل] وفي النفح بيت بعد هذا البيت يكمل المعنى وهو :

وإن عضّتها بنوْب نوائب   فصيرت الشهد المشهور بها شرْبَا

ولعمري لقد صدق قائل هذه الأبيات ؛ فإن البلاغة لم تزل شمسها في الأندلس ظاهرة الآيات إلى أن استولى عليها العدو ، وعطّل من أهل الإسلام الرواحُ والغُدوّ ، وفي أهلها إلى الآن بقيةُ لسان وبَراعةٌ وتصرُّف في فنون الإجادة والبراعة ، ولله دَرُّ الأديب العلاّمة خاتمة الأدباء بالأندلس أبي الطيب صالح ابن الشريف[1] الرندي يندب بلاد الأندلس بقوله[2] :

لِكُلِّ شَيءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ ... فَلاَ يُغَرُّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

هِيَ ٱلأُمُور كَمَا شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ ... مِنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ[3]

وَهَذِهِ الدَّارُ لا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ... وَلاَ يَدُومُ عَلَى قَوْمٍ بِهَا شَانُ[4]

يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ ... إِذَا دَنَتْ مَشْرَفِيَّاتٌ وَخُرْصَانُ[5]

أَيْنَ الْمُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ ... وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيجَانُ ؟

وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ ... وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ

أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ ... حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا

[٣٤٥/ظ] إلى أن قال منها[6] :

---

(١) هو صالح بن أبي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف، يكنى أبا الطيب وأبا البقاء، كان فقيها حافظا متفننا في النثر والنظم. من نفح الطيب ٤/٤٨٦ .

(٢) الأبيات في النفح ٤/٤٨٧ ، وهي من [البسيط] .

(٣) في نسخة الأصل م : " . . . إذا شاهدتها"، وفي النسختين د، ك: "فما شاهدتها"، واعتمدت ما في النفح.

(٤) في النفح :"ولا يدوم على حال" ، وهو أحسن في رأيي .

(٥) في النفح : "إذا نَبَتْ" ، وهو أحسن في رأيي .

(٦) سقطت : "منها" من النسختين د ، ك .

فَجَــائِعُ الــدَّهْرِ أَنْــوَاعٌ مُنَوَّعَــةٌ وَلِلزَّمَــانِ مَسَــرَّاتٌ وَأَحْــزَانُ

وَلِلْمَصَــائِبِ سُــلْوَانٌ يُهَوِّنُهَــا وَمَـا لِمَـا حَـلَّ بِالإِسْـلاَمِ سُـلْوَانُ[1]

دَهَـى الْجَزِيـرَةَ أَمْـرٌ لاَ مَـرَدَّ لَـهُ هَـوَى لَـهُ أُحُـدٌ وَانْهَـدَّ ثَهْـلاَنُ[2]

أَصَـابَهَا الْعَـيْنُ فِي ٱلإِسْـلاَمِ فَامْتُحِنَـتْ حَـتَّى خَلَـتْ مِنْـهُ أَقْطَـارٌ وَبُلْـدَانُ

فَـأَيْنَ قُرْطُبَـةُ دَارُ الْعُلُـومِ فَكَـمْ مِـنْ عَـالِمٍ قَـدْ سَمَـا فِيهَـا لَـهُ شَـانُ

وَأَيْـنَ حِمْـصُ وَمَـا تَحْوِيـهِ مِـنْ نُـزَهٍ وَنَهْرَهَـا الْعَـذْبُ فَيَّـاضٌ وَمَـلآنُ

تَبْكِـي الْحَنِيفَـةُ الْبَيْضَـاءُ مِـنْ أَسَـفٍ كَمَـا بَكَـى لِفِـرَاقِ ٱلإِلْـفِ هَيْمَـانُ

عَلَـى دِيَارٍ مِـنَ ٱلإِسْـلاَمِ خَالِيَـةٍ قَـدْ أَقْفَـرَتْ وَلَهَـا بِالْكُفْـرِ عُمْـرَانُ

حَتَّى الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا فِـيهِنَّ إِلاَّ نَـوَاقِيسٌ وَصُـلْبَانُ[3]

حَـتَّى الْمَحَارِيـبُ تَبْكِـي وَهْـيَ جَامِـدَةٌ حَـتَّى الْمَنَـابِرُ تَرْثِـي وَهْـيَ عِيـدَانُ

يَا غَـافِلاً وَلَـهُ فِي الـدَّهْرِ مَوْعِظَـةٌ إِنْ كُنْـتَ فِي سِـنَةٍ فَالـدَّهْرُ يَقْظَـانُ

وَمَاشِـيًا مَرِحًـا يُلْهِيـهِ مَوْطِنُـهُ أَبَعْـدَ حِمْـصٍ تَغُـرُّ الْمَـرْءَ أَوْطَـانُ ؟[4]

---

(١) في النفح : "... سلوان يسهلها" ، ويبدو لي أن ما هنا أحسن .

(٢) في النفح : "أمر لا عزاء له" .

(٣) في النفح : "حيث المساجد" .

(٤) في نسخة الأصل م : "يقر المرء" ، وفي النسخة د : "يغر المرء" ، وفي النسخة ك : "يعز" ، والتصحيح من نفح الطيب .

تِلْـكَ الْمُصِـيبَةُ أَنْسَـتْ مَـا تَقَـدَّمَهَا ... وَمَالَهَـا مَـعَ طُـولِ الـدَّهْرِ نِسْـيَانُ

وهى طويلة اقتصرتُ منها على ما ذكرنا .

ومنهم أبو محمد(١) عبد الله بن صارة(٢) البكري الأندلسي الشاعر المشهور ، كان شاعرا ماهرا ناظما وناثرا، ذكره صاحب "قلائد العقيان"، وأثنى عليه ابن بسام في "الذخيرة"، وقال: إنه تبع(٣) المحقرات، وبعد جهد ارتقى إلى كتابة بعض الولاة، فلما كان من خلْع الملوك الذين كانوا بالأندلس ما كان أتى إلى [٣٤٦/و] إشبيلية أوْحَش حالا(٤) من الليل، وأكثر انفرادًا من سُهيل، وتبلّغ من الوراقة، وله منها جانب، وبها بصر ثاقب، فانتحلها في كساد سوقها، وخُلُوّ طريقها، وفيها يقول(٥):

أَمَّـا الْوِرَاقَـةُ فَهْـي أَيْكَـهُ حِرْفَـةٍ ... أَوْرَاقُهَـا وَثِمَارُهَـا الْحِرْمَـانُ

شَـبَّهْتُ صَـاحِبَها بِحَالَـةِ إِبْـرَةٍ ... تَكْسُـو الْعُـرَاةَ وَجِسْـمُهَا عُـرْيَانُ(٦)

وله أيضا(٧):

---

(١) هذه الترجمة من وفيات الأعيان ٩٣/٣ وما بعدها. وانظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني تحقيق : إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ط٢، ١٩٨١، ٦٩٦/٤ وكذا تنظر ترجمته في بغية الملتمس (رقم: ٨٩٦) وزاد السافر: ٦٦ والقلائد: ٢٦٠ والتكملة: ٨١٦ ، والمطرب: ٧٨، ١٣٨ والمغرب ١: ٤١٩ ونفح الطيب ١: ٤٤٩ والمسالك ١١: ٣٨٣ والشذرات ٤: ٥٥ .

(٢) في نسخة الأصل م : "إمارة" ، وفي النسختين د ، ك : "ماره" ، والتصحيح من الوفيات .

(٣) في الوفيات : "تتبع" ، وهو أحسن في رأيي .

(٤) في جميع المخطوطات : "خلا" ، والتصحيح من الوفيات .

(٥) البيتان في الوفيات ٩٣/٣ ، وهما من [الكامل] .

(٦) في الوفيات : "بصاحب إبرة" ، وما هنا أحسن .

(٧) البيتان في الوفيات ٩٤/٣ ، وهما من [الكامل] .

وَمُهَفْهَفٍ رَقَّتْ حَوَاشِي حُسْنِهِ ... فَقُلُوبُنَا وَجْدًا عَلَيْهِ رِقَاقُ[(١)]

لَمْ يَكُنْ عَارِضَهُ السَّوَادُ وَإِنَّمَا ... نَفَضَتْ عَلَيْهِ سَوَادَهَا ٱلأَحْدَاقُ

وله في غلام أزرق العينين[(٢)] :

وَمُهَفْهَفٍ أَبْصَرْتُ فِي أَطْوَاقِهِ ... قَمَرًا بِآفَاقِ الْمَحَاسِنِ يُشْرِقُ[(٣)]

يَقْضِي عَلَى الْمُهْجَاتِ مِنْهُ صَعْدَةٌ ... مُتَأَلِّقٌ فِيهَا سِنَانٌ أَزْرَقُ[(٤)]

وله أيضا في الزهد[(٥)] :

يَا مَنْ يُصِيخُ إِلَى دَاعِي السِّفَاهِ وَقَدْ ... نَادَى بِهِ النَّاعِيَانِ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ[(٦)]

إِذْ أَنْتَ لَمْ تَسْمَعِ الذِّكْرَى فَفِيمَ ثَوَى ... فِي رَأْسِكَ الْوَاعِيَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ[(٧)]

لَيْسَ ٱلأَصَمُّ وَلاَ ٱلأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ ... لَمْ يَهْدِهِ الْهَادِيَانِ الْعَيْنُ وَٱلأَثَرُ

لاَ الدَّهْرُ يَبْقَى وَلاَ الدُّنْيَا وَلاَ الْفَلَكُ الْـ ... ـأَعْلَى وَلاَ النَّيِّرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

لَيَرْحَلَنَّ عَنِ الدُّنْيَا وإِنْ كَرِهَا ... فِرَاقَهَا الثَّاوِيَانِ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ

---

(١) في الوفيات : "ومعذّر رقّت . . ." .

(٢) البيتان في الوفيات ٩٤/٣ ، وهما من [الكامل] . ، وفي الوفيات : "أزرق العين" .

(٣) في النسختين د ، ك : "قمر بابا باق" [كذا] ، وما في نسخة الأصل م يوافق الوفيات .

(٤) في الوفيات : "تقضى" بالمثناة الفوقية ، وكلاهما صحيح .

(٥) الأبيات في الوفيات ٩٤/٣ ، وهي من [البسيط] .

(٦) في المخطوطات جميعها : "يا من يصح إلى داعي السعادة قد" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٧) في الوفيات : "إن كنت لا تسمع . . ." ، وهو أحسن في رأيي .

وله أيضا رحمه الله تعالى[1] :

وَصَاحِبٍ لِي كَدَاءِ الْبَطْنِ صُحْبَتُهُ ... يَوَدُّنِي كَوِدَادِ الذِّئْبِ لِلرَّاعِي

يُثْنِي عَلَيَّ جَزَاهُ اللهُ صَالِحَةً ... ثَنَاءَ هِنْدٍ عَلَى رَوْحِ بْنِ زِنْبَاعِ

وهند[2] هذه بنت النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنها [٣٤٦/ظ] وكان روح ابن زنباع الجذامي صاحب عبد الملك بن مروان قد تزوجها، وكانت تكرهه، وفيه تقول[3]:

وَهَلْ هِنْدُ إِلاَّ مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ ... سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَحَلَّلَهَا بَغْلُ ؟

فَإِنْ أَنْجَبَتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى ... وَإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمَا أَنْجَبَ

والإقراف أن تكون الأم عربية والأب ليس كذلك، والهُجنة عكس ذلك، وهو أن يكون الأب عربيا والأم خلاف ذلك.

ولهذا الأديب ديوان شعر أكثره جيد، ولنقتصر[5] على هذا النذر اليسير.

---

(١) البيتان في الوفيات ٩٤/٣ ، وهما من [البسيط] .

(٢) اسمها حُميدة بنتَ النعمان بن بشير في الأغاني ٢٣٠/٩ و ٥٣/١٦ .

(٣) البيتان في الوفيات ٩٥/٣ ، وهما من [الطويل] ، وفي الهامش قال المحقق : انظر الشعر ونسبته في الأغاني ٢٢١/٩ و ٢٢/١٦ ، ولكنه في نسختي ٢٣٠/٩ و ٥٤/١٦ .

(٤) في الوفيات : "فإن نتجت" .

(٥) في نسخة الأصل م : "والنقتصر" [كذا] .

ومنهم أبو بكر محمد بن عمار المهري[١]، وكان شاعرا أديبا فطنا لوذعيا لبيبا، وكان استخلصه لنفسه المعتمد بن عباد صاحب[٢] الأندلس دون أبناء جنسه ، وصيّره نديما وسميرا ، واتخذه خليلا ووزيرا ، وبعدها قتله بيده ، وصيّره إلى قبره وملحده ، وكان السبب في قتله أنه هجاه وهجا أباه[٣] بهذين البيتين[٤] :

مِمَّا يَقْبُحُ عِنْدِي ذِكْرُ أَنْدَلُسٍ ... سَمَاعُ مُعْتَضِدٍ فِيهَا وَمُعْتَمِدِ

أَسْمَاءُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ... كَالْهِرِّ يَحْكِي انْتِفَاخًا صَوْلَةَ الْأَسَدِ[٥]

وذكر عماد الدين الكاتب[٦] في ترجمة ابن عمار أن المعتمد كان من أكبر الدواعي

---

(١) هذه الترجمة من وفيات الأعيان ٤/٤٢٥ باختصار .

(٢) في الوفيات : "صاحب غرب الأندلس" .

(٣) في نسخة الأصل م : "أبه" ثم جاء من وضع ألفا بين الباء والهاء ، وفي النسختين د ، ك "أبيه" ، وذلك بسبب أنه في الوفيات " ما بلغه من هجائه وهجاء أبيه" .

(٤) البيتان في الوفيات ٤/٤٢٨ ، وهما من [البسيط] ، وجاءا منسوبين إلى ابن رشيق في نفح الطيب ١/٢١٣ و ٢١٤ ، وجاءا غير منسوبين في نفح الطيب في ٤/٢٥٥ .

(٥) في جميع المخطوطات : "يحكى افتراءً" ، واعتمدت ما في المصدرين السابقين .

(٦) (العماد الأصفهاني الكاتب أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجا حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله المعروف بابن أخي العزيز .. الملقب عماد الدين، الكاتب الأصبهاني. كان العماد المذكور فقيهاً شافعي المذهب، تفقه بالمدرسة النظامية زماناً، وأتقن الخلاف وفنون الأدب، وله من الشعر والرسائل ما يغني عن الإطالة في شرحه.... وكانت ولادته يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة، وقيل في شعبان، سنة تسع عشرة وخمسمائة بأصبهان. وتوفي يوم الاثنين مستهل شهر رمضان المعظم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق، ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر، رحمه الله تعالى " الوفيات ٥/١٤٧، وما بعدها، وانظر ترجمته وافية في مقدمة كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي، بتحقيق ، وشرح، وتقديم محمد محمود صبيح وقدم له أ.د. حامد زيان، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر الذخيرة ٩٠، ٢٠٠٣م ص ٢٣.

إلى قتله هجوه[1] أم بنيه[2] المعروفة بالرُّمَيْكيّة، وهي أبيات منها[3] :

تَخَيَّرْتَهَا مِنْ بَنَاتِ الْهِجَانِ ... رُمَيْكِيَّةً لا تُسَاوِى عِقَالا

فَجَاءَتْ بِكُلِّ قَصِيرِ الذِّرَاعِ ... لَئِيمِ النِّجَارِ عَمًّا وخَالاَ

وهذه الرميكية كانت سُرِّيَّة المعتمد اشتراها من رُمَيْك [٣٤٧/و] بن حجاج فنسبت إليه ، وكان اشتراها في أيام أبيه المعتضد ، وأفرط في الميل إليها[4] ، غلبت عليه .

ومن مشاهير قصائد ابن عمار[5] :

أَدِرِ الزُّجَاجَةَ فَالنَّسِيمُ قَدِ انْبَرَى ... وَالنَّجْمُ قَدْ صَرَفَ الْعِنَانَ عَنِ السُّرَى[6]

وَالصُّبْحُ قَدْ أَهْدَى لَنَا كَافُورَهُ ... لَمَّا اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ مِنَّا الْعَنْبَرَا[7]

ومن مدائحها[8] وهي في المعتضد بن عباد :

مَلِكٌ إِذَا ازْدَحَمَ الْمُلُوكُ بِمَوْرِدٍ ... وَنَحَاهُ لاَ يَرِدُونَ حَتَّى يَصْدُرَا

أَنْدَى عَلَى الأَكْبَادِ مِنْ قَطْرِ النَّدَى ... وَأَلَذُّ فِي الأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى[9]

---

(١) في النسختين د ، ك : "في هجوم" .

(٢) في جميع المخطوطات : "أم بثينة"، والتصحيح من الوفيات .

(٣) البيتان في وفيات الأعيان ٤٢٨/٤ ، وهما من [المتقارب] . وفي البيت تصحيف بحذف علامة التثنية ليصح وزن البيت فتكون صحته : لئيم "النجارين" وهو مروي كذلك في الوفيات، والنفح، والخريدة بإثبات علامة التثنية.

(٤) في نسخة الأصل م : "إليه" ، وما في النسختين د ، ك يوافق الوفيات .

(٥) في الوفيات ٤٢٦/٤ ، وهي من [الكامل] ، وهي في نفح الطيب ٦٥٥/١ .

(٦) في جميع المخطوطات : " . . . إلى السري" ، والتصحيح من المصدرين المذكورين .

(٧) في جميع المخطوطات : " . . . منها العنبرا" ، والتصحيح من المصدرين المذكورين .

(٨) في الوفيات : "ومن مديحها" .

(٩) في جميع المخطوطات : " أترى على . . . " ، والتصحيح من المصدرين المذكورين .

قَــدَّاحُ زَنْــدِ الْمَجْــدِ لاَ يَنْفَــكُّ مِــنْ نَارِ الْــــــوغَى إِلاَّ إِلَى نَارِ الْقِــــــرَى

وهي طويلة وفائقة . ومن حيث جيد شعره قوله[1] :

عَلَــــيَّ وَإِلاَّ مَـــا بُكَـــاءُ الْغَمَـــائِمِ وَفِيَّ وَإِلاَّ فِــــيمَ نَــــوْحُ الْحَمَــــائِمِ

كَسَــهَا الْحَيَــا بَــرْدَ الشَّــبَابِ فَإِنَّهَــا بِــلادٌ بِهَــا خَــطَّ الشَّــبَابُ تَمَــائِمِي[2]

ذَكَــرْتُ بِهَــا عَهْــدَ الصِّــبَا فَكَأَنَّمَــا قَــدَحَتْ بِنَــارِ الشَّــوْقِ بَــيْنَ الْحَيَــازِمِ

أَنَالَ سُــهَادِي مِــنْ عُيُــونٍ نَــوَاعِسٍ وَأَجْــنِي عَــذَابِي مِــنْ غُصُــونٍ نَــوَاعِمِ[3]

وَلَيْــلٍ لَنَــا بِالسُّــدِّ بَــيْنَ مَعَــاطِفٍ مِــنَ النَّهْــرِ يَنْسَــابُ انْسِيَابَ الْأَرَاقِــمِ[4]

وَبِتْنَــــا وَلاَ وَاشٍ يُحِــــسُّ كَأَنَّمَــــا حَلَلْنَــا مَكَــانَ السِّــرِّ مِــنْ صَــدْرِ كَــاتِمِ[5]

مُلُــوكٌ مُنَــاخُ الْعِــزِّ فِي عَرَصَــاتِهِمْ وَمَثْــوَى الْمَعَــالِي بَــيْنَ تِلْــكَ الْمَعَــالِمِ

ومنها :

---

(١) في الوفيات ٤٢٧/٤ ، وهي من [الطويل] ، ومن الثاني إلى الخامس في نفح الطيب ١٩/١ ضمن سبعة أبيات.

(٢) في الوفيات والنفح : "بها عق الشباب" .

(٣) في جميع المخطوطات : "ليال أنال" ، وفي هامش النسخة : كتب في الهامش : "ليال زائدة في هذا البيت سبق قلم فليعلم" . وفي جميع المخطوطات: "وأحيي عذابي"، وهو تصحيف، واعتمدت ما في الوفيات ، وفي النفح: "وأجنى مرادي" .

(٤) في جميع المخطوطات : "من الهز مناسب انسياب . . ." ، وفي هامش م كتب : "منساب" ، والتصحيح من المصدرين المذكورين .

(٥) في جميع المخطوطات : "وبتنا و شيء . . . صدر نائم" ، والتصحيح من المصدرين المذكورين .

إِذَا قَصَّــرَ الــرَّوْعُ الْخُطَــا نَهَضَــتْ بِهِــمْ   طِــوَالُ الْعَــوَالِي فِي طِــوَالِ الْمَعَاصِــمِ[(١)]

هُنَــاكَ الْقَنَــا مَجْــرُورَةٌ مِــنْ جَهَابِــذٍ   وَثَمَّ الظُّبَــا مَهْــزُوزَةٌ مِــنْ عَــزَائِمِ[(٢)]

إِذَا رَكِبُــوا فَــانْظُرْهُ أَوَّلَ طَــاعِنٍ   وَإِنْ نَزَلُــوا فَارْصُــدْهُ آخِــرَ طَــاعِمِ

وهي أيضا طويلة طنانة ، اقتصرنا منها على ما ذكرنا .

ومنهم [٣٤٧/ظ] أبو بكر[(٣)] يحيى بن بَقِيّ[(٤)] الأندلسي الشاعر المشهور ، قال ابن خلكان في تاريخه. قال الفتح محمد[(٥)] بن عبيد الله القيسي في كتاب "مطمح الأنفس" في حق أبي بكر المذكور : كان نبيل النثر[(٦)] والنظام ، كثير الارتباط في[(٧)] سلكه والانتظام ، أحرز خصالا ، وطرّزت محاسنه بكورا وآصالا ، وجرى في ميدان الإحسان إلى أبعد أمَد ، وبني من المعارف أثبت عَمد ، إلا أن الأيام حرمته[(٨)] ، وقطعت حبل رعايته وصَرَمَتْه ، ولم تتمّ له وَطَرًا ، ولم تسح[(٩)] عليه الحظوة مَطَرا ، ولا نولته[(١٠)] من الحرمة نصيبا ، ولا أنزلته مَرْعًى خصيبا ، فصار راكب صهوات ، وقاطع فَلَوات ، لا يستقر يوما ، ولا يستحسن نوما ، مع

(١) في جميع المخطوطات : "في طلول المعاصم" ، والتصحيح من المصدرين المذكورين .

(٢) في الوفيات : "مجرورة من حفائظ" .

(٣) هذه الترجمة من وفيات الأعيان ٢٠٢/٦ وما بعدها ، واسمه فيه : "أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الأندلسي" ، وله ترجمة في نفح الطيب ٣٦/٤ ، وما بعدها .

(٤) في جميع المخطوطات : "تقي" ، والتصحيح من الوفيات.

(٥) في جميع المخطوطات : "محمد بن عبد الله العبسي" ، والتصحيح من الوفيات .

(٦) في جميع المخطوطات : "نبيل السيرة" ، والتصحيح من الوفيات ليناسب ما بعده .

(٧) في جميع المخطوطات : "من سلكه والنظام" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٨) في النسختين د ، ك : حزمته" بالزاي ، وهو تصحيف .

(٩) في الوفيات : "ولم تسجم عليه من الحظوة" .

(١٠) في جميع المخطوطات : "ولا سولته" ، واعتمدت ما في الوفيات .

توهم يظفره بأمان ، وتقلُّب ذهن[1] كتقلب واهي الجمان ، إ[2] أن يحيى بن عليّ بن القاسم نزعه من ذلك الطَّيش، وأقطعه[3] جانبا من العَيش، ورقّاه إلى سمائه ، وسقاه صوب نعمائه ، وفَيّأه ظِلاله ، وبَوّأه أثر النعمة يجوس خلاله[4] ، فصرف به أقواله ، وشرف بقوافيه[5] أفعاله ، وأفرده منها بأنفَس دُر ، وقيَّد[6] لبّته منها بقصائد غُرّ ، ووصفه أيضا بقوله : هو رافع راية القريض ، وصاحب[7] التصريح فيه والتعريض ، أقام شرائعه ، وصار عاصيه[8] طائعه إذا نظم أزرى بنظم العقود ، وأتى بأحسن من رقْم البرود ، وضفا[9] عليه حرمانه ، ولم يصف[10] له زمانه . انتهى .

ومن غرر كلامه[11] :

[٣٤٨/و] بِأَبِي غَــزَالٌ غَازَلَتْــهُ مُقْلَــتِي	بَــيْنَ الْعُــذَيْبِ وَبَــيْنَ شَــطَّيْ بَارِقِ
وَسَــأَلْتُ مِنْــهُ زِيَارَةً تَشْــفِي الجْــوَى	فَأَجَــابَنِي مِنْهَــا بِوَعْــدٍ صَــادِقِ

(١) في جميع المخطوطات : "وتقلب وهن" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٢) في جميع المخطوطات : "إ أن يحيي بن عيسى" ، والتصحيح من الوفيات .

(٣) في نسخة الأصل م: "وقطعه" ثم جاء من كتب ألفا بين القاف والطاء، وما في النسختين د، ك يوافق الوفيات.

(٤) في جميع المخطوطات : "جلاله" بالجيم ، وهو تصحيف ، والتصحيح من الوفيات .

(٥) في جميع المخطوطات : "بعواقبه" ، والتصحيح من الوفيات .

(٦) في جميع المخطوطات : "وقيد كتبه" ، والتصحيح من الوفيات .

(٧) في جميع المخطوطات : "وصاحب الترصيص فيه والتقريض" ، وفي النسخة ك : "والترصيف" ، والتصحيح من الوفيات .

(٨) في الوفيات : "عصيه" .

(٩) في جميع المخطوطات : "وطفا" ، والتصحيح من الوفيات .

(١٠) في الوفيات : "وما صفا" .

(١١) الأبيات في الوفيات ٢٠٣/٦ ، وهي من [الكامل] ، والأول وحده في النفح ٢٣٧/٤ .

بِتْنَـــا وَنَحْـــنُ فِي الـــدُّجَى فِي لُجَّـــةٍ وَمِـــنَ النُّجُـومِ الزُّهْــرِ تَحْـتَ سُـرادِقِ

عَاطَيْتُـــهُ وَاللَّيْـــلُ يَسْـــحَبُ ذَيْلَـــهُ صَـــهْبَاءَ كَالْمِسْـــكِ الْفَتِيـــقِ لِنَاشِـــقِ

وَضَـــمَمْتُهُ ضَـــمَّ الْكَمِـــيَّ لِسَـــيْفِهِ وَذُؤَابَتَـــاهُ حَمَـــائِلِي فِي عَـــاتِقِي

حَـــتَّى إِذَا مَالَـــتْ بِـــهِ سِـــنَةُ الْكَـــرَى زَحْزَحْتُـــهُ عَـــنِّي وَكَـــانَ مُعَـــانِقِي

أَبْعَدْتُـــه عَـــنْ أَضْـــلُعٍ تَشْـــتَاقُهُ كَـــيْلاَ يَنَـــامَ عَلَـــى فُـــؤَادٍ خَـــافِقِ[1]

لَمَّـــا رَأَيْـــتُ اللَّيْـــلَ آخِـــرَ عُمْـــرِهِ قَـــدْ شَـــابَ فِي لِمـــمٍ لَـــهُ وَمَفَـــارِقِ[2]

وَدَّعْـــتُ مَـــنْ أَهْـــوَى وَقُلْـــتُ تَأَسُّـــفًا أَعْـــزِزْ عَلَـــيَّ بِأَنْ أَرَاكَ مُفَـــارِقِي[3]

وقد ذكر بعض هذه الأبيات الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه الذي سماه "المطرب من أشعار أهل المغرب" .

ومن شعره أيضا قصيدة له يمدح بها يحيى بن على بن القاسم ، ومن مدائحها[4] :

نُـــورَانِ لَيْسَـــا يُحْجَبَـــانِ عَـــنْ الْـــوَرَى كَـــرَمُ الطِّبَـــاعِ وَلاَ جَمَـــالُ الْمَنْظَـــرِ[5]

وَكِلاَهُمَـــا جُمِعَـــا لِيَحْـــيَى فَلْيَـــدَعْ كِتْمَـــانَ نُـــورِ عَلاَئِـــهِ الْمُتَشَـــهِّرِ[6]

(١) في هامش نسخة الأصل م كتب في مقابل "فؤاد" وساد . . هكذا رأيته وسمعته" . وفي الوفيات "وساد" ، وما هنا أوفق .

(٢) في جميع المخطوطات : "قد شاب في لحم" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٣) في جميع المخطوطات : "يعزز على" ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٤) في الوفيات : "ومن مديحها" .

(٥) الأبيات في الوفيات ٢٠٣/٦ و ٢٠٤ ، وهي من [الكامل] ، وفي النفح ٢٤٠/٤ .

(٦) في نسخة الأصل م : "ليحيي فاليدع" [كذا] .

فِي كُــلِّ أُفْـــقٍ مِـــنْ جَمِيْـــلِ ثَنَائِـــهِ عَــرْفٌ يَزِيــدُ عَلَــى دُخَــانِ الْمَجْمَــرِ(١)

أَرْبَى عَلَـــى الْغَيْـــثِ الْمُلِـــثِّ لِأَنَّـــهُ أَعْطَـــى كَمَـــا أَعْطَـــى وَلَمْ يَسْـــتَعْبِرِ(٢)

أَقْبَلْـــتُ مُـــرْتَادًا لِجُـــودِكَ إِنَّـــهُ صَـــوْبُ الْغَمَامَـــةِ بَـــلْ زُلَالُ الْكَـــوْثَرِ

وَرَأَيْـتُ وَجْـهَ الـنُّجْحِ عِنْـدَكَ أَبْيَضًـا فَرَكِبْـــتُ نَحْـــوَكَ كُـــلَّ لُجٍّ أَخْضَـــرِ

ومن شعره(٣) :

يَا أَقْتَـــلَ النَّـــاسِ أَلْحَاظًـــا وَأَطْيَـــبَهُمْ رِيقًـا مَتَى كَـانَ فِيـكَ الصَّابُ وَالْعَسَلُ(٤)؟!

[٣٤٨/ظ] فِي صِحْنِ خَدِّكَ وَهْوَ الشَّمْسُ وَرْدٌ يَزِينُـــكَ فِيْـــهِ الـــرَّاحُ وَالْخَجَـــلُ(٥)

إِيمَـــانُ حُبِّـــكَ فِي قَلْـــبِي يُجَـــدِّدُهُ مِنْ خَدِّكَ الْكُتْبُ أَوْ مِنْ لَحْظِكَ الرُّسُلُ(٦)

إِنْ كُنْـــتَ تَجْهَـــلُ أَنِّي عَبْـــدُ مَمْلَكَـــةٍ مُـــرْنِي بِمَـــا شِـــئْتَ آتِيـــهِ وَأَمْتَثِـــلُ

لَـوِ اطَّلَعْـتَ عَلَـى قَلْـبِي وَجَـدْتَ بِـهِ مِـنْ فِعْـلِ عَيْنَيْـكَ جُرْحًـا لَـيْسَ يَنْـدَمِلُ

وذكر له العماد الكاتب في "الخريدة" عدة مقاطيع ، ومحاسنه كثيرة .

---

(١) في جميع المخطوطات : "على دخان العنبر" ، والتصحيح من المصدرين المذكورين .

(٢) في جميع المخطوطات : "أربى على المزن المكث . . . ولم يستغفر" ، والتصحيح من المصدرين المذكورين .

(٣) الأبيات في الوفيات ٢٠٤/٦ وهي من [البسيط] ، وليست في النفح .

(٤) في جميع المخطوطات : "يا أنبل الناس" ، وما في هامش نسخة الأصل م يوافق الوفيات ، وقد اعتمدته .

(٥) في الوفيات : "ورد يزيدك" .

(٦) في جميع المخطوطات : "في قلبي مجردة" ، وفي النسختين د ، ك : من خدك الكسب" ، وفي النسخة ك : "أر من لحظك الذبل" ، والتصحيح من الوفيات .

ونقل صاحب كتاب "نفح الطيب"[١] في الباب الذي عقده في ذكر نُبهاء الأندلس وأشعارهم ولطائفهم : قال : ناظر بعض شعراء الأندلس بعض شعراء أهل المشرق فقال : ألكم في الشعر ملك مثل المعتمد بن عباد في قوله[٢] :

وَلَيْلٍ بِسُدِّ النَّهْرِ أُنْسًا قَطَعْتُهُ ... بِذَاتِ سِوَارٍ مِثْلِ مُنْعَطَفِ النَّهْرِ

نَضَتْ بُرْدَهَا عَنْ غُصْنِ بَانٍ مُنَعَّمٍ ... فَيَا حُسْنَ مَا انْشَقَّ الْكَمَامُ عَنِ الزَّهْرِ[٣]

ومثل قول ابنه الراضي[٤] :

مَرُّوا بِنَا أُصُلاً مِنْ غَيْرِ مِيعَادِ ... فَأَوْقَدُوا نَارَ قَلْبِي أَيَّ إِيقَادِ

لاَ غَرْوَ أَنْ زَادَ فِي وَجْدِي مُرُورُهُمُ ... فَرُؤْيَةُ الْمَاءِ تُذْكِي غُلَّةَ الصَّادِي[٥]

وهل لكم[٦] ملك ألف في فنون الأدب كتابا في نحو مائة مجلد مثل المظفر بن الأفطس ملك بَطَلْيَوْس ، ولا تشغله الحرب ولا المملكة[٧] عن همه الأدب . وهل لكم مثل عمار في قصيدته التي صارت أشرد من مثل ، وأحب إلى الأسماع من لقاء حبيب وصل ، التي منها[٨] :

---

(١) في نفح الطيب ١٩٣/٣ ، وما بعدها .

(٢) البيتان في النفح ١٩٣/٣ ، وهما من [الطويل] .

(٣) في جميع المخطوطات : "فيا حسن ما انكشف" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) في النفح ١٩٣/٣ و١٩٤ ، وفي جميع المخطوطات : "الرضي" ، والتصحيح من النفح ، والبيتان من [البسيط] .

(٥) في جميع المخطوطات : ". . . أن زادني وحدي" ، والتصحيح من النفح .

(٦) في جميع المخطوطات : "وهل لك" ، واعتمدت ما في النفح ليناسب "ألكم" في أول القول وما يأتي .

(٧) في جميع المخطوطات : "ولا الممالك" ، واعتمدت ما في النفح .

(٨) في النفح ١٩٤/٣ ، وهما من [الكامل] .

أَثْمَــرْتَ رُمْحَــكَ مِــنْ رُؤُوسِ مُلُــوكِهِمْ   لَمَّــا رَأَيْــتَ الْغُصْــنَ يَعْشَــقُ مُثْمِــرَا

وَصَــبَغْتَ دِرْعَــكَ مِــنْ دِمَــاءِ مُلُــوكِهِمْ   لَمَّــا رَأَيْــتَ الْحُسْــنَ يُلْــبَسُ أَحْمَــرَا

وهل لكم مثل ابن زَيدون في قصيدته التي لم يُقل مع [٣٤٩/و] طولها في التشبيه أرق منها ، وهي التي يقول فيها[١] :

كَأَنَّنَــا لَمْ نَبِــتْ وَالْوَصْــلُ ثَالِثُنَــا   وَالسَّعْدَ قَـدْ غَـضَّ مِـنْ أَجْفَـانِ وَاشِـينَا

سِــرَّانِ فِي خَــاطِرِ الظَّلْمَــاءِ يَكْتُمُنَــا   حَــتَّى يَكَــادُ لِسَــانُ الصَّــبْحِ يُفْشِــينَا[٢]

وهل لكم مثل ابن وهبون في بديهته بين يدي المعتمد بن عباد ، وإصابته الغرض حين استحسن المعتمد قول المتنبي[٣] :

إِذَا ظَفِــرَتْ مِنْــكَ الْعُيُــونُ بِنَظْــرَةٍ   أَثَابَ بِهَــا مُعْطِــى الْمَطِــيّ وَرَازِمُــهْ[٤]

فقال[٥] :

لَــئِنْ جَــادَ شِــعْرُ ابْــنِ الْحُسَــيْنِ فَإِنَّمَــا   بِجُــودِ الْعَطَــايَا وَالُّلهَــى تَفْــتَحُ اللَّهَــا[٦]

---

(١) في النفح ١٩٤/٣ ، وهما في ديوان ابن زيدون في قصيدته المشهورة: أضحى التنائي بديلا من تدانينا،وهما من [البسيط] .

(٢) في جميع المخطوطات : "في خاطر الظمآن" ، واعتمدت ما في النفح والديوان ١٦٨ .

(٣) ديوان المتنبي ٣٣١/٣ وهو من [الطويل] .

(٤) في النفح : "إذا ظفرت منك المطى . . ." ، وما هنا يوافق الديوان .

(٥) في النفح ١٩٤/٣ ، وهو من الطويل وفيه جاء بعد بيت آخر هو :

تنبأ عُجبا بالقريض ولو ردى   بأنك تروى شعره لتألّها

(٦) في النفح : "فإنما تجيد . ." اللُّهَى : العطاء . واللَّهَا : جمع اللَّهَاة ، وهي الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم ، والمقصود المدح .

وهل من شعرائكم من تعرض لذكر العفة فاستنبط ما يسحر به السحر ، ويطيب به الزهر[١] ؛ وهو أبو عمر[٢] بن فرج في قوله[٣] :

وَطَائِعَةِ الْوِصَالِ عَفَفْتُ عَنْهَا   وَمَا الشَّيْطَانُ فِيهَا بِالْمُطَاعِ

بَدَتْ فِي اللَّيْلِ سَافِرَةً فَبَاتَتْ   دَيَاجِى اللَّيْلِ سَافِرَةَ الْقِنَاعِ

وَمَا مِنْ لَحْظَةٍ إِلاَّ وَفِيهَا   إِلَى فِتَنِ الْقُلُوبِ لَهَا دَوَاعِي[٤]

فَمَلَّكْتُ الْبَهِيَّ حِجَابَ قَلْبِي   لأَجْرِيَ فِي الْعَفَافِ عَلَى طِبَاعِي[٥]

كَذَاكَ الرَّوْضُ مَا فِيهِ لِمِثْلِي   سِوَى نَظَرٍ وَشَمٍّ مِنْ مَتَاعِ

وهل منكم من[٦] وصف ما تحدثه الخمرة من الحُمرة على الوجه مثل الشريف الطليق[٧] حيث يقول[٨] :

أَصْبَحَتْ شَمْسًا وَفُوهُ مَغْرِبًا   وَيَدُ السَّاقِي الْمُحَيِّ مَشْرِقَا

وَإِذَا مَا غَرَبَتْ فِي فَمِهِ   تَرَكَتْ فِي الْخَدِّ مِنْهُ شَفَقَا

---

(١) في جميع المخطوطات : "الدهر" ، والتصحيح من النفح .

(٢) في جميع المخطوطات : "أبو عمرو" ، والتصحيح من النفح ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٣) الأبيات في النفح ١٩٦/٣ ، وهي من [الوافر] .

(٤) في جميع المخطوطات : "إلى فنن" وهو تصحيف ، والتصحيح من النفح .

(٥) في النفح : "فملكت النهُّى جمحات قلبي" ، وكل منهما له دلالته .

(٦) في جميع المخطوطات : "وهل منكم على . . ." ، واعتمدت ما في النفح .

(٧) هو مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر ، كان في بنى أمية شبه عبد الله المعتز في بنى العباس ، بملاحة شعره وحسن تشبيهه ، من نفح الطيب ٥٨٦/٣ ، وفي هامشه قيل : هو المشهور باسم الشريف الطليق .

(٨) في النفح ١٩٧/٣ ، وهما من [الرمل] .

وهل فيكم مَن عَمَدَ إلى قول امرئ القيس[١] حيث قال[٢] :

سَمَــوْتُ إِلَيْهَــا بَعْــدَمَا نَامَ أَهْلُهَــا   سُمُــوَّ حَبَـابِ الْمَـاءِ حَـالاً عَلَـى حَـالِ

فاختلسه اختلاس النسيم لنفحة الأزهار ، واستلبه بنطقه[٣] [٣٤٩/ظ] استلاب ثغر الشمس لرضاب طَلِّ الأشجار ، فلطَّفه تلطيفا (يمتزج)[٤] بالأرواح ، ويغنى في الارتياح عن شُرب الراح ، وهو ابن شُهيد[٥] في قوله[٦] :

وَلَمَّــا تَمَــلأَّ مِــنْ سُــكْرِهِ   وَنَامَ وَنَامَــتْ عُيُــونُ الْحَــرَسْ[٧]

دَنَــوْتُ إِلَيْــهِ عَلَــى غِــرَّةٍ   دُنُــوَّ رَفِيــقٍ دَرَى مَــا الْــتَمَسْ[٨]

أَدُبُّ إِلَيْــهِ دَبِيــبَ الْكَــرَى   وَأَسْمُــو إِلَيْــهِ سُمُــوَّ الــنَّفَسْ

أَقُبِّــلُ مِنْــهُ بَيَــاضَ الطُّلَــيَ   وَأَرْشُــفُ مِنْــهُ سَــوَادَ اللَّعَــسْ

وَبِــتُّ بِــهِ لَيْلَــتِي نَاعِمًــا   إِلَى أَنْ تَبَسَّــمَ ثَغْــرُ الْغَلَــسْ[٩]

---

(١) امرؤ القيس بن حُجر الكندي ، كان أبوه ملك بنى أسد فعسفهم عسفا شديدا فاجتمعوا على قتْله ، وقد حاول امرؤ القيس أن يجد معونة من قيصر ، ولكن أحد العرب وشي به عند القيصر ، فألبسه حلة مسمومة ، مات بسببها ، ودُفن في أنقرة . [من هامش العمدة ١٥/١ بتصرف كبير] .

(٢) ديوان امرئ القيس ٣١ ، ونفح الطيب ١٩٧/٣ ، وهو من [الطويل] .

(٣) في النفح : "بلطفه" ، ويبدو أنه أحسن .

(٤) ما بين القوسين زيادة من نفح الطيب .

(٥) هو عامر بن شهيد أحمد بن عبد الملك ، من أكابر الشعراء بعيد الفتنة القرطبية [من هامش نفح الطيب ١٥٦/١] .

(٦) الأبيات في نفح الطيب ١٩٨/٣ ، وهي من [المتقارب] .

(٧) في جميع المخطوطات : "ولما تملّى" ، واعتمدت ما في النفح .

(٨) في النفح : ". . . إليه على رقبة" ، وفي هامشه "على قربه" وفي النسختين د ، ك : "على قربه" .

(٩) في جميع المخطوطات : "ليلتي ناعسا" ، وهو لا يناسب الغرض ، واعتمدت ما في النفح .

ولله دَرّ محمد بن سفر[1] أحد شعرائها[2] المتأخرين عصرا ، المتقدمين قَدْرًا ، حيث نقل[3] السعي إلى محبوبته فقال : شعر[4] :

وَوَاعَدْتُهَا وَالشَّمْسُ تَجْنَحُ لِلنَّوَى　　بِزَوْرَتِهَا شَمْسًا وَبَدْرُ الدُّجَى يَسْرِى[5]

فَجَاءَتْ كَمَا يَمْشِى سَنَا الصُّبْحُ فِي الدُّجَى　　وَطَوْرًا كَمَا مَرَّ النَّسِيمُ عَلَى النَّهْرِ

تَعَطَّرَتِ ٱلآفَاقُ حَوْلِي وَأَشْعَرَتْ　　بِمَقْدِمِهَا وَالْعَرْفُ يُشْعِرُ بِالزَّهْرِ

فَتَابَعْتُ بِالتَّقْبِيلِ آثَارَ سَعْيِهَا　　كَمَا يَتَقَصَّى قَارِئٌ أَحْرُفَ السَّطْرِ

فَبِتُّ بِهَا وَاللَّيْلُ قَدْ نَامَ وَالْهَوَى　　تَنَبَّهَ بَيْنَ الْغُصْنِ وَالْحِقْفِ وَالْبَدْرِ

أُعَانِقُهَا طَوْرًا وَأَلْثُمُ تَارَةً　　إِلَى أَنْ دَعَتْنَا لِلنَّوَى رَايَةُ الْفَجْرِ

فَفَضَّتْ عُقُودًا لِلتَّعَانُقِ بَيْنَنَا　　فَيَالَيْلَةَ الْقَدْرِ اتْرُكِي سَاعَةَ النَّفْرِ[6]

وهل فيكم شاعر رأى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالأقاحي ، وتشبيه الزهر بالنجوم ، وتشبيه الخدود بالشقائق ، فتلطف لذلك (في)[7] أن يأتي به في مَنْزِع[8] يصيّر خَلَقَه

---

(١) هو أبو الحسين محمد بن سفر (أو صفر) شاعر المرية في عصره . [من هامش نفح الطيب ١٩٨/٣] .

(٢) في النفح : "شعرائنا"، وهو أفضل، وترجمته في الوافي بالوفيات ٣٤٤/١.

(٣) في جميع المخطوطات : "حيث كفل" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) سقطت كلمة : "شعر" من النسختين د ، ك .

(٥) الأبيات في نفح الطيب ١٩٩/٣ ، وهي من [الطويل] .

(٦) في نسخة الأصل م : "عقود التعانق" ، وفي النسختين د ، ك : "فضضت معقودا التعانق" ، والتصحيح من نفح الطيب .

(٧) ما بين القوسين زيادة من نفح الطيب يستقيم بها الأسلوب .

(٨) في نسخة الأصل م : "في صريح" ، وفي النسختين د ، ك : "في ضريح" ، واعتمدت ما في النفح .

في الأسماع جديدا، وكليلَه في الأفكار حديدا، فأغرب أحسن إغراب [٣٥٠/و] وأعرب عن فهمه بحسن تخيُّله أنبل[١] إعراب، وهو ابن الزقاق[٢] حيث يقول[٣]:

وَأَغْيَـــدٍ طَـــافَ بِالْكُـــؤُوسِ ضُـــحًى ... وَحَثَّهَـــا وَالصَّـــبَاحُ قَـــدْ وَضَـــحَا

وَالـــرَّوْضُ أَبْـــدَى لَنَـــا شَـــقَائِقَهُ ... وَآسُـــهُ الْعَنْـــبَرِيُّ قَـــدْ نَفَحَـــا[٤]

قُلْنَـــا وَأَيْـــنَ ٱلْأَقَـــاحُ قَـــالَ لَنَـــا ... أَوْدَعْتُـــهُ ثَغْـــرَ مَـــنْ سَـــقَى الْقَـــدَحَا

فَظَـــلَّ سَـــاقِي الْمُـــدَامِ يَجْحَـــدُ مَـــا ... قَـــالَ فَلَمَّـــا تَبَسَّـــمَ افْتَضَـــحَا[٥]

وقوله[٦] :

أَدِيرَاهَـــا عَلَـــى الـــرَّوْضِ الْمُنَـــدَّى ... وَحُكْـــمُ الصُّـــبْحِ فِي الظَّلْمَـــاءِ مَاضِـــي

وَكَـــأْسُ الـــرَّاحِ تَنْظُـــرُ عَـــنْ حَبَـــابٍ ... يَنُـــوبُ لَنَـــا عَـــنِ الْحَـــدَقِ الْمِـــرَاضِ

وَمَـــا غَرَبَـــتْ نُجُـــومُ ٱلْأُفْـــقِ لَكِـــنْ ... نُقِلْـــنَ مِـــنَ السَّـــمَاءِ إِلَى الـــرِّيَاضِ

وقوله[٧] :

---

(١) في نسخة الأصل م : "تخيله ابنا" ، وفي النسختين د ، ك : "تخيله أنسا" ، والتصحيح من النفح .

(٢) هو علي بن عطية بن مطرف، أبو الحسن اللخمي البلنسي الشاعر المشهور المعروف بابن الزقاق، مدح الأكابر وجوّد النظم ، ت ٥٢٨هـ من فوات الوفيات ٤٧/٣. وفي جميع المخطوطات: "ابن الرقاق" بالراء، وفي النسختين د، ك: "رحمه الله" ولم أستطع العثور على ديوانه.

(٣) الأبيات في نفح الطيب ٢٠٠/٣ ، وفوات الوفيات ٤٧/٣ ، وهي من [المنسرح] .

(٤) من هنا سقط آخر من النسخة ك، وهي خسارة كبيرة. وفي النفح: "والروض أهدى" وفي الفوات:"والروض يبدي".

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وظل ساقي المدام يجحده .. عنا" ، واعتمدت ما في المصدرين المذكورين .

(٦) الأبيات في نفح الطيب ٢٠٠/٣ ، والفوات ٤٩/٣، وهي من [الوافر] .

(٧) الأبيات في نفح الطيب ٢٠٠/٣ ، وليست في الفوات، وهي من الخفيف .

وَرِيَاضٍ مِـــــنَ الشَّــــقَائِقِ أَضْـــحَتْ   يَتَهَـــادَى بِهَـــا نَسِـــيمُ الــرِّيَاحِ[(١)]

زُرْتُهَـــا وَالْغَمَـــامُ يَجْلِـــدُ مِنْهَـــا   زَهَـــرَاتٍ تَفُـــوقُ نُـــورَ الـــرَّاحِ[(٢)]

قُلْـــتُ مَـــا ذَنْبُهَـــا ؟ فَقَـــالَ مُجِيبًـــا   سَـــرَقَتْ حُمْـــرَةَ الْخُـــدُودِ الْمِـــلاَحِ

وهل منكم مَن بَرَع[(٣)] في أوصاف الرياض والمياه وما يتعلق بذلك فانتهى إلى راية السباق ، وفضح[(٤)] كل طمع بعده في اللحاق ، وهو الرئيس أبو إسحاق ابن خَفَاجة[(٥)] بقوله[(٦)] :

حُـــثَّ الْمُدَامَـــةِ فَالنَّسِـــيمُ عَلِيـــلُ   وَالظِّـــلُّ خَفَّـــاقُ الـــرِّوَاقِ ظَلِيـــلُ

وَالـــرَّوْضُ مُهْتَـــزُّ الْمَعَـــاطِفِ نِعْمَـــةً   نَشْـــوَانَ تَعْطِفُـــهُ الصَّـــبَا فَيَمِيـــلُ[(٧)]

رَيَّانُ فَضَّضَـــــهُ النَّـــــدَى ثُمَّ انْجَلَــــى   عَنْـــهُ فَـــذَهَّبَ صَـــفْحَتَيْهِ أَصِـــيلُ[(٨)]

وقوله[(٩)] :

---

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "نسيم الرياحي" .

(٢) في النفح : "زهرات تروق لون الراح" .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "من برح" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) في نسخة الأصل م :"وطمع كل فضح بعلة" [كذا] وفي النسخة د:"وفضح كل طمع بعلة"، واعتمدت ما في النفح.

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الشاعر، كان مقيما بشرق الأندلس، ولم يتعرض لاستماحة ملوك طوائفها مع تهافتهم على أهل الأدب ت ٥٣٣هـ من وفيات الأعيان ٥٦/١ .

(٦) الأبيات في نفح الطيب ٢٠١/٣ ، وهي من [الكامل] .

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د : "نشوان يعطفه" بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما في النفح .

(٨) في نسخة الأصل م والنسخة د : "عنه فمذهب" ، واعتمدت ما في النفح .

(٩) الأبيات في نفح الطيب ٢٠١/٣ ضمن ستة أبيات ، وهي من [الكامل] .

أَذِنَ الْغَمَـــامُ بِدِيمَــــةٍ وَعُقَـــارِ فَـــامْزُجْ لُجَيْنًـــا مِنْهُمَـــا بِنُضَـــارِ[1]

مُتَقَسِّـــم ٱلأَلْحَـــاظِ بَـــيْنَ مَحَاسِـــنٍ مِـــنْ رِدْفِ رَابِيَـــةٍ وَخِصْـــرِ قَـــرَارِ

وَهَفَـــتْ بِتَغْرِيـــدٍ هُنَـــا أَيْكِيَّـــةٌ خَفَّاقَـــةٌ بِمَهَـــبِّ رِيـــحِ غَـــرَارِ[2]

[٣٥٠/ظ] هَـزَّتْ لَـهُ أَعْطَافَهَـا وَلَرُبَّمَـا خَلَعَـــتْ عَلَيْـــهِ مُـــلاَءَةَ النُّـــوَّارِ

وقوله[3] :

وَسَاقٍ كَحِيلِ الطَّرْفِ فِي شَأْوِ حُسْنِهِ جِمَاحٌ وَبِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ حِرَانُ[4]

تَرَى لِلصَّبَا نَارًا بِخَدَّيْهِ أُوقِدَتْ لَهَا مِنْ سَوَادَىْ عَارِضَيْهِ دُخَانُ[5]

سَقَاهَا وَقَدْ لاَحَ الْهِلاَلُ عَشِيَّةً كَمَا اعْوَجَّ فِي دِرْعِ الْكَمِيِّ سِنَانُ[6]

عُقَارًا نَمَاهَا الْكَرْمُ فَهْيَ كَرِيمَةٌ وَلَمْ تَزْنِ بِابْنِ الْمُزْنِ فَهْيَ حَصَانُ[7]

وَقَـدْ جَـالَ مِـنْ جَـوْنِ الْغَمَامَـةِ أَدْهَـمٌ لَـهُ الْـبَرْقُ سَـوْطٌ وَالشِّـمَالُ عِنَـانُ

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "لجينا منهم بعقار" ، واعتمدت ما في النفح .

(٢) في النفح : "بتغريد هنالك أيكة" ، وفي نسخة الأصل م : "خفاقة" ، وما في النسخة د يوافق النفح .

(٣) الأبيات في النفح ٢٠٢/٣ ، وهي من [الطويل] .

(٤) في النفح : "كحيل اللحظ" .

(٥) في النفح : "بخديه لم يُثَرْ" .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د : "كما اعوج في ربع" ، وفي النسخة د : الكمي منان" ، والتصحيح من النفح .

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د : "عقار [بالرفع] بناها" ، واعتمدت ما في النفح ، لأن "عقارا ، مفعول به للفعل" سقاها في البيت السابق ، وفيه تضمين .

وَضَـــمَّخَ ذَرُّ الشَّـــمْسِ نَحْــرَ حَدِيقَـــةٍ عَلَيْــهِ مِــنَ الطَّــلِّ السَّــقِيطِ جُمَــانُ(١)

وَنَمَّـــتْ بِأَسْـــرَارِ الـــرِّيَاضِ خَمِيلَـــةٌ لَهَــا النَّــوْرُ ثَغْــرٌ وَالنَّسِــيمُ لِسَــانُ

وهل منكم من يقول مناديا(٢) لنديمه وقد باكر روضا بمحبوب وكأس ، فألفاه قد غطى محاسنه ضباب فخاف أن يكسل نديمه عن الوصول إذا رأى ذلك ، وهو أبو الحسن ابن بسَّام(٣) :

أَلاَ بَادِرْ فَــــلاَ ثَانٍ سِــــوَى مَـــا عَهِـدْتَ الْكَـأْسُ وَالْبَـدْرُ التِّمَـامُ(٤)

وَلاَ تَكْسَـــــلْ بِرُؤْيَتِـــــهِ ضَـــبَابًا تَغَــصُّ بِـــهِ الْحَدِيقَـــةُ وَالْمُــدَامُ(٥)

فَـــإِنَّ الـــرَّوْضَ مُلْتَـــثِمٌ إِلَى أَنْ تُوَافِيَـــــهُ فَيَـــــنْحَطُّ اللِّثَـــــامُ

وهل منكم مَن وصف غلاما جميلا في الصورة راقصا بمثل قول ابن خروف(٦) :

---

(١) في نسخة الأصل م : "وضمح" بالحاء المهملة ، وهو تصحيف ، وفي نسخة الأصل م والنسخة د : "بحر حديقة" ، والتصحيح من النفح ، وفي النفح : "وضمخ ردع" . والرّدع : الخلوق .

(٢) في النفح : "منادما" ، وما هنا أحسن .

(٣) أبو الحسن على بن بسام الشنتريني ، صاحب الذخيرة ، وشهرته تغنى عن ذكره ، ونظمه دون نثره ، وهو منسوب إلى شَنْتَرين من الكُوَر الغربية من أعمال بَطَلْيَوْس . ت٥٤٢هـ ، من نفح الطيب ٤٥٨/٣ .

(٤) الأبيات في النفح ٢٠٣/٣ ، وهي من [الوافر] . وفي النفح : "فما ثان سوى . . ." .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "نقص الحديقة" والتصحيح من النفح .

(٦) أبو الحسن على بن محمد بن على بن محمد ، ضياء الدين ونظامه ، ابن خروف الأديب القيسي القرطبي القيذافي الشاعر، قدم إلى مصر ، ثم صار إلى حلب، ومات بها مترديا في جُب حنطة سنة ٦٠٢هـ من نفح الطيب ٦٤٠/٢ .

وَمُنَـــزَّعَ الْحَرَكَـــاتِ يَلْعَـــبُ بِالنُّهَـــى ... لَـبِسَ الْمَحَاسِـنَ عِنْـدَ خَلْـعِ لِبَاسِـهِ[1]

مُتَـــأَوِّدٌ كَالْغُصْـــنِ وَسْـــطَ رِيَاضِـــهِ ... مُتَلاَعِـــبٌ كَـــالظَّبْيِ عِنْـــدَ كِنَاسِـــهِ[2]

بِالْعَقْـــلِ يَلْعَـــبُ مُقْـــبِلاً أَوْ مُـــدْبِرًا ... كَالـدَّهْرِ يَلْعَـبُ كَيْـفَ شَـاءَ بِنَاسِـهِ

وَيَضُـــمُّ لِلْقَـــدَمَيْنِ مِنْـــهُ رَأْسَـــهُ ... كَالسَّـــيْفِ ضُـــمَّ ذُبَابُـــهُ لِرِيَاسِـــهِ

وهل منكم مَن وصف خَالًا بأحسن من قول النشار[3]:

[٣٥١/و] أَلُـوَّامِي عَلَـى كَلَفِـي بِحِـبِّي ... مَـــتَى مِـــنْ حُبِّـــهِ أَرْجُـــو سَـــرَاحَا[4]

وَبَـــيْنَ الْخَـــدِّ وَالشَّـــفَتَيْنِ خَـــالٌ ... كَزِنْجِـــيٍّ أَتَـــى رَوْضًـــا صَـــبَاحَا

تَحَـــيَّرَ فِي جَنَـــاهُ فَلَـــيْسَ يَـــدْرِي ... أَيَجْـــنِي الْـــوَرْدَ أَمْ يَجْـــنِي الْأَقَاحَـــا

وهل منكم الذي اهتدى إلى معنى لَثْم[5] ورد الخد ورشْف رضاب الثغر ما لم[6] يهتد إليه أحد غيره ، وهو أبو الحسن[7] سلام (بن سلام)[8] المالقي[9] بقوله[10]:

(١) الأبيات في نفح الطب ٣/٢٠٤ ، وهي من [الكامل] .

(٢) في النفح : "متأودا" بالنصب ، ولكل منهما وجهه في الإعراب .

(٣) أبو علي النشار بلنسي من شعراء زاد المسافر . هكذا فقط في نفح الطيب هامش ٣/٢٠٤ .

(٤) الأبيات في النفح ٣/٢٠٤ ، وهي من [الوافر] . وفي النفح : "على كلفي بيحيى" .

(٥) في النفح : "معنى في لثم" .

(٦) في النفح : "رضاب الثغر لم يهتد" بإسقاط "ما" .

(٧) أبو الحسن بن عبد الله بن سلام الباهلي الإشبيلي ، هذا من نفح الطيب ٤/٣٣٣ وفي هامش نفح الطيب ٣/٣٠٤ قيل : صاحب المقامات السبع وكتاب الذخائر والأخلاق في أدب النفوس ومكارم الأخلاق . ت٥٤٤هـ .

(٨) ما بين القوسين زيادة من نفح الطيب ٣/٢٠٤ .

(٩) في النسخة د : "الخالقي" .

(١٠) البيتان في نفح الطيب ٣/٢٠٥ ، وهما من [الكامل] .

لَمَّــا ظَفِــرْتُ بِلَيْلَــةٍ مِــنْ وَصْــلِهِ وَالصَّــبُّ غَــيْرُ الوَصْــلِ لاَ يَشْــفِيهِ

أَنْضَــجَتْ وَرْدَةُ خَــدِّهِ بِتَنَفُّسِــي وَطَفِقْــتُ أَرْشُــفُ مَاءَهَــا مِــنْ فِيــهِ

وهل منكم من قال لفاضل جمع بينه وبين فاضل ، وهو أبو جعفر[1] الذهبي حيث قال[2] :

أَيُّهَــا الْفَاضِــلُ الَّــذِي قَــدْ هَــدَانِي نَحْــوَ مَــنْ قَــدْ حَمِدْتُــهُ بِاخْتِيَــارِ

شَــكَرَ اللهُ مَــا أَتَيْــتَ وَجَــازَا كَ وَلاَ زِلْــتَ نَجْــمَ هَــدْيٍ لِسَــارِي

أَيُّ بَــرْقٍ أَفَــادَ أَيُّ غَمَــامٍ وَصَــبَاحٍ أَدَّى لِضَــوْءِ نَهَــارِ[3]

وَإِذَا مَــا غَــدَا النَّسِــيمُ دَلِيلِــي لَمْ يُجِلْــنِي إِلاَّ عَلَــى الْأَزْهَــارِ

وهل منكم من قال في الزهد مثل قول أبي وهب العباسي القرطبي[4] :

أَنَا فِي حَــالَتِي الَّــتِي قَــدْ تَــرَانِي إِنْ تَأَمَّلْــتَ أَحْسَــنُ النَّــاسِ حَــالاَ[5]

مَنْــزِلِي حَيْــثُ شِــئْتُ مِــنْ مَنْــزِلِ الْــأَرْضِ أُسْــقَى مِــنَ الْمِيَــاهِ زُلاَلاَ[6]

لَــيْسَ لِي كُسْــوَةٌ أَخَــافُ عَلَيْهَــا مِــنْ مُغِــيرٍ وَلاَ تَــرَى لِي مَــالاَ

---

(١) أبو جعفر أحمد بن عتيق بن جرج المعروف بابن الذهبي ، من أعيان بلنسية ، غلبت عليه الفلسفة ، وهو من أصحاب ابن رشد إلا أنه اختفى حين طُلب أستاذه إلى أن صدر العفو عنه [من هامش النفح ٢٠٦/٣] .

(٢) الأبيات في نفح الطيب ٢٠٧/٣ ، وهي من [الخفيف] .

(٣) في نسخة الأصل م : "لضوء نهاري" .

(٤) لم أعثر على ترجمة له ، إلا أنه قيل في هامش نفح الطيب ٢٠٧/٣ : له ترجمة مسهبة في المغرب ٥٨/١ .

(٥) الأبيات في نفح الطيب ٢٠٧/٣ و ٢٠٨ ، وهي من [الخفيف] .

(٦) في النفح : ". . . حيث شئت من مستقر" ، وكلاهما جائز .

أَجْعَلُ السَّاعِدَ الْيَمِينَ وَسَادِي ثُمَّ أَثْنِي إِذَا انْقَلَبْتُ الشِّمَالاَ
لَيْسَ لِي وَالِدٌ وَلاَ لِيَ مَوْلُو دٌ وَلاَ حُزْتُ مُذْ عَقَلْتُ عِقَالاَ
قَدْ تَلَذَّذْتُ حِقْبَةً بِأُمُورٍ فَتَأَمَّلْتُهَا فَكَانَتْ خَيَالاَ

ومثل زينب بنت زياد المؤدب[١] :

وَلَمَّا أَبَى الْوَاشُونَ إِلاَّ فِرَاقَنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارِ[٢]
[٣٥١/ظ] وَشَنُّوا عَلَى أَسْمَاعِنَا كُلَّ غَارَةٍ وَقَلَّ حُمَاتِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَنْصَارِي
غَزَوْتُهُمُ مِنْ نَاظِرَيْكَ وَأَدْمُعِي وَمِنْ نَفَسِي بِالسَّيْفِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ[٣]

وأنا أختم هذه القطعة بقول القاضي أبي حفص عمر القرطبي[٤] :

هُمُ نَظَرُوا لَوَاحِظَهَا فَهَامُوا وَتَشْرَبُ لُبَّ شَارِبِهَا الْمُدَامُ[٥]
يَخَافُ النَّاسُ مُقْلَتَهَا سِوَاهَا أَيَنْحَرُ قَلْبَ حَامِلِهِ الْحُسَامَ ؟ ![٦]

---

(١) في نفح الطيب ٢٠٨/٣ : "زينب بنت زياد المؤدب الوادي آشيه" ، وفي النفح ٢٨٩/٤ : "وقال ابن سعيد : يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة "العربيات ، لمحافظتهن على المعاني العربية ، ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادي آشيه ، وأختها حمدة" ولم أجد غير ذلك .

(٢) الأبيات في نفح الطيب ٢٠٨/٣ ، وهي من [الطويل] .

(٣) في النفح : "غزوتهم من مقلتيك" .

(٤) هو القاضي الأديب أبو حفص عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر السلمي ، كان من أهل الفتيا بمدينة فاس ، ثم ترقى إلى الخطابة والقضاء ، و[illegible]ه المنصور الموحدى قضاء إشبيلية ، ومات بها وهو قاض سنة ٦٠٣هـ [من هامش نفح الطيب ٢٠٩/٣] وانظر الغصون اليانعة: ٩١ وصلة الصلة: ٧٢ وزاد المسافر: ١٠١، وفي النسختين م ، د "أبو حفص" واعتمدت ما في النفح .

(٥) الأبيات في نفح الطيب ٢٠٩/٣ ، وهي من [الوافر] .

(٦) في نفح الطيب : "أيذعر قلب . . ." .

سَمَــــا طَـــــرَفِي إِلَيْهَـــــا وَهْـــــوَ بَاكٍ ... وَتَحْـــتَ الشَّـــمْسِ يَنْسَـــكِبُ الْغَمَـــامُ

وَأَذْكُـــــرُ قَـــــدَّهَا فَـــــأَنُوحُ وَجْـــــدًا ... عَلَـــى ٱلْأَغْصَـــانِ تَنْتَـــدِبُ الْحَمَـــامُ

وَأَعْقَـــبَ بَيْنُهَـــا فِي الصَّـــدْرِ غَمًّـــا ... إِذَا غَرَبَـــتْ ذُكَـــاءَ أَتَـــى الظَّـــلاَمُ[1]

ومنهم محمد بن يوسف[2] من أعيان المغرب علما ونفاسة ، إذا ذكر ثناؤه عطر نسيم الرياض بعَرْف أنفاسه ، مراميه الآخذة بالقلوب مصمية لأغراضها ، وعيون أشعاره مادة الفنون في صحاح الأجفان ومراضها ، أوتى بصنائع المقترح وطلاوة اللسن ، فوقف البيان حائرا على كلامه لما رآه جامع القول الحسن ، وقد ذكرت له ما تهفو إليه القلوب والضلوع ، وتسابق إليه الخواطر وبواعثها التولّه والولوع ، فمن ذلك كتاب كتبه إلى أبي العباس المقري[3] :

إلى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق، وطلعت شموس معارفه في غاية الإشراق ، وصار له في ميدان الكمال حسن الاستباق إمام العصر بجميع أدوات الحصر ، سلام من النسيم أرق وألطف من الزهر إذا عبق، وبعد..........؛ فأخباركم ترد علينا ، وتصل دائما [٣٥٢/و] إلينا بما يسر الخاطر ، ويقر الناظر، مع كل وارد وصادر ، كتبت إليكم من الحضرة المراكشية ، مع كثرة الأشواق التي لا تسعها الأوراق ، كتبكم الله فيمن عنده، كما جعلكم من أخلص في[4] موالاة الحق قصده ، وودي إليكم غَضٌّ[5] الحدائق ، مستَجْلٍ[6] في مطلع الوفاء

(١) في النسخة د : "وأعقب بيتها" ، وهو تصحيف .

(٢) لم أجد إلا أن اسمه محمد بن يوسف المراكشي التاملي في النفح ٤٧٠/٢ . ، أو محمد بن يوسف التاملي في النفح ٤٧٥/٢ ثم لا شيء غير ذلك .

(٣) في نفح الطيب ٤٧٠/٢ وما بعدها .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "من موالاة" ، واعتمد ما في النفح .

(٥) في نسخة الأصل م : "عصن" بالعين المهملة ، وما في النسخة د يوافق النفح .

بمنظر رائق ، □ يحيله عن مركز الثبوت عائق ، وحقيق بمودة أنيطت[١] في الحق وللحق معاقدها ، وأُسست على المحبة في الله قواعدها ، أن يزيد عقدها على ممر الأيام شدة ، وعهدها – وإن شَطّ المزار – جِدّة[٢] ، وأن تدّخر[٣] للأخرى عُدة ، وإني[٤] لممن يعتقد موا□تكم عملا صالحا يُقرّب من الله ، ويُزلف إليه ، ويعتمدها[٥] وَزَرًا يعوّل في الآخرة و□ ظل إ□ ظله عليه ، فإنكم وَالَيْتُم فأخلصتم في الو□ء ، معرضين عن غرض الدنيا وعرضها ، موفين[٦] بشروط نفلها وفرضها إلى أن قضى الله بافتراقكم ، وحقوقكم المتأكدة دَيْن علينا ، والأيام تمطل بقضائها عنا ، وتوجه الملام إلينا ، فآونة أقف فأقرع السِّنَّ على التقصير ندمًا ، وآونة أستنيم[٧] إلى فضلكم فأتقدم قُدما ، وفي أثناء هذه □ يخطر بالبال حق لكم سابق إ□[٨] وقد كَرَّ عليه منكم[٩] آخر □حق ، حتى وقفت موقف العجز ، وضاقت عليّ العبارة في النفس ، فكدت □ أتكلم إ□ بالرمز إجلا□ لحقكم الرفيع ، وإشفاقا من التقصير المضيع[١٠] . . إلى أن قال : وبالجملة ففؤادي لمجدكم صحيح □ سقيم ، واعتدادي بودادكم

---

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د : "مسجل" ، واعتمدت ما في النفح .

(١) في النفح : "ارتبطت" .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "حدة" بالحاء المهملة ، واعتمدت ما في النفح .

(٣) في نسخة الأصل م : "وأن تأخر" ، وما في النسخة د يوافق النفح .

(٤) في نسخة الأصل م : "ولئن لم" ، وفي النسخة د : "وأين لمن" ، واعتمدت ما في النفح .

(٥) في نسخة الأصل م : "ويعتمدها إزار يقول في . . ." ، وفي النسخة د : "ويعتمدها أزرا يقول . . ." ، والتصحيح من النفح .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د : "معرفين" ، واعتمدت ما في النفح .

(٧) في نسخة الأصل م : "فأستنيم" ، وما في النسخة د يوافق النفح .

(٨) في النسخة د : "إ□ ونذكر عليه فيكم" .

(٩) في نسخة الأصل م : "فيكم" ، واعتمدت ما في النفح .

(١٠) في نسخة الأصل م والنسخة د : "المطيع" ، واعتمدت ما في النفح .

منتج [٣٥٢/ظ] غير عقيم ، والله تعالى يجعل الحب في ذاتكم الكريمة ، ويقضي[١] عن الأحبة دين المحبة[٢] ، فيوفي كل غريم غريمه . وصحب هذا الكتاب أرجوزة ، وهي هذه[٣] :

لِلَّهِ دَرُّ الْعَالِمِ الْجَيَّانِي ... كَأَنَّمَا يَنْظُرُ بِالْعِيَانِ[٤]

لِلْمِقَّرِيّ الْعَالِمِ الْمِفْضَالِ ... ذِي نَظَرٍ بِأَحْسَنِ الْمِثَالِ[٥]

وَعَالِمٍ بِأَنَّنِي مِنْ بَعْدِهِ ... أَشِيرُ فِي نِظَامِنَا لِقَصْدِهِ[٦]

وَهَا أَنَا بِاللَّهِ أَسْتَعِينُ ... مُضَمِّنًا وَرَبُّنَا مُعِينُ[٧]

بِالشَّطْرِ مِنْ أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكْ ... أَيَّدَنَا اللهُ بِنَسْجِ ذَلِكْ

قَالَ مُحَمَّدٌ عُبَيْدُ الْمَالِكِ ... وَسَالِكٌ لأَحْسَنِ الْمَسَالِكِ[٨]

نُشِيرُ بِالتَّضْمِينِ لِلنِّحْرِيرِ ... اَلْمَقَّرِيّ الْفَاضِلِ الشَّهِيرِ

ذَاكَ الإِمَامُ وَالْعَلِيُّ فِي الْهِمَمْ ... كَعَلَمِ الأَشْخَاصِ لَفْظًا وَهْوَ عَمْ[٩]

---

(١) في نسخة الأصل م : "ويبقى على ، وفي النسخة د : "ويبقى عن" ، واعتمدت ما في النفح .

(٢) في نسخة الأصل م : "دين الأحبة" ، وما في النسخة د يوافق النفح .

(٣) جاءت هذه الأرجوزة الطويلة جدا في نفح الطيب ٤٧٦/٢-٤٧٨ .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : " . . . الحياني . . . بالعينان" [كذا] ، والتصحيح من النفح .

(٥) في النفح : "منظِّرًا بأحسن المثال" .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د : " . . . بأنني من نقده" ، والتصحيح من النفح .

(٧) في النفح : " . . . وربنا المعين" .

(٨) في النفح : "وسالكُ الأحسن من مسالك" .

(٩) في النفح : "ذاك الإمام ذو العلاء والهمم" .

فَلَــــنْ تَــــرَى فِي عِلْمِـــــهِ مَثِـــيلاَ   مُسْــــــتَوْجِبًا ثَنَــــائِيَ الْجَمِـــــيلاَ

وَمَدْحُـــــــهُ عِنْــــــدِيَ لاَزِمٌ أَتَـــــى   فِي الـــنَّظْمِ وَالنَّثْـــرِ بِهَـــذَا مُثْبَتَـــا[1]

أَوْصَـــافُ سَـــيِّدِي بِهَـــذَا الرَّجَـــزِ   تُقَـــرِّبُ ٱلأَقْصَـــى بِلَفْـــظٍ مُـــوجَزِ

فَهْـــوَ الَّـــذِي لَـــهُ الْمَعَـــانِي تَعْتَـــزِي   وَتَبْسُـــــطُ الْبَـــذْلَ بِوَعْـــدٍ مُـــوجَزِ

رُتْبَتُـــهُ فَـــوْقَ الْعُـــلاَ يَا مَـــنْ فَهِـــمْ   كَلاَمُنَـــا لَفْـــظٌ مُفِيـــدٌ كَاسْـــتَقِمْ

وَكَـــمْ أَفَـــادَ دَهْـــرَهُ مِـــنْ تُحَـــفِ   مُبْــــدِي تَأَوُّلٍ بِـــــلاَ تَكَلُّـــــفِ

لَقَـــدْ رَقَـــى عَلَـــى الْمَقَـــامِ الطَّـــاهِرِ   كَطَـــاهِرِ الْقَلْـــبِ جَمِيـــلِ الظَّـــاهِرِ[2]

وَفَضْـــــلُهُ لِلطَّـــــالِبِينَ وُجِـــــدَا   عَلَـــى الَّـــذِي فِي رَفْعِـــهِ قَـــدْ عُهِـــدَا

قَـــدْ حَصَّـــلَ الْعِلْـــمَ وَأَحْـــرَزَ السِّـــيَرْ   وَمَــــا بِإِلاَّ أَوْ بِإِنَّمَــــا انْحَصَـــــرْ

فِي كُـــلِّ فَـــنٍّ مَـــاهِرٌ صِـــفْهُ وَلاَ   يَكُـــونُ إِلاَّ غَايَـــةَ الَّـــذِي تَـــلاَ

سِـــيرَتُهُ جَـــرَتْ عَلَـــى نَهْـــجِ الْهُـــدَى   وَلاَ يَلِـــــي إِلاَّ اخْتِيَـــــارًا أَبَـــــدَا

[٣٥٣/و] وَعِلْمُـــهُ وَفَضْـــلُهُ لاَ يُنْكَـــرُ   مِمَّـــا بِـــهِ عَنْـــهُ مُبِينًـــا يُخْـــبِرُ

يَقُـــولُ مَرْحَبًـــا لِقَاصِـــدِيهِ مَـــنْ   يَصِـــلْ إِلَيْنَـــا يَسْـــتَعِنْ بِنَـــا يُعَـــنْ[3]

---

(١) في نسخة الأصل م : ". . . بهذا أثبتا" ، وما في النسخة د يوافق النفح .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : " . . . على المقام الطاهر" ، واعتمدت ما في النفح .

(٣) قبل هذا في النفح : **يقول دائما بصدر انشرح** **اعرف بنا فإننا نلنا المنح**

صَـــدِّقْ مَقَـــالاَتِي وَكُـــنْ مُتَّبِعًـــا   وَلَمْ يَكُـــنْ تَصِـــرِيفُهَا مُمْتَنِعَـــا[١]

وَانْهَــضْ إِلَيْــهِ فَهْــوَ بِالْمُشَــاهَدَهْ   اَلْخَــبَرُ الْجُــزْءُ الْمُـــتِمُّ الْفَائِــدَهْ

وَالْـــزَمْ جَنَابَـــهُ وَإِيَّاكَ وَالْمَلَـــلْ   إِنْ يَسْـتَطِلْ وَصْــلٌ وَإِنْ لَمْ يَسْــتَطِلْ[٢]

وَاقْصِـــدْ جَنَابَـــهُ تَـــرَى مَـــآثِرَهْ   وَاللهُ يَقْضِـــي بِهِبَـــاتٍ وَافِـــرَهْ

وَانْسُـــبْ لَـــهُ فَإِنَّـــهُ ابْـــنُ مُعْطِـــي   وَيَقْتَضِـــي رِضًـــا بِغَـــيْرِ سُـــخْطِ

وَاجْعَلْــهُ نُصْــبَ الْعَــيْنِ وَالْقَلْــبِ وَلاَ   تَعْــدِلْ بِــهِ فَهْــوَ يُضَــاهِي الْمَــثَلاَ

قَــدْ طَالَمَــا أَفَــادَ عِلْــمَ مَالِــكِ   أَحْمَـــدُ رَبِّي اللهَ خَـــيْرَ مَالِـــكِ

وَحَاسِـــدٌ وَمُــبْغِضٌ لَـــهُ زَمِـــنْ   وَهَالِـــكٌ وَمَيِّـــتٌ بِـــهِ قَمِـــنْ[٣]

وَلَـيْسَ يَشْــفِي مُــبْغِضٌ لُــهُ أُعِــلّ   مَعْـــنَى وَفِي هَـــرَاوَةٍ لَـــهُ جُعِـــلْ[٤]

يَقُـــولُ عَبْـــدُ رَبِّـــهِ مُحَمَّـــدُ   فِي نَحْــوِ خَـــيْرِ الْقَـــوْلِ إِنِّي أَحْمَـــدُ

وَهْـــوَ بِـــدَهْرِهِ عَظِـــيمُ الأَمَـــلْ   مُـــرَوَّعُ الْقَلْـــبِ قَلِيـــلُ الْحِيَـــلْ

فَـــادْعُ لَـــهُ وَسَـــادَةً قَـــدْ حَضَـــرُوا   وَافْعَـــلْ أُوَافِـــقْ نَغْتَـــبِطْ إِذْ تَشْـــكُرُ

---

(١) في النفح : "صدق مقالتي . . . ولم يكن تصريفه . . ." .

(٢) في نسخة الأصل م :

وألزم جنابه ترى مآثره   والله يقضى بهبات وافره

وهو سهو من الناسخ حيث أخذ جزءا من البيت ، ثم أكمل من البيت الآتي ، وما في النسخة د يوافق النفح .

(٣) في النفح : "وحاسد له ومبغض زمن" .

(٤) في النفح : "عينا وفى هراوة . . ." .

وَأَخْــبِرْهُ بِالــدُّعَا عَسَــاهُ يَغْتَــنِمْ فَجُــرَّهُ وَفَــتْحَ عَيْنِــهِ الْتَــزِمْ

أَنْشَــدْتُ فِــيكُمْ ذَا وَإِنِّي قَائِــلُ فِي نَحْـوِ نَعَـمْ مَـا يَقُـولُ الْفَاضِـلُ[١]

أَدْعَــوتكُمْ بِالسَّــتْرِ فِي كُــلِّ زَمَــنْ لِكَوْنِــهِ بِمُضْــمَرِ الْقَــوْلِ اقْــتَرَنْ

مَــآثِرٌ لَكُــمْ كَثِــيرَةٌ سِــوَى مَـا مَـرَّ فَاقْبَـلْ مِنْـهُ مَـا عَـدْلٌ رَوَى

قَــدِ انْتَهَــى تَعْرِيــفُ ذَا الْمُعَــرَّفِ وَذُو تَمَــامٍ مَــا بِرَفْــعٍ يَكْتَفِــي

وَأَنْــتُمْ نِتَــاجُ السَّــادَةِ الْأُوَلْ وَمَــا بِجَمْعِــهِ عُنِيْــتُ قَــدْ كَمَــلْ

فَــاللهُ يُبْقِــيكُمْ لَــدَيْنَا وَكَفَــى مُصَــلِّيًا عَلَــى الرَّسُــولِ الْمُصْــطَفَى

تَــتْرِي عَلَيْــهِ دَائِمًــا مُنْعَطِفَــا وَآلِــهِ الْمُسْــتَكْمَلِينَ الشُّــرَفَا

[٣٥٣/ظ] وإذا ذكرنا أئمة الأندلس فلنذكر جماعة من أشعارهم التي هي أعذب من الماء الزلال، وأرق من نفث السحر الحلال ، فمن ذلك قول أحمد بن محمد الحولاني الأندلسي[٢] الإشبيلي المعروف بابن الأبّار:

لَمْ تَـدْرِ مَـا خَلَّـدَتْ عَيْنَـاكَ فِي خَلَـدِي مَــنَ الْغَـرَامِ وَلاَ مَـا كَابَـدَتْ كَبِـدِي[٣]

أَفْـدِيكَ مِــنْ زَائِــرٍ رَامَ الــدُّنُوَّ فَلَــمْ يَسْـطِعْهُ مِـنْ لَهَـبٍ فِي الْقَلْـبِ مُتَّقِـدِ[٤]

خَـافَ الْعُيُـونَ فَوَافَـانِي عَلَـى عَجَـلٍ مُعَطِّــلاً جِيــدَهُ إِلاَّ مِــنَ الجَيَــدِ

---

(١) في النفح : "أنشدت فيكم وقال قائل" .

(٢) هذه الترجمة من وفيات الأعيان ١٤١/١ و ١٤٢ .

(٣) الأبيات في الوفيات ١٤٢/١ ، وهي من [البسيط] .

(٤) في الوفيات : "أفديه" .

عَاطَيْتُـهُ الْكَـأْسَ فَاسْـتَحْيَتْ مُدَامَتُـهُ ... مِـنْ خَمْـرِ ذَاكَ اللَّمَـى الْمَعْسُـولِ وَالْـبَرَدِ[(١)]

حَـتَّى إِذَا غَازَلَـتْ أَجْفَانَـهُ سِـنَةٌ ... وَصَـيَّرَتْهُ يَـدَا الصَّـهْبَاءِ طَـوْعَ يَـدِي[(٢)]

أَرَدْتُ تَوْسِـيدَهُ خَـدِّي وَقَـلَّ لَـهُ ... فَقَـالَ كَفَّـاكَ عِنْـدِي أَفْضَـلُ الْوُسُـدِ[(٣)]

فَبَـاتَ فِي حَـرَمٍ لاَ غَـدْرَ يَـذْعَرُهُ ... وَبِـتُّ ظَمْـآنَ لَمْ أَصْـدُرْ وَلَمْ أَرِدِ[(٤)]

بَـدْرٌ أَلَمَّ وَبَـدْرُ الـتِّمِّ مُمْتَحِـقٌ ... وَالأُفْـقُ مُحْلَوْلِـكُ الأَرْجَـاءِ مِـنْ حَسَـدِ[(٥)]

تَحَـيَّرُ اللَّيْـلُ فِيْـهُ أَيْـنَ مَطْلَعُـهُ ... وَمَـا دَرَى اللَّيْـلُ أَنَّ الْبَـدْرَ فِي عَضُـدِي[(٦)]

ولأبي طَلْحة الأندلسي[(٧)] :

أَرْسَـلَ الْجَـوُّ مَـاءَ وَرْدٍ رَذَاذَا ... أَوْسَـعَ الْحُـزْنَ وَالـدَّمَائِثَ رَشَّـا

فَـانْثَنَى حَـوْلَ أَسْـوُقِ الـدَّوْحِ خَجْـلاً ... وَجَـرَى فَـوْقَ بُـرْدَةِ الـرَّوْضِ رَقْشَـا

وَسَمَـا فِي الْغُصُـونِ حَلْـىَ بَنَـانٍ ... أَصْـبَحَتْ مِـنْ صَـلاَفَةِ الطَّـلِّ رَعْشَـا[(٨)]

فَـتَرَى الزَّهْـرَ يَـرْقُمُ الأَرْضَ رَقْمًـا ... وَتَـرَى الـرِّيْحَ يَـنْقُشُ الْمَـاءَ نَقْشَـا

---

(١) في الوفيات جاء الشطر الثاني هكذا : "من ذلك الشنب المعسول والبرد" .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وصيرته لدا الصهباء" [كذا] والتصحيح من الوفيات .

(٣) في الوفيات : "فقال كفك" .

(٤) في نسخة الأصل م و النسخة د : "□ عذر" ، وهو تصحيف ، والتصحيح من الوفيات .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "بدر أتم" ، والتصحيح من الوفيات .

(٦) في الوفيات : "أما درى الليل . . ." .

(٧) لم أعثر له على ترجمة ، ولم أعثر على الأبيات . وهي من [الخفيف] .

(٨) هذا البيت ساقط من النسخة د .

فَكَـــأَنَّ الْمِيَـــاهَ سَـــيْفٌ صَـــقِيلٌ وَكَـــأَنَّ الْبِطَـــاحَ غِمْـــدٌ مُوَشَّـــى

مَنْظَـــرٌ يَمْلأُ النَّـــوَاظِرَ نُـــورًا قَـــدْ غَـدَا عِـبْرَةً لِمَـنْ كَـانَ يَخْشَـى

ابن السِّيد الأندلسي[1]، وأجاد رحمه الله تعالى :

مَـــرِيضُ الجُفُـــونِ بِـــلاَ عِلَّـــةٍ وَلَكِـــنَّ قَلْـــبِي بِـــهِ مُمْـــرَضُ[2]

[٣٥٤/و] أَعَـانَ السُّـهَادَ عَلَـى مُقْلَـتِي بِفَـــيْضِ الـــدُّمُوعِ فَمَـــا تُغْمِـــضُ

وَمَـــا زَارَ شَـــوْقًا وَلَكِـــنْ أَتَـــى يُعَـــرِّضُ لِي أَنَّـــهُ مُعْـــرِضُ[3]

ومن كلام ابن السيد الأندلسي المذكور آنفا[4] :

بِرُوحِـــى مَـــنْ مَرَاشِـــفُهُ مُـــدَامُ وَمِـــنْ لَحَظَـــاتِ مُقْلَتِـــهِ سِـــهَامُ

وَمَـــنْ هُـــوَ إِنْ بَـــدَا وَالْبَـــدْرُ تِمٌّ حَيَـــا مِـــنْ وَجْهِـــهِ الْبَـــدْرُ التِّمَـــامُ[5]

أَقُـــولُ لَـــهُ وَقَـــدْ أَبْـــدَى صُـــدُودًا فَـــلاَ لَفْـــظٌ لَـــدَىَّ وَلاَ ابْتِسَـــامُ

تَكَلَّـــمْ لَـــيْسَ يُوجِعُـــكَ الْكَـــلاَمُ وَلاَ يَمْحُـــو مَحَاسِـــنَكَ السَّـــلاَمُ

---

(١) أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السِّيد بن مفلِّس القيسي الأندلسي ، كان من أهل العلم باللغة والعربية ، مشارا إليه فيهما ، رحل من الأندلس ، وسكن مصر واستوطنها ، وله أشعار كثيرة . ت ٤٢٧هـ من وفيات الأعيان ١٩٣/٣ و ١٩٤ .

(٢) الأبيات في الوفيات ١٩٤/٣ ، وهي من [المتقارب] .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وما زاد . . أني معرض" ، والتصحيح من الوفيات .

(٤) لم أعثر على الأبيات ، وهي من [الوافر] .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "حيا من" ، ويبدو لي أنها "خبا من" .

وله أيضا[١]:

سَــــلَبْتَ الــــرُّوحَ مِــــنْ بَــــدَنِي وَصُــــمَتَ الْقَلْــــبَ بِالْحَــــزَنِ

فَلـــــي بَـــــدَنٌ بِـــــلاَ رُوحٍ وَلِي رُوحٌ بِـــــلاَ بَـــــدَنِ

قَرَنْـــتُ مَـــعَ الـــرَّدَى نَفَسِـــي فَنَفْسِـــي وَهْـــوَ فِي قَـــرَنِ

فَلَيْـــتَ السِّـــحْرَ مِـــنْ عَيْنَيْـــ ـــكَ لَمْ أَرَهُ وَلَمْ يَـــرَنِي

ولأبي عامر الأندلسي[٢] :

بَيْـنِي وَبَيْنَـكَ مَـا لَـوْ شِـئْتَ لَمْ يَضِـعِ سِـــرٌّ إِذَا ذَاعَـــتِ ٱلأَسْـــرَارُ لَمْ يُـــذَعِ

يَا بَائِعًـــا حَظَّـــهُ مِـــنِّي وَلَـــوْ بُـــذِلَتْ لِيَ الْحَيَـــاةُ بِحَظِّـــي مِنْـــهُ لَمْ أَبِـــعِ[٣]

يَكْفِيـكَ أَنَّـكَ إِنْ حَمَّلْـتَ قَلْـبِيَ مَـا لاَ تَسْـتَطِيعُ قُلُـوبُ النَّـاسِ يَسْـتَطِعِ[٤]

تِـهْ أَحْتَمِـلْ وَاسْـتَطِلْ أَصْـبِرْ وَعِـزَّ أَهُـنْ وَوَلِّ أُقْبِـلْ وَقُـلْ أَسْمَـعْ وَمُـرْ أَطِـعِ

---

(١) الأبيات في العقد الفريد ٥/٥١٥، غير منسوبة ، ونسبها الثعالبي في اليتيمة لابن عبد ربه الأندلسي، وأنا أرجحه لأن ابن عبد ربه في العقد ٥/٥١٥، مثل بها في دراسته العروضية من غير أن ينسبه ولو إلى مجهول، فيكون في ذلك دليل على صناعته إياها للتمثيل على العروض الثانية من الوافر. وهي من [مجزوء الوافر] .

(٢) الأبيات ليست لأبى عامر ، وإنما هي لابن زيدون في ديوانه ١٨٨ ، وله في وفيات الأعيان ١/١٤٠ ، وهي من [البسيط] .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "لي الحياة فحظي" ، واعتمدت ما في الديوان والوفيات .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : ". . . أنه لو حملت" ، واعتمدت ما في الديوان والوفيات ، وفي الديوان : "لم تستطعه قلوب" ، وما هنا يوافق الوفيات .

ولأبي بكر يوسف الأندلسي رحمه الله(١) :

أَنَا إِنْ رُمْــــتُ سُــــلُوًّا   لَــــكَ يَا قُــــرَّةَ عَيْــــنِي

كُنْـــتُ فِي ٱلإِثْمِ كَمَــنْ شَــا   رَكَ فِي قَتْــلِ الحُسَــيْنِ(٢)

لَــــكَ صَــــوْلاَتٌ قَلْـــــ   ـــبِي دَلِـــيْلاَتٌ لِحَيْــــنِي

مِثْــلَ صَــوْلاَتِ عَلِــيٍّ   يَــوْمَ بَــدْرٍ وَحُنَــيْنِ

ولبعض أهل الأندلس أيضا(٣) :

شَــدُّوا الْمَــآزِرَ فَــوْقَ كُثْبَــانِ النَّقَــا   بِأَنَامِــلٍ حَلُّــوا بِهَــا عُقَــدَ التُّقَــى

وَتَجَــرَّدُوا عَــنْ لِــيْنِ بَانٍ مُعَــاطِفِ   أَلْقَــوْا ذَوَائِــبَهُم عَلَيْــهِ فَأَوْرَقَــا(٤)

[٣٥٤/ظ] فَتَضَوَّعَ الحَمَّامُ نَشْرًا عِنْدمَا   فَرَطُــوا مِــنَ ٱلأَصْــدَاغِ مِسْــكًا مُعْتَقَــا

ومن كلام أحمد بن محمد بن عبد رَبِّه(٥) الأندلسي المذكور(٦) :

---

(١) الأبيات ليست لهذا الرجل ، وإنما جاءت في يتيمة الدهر ١٠٢/٢ منسوبة إلى أبي عمر يوسف بن هارون الأندلسي المعروف بأبي سبيح يرثي بها البلدي الخباز ، وهي من [مجزوء الرمل] .

(٢) في نسخة الأصل م : ". . . في الإثم لمن" ، وما في النسخة د يوافق اليتيمة .

(٣) لم أعثر على الأبيات ، وهي من [الكامل] .

(٤) في النسخة د : "وتجردوا عن لبن" ، وفي نسخة الأصل م : "معاطفا" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٥) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربِّه بن حبيب بن حُدير بن سالم، القرطبي، صاحب العقد الفريد، وهو مولى هشام بن عبد الرحمن... ابن عبد الملك بن مروان، كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والإطلاع على أخبار الناس . ت ٣٢٨ من وفيات الأعيان ١١٠/١ .

(٦) لم يسبق ذكره في الجزء الخاص بي ، وربما كان في الجزء الأول من هذا العمل .

أَصْــــغَى إِلَيْـــهِ بِكَاسِـــهِ مُصْـــغِي   صَـــلْتُ الْجَبِـــينِ مُعَقْـــرَبُ الصُّـــدْغِ[1]

كَـــأْسٌ تُوَلِّـــهُ بِالْمَحَبَّـــةِ بَيْنَنَـــا   طَـــوْرًا وَتَنْـــزَغُ أَيَّمَـــا نَـــزْغِ[2]

فِي رَوْضَـــةٍ دَرَجَـــتْ بِزَهْرَتِهَـــا الصِّـــبَا   وَالشَّـــمْسُ فِي دَرَجٍ مِـــنَ الْفَـــرْغِ[3]

وَاشْـرَبْ بِكَـفِّ أَغَـنَّ عَقْـرَبُ صُـدْغِهِ   لِلْقَلْـــبِ مِنْـــكَ مُمِيتَـــةُ اللَّـــدْغِ[4]

ولبعضهم[5] :

بَـــــدَا فَكَأَنَّمَـــــا قَمَـــــرٌ   عَلَـــــى أَزْرَارِهِ طَلَعَـــــا

بِفَـــتِّ الْمِسْـــكِ عَـــنْ يَقَـــقِ الْـــ   ـجَبِـــــينِ بَنَانُـــــهُ وَلَعَـــــا

وَقَـــدْ خَلَعَـــتْ عَلَيْـــهِ الْكَـــا   سُ مِـــــنْ أَثْوَابِـــــهِ خِلَعَـــــا

فرغب في تذييلها بعض أدباء الأندلس لما استحسنها فقال[6] :

فَأَهْــــدَى مِـــــنْ مَحَاسِـــــنِهِ   إِلَى أَبْصَـــــارِنَا بِـــــدَعَا[7]

---

(١) ديوان ابن عبد ربه ١١١ ، وهي من [الكامل] ، والأبيات في يتيمة الدهر ٩٧/٢ ، والعقد الفريد ٥١٦/٥ .

(٢) في الديوان والعقد : "كأس تؤلف . . ." ، وفي اليتيمة : "كأس تولد . . ." . والنزغ : الإفساد .

(٣) فرغ الدلو المقدم والمؤخر : منز□ن للقمر كل واحد كوكبان ، بين كل كوكبين في المرأى قدر رمح ، وجعل الشاعر الفرغ منز□ للشمس .

(٤) في الديوان : "فاشرب" ، وما هنا يوافق اليتيمة ، في نسخة الأصل م والنسخة د : ""منك حمية" ، واعتمدت ما في الديوان واليتيمة .

(٥) لم أعثر على الأبيات ، وهي من [مجزوء الوافر] .

(٦) من "فقال" تبدأ النسخة ك بعد السقط الذي سبقت الإشارة إليه .

(٧) لم أعثر على الأبيات ، وهي من [مجزوء الوافر] .

فَلَمَّــــا فَـــــتَّ أَكْبُـــــدَنَا وَحَـــــارَ قُلُوبَنَـــــا رَجَعَـــــا[١]

فَفَاضَــــــتْ أَعْـــــيُنٌ أَسَــــفًا وَفَاضَــــتْ أَنْفُـــــسٌ جَزَعَـــــا

وللعلامة يحيى[٢] بن هذيل المغربي رحمه الله تعالى :

نَامَ طِفْـلُ النَّبْـتِ فِي حِجْـرِ النُّعَمـامَى لاِهْتِـزَازِ الطَّـلِّ فِي مَهْـدِ الْخُزَامَـى[٣]

وَسَــقَى الْــوَسْمِيُّ أَغْصَـانَ النَّقَــا فَهَــوَتْ تَلْــثُمُ أَفْــوَاهَ النَّــدَامَى

كَحَـلِّ الْفَجْـرِ لَهُـمْ جَفْـنَ الـدُّجَى وَغَــدَا فِي وَجْنَــةِ الصُّــبْحِ لِثَامَــا

تَحْسَـــبُ الْبَــــدْرَ مُحَيَّـــا ثَمِـــلٍ قَــدْ سَـقَتْهُ رَاحَــةُ الصُّـبْحِ مُـدَامَا

حَوْلَــهُ الزَّهْــرُ كُــؤُوسٌ قَــدْ غَــدَتْ مِسْـــكَةُ اللَّيْـــلِ عَلَــيْهِنَّ خِتَامَــا

وللصنوبري الأندلسي[٤] :

---

(١) في جميع المخطوطات : "فلما فتت" ، وأصلحته بما يتوافق مع البيت ، وفي نسخة الأصل م : "ألبدنا" مكان "أكبدنا" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٢) هو يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي ، أبو زكريا ، له أدب ذهب في الإجادة كل مذهب ، وارتدى من البلاغة بكل رداء مُذْهب ، والأدب نقطة من حوضه ، وزهرة من زهرات روضه . ت ٧٥٣هـ [من النفح ٤٨٧/٥ و ٤٨٨] .

(٣) الأبيات في نفح الطيب ٣٥٧/٣ دون زيادة و ٤٩٠/٥ ضمن خمسة عشر بيتا . وهي من [الرمل] .

(٤) لم أعثر له على ترجمة ، وفي النسختين د ، ك : "رحمه الله تعالى" .

غُصُـــــنٌ يَهْتَـــزُّ فِي دِعْـــصٍ نَقًـــا يَجْتَـــنِي مِنْـــهُ فُـــؤَادِي حُرَقَـــا[1]

سَـــالَ لاَمَ الصُّـــدْغِ فِي وَجْنَتِـــهِ سَـــيَلاَنَ التِّـــبْرِ وَافَى الْوَرِقَـــا[2]

فَتَبَـــاهَى الْحُسْـــنُ فِيـــهِ إِنَّمَـــا يَحْسُـــنُ الْغُصْـــنُ إِذَا مَـــا أَوْرَقَـــا

وَكَـــأَنَّ الْكَـــأْسَ فِي أَنْمُلِـــهِ شَـــفَقُ الصُّـــبحِ يَعْلُـــو فِلَقَـــا[3]

[٣٥٥/و] أَصْبَحَتْ شَمْسًا وَفُوهُ مَغْرِبًا وَيَـــدُ السَّـــاقِي الْمُحَيِّـــي مَشْـــرِقَا

فَـــإِذَا مَـــا غَرَبَـــتْ فِي فَمِـــهِ أَطْلَعَـــتْ فِي الْخَـــدِّ مِنْـــهُ شَـــفَقَا[4]

وَكَـــأَنَّ الْـــوَرْدَ يَعْلُـــوهُ النَّـــدَى وَجْنَـــةُ الْمَحْبُـــوبِ تَنْـــدَى عَرَقَـــا[5]

ولابن زَيْدون[6] :

---

(١) جاءت الأبيات منسوبة في نفح الطيب ٥٨٦/٣ إلى مروان بن عبد الرحمن . . . المعروف بالطليق ، ونسبت إلى القرشي المعروف بالفرح في اليتيمة ٦١/٢ ، وجاءت منسوبة إلى ما نسبت إليه في النفح في الحلة السيراء ٢٢٢/١ و ٢٢٣ ، والذخيرة ٦٦٥/١/١ ، وفي الجميع اختلاف في إسقاط بعض الأبيات، ويبدو أن ما هنا تلفيق من الجميع ، والأبيات من [الرمل] . وفي نسخة الأصل م سقط الشطر الثاني من البيت الأول مع الشطر الأول من البيت الثاني وهو سهو من الناسخ ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفح وغيره . وفي جميع المخطوطات : " . . . يهتز في ضغث" واعتمدت النفح وغيره .

(٢) في النسختين د ، ك : "صال لام . . ." واعتمدت ما في النفح وغيره ، وفي النفح : "في صفحته سيلان" والوَرِق : الفضة .

(٣) هذا البيت ليس في النفح واليتيمة .

(٤) في جميع المخطوطات : "أثرت في الخد" ، وفي المصادر : "تركت في الخد" ، واعتمدت ما في هامش نسخة الأصل للتقابل بين غربت" وأطلعت" .

(٥) في جميع المخطوطات : " . . . تبدى عرقا" ، وهو تصحيف ، واعتمدت ما في المصادر .

(٦) ديوان ابن زيدون ١٧٣ و ١٧٤ ، وهي من [الوافر] .

إِلَيْــــكِ مِــــنَ ٱلأَنَامِ غَــــدَا ارْتِيَــــاحِي   وَأَنْــتَ مِــنَ الزَّمَــانِ مَــدَى ارْتِيَــاحِي[1]

فَـــدَيْتُكِ إِنَّ صَـــبْرِي عَنْـــكِ صَـــبْرِي   لَـدَى عَطَشِـى عَلَـى الْمَـاءِ الْقَـراحِ[2]

وَلِي أَمَـــلٌ لَـــوِ الْوَاشُـــونَ كَفُّـــوا   لأطْلَـــعَ غَرْسُـــهُ ثَمَـــرَ النَّجَـــاحِ

وَأَعْجَـــبُ كَيْـــفَ يَغْلِبُـــنِي عَـــدُوٌّ   رِضَـاكِ عَلَيْـهِ مِـنْ أَمْضَـى سِـلاَحِ

وَلَمَّـــا أَنْ جَلَتْـــكِ لِي اخْتِلاَسًـــا   أَكُـــفُّ الـــدَّهْرِ لِلْحَـــيْنِ الْمُتَـــاحِ[3]

رَأَيْـتُ الشَّـمْسَ تَطْلُـعُ مِـنْ نِقَـابٍ   وَغُصْـــنُ الْبَـــانِ يَرْفُـــلُ فِي وِشَـــاحِ[4]

فَلَـــوْ أَسْـــطِيعُ طِـــرْتُ إِلَيْـــكِ شَـــوْقًا   وَكَيْـفَ يَطِـيرُ مَقْصُـوصُ الْجَنَـاحِ ؟ ![5]

فُـؤَادِي مِـنْ أَسًـى بِـكِ غَـيْرُ خَـالٍ   وَقَلْـبِي مِـنْ هَـوًى لَـكِ غَـيْرُ صَـاحِ

وَأَنْ تُهْـــدِى السَّـــلاَمَ إِلَيَّ شَـــوْقًا   وَلَـــوْ فِي بَعْـــضِ أَنْفَـــاسِ الـــرِّيَاحِ[6]

وله[7] :

(١) في الديوان : "وأنت على الزمان مدى اقتراحي" .

(٢) في جميع المخطوطات : "عن الماء القراح" ، واعتمدت ما في الديوان .

(٣) في نسخة الأصل م : "ولما أن جلبت" ، وفي النسخة د : "جليب" ، وفي النسخة ك : "خليت" ، واعتمدت ما في الديوان .

(٤) في المخطوطات : "تطلع في . . ." ، واعتمدت ما في الديوان .

(٥) في جميع المخطوطات : "فلو أستطيع" ، وهو خطأ في الوزن ، والتصحيح من الديوان .

(٦) في الديوان : "السلام إليّ غيًّا" .

(٧) ديوان ابن زيدون ١٧٤ ، مع اختلاف في الترتيب والأبيات من [مجزوء الكامل] .

كَيْــــفَ السُّــــلُوُّ عَـــنِ الَّـــذِي ... مَثْــــوَاهُ مِـــنْ قَلْـــبِي السَّــــوَادُ[(١)]

يَقْضِــــــى عَلَــــــيَّ دَلاَلُــــــهُ ... فِي كُـــــلِّ حِـــــينٍ أَوْ يَكَـــــادُ

مَلَــــكَ الْقُلُــــوبَ بِحُسْــــنِهِ ... فَلَهَــــا إِذَا أَمَــــرَ انْقِيَــــادُ

يَا هَــــاجِرِي كَــــمْ أَسْتَفِيــــ ... ــدُ الصَّــبْرَ عَنْــكِ فَــلاَ أُفَــادُ

أَفَــــلاَ رَثَيْــــتِ لِمَــــنْ يَبِيــــ ... ــتُ وَحَشْــوُ مُقْلَتِــهِ السُّــهَادُ ؟[(٢)]

إِنْ أَجْــــنِ ذَنْبًــــا فِي الْهَــــوَى ... خَطَــــأً فَقَــــدْ يَكْبُــــوُ الْجَــــوَادُ

وله أيضا[(٣)] :

مَـــــتَى أُنَبِّيــــكَ مَــــا بِي ... يَا رَاحَــــتِي وَعَــــذَابِي[(٤)]

مَـــــتَي يَنُـــــوبُ لِسَـــانِي ... فِي شَـــرْحِهِ عَـــنْ كِتَـــابِي

اللهُ يَعْلَــــــــــمُ أَنِّي ... أَصْـــبَحْتُ فِيـــكَ لَمَـــا بِي

[٣٥٥/ظ] فَمَـــا يَلَـــذُّ مَنَـــامِي ... وَلاَ يَسُـــــوغُ شَـــــرَابِي[(٥)]

يَا فِتْنَـــــةَ الْمُتَعَـــــزِّي ... وَحُجَّـــــةَ الْمُتَصَـــــابِي[(٦)]

---

(١) في نسخة الأصل م : "مثواه في . . ." ، وما في النسختين د ، ك يوافق الديوان .

(٢) في الديوان : "أ[illegible] رثيت . . ." .

(٣) ديوان ابن زيدون ١٧٥ ، ١٧٦ ، والأبيات من [المجتث] .

(٤) في الديوان : "متى أبثك . . ." ، وما هنا يوافق نفح الطيب ٣/٢٨٠ .

(٥) في الديوان : "فلا يطيب طعامي . . ." ، وما هنا يوافق النفح .

(٦) في نسخة الأصل : "يا فتنة المتغرى" ، وهو تصحيف ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفخ ، وفي الديوان : "يافتنة المتقرى" .

الشَّـــــمْسُ مِنْــــكَ تَـــوَارَتْ عَـــنْ نَاظِـــرِي بِالْحِجَـــابِ[(١)]

مَـــا النُّـــورُ شَـــفَّ سَــنَاهُ عَلَـــى رَقِيـــقِ السَّـــحَابِ[(٢)]

إِلاَّ كَوَجْهِـــــكَ لَمَّـــــا أَضَـــاءَ تَحْـــتَ النِّقَـــابِ[(٣)]

وله[(٤)] :

هَـــلْ لِـــدَاعِيكَ مُجِيـــبُ أَمْ لِشَـــاكِيكَ طَبِيـــبُ ؟

يَا قَرِيبًـــا حِـــينَ يَنْـــأَى حَاضِـــرًا حِـــينَ يَغِيـــبُ

كَيْـــفَ يَسْـــلُوكَ مُحِـــبٌّ زَانَـــهُ مِنْـــكَ حَبِيـــبُ

إِنَّمَـــا أَنْـــتَ نَسِـــيمٌ تَتَلَقَّـــاهُ الْقُلُـــوبُ

قَـــدْ عَلِمْنَـــا عِلْـــمَ ظَـــنٍّ هُـــوَ لاَ شَـــكَّ مُصِـــيبُ

إِنَّ سِـــرَّ الْحُسْـــنِ مِمَّـــا أَضْـــمَرَتْ تِلْـــكَ الْقُلُـــوبُ[(٥)]

وله أيضا[(٦)] :

---

(١) في الديوان والنفح : "الشمس أنت . . ." ، وما هنا أوفق .

(٢) في الديوان : "ما البدر . . ." ، وما هنا يوافق النفح ، وفي النسختين د ، ك : "ما لنور" بإسقاط ألف "النور" ، وهو سهو من الناسخ .

(٣) في جميع المخطوطات : "إلا لوجهك" ، والتصحيح من الديوان والنفح .

(٤) ديوان ابن زيدون ١٧٦ ، والنفح ٢٨١/٣ ، والأبيات من [مجزوء الرمل] .

(٥) في الديوان : " . . . تلك الجيوب" ، وما هنا يوافق نفح الطيب .

(٦) ديوان ابن زيدون ١٧٦ ونفح الطيب ٢٨١/٣ ، والأبيات من [المجتث] .

أَنَّى تُضَيِّعُ عَهْدَكْ ... أَمْ كَيْفَ تُخْلِفُ وَعْدَكْ[1]

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَعِنْدِي ... مِنَ الْهَوَى لَيْسَ عِنْدَكْ[2]

وَقَدْ رَأَتْكَ الْأَمَانِي ... رِضًى فَلَمْ تَتَعَدَّكْ

هَلْ طَالَ لَيْلُكَ بَعْدِي ... كَطُولِ لَيْلِي بَعْدَكْ ؟[3]

سَلْنِي حَيَاتِي أَهَبْهَا ... فَلَسْتُ أَمْلِكُ رَدَّكْ

الدَّهْرُ عَبْدِي لَمَّا ... أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ عَبْدَكْ

وله أيضا[4] :

لَمْ يَكُنْ هَجْرُ حَبِيبِي عَنْ قِلًى ... لاَ وَلاَ ذَاكَ التَّجَنِّي مَلَلاَ

سَرَّهُ دَعْوَى ادِّعَائِي وَلَمْ ... يَدْرِ مَا غَايَةُ صَبْرِي فَابْتَلَى[5]

أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي يَرْضَى بِهِ ... لِيَ مِنْ لَوْ قَالَ مُتْ مَا قُلْتَ لاَ

مَثَلٌ فِي كُلِّ حُسْنٍ مِثْلَ مَا ... صَارَ حَالِي فِي هَوَاهُ مَثَلاَ[6]

---

(١) في الديوان : "أنى أضيع . . . أم كيف أخلف . . ." ، ما هنا يوافق النفح .

(٢) في الديوان : "يا ليت مالك عندي" ، وما هنا يوافق النفح ، وفي الديوان : "من الهوى لي عندك" ، وفي النفح : "ليس في الحب عندك" .

(٣) في الديوان : "فطال ليلك بعدي" ، وما هنا يوافق النفح .

(٤) ديوان ابن زيدون ١٨٠ ، ونفح الطيب ٢٨٣/٣ ، والأبيات من [الرمل] .

(٥) في الديوان : "سره شكري إذا عاق ولم" ، وفي النفح " . . . ثم لم" .

(٦) في الديوان : "صار ذلي . . ." وما هنا يوافق النفح .

يَا فَتِيتَ الْمِسْكِ يَا شَمْسَ الضُّحَى   يَا قَضِيبَ الْبَانِ يَا ظَبْيَ الْفَلاَ[1]

إِنْ يَكُنْ لِي أَمَلٌ غَيْرُ الرِّضَى   مِنْكَ لاَ بُلِّغْتُ ذَاكَ الأَمَلاَ

وله أيضا[2] :

أَنْتَ مَعْنَى الْهَوَى وَسِرُّ الدُّمُوعِ   وَسَبِيلُ الْهَوَى وَقَصْدُ الْوُلُوعِ[3]

أَنْتَ والشَّمْسُ ضَرَّتَانِ وَلَكِنْ   لَكَ عِنْدَ الْغُرُوبِ فَضْلُ الطُّلُوعِ

[٣٥٦/و] لَيْسَ يَا مُؤْنِسِي يُكَلِّفُكَ الْعَتْـ   ـبُ دَلاَلاً مِنَ الرِّضَا الْمَمْنُوعِ

إِنَّمَا أَنْتَ وَالْحَسُودُ الْمُعَنَّى   كَوْكَبٌ يَسْتَقِيمُ بَعْدَ الرُّجُوعِ[4]

وله أيضا[5] :

يَا لَيْلُ طُلْ لاَ أَشْتَهِي   إِلاَ لَعَمْرِي قِصَرَكْ[6]

لَوْ بَاتَ عِنْدِي قَمَرِي   مَا بِتُّ أَرْعَى قَمَرَكْ

يَا لَيْلُ خَبِّرْ أَنَّنِي   وَاللهِ أَهْوَى خَبَرَكْ[7]

---

(١) في الديوان : " . . . يا ريم الفلا" ، وما هنا يوافق النفح .

(٢) ديوان ابن زيدون ١٨٣ ، ونفح الطيب ٢٨٤/٣ ، والأبيات من [الخفيف] .

(٣) في الديوان : " أنت معنى الضنى" ، وما هنا يوافق النفح .

(٤) في الديوان والنفح : ". . . والحسود معنى" .

(٥) ديوان ابن زيدون ١٨٥ ، ونفح الطيب٢٨٤/٣ ، والأبيات من [مجزوء الرجز] .

(٦) في الديوان : " . . . إ□ بوصل . . ." ، وفي النفح : "إ□ كعهدي" .

(٧) في الديوان والنفح : "ألتذ عنه خبرك" ، وما هنا أحلى وأوفق .

بِاللهِ قُـــــــلْ لِي هَـــــــلْ وَفَى فَقَـــــالَ لاَ بَـــــلْ غَـــــدَرَكْ

وله أيضا[١] :

أَيُوحِشُـــنِي الزَّمَـــانُ وَأَنْـــتَ أُنْسِـــي وَيُظْلِـمُ لِي النَّهَـارُ وَأَنْـتَ شَمْسِـي ؟!

وَأَغْـــرِسُ فِي مَحَبَّتِـــكَ ٱلأَمَـــانِي وَأَجْـنِي الْمَـوْتَ مِـنْ ثَمَـرَاتِ غَرْسِـي[٢]

لَقَــدْ جَازَيْــتَ غَــدْرًا مِــنْ وَفَــاءٍ وَبِعْــتَ مَــوَدَّتِي ظُلْمًــا بِــبَخْسِ[٣]

وَلَــوْ أَنَّ الزَّمَــانَ أَطَــاعَ حُكْمِــي فَــدَيْتُكَ مِــنْ مَكَارِهِــهِ بِنَفْسِــي

ومن كلام الوزير الكاتب أبو[٤] عامر السالمي في غلام يرشُّ الماء على خديه فتزداد حُمرتهما[٥] :

لَقَــدْ نَعِمْــتُ بِحَمَّــامٍ تَطَلَّــعَ فِي أَرْجَائِــهِ قَمَــرٌ وَالْحُسْــنُ يُكْمِلُــهُ

أَبْصَــرْتُهُ كُلَّمَــا رَاقَــتْ مَحَاسِــنُهُ وَنِعْمَــةُ الجِسْــمِ وَٱلأَرْدَافِ تُخْجِلُــهُ

يَــرُشُّ بِالْمَــاءِ خَدَّيْــهِ فَقُلْــتُ لَــهُ صِـفْ لِي لَمَّـا أَحْمَـرُ الْيَـاقُوتِ تَصْـقُلُهُ

فَقَــالَ طَــرْفِيَ سَــفَّاكٌ بِصَــارِمِهِ دِمَــاءَ قَــوْمٍ عَلَــى خَــدِّي فَأَغْسِــلُهُ

(١) ديوان ابن زيدون ١٩٢ ، ونفح الطيب ٢٨٦/٣ ، والأبيات من [الوافر] .

(٢) في الديوان : "فأجنى الموت" ، وما هنا يوافق النفح .

(٣) في الديوان والنفح : "عن وفائي" .

(٤) [كذا] جاءت النسبة لأبي عامر السالمي في جميع المخطوطات ونفح الطيب ٢٨٨/٣ ، ولكن في هامش النفح قيل : " . . . والشعر ليس للسالمي ، وإنما أنشده السالمي ، وهو لأبي الحسن بن مظفر" ، وقد نقل المحقق ذلك عن المطرب ٧٧ ، وقد وجدته فيه كذلك ، والأبيات من [البسيط] .

(٥) في جميع المخطوطات : "حمرتها" ، والتصحيح من النفح .

وكان الأديب الفاضل أبو الحسن على بن حريق[١] عشية مع من يهواه ، ورام الانفصال عنه لداره ، فمنعه سَيْلٌ حَالَ بينه وبين داره ، فباتَ[٢] عنده فقال[٣] :

يَا لَيْلَةً جَادَتِ اللَّيَالِي   بِهَا عَلَى رَغْمِ أَنْفِ دَهْرِي

لِلسَّيْلِ فِيْهَا عَلَيَّ نُعْمَى   يُقَصِّرُ عَنْهَا لِسَانُ شُكْرِي

أَبَاتَ فِي مَنْزِلِي حَبِيبِي   وَقَامَ فِي أَهْلِهِ بِعُذْرِ ؟[٤]

فَبِتُّ لاَ حَالَةٌ كَحَالِي   ضَجِيعُ بَدْرٍ صَرِيعُ سُكْرِي[٥]

يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي اللَّيَالِي   [٣٥٦/ظ] لأَنْتِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرِ

ومن كلامه[٦] :

يَا وَيْحَ مَنْ بِالْمَغْرِبِ الأَقْصَى ثَوَى   حِلْفَ النَّوَى وَحَبِيبُهُ بِالْمَشْرِقِ[٧]

لَوْلاَ الْحِذَارُ عَلَى الْوَرَى لَمَلأْتُ مَا   بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ زَفِيرٍ مُحْرِقِ

وَسَكَبْتُ دَمْعِي وَقُلْتُ لِسَكْبِهِ   مَنْ لَمْ يَذُبْ مِنْ زَفْرِهِ فَلْيُحْرَقِ

---

(١) في المخطوطات جميعها : "على بن رشيق" ، والتصحيح من ترجمته في فوات الوفيات ٦٤/٣ ، ومن الخبر الذي هنا في نفح الطيب ٤٠٩/٣ و ٤١٠ .

(٢) في النفح : "فبات عنده على غير اختياره" لتكتمل السجعة .

(٣) الأبيات في فوات الوفيات ٦٥/٣ ما عدا الرابع ، وفي نفح الطيب ٤٠٩/٣ و ٤١٠ جميع الأبيات ، والأبيات من [مخلع البسيط] .

(٤) في جميع المخطوطات : "أبات في منزل . . ." ، واعتمدت ما في المصدرين السابقين .

(٥) في جميع المخطوطات : "فبت حاله . . ." بالهاء ، وهو تصحيف ، واعتمدت ما في المصدرين السابقين .

(٦) الأبيات في نفح الطيب ٤١٠/٣ ، وهي من [الكامل] .

(٧) سقط هذا البيت من النسخة د .

لَكِـــنْ خَشِـــيتُ عِقَـــابَ رَبِّي إِنْ أَنَا أَحْرَقْـــتُ أَوْ أَغْرَقْـــتُ مَـــنْ لَمْ أَخْلُـــقِ

وله[1] :

كَلَّمْتُـــــهُ فَـــاحْمَرَّ مِـــنْ خَجَـــلٍ حَـــتَّى اكْتَسَـــى بِالْعَسْـــجَدِ الْـــوَرِقُ

وَسَـــــأَلْتُهُ تَقْبِيــــــلَ رَاحَتِـــــهِ فَـــأَبَى وَقَـــالَ أَخَـــافُ أَحْـــتَرِقُ

حَـــتَّى زَفِـــيرِي عَـــاقَ عَـــنْ أَمَلِـــي إِنَّ الشَّـــــقِيَّ بِرِيقِـــــهِ شَـــــرِقُ

ومن كلام الوزير ابن زُهر[2] :

رَمَـتْ كَبِـدِي بَـدْرُ السَّـمَاءِ فَأَقْصَـدَتْ أَلاَ بِأَبِي رَامٍ يُصِـــيبُ وَلاَ يُخْطِـــى[3]

قَرِيبَـــةُ مَـــا بَـــيْنَ الْخَلاَخِيـــلِ إِنْ مَشَـــتْ بَعِيـــدَةُ مَـــا بَـــيْنَ الْقِـــلاَدَةِ وَالْقُـــرْطِ

ومن كلام ابن شُهيد[4] :

وَلَمَّـا فَشَـا بِالـدَّمْعِ مَـا بَـيْنَ وَجْـدِنَا إِلَى كَاشِـــحِينَا مَـــا الْقُلُـــوبُ كَـــوَاتِمُ

أَمَـــرْنَا بِإِمْسَـــاكِ الـــدُّمُوعِ جُفُونَنَـــا لِيَشْـجَى بِمَـا يُطْـوَى عَـذُولٌ وَلاَئِـمُ[5]

أَبَى دَمْعُنَـــا يَجْـــرِى مَخَافَـــةَ شَـــامِتٍ تُنَظِّمُـــهُ بَـــيْنَ الْمَحَـــاجِرِ نَاظِـــمُ[6]

---

(١) الأبيات في النفح ٤١١/٣ ، وهي من [الكامل] .

(٢) في النفح ٤٣٤/٣ : أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زُهر وزير إشبيلية وعظيمها وكريمها ، وهو حفيد محمد بن مروان بن زُهر منشئ الدولة العبادية .

(٣) البيتان في النفح ٤٣٤/٣ ضمن ثلاثة أبيات، وهي من [الطويل]. وفي النفح: "رمت كبدي أخت السماء." .

(٤) الأبيات في نفح الطيب ٤٣٩/٣ ، وهي من [الطويل] .

(٥) في النفح : "ليشجي بما نطوى . . ." .

(٦) في النفح : "فنظمه" ، والأحسن في رأيي : "ينظمه" بالمثناة التحتية ، والله أعلم .

ولأبي جعفر بن خاتمة[1] :

هَــلْ جُسُــومٌ يَــوْمَ النَّــوَى وَدَّعُوهَــا   بَاقِيَــاتٌ لِسُــوءِ مَــا أَوْدَعُوهَــا ؟[2]

يَا حُــدَاةَ الْقُلُــوبِ مَــا الْعَــدْلُ هَــذَا   أَتْبِعُوهَـــا أَجْسَـــامَنَا أَوْ دَعُوهَـــا

وكان ابن عبد رَبِّه فتى يهواه فأعلمه أنه يسافر غدا ، فلما أصبح عاقه المطر عن السفر ، فانجلى عن عبد رَبِّه[3] همَّه ، وكتب إليه[4] :

هَــلاَّ ابْتَكَــرْتَ لِبَــيْنٍ أَنْــتَ مُبْتَكِــرُ   هَيْهَـــاتَ بِأَبِي عَلَيْـــكَ اللهُ وَالْقَـــدَرُ

[٣٥٧/و] مَا زِلْتُ أَبْكِي حِذَارَ الْبَيْنِ مُلْتَهِبًا   حَــتَّى رَثَــى لِي فِيــكَ الــرِّيحُ وَالْمَطَــرُ[5]

يَا بَــرْدَةً مِــنْ حَيًــا قَــرَّتْ عَلَــى كَبِــدٍ   نِيرَانُهَــا بِغَلِيــلِ الشَّــوْقِ تَسْــتَعِرُ[6]

آلَيْـــتُ أَنْ لاَ أَرَى شَمْسًـــا وَلاَ قَمَـــرًا   حَــتَّى أَرَاكَ فَأَنْــتَ الشَّــمْسُ وَالْقَمَــرُ

وله أيضا[7] :

صِــلْ مَــنْ هَوِيــتَ وَإِنْ أَبْــدَى مُعَاتَبَــةً   فَأَطْيَــبُ الْعَــيْشِ وَصْــلٌ بَــيْنَ إِلْفَــيْنِ

---

(١) أحمد بن على بن محمد بن خاتمة الأنصاري الأندلسى ، وكنيته أبو جعفر ، شاعر من أهل المرية ، ومن معاصري لسان الدين . ت ٧٧٠هـ [من هامش نفح الطيب ٢٤/١] .

(٢) البيتان في نفح الطيب ٤٤١/٣ ، وهما من [الخفيف] .

(٣) في جميع المخطوطات : "عن عبد ربه" بإسقاط "ابن" ، ولكن في نسخة الأصل م كتبت الكلمة بين السطرين بخط صغير .

(٤) الخبر والأبيات في نفح الطيب ٤٤٧/٣ ، والأبيات في ديوان ابن عبد ربه ٧٠ ، وهي من [البسيط] .

(٥) في الديوان : "حذار البين ملتهفا" ، وما هنا يوافق النفح .

(٦) في الديوان والنفح : "يا بردة من حيا مزن . . ." .

(٧) البيتان في ديوان ابن عبد ربه ١٦٨ ، ونفح الطيب ٤٤٧/٣ ، وهما من [البسيط] .

وَاقْطَــعْ حَبَائِــلَ خِــدْنٍ لاَ تُلاَئِمُــهُ ... فَقَلَّمَــا تَسَــعُ الــدُّنْيَا بَغِيضَــيْنِ[١]

ومن كلام حاتم بن سعيد[٢]:

جَنِّبُــونِي عَــنِ الْمُدَامَــةِ إلاَّ ... عِنْـدَ وَقْـتِ الصَّـبَاحِ أَوْ فِي الْأَصِـيلِ

وَاشْــفَعُوهَا بِكُــلِّ وَجْــهٍ مَلَــيحٍ ... وَدَعُــونِي مِــنْ كُــلِّ قَــالٍ وَقِيــلِ

وَإِذَا مَــا أَرَدْتُمُ طِيــبَ عَيْــشٍ ... فَــاحْجُبُونِي عَــنْ وَجْـهِ كُـلِّ ثَقِيـلِ[٣]

ومن كلام أبي جعفر[٤] :

أَلاَ حَبَّــذَا رَوْضٌ بَكَــرْنَا لَــهُ ضُــحًى ... وَفِي جَنَبَـاتِ الـرَّوْضِ لِلطَّـلِّ أَدْمُـعُ[٥]

وَقَــدْ خَلَعَــتْ بَـيْنَ الْغُصُـونِ نَسِـيْمَةٌ ... تُمَـزِّقُ ثَـوْبَ الطَّـلِّ مِنْهَـا وَتَرْقَـعُ[٦]

وَنَحْــنُ إِذَا مَــا ظَلَّــتِ الْقُضْــبُ رُكَّعًــا ... نَظَـلُّ لَهَـا مِـنْ هِـزَّةِ السُّـكْرِ نَرْكَـعُ[٧]

ومن كلام إبراهيم[٨] بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي ، وكان يهوديا[٩] ، وسُئِلَ بعضُ المغاربةِ عن السبب في رِقَّةِ نظم ابن سهل فقال: لأنَّه اجتمع فيه ذُلَّان: ذُلُّ

---

(١) في الديوان : ". . . حبائل خِل . . . فربما ضاقت الدنيا على اثنين" ، وما هنا يوافق النفح .

(٢) الأبيات في نفح الطيب ٥١٢/٣، وهي من [الخفيف] ، ولم أعثر لصاحبها على ترجمة.

(٣) في النفح : ". . . طيب عيشي . . . عن كل وجه ثقيل" .

(٤) أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي ، أحب حفصة شاعرة الأندلس، وكانا يتجاوبان تجاوب الحمام، عاش في عصر الفتن والقلاقل، ثم قُتل صبرًا. [من نفح الطيب ١٧٩/٤ وما بعدها] .

(٥) الأبيات في نفح الطيب ٥١٢/٣، وهي من [الخفيف] ، ولم أعثر لصاحبها على ترجمة.

(٦) في نسخة الأصل م : ". . . منها وترتع" ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفح .

(٧) في النسختين د ، ك : "تظل لها . . ." وما في نسخة الأصل م يوافق النفح .

(٨) إبراهيم بن سهل الإسرائيلي ، كان يهوديا فأسلم ، وله قصيدة مدح بها رسول الله (ﷺ) قبل أن يسلم ، وهو من الأدباء الأذكياء الشعراء، مات غريقا مع ابن خلاص والي سبته سنة ٦٤٩هـ ، [من فوات الوفيات ٢٠/١] .

(٩) هذا الكلام والشعر في نفح الطيب ٥٢٣/٣ .

العشق، وذُلُّ اليهودية، وهو القائل[1] ، شعر[2] :

وَأَلْمَى بِقَلْبِي مِنْهُ جَمْرٌ مُؤَجَّجٌ   تَرَاهُ عَلَى خَدَّيْهِ يَنْدَى وَيَبْرُدُ

يُسَائِلُنِي مِنْ أَيِّ دِينٍ مُدَاعِبًا   وَشَمْلُ اعْتِقَادِي فِي هَوَاهُ مُبَدَّدُ

فُؤَادِي حَنِيفِيٌّ وَلَكِنَّ مُقْلَتِي   مَجُوسِيَّةٌ مِنْ خَدِّهِ النَّارُ تُعْبَدُ

[٣٥٧/ظ] واجتمع[3] جماعة مع ابن سهل في مجلس أُنس فسألوه لما أخذت منه الراح عن إسلامه هل هو في الظاهر والباطن أم ؟ فأجابهم: للناس ما ظهر ولله ما استتر.

وله ديوان شعر كبير مشهور بالمغرب حاز منه قصب السبق في النظم والتوشيح، ومن نظمه قوله[4] :

لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُوَاصِلِي   فَأَسْقَيْتَنِي بِالْبُعْدِ فَاتِحَةَ الرَّعْدِ

فَبِاللَّهِ بَرِّدْ مَا بِقَلْبِي مِنَ الْجَوَى   بِفَاتِحَةِ ٱلْأَعْرَافِ مِنْ رِيقِكَ بِالشَّهْدِ

وله في غلام شاعر[5] :

كَيْفَ خَلَاصُ الْقَلْبِ مِنْ شَاعِرٍ   رَقَّتْ مَعَانِيهِ عَنِ النَّقْدِ

يَصْغُرُ نَثْرُ الدُّرِّ عَنْ ثَغْرِهِ   وَنَظْمُهُ جَلَّ عَنِ الْعَقْدِ

وكان الأديب[6] الأريب المحدث أبو الربيع[7] سليمان بن على الشلبي[8] الشهير بِكُثَيِّر

---

(١) الأبيات في المصدر السابق ، وهي من [الطويل] .

(٢) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د ، ك .

(٣) الخبر في نفح الطيب ٥٢٣/٣ .

(٤) البيتان في نفح الطيب ٥٢٤/٣ ، وهما من [الطويل] .

(٥) البيتان في نفح الطيب ٥٢٦/٣ ، ضمن ثلاثة أبيات وهما من [السريع] .

يهوى من يتجنى عليه بقوله : أنت أبرد من الثلج ، فخاطبه كُثير بقوله[1] :

يَا حَبِيبًا لَهُ الْكَلاَمُ خَلُوبُ   قُلِّبَتْ فِي لَظَى هَوَاهُ الْقُلُوبُ

كَيْفَ تَعْزُو إِلَى مُحِبِّكَ بَرْدًا   وَمِنَ الْحُبِّ فِي حَشَاهُ لَهِيبُ

أَنْتَ شَمْسٌ وَقُلْتَ إِنِّيَ ثَلْجٌ   فَلِهَذَا إِذَا طَلَعْتَ أَذُوبُ

ذو[2] الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين[3] :

بِاللهِ إِنْ لَمْ تَزْدَجِرْ   يَا مُشْبِهَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ[4]

لأُسَرِّحَنَّ نَوَاظِرِي   فِي ذَلِكَ الْوَرْدِ النَّضِيرِ

وَلآكُلَنَّكَ بِالْمُنَى   وَلأَشْرَبَنَّكَ بِالضَّمِيرِ

وابن عبد ربه[5] :

إِشْرَبْ عَلَى الْمَنْظَرِ الأَنِيقِ   وَامْزُجْ بِرِيقِ الْحَبِيبِ رِيقِي

(٦) الخبر والشعر في نفح الطيب ٥٦٦/٣ .

(٧) لم أعثر له على ترجمة أكثر مما هنا .

(٨) في جميع المخطوطات : "الإشبيلي" ، واعتمدت ما في النفح .

(١) الأبيات في نفح الطيب ٥٦٦/٣ ، وهي من [الخفيف] .

(٢) من هنا ساقط من النسخة ك ، وهذه خسارة كبيرة .

(٣) ذكر في مواضع كثيرة في النفح دون ترجمة مستقلة، ولم أعثر له على ترجمة.

(٤) الأبيات في نفح الطيب ٥٦٧/٣ و٥٦٨، والثاني والثالث في نفح الطيب ٢٩١/٣، وهي من [مجزوء الكامل].

(٥) الأبيات في نفح الطيب ٥٦٨/٣ وديوان ابن عبد ربه ١١٨ ، وهي من [مخلع البسيط] .

وَاحْلُــــلْ وِشَــــاحَ الْكَعَــــابِ رِفْقًــــا   خَوْفًــــا عَلَــــى خَصْــــرِهَا الرَّقِيــــقِ[1]

وَقُــــلْ لِمَــــنْ لاَمَ فِي التَّصَــــابِي   خُــــذْ بِي قَلِــــيلاً عَــــنِ الطَّرِيــــقِ[2]

[٣٥٨/و] وقول الناظم : "كائمة سكنوا" أي أقاموا بالمسكن بكسر الكاف أي المنزل والبيت ، قال في المختار : والمسكِن بكسر الكاف المنزل والبيت ، وأهل الحجاز تفتح[3] الكاف والسكْن (بوزن الجفن) [4] أهل الدار ، وبالتحريك[5] النار ، وما يُسكن إليه ، كما في القاموس ، والمراد به هنا مطلق الإقامة في الأندلس .

والأندلس بفتح الهمزة ، وسكون النون ، وفتح الدال المهملة ، وضم اللام ، وسين مهملة ، وهي جزيرة متصلة بالبَرِّ الطويل ، والبر الطويل متصل بالقسطنطينية ، وإنما قيل للأندلس جزيرة؛ لأن البحر يحيط بها من جهاتها إ□ الجهة الشمالية ، وهي مثلثة الشكل ، فالركن الشرقي منها متصل بجبل يسلك منها إلى إفريقية ، ولو□ه □ختلط البحران ، وحُكي أن أول مَن عمرها بعد الطوفان أندلس بن يافث بن نوح فسُميت به ، والأندلس هي كما قال ابن الوَرْدِي[6] : الغرب الأوسط ، وهي شرق بلاد البربر ، وكان أهل سوس وهو الغرب الأقصى قديما يصدون أهل الأندلس في كل وقت ، ويلقون منهم الجهد الجهيد إلى أن اجتاز اسكندر بهم فشكوا حالهم إليه ، فأحضر المهندسين ، وحضر إلى الزقاق ، وكان له أرض جافة ، فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي ، فوجدوا المحيط يعلو

(١) الأبيات في نفح الطيب ٥١٢/٣، وهي من [الخفيف] ، ولم أعثر لصاحبها على ترجمة.

(٢) في الديوان : "إليك خل عن الطريق" ، وفي النفح : "خل قليلا عن الطريق" .

(٣) في المختار : "يفتحون" ، وهو أحسن .

(٤) ما بين القوسين زيادة من المختار يتم بها القول .

(٥) في المختار : "والسَّكَن بفتحتين : النار" وهو أوضح .

(٦) هذا في نفح الطيب ١٣٥/١ و ١٣٦ دون ذكر اسم ابن الوردي، ولم أجد القول في تاريخ ابن الوردي " تتمة المختصر في أخبار البشر" .

البحر الشامي بشيء يسير ، فأمر برفع البلاد التي على ساحل بحر الشام ونقلها من الحضيض إلى الأعلى ، ثم أمر أن يحفر[1] [٣٥٨/ظ] الأرض بين طَنْجة وبلاد الأندلس فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية ، وبنى عليها رصيفا بالحجر والجير محكما ، وجعل طوله اثني عشر ميلا ، وهي المسافة التي كانت بين البحرين ، وبنى رصيفا آخر من ناحية طنجة يقابله ، وجعل بين الرصيفين سبعة أميال ، فلما أكمل الرصيفين ودخل في البحر الشامي حفر لها من جهة البحر الأعظم ، وأطلق فم البحر بين الرصيفين ، ودخل سبعة أميال ، فلما أكمل الرصيفين ودخل في البحر الشامي حفر لها من جهة البحر الأعظم ، ثم فاض ماؤه فأغرق مدنا كثيرة ، وأهلك أمما عظيمة كانت بين البحرين على الشطَّين ، وطغى[2] الماء على الرصيفين إحدى عشرة[3] قامة ، فأما الرصيف الذي[4] يلي بلاد الأندلس فإنه يظهر في بعض الأوقات إذا نقص الماء ظهورا بيّنا مستقيما على خط واحد ، وأهل الجزيرتين[5] يسمونه القنطرة ، وأما الرصيف الذي من جهة طنجة فإن الماء حمله في صدره ، واحتفر ما في[6] خلفه من الأرض اثني عشر ميلا ، وعلى طرفه من جهة المشرق الجزيرة الخضراء ، وعلى طرفه من جهة المغرب جزيرة طريف[7] ، وكلها عامرة ، ويقال[8] : إن الجزيرة الخضراء في بر العدو بينه[9] وبين سبتة ، والجزيرة الخضراء عرض البحر ، والأندلس جزائر عظيمة كالخضراء وجزيرة

---

(١) هكذا في نسخة الأصل م والنسخة د ، والأفضل "تحفر" بالمثناة الفوقية .

(٢) في النفح : "وطفا" بالفاء .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "إحدى عشر " بإسقاط التاء ، والتصحيح من النفح .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "التي" ، والتصحيح من النفح .

(٥) في نسخة الأصل م : "الجزيرين" وما في النسخة د يوافق النفح .

(٦) الحرف "في" ليس في النفح وهو أحسن .

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د : "طريق" ، واعتمدت ما في النفح ، وستأتي صحيحة بعد قليل .

(٨) من هنا إلى "ومن مدنه إشبيلية" ، ساقط من النسخة د .

(٩) الأفضل أن تكون "بينها" ، والكلام في النفح هكذا : ". . . وجزيرة طريف وغيرهما ، والجزيرة الخضراء ، وبين سبتة والجزيرة الخضراء . . ." وهو أفضل .

قادس وجزيرة طريف ، وكلها عامرة آهلة مسكونة ، ومن مدنه[١] إشبيلية ، وهي مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة ، وعليه [٣٥٩/و] جسر مربوط بالسفن ، وبها أسواق قائمة ، وتجارات رابحة، وأهلها ذوو[٢] أموال عظيمة ، وأكثر[٣] متاجرهم في الزيت ، وهو يشتمل[٤] على تلٍّ عالٍ من ترابٍ أحمرَ مسافتُه أربعون ميلاً في مثلِها، يمشي فيها السائرُ في ظلِّ الزيتونِ والتِّينِ، ولها على ما ذكر التجار ثمانية[٥] آلاف قريةٍ عامرةٍ بالأسواقِ العامرةِ والديارِ الحسنةِ، والفنادقِ والحماماتِ.

ومن إقليم الأندلس إقليم الكنانية، ومن مدائنه المشهورة قرطبة[٦]، وهي قاعدة بلاد الأندلس، ودار الخلافة الإسلامية، وهي مدينة عظيمة، وأهلها أعيان البلاد وسَرَاةٌ الناس في المآكل والملابس والمراكب وعلوّ الهمم، وبها من أعلام العلماء وسادات الفضلاء ، وأجلاد[٧] الغزاة وأمجاد الحروب وهي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضا ، وبين المدينة والمدينة حصن[٨] حاجز ، وبها مدينة فيها من الأسواق والفنادق والحمامات والصناعات ما لا يوصف ، وطولها ثلاثة أميال في عرض ميل واحد ، وهي في سفح[٩] جبل مطل عليها ،

(١) هذا في نفح الطيب ١٥٨/١ و ١٥٩ .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "ذو" بإسقاط واو الجمع ، والتصحيح من النفح .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وأكثر مساجدهم في الربيب" ، والتصحيح من النفح .

(٤) في النفح : "وهو يشتمل على كثير من إقليم الشرف ، وإقليم الشرف على تل عال . . ." .

(٥) في النفح ذكر مرة أن بها قرى كثيرة ، ومرة أخرى ذكر أن بها مائتين وعشرين قرية .

(٦) هناك كلام كثير عنها في النفح ١٥٣/١ وما بعدها ، والمؤلف هنا يلفق الكلام منه ومن ٤٥٥/١ ، لكن هذا الصريح في النفح ٥٥٨/١ .

(٧) في النسخة د : "وأجلاء القراء" ، وما في نسخة الأصل م يوافق النفح .

(٨) في النفح : "سور عظيم حصين" ، وهو أحسن .

(٩) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وهي في سطح" ، واعتمدت ما في النفح .

ويسمي جبل القروش ، ومدينتها الثالثة وهي الوسطي فيها باب القنطرة، وبها الجامع[(١)] الذي ليس في معمور الأرض مثله ، طوله مائة ذراع في عرض ثمانين ذراعا ، وفيه من السواري الكبار ألف سارية ، وفيه مائة وثلاث[(٢)] عشرة ثريا للوقيد[(٣)] ، أكبرها يحمل ألف مصباح ، وفيه من النقوش والرقوم ما يقدر أحد على وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول ، وعلي فرجة[(٤)] المحراب سبعة[(٥)] قسيٍّ قائمة على عُمد ، طول كل قوس فوق [٣٥٩/ظ] القامة ، قد تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها، وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة : اثنان أخضران ، واثنان أحمران ، وقيل : زورديان ، ليس[(٦)] لهم قيمة ، وبه منبر ليس على معمور الأرض مثله في حسن[(٧)] صنعته، وخشبه ساج وآبنوس وعود قاقليّ ، ومذكور في تاريخ بنى أمية أنه أُحكم عملُه ونقشه في سبع سنين ، وكان يعمل فيه ثمانية[(٨)] صناع ، لكل صانع من الأجرة في كل يوم نصف مثقال محمدي ، فكان جملة ما صرف على المنبر من الأجرة عشرة آف مثقال وخمسون مثقا ، وفي الجامع حاصل[(٩)] كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لأجل وَقُوده ، وبهذا الجامع مصحف فيه أربع ورقات من مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه بخط يده[(١٠)] وفيه نقط من دمه ، وله[(١١)] عشرون بابا مصفحات بالنحاس الأندلسى مخرمات

(١) الحديث عن الجامع في نفح الطيب ٥٤٥/١ وما بعدها .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وثلاثة عشر" ، والتصحيح من النفح .

(٣) في النفح : "للوقود" .

(٤) في نسخة الأصل م : "فرخة" ، وفي النسخة د : كتبت نقطة فوق الحاء ونقطة تحتها بحيث تقرأ جيما وخاء .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د والنفح : "سبع" [كذا] .

(٦) يقصد أنها أغلى من أي تقويم .

(٧) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وحسن صنعته" ، واعتمدت ما في النفح .

(٨) في نسخة الأصل م والنسخة د : "ثمان" ، والتصحيح من النفح .

(٩) هو المخزن أو المستودع . [من هامش النفح] .

(١٠) لم يذكر هذا في النفح ، وقد قيل في النفح ٦٠٥/١ : "وما قيل إن فيه دم عثمان هو بعيد ، وإن يكن أحدها فهو الشامي" .

تخريما يعجز عنه البشر ، في كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة ، وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالمكي[1] المعروف بالرشاشي، وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته، وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على الواحد اسم "محمد"، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح، (و)[2] الجميع خلقة[3] ربانية ، وبمدينة قرطبة المذكورة القنطرة العجيبة التي فاقت قناطر الدنيا حسنا، وعدد قسيِّها سبعة عشر قوسا ، سعة كل قوس منها خمسون شبرا [٣٦٠/و] بين كل قوسين[4] خمسون . ومحاسن[5] هذا أعظم من أن يحيط بها[6] واصف .

ومن أقاليم جزيرة الأندلس أشبونة[7] ، وهي مدينة حسنة شمالي النهر المسمى[8] باجة[9] الذي هو نهر طُلَيطلة ، والمدينة ممتدة مع هذا النهر ، وهي على بحر مظلم ، وبها أسواق قائمة وفنادق عامرة وحمامات كثيرة ، وبها سور[10] منيع، ويقابلها على ضفة النهر حصن المعدن ، وسمي بذلك لأن البحر يمد عند سلجماسة فيقذف بالذهب التبِّر إلى نحو ذلك الحصن وما حوله ، فإذا رجع يقصد أهل تلك البلاد نحو هذا الحصن فيجدون به الذهب إلى أوان سيحانه أيضا . ومن أشبونة هذه كان خروج المغرورين في ركوب البحر المظلم

---

(١١) هذا يوهم بأن الضمير يعود على المصحف ، ولذلك في النفح : "وللجامع" ، وهو أحسن .

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "بالملكي" ، واعتمدت النفح .

(٢) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها القول .

(٣) إلى هنا ينتهي السقط من النسخة ك ، وقد أشرت إلى ذلك سابقا .

(٤) في نسخة الأصل م : "قوس" ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفح .

(٥) في النفح : "ومحاسن قرطبة أعظم . . ." وهو أحسن .

(٦) كان المفروض أن يقول "به" ولكنه ينقل و[illegible] يدرى شيئا عن أي شيء ينقل .

(٧) هناك حديث قصير عن أشبونة في النفح ١٥٢/١ .

(٨) من هنا إلى "وهي على بحر مظلم" ساقط من النسختين د ، ك .

(٩) ذكر هنا باسم "تاجة" في النفح ١٦٢/١ .

(١٠) في نسخة الأصل م والنسخة ك : "صور" ، واعتمدت ما في النسخة د .

الذي في أقصى بلاد المغرب ، وهو بحر عظيم هائل غليظ المياه ، كدر اللون ، شامخ الموج ، صعب المظهر ، لا يمكن ركوبه لأحد من صعوبته وظلمة مَسِّه ، وتعاظم أمواجه ، وكثرة أهواله ، وهيجان ريحه ، وتسلّط دوابه ، وهذا البحر لا يعلم أحد قعره ، ولا يعلم خلقه إلا الله تعالى ، وهو غور المحيط ، ولم يقف أحد من خبره على الصحة ، ولا ركبه أحد ملججا أبدا ، إنما يمر مع ذيل الساحل ، لأن به أمواجا كالجبال الشوامخ ، ودويّ كأعظم دويّ الرعد ، لكن أمواجه لا تنكسر ، ولو تكسر لم يركبه أحد مُلَجِّجًا ولا مُسَوْحِلا[١] .

حكاية[٢] : اتفق أن جماعة من أهل أشبونة ، وهم ثمانية أنفس أولاد عم ، فأنشأوا[٣] [٣٦٠/ظ] مركبا كبيرا ، وحملوا فيه من الزاد ما يكفيهم مدة طويلة ، وركبوا متن هذا البحر ليعرفوا ما في نهاية برّه وبحره شرقا وغربا ، ويروا ما فيه من العجائب ، وتحالفوا أنهم لا يرجعوا[٤] أبدا حتى ينتهوا إلى البر الغربي أو يموتون ، فساروا فيه ملججين أحد عشر يوما ، فدخلوا إلى بحر غليظ عظيم الموج ، كدر الريح مظلم مُنتن القعر ، كثير القروش ، فأيقنوا بالهلاك والعطب ، فرجعوا مع البحر في الجنوب اثني عشر يوما ، فدخلوا إلى جزيرة الغنم فرأوا فيها من الأغنام ما لا يحصى عددها إلا[٥] الله تعالى ، وليس بها آدمي ولا بشر ، وليس لها أحد ، فنهضوا إلى الجزيرة فذبحوا من تلك الأغنام ، وأصلحوا شأنه ، وأرادوا الأكل فوجدوا لحومها مرّة لا تؤكل ، فأخذوا من جلودها ما أمكن ، ووجدوا عين ماء عذب فملأوا منها وسافروا مع الجنوب ، فرأوا جزيرة عامرة فقصدوا ، فلم يشعروا إلا وقد أحاطت بهم زوارق ،

---

(١) في النسختين د ، ك : "موجلا" . وملجِّجا : أي في داخل اللُّج وهو الماء .

(٢) الحكاية في نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي، ص: ٥٤٨، وتاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفيسكي ١٣٦/١ -١٣٧.

(٣) في نسخة الأصل م رسمت الكلمة هكذا : "فأنشوا" .

(٤) [كذا] في جميع المخطوطات ، والصواب "يرجعون" أو أن يقال : "وتحالفوا أن لا يرجعوا" .

(٥) في نسخة الأصل م : "إلى" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

وبها قوم موكلون بها ، فقبضوا عليهم ، وحملوهم إلى الجزيرة ، فدخلوا إلى مدينة على ضفة النهر ، وأنزلوهم بدار عندهم ، ورأوا بتلك الجزيرة رجا شقر الألوان طوال القدود ، ونساؤهم ذوات[1] جمال مفرط يخرج عن الوصف ، فتركوهم في دار الضيافة ثلاثة أيام ، ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل ترجمان، وكلمهم بالعربي ، وسألهم عن حالهم فأخبروه بخبرهم ، فأحضروهم قدّام الملك الذي لهم ، وأخبره الترجمان بما أخبروه به من حالهم ، فضحك الملك [٣٦١/و] منهم وقال للترجمان : قل لهم : إني وجهت من عندي جماعة في هذا البحر ليأتوني بخبر ما فيه من العجائب فسافروا مغربين شهرا حتى انقطع عنهم الضوء ، فصاروا في مثل الليل المظلم، فرجعوا من غير خبر ، ووعدهم الملك خيرا ، وأقاموا عنده حتى هبت ريحهم فبعثهم مع قوم من أصحابه في زورق ، وكتفوهم وعصبوا أعينهم وسافروا بهم مدة يعلمون كم هي ، ثم تركوهم على الساحل وانصرفوا ، فلما سمعوا كلام الناس صاحوا فأقبلوا عليهم ، وحلّو أكتافهم وأعينهم وسألوهم عن حالهم ومن أي البلاد هم فأخبروهم[2] الجماعة بخبرهم وبلدهم ، فقال لهم الناس : هل تدرون ما بينكم وبين أرضكم ؟ قالوا: . قالوا: فوق شهر؛ فرجعوا إلى بلدهم، ولهم في إشبونة حارة مشهورة تسمى حارة المغرورين إلى الآن .

ومالقة[3] وهي مدينة كبيرة ، واسعة الأقطار ، عامرة الديار ، وقد استدار بها من جميع جهاتها ونواحيها بشجر التين المنسوب إلى ربه ، وهو أحسن[4] التين لونا وأكبره جِرْما ، وأنعمه لحما ، وأحلاه طعما ، حتى يقال : إنه ليس في الدنيا مدينة يحيط بها سور من

---

(١) في النسختين د ، ك : "ذات" .

(٢) [كذا] في جميع المخطوطات ، والصواب "فأخبرهم" ، لئلا يجتمع فاعلان في الفعل الواحد ، وهذه لغة معروفة بلغة : "أكلوني البراغيث" .

(٣) في نفح الطيب ١٥٢/١ حديث قصير عن مالقة .

(٤) هناك حديث قصير عن مالقة في نفح الطيب ١٥١/١ ، وبخاصة عن التين فيها .

حلاوة[١]، وعرض السور يوما للمسافر، إ□ مالقة ، ويحمل منها التين إلى سائر الأقطار والأقاليم حتى إلى الهند والصين ، وهو مسافة سنة لحسنه وحلاوته وعدم تشويشه، وصحة بقائه، وبها ربضان عامران: ربض للناس عامر، وربض للبساتين، وشُرب أهلها من الآبار، وبينها وبين قرطبة حصون عظيمة .

ومن أقاليم جزيرة الأندلس [٣٦١/ظ] إقليم السيارات ، ومن مدنه المشهورة ، (ومنها) المرّية[٢] ، وكانت مدينة الإسلام في أيام الملثمين، وكان بها من جميع الصناعات كل غريبة ، وكان بها نسج الحرير المطرز ثمانمائة نَوْل ، وللحلل الحرير النفيسة والديباج الفاخر ألف نَوْل وللأسقلاطون[٣] كذلك ، وللثياب الجرجانية كذلك ، وللصنهاجي[٤] مثل ذلك ، وللعناني والمعاجر[٥] المدهشة والسنور المكللة بالسرج مثل ذلك ، وكان يُصنع بها صنوف الحديد والنحاس والزجاج ما □ يوصف ، وكان بها من أنواع الفواكه العجيبة، تأتيها من وادي نجابة ، ما يقصر عنه الوصف حسنا ووصفا وطيبا وكثرة ، وتباع رخيصة بأرخص ثمن ، وهذا الوادي طوله أربعون ميلا مثلها كلها بساتين معلقة ، وجنات نضرة ، وأنهار مطردة ، وطيور مغردة ، ولم يك في بلاد الأندلس أكثر ما□ من أهلها ، و□ متاجرا، و□ أكثر ذخائر ، وكان بها من الفنادق والحمامات ألف معلّق[٦] إ□ ثلاثين ، وهي بين جبلين بينهما خندق[٧]

(١) في نسخة الأصل م بياض بين كلمتي "حلاوة" و "عرض" ، ووضعت علامة إشارة إلى الهامش ، ولكن لم يذكر في الهامش شيء .

(٢) في النفح ١٦٢/١ وما بعدها . وأظن كلمة :" ومنها" التي وضعتها بين قوسين زيادة من الناسخ.

(٣) في جميع المخطوطات : "وللسقلاطون" ، واعتمدت ما في النفح ، ولم يُذكر معناه فيه .

(٤) في النفح : "وللأصفهابنة" .

(٥) في جميع المخطوطات : "والمعاجل" واعتمدت ما في النفح .

(٦) في جميع المخطوطات : "مغلق" بالغين المعجمة ، وهي ليست في النفح ، ولكن الذي بعده يؤكد ما صنعت .

(٧) في جميع المخطوطات : "خلاف" ، واعتمدت ما في النفح .

معمور (و)[1] على الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة ، وعلى الآخر رَبَضُها ، والسور محيط بالمدينة والربض ، وغربيها رَبَض آخر يسمى ربض الحوض ، وثمت أسواق وحمامات ومتاعات ، وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة ، وأحجار أولية[2] ، وكأنها قد غُربلت أرضُها من التراب ، ولها مدن وضياع عامرة متصلة [٣٦٢/و] الأنهار .

ومن مدائنه قرطاجنة[3] مدينة أزلية ، كثيرة الخصب ، وبها إقليم يسمى الفندور ، قليل مثله في طيب الأرض ونمو الزرع ، ويقال إن الزرع فيه يكتفي فيه بمطرة واحدة ، وكانت هذه المدينة في قديم الزمان من عجائب الدنيا ؛ لارتفاع بنائها ، وإظهار القدرة فيه وبها أقواس من الحجارة المقربصة[4] ، وفيها من التصاوير والتماثيل وأشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة ، ومن عجيب بنائها الدواميس[5] ، وهي أربعة وعشرون دوماسا على صف واحد من حجارة مقربصة ، طول كل داموس مائة ذراع وثلاثون خطوة في عرض ستين خطوة ، وارتفاع كل واحد أطول من مائتي ذراع ، بين كل داموس وداموس أنقاب محكمة تتصل فيها المياه من بعضها إلى بعض في العلو الشاهق ، بهندسة عجيبة وإحكام بليغ ، وكان الماء يجري إليها من شوشار ، وهي عين بقرب[6] القيروان تخرج من جانب جبل وإلى الآن ، يحفر في هدمها من ثلاثمائة سنة فيخرج منها أنواع الرخام والمرمر والجَزْع الملون ما يبهر الناظر ، قال الحوقلي : ولقد أخبرني بعض التجار أنه استخرج منها ألواحا من الرخام طول كل لوح أربعون شبرا في عشرة أشبار عرضها ، والخضير بها دائما على ممر الليالي والأيام ، لم يبطل أبدا ، ولا يسافر مركب في البحر في تلك المملكة إلا وفيه من رخامها ، ويستخرج منه أعمدة طول كل

(١) ما بين القوسين زيادة من النفح .

(٢) في جميع المخطوطات : "أزلية" ، واعتمدت ما في النفح .

(٣) في نفح الطيب ١٦٨/١ ، وفي جميع المخطوطات "قرطاجة" بإسقاط النون ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) أي محكمة الأساس . [من هامش النفح] .

(٥) أي الأحواض . [من هامش النفح] .

(٦) من أجل ذلك قال صاحب نفح الطيب : إن هذا الوصف خطأ ، لأنه وصف في قرطاجنة إفريقية ، وليس قرطاجنة الأندلس .

عامود ما يزيد [٣٦٢/ظ] على أربعين شبرا . وغالب الدواميس قائمة على حالها .

ومن مدائنه شاطبة ، وهي مدينة حسنة ، يضرب بحسنها المثل ، ويُعمل بها الورق الذي نظير له في الأقاليم حسنا .

وقنطرة السيف ، وهي مدينة عجيبة من عجائب الدنيا ، وعلي القنطرة حصن كبير منيع الذرى .

وطُلَيطلة[١] ، وهي مدينة عجيبة واسعة الأقطار ، عامرة الديار أزلية ، وهي من بناء العمالقة الأُول العادية ، ولها أسوار حصينة لم يُر مثلها إتقانا وامتناعا ، ولها قصبة حصينة على ضفة النهر الكبير يشقها يسمى باجه ، وبها قنطرة عجيبة ، وهي قوس واحد ، والماء يدخل من تحتها لشدة جريه ، وفي آخر النهر ناعورة طولها ستون ذراعا بالرشاشي يصدر الماء إلى أعلى القنطرة ، فيجري على ظهرها ، ويدخل إلى المدينة ، وكانت طُليطلة دار مملكة الروم ، وكان فيها قصر مقفول دائما أبدا ، وكلما تملك فيها ملك من الروم قُفل عليه قفلاً مُحكما ، فاجتمع على باب القصر أربعة وعشرون قفلا ، ثم وَلِي الْمُلْكَ رجل[٢] ليس من بيت الملك ، فقصد فتح الأقفال ليرى ما داخل القصر ، فمنعه من ذلك أكابر الدولة ، وأنكروا ذلك عليه ، وزجروه وجهدوا به ، فأبى إ فتحها ، فبذلوا له جميع ما بأيديهم من الأموال على عدم فتحها ، فلم يرجع ، وأزال الأقفال وفتح الباب ، فوجد [٣٦٣/و] فيها صور العرب على خيلها وجمالها ، وعليهم العمائم المسبلة ، متقلدين السيوف ، ومعهم الرماح الطوال والعصي ، ووجدوا كتابا فيه : إذا فُتح هذا الباب تَغلّب على هذه الناحية قوم من الأعراب على صفة هذه الصور ، فالحذر ثم الحذر من فتحه ، قال الراوي : ففتح في تلك السنة

---

(١) في نفح الطيب ١٦١/١ و ١٦٢ كلام غير هذا ومختصر فيه بعض الذي هنا .

(٢) في النسختين د ، ك : "رجلا" ، وهو خطأ .

الأندلس طارقُ بن زياد في خلافة الوليد بن عبد الملك من بنى أمية ، وقتل ذلك الملك أشَرَّ قتلة ، ونَهب بلاده ، وسَبَى مَن بها وغنم أموالها ، ووجدوا بها ذخائر كثيرة عظيمة ، من جملة ما وجد من بعضها مائة وسبعون تاجا من الدر والياقوت، ووجد من الأحجار النفيسة[1]، ووجدوا إيوانا تلعب فيه الرماح برماحهم، قد ملئ من أواني الذهب والفضة ما لا يحصى ، ولا يحيط به وصف واصف ، ووجد بها المائدة التي كانت لسليمان بن داود عليه السلام ، وكانت على ما ذُكر من زُمردة خضراء، وهذه المائدة إلى الآن في مدينة رومية المدائن باقية ، وأوانيها من الذهب ، وصِحَافها من اليشم[2] والجزع، ووجدوا مصحفا يذكر فيه منافع الأحجار والنبات والمعادن والمستعانات، ووجدوا قاعة كبيرة مملوءة من الإكسير ، يرد الدرهم منه ألف درهم من الفضة يخرج ذهبا إبريزا ، ووجدوا مرآة[3] مدبرة عجيبة من أخلاط قد صُنعت لسليمان ابن داود عليه السلام إذا نظر فيها نظرة نظر الأقاليم السبعة [٣٦٣/ظ] فيها عيانا ، ورأى مجلسا فيه من الياقوت والمرْجان حمل بعيره ، فحمل ذلك كله إلى الوليد بن عبد الملك ، وتفرّق العرب في مدنها، وبطُلَيطلة بساتين محدقة ورياض وجنّات وفواكه حسان مختلفة الطعوم والألوان، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة، ورساتيق مريعة، وضياع وسيعة، وقلاع منيعة، وشمالها جبل عظيم يعرف[4] بجبل الإشارات ، له[5] من البقر والغنم ما يعم جميع البلاد كثرة، ونموا . انتهى .

عجيبة : نقل القَزْويني[6] عن أبي حامد الأندلسي أن على البحر الأسود من ناحية

---

(١) يبدو أن هنا سقطا يكون مثلا "الشيء الكثير" .

(٢) في النسختين د ، ك : "المثيم . ." ولا أدرى معناهما ، وما في نسخة الأصل م يوافق النفح ، وليس فيه المعنى .

(٣) في النسختين د ، ك : "امرأة" .

(٤) في نسخة الأصل م : "يعمل" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك ، وليس هذا في النفح .

(٥) [كذا] في جميع المخطوطات ، ويبدو لي أن الصواب "به" .

(٦) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات لزكريا القزويني، قدم له وحققه: فاروق سعد، ط الثانية، دار الآفاق

الأندلس كنيسة من الصخر منقورة[1] في الجبل، عليها قبة عظيمة، وعلى القبة غراب يبرح، وفي مقابل القبة مسجد يزوره الناس ، يقولون : إن الدعاء فيه مستجاب ، وقد شرط على القسيسين ضيافة مَن يزور ذلك المسجد من المسلمين ، فإذا قدم زائر أدخل الغراب على رأسه في رَوزنة على تلك القبة وصاح صيحة ، فإن قدم اثنان صاح صيحتين، وهكذا كلما قدم زوار صاح على عددهم ، فيخرج الرهبان بطعام يكفى الزائرين ، وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة الغراب ، وزعم القسيسون أنهم ما زالوا يرون غرابا على تلك القبة و يدرون من أين يأكل (أو يشرب)[2] .

والشيء بالشيء يذكر ، وعلى ذكر الغراب عجيبة أخرى[3] ، قال يعقوب (بن) السِّكِّيت[4] : [٣٦٤/و] كان أُمية بن أبي الصَّلْت[5] في بعض الأيام يشرب إذ جاءه غراب فنعب[6] نعبة ، فقال له أمية : بفيك[7] التراب ، ثم نعب[8] أخرى فقال له أمية : (بفيك)[9] التراب ، ثم أقبل على أصحابه فقال : أتدرون ما يقول هذا الغراب ؟ زعم أنى أشربُ هذا

الجديدة، بيروت، ص: ١٧٦ – ١٧٧، والقول في حياة الحيوان ، للدميري، ٢٧٢/٣ – ٢٧٣.

(١) في جميع المخطوطات : "منقوشة" ، واعتمدت ما في حياة الحيوان .

(٢) ما بين القوسين زيادة من حياة الحيوان يتم بها القول .

(٣) في حياة الحيوان الكبرى ٢٧٤/٣ .

(٤) يعقوب بن إسحاق بن السكيت، يكنى أبا يوسف، وهو بغدادي نحوي، كان أبوه مؤدبا، فتعلم يعقوب وبرع في النحو واللغة، وله كتاب إصلاح المنطق، وله شعر جيد. ت ٢٤٤ . [من هامش العمدة ٢٦٥/١ و٢٦٦]. وفي جميع المخطوطات : "يعقوب السكيت" ، وزدت كلمة "بن" من حياة الحيوان ليستقيم الاسم .

(٥) ترجم له محمد ابن سلام في طبقات فحول الشعراء، بتحقيق محمود شاكر ٢٥٩/١، ٢٦٢/١.

(٦) في جميع المخطوطات : "فنقب نقبة" ، والتصحيح من حياة الحيوان .

(٧) في جميع المخطوطات : "نقبك" ، واعتمدت ما في حياة الحيوان .

(٨) في جميع المخطوطات : "ثم نقب" والتصحيح من حياة الحيوان .

(٩) في النسختين د ، ك : "نقبك" ، وسقطت الكلمة من نسخة الأصل م ، واعتمدتها من حياة الحيوان .

الكأس فأموت ، وأَمَارة ذلك أن يذهب إلى هذا الكوْم[1] فيبتلع عَظْمًا فيموت، قال: فذهب الغراب إلى الكوْم[2] فابتلع عَظْما فمات، ثم شرب أُمية الكأس فمات من حينه . انتهى .

قلت : ونقل صاحب حياة الحيوان[3] أن أُمية بن أبي الصَّلت مات كافرا، وهو مذكور في مختصر المزَني والمهذب وغيرهما في كتاب الشهادات، وسمع النبي (×) شعره الذي فيه حِكمة وإقرار بالوحدانية والبعث، واسم أبي الصَّلت عبد الله بن ربيعة بن عوف، وكان أمية يتعبد في الجاهلية، ويؤمن بالبعث، وينشد في ذلك الشعر الحسن، وأدرك الإسلام ولم يسلم.

وروى[4] التِّرمذي والنَّسائي وابن ماجه عن الشريد بن سويد رضي الله عنه قال رَدِفْت[5] رسول الله (×) فقال : **"هل معك من شعر أُمية بن أبي الصَّلت شيء[6]؟"** قلت : نعم ، فأنشدته بيتا ، فقال (×) : **هيه** ، فأنشدته بيتا ، فقال : هيه ، ثم أنشدته بيتا ، فقال هيه ، حتى أنشدته مائة بيت ، فقال (×) : **"إنْ كاد ليسلم"** ، وفي رواية : **"لقد كاد أن يسلم بشعره"** .

وإنما قال[7](×) ذلك لما سمع من قوله[8] :

---

(١) في جميع المخطوطات : "الكرم" والتصحيح من حياة الحيوان .

(٢) في جميع المخطوطات : "الكرم" والتصحيح من حياة الحيوان كالمرجع السابق .

(٣) حياة الحيوان الكبرى ٢٧٤/٣ .

(٤) هذا أيضا في حياة الحيوان الكبرى ٢٧٤/٣ و ٢٧٥ ، وتخريجه، في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفى سنة ٩٧٥ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩ م. ٨٦٠/٣ وكشف الخفاء ٢٠/١

(٥) في جميع المخطوطات : "أردفت" ، والتصحيح من حياة الحيوان .

(٦) في جميع المخطوطات : "شيئا" ، وهو خطأ ، والتصحيح من حياة الحيوان .

(٧) هذا في حياة الحيوان ٢٧٥/٣ .

(٨) البيت من [الطويل] ، وفي نسخة الأصل م والنسخة ك : ". . . و□ مجدا" ، وفي حياة الحيوان : "أعلى منك منك حمدا وأمجدُ" وما في النسخة د يوافق الديوان ١٧٥ .

لَـكَ الْحَمْـدُ وَالنَّعْمَـاءُ وَالْجُـودُ رَبَّنَـا فَـلاَ شَـيْءَ أَعْلَـى مِنْـكَ حَمْـدًا وَلاَ مَجْـدُ

[٣٦٤/ظ] وفي حديث[١] الدَّارمي من حديث عِكْرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : صدّق النبي (ﷺ) أمية بن أبي الصلت في أبيات من شعره في قوله[٢] :

زُحَـلٌ وَثَـوْرٌ تَحْـتَ رِجْـلِ يَمِينِـهِ وَالنَّسْـرُ لِلأُخْـرَى وَلَيْـثٌ يَرْصُـدُ[٣]

فقال (ﷺ) : صدق . فقال :

وَالشَّـمْسُ تَطْلُـعُ كُـلَّ آخِـرِ لَيْلَـةٍ حَمْـرَاءَ يُصْـبِحُ لَوْنُهَـا مُتَـوَرِّدُ[٤]

فقال النبي (ﷺ) : صدق .

تَأْبَى فَمَـا تَطْلُـعُ لَنَـا فِي رِسْـلِهَا إِلاَّ مُعَذَّبَـةً وَإِلاَّ تُجْلَـدُ

فقال النبي (ﷺ) : صدق .

قال السُّهيلي[٥] في "التعريف[٦] والإعلام" في قوله عز وجل: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾[٧] . قال ابن عباس : نزلت في بلعام بن باعوراء ، وقيل : نزلت في أمية بن أبي الصلت ، وكان قد قرأ التوراة

(١) وهذا من حياة الحيوان الكبرى ٢٧٥/٣، وفيه تخريجه. وفي حياة الحيوان: "وفي مسند الدارمي"، وهو الأصح.

(٢) البيت وما بعده من [الكامل] ، وهي في حياة الحيوان، وفي ديوان أمية بن أبي الصلت ١٨٥ و ١٨٦ مع بعض اختلاف .

(٣) في النسختين د ، ك : "رحل" بالراء المهملة ، وما في م يوافق حياة الحيوان ، وفي الديوان : "رجل" ، وهو خطأ ، وفي الديوان وحياة الحيوان : "وليث مرصد" .

(٤) في الديوان ومتن حياة الحيوان : "لونها يتورد" ، وما هنا يوافق ما جاء في هامش حياة الحيوان .

(٥) هذا من حياة الحيوان الكبرى ٢٧٦/٣ .

(٦) في نسخة الأصل م : "التعريض" ، وما في النسختين د ، ك يوافق حياة الحيوان .

(٧) سورة الأعراف، الآية: (١٧٥).

والإنجيل في الجاهلية ، وكان يعلم أنه سيبعث نبي من العرب ، فطمع أن يكون هو، فلما بُعث النبي (ﷺ) ، وصُرفت النبوة عن أمية حَسَده وكَفَر ، وهو أول مَن كتب : باسمك اللهم ، وعنه تعلمت قريش ، فكانت تكتب به في الجاهلية .

ولتعلُّم[١] أمية هذه الكلمة نبأ عجيب ذكره المسعودي[٢] ، وذلك أن أمية كان مصحوبا تبدو[٣] له الجن ، فخرج في عير لقريش ، فمرت بهم حية فقتلوها ، فاعترضت لهم حية أخرى تطلب بثأرها ، وقالت : قتلتم فلانا ، ثم ضربت الأرض بقضيب ، فنفرت الإبل ، فلم يقدروا على جمعها [٣٦٥/و] إلا بعد عناء شديد ، فلما جمعوها جاءت فضربت الأرض ثانية فنفّرتها، فلم يقدروا عليها، (إلا بعد نصف الليل ، ثم جاءت فضربت ثالثة ، فنفّرتها، فلم يقدروا عليها) [٤] حتى كادوا أن يهلكوا عطشا وعناءً ، وهم في مفازة لا ماء فيها، فقالوا لأمية هل عندك من حيلة[٥] ؟ قال : لعلها . ثم ذهب حتى تجاوز كثيبا، فرأى ضوء نار على بُعد فاتبعه حتى أتي على شيخ في خباء، فشكا إليه ما نزل به وبصحبه، وكان الشيخ جنيا ، فقال : اذهب فإن جاءتكم فقل : "باسمك اللهم" سبعا، فرجع إليهم، وهم قد أشرفوا على الهلكة ، فأخبرهم بذلك ، فلما جاءتهم الحية قالوا ذلك، فقالت : تَبًا لكم، مَن علّمكم هذا ؟ ثم ذهبت، وأخذوا إبلهم، وكان فيهم حرب بن أُمية بن عبدشمس جَدّ معاوية بن أبى سفيان، فقتله الجن بعد ذلك بثأر تلك الحية، وقالوا فيه[٦]:

---

(١) في حياة الحيوان ٢٧٦/٣ و ٢٧٧ .

(٢) في هامش حياة الحيوان تخريج عن مروج الذهب ٧٩/١ ، والأغاني ١٢٥/٤ و ١٢٦ ، والبداية والنهاية ٢٩٠/٣ ، والترويح ١٩٣/١ .

(٣) في جميع المخطوطات : "بمداولة" مكان "تبدو له" ، والتصحيح من حياة الحيوان .

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، وما في النسختين د ، ك يوافق حياة الحيوان .

(٥) في حياة الحيوان : "هل عندك من غناء أو حيلة" .

(٦) البيت من [الرجز] ، وما يزال يتكرر في كتب البلاغة ، دليلا على تنافر الكلمات، وهو من عيوب فصاحة الكلام.

وَقَـــبْرُ حَـــــرْبٍ بِمَكَـــانٍ قَفْـــرُ   وَلَـيْسَ قُــرْبَ قَــبْرِ حَــرْبٍ قَــبْرُ

وقد أسلمت عاتكة أخت أمية بن أبي الصلت هذا، وأخبرت عنه بخبر ذكره[(١)] عبدالرزاق في تَفسيره. انتهى .

وقول الناظم: فلم يشكوا، أي لم يخبروا، قال في المختار: شكا من باب عدا، يقال: شكا شَكَاءً[(٢)] وشكاية وشَكيّة وشَكاة بالفتح: أخبر عنه بسوءٍ فَعَله (به)[(٣)] ، فهو مشكوٌّ ومشكيٌ، والاسم الشكوى، وأشكاه فعل به فعلا أحوجه إلى أن يشكوه ، وأشكاه أيضا أعتبه من شكواه[(٤)] ، ونزع (عن)[(٥)] شكايته ، وأزاله عما يشكوه ، وهو من الأضداد . انتهى .

والسآمة: الملل، قال في القاموس: سئِمَ[(٦)] الشيءَ، ومنه كفَرِحَ سَأَمَاً، وسآمَةً: مَلَّ، فهو سئوم. انتهى.

والمعنى أن الأئمة القاطنين بأندلسٍ لحُسن رونقها، وهوائها، ولطافة [٣٦٥/ظ] أهلها ومائها لم يشكوا سآمة من إقامتهم بها .

قال الناظم :

هِـــي جَنَّـــةُ الـــدُّنْيَا الَّـــتِي   قَـــدْ أَذْكَـــرَتْ دَارَ الْمُقَامَــــةْ[(٧)]

(١) في نسخة الأصل م : "ذكر" بإسقاط الضمير من آخر الكلمة ، وما في النسختين د ، ك يوافق حياة الحيوان .

(٢) في النسختين د ، ك : "شكاشكا" ، وهذا وما في م ليس في المختار .

(٣) ما بين القوسين زيادة من المختار يتم بها القول .

(٤) في جميع المخطوطات : "شكوه" ، واعتمدت ما في المختار .

(٥) ما بين القوسين زيادة من المختار يتم بها القول .

(٦) في جميع المخطوطات : "سام" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٧) في نسخة الأصل م : ". . . دار الإقامة" ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفح والشرح الآتي بعد .

الضمير في "هي" عائد إلى الأندلس ، والجنَّة: الحديقة ذات النخيل والشجر ، شُبهت بالجنة لكثرة فواكهها ، ومياهها ، وخِصبها ، والدنيا بضم الدال على الأشهر على وزن فُعلى مقصورة غير منونة ، إذ هي غير منصرفة للوصفية ، ولزوم ألف التأنيث . وحكى ابن قتيبة وغيره كسر الدال من الدنو ، وهو القرب لسبقها الآخرة ، أو لدنوها إلى الزوال ، أو من الدَّناءة ، وهي الخِسّة ، قال الشاعر(١) :

أَعَافُ دُنْيَا تُسَمَّى مِنْ دَنَاءَتِهَا   دُنْيَا وَإِلاَّ فَمِنْ مَكْرُوهِهَا الدَّانِي

وحقيقتها جمعُ المخلوقات الموجودة قبل الآخرة ، وقيل الأرض مع الهواء والجوّ ، قال النَّووي : والأول أظهر ، وقد تستعمل منكرة ، واستشكل ذلك ؛ لأنها في الأصل مؤنث أَدْنى، أفعل تفضيل، فحقها أن تستعمل باللام(٢) كما هنا، نحو الكُبْرى ، والحُسْنى، وأُجيب بأن دنيا قُلعت عن الوصفية ، وأجريت مجرى ما لم يكن وصفا مما وزنه فُعلى اسما كرُجعى ، ومن ورودها منكرة مؤنثة قول الفَرَزْدَق(٣) :

لاَ تُعْجِبَنَّكَ دُنْيَا أَنْتَ تَارِكُهَا   كَمْ نَالَهَا مِنْ أُنَاسٍ ثُمَّ قَدْ ذَهَبُوا !(٤)

انتهى.

وقوله: قد أذكرت ألخ التذكر، والذِّكر، والذكرى ضد النِّسيان، نقول: ذكرته ذكرى، واجعله منك على ذِكر، وذُكر بضم الذال وكسرها بمعنى، والذِّكر الصيت والثناء. [٣٦٦/و]

(١) لم أعثر على البيت ، وهو من [البسيط] .

(٢) يقصد بالألف واللام .

(٣) هو همام بن غالب بن صعصعة، يكنى بأبي فراس، وإنما سمي الفرزدق لأنه شُبه وجهُه – وكان مدورا جهما – بالفرزدقة، وهي الخبزة، وقد وقعت بينه وبين جرير مهاجاة كبيرة. ت ١١٠هـ لسان الميزان ٨٧/٣ ، الوافي بالوفيات ٤٢٨/٧، الأعلام ٩٣/٨، وأخباره أكثر من أن يحاط بها في بحث.

(٤) ديوان الفرزدق ٩٦/١ وهو من [البسيط] ، وفي الديوان قيل عن القصيدة إنها تروى لنابغة بني شيبان .

والمراد بدار المقامة في البيت : الجنة ، وإنما سُميت الجنة دار المقامة لأن مَن دخلها يخلد ولا يموت ، ويقيم فيها لا يحول .

قال الناظم[1] :

لاَسِيَّمَا غَرْنَاطَةُ الْغَرَّاءُ رَائِقَةُ الْوَسَامَهْ

قد جرت عادة النحويين أن يذكروا "لاسيما" مع أدوات الاستثناء، مع أن الذي بعدها منبه على أوليته بما نسب بما قبلها، ويجوز في الاسم الذي بعدها الجر والرفع مطلقا، والنصب أيضا إذا كان نكرة، وقد رُوِي بالأوجه الثلاثة قوله[2]:

وَلاَسِيَّمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

والجر أرجحها، وهو على الإضافة، وما زائدة بينهما مثلها في: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[3] والرَّفْعُ على أنه خبر لمضمر محذوف وما موصولة أو نكرة موصوفة بالجملة، والتقدير : ولا مثل الذي هو يوم، أو ولا مثل شيء هو يوم، ويضعفه في نحو ولاسيما زيد، حذف العائد المرفوع مع عدم الطول، وإطلاق ما على من يعقل، وعلى الوجهين ففتحه "سيّ" إعراب؛ لأنه مضاف، والنصب على التمييز، كما يقع التمييز بعد مثل في نحو: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[4]، وما كافة عن الإضافة، والفتحة بناء مثلها في لا رجل، وأما انتصاب المعرفة نحو ولاسيما زيدا

(١) في النسختين د ، ك : "رحمه الله" .

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه ١٠ ، وهو من [الطويل] ، والمذكور عجز البيت وصدره : "ألا رب يوم لك منهن صالحٍ" .

(٣) سورة القصص، الآية: (٢٨).

(٤) سورة الكهف، الآية: (١٠٩).

فمنعه الجمهور، وتشديد يائها ودخول لا عليها ودخول الواو على لا واجب. قال ثَعْلَب: من استعمله على خلاف ما جاء في قوله: ولاسيما يوم فهو مخطئ، وذكر غيره أنها قد تخفف، وقد تحذف الواو على خلاف ما جاء في قوله: فِهْ بالعقود وبالإيمان لاسِيَّمَا عقد وفاؤه[١] من أعظم القُرَب، وهو عند الفارسي [٣٦٦/ظ] نصب على الحال، وعند غيره اسم للا التبرئة، وهو المختار، والله أعلم .

وغَرْناطة هنا مجرورة لعدم انصرافها، ويجوز رفعها على أنها[٢] خبر لمبتدأ محذوف ، ويمتنع نصبها على رأى الجمهور .

وغرناطة من أعظم كُوَر الأندلس بعد قُرطبة سعة وإحكاما ، وهي مدينة مُحدَثة ، وما كان مقصوده إلا البيرة ، فخربت وانتقل أهلها إلى غرناطة ، وحسن الصنهاجى هو الذي مَدَّنها وبيّن قصبتها وأسواقها وأسوارها ، ثم زاد في عمارتها ابنه باديس بعده ، وهي مدينة يشقها نهر الثلج المسمى سيدل ، وبدوه من جبل سمكين ، والثلج بهذا الجبل لا يبرح، وكانت غرناطة هذه منتهى الآمال ، ومطمح أنظار الكمّل من الرجال ، وواسطة قلادة الأمصار ، ولم تزل محاسنها مجلوة على ممر الدهور والأعصار ، وقد مدحها بعض الفصحاء بقوله[٣] :

غَرْنَاطَــــةُ مَــــا لَهَــــا نَظِــــيرُ ... مَــا مِصْــرُ مَــا الشَّــامُ مَــا الْعِــرَاقْ

مَــــا هِــــي إِلاَّ الْعَــــرُوسُ تُجْلَــــى ... وَجُمْلَــــةُ ٱلأَرْضِ فِي الصَّــــدَاقْ

وقال بعضهم ولقد أجاد[٤]:

(١) في جميع المخطوطات : "وفائه" ، وصححته بما يناسب السياق .

(٢) في نسخة الأصل م : "أنه" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٣) البيتان من [مخلع البسيط] ، وهما في النفح١/١٤٨ ،وفيهما إقواء.

(٤) الأبيات ضمن قصيدة طويلة جدا لابن زمرك في نفح الطيب ١٧١/٧ وما بعدها ، والأبيات من [البسيط] .

يَا مَــــنْ تَحِــــنُّ إِلَى نَجْــــدٍ وَنَادِيهَــــا ... غَرْنَاطَــةُ قَــدْ ثَــوَتْ نَجْــدٌ بِوادِيهَــا[(١)]

قِــفْ بِالسَّــبِيكَةِ وَانْظُــرْ مَـا بِسَـاحَتِهَا ... عَقِيلَـــةٌ وَالْكَثِيـــبُ الْفَـــرْدُ جَالِيهَـــا

تَقَلَّــدَتْ بِوِشَــاحِ النَّهْــرِ وَابْتَسَــمَتْ ... أَزْهَارُهَـــا وَهْـــيَ حَلْـــيٌ فِي تَرَاقِيهَـــا[(٢)]

وَأَعْـــيُنُ النَّـــرْجِسِ الْمَطْلُـــولِ يَانِعـــةٌ ... تَرَقْـــرُقُ الطَّـــلِّ دَمْعًـــا فِي مَآقِيهَـــا[(٣)]

وَافْـــتَرَّ زَهْـــرُ أَقَـــاحٍ مِـــنْ أَزَاهِرِهَـــا ... مُقَـــبِّلاً خَـــدَّ وَرْدٍ مِـــنْ نَوَاحِيهَـــا[(٤)]

كَأَنَّمَـــا الزَّهْـــرُ فِي حَافَاتِهَـــا سَـــحَرَا ... دَرَاهِـــمُ وَالنَّسِـــيمُ الرَّطْـــبُ يَجْنِيهَـــا[(٥)]

وَانْظُــرْ إِلَى الــدَّوْحِ وَالأَنْهَــارُ تَكْنُفُهَــا ... مِثْـــلَ الُّلجَـــيْنِ يَمْشِـــى فِي سَـــوَاقِيهَا[(٦)]

[٣٦٧/و] كَمْ حَوْلَهَا مِنْ بُدُورٍ تَجْتَنِي زَهَرَا ... فَتَحْسِـــبُ الزَّهْــرَ قَــدْ قَــبَّلْنَ أَيْــدِيهَا[(٧)]

حَصْــبَاؤُهَا لُؤْلُــؤٌ قَــدْ شَــفَّ جَوْهَرَهَــا ... وَالنَّهْــرُ قَــدْ سَــالَ ذَوْبًا مِــنْ لآلِيهَــا[(٨)]

يَزِيــدُ حُسْــنًا عَلَــى نَهْــرِ الْمَجَــرَّةِ قَــدْ ... أَغْنَــاهُ دُرُّ حَبَــابٍ عَــنْ دَارَرِيهَــا[(٩)]

---

(١) في جميع المخطوطات : "نجدا" بالنصب، والتصحيح من النفح .

(٢) في جميع المخطوطات : ". . . في مراقيها" ، والتصحيح من النفح .

(٣) في جميع المخطوطات : "في أماقيها" ، والتصحيح من النفح .

(٤) في نسخة الأصل م : "في نواحيها" ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفح .

(٥) في نفح الطيب : ". . . والنسيم اللدن" .

(٦) في جميع المخطوطات: "إلى الدوح والأزهار"، واعتمدت ما في النفح، وفي النفح جاء الشطر الثاني هكذا: "مثل الندا في سواقيها سواقيها"، وفي جميع المخطوطات: "تمشى" بالمثناة الفوقية، وصححتها بما يناسب السياق.

(٧) في جميع المخطوطات : "كم حولها من زهور" ، واعتمدت ما في النفح .

(٨) في نسخة الأصل م : "قد سال ذربا" ، وفي النسختين د ، ك : "قد سال درًّا" ، واعتمدت ما في النفح .

(٩) في جميع المخطوطات : "على زهر المجرة" ، والتصحيح من النفح .

إِنَّ الْحِجَــــازَ مَغَانِيــــهِ بِأَنْــــدَلُسٍ أَلْفَاظُهَــا طَابَقَــتْ مِنْهَــا مَعَانِيهَــا[١]

فَتِلْــكَ نَجْــدٌ سَــقَاهَا كُــلُّ مُنْسَــجِمٍ مِــنَ الْغَمَــامِ يُحَيِّيهَــا فَيُحْيِيهَــا[٢]

وَإِن أَرَدْتَ تَــرَى وَادِي الْعَقِيــقِ فَــرِدْ دُمُــوعَ عُشَّــاقِهَا حُمْــرًا جَوَارِيهَــا

وَلِلسَّــبِيكَةِ تَاجٌ فَــوْقَ مَفْرِقِهَــا تَــوَدُّ دُرُّ الــدَّرَارِى لَــوْ تُحَلِّيهَــا

كَــأَنَّ حَمْرَاءَهَــا وَاللهُ يَكْلَؤُهَــا يَاقُوتَــةٌ فَــوْقَ ذَاكَ التَّــاجِ يُعْلِيهَــا[٣]

بُرُوجُهَــا لِــبُرُوجِ ٱلْأُفْــقِ مُخْجِلَــةٌ فَشِــبْهُهَا فِي جَمَــالٍ لاَ تُضَــاهِيهَا[٤]

تِلْـكَ الْقُصُـورُ الَّـتِي رَاقَـتْ مَظَاهِرُهَـا تَهْــوِى النُّجُــومُ قُصُــورًا عَــنْ مَعَالِيهَــا

لِلَّهِ لِلَّهِ عَيْنَــا مَـــنْ رَأَى سَـــحَرًا تِلْــكَ الْمَنَــارَةُ قَــدْ رَقَّــتْ حَوَاشِــيهَا

وَالصُّبْحُ فِي الشَّرْقِ قَدْ لاَحَتْ بَشَائِرُهُ وَالشُّــهْبُ تَسْــتُرُ سَــيْفًا فِي مَجَارِيهَــا

تَهْــوِى إِلَى الْغَــرْبِ لَمَّــا غَالَهَــا سَــحَرٌ وَغَمَّــضَ الْفَجْــرُ مِــنْ أَجْفَــانِ وَاشِــيهَا[٥]

وَسَــاجِعُ الْعُــودِ فِي كَــفِّ النَّــدِيمِ إِذَا مَـا اسْـتَوْقَفَتْ سَـاجِعَاتُ الطَّـيْرِ يُقْرِيهَـا[٦]

---

(١) في نسخة الأصل م : "ألفاظها طبقت" ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفح .

(٢) في جميع المخطوطات : "فتلك نجم" ، والتصحيح من النفح .

(٣) في النفح: "فإن" مكان "كأن"، وفي جميع المخطوطات: "قمراؤها" مكان "حمراءها"، واعتمدت ما في النفح.

(٤) في جميع المخطوطات : "بروجها كبروج . . ." ، واعتمدت ما في النفح .

(٥) في جميع المخطوطات : ". . . عالها سحرا . . ." ، واعتمدت ما في النفح .

(٦) في النفح : ". . . الطير يغريها" ، وفي النسختين د ، ك : "تقريها" .

فَبَــاكِرِ الــرَّوْضِ وَالأَغْصَــانُ مَائِلَــةٌ   يَثْــنِي النُّفُــوسَ لَهَــا شَــوْقًا تَثَنِّيهَــا

لَمْ يَـرْقُصِ الـدَّوْحُ بِالأَكْمَـامِ مِـنْ طَـرَبٍ   حَـتَّى شَـدَا مِـنْ قِيَـانِ الطَّـيْرِ شَـادِيهَا

وَأَسْمَعَتْهَــا فُنُــونَ السِّــحْرِ مُبْدِعَــةً   وُرْقُ الحَمَــــامِ وَغَنَّاهَــــا مُغَنِّيهَــــا

غِرْنَاطَــةٌ أَمَّــنَ الــرَّحْمَنُ سَــاكِنَهَا   بَاحَــتْ بِسِــرِّ مَعَانِيهَــا أَغَانِيهَــا[1]

أَعْــدَى نَسِــيْمُهُمُ لُطْفًــا نُفُوسَــهُمُ   فَرِقَّــةُ الطَّبْــعِ طَبْــعٌ مِنْــهُ يُعْــدِيهَا

فَخَلَّــــدَ اللهُ أَيَّامَ السُّـــــرُورِ بِهَــــا   صُــــفْرًا عَشِــيَّتُهَا بِيْضًــا لَيَالِيهَــا

وهي طويلة ، اقتصرنا منها على هذا المقدار لتسرح في رياض [٣٦٧/ظ] محاسنها الأنظار .

ومن أجَلِّ أئمتها المشهورين بالبلاغة والآداب الجيدة المصاغة العلاَّمة أَثير الدين أبوحَيان[2] ، فريد العصر والأوان ، وشيخ الزمان، وله الموشحات البديعة، وهو ثبت فيما ينقله، محرر لما يقوله، عارف باللغة، ضابط للألفاظ، وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما، لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في العربية ، وله اليد الطُّولَى في التفسير والحديث والشروط والفروع، وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم ، خصوصا المغاربة ، فمن كلامه الرائق البديع قوله[3] :

---

(١) في النفح : "غرناطة آنس . . ." .

(٢) أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الغرناطي، شيخ النحاة بالديار المصرية، وشيخ المحدِّثين بالمدرسة المنصورية، وسمع الحديث بجزيرة الأندلس، وبلاد إفريقية، وثغر الإسكندرية، وبلاد = = مصر والحجاز. ت ٧٤٥هـ [من نفح الطيب ٥٣٥/٢ وفوات الوفيات ٧١/٤] ، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، باب حرف الميم. وفي النجوم الزاهرة في أحداث عام ٧٤٥ وهي السنة الثالثة من سلطنة الصالح إسماعيل.

(٣) البيتان في نفح الطيب ٥٤٦/٢ ، وفوات الوفيات ٧٢/٤ ، وهما من [الخفيف] .

سَـــبَقَ الـــدَّمْعُ بِالْمَسِـــيرِ الْمَطَـــايَا إِذْ نَـــوَى مَـــنْ أُحِـــبُّ عَـــنِّيَ نُقْلَـــهْ

وَأَجَـــادَ السُّـــطُورَ فِي صَـــفْحَةِ الْخَـــدْ دِ وَلَمْ لاَ يُجِيـــدُ وَهْـــوَ ابْـــنُ مُقْلَـــهْ

ومن كلامه أيضا(١) :

يَقُـــــولُ لِيَ الْعَـــــذُولُ وَلَمْ أُطِعْـــــهُ تَسَـــلَّ فَقَـــدْ بَـــدَا لِلْحِـــبِّ لِحْيَـــهْ

تَخَيَّـــلَ أَنَّهَـــا شَـــانَتْ حَبِيـــبِي وَعِنْـــدِي أَنَّهَـــا زَيْـــنٌ وَحِلْيَـــهْ

ومن كلامه(٢) :

شَـوْقِي لِـذَاكَ الْمُحَيَّـا الزَّاهِـرِ الزَّاهِـي شَوْقِي شَـدِيدٌ وَجِسْـمِي الْـوَاهِنِ الْـوَاهِي

أَسْـهَرْتُ طَـرْفِي وَوَلَّهْـتُ الْفُـؤادَ هَـوًى فَـالطَّرْفُ وَالْقَلْـبُ مِـنِّي السَّـاهِرُ السَّـاهِي

نَهْبَـتَ قَلْـبِي وَتَنْهَـى أَنْ يَبُـوحَ بِمَـا تَلْقَـى وَأَشْـوَاقُهُ لِلنَّاهِـبِ النَّـاهِي(٣)

بَهَـرْتَ كُـلَّ مَلِـيحٍ بِالْبَهَـاءِ فَمَـا فِي النَّـيِّرَيْنِ شَـبِيهُ الْبَـاهِرِ الْبَـاهِي

لَهَجْـتَ بِالْحُـبِّ لَمَّـا أَنْ لَهَـوتَ بِـهِ عَـنْ كُـلِّ شَـيءٍ فَـوَيْحَ اللَّاهِـجِ اللَّاهِـي

ومن كلامه أيضا(٤) :

أَسِـحْرٌ لِتِلْـكَ الْعَيْنِ فِي الْقَلْـبِ أَمْ وَخْـزُ وَلِـيْنٌ لِـذَاكَ الْجِسْـمِ فِي اللَّمْـسِ أَمْ خَـزُّ

(١) هما في نفح الطيب ٥٣٣/٢ ، وفوات الوفيات ٧٣/٤ ، وهما من [الوافر] .
(٢) الأبيات في نفح الطيب ٥٥٣/٢ ، وفوات الوفيات ٧٣/٤ ، وهي من [البسيط] .
(٣) في النفح والفوات : "يلقى أشواقه . . ." .
(٤) الأبيات في نفح الطيب ٥٥٤/٢ ، وهي من [الطويل] .

وَأُمْلُــودُ ذَاكَ الْقَــدِّ أَمْ أَسْمَــرٌ غَــدَا   لَــهُ أَبَــدًا فِي قَلْــبِ عَاشِــقِهِ هَــزُّ

[٣٦٨/و] فَتَـاةٌ كَسَـاهَا الْحُسْـنُ أَفْخَـرَ   فَصَــارَ عَلَيْــهِ مِــنْ مَلاَبِسِــهِ طَــرْزُ

وَأَهْــدَى إِلَيْهَــا الْغُصْــنُ لِــينَ قَوَامِــهِ   فَمَــاسَ كَــأَنَّ الْغُصْــنَ خَــامَرَهُ الْعِــزُّ

يَضُــوعُ أَدِيمُ الْأَرْضِ مِــنْ نَشْــرِ طِيبِهَــا   وَيَخْضَــرُّ فِي آثَارِهَــا تُرْبُــهُ الْجُــرزُ[(١)]

وَتَخْتَــالُ فِي بُــرْدِ الشَّــبَابِ إِذَا مَشَــتْ   فَيُنْهِضُــهَا قَــدٌّ وَيُقْعِــدُهَا عَجْــزُ[(٢)]

أَصَــابَتْ فُــؤَادَ الصَّــبِّ مِنْهَــا بِنَظْــرَةٍ   فَــلاَ رُقْيَــةٌ تُجْـدِي الْمُصَــابَ وَلاَ حِــرْزُ

وأنشد أيضا في مليح أبرص[(٣)] :

وَقَـالُوا الَّـذِي قَـدْ صِـرْتَ طَـوْعَ جَمَالِـهِ   وَنَفْسُــكَ لاَقَــتْ فِي هَــوَاهُ نِزَاعَهَــا

بِــهِ وَضَــحٌ تَأْبَاهُ نَفْــسُ أَخِــي الْحِجَــا   وَأَقْطَــعُ دَاءٍ مَــا يُنَــافِي طِبَاعَهَــا[(٤)]

فَقُلْــتُ لَهُــمْ لاَ عَيْــبَ فِيــهِ يَشِــينُهُ   وَلاَ عِلَّـــةٌ فِيـــهِ يَـــرُومُ دِفَاعَهَـــا

وَلَكِنَّهَــا شَمْــسُ الضُّــحَى حِــينَ قَابَلَــتْ   مَحَاسِــــنَهُ أَلْقَــتْ عَلَيْــهِ شُــعَاعَهَا

وله في غلام فَحَّام[(٥)] :

وَعُلِّقْتُــهُ مُسْــوَدَّ عَــيْنٍ وَوَفْــرَةٍ   وَثَـوْبٍ يُعَـانِي صَـنْعَةَ الْفَحْـمِ عَـنْ قَصْـدِ

---

(١) في نسخة الأصل م : "ويحضر" بالحاء المهملة ، وهو تصحيف ، وفي النفح : "ويخضر من آثار تربتها الجرز" .
(٢) في النفح : ". . . في برد الشباب إذا مضت" .
(٣) الأبيات في نفح الطيب ٥٥٥/٢ ، وهي من [الطويل] .
(٤) في النفح : ". . . تأباه نفس أولى النهى" .
(٥) البيتان في نفح الطيب ٥٥٥/٢ ، وفوات الوفيات ٧٤/٤ ، وهما من [الطويل] .

كَــأَنَّ خُطَــوطَ الْفَحْــمِ فِي وَجَنَاتِــهِ ... لَطَاخَــةُ مِسْــكٍ فِي جَــنِيٍّ مِــنَ الْــوَرْدِ

وله في مليح أعمى[1] :

مَـا ضَـرَّ حُسْـنَ الَّـذِي أَهْـوَاهُ أَنَّ سَـنَا ... كَرِيمَتَيْــهِ بِــلاَ شَــيْنٍ قَــدِ احْتَجَبَــا[2]

قَــدْ كَانَتَــا زَهْــرَتَيْ رَوْضٍ وَقَــدْ ذَوَتَا ... لَكِــنَّ حُسْـنَهُمَا الْفَتَّــانَ مَــا ذَهَبَــا[3]

كَالسَّـيْفِ قَـدْ زَالَ عَنْـهُ صَـقْلُهُ فَغَـدَا ... أَنْكَــى وَآلَمَ فِي قَلْــبِ الَّــذِي ضُــرِبَا

وله[4] :

سَــأَلَ الْبَــدْرُ هَــلْ تَبَــدَّى أَخُــوهُ ... فَقُلْــتُ يَا بَــدْرُ لَــنْ يُطِيــقَ طُلُوعَــا[5]

كَيْــفَ يَبْــدُو وَأَنْــتَ يَا بَــدْرُ بَادٍ ... أَوَ بَــدْرَانِ يَطْلُعَــانِ جَمِيعَــا ؟ !

ومن كلامه[6] :

عُــدَاتِى لَهُــمْ فَضْــلٌ عَلَــيَّ وَمِنَّــةٌ ... فَــلاَ أَذْهَــبَ الــرَّحْمَنُ عَــنِّي الْأَعَــادِيَا

فَهُــمْ بَحَثُــوا عِــنْ زَلَّــتِي فَاجْتَنَبْتُهَــا ... وَهُــمْ نَافَسُــونِي فَاكْتَسَــبْتُ الْمَعَالِيَــا[7]

---

(١) الأبيات في نفح الطيب ٥٤٧/٢ ، وهي من [البسيط] .

(٢) في جميع المخطوطات : ". . . أهواه أن ساءتا كريمتيه" [كذا] ، واعتمدت ما في النفح .

(٣) في جميع المخطوطات : "قد كانتا زهرتا" [كذا] ، والتصحيح من النفح .

(٤) البيتان في النفح ٥٥٥/٢ ، وهما من [الخفيف] .

(٥) في النفح : ". . . لن تطيق طلوعا" ، وما هنا أحسن لسياق البيت الآتي .

(٦) البيتان في نفح الطيب ٥٣٦/٢ ، وفوات الوفيات ٧٤/٤ ، وهما من [الطويل] .

(٧) في المصدرين المذكورين : "هُمُ بحثوا . . ." ، وكلاهما صحيح .

[٣٦٨/ظ] ومن كلامه[١] :

أَلاَ مَـــا لَهَـــا لَحْظًـــا بِقَلْـــبِي عَوَابِثَـــا ... أَظُـــنُّ بِهَـــا هَـــارُوتُ أَصْـــبَحَ نَافِثَـــا[٢]

إِذَا رَامَ ذُو وَجْـــدٍ سُـــلُوًّا مَنَعْنَـــهُ ... وَكُـــنَّ عَلَـــى دِيـــنِ التَّصَـــابِي بَوَاعِثَـــا

وَقَيَّـدْنَ مَـنْ أَضْـحَى عَـنِ الْحُبِّ مُطْلَقًـا ... وَأَسْـرَعْنَ لِلْبَلْـوَى بِمَـنْ كَـانَ رَائِثَـا[٣]

بِرُوحِـي رَشًـا مِـنْ آلِ خَاقَـانَ رَاحِـلٌ ... وَإِنْ كَـانَ (مَـا) بَـيْنَ الْجَـوَانِحِ لاَبِثَـا[٤]

غَـدَا وَاحِـدًا فِي الْحُسْـنِ لِلْفَضْـلِ ثَانِيًـا ... وَلِلْبَـدْرِ وَالشَّـمْسِ الْمُنِـيرَةِ ثَالِثَـا

وله في غلام مليح أسود[٥] :

عُلِّقْتُـهُ سَـبَجِيَّ اللَّـوْنِ حَالِكَـهُ ... مَا ابْيَضَّ مِنْهُ سِوَى ثَغْرٍ حَكَى الدُّرَرَا[٦]

قَـدْ صَـاغَهُ مِـنْ سَـوَادِ الْعَـيْنِ خَالِقُـهُ ... فَكُـلُّ عَـيْنٍ إِلَيْـهِ تَقْصِـدُ النَّظَـرَا[٧]

ومن كلامه أيضا[٨] :

---

(١) الأبيات في نفح الطيب ٥٥٤/٢ ، وهي من [الطويل] .

(٢) في نفح الطيب : "أ إن ألحاظا . . ." ، وهو أحسن في رأيي .

(٣) في جميع المخطوطات : "بمن كان رابثا" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) ما بين القوسين في الشطر الثاني زيادة من النفح يتم بها البيت .

(٥) البيتان في نفح الطيب ٥٣٦/٢ ، وهما من [البسيط] .

(٦) في جميع المخطوطات : ". . . سبحي اللون" بالحاء المهملة ، واعتمدت ما في النفح ، وفي النفح : "قادحه" مكان "حالكه" .

(٧) في جميع المخطوطات : "وكل عين" ، واعتمدت ما في النفح .

(٨) لم أعثر عليهما ، وهي من [الكامل] .

شَـرُفَ الْحَرِيـرُ بِأَنْ غَـدَا لَـكَ مَلْبَسَـا ... يَا شَـادِنًا يَحْكِـى الـرِّيَاضَ الْمُؤْنِسَـا[١]

يَا سَـيِّدًا مَـا ازْدَادَ مِـنِّي وَحْشَـةً ... إِلاَّ وَزَادَ الْقَلْـبُ فِيـهِ تَأَنُّسَـا

طَاشَـتْ عُقُـولُ النَّـاسِ لَمَّـا أَنْ غَـدَا ... يَمْشِـى هُوَيْنَـا فِي قِبَـاءٍ أَطْلَسَـا[٢]

مُتَسَـنِّمٌ عَـنْ نَفْحَـةٍ مِسْـكِيَّةٍ ... مُتَبَسِّـمٌ عَـنْ أَشْـنَبٍ فِي الْعَسَـا[٣]

هُـوَ ثَالِـثُ الْقَمَـرَيْنِ وَهْـوَ أَتَمُّهَـا ... نُـورًا وَأَبْعَـدُهَا مَـدًى أَنْ يُلْمَسَـا

إِنَّ التَّفَـاوُتَ فِي الْعُلُـوّ لَمُوضِـحٌ ... مَـنْ كَـانَ أَعْلَـى فِي الْمَنَـازِلِ مَجْلِسَـا

فَالْبَـدْرُ فِي أُولَى السَّـمَا وَالشَّـمْسُ فِي الْـ ... ـوُسْـطَي وَمَـنْ أَهْـوَاهُ حَـلَّ الْأَطْلَسَـا

وله[٤] :

قَـدْ سَـبَانِي فِي بَـنِي الـتُّرْكِ رَشًـا ... جَـوْهَرِيُّ الثَّغْـرِ مِسْـكِيُّ الـنَّفَسْ

قَـدْ حَكَـى شَمْسًـا وَغُصْـنًا وَنَقًـا ... فِي ابْـتِلاَجٍ وَارْتِجَـاجٍ وَمَـيَسْ[٥]

ضَـيِّقُ الْعَيْنَـيْنِ تُرْكِيُّهُمَـا ... وَاسِـعُ الْوَجْنَـةِ خَـزِّيُّ الْمَجَـسْ

نَاظِـرِي لِلْـوَرْدِ مِنْـهُ غَـارِسٌ ... مَـا لَـهُ لاَ يَجْتَـنِي مِمَّـا غَـرَسْ

---

(١) في نسخة الأصل م : "يا شاذنا" بالذال المعجمة ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفح .

(٢) في النسختين د ، ك : "طلست عقول" .

(٣) [كذا] جاء الشطر الثاني في جميع المخطوطات ولم أهتد إلى صوابه .

(٤) لم أعثر على الأبيات ، وهي من [الرمل] .

(٥) في نسخة الأصل م : "وعصنا وتقا" وهو تصحيف .

أَصْــبَحَتْ عَقْــرَبُ صُــدْغَيْهِ مَعًــا   لِجَــنِيِّ الْــوَرْدِ فِي الْخَــدِّ حَــرَسْ[1]

[٣٦٩/و] وَغَــدَا ثُعْبَــانُ دَبُّوقَيَــهِ   مَــائِلاً فِي عِطْفِــهِ مَهْمَــا ارْتَجَــسْ

لَســتُ أَخْشَــى سَــيْفَهُ أَوْ رُمْحَــهُ   إِنَّمَــا أَرْهَــبُ لَحْظًــا قَــدْ نَعَــسْ

إِخْتَلَسْــنَا بَعْــدَ هَجْــرٍ وَصْــلَهُ   إِنَّ أَهْنَــا الْوَصْــلِ مَــا كَــانَ خُلَــسْ

لَسْــتُ أَنْسَــاهُ وَقَــدْ أَطْلَــعَ مِــنْ   رَاحَــةٍ شَمْسًــا أَضَــاءَتْ فِي الْغَلَــسْ

لَمَــسَ الْكَــاسَ لِكَــيْ يَشْــرَبَهَا   فَاعْتَرَتْــهُ هِــزَّةٌ لَمَّــا لَمَــسْ

ثُمَّ أَدْنَى جَــوْهَرًا مِــنْ جَــوْهَرٍ   وَتَحَسَّــي الْكَــأْسَ فِي فَــرْدِ نَفَــسْ

وَغَــدَا يَمْسَــحُ بِالْمِنــدِيلِ مَــا   أَبْقَــتِ الْخَمْــرَةُ فِي ذَاكَ اللَّعَــسْ

عَجَبًــا مِنْهَــا وَمِنْــهُ قَهْقَهَــتْ   إِذْ حَسَــاهَا وَهْــوَ مِنْهَــا فِي عَــبَسْ

ومن كلامه أيضا[2] :

لاَ وَنَــوْمُ الرَّقِيــبِ وَقْــتَ التَّلاَقِــي   وَاتِّحَــادُ الاِثْنَــيْنِ بِالاِعْتِنَــاقِ[3]

وَارْتِضَــاعُ الْغَمِــينِ مِــنْ بَــرْدِ رِيــقٍ   طَيِّــبٌ طَعْمُــهُ لَذِيــذُ الْمَــذَاقِ[4]

---

(١) في نسخة الأصل م : "في الحد . . ." بالحاء المهملة ، وهو تصحيف ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٢) في النسخة د : "وله" ، وفي النسخة ك : "وله رحمه الله" .

(٣) لم أعثر على الأبيات ، وهي من [الخفيف] .

(٤) [كذا] في جميع المخطوطات : "وارتضاع الغمين" ، و[illegible] أدرى ما هي .

وَعِتَـــابٌ خِلاَلَـــهُ ضَـــحِكَاتٌ لاَ عِتَـــابُ الْقُطُـــوبِ وَالْإِطْـــرَاقِ

وَحَبِيْـــبٌ أَتَـــى عَلَـــى غَـــيْرِ وَعْـــدٍ يَنْقُـــرُ الْبَـــابَ بَعْـــدَ طُـــولِ فِـــرَاقِ

لاَ أَطَعْـــتُ الْعَـــذُولَ فِي لَـــذَّةِ الْكَـــا سِ وَلاَ لُمْـــتُ عَاشِـــقًا فِي اشْـــتِيَاقِ

بَانَ عَنْـــهُ حَبِيبُـــهُ فَهْـــوَ حِـــيٌّ كَـــابْنِ مَيْـــتٍ مَـــا إِنْ لِبَلْـــوَاهُ رَاقِـــي

فَهْـــوَ فِي مَـــاءِ دَمْعِـــهِ فِي ابْـــتِلاَلٍ وَهْـــوَ مِـــنْ حَـــرِّ وَجْهِـــهِ فِي احْـــتِرَاقِ

وقول الناظم : الغراء أصله الغُرّة : بياض في جبهة الفَرس ، ثم استعير لكل أبيض وضاح كما تقدم ، والرائق – كما في القاموس – الخالص . والوسامة : أثر الحسن كما في القاموس أيضا . انتهى .

قال الناظم[(١)] :

وَهِـــيَ الَّـــتِي دُعِيَـــتْ دِمَشْـــ ـــقُ وَحَسْـــبُهَا هَـــذَا فَخَامَـــهْ

[٣٦٩/ظ] والضمير في "هي" عائد لغرناطة، ودُعيت: سميت، يتعدى لمفعوله تارة بالباء، وتارة بنفسه. قال في القاموس[(٢)]: دعوته زيد وبزيد، سمّيته به ، ودمشق كحِضَجْر بكسر الدال وفتح الميم ، وقد تكسر ميمه أيضا : قاعدة الشام ، سميت ببانيها دمشاق بن كَنعان ، كما قال في القاموس أيضا[(٣)] ، وهي جنة الأرض كما أجمعت عليها أرباب الكمال من السواح ، وريحان الدنيا التي على مثلها يُبكى ويُناح ، برحت طيبة العرار والبشام ،

---

(١) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٢) القاموس (دعا).

(٣) القاموس / دمشق.

سالمة من طوارق الليالي والأيام ، وهي عروسة الدنيا من عهد أن دخلتها[1] العرب ، وموطن كل أديب لك فيه أرب ، قد أنجبت في كل عصر وأوان بقادةٍ كل كلمة منهم بديوان ، فهم أئمة الفضل المتوجون بتيجان الكمال واللطافة ، وسادات الأدب منبع المعارف والظرافة ، إن رأى أدناهم البُحتري أو أبو تمام[2] قال : تالله إن مثلي لا يصلح أن يكون له غلام ، بهم تفضل أهل البلاد فتصعد إلى أفق الثريا ، وبهم يُمسى بستان الفكر بعد ظمئه ريا ، ماذا أقول في بلدة سارت بمدحها الركبان ، ولم يختلف على[3] حسنها اثنان ، فما قاله الأديب في "نفحة[4] الحانة وطلاء الريحانة" : هي[5] خطة السرور والفرح ، وحِلة القِدْح والقدح ، ومنى الأماني ومغنى الأغاني ، وقِبلة القبول ، وشملة الشَّمول ، البلدة الفَيْحاء دمشق ، طيبة[6] العَرْف والنشْق ، لا زال خفاق النسيم يلعب بعذبات واديها ، وهطال السحاب يراوح دِمْنتَها ويغاديها ، أديبها[7] يهز له الأدب هِيف معاطفه.

[٣٧٠/و] وأريبها[8] يهديه الندى بساط معارفه ، يرمون عندهم هدر الشقاشق[9] في حدق البيان، ويصيبون بالكَلِم الرواشق غرض البيان، ويتنافسون من السحر في المناظم، وما يتصرفون فيه إلا على ذائقة الأعاظم، وما منهم إلا من بطش فيما انتحى بباع بسيط، ولم

(١) في جميع المخطوطات : "من عهد أن دخلتها العرب" والأحسن "دخلها" .

(٢) في نسخة الأصل م : "أو أبا تمام" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٣) في نسخة الأصل م كتب فوق الحرف "على" الحرف "في" .

(٤) [كذا] في جميع المخطوطات ، أما اسم الكتاب المطبوع فهو نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة .

(٥) في نفحة الريحانة ٥/١ وما بعدها .

(٦) في النفحة : "الطيبة العرف" ، وهو أحسن في رأيي .

(٧) في النفحة : "أديبهم" بعد كلام يوافق ذلك .

(٨) في النفحة : "وأريبهم يمد به الندى بساط عواطفه ، يرمون عند هدر . . ." .

(٩) الشقائق جمع شقشقة : وهي شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه .

يزغ[1] عن موقف الصواب مقدار فسيط[2] .

وكثيرا ما مدحها الأدباء أولو الفصاحة بقصائد ، فمن ذلك قول شرف الدين[3] ابن عُنَيْن يمدح العزيز سيف الإسلام صاحب اليمن من قصيدة مطولة[4]:

دِمَشْقُ بِنَا شَوْقٌ إِلَيْهَا مُبَرِّحٌ وَإِنْ لاَمَ وَاشٍ أَوْ أَلَحَّ عَذُولُ[5]

بِلاَدٌ بِهَا الْحَصْبَاءُ دُرٌّ وَتُرْبُهَا عَبِيرٌ وَأَنْفَاسُ الشَّمُولِ شَمُولُ

تَسَلْسَلَ فِيهَا مَاؤُهَا وَهْوَ مُطْلَقٌ وَصَحَّ نَسِيمُ الرَّوْضِ وَهْوَ عَلِيلُ

فَيَا حَبَّذَا الرَّوْضُ الَّذِي دُونَ عِزَّتَا سُحَيْرًا إِذَا هَبَّتْ عَلَيْهِ قَبُولُ[6]

وَيَا حَبَّذَا الْوَادِي إِذَا مَا تَدَفَّقَتْ جَدَاوِلُ بَانَاسَ إِلَيْهِ تَسِيلُ

وَفِي كَبِدِي مِنْ قَاسِيُونَ حَرَارَةٌ تَزُولُ رَوَاسِيهِ وَلَيْسَ يَزُولُ

---

(١) في النفحة : "ولم يزل" .

(٢) في جميع المخطوطات : "قسيط" بالقاف ، والتصحيح من النفحة . والفسيط : قلامة الظفر .

(٣) هو أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عُنَين الأنصاري ، الملقب شرف الدين ، كان خاتمة الشعراء ، لم يأت بعده مثله ، و[illegible] كان في أواخر عصره من يقاس به ، وكان مولعا بالهجاء ، وثلب أعراض الناس ، وقد نفاه السلطان صلاح الدين بسبب وقوعه في أعراض الناس . ت ٦٣٠هـ [من وفيات الأعيان ١٤/٥ وما بعدها] .

(٤) الأبيات الثلاثة الأولى في نفح الطيب ٩٧/١ ، وهي من [الطويل] .

(٥) في نسخة الأصل م : "دمشق في شوق . . ." وفي النسختين د ، ك : ". . . بنى شوق" ، وصححته بما هو موجود ، فأرجو أن أكون قد وفقت .

(٦) في النسختين د ، ك : "الذي دون عزنا" ، و[illegible] أدرى ما هما .

وابن الخياط الدمشقي[1]:

لِرَبْوَتِنَــا وَادٍ حَــوَى كُــلَّ بَهْجَــةٍ وَعَـيْشُ الْـوَرَى يَحْلُـو لَدَيْـهِ وَيَعْـذُبُ[2]

تَـرُوقُ لَنَـا ٱلأَنْهَـارُ مِـنْ تَحْـتِ جَنْكِـهِ فَــلاَ عَجَــبٌ أَنَّا نَخُــوضُ وَنَلْعَــبُ[3]

[٣٧٠/ظ] ولبعضهم[4] :

وَمَــا الشَّــامُ إِلاَّ فِي الْــبِلاَدِ كَشَــامَةٍ عَرُوسَــةُ أَرْضِ اللهِ فِي الشَّــرْقِ وَالْغَــرْبِ

بِهَــا مَرْجَــةٌ تَزْهُــو وَقَــدْ فَــاحَ نَشْــرُهَا وَشُـحْرُورُهَا غَـنَّى سُـحَيْرًا عَلَـى الْقُضْـبِ

بِهَــا الْــوَرْدُ سُــلْطَانٌ يُنَــادِي بِــدَوْحِهَا هَلُمُّوا قُبَيْلَ الْمَوْتِ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ

وَلاَ تَتْرُكُــوا يَــوْمَ السُّــرُورِ إِلَى غَــدٍ فَـرُبَّ غَـدٍ يُمْضِـى الْمُحِيـلَ إِلَى الـتُّرْبِ

ولبعضهم[5] :

تَحِــنُّ إِلَى وَادِي دِمَشْــقَ جَــوَانِحِي وَإِنْ كَــانَ مِمّــنْ قَــلَّ فِيــهِ نَصِــيبِي

وَإِنَّــنِي لأَهْــوَى قَاسَــيُونَ لأَنَّــنِي رَأَيْــتُ اسْمَــهُ يَحْكِــي فُــؤَادَ حَبِيــبِي

---

(١) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن على بن يحيى بن صدقة التغلبى ، المعروف بابن الخياط ، الشاعر الدمشقي الكاتب ، كان من الشعراء المجيدين ، طاف البلاد ، وامتدح الناس . ت٥١٧هـ . [من وفيات الأعيان ١/١٤٥]
.

(٢) البيتان من [الطويل] ، ولم أجدهما في ديوانه.

(٣) هذا البيت ساقط من النسختين د ، ك ، والجنك: الذي هو آلَةٌ يُضْرَبُ بها كالعُودِ، مُعَرَّبٌ، أَوْرَدَه الخَفاجِي في شفاءِ الغَلِيلِ، وهو مَشْهورعلى الأَلْسِنَة" . تاج العروس من جواهر القاموس مادة / جنك.

(٤) لم أعثر على الأبيات . وهي من [الطويل] .

(٥) لم أعثر على البيتين . وهما من [الطويل] .

ولآخر[1] :

دِمَشْـــــقٌ فِي مَحَاسِـــــنِهَا جِنَـــــانٌ وَلَـــــذَّاتُ النَّعِـــــيمِ لِسَـــــاكِنِيهَا

وَمَـــــا فِيهَـــــا حَمَاهَـــــا اللهُ عَيْـــــبٌ سِـــوَى الإِكْـــرَامِ لِلأَغْـــرَابِ فِيهَـــا

ولبعضهم وأجاد[2] :

دِمَشْـقُ قُـلْ مَـا شِـئْتَ عَـنْ حُسْـنِهَا وَاحْـكِ عَـنِ الرَّبْـوَةِ مَـا تَحْكِـي[3]

فَـــالطَّيْرُ قَـــدْ غَـــنَّى عَلَـــى عُـــودِهِ وَزَفَّهَـــــا بِالْعُـــــودِ وَالْجَنْـــــكِ

ولآخر[4] :

للهِ يَـــــوْمٌ فِي دِمَشْـــــقَ قَطَعْتُـــــهُ حَلَـــفَ الزَّمَـــانُ بِمِثْلِـــهِ لاَ يَغْلَـــطُ[5]

الطَّـــيْرُ يَقْـــرَا وَالْغَـــدِيرُ صَـــحِيفَةٌ وَالـرِّيحُ يَكْتُـبُ وَالسَّـحَابُ يُـنَقِّطُ[6]

وما أحسن قول القائل[7] :

أَشْـــتَاقُ فِي وَادِي دِمَشْـــقٍ مَعْهَـــدًا كُـــلُّ الْجَمَـــالِ إِلَى حِمَـــاهُ يُنْسَـــبُ[8]

---

(١) لم أعثر على البيتين . وهما من [الوافر] .

(٢) سقط : "وأجاد" من النسختين د ، ك .

(٣) لم أعثر على البيتين . وهما من [السريع] .

(٤) البيتان لابن الساعاتي يمدح سيوط ضمن أربعة أبيات في وفيات الأعيان ٣٩٦/٣ مع بعض اختلاف . وهما من [الكامل] .

(٥) في وفيات الأعيان : "لله يوم في سيوط وليله . . . صرف الزمان بأختها . . ." .

(٦) في وفيات الأعيان : "والريح تكتب والسحابة تنقط" .

(٧) لم أعثر على الأبيات . وهي من [الكامل] .

(٨) من هنا ساقط من النسخة ك .

مَـــا فِيـــهِ إِلاَّ رَوْضَـــةٌ أَوْ جَوْسَـــقٌ   أَوْ جَـــدْوَلٌ أَوْ بُلْبُـــلٌ أَوْ رَبْـــرَبُ

وَكَـــأَنَّ ذَاكَ النَّهْـــرُ فِيـــهِ مَعْصَـــمٌ   بِيَـــدِ النَّسِـــيمِ مُـــنَقَّشٌ وَمُكَتَّـــبُ

وَإِذَا تَكَسَّـــــرَ مَـــــاؤُهُ أَبصَـــــرْتَهُ   فِي الحَـــالِ بَـــيْنَ رِيَاضِـــهِ يَتَشَـــعَّبُ

وَالْـــوُرْقُ تَشْـــدُو وَالنَّسِـــيمُ مُشَـــبِّبٌ   وَالنَّهْـــرُ يَسْـــقِي وَالحَـــدَائِقُ تَشْـــرَبُ

وَضِـــيَاعُهَا ضَـــاعَ النَّسِـــيمُ بِهَـــا فَكَـــمْ   أَضْـــحَى لَـــهُ مِـــنْ بَيْنِنَـــا مُتَطَلَّـــبُ

[٣٧١/و] وَلَكَـمْ طَرِبْـتُ عَلَـى السَّـمَاعِ   وَغَـــدَا بِرَبْوَتِهَـــا اللِّسَـــانُ يُشَـــبِّبُ

فَمَـــــتَى أَزُورُ مَعَالِمَـــــا أَبْوَابَهَـــــا   بِسَـــمَاحِهَا كُتُـــبُ الْغَـــرَامِ تُبَـــوَّبُ

وقد أبدع ابن الصايغ[1] حيث قال[2] :

أَدِمَشْـــقُ لاَ بَعُـــدَتْ دِيَارُكِ عَـــنْ فَـــتًى   أَبَـــدًا إِلَيْـــكِ بِكُلِّـــهِ يَتَشَـــوَّقُ

أَشْـــتَاقُ مِنْـــكِ مَنَـــازِلاً لَمْ أَنْسَـــهَا   إِنِّي وَقَلْـــبِي فِي رُبُوعِـــكِ مُوثَـــقُ

مَهْمَـــا اتَّجَهْـــتُ رَأَيْـــتُ دَوْحًـــا مَـــاؤُهُ   كَتَسَلْسُـــلِ يَعْلُـــو عَلَيْـــهِ وَيَخْفُـــقُ

فَـــالرِّيحُ يَكْتُـــبُ وَالجَـــدَاوِلُ أَسْـــطُرٌ   خَـــطٌّ لَـــهُ نَسْـــجُ الْغَمَـــامِ مُحَقِّـــقُ

وَالطَّـــيْرُ يَقْـــرَأُ وَالنَّسِـــيمُ مُـــرَدِّدٌ   وَالْغُصْـــنُ يَـــرْقُصُ وَالْغَـــدِيرُ يُصَـــفِّقُ

---

(١) هو سَرِي الدين محمد بن أحمد بن سراج الدين ، المعروف بابن الصائغ ، الحنفي ، الطبيب سري طابق اسمه مسماه ، وكاد أن ينطق بلفظه معناه ، أبرز في الطب نفيس جواهر لم يدرها ابن النفيس ، وجري في الشفاء على قانون الصناعة حتى لقب بالرئيس . ت ١٠٣٦هـ [من ريحانة الألبا ١٤٢/٢ وهامشه] .

(٢) والأبيات في ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي، باب: محمد. وهي من الكامل.

وَمَعَــاطِفُ ٱلأَغْصَــانِ هَزَّتْهَــا الصَّــبَا ... طَــرَبًا فَــذَا عَــارٍ وَهَــذَا مُــورِقُ

وَالْــوَرْدُ بِٱلأَلْــوَانِ يَجْلُــو مَنْظَــرًا ... وَنَسِــيمُهُ عِطْــرٌ كَمِسْــكٍ يَعْبِــقُ

وَهَــزَارُهُ يَصْــبُو إِلَى شُــحْرُورِهِ ... وَلِــذَاكَ أَثْــوَابُ الشَّــقِيقِ تَشَــقَّقُ

وَكَأَنَّمَــا فِي كُــلِّ عُــودٍ صَــادِحٌ ... عُــودٌ حَــلاَ مَزْمُــوزُهُ وَالْمُطْلَــقُ[1]

وَالْــوُرْقُ فِي ٱلأَوْرَاقِ يُشْــبِهُ شَــجْوُهَا ... شَــجْوِي وَأَيْــنَ مِــنَ الْخَلِـيِّ الْمُوثَـقُ ؟ !

تَتْلُــو عَلَــى ٱلأَغْصَــانِ أَخْبَــارَ الْهَــوَى ... فَيَكَــادُ سَــاكِتُ كُــلِّ شَــيءٍ يَنْطِــقُ

يَا سَــائِرًا وَالــرِّيحُ تَعْبَــثُ دُونَــهُ ... وَالــرِّيحُ تَنْسِــمُ إِذْ بِــهِ تَتَــأَلَّقُ

إِذْ جِئْــتَ مِــنْ وَادِي دِمَشْــقٍ مَنْــزِلاً ... لِي نَحْــوَهُ حَــتَّى الْمَمَــاتِ تَشَــوُّقُ[2]

بِالْجَبْهَــةِ الْغَــرَّاءِ وَالنَّهْــرِ الَّــذِي ... يَزْهُــو بِــهِ الْقَصْــرُ الْمَنِيــفُ ٱلأَبْلَــقُ

وَرَأَيْــتَ ذَاكَ الْجَــامِعَ الْفَــرْدَ الَّــذِي ... فِي ٱلأَرْضِ مِثْــلُ جَمَالِــهِ لاَ يُخْلَــقُ

أَبْلِــغْ مَنَازِلَهَــا السَّــنِيَّةَ أَنَّــنِي ... أَبَــدًا لِحُسْــنِ بَهَائِهَــا أَتَشَــوَّقُ

وما أفصح من قال[3] :

[٣٧١/ظ] رَعَــى اللهُ وَادِي النَّــيِّرَيْنِ فَــإِنَّنِي ... قَطَعْــتُ بِــهِ يَوْمًــا لَذِيــذًا مِــنَ الْعُمْــرِ

---

(١) في نسخة الأصل م : ". . . في كل عود صارح" بالراء ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٢) [كذا] "إذ جئت من وادي . ." ، ويبدو لي أن الصواب "إن جئت . . ." .

(٣) البيتان ضمن ثلاثة أبيات لمجير الدين ابن تميم في فوات الوفيات ٦١/٤ ، وهما من [الطويل] .

دَرَى أَنَّـــنِي قَـــدْ جِئْتُـــهُ مُتَنَزِّهًـــا فَمَـدَّ لِتِلْقَـائِي بِسَـاطًا مِـنَ الزَّهْـرِ[1]

غيره[2] :

دِمَشْـــقُ فِيهَـــا نُزْهَـــةٌ وَسَـــفْحُهَا زَاهٍ خَضِـــرْ

فِي كُـــلِّ رَوْضٍ يَلْتَقِـــي مَـــاءُ الْحَيَـــاةِ وَالْخَضِـــرْ

غيره[3] :

سَـقَى دِمَشْـقَ وَأَيَّامٌ مَضَـتْ فِيهَـا مِـنَ السَّـحَائِبِ سَـارِيهَا وَغَادِيهَـا

وَلاَ يَـزَالُ جَنْـيْنُ النَّبْـتِ يُرْضِـعُهَا خَمَائِـلُ الْمُـزْنِ فِي أَحْشَـاءِ أَرْضِـيهَا[4]

قال ابن الوَرْدي: دمشق من أجل إقليم الشام مكان، وأحسنه بنيانا ، وأعدله هواء ، وأغزره ماء ، وبها الغوطة التي لم يكن على وجه الأرض مثلها ، بها أنهار جارية مخترقة ، وعيون سارحة متدفقة، وأشجار باسقة، وقصور شاهقة، ولها ضياع كالمدن، وبها الجامع الأموي الذي لم يكن على وجه الأرض مثله بناه الوليد بن عبد الملك، وأنفق عليه أربعمائة صندوق ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار ، واجتمع على ترخيمه اثنا[5] عشر مرخّم . شعر[6] :

---

(١) في فوات الوفيات : "فمدّ لأقدامي" .

(٢) لم أعثر على الرجز .

(٣) البيتان من [البسيط] وهما من قصيدة طويلة لابن الدهان ذكرها ابن عبد المنعم الحميري في الروض المعطار في خبر الأقطار ، حرف الدال في حديثه عن دمشق.

(٤) في النسخة د : ". . . في أحشاء أراضيها" . وهو خطأ في الوزن .

(٥) في نسخة الأصل م : "أثنى . . ." ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٦) سقطت كلمة "شعر" من النسخة د .

لَــــهُ تَــــرْخِيمٌ بِجَــــامِعِ جِلَّــــقٍ مُتَنَاسِــبُ التَّخْمِــيسِ والتَّقْسِــيمِ[(١)]

قَــدْ زَادَ تَحْسِــينًا يُكَــذِّبُ قَــوْلَ مَــنْ قَــدْ قَــالَ إِنَّ الــنَّقْصَ فِي التَّرْخِــيمِ

وقد بُنى بأنواع التفصيص بالفصوص المحكَمة من المرمر المصقول، والجَزْعِ المحكوك، يقال : إن العمودين اللذين تحت قبة النسر اشتراهما الوليد بألف وخمسمائة دينار ، وهما عمودان مجزعان، لم يُر مثلهما ، ويقال : إن رخام الجامع كان معجونا ولذلك إذا وُضع على النار ذاب، وفي المحراب [٣٧٢/و] عمودان صغيران يقال إنهما من الحَجَر الذي ضرَبه موسى عليه السلام بعصاه فَانْبَجَست منه اثنتا[(٢)] عشرة عَينا ، قال القَزْوينى[(٣)] : ومن عجائب دمشق الجامع الأموي ، وقد وَصفه بعضهم فقال : هو أحد العجائب ، وجامع الغرائب ، فرشه بالرخام ، وألف على حسن ترتيب وانتظام ، فصوصه متفقة ، وصنعته مؤتلفة ، عمَّره الوليد ، وكان ذا همة في أمر العمارات وبناء المساجد ، أنفق على عمارته خَراج المملكة سبع سنين ، قيل : من عجائب الجامع أنه لو عاش أحدٌ مائة سنة ، وكان يتأمله في كل يوم لرأى في كل يوم ما لم يكن رآه من حسن الصنعة ومبالغة التنميق[(٤)] ، وهذا المعنى في كل ذَرة من العالم للمبصرين[(٥)]: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[(٦)]، وهو مسقّفٌ بالرصاص إلى الآن ، ومن محاسنه الفوار الذي هو من باب جيرون، فإن ماءه يرتفع على نحو قامة ونصف في غلظ

---

(١) لم أعثر على البيتين . وهما من [الكامل] ، والشطر الأول من البيت الأول مكسور الوزن، ولعل فيه كلمة ساقطة، ولعلها :" ‌م " جر قبل كلمه "له" في أول البيت فيكون صحة البيت "لله ترخيم" إذ به يكون الوزن والمعنى صحيحين.

(٢) في نسخة الأصل م: "اثني عشرة"، وفي النسخة د "اثنا عشر"، وهو خطأ فيهما، وصححتها بما يناسب العدد.

(٣) القزويني هو : زكريا بن محمد بن محمود صاحب كتاب عجائب المخلوقات ، وكتاب آثار البلاد وأخبار العباد ت٦٨٢هـ . والكلام في كتابه : " آثار العباد وأخبار العباد " ص ١٨٩.

(٤) إلى هنا يوجد في كتاب آثار البلاد ص ١٩٠.

(٥) في نسخة الأصل م ، والنسخة د : "للمبصرون" [كذا] .

(٦) إلى هنا يوجد في كتاب آثار البلاد ص ١٩٠.

الساق دائما ، واتفق وقوفه مرة فقال في ذلك ابن نُبَاتة المصري[١] بيتين :

لَسْـتُ أَنْسَـى الْفَـوَّارَ وَهْـوَ يُنَـادِي   غِـيضَ مَـائِي وَعَطَّـلَ الـدَّهْرُ حَـالِي[٢]

فَتَمَنَّيْـتُ مِـنْ إِلَهِـيَ أَنِّي   اشْـتَرَيْتُ فَيْضَـهُ بِرُوحِـي وَمَـالِي

وقيل: إنَّ دَخْلَ الجامعِ كلَّ يومٍ من أوقافه ألفٌ ومائتا دينار، وتصرف المائتان إلى المصالح، والباقي إلى خزانة السلطان ، وبالجملة فإنه الجامع الذي هو لأشتات المحاسن جامع والمسجد الذي مَن سجد في محرابه شاهد محاسنه النور الساطع ، شعر[٣] :

أَرَى الحُسْـنَ مَجْمُوعًـا بِجَـامِعِ جِلَّـقٍ   وَفِي صَـدْرِهِ مَعْـنَى الْمَلاَحَـةِ مَشْـرُوحُ[٤]

[٣٧٢/ظ] فَـإِنْ يَتَغَـالَى فِي الْمَحَاسِـنِ   فَقُـلْ لَهُـمُ بَابُ الـزِّيَارَةِ مَفْتُـوحُ

وقد قدمنا في الكلام على خلافة الوليد بن عبد الملك نبذة من محاسنه ، قال القزويني في الآثار[٥]: الغوطة: الكورة التي في دمشق، وهي كثيرة المياه، نضيرة[٦] الأشجار، مونقة الأزهار، متجاوبة الأطيار، مخضرة الجنان، استدارتها ثمانية عشر ميلا، وكلها بساتين وقصور، تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها، ومياهها خارجة من تلك الجبال، فتمتد في الغوطة عدة أنهر، وينصبّ فاضلها في أجمة هناك، ومن محاسنها المرج التي هي جنتها، وأنهارها التي

---

(١) هو جمال الدين محمد بن محمد الشاعر المشهور المتوفى سنة ٧٦٨ هـ [هذا أقصى ما وجدته في ترجمته ، ولم يترجم له في ديوانه، والذي ذكرته من هامش نفحة الريحانة ٣/٣٤٠] .

(٢) لم أعثر على البيتين في ديوانه . وهما من [الخفيف] .

(٣) سقطت كلمة "شعر" من النسخة د .

(٤) البيتان في ثمرات الأوراق في المحاضرات لابن حجة الحموي ، باب : الوليد ومسامر الخلفاء، وهما غير منسوبين، وروايته :" يتعالى" بالعين المهملة لا الغين المعجمة .

(٥) آثار البلاد ص ٢٣٢.

(٦) هنا نهاية السقط من النسخة ك .

هي بهجتها . شعر[(١)]:

ذَكَــرْتُ أَحِبَّــتِي بِالْمَــرْجِ يَوْمًــا فَقَــوّتْ أَدْمُعِــي نِــيرَانَ وَهْجِــي[(٢)]

فَصِــرْتُ أُكَابِــدُ ٱلأَشْــجَانَ وَحْــدِي وَكُــلُّ النَّــاسِ فِي هَــرْجٍ وَمَــرْجِ

ولبعضهم[(٣)] :

يَا يَوْمَنَــا بِالْمَــرْجِ هَــلْ مِــنْ عَــوْدَةٍ وَاللهُ يُبْــدِى مَــا يَشَــا وَيُعِيــدُ

ومن محاسنها قَاسِيُون – بكسر السين وضم الياء – وهو جبل مطل على دمشق من جهة شمالها ، فيه المنازل المليحة والمدارس الحسنة[(٤)] والبساتين ونهر يزيد ونهر ثورا ، والربوة على فرسخ من دمشق ، قال أهل التفسير : هي المراد بقوله : ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[(٥)] ، وفي سفحة الكورة المعروفة بالصالحية ، وهي معدن الأنبياء والصالحين[(٦)] والصحابة والأولياء، وفيها قيل[(٧)]:

الصَّــالِحِيَّةُ جَنَّــةٌ وَالصَّــالِحُونَ بِهَــا أَقَــامُوا

فَعَلَــى الــدِّيَارِ وَأَهْلِهَــا مِــنِّي التَّحِيَّــةُ وَالسَّــلاَمُ

---

(١) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د ، ك .

(٢) لم أعثر على البيتين . وهما من [الوافر] .

(٣) لم أعثر على البيت . وهو من [الكامل] .

(٤) في نسخة الأصل م : "الحسينية" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٥) سورة النور، الآية: (٥٠).

(٦) سقطت "والصالحين" من النسختين د ، ك .

(٧)لم أعثر على البيتين. وهما من [مجزوء الكامل] .

[٣٧٣/و] وفيها مقام الشيخ الأكبر سلطان المحققين الشيخ محيي الدين بن العربي(١) – قَدّس الله سره الأطهر – وقد قال في تاريخ وفاته بعضُهم(٢):

شَيْخُنَا الْحَاتِمِيُّ فِي الْكَوْنِ فَرْدٌ وَهْوَ غَوْثٌ وَسَيِّدٌ وَإِمَامُ

كَمْ عُلُومٍ أَتَى بِهَا مِنْ غُيُوبٍ مِنْ بِحَارِ التَّوْحِيدِ بِاسْتِهَامِ

إِنْ سَأَلْتُمْ مَتَى تُوُفِّي شَهِيدًا مُنْذُ أَرَّخْتُ مَاتَ قُطْبٌ هُمَامَ(٣)

سنة ٦٣٨(٤)، وكُتُبه ومصنفاته كالبحور الزَّواخر ، وجواهرها يعلم لها أول من آخر ، وما وضع الواضعون مثلها ، وإنما يخص الله بمعرفة قدرها أهلها ، ومن خواصها أنه ما واظَب أحدٌ على مطالعتها والنظر فيها إ وانشرح صدره ، وتيسّر أمره ، وقوى على حل المشكلات ، وفكّ المعضلات . انتهى .

وللشيخ أحمد الْمَقَّري(٥) في دمشق الشام شعر(٦) :

---

(١) الشيخ محيي الدين ابن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي المعروف بابن عربي... وقال الشيخ قطب الدين اليونيني في ذيله على المرآة: وكان يقول أنا أعرف اسم الله الأعظم، وأعرف الكيمياء؛ وكانت وفاته في دار القاضي محيي الدين ابن الزكي، وغسله الجمال ابن عبد الخالق ومحيي الدين، وكان عماد الدين ابن النحاس يصب عليه، وحمل إلى قاسيون ودفن بتربة بني الزكي. وكان مولده في سنة ستين وخمسمائة بمرسية من الأندلس، ووفاته في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة. ومن تصانيفه "الفتوحات المكية" عشرون مجلداً، و"التدبيرات الإلهية والتنزيلات الموصلية" و"فصوص الحكم". فوات الوفيات بن شاكر الكتبي ٣/ ٤٣٥.

(٢) لم أعثر على الأبيات. وهي من [الخفيف]، وفيها إقواء.

(٣) في النسختين د، ك: "... مات قطب إمام".

(٤) سقطت قوله: "سنة ٦٣٨" من النسختين د، ك.

(٥) هو أحمد بن محمد بن أحمد المقَّري القرشي، المكنىَ بأبي العباس، والملقب بشهاب الدين، وأصل أسرته من قرية مَقَرّة

مَحَاسِـــــنُ الشَّـــــامِ جَلَّـــــتْ عَـــــنْ أَنْ تُحَـــــدَّ بِحَـــــدِّ[1]

كَأَنَّهَـــــا مُعْجِـــــزَاتٌ مَقْرُونَـــــةٌ بِالتَّحَـــــدِّي

انتهى .

وقول الناظم : وحسْبها هذا فخامة ، أي كفاها ، قال في القاموس[2]: وحسْبك درهم أي كفاك ، وشيء حساب كافٍ ، ومنه: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾[3]، وهذا رجل حسبُك من رجل أي كاف لك من غيره للواحد والتثنية والجمع : ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدًا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[4] أي محاسبا أو كافيا. انتهى. والفخامة : العِظم ، كما في المختار[5]، يقال: رجل فخم أي عظيم القدر، والتفخيم التعظيم، وتفخيم الحروف إمالتها. والمعنى أنه يكفِي غرناطة فخرا على مَن سواها أنما[6] سُميت دمشق لمشابهتها لها بالحسن والغياض، ولطافة الهواء[7] والبساتين والرياض .

= بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة – وأصوله من تلمسان . ت ١٠٤١هـ [من ترجمته في أول كتاب نفح الطيب في المقدمة ٥/١ وما بعدها] .

(٦) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د ، ك .

(١) البيتان ضمن ثلاثة أبيات في نفح الطيب ٥٩/١ . وهما من [المجتث] .

(٢) القاموس / مادة حسب.

(٣) سورة النبأ، الآية: (٣٦).

(٤) سورة النساء، الآية: (٦).

(٥) مختار الصحاح مادة / فخم باب الفاء.

(٦) [كذا] في جميع المخطوطات ، ويبدو لي أن الصواب "أنها" .

(٧) في جميع المخطوطات رسمت الكلمة هكذا "الهوى" .

قال الناظم[1] :

لِنُـــــــزُولِ أَهْلِيهَـــــــــا بِهَـــــــا إِذْ أَظْهَـــــــرَ الْكُفْـــــــرُ انْهِزَامَـــــــهْ

[٣٧٣/ظ] الضمير بأهليها[2] عائد على الشام ، وفي بها على غرناطة . والمعنى: إن تشبيه غرناطة بالشام ، وتسميتها بذلك إنما كان من أهل الشام ، حيث نزلوا بها، ورأوا محاسنها فقالوا: هي دمشق، وذلك حين انهزامهم[3] الكفر، أي جيش[4] الكفر، على حذف مضاف، أو على سبيل المبالغة على حد قولهم: رجل عَدْل، في واقعة لأهل دمشق، فتوجهوا إلى الأندلس، ونزلوا بغرناطة. والنزول كما في القاموس الحلول، قال فيه نزلهم وبهم وعليهم ينزل نزو□ ومنز□ حَلَّ ، ونزّله تنزيلا ، وأنزله إنزا□[5] واستنزله بمعنى، وتنزَّل نزل بمُهلةٍ[6] ، والنُّزُل – بضمتين – المنزل ، وما هيئ للضيف أن ينزل عليه كالنُّزْل جمع أنزال ، والطعام ذو البركة كالنزيل والفضل والعطاء والبركة والقوم النازلون ، والمنزلة موضع النزول ، وما زلت أنزل أي أسافر ، والنازلة الشديدة ، وأرض نَزْلة أي زاكية الزرع ، والنزيل الضيف . وأهليها أي أهلها ، أُشبعت الكسرة فتولدت ياءٌ للوزن . والأهل له إطلاقات ، فأهل الأمر و□ؤه ، والبيت سكانه ، والمذهب من يدين به ، والرجل زوجته ، والنبي (×) أزواجه وبناته وصهره عليّ ، أو نساؤه والرجال الذين هم آله، ولكل نبي، كذا في القاموس[7]، وآل الله ورسوله

(١) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٢) في النسختين د ، ك : "الضمير في بأهليها" ، وهو خطأ ، لأن الكلمة في البيت هي "أهليها" ، وليس بأهليها" .

(٣) [كذا] في جميع المخطوطات ، ويبدو أن الصواب هو "حين انهزام الكفر" .

(٤) في النسختين د ، ك : "أي الجيش الكفر" .

(٥) بعد هذا في القاموس : "وتنز□ كمجمل" .

(٦) في القاموس : "في مهلة" .

(٧) القاموس/ مادة أل ، ونصه:" أَهْلُ الرجُلِ عَشيرَتُه، وذَوُو قُرْباهُ، ج أَهْلونَ وأَهالٍ وآهالٌ وأَهْلاتٌ، ويُحَرَّكُ. وأَهَلَ يأْهُلُ ويَأْهِلُ أُهو□ا، وتأَهَّلَ واتَّهَلَ اتَّخَذَ أَهْلاً. وأَهْلُ الأمرِ وُ□تُه، و للبيتِ سُكَّانُه، و للمَذْهَبِ من يَدينُ به، و للرجُل زَوْجَتُه، كأَهْلَتِه، و للنبيِّ، × أزْوَاجُه وبناتُه وصِهْرُه عليٌّ، رضي الله تعالى عنه، أَو نِساؤُه، والرِّجالُ الذين هُمْ

أولياؤه . وأصله أهل . وإذ هنا ظرف لما مضى ، أي وقت إظهار الخ .

واعلم(١) أن "إذْ" على أربعة أوجه : أحدها : أن تكون اسما للزمان [٣٧٤/و] الماضي ، ولها حينئذ(٢) أربعة(٣) استعمالات ، أحد الاستعمالات أن تكون ظرفا كما هنا ، وهو الغالب ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٤)، والثاني من ذلك : أن تكون مفعولا به نحو: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٥) والثالث من ذلك : أن تكون بدلا من المفعول نحر: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾(٦) فإذ بدل اشتمال من مريم على حد البدل في: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ

آله، و لكلِّ نَبيٍّ أُمَّتُه".

(١) الحديث عن : "إذ" منقول بما يكاد يكون بالنص من مغنى اللبيب ٢/٥ وما بعدها .

(٢) كعادة نسخة الأصل م يكتب كلمة "حينئذ" بهذا الرمز "ح~" .

(٣) في جميع المخطوطات "أربع" ، وهو جائز على طريقة البغداديين فقط ، كما جاء في شرح الأشموني ٦١٩/٣ نقلا عن محقق كتاب من غاب عنه المطرب ١٤٠ ، وفيه في الهامش قيل : "أتى الثعالبي بالعدد مذكرا على رأى البغداديين الذين ينظرون إلى حالة ، الجمع لا إلى مفرده . انظر الأشموني ٦١٩/٣ ت المرحوم الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ط ١٩٥٥م" .

(٤) سورة التوبة، الآية: (٤٠).

(٥) سورة الأعراف، الآية: (٨٦).

(٦) سورة مريم، الآية: (١٦).

يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]، والرابع من ذلك: أن تكون مضاف إليها اسم زمان صالح للاستغناء عنه، كأن تقول : أكرمتني فأثنيت عليك يومئذ أو حينئذ ، فاليوم والحين صالحان للاستغناء عنهما ، إذ يجوز أن تقول : فأثنيت عليك إذ أكرمتني ، أو غير صالح له[2] نحو قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[3]، والثاني من وجوهها : أن تكون اسما للزمن المستقبل نحو: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾[4] ، والجمهور يثبتون هذا القسم ، ويجعلون الآية من باب: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾[5] أعني من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع ، وقد يحتج لغيرهم بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾[6] فإن "يعلمون" مستقبل لفظا ومعنى، لدخول حرف التنفيس عليه، وقد عمل في إذ ، فيلزم أن يكون بمنزلة إذا . الثالث من وجوهها : أن تكون للتعليل ، نحو: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[7] ، أي ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب [٣٧٤/ظ] لأجل ظلمكم في الدنيا ، أي كما ينفع الواقعين في أمر صعب اشتراكهم في تحمّل أثقاله ، وفي هذه الآية كلام ذكره صاحب "المغني" ، فليراجع ، وهل إذ هذه حرف بمنزلة م العلة أو ظرف ، والتعليل

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢١٧).

(٢) أي غير صالح للاستغناء عنه .

(٣) سورة آل عمران، الآية: (٨).

(٤) سورة الزلزلة، الآية: (٤).

(٥) سورة الكهف، الآية: (٩٩)، ويس، الآية: (٥١)، والزمر، الآية: (٦٨)، وق، الآية: (٢٠).

(٦) سورة غافر، الآيتان: (٧٠، ٧١).

(٧) سورة الزخرف، الآية: (٣٩).

مستفاد من قوة الكلام ؟ قو�ن ، ومن ذلك قول الشاعر[١] :

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللهُ نِعْمَتَهُمْ   إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرُ

وقول[٢] الأعشى[٣] :

إِنَّ مَحَلاًّ وَإِنَّ مُرْتَحَلاً   وَإِنَّ فِي السَّفْرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلاَ

أي : إن لنا حلو� في الدنيا ، وإن لنا ارتحا� عنها إلى الآخرة ، وإن في الجماعة الذين ماتوا قبلنا إمها� لنا ؛ لأنهم مضوا قبلنا ، وبقينا بعدهم . والرابع من وجوهها : أن تكون للمفاجأة ، نصّ على ذلك سيبويه ، وهي الواقعة بعد بينا وبينما ، كقوله[٤] :

اِسْتَقْدِرِ اللهَ خَيْرًا وَارْضَيَنَّ بِهِ   فَبَيْنَمَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ[٥]

وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي ٱلْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ   إِذْ صَارَ فِي الْقَبْرِ تَعْفُوهُ ٱلْأَعَاصِيرُ

وهل هي في ذلك ظرف مكان أو زمان ، أو حرف لمعنى المفاجأة ، أو حرف مؤكد ، أي زائد ؟ أقوال . وذكر بعضهم لـ إذ معنيين آخرين : أحدهما : التوكيد ، وذلك بأن تحمل على الزيادة ، قاله أبو عبيدة ، وتبعه ابن قتيبة ، وحملا عليه آيات ، منها: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

---

(١) ذكر محقق مغنى اللبيب في الهامش أن البيت للفرزدق ، ثم لم يذكر مكانه في الديوان . وأقول : البيت في ديوان الفرزدق ٢٢٣/١ . وهو من [البسيط] .

(٢) في النسختين د ، ك : "قول الشاعر" .

(٣) في مغنى اللبيب ذكر المحقق في الهامش أن البيت مطلع قصيدة للأعشى ، ثم لم يذكر مكانه في الديوان . وأقول البيت في ديوان الأعشى ٢٦٩ ، وفيه : "وإن في السفر ما مضى مهلا" . والبيت من [المنسرح] .

(٤) هذان البيتان من [البسيط] .

(٥) هذا البيت جاء وحده في مغنى اللبيب ٢٦/٢، وقيل في هامشه : "إنه من مقطوعة لحريث بن جبلة العذري، أو مع ثلاثة في اللسان في [دهر] لعثير بن لبيد العذري، أو هو لأبى عيينة المهلبي كما في بصائر الفيروزابادي".

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، والثاني: التحقيق كقد ، وحُمل[2] عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[3] . قال صاحب المغني ليسا بشيء[4] . انتهى .

وتلزم[5] إذ الإضافة إما لجملة اسمية [٣٧٥/و] أو فعلية ماضوية لفظا ومعنى ، أو معنى فقط نحو: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[6] ، ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[7]، ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[8]، وقد يحذف أحد شطري الجملة فيظن من خبرة له أنها أضيفت إلى المفرد كقوله[9]:

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٣٠).

(٢) في جميع المخطوطات "وحملت" ، والسبب في هذا يرجع إلى الخطأ في النقل من مغنى اللبيب ، ففيه قيل : "وحملت عليه الآية . . ." .

(٣) سورة الزخرف، الآية: (٣٩).

(٤) الكلام في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة السادسة ، ١٩٨٥ تحقيق : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. ١١٣/١.

(٥) من مغنى اللبيب ٣٢/٢ وما بعدها .

(٦) سورة الأنفال، الآية: (٢٦).

(٧) سورة البقرة، الآية: (٣٠).

(٨) سورة البقرة، الآية: (١٢٧).

(٩) البيت من [البسيط] . وفي هامش مغنى اللبيب قال المحقق : "هذا واحد من ثلاثة أبيات رواها أبو زيد في النوادر" ثم قال : "وذكر السيوطي أنه رأى في الأغاني ما يدل على أن هذا البيت لعبد الله بن المعتز" . ولم يشأ المحقق أن يحقق هذا الأمر . وأقول أنا الباحثة : البيت جاء مفردا في ديوان ابن المعتز ٣٥٥/٣ [ط عالم الكتب] في الزيادات

هَــلْ تَــرْجِعَنَّ لَيَــالٍ قَــدْ مَضَــيْنَ لَنَــا   وَالْعَـــيْشُ مُنْقَلِـــبٌ إِذْ ذَاكَ أَفْنَـــانَا

والتقدير: إذ ذاك كذلك، وقد تحذف الجملة كلها للعلم بها، ويعوض عنها التنوين، وتكسر الذال لالتقاء الساكنين نحو: ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]، انتهى.

وقد أضيفت[2] إلى الجملة الاسمية فاحتملت الظرفية والتعليلية[3] في قول المتنبي[4]:

أَمِـــنَ ازْدِيَارَكِ فِي الـــدُّجَى الرُّقَبَـــاءُ   إِذْ حَيْـــثُ كُنْـــتِ مِـــنَ الظَّـــلاَمِ ضِـــيَاءُ

قال صاحب المغني: وشرْحه[5] : أن أَمِنَ فعل ماضٍ فهو مفتوح الآخر لا مكسوره على أنَّه[6] حرف جر كما توهمه شخص ادعى الأدب في زماننا، وأصرّ على ذلك ، والازديار أبلغ من الزيارة، كما أن الاكتساب أبلغ من الكسب ؛ لأن الافتعال للتصرف، والدال بدل عن التاء، وفي متعلقة به، لا بأَمِنَ، لأن المعنى أنهم أمنوا[7] دائما أن تزوري في الدجى. وإذ إما

، وفي الهامش قال المحقق في تخريج البيت : الأغاني ٢٧٧/١٠ (دار الكتب) ، وفيه (فمن صنعة عبد الله ابن المعتز في شعره على أن أكثرها هذه سبيله فيها . وأقول أيضا : وفي الديوان جاء الشطر الثاني هكذا : "والدار جامعةٌ أزمان أزمانا" .

(١) سورة الروم، الآيتان: (٤، ٥).

(٢) من المغنى ٤٣/٢ .

(٣) في جميع المخطوطات : "والتعديلية" ، والتصحيح من مغنى اللبيب .

(٤) ديوان المتنبي ١٢/١ ، وهو من [الكامل] .

(٥) المغني ١/ ١١٩.

(٦) في نسخة الأصل م : "على أنه لا حرف جر" ، وما في النسختين د ، ك يوافق المغنى .

(٧) في جميع المخطوطات : "أنهم أمنون" ، والتصحيح من المغنى .

تعليل أو ظرف مبدل من (محل)[١] في الدجى وضياء مبتدأ خبره حيث ، وابتدئ بالفكرة لتقدم خبرها عليها ظرفا ، ولأنها موصوفة في المعنى ؛ لأن من الظلام صفة لها في الأصل ، فلما قدمت عليها صارت حالا منها ، ومن للبدل ، وهي متعلقة بمحذوف، وكان تامة، وهي وفاعلها خفْض بإضافة حيث، والمعنى : إذِ الضياء حاصل في كل موضع حصلت فيه [٣٧٥/ظ] بدلا من[٢] الظلام .

قال الناظم :

وَأَتَـــــتْ جُيُـــــوشُ الشَّـــــامِ مِـــــنْ   بَابٍ نَفَـــــى الْفَـــــتْحُ انبِهَامَـــــهْ

الجيوش جمع جيش ، والجيش كما في القاموس : الجند ، أو السائرون[٣] لحرب أو غيرها ، وقال في المختار[٤] : الجيش واحد الجيوش ، وجيّش فلان تجييشا جمع الجيوش ، واستجاشه طلب منه جيشا . ويطلق على البعث في القاموس ، قال : والبعْث ويحرك[٥] جمع جيوش . وعلى الخميس الجيش ؛ لأنه خمس فِرَق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة .

قال الأنباري[٦]: يقال للعشرة طليعة، وللعشرين طلائع، وللثلاثين جريدة، وللأربعين كتيبة ، وللمائة مِقْنب ، وأربعمائة كتائب ، وأربعة آلاف جيش ، واثنا عشر ألفا عَرَمْرَم ،

---

(١) ما بين القوسين زيادة من المغنى يتم بها القول .

(٢) في نسخة الأصل م : "لا من الظلام" بإسقاط "بعد" التي هي أول كلمة "بَدَلا" ، وهو سهو من الناسخ ، وما في النسختين د ، ك يوافق المغنى .

(٣) في القاموس : "أو السائر" بالإفراد .

(٤) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان– بيروت الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥م تحقيق : محمود خاطر مادة /ج ي ش.

(٥) في القاموس : "ويحرك الجيش جمع بعوث" .

(٦) لم أعثر على القول .

وخمسة عشر ألفا أَرْعَن ، وعشرون ألفًا فَيْلَق . وقد نظمهم بقوله[1] :

مَرَاتِـــبُ الجَـــيْشِ بِأَعْـــدَادٍ لَهَـــا ... أَسْمَــاءُ مَــا عَنْهَــا ذَكِــيٌّ قَــدْ لَهَــا

عَشَـــــرَةٌ طَلِيعَـــــةٌ يَقِينَــــــا ... طَلائِـــــعٌ يُقَـــــالُ لِلْعَشْـــــرِينَا

وَبِالْجَرِيـــــدَةِ الثَّلاثِــــينَ فَصِـــــفْ ... كَتِيبَـــةً لِلأَرْبَعِـــينَ قَـــدْ عُـــرِفْ

وَمِقْنَــبُ قَــدْ وَسَمُــوا بِــهِ الْمِائَــهْ ... وَبَعْـــــدَهَا كَتَائِـــــبٌ أَرْبَعُمِائَـــــهْ

أَرْبَعَـــــةُ آلافٍ جَـــــيْشٌ يُعْلَـــــمُ ... وَاثْنَــا عَشَــرَ أَلْفًــا فَقُــلْ عَرَمْــرَمُ[2]

وَخَمْسَـــةَ عَشَـــرَ أَلْفًـــا أَرْعَـــنٌ دُعِـــي ... عِشْـــرُونَ أَلْفًـــا فَيْلَـــقٌ افْهَـــمْ وَعِ[3]

والشام كما في القاموس: [4] بلاد عن مشأمة القبلة ، وسميت كذلك لأن بنى كنعان تشاءموا إليها ، أي تياسروا ، أو سمي بشام[5] بن نوح ؛ لأنه بالشين بالسريانية ، أو لأن أرضها شَامَات [٣٧٦/و] بيض وحمر وسود ، وعلى هذا تهمز ، وقد تذكَّر ، وهو شامي وشآمي بالياء[6] وشآم وأشأم أتاها ، وتشأّم انتسب إليها ، وأخذ نحو شماله ، وشأَّمهم تشئيما سيَّرهم إليها ، والشُّؤم ضد اليُمْن ، والمشأمة ضد الميمنة ، والشِّئْمَةُ بالكسر الطبيعة ، وشَائِم بأصحابك خذهم[7] ذات الشمال . وفي المختار[8] : الشام جمع شامة ، وهي الخال ،

(١) لم أعثر على هذا الرجز .

(٢) في جميع المخطوطات : "واثنى عشر" ، وصححته بما يناسب السياق ، وأرجو أن أكون قد وفقت .

(٣) في جميع المخطوطات رسمت كلمة "وع" هكذا : "وعى" .

(٤) القاموس / باب الميم فصل الشين، مادة شأم.

(٥) في القاموس : "بسام" بالسين المهملة .

(٦) قوله : بالياء" ليس في القاموس .

(٧) في القاموس : "خذ بهم" .

(٨) في المختار في [ش ي م] .

وشام البرق نظر إلى سحابته أين[١] تمطر ، والشيمة الخُلُق .

وقد وصل الناظم الشام ، ومدح أهلها بقوله[٢] :

بِرُوحِي أَفْتَدِي جِيرَةً مَا اسْتَعَنْتُهُمْ   عَلَى الدَّهْرِ إِلاَّ وَارْتَجَعْتُ مَعَانَا[٣]

أَرَاشُوا جَنَاحِي ثُمَّ بَلُّوهُ بِالنَّدَى   فَمِنْ أَجْلِ ذَا لَمْ أَسْتَطِعْ طَيَرَانَا[٤]

والباب فُرجة يتوصل بها من خارج إلى داخل وبالعكس ، قال في القاموس : والباب معروف ، وجمعه أبواب وبيبان وأَبْوِبةَ نادر ، والبوّاب لازمه (وحِرْفَتُهُ البِوَابة)[٥] ، وبَابَ له يَبُوب صار بَوَّابا له ، وتَبوَّب بوَّابا اتخذه ، والباب والبابة في الحساب والحدود الغاية ، وبابات الكتاب سطوره ، لا واحد لها ، وهذا بابته أي يصلح له ، والباب بلد بحلب ، وجبل قُرب هجر[٦] ، وباب[٧] وبُوبة وبُوَيب[٨] أسماء ، وبَابَ حَفَر كُوَّةً ، والبابيَّة الأعجوبة ، وبَابَانُ[٩] مَحَلّة بمروَ .

ونفي : نحا[١٠] ، قال في القاموس: نفاه ينفيه وينفوه نحّاه فَنَفَا[١١] هُوَ ، وانتفى[١٢]

(١) في جميع المخطوطات : "أي" ، واعتمدت ما في المختار .

(٢) البيتان ليسا للناظم ، وإنما هما لابن اللبانة في نفح الطيب ١٩٩/٣ ، وهما من [الطويل] .

(٣) في النفح : "بروحي وأهلي جيرة . . . إلا وانثنيت . . ." .

(٤) في النفح جاء الشطر الثاني هكذا : "فلم أستطع من أرضهم طيرانا" .

(٥) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٦) في جميع المخطوطات : "هاجر" ، والتصحيح من القاموس .

(٧) سقطت كلمة : "وباب" ، من النسختين د ، ك .

(٨) في جميع المخطوطات : "وبوب وبوية" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٩) في نسخة الأصل م : "وبابات" ، وما في النسختين د ، ك يوافق القاموس .

(١٠) في النسختين د ، ك : "نجا" بالجيم ، وهو تصحيف .

(١١) في نسخة الأصل م رسمت الكلمة هكذا : "فنقى" ، وما في النسختين د ، ك يوافق القاموس .

(١٢) في نسخة الأصل م كتبت الكلمة هكذا : "فانتفى" ، واعتمدت ما في القاموس وسقطت الكلمة من النسختين

تنحّى والشيءَ جحَدَه ، والريحُ التراب أطارته ، والدراهمَ أثارها للانتقاد ، والسحابةُ ماءها مجّتْه . انتهى .

والفتح: النصر، قال في القاموس: فتح كمنع [٣٧٦/ظ] ضد أغلق كفتَّح وافتتح، والفتْح الماء الجاري والنصر . انتهى . وجاء الفتح لغة في فتح المغلق والإكرام والفرَج المزيل للهَمّ ، وبذلك فسر[١] الحداديُّ قوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[٢] انتهى .

والانبهام الاشتباه ، يقال : أبهم الأمر : اشتبه كاستبهم ، والمبهَم كمكرَم : المغلق من الأبواب كما في القاموس .

والمعنى أن جيوشا دخلوا من باب من أبواب غرناطة نحا[٣] النصر عن أن يكون مشتبها ، بل هو واضح لمن قصْده الدخول منه ، كما لا يخفى . انتهى .

قال الناظم[٤] :

فَسَلَوْا بِهَا عَنْ جِلَّقٍ ۞ إِذْ أَشْبَهَتْهَا فِي الضَّخَامَةْ[٥]

السُّلوان[٦] : النسيان ، يقال : سلاه وعنه كدعاه ورضِيَه سَلْوًا وسُلُوًّا وسُلْوانا وسُلِيا : نسيه ، وأسلاه عنه فتسَلَّى[٧] ، والاسم السَّلْوة ويضم ، والسُّلْوانة بالضم العسل كالسَّلْوَى ،

د ، ك.

١) في نسخة الأصل م : فسره" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك ، ولم أعثر على هذا التفسير .

(٢) سورة الفتح، الآية: (١).

(٣) في النسختين د ، ك : "نجا" بالجيم .

(٤) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٥) في نسخة الأصل م ، والنسخة د : "إذ شبّهتها" ، وما في النسخة ك يوافق نفح الطيب .

(٦) هذا من القاموس ، كما سيأتي في آخر الكلام .

(٧) في جميع المخطوطات : "فسلى" ، واعتمدت ما في القاموس .

وخرزة للتأخيذ[١] ويفتح كالسُّلْوان ، وخرزة تُدفن في الرمل فَتَسْوَدّ فيبحث عنها ، ويُسْقاها[٢] الإنسان فتُسَلِّيه ، أو السُّلْوان ما[٣] يشرب ليُسلِّي ، أو هو أن يؤخذ ترابُ قبرِ ميّت فيجعل في ماء فيُسقى العاشق فيموت حبه ، أو[٤] هو دواء يُسقاه الحزين فيفرّحه، ووادٍ لسُلَيْم[٥]، وعَينٌ بالقُدس عجيبة لها جَرْيَةٌ أو جريتان في اليوم فقط، والسَّلْوى طائر واحده[٦] سَلْوَاةٌ والسُّلَيّ كسُمَيّ وتُكسر ل‍مه واد، كذا في القاموس.

والضمير في سَلَوْا لأهل الشام، وفي بها لغرناطة، وجلَّق كما في القاموس كحِمِّص بكسرتين مشددة اللام، وكقِنَّب: دمشق أو غوطتها وكحِمِّص حبٌّ باليمن كالقمح، وناحية بالأندلس، وزَجْر للجمل، وجَلَق رأسه يجلقه حَلَقَه، والمرأةُ [٣٧٧/و] عن متاعها وثناياها[٧] كشفت ، والجِلِّقه كحِمِّصة وقد تخفف[٨] اللام وتشدد[٩] القاف العجوز والناقة الهرمة، ورَجُل مِجْليق كمسكين يجلق فمه عند الضحك أي يكشفه ، والتجلُّق ضَحِكٌ بفتح الفم حتى يبدو[١٠] أقصى الأضراس . انتهى ، وليعلم[١١] أنه لا يجتمع الجيم والقاف في كلمة إلا معرّبة أو صوتا .

---

(١) في نسخة الأصل م : للتأخيز" بالزاي ، وفي النسختين د ، ك : "للتأخير" بالراء ، واعتمدت ما في القاموس .

(٢) في جميع المخطوطات : "ويسقاه" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٣) في نسخة الأصل م : "ماء يشرب" ، وفي النسختين د ، ك : "وما يشرب" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٤) في جميع المخطوطات : "وهو" بإسقاط الهمزة ، واعتمدت ما في القاموس .

(٥) في جميع المخطوطات : "تسليم" ، والتصحيح من القاموس .

(٦) في القاموس : "واحدته" ، وكلاهما جائز .

(٧) في نسخة الأصل م : "وثناها" ، وما في النسختين د ، ك يوافق القاموس .

(٨) في جميع المخطوطات : "يخفف" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٩) في جميع المخطوطات : "ويشدو" ، واعتمدت ما في القاموس .

(١٠) في جميع المخطوطات : "تبدو" ، واعتمدت ما في القاموس .

(١١) في نسخة الأصل م رسمت الكلمة هكذا : "وا ليعلم" .

والمشابهة : المشاكلة ، وفي ذلك يقول الشاعر[1] :

تَشَــابَهَ دَمْعِــي إِذْ جَــرَى وَمُــدَامَتِي فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِيَ تَسْكُبُ

فَــوَ اللهِ مَــا أَدْرِي أَبِالْخَمْــرِ أَسْــبَلَتْ جُفُــونِيَ أَمْ مِــنْ عَــبْرَتِي كُنْــتُ أَشْــرَبُ[2]

ورئيس أهل الأدب في التشبيه ابن المعتز، ولذلك ضُرب المثل في تشبيهاته، فيقال تشبيهات ابن المعتز، فيقال: إذا رأيت كاف التشبيه في شعره فقد جاءك الحُسْن والإحسان؛ لأنه لما كان غَذِيَّ[3] النعمة ، وربيب[4]، ومنقطع القرين في البراعة لم يتهيأ لغيره ما تهيأ له من النفائس، وطرائق اللطائف، والآلات ، وبذلك اعتذر ابن الرومي عن أن يماثله[5] في لطائف التشبيه، فمن أنموذج تشبيهاته الملوكية قوله في وصف الهلال[6] :

أُنْظُــرْ إِلَيْــهِ كَــزَوْرَقٍ مِــنْ فِضَّــةٍ قَــدْ أَثْقَلَتْــهُ حُمُولَــةٌ مِــنْ عَنْــبَرِ

وقد ذكرت نبذة من نفائس تشابيهه الحسان التي كل قطعة منها كقطعة الجوهر والمرجان في رحلتنا الشامية[7] ، فمن رَامَ الوقوف على ذلك فعليه بها يرى نفائس سنية .

---

(١) البيتان لأبي إسحاق الصابي في يتيمة الدهر ٢/٢٥٧ ، ومن غاب عنه المطرب ٢٠٣ ووفيات الأعيان١/٣٩٢ ، وفي الجميع : "تورَّد دمعي . . ." ، وما هنا يوافق معاهد التنصيص ٢/٩٥ ، وأشير إلى هذا في هامش من غاب عنه المطرب . والبيتان من [الطويل] .

(٢) في جميع المخطوطات : ". . . أبا الخمر أسكبت . . ." [كذا] ، والتصحيح من المصادر .

(٣) في النسختين د ، ك "إذا" .

(٤) في نسخة الأصل م : "وبيب" بإسقاط الراء سهوا من الناسخ ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك ، والأحسن أن يقال : "وربب بالخلافة" .

(٥) الاعتذار عن المماثلة نجده في العمدة ٢/٩٨٦ ، ومعاهد التنصيص ١/١٠٨ .

(٦) ديوان ابن المعتز ٢/١٨٥ [دار المعارف] ، والبيت من [الكامل] .

(٧) توجد منها نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية.

وما أحسن قول القائل[(١)] :

شَــــبَّهْتُ بِالتُّفَّـــاحِ خَـــدَّ مُعَـــذِّبِي وَعَـــدَلْتُ عَـــن تَشْــبِيهِهِ بِالـــرَّاحِ

فَـــاحْمَرَّتِ الشَّـــامَاتُ فِي وَجَنَاتِـــهِ لِتَصِـــحَّ نِسْـــبَتُهُا إِلَى التُّفَّـــاحِ

[٣٣٧/ظ] وقوله[(٢)] :

شَــــبَّهْتُ حُمْــــرَةَ خَـــدِّهِ وَبَيَاضَـــهُ وَلِخَالِـــهِ فِيـــهِ سَـــوَادٌ خَـــالِصُ[(٣)]

بَحْـــرًا يَشُـــقُّ عَـــنِ احْمِـــرَارِ جَـــوَاهِرٍ وَالْخَـــالُ زِنْجِـــيٌّ عَلَيْـــهِ غَـــائِصُ[(٤)]

وقوله[(٥)] :

وَشَـــادِنٍ خِلْـــتُ مِنْـــهُ الْخَـــالَ فِي شَـــفَةٍ بَـــدَا يَضُـــوعُ لَـــهُ فِي جَمْرِهَـــا أَرَجُ[(٦)]

شَــــبَّهْتُ فَـــاهُ لِتَقْبِيلِـــي بِوَجْنَتِـــهِ بِخَـــاتَمٍ مِـــنْ عَتِيـــقٍ فَصُّـــهُ سَـــبَجُ[(٧)]

وقوله[(٨)] :

شَــبَّهْتُ وَجْــهَ مُعَــذِّبِي بَــدْرًا بَــدَا وَكَـــأَنَّ آسَ عِـــذَارِهِ كَالسَّوْسَـــنِ

(١) لم أعثر على البيتين ، وهما من [الكامل] .

(٢) لم أعثر على البيتين ، وهما من [الكامل] .

(٣) في النسخة د : "شبهت خمرة" بالخاء المعجمة .

(٤) في نسخة الأصل م : "بحر" بالرفع ، واعتمدت النسختين د ، ك .

(٥) لم أعثر على البيتين ، وهما من [البسيط] .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د كتبت كلمة "بدا" هكذا "بذي" بالذال المعجمة ، وفي النسخة ك : "بدي" بالدال المهملة . وصححته بالموجود .

(٧) السبج : خرز فيه سواد وبياض .

(٨) لم أعثر على البيتين ، وهما من [الكامل] .

وَكَــأَنَّ ذَاكَ الْخَــالَ عَبْــدٌ أَسْــوَدٌ ... سَكَنَ السِّيَاجَ لِيَحْمِيَ الْـوَرْدَ الْجَـنِي[1]

وقوله[2] :

رَأَيْــتُ الْــوَرْدَ يُشْــبِهُ وَجْــهَ حِــبِّي ... وَذاكَ اْلآسُ مُلْتَـفٌّ عَلَيْـهِ

فَقُلْــتُ تَعَجَّبُــوا مِــنْ صُــنْعِ رَبِّي ... شَــبِيهُ الشَّــيْءِ مُنْجَــذِبٌ إِلَيْــهِ

والضخم : العظيم من كل شيء ، قال في القاموس: الضَّخم بالفتح وبالتحريك[3] وكأحْمَد ويشدُّ آخره وكغراب : العظيم من كل شيء ، أو[4] العظيم الجِرْم الكثير اللحم، ضَخُم ككرُم ضَخْما وضخامة، والضّخْم من الطريق الواسع، ومن[5] المياه الثقيل، والأُضخومة بالضم عُظّامة المرأة ، وكمنبر الشديد الصَّدْم[6] والضرب[7] والسَّيّد الشريف الضخم ، والضِّخَمَّة كخِدَبّة العريضة الأَرِيضة[8] الناعمة . انتهى .

والمعنى : إنما سَلَوْا عن دمشق وجلّق لمشابهة غرناطة لهما في الضخامة أي العظم ، وشتّان بين المشبه به والمشبه ، فإن الشام جنة الله في البلاد ، والتي تحاكي في البلاد إرَم ذات

---

(١) في نسخة الأصل م : "ليحتمى الورد . . ." ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٢) لم أعثر على البيتين ، وهما من [الوافر] .

(٣) في جميع المخطوطات : "والتحريك" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٤) في جميع المخطوطات : "والعظيم" ، بإسقاط همزة "أو" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٥) في جميع المخطوطات : "من" ، بإسقاط الواو ، واعتمدت ما في القاموس .

(٦) في النسختين د ، ك : "الصوم" .

(٧) في جميع المخطوطات : "والعرب" ، والتصحيح من القاموس .

(٨) في نسخة الأصل م : "الأرصية" ، وفي النسختين د ، ك : "الأرضة" ، والتصحيح من القاموس .

العِمَاد ، كيف □ وقد اختَارتها(١) الأبدالُ ، وجعلتها دون غيرها مَحَطَّ الرِّحال ، وفي حديث الطَّبَرَانِي(٢) : الأبدال في أهل الشام بهم يُنْصَرون ، وبهم يُرْزَقون . وفي حديث أحمد(٣) : الأبدال أربعون رجلا ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، يسقى بهم الغَيث ، وينتصر بهم على الأعداء [٣٧٨/و] ويصرف عن أهل الشام بهم البلاء والعذاب . ومسكن الأبدال جبل لبنان ، وهو متصل بحمص ودمشق ، قال الشاعر(٤) :

وَجَـــاوِرْ جِبَـــالَ الشَّـــامِ لُبْنَـــانَ إِنَّهَـــا   مَعَـــادِنُ أَبْـــدَالٍ إِلَى مُنْتَهَـــى الْعَـــرْجِ

والجبال الشامية لم تزل متعبدات الأنبياء والأولياء ، ومَحل مُناجاتهم ، ومواطن الأبدال، وبها فواكه كثيرة، □ سيما التفاح، والأبدال يتقوّتون به وبالسمك ، وبتفاح الشام ضُرب المثل يقال : تفاح الشام ، يضرب فيه المثل في الحُسْن والطِّيب ، قال الصوري(٥) :

أَرَى الشَّـــــامَ جَـــــادَتْ بِتُفَّاحَـــــةٍ   لَنَـــــــا وَالْعِـــــــرَاقُ بِأُتْرُجَّـــــــهْ

---

(١) في النسختين د ، ك : "اختار" .

(٢) في المعجم الكبير١٢/٤٣٤، وهو برقم ١٤٥٤٧ ونصه:"حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عَمْرٍو الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن الْمُبَارَكِ الصُّورِيُّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بن وَاقِدٍ، عَنْ يَزِيدَ بن أَبِي مَالِكٍ، عَنْ شَهْرِ بن حَوْشَبٍ، قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ مِصْرُ، سَبُّوا أَهْلَ الشَّامِ، فَأَخْرَجَ عَوْفُ بن مَالِكٍ رَأْسَهُ مِنْ تُرْسٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ مِصْرَ , أَنَا عَوْفُ ابن مَالِكٍ، □ تَسُبُّوا أَهْلَ الشَّامِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ×، يَقُولُ:"فِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ، وَبِهِمْ تُرْزَقُونَ". وقد جاء هذا ضمن الكلام الآتي في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/٢٥ .

(٣) في مسند أحمد ٢/١٣١ من طريق شريح، وضُعّف في الهامش ، ولكنه ورد عن طريق ابن شميل في اللسان في [بدل] ، وجاء جزء منه في النهاية في غريب الحديث ١/١٠٧ دون إسناد ، وجاء في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/٢٥ ، وذُكرت الآراء في تضعيفه أو تقويته ، ولكن المؤلف بعد ذلك رأى أنه يتقوّى بتعدد طُرقه الكثيرة ، وأورد الكثير منها .

(٤) البيت من [الطويل] .، في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، باب ما يضاف وينسب إلى البلاد والأماكن، وكذا في ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري باب الأرض والجبال والحجارة.

(٥) لم أجده في ديوان الصورى . والبيت من [المتقارب] .

قال المأمون[١] : اجتمع في التفاح الحُمرة الخَمْرية والصُّفرة الذهبية مع شعاع الذهب ، وبياض الفضة ، تلتذُّ بها من الحواس ثلاثة: العين للَّوْن، والأنف للشمِّ، والفمُ للطَّعْمِ .

وكان يُحْملُ إلى الخلفاء من خَرَاج دمشق كل عام أربعٌ وثلاثون ألف ألف تفاحة، ومن خواص دمشق الشام أنه لا يخرج منها أحد إلا ندم، ولا يدخل إليها مكسور إلا جُبر، جعلها الله عامرة على مَرِّ الزمان، محروسة من طَوَارق الحَدَثَانِ، موطنا لأرباب الكمال، تُجبى إليها من كل ناحية نَفَائِسُ الخيرات ما طلع[٢] شمس الأدب بناديها، وغرّدت سَواجعُ الأطيار بواديها.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَبَـــدَا لَهُـــمْ وَجْـــهُ الْمُـــنَى وَأَرَاهُـــمُ الثَّغْـــرُ ابْتِسَـــامَهْ

بدا: ظهر، قال في القاموس : بَدَا بُدُوًّا وبداءة[٣] وبُدُوًّا ظهر ، وبداوة الشيء أول ما يبدو منه ، وبادى الرأي ظاهره ، وبدا [٣٧٨/ظ] له في الأمر بَدْوًا وبداء وبَدَاة نشأ (له)[٤] فيه رأى ، والبَدْو والبادية والباداة[٥] والبداوة خلاف الحضر، وتبدّى[٦] أقام بها، وتبادَى تشبّه بأهلها، والنسبة بَدَاوِيّ (كسَخَاويّ وبِداوِيّ بالكسر)[٧] وبَدَوي نادر[٨] ، وبدا[٩] القومُ

(١) في من غاب عنه المطرب ٧٣ .

(٢) [كذا] "ما طلع" في جميع المخطوطات ، والأحسن – في رأيي – : "ما طلعت" . والله أعلم .

(٣) في جميع المخطوطات : "وبداه" ، والتصحيح من القاموس .

(٤) ما بين القوسين زيادة من القاموس .

(٥) في نسخة الأصل م : "البداة" ، وما في النسختين د ، ك يوافق القاموس .

(٦) رسمت الكلمة في نسخة الأصل م هكذا "وتبدا" .

(٧) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٨) في القاموس : "نادرة" .

(٩) في نسخة الأصل م : "وبدأة" ، وما في النسختين د ، ك يوافق القاموس .

بَدًا[١] خرجوا إلى البادية، وقوم بُدًى[٢] وبُدًّا بادون، وبادَى بالعداوة جاهر كتَبادَى، والبداة الكمأة وتراب[٣]. انتهى.

والضمير في لهم عائد على أهل الشام . والوجه ما يقع به المواجهة ، وقد تقدم الكلام عليه، والمنَى ما يتمناه الإنسان ، أي يريده، قال في القاموس: تمناه أي[٤] أراده ، ومَنَّاه[٥] تمنيَه وبه وهي المنْية بالضم والكسر، ومِنَى كإلى قرية بمكة وتُصرف، ومُنيتُ (به)[٦] بالضم مَنْيًا بُليتُ (به)[٧]، ومانَاه جازاه أو ألزمه وماطَلَه ودَارَاه وعاقبه في الركوب. انتهى .

وفيه استعارة حيث شبه المنايا بالإنسان، وإثبات الوجه الذي هو من ملائمات المشبه به قرينة المكنية على ما لا يخفى. والثغر – كما تقدم – يطلق على محل المخافة من فروج البلدان، والمراد به غرناطة. والابتسام هو أقل الضحك وأحسنه فهو باسم، قال في القاموس: بَسَمَ يَبْسِم بَسْمًا وابتسم وتبسّم وهو أقل الضحك وأحسنه فهو باسم ومبسام وبسّام. والمبْسِم كمنزل الثغر، وكمَقْعد التبسُّم، وما بَسَمتُ في الشيء ما ذُقته[٨] .

---

(١) في جميع المخطوطات : "بداء" ، والتصحيح من القاموس .

(٢) في جميع المخطوطات : "بدا" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٣) "وتراب" ليس في القاموس .

(٤) "أي" ليس في القاموس .

(٥) في جميع المخطوطات : "وتمناه" واعتمدت ما في القاموس للسياق .

(٦) ما بين القوسين "به" في المرتين زيادة من القاموس .

(٧) كالمرجع السابق .

(٨) إلى هنا ينتهي النقل من القاموس .

والتبسُّم هو المحمود، وأما الضحك القهقهيّ فهو مذموم؛ لأنه مميت[1] للقلب، وكان عليه الصلاة والسلام ضحكه التبسم، كما قال الأبوصيريّ في هَمْزِيته[2]:

[٣٧٩/و] سَيِّدٌ ضِحْكُهُ التَّبَسُّمُ والْمَشْـ ــيُ الْهُوَيْنَا وَنَوْمُهُ ٱلإِغْفَاءُ

ولا يخفى ما في إسناد التبسُّمِ إلى الثَّغر من الإبهام[3] اللطيف، وقد كنى الناظمُ رحمه الله تعالى عن قبول الثغر لأهل الشام بالتبسم لأنه من لازمه ذلك كما لا يخفى.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وتبوَّأُوهَا خُضْرَةً تُبْرِي عَنِ الْمُضْنَي سَقَامَهْ[4]

قوله : وتبوءوها أي نزلوها، قال في المختار : تبوأ له[5] منزلا نزله[6] ، وبوَّأ له منزلا وبوَّأه منزلاً هيأه ومكّن له فيه ، والبَوَاء[7] بالفتح والمد السواء[8] ، يقال : دَم فلان بَوَاء[9] لدم فلان إذا كان كفؤا له . وفي الحديث[10] : "أمرهم أن يتباءَوْا" ، والصحيح يتباوَءُوا[11] بوزن يتقاوَلُوا ، ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ

---

(١) في النسختين د ، ك : "يميت القلب" .

(٢) ديوان البوصيري ٥٧ . وهو من [الخفيف] .

(٣) في نسخة الأصل م : "الإيهام" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٤) في نفح الطيب : "وتبوأوها حضرة [بالحاء المهملة] . . . تبرى من . . ." .

(٥) "له" ليست في المختار .

(٦) في نسخة الأصل م : "نزل" بإسقاط الهاء ، وما في النسختين د ، ك يوافق المختار .

(٧) في نسخة الأصل م : "والبوا" بإسقاط الهاء ، واعتمدت ما في المختار وما في النسختين د ، ك .

(٨) في جميع المخطوطات : "السوا" بإسقاط الهمزة . واعتمدت ما في المختار .

(٩) في جميع المخطوطات : "بوا" بإسقاط الهمزة . واعتمدت ما في المختار .

(١٠) لم أعثر على الحديث . وفي جميع المخطوطات : يتبووا" واعتمدت ما في المختار .

(١١) في جميع المخطوطات : "يتباووا" ، واعتمدت ما في المختار .

ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[١][٢] رجعوا به ، وكذا باء بإثمه من باب قال[٣] .

والخُضْرة قال في القاموس: لون معروف جمعه خُضَر وخُضْر، خَضِر[٤] الزرعُ كفَرِح، واخضرّ واخْضَوضَر فهو أخضر، (وخضور)[٥] وخَضِرٌ وخَضِير، والخَضِر ككَتِف الغُصْن والزرع والبَقْلة الخضراء كالخَضِرَة[٦] والخضير، والمكان الكثير الخُضْرة، واختُضر[٧] بالضم أُخذ طريًّا غضًّا ، والشاب مات فتيا ، والأخضر الأسود ضِدٌّ ، والخضراء السماء. انتهى .

وقد جاء[٨] عن سَلْمان الفارسي رضي الله عنه : سماء الدنيا من زُمردة خضراء ، والثانية من فضة ، والثالثة ياقوتة حمراء ، والرابعة من دُرّة بيضاء ، والخامسة من ذهب ، والسادسة من ياقوتة خضراء ، والسابعة من النور[٩] .

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٦١)، وآل عمران، الآية: (١١٢).

(٢) في جميع المخطوطات : "وباوا" ، والتصحيح من المختار .

(٣) انتهى النقل من المختار .

(٤) في القاموس : "خضر" بدون الواو .

(٥) ما بين القوسين زيادة من القاموس للسياق .

(٦) في جميع المخطوطات : "وكالخضرة" ، والواو ليست في القاموس ، وقد اعتمدته .

(٧) في جميع المخطوطات : "واخضر" ، والتصحيح من القاموس .

(٨) لم أعثر على هذا .

(٩) في النسخة د : "من نور" ، وهذا هو السبب في سهو الناسخ ، وسقوط ما سقط .

والمنقول[١] عن الأستاذ القُشيري أن[٢] [٣٧٩/ظ] الأولى من موج مكفوف ، والثانية من نحاس ، والثالثة من فضة ، والرابعة من ذهب ، والخامسة من ياقوتة ، والسادسة من زُمرد ، والسابعة من نور .

وعليه فخضرة سماء الدنيا قيل إنها من جبل قاف لأنه من زُمردة[٣] خضراء وقيل[٤] خضرتها من الصخرة التي تحت الأرض السفلى تحت الثور المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ يَـٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٥].

فائدة[٦]: قال الغَزَالي[٧] رحمه الله تعالى: وفي النظر إلى السماء عشر فوائد: منها أنه يصرف ويذهب السوداء، ويقوِّي البصر، وزينة للناظرين، وعندك من الانشراح بقدر ما في بيتك من السماء.

ولم تزل الأ[illegible]باء تأمر بإدمان النظر إلى الخُضرة ؛ لأن فيه قوةً للبصر ، وخضراء الدِّمَن الواردة في النَّهى هي المرأة الحَسْنَاء في منبت سوء ، وهذا من جوامع الكَلِم التي لم يَسبق إليها

(١) من هنا إلى : "والسابعة من نور" سقط من النسخة د سهوا من الناسخ .

(٢) لم أعثر على هذا .

(٣) في النسختين د ، ك : "من زمرد أخضر" .

(٤) جاء هذا في تفسير الطبري ٥٥٦/١٨ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦٤٩/١١ و ٦٥٠ ، وما هنا أقرب إلى الدر المنثور .

(٥) سورة لقمان، الآية: (١٦).

(٦) لم أعثر على هذه الفائدة .

(٧) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسى ، الفقيه الشافعي ، درس على يد أستاذه إمام الحرمين أبي المعالي الجُوَيني ، وجدّ في الاشتغال بالعلم حتى أصبح يشار إليه بالبنان ، تنقل في أماكن كثيرة ، ولزم الزهد في أخرياته وبعد أن [illegible]وّف في الآفاق عاد إلى و[illegible]نه [illegible]وس ، واشتغل بالتأليف . ت ٥٠٥هـ [من وفيات الأعيان ٢١٦/٤ بتصرف] .

غير المصطفى (×)[١] .

وفي مقامات البديع الهمذاني [٢] : علقت خضراء دمنه ، وسقيت منها بابنه[٣] وما أحسن قول ابن المعتز[٤] :

وَمُزْنَـــةٍ جَـــادَ مِـــنْ أَجْفَانِهَـــا الْمَطَـــرُ فَـــالرَّوْضُ مُنْـــتَظِمٌ وَالْقَطْـــرُ مُنْتَشِـــرُ

مَـــا زَالَ يَلْطِـــمُ وَجْـــهَ ٱلأَرْضِ نَائِلُهَـــا حَـتَّى وَقَـتْ خَـدَّهَا الْغُـدْرَانُ وَالْخُضَـرُ[٥]

والناظم رحمه الله[٦] يلمح إلى قوله : ثلاثة يُذهبن الهمَّ والحزَن : الماء ، والخضراء ، والشكل[٧] الحسن . ويصح أن تكون[٨] الخضرة على حقيقتها من باب التغليب، أو على حذف مضاف ، أي ذات خضرة ، أو هي كناية عن طيب العيش والرفاهية .

---

(١) الحديث هو : "إياكم وخضراء الدمن ، قيل وما خضراء الدمن ؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء" جاء في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ١٣٠ . وفيه قيل : "قال في المختصر : ضعيف . قال في المقاصد : تفرّد به الواقدي" . وجاء الحديث مع بعض اختلاف في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢٧٢/١ ، وفيه كلام كثير في شأنه من حيث التضعيف أو عدمه .

(٢) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني ، الحافظ المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة ، ونسج الحريري مقاماته على منواله . ت ٣٩٨هـ [من وفيات الأعيان ١٢٧/١ بتصرف] .

(٣) القول في المقامة الشيرازية ونصه :" قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ: أَنْتَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ؟ فَقَالَ: أَنا ذَاكَ، فَقُلْتُ: شَدَّ مَا هُزِلْتَ بَعْدِي! وَحُلْتَ عَنْ عَهْدِي! فانْفُضْ إِليَّ جُمْلَةَ حالِكَ، وَسَبَبَ اخْتِلاَلِكَ، فَقالَ: نَكَحْتُ خَضْرَاءَ دِمْنَةٍ، وَشَقِيتُ مِنهَا بِابْنَةٍ، فَأَنَا مِنهَا فِي مِحْنَةٍ، قَدْ أَكَلَتْ حَرِيبَتِي، وَأَرَاقَتْ مَاءَ شَيْبَتِي، فَقُلْتُ: هَلاَّ سَرَّحْتَ وَاسْتَرَحْتَ". مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمزانى، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، وتقديم شريف عفت، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢.

(٤) ديوان ابن المعتز ٥٢٨/٢ و ٥٢٩ [ط عالم الكتب] . والبيتان من [البسيط] .

(٥) في جميع المخطوطات جاء الشطر الثاني هكذا: "حتى وفت خدها الخضران والخضر"، والتصحيح من الديوان.

(٦) في النسختين د ، ك : "رحمه الله تعالى" .

(٧) في نسخة الأصل م : "وشكل" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٨) في نسخة الأصل م : "يكون" بالمثناة التحتية ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

قوله: تبري، قال [٣٨٠/و] في المختار: يقال(١): بَرَأ من المرض من باب قطع، وأبرأه من الدَّين وبرّأه تبرئة، وتبرّأ من كذا فهو بَراء منه بالفتح والمدّ، لا يثنى ولا يجمع؛ لأنه مصدر كالسماع، ورجل بريء وبُراء بالضم والمدّ، وبارأ(٢) شريكه فارقه.

والمضْنَى المريض. والسقام المرض، قال في القاموس: السَّقام كسحاب وجَبَلٍ وقُفْل: المرض، وسَقِم كفرح وكرُم فهو سقيم. والمعنى: أنهم نزلوها فوجدوها لحُسْن رونقها تُبْرِئُ المريضَ من السقام لما احتوت عليه من عذوبة الماء ولطافة الهواء(٣)، كما أشار إليه بقوله:

بِرُوَائِهَــــــــا وَبِمَائِهَـــــــــا وَهَوَائِهَـــا النَّـــــافِي الْوَخَامَـــــهْ

الرواء : المنظر الحسن ، والماء جوهر لطيف سيال ، يتلوّن بلون إنائه ، العذب منه به حياة كل نام ، وأصل المياه كلها ماء السماء لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَابِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٤) ، وأصله مَوَه تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقبلت ألفا على القياس ، ثم أبدلت الهاء همزة على غير القياس ، وحصل بذلك توالى إعلالين ، وجمعه في القلة أمواه بالهاء على الأصل ، وربما أبدلوها همزة في الجمع ، وفيه قال الشاعر(٥) :

---

(١) "يقال" ليست في المختار .

(٢) في جميع المخطوطات : "وبرأ" ، واعتمدت ما في المختار .

(٣) في جميع المخطوطات رسمت كلمة "الهواء" هكذا "الهوا" بإسقاط الهمزة .

(٤) سورة الزمر، الآية: (٢١).

(٥) لم أعثر على الرجز .

وَبَلْـــــدَةٍ قَالِصَـــــةٌ أَمْوَاؤُهَـــــا   مَاصِـــحَةٌ رَأْدَ الضُّـــحَى أَفْيَاؤُهَـــا[(١)]

القالصة: المرتفعة. والماصِحة: الذاهبة. ورأْد الضحى: ارتفاعها، وجمعه على الأصل في الكثرة أمياه بالهاء لا غير، وإنما قُلبت عينه بالكسرة قبلها والألف بعدها كدار وديار ، وإنما صحّت[(٢)] في طِوال لصحتها في طويل، وشذ قوله[(٣)] :

فَـــإِنَّ أَعِـــزَّاء الرِّجَـــالِ طِيَالُهَـــا

وإنما أُعلت في [٣٨٠/ظ] سياط مع سلامتها في سوط لأن السكون عندهم كالإعلال ، والنسبة إلى الماء مائي بالهمزة وماوي بالواو ككسائي وكساوي .

وأفضل المياه بعد الذي نَبع وخرَج من كَفِّه (ﷺ) ماء زَمزم ، ثم النيل ، ثم الفرات، ثم سَيحون ، ثم جَيحون ، وأحسنها ما بَعُد جريُه ولم يكن تحت ظل ، وأعذب المياه قيل[(٤)] ماء صدَّاء، وهو ماء بئر يضرب بعذوبته المثل ، قال السعدي[(٥)] :

وَإِنِّي وَتَهْيَـــامِي بِزَيْنَـــبَ كَالَّـــذِي   يُحَـاوِلُ مِـنْ أَحْـوَاضِ صَـدَّاءَ مَشْـرَبَا[(٦)]

---

(١) في النسختين د ، ك : "ناصحة" . ومَاصِحَةٌ من مصح الكتاب : دَرَس أو قارب ، ومصح بالشيء : ذهب . ومصح لبن الناقة : إذا وَلّى . من اللسان في [مصح] .

(٢) هذا مع شاهده الشعري في اللسان في [طول] .

(٣) البيت في اللسان دون نسبة في [طول] ، والمذكور هنا عجز البيت، وصدره كما في اللسان: "تبينّ لي أن القماءة ذلة...".

(٤) جاء هذا في ثمار القلوب ٥٦٠ ، ، وهذا الماء يضرب به المثل فيقال :"ماء ولا كصداء". واللسان في [صدأ] .

(٥) هو ضرار السعدي كما في ثمار القلوب ٥٦٠، وضرار بن عمرو السعدي كما في اللسان في [صدأ]، ولم أعثر على ترجمة له.

(٦) البيت في المصدرين المذكورين . وهو من [الطويل] . وفى اللسان : "يحاول من أحواض . . ." ، وما هنا يوافق ثمار القلوب . وفي المخطوطات : "صد المشربا" ، والتصحيح من المصدرين .

وقيل[١] : ماء الغادية ، وفي المثل[٢] أعْذَب من ماء الغادية[٣] .

وقيل[٤] : ماء البارق (والغادية)[٥] السحابة[٦] التي تغدو ، والبارق : السحاب الذي فيه بَرْق .

ولشدة صفاء الماء وكمال حسنه صارت[٧] العرب تستعير الماء لكل ما يحسن منظره ، ويعظم قدره ، فنقول : ماء الوجه ، وماء الحياة ، وماء الشباب ، وماء السيف ، وماء النعيم ، ومن دعائهم المشكور : سقاه الله[٨] ، فإذا تذكروا أياما طابت قالوا : سقى الله تلك الأيام ، قال طَرفة[٩] :

وَسَقَى دِيَارَكَ – غَيْرَ مُفْسِدِهَا –   صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي[١٠]

قال[١١] :

وَمَا أَرِقْتُ بِجَرْحِى قَطْرَةً فَجَرَتْ   مِنْ مَاءِ وَجْهِيَ إِلاَّ خِلْتُ ذَاكَ دَمِي[١٢]

---

(١) في ثمار القلوب ٥٦١ . وفي جميع المخطوطات : "ماء الغاربة" ، والتصحيح من ثمار القلوب .

(٢) المثل في جمهرة الأمثال ٧١/٢ .

(٣) في جميع المخطوطات : "الغاربة" ، والتصحيح من ثمار القلوب .

(٤) في ثمار القلوب .

(٥) ما بين القوسين زيادة من ثمار القلوب يتم بها القول .

(٦) في جميع المخطوطات : "والسحابة" وهو سهو من الناسخ ، كتب الواو ونسى "الغادية" ، وفي نسخة الأصل م رسمت الكلمة هكذا "والسابة" بإسقاط الحاء ، وهو سهو من الناسخ .

(٧) من هنا إلى نهاية الفقرة منقول من ثمار القلوب ٥٦٣ ومعه الشعر .

(٨) في الثمار : "سقاك" .

(٩) ديوان طرفة ٩٧ . وهو من [الكامل] .

(١٠) في الديوان : فسقى بلادك" ، وفي الثمار : "فسقى ديارك" .

(١١) هذا يوهم أن القائل هو طرفة ، وليس كذلك ، ولكن هنا سقط فيه بيتان لأبي تمام في الثمار ٥٦٣ ، ثم قيل بعدهما : "وسرقه اللحام فقال" .

(١٢) البيت في الثمار . وهو من [البسيط] .

فماء الوجه عبارة عن الحياء(١) الذي هو أفضل من الماء(٢) ، وقد(٣) يراد به رونق الحسن قال أبو تمام(٤) :

نَكِــرَتْ فَــتًى أَوْدَى بِنَضْــرَةِ وَجْهِــهِ وَبِمَائِــهِ نَكَــدُ الْخُطُــوبِ وَلُومُهَــا(٥)

وقال المتنبي(٦):

وَلَقَــدْ بَكَيْــتُ عَلَــى الشَّــبَابِ وَلِمَّــتِي مُسْــوَدَّةٌ وَلِمَــاءِ وَجْهِــيَ رَوْنَــقُ

ولأبي تمام استعارات حَسنة للماء كقوله في وصف نساء [٣٨١/و] ثَكَالى(٧) :

خَاضَــتْ مَحَاسِــنَهَا مَخَــاوِفُ غَــادَرَتْ مَــاءَ الصِّــبَا وَالْحُسْــنِ غَــيْرَ زُلاَلِ(٨)

وقوله(٩) :

قَــدْ كَــانَ بَــوَّأَهُ الْخَلِيفَــةُ مَنْــزِلاً مِــنْ قَلْبِــهِ حَرَمًــا عَلَــى ٱلأَقْــدَارِ(١٠)

---

(١) في جميع المخطوطات : "الجاه" ، والتصحيح من الثمار .

(٢) في جميع المخطوطات : "المال" ، والتصحيح من الثمار .

(٣) هذا ليس في ثمار القلوب [ط أبو الفضل] وليس فيه بيت أبي تمام ، ولكن هذا كله جاء بين قوسين في ثمار القلوب [ط إبراهيم صالح] ٨١٠/٢ ، ولم يبين السر في القوسين .

(٤) ديوان أبي تمام ٢٧٢/٣ ، والبيت من [الكامل] .

(٥) في جميع المخطوطات:"ذكرت فتى...وبمائه تلك..."، والتصحيح من الثمار والديوان، ولومها بمعنى:لؤمها.

(٦) ديوان المتنبي ٣٣٦/٢. والبيت من [الكامل]. وفي نسخة الأصل م: "ولقد المتنبي" واعتمدت النسختين د، ك.

(٧) ديوان أبي تمام ١٤٢/٣ . والبيت من [الكامل] .

(٨) في جميع المخطوطات : "فاضت محاسنها . . ." ، والتصحيح من ثمار القلوب بطبعتيه والديوان وفي نسخة إبراهيم صالح جعل البيت من [البسيط] في متن الكتاب وفهارسه ، وهو خطأ .

(٩) ديوان أبي تمام ٢٠٥/٢ . والبيتان من [الكامل] . وقد أخطأ إبراهيم صالح في نسخة ثمار القلوب حين جعلهما في المتن وفي الفهارس من البسيط .

(١٠) في جميع المخطوطات : "من قلبه جزما . . ." ، والتصحيح من الثمار بطبعتيه والديوان .

فَسَقَاهُ مَاءَ الْخَفْضِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ وَأَنَامَهُ فِي الْأَمْنِ غَيْرَ غِرَارِ[1]

وقوله يرثى من قصيدة[2] :

أَلاَ أَيُّهَا الْمَوْتُ فَجَّعْتَنَا بِمَاءِ الْحَيَاةِ وَمَاءِ الْحَيَاءِ

وقد أغار السَّرِي[3] الموصلي عليه في هذين الماءين[4] ، ونقلهما إلى المدح فقال[5]:

وَكَفٍّ تُرَقْرِقُ مَاءَ الْحَيَاةِ وَوَجْهٍ يُرَقْرِقُ مَاءَ الْحَيَاءِ[6]

وقال أبو تمام[7] :

وَكَيْفَ وَلَمْ يَزَلْ لِلشِّعْرِ مَاءٌ يَرِفُّ عَلَيْهِ رَيْحَانُ الْقُلُوبِ[8]

---

(١) غير مصرّد : أي مقلل . [من هامش الديوان] .

(٢) ديوان أبى تمام ٩/٤ . وهو من [المتقارب] .

(٣) هو السريُّ بن أحمد بن السريّ الكنديّ ، وكنيته أبو الحسن، ويعرف بالرفَّاء؛ لأنه كان يرفو ويطرز في دكانه بالموصل، قصد سيف الدولة، فمدحه ومكث عنده فترة، ثم ذهب إلى بغداد، ومدح الكثير من الوزراء والأعيان بشعره، وأخذ شعره في الذيوع إلى أن وقف في وجهه الخالديان، فضاقت به الحال، حتى اضطر إلى أن يقوم بنسخ الكتب. ت ٣٦٦هـ [من هامش العمدة ٤٤٨/٢] .

(٤) في ثمار القلوب [ط أبو الفضل] : "البيتين" ، وما هنا يوافق الثمار [ط إبراهيم صالح] .

(٥) ديوان السري الرفاء ٢٧٠/١ . والبيت من [المتقارب] .

(٦) في جميع المخطوطات: "وكيف ترقرق"، واعتمدت ما في الثمار بطبعتيه، وفي الديوان : "بكف ترقرق . . .". وفي الثمار [ط أبو الفضل] سقط الشطر الثاني .

(٧) ديوان أبى تمام ٣٢٥/٤ . وهو من [الوافر] .

(٨) في جميع المخطوطات : "يرق عليه . . ." ، والتصحيح من الديوان والثمار بطبعتيه .

وقال[١] :

مُحَمَّــدُ بْــنُ حُمَيْــدٍ أُخْلِقَــتْ رِمَمُــهْ　　　هُرِيقَ مَاءُ الْمَعَالِي مُذْ هُرِيقَ دَمُهْ[٢]

فقد أحسن استعارة ماء الصِّبا ، والحسن ، والخفض ، والحياة ، والحياء ، والشعر ، والمعالي ، لكنه أساء استعارة ماء الملام حيث قال[٣] :

لاَ تَسْــقِنِي مَــاءَ الْمَــلاَمِ فَــإِنَّنِي　　　صَــبٌّ قَــدِ اسْــتَعْذَبْتُ مَــاءَ بُكَــائِي

وإنما تحسن الاستعارة بما يحسن فيه التشبيه والتمثيل، ولم يحسن ولم يسئ في قوله[٤]:

تَمَنَّــتْ أَنْ يَعُــودَ لَهَــا حَبِيــبٌ　　　مُــنًى شَــطَطًا وَأَيْــنَ لَهَــا حَبِيــبُ ؟ ![٥]

واستظرف قول الصنوبري في مَرثية غلام[٦] :

إِنْ يُــرَقْ مَــاءُ ذَلِــكَ الْوَجْــهِ فِي الــتُّرْ　　　بِ فَــإِنِّي لِمَــاءِ عَيْــنِي مُرِيــقُ[٧]

---

(١) في جميع المخطو◻ات : "قال ابن حبيب" [كذا] . والبيت في ديوان أبي تمام ١٣٧/٤ . وهو من [البسيط] .

(٢) في الديوان : "أريق معالي . . ." ، وفي الديوان والثمار بطبعتيه : "مذ أريق . . ." وكلاهما بمعنى واحد . وفي جميع المخطو◻ات : "أخلفت ذممه . . . ماء المعاني" ، والتصحيح من الديوان والثمار بطبعتيه .

(٣) ديوان أبي تمام ٢٥/١ . والبيت من [الكامل] .

(٤) ديوان أبي تمام ٥٥٦/٤ و ٥٥٧ . والبيتان من [الوافر] .

(٥) في الديوان : "تمنى أن يعود . ." ، وفي نسخة الأصل م : "معي شططا" ، وفي النسختين د ، ك : "ففي شططا"، والتصحيح من الديوان والثمار بطبعتيه .

(٦) تتمة ديوان الصنوبري ٥١ . والبيت من [الخفيف] .

(٧) في جميع المخطو◻ات جاء البيت هكذا :

إن يرق ما الوجه في الترب　　فإني لماء العين فيه مريق

[كذا] ، وهو خطأ كامل في الوزن .

وماء الشباب قد أكثر فيه الشعراء فأحسنوا ، قال الفياض[1] :

وَمَــــا بَقِيَــــتْ مِـــــنَ اللَّــــذَّاتِ إِلاَّ ... مُحَادَثَـــةُ الْكِـــرَامِ عَلَـــى الشَّـــرَابِ[2]

وَلَثْمُـــــكَ وَجْنَـــــتَيْ قَمَـــــرٍ مُنِـــــيرٍ ... يَجُـــولُ بِخَـــدِّهِ مَـــاءُ الشَّـــبَابِ[3]

وجمع ابن الروميّ في مرثيّةِ قينة (بين)[4] ثلاثة مياه مستعارة فقال[5] :

يَا حَـــرَّ صَـــدْرِي عَلَـــى ثَلاَثَـــةِ أَمْـــ ... ـــوَاءٍ أُرِيقَـــتْ فِي الـــتُّرْبِ وَالمَـــدَرِ[6]

[٣٨١/ظ] مَـاءُ شَـبَابٍ وَنِعْمَـةٍ مُزِجَـا ... بِمَـــــاءِ ذَاكَ الْحَيَـــــاءِ وَالْخَفَـــــرِ

ثم قال وجاء بماء رابع[7] :

تَبَتَّـــــلَ الْعُـــــودُ بَعْـــــدَ فَقْـــــدِكُمُ ... وَازْدَجَـــــرَ اللَّهْـــــوُ أَيَّ مُزْدَجَـــــرِ[8]

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض ، كاتب سيف الدولة ونديمه ، معروف في مضمار الأدب وحلبة الكتابة ، أخذ بطرفي النظم والنثر ، وكان سيف الدولة لا يؤثر عليه في السِّفارة إلى الحضرة أحدا لحسن عبارته وقوة بيانه ، ونفاذه في استغراق الأغراض ، وتحصيل المراد . [من يتيمة الدهر ١١٧/١] ، وفي الثمار [ط أبو الفضل] البياض وفي الثمار [ط إبراهيم صالح] الفياضي، وفي نسخة الأصل م الغياضى" وما في النسختين د ، ك يوافق يتيمة الدهر .

(٢) البيتان في اليتيمة ١١٩/١ بالإضافة إلى ثمار القلوب بطبعتيه ، وهما من [الوافر] . وفي جميع المخطوطات : "مجاورة الكرام" ، والتصحيح من اليتيمة والثمار بطبعتيه .

(٣) في جميع المخطوطات : "ولا شكل ولا قمر منير . . . ماء الشراب" . والتصحيح من اليتيمة والثمار بطبعتيه .

(٤) ما بين القوسين زيادة من الثمار بطبعتيه يتم بها القول ، وفي جميع المخطوطات : "ثلاث مياه" والتصحيح من الثمار بطبعتيه .

(٥) ديوان ابن الرومي ٩١٧/٣ . والأبيات من [المنسرح] .

(٦) في الديوان : "أريقت في الترب" ، وما هنا يوافق الثمار بطبعتيه .

(٧) ديوان ابن الرومي ٩٢٠/٣ .

(٨) في الديوان : ". . . عند فقدكم" .

وَغَـــاضَ مَـــاءُ النَّعِـــيمِ بَعْـــدَكُمُ وَانْهَمَـــرَ الـــدَّمْعُ أَيَّ مُنْهَمَـــرِ[1]

وماء الحسن من أحسن ما قيل فيه قول ابن المعتز[2] :

لِي مَـــوْلًى لاَ أُسَمِّيـــهِ كُـــلُّ شَـــيءٍ حَسَـــنُ فِيـــهِ

تَصِـــفُ الأَغْصَـــانُ قَامَتَـــهُ لِتَـــثَنٍّ كَتَثَنِّيـــهِ[3]

وَيَكَـــادُ الْبَـــدْرُ يُشْـــبِهُهُ وَتَكَـــادُ الشَّـــمْسُ تَحْكِيـــهِ

كَيْـــفَ لاَ يَخْضَـــرُّ عَارِضُـــهُ وَمِيَـــاهُ الْحُسْـــنِ تَسْـــقِيهِ

وماء الندى ، قال العتابي[4] وأجاد[5] :

أَتَتْرُكُـــنِي جَـــدْبَ الْمَحَلَّـــةِ ضَـــنْكَهَا وَكَفَّـــاكَ مِـــنْ مَـــاءِ النَّـــدَى تَكِفَـــانِ ؟ !

وقال البحتري[6] وأحسن:

---

(١) في الديوان : ". . . النعيم يتبعكم . . . كل منهمر" .

(٢) ديوان ابن المعتز ٤١٤/١ و ٤١٥ . والأبيات من [المديد] .

(٣) في الديوان والثمار بطبعتيه : "بتثن . . ." .

(٤) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي ، يكنى أبا عمرو ، وهو من أهل الشام وسكن بغداد ، ورُمى بالزندقة ، وكان كاتبا حسن الترسل ، وشاعرا مجيدا ، يسلك طريق النابغة . ت ٢٢٠هـ [من هامش العمدة ٣٤٨/١ بتصرف] . وفي ثمار القلوب [ط أبو الفضل] "العباس" مكان "العتابي" وهو خطأ .

(٥) البيت للعتابي في الأغاني ١١٣/١٣ نقلا عن الثمار [ط إبراهيم صالح] ، وقد وجدته في الأغاني . وهو من [الطويل] . وفي الأغاني في الشطر الأول : "أتتركني جدب المعيشة مقترا" ، وفي جميع المخطوطات "تكناني" والتصحيح من المصادر .

(٦) هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد البحتري الطائي ، يكنى أبا عبادة ، وقيل اسمه الوليد بن عبيد الله ، تتلمذ على أبي تمام ، وكان يعترف بفضل أستاذه عليه ، وقد اختلف الناس قديما وحديثا حول شاعرية كل منهما . ت ٢٨٤هـ . الأعلام ١٠٤/٨، وفيات الأعيان ٢١/٦، معجم الأدباء ٤٨٤/٢.

وَمَــا أَنَا إِلاَّ غَــرْسُ نِعْمَتِــكَ الَّــتِي أَفَضْــتَ لَــهُ مَــاءَ النَّــوَالِ فَأَوْرَقَــا[١]

وَقَفْــتُ بِآمَــالِي عَلَيْــكَ جَمِيعَهَــا فَرَأْيُــكَ فِي إِمْسَــاكِهِنَّ مُوَفَّــقُ[٢]

وقال وزاد في الإحسان[٣] :

وَوَجْــهٍ سَــالَ مَــاءُ الْجُــودِ فِيــهِ عَلَــى الْعِــرْنِينِ وَالْخَــدِّ الأَسِــيلِ[٤]

يُرِيــكَ تَأَلُّــقَ الْمَعْــرُوفِ فِيــهِ شُــعَاعُ الشَّــمْسِ فِي السَّـيْفِ الصَّـقِيلِ

وماء النعيم ، وأحسن ما فيه قول البُستي[٥] :

وَيْــحَ عَــيْنٍ لَمْ تَــرْوَ مِــنْ مَــاءِ وَجْــهٍ قَــدْ سَــقَاهُ الشَّــبَابُ مَــاءَ النَّعِــيمِ[٦]

مَــا الْتَقَيْنَــا وَأَحْمَــدُ اللهَ إِلاَّ مِثْــلَ مَــا تَلْتَقِــي جُفُــونُ السَّــقِيمِ[٧]

وقال السري (في مزيّن)[٨] :

إِذَا لَمَــعَ الْــبَرْقُ فِي كَفِّــهِ أَفَـاضَ عَلَــى الــرَّأْسِ مَــاءَ النَّعِــيمِ[٩]

---

(١) ديوان البحتري ١٥٠٧/٣ . والبيتان من [الطويل] . وفي الديوان : وما أنا إلا غرسك الأول الذي" . وفي جميع المخطوطات : أفضت لها ماء النوافل فارق" ، والتصحيح من الديوان والثمار بطبعتيه .

(٢) في جميع المخطوطات : "ورأيك في إمساكه موافق" ، والتصحيح من الديوان والثمار بطبعتيه .

(٣) ديوان البحتري ١٧٣٨/٣ . وهما من [الوافر] .

(٤) في الديوان : "ووجهٌ رق" بالرفع لأنه معطوف على مرفوع في سابقه . وفي الثمار بطبعتيه : "ووجه حال . ." .

(٥) البيتان ليسا للبستي ، وإنما لكشاجم في ديوانه ٣٧٣ . وهما من [الخفيف] .

(٦) في الديوان والثمار بطبعتيه : "ويح عيني . . ." .

(٧) في الديوان : "فأحمد الله . . ." ، وفي الثمار بطبعتيه : "والحمد لله . . ." .

(٨) ما بين القوسين زيادة من الثمار بطبعتيه يتم بها السياق .

(٩) ديوان السري الرفاء ٦٨٠/٢ . وهو من [المتقارب] . في نسخة الأصل م : "ومزين إذا لمع . ." ، وفي النسختين د ، ك : وزين إذا . ." وهو خطأ من الناسخ ، وفي جميع المخطوطات : "فاض" بإسقاط الهمزة من أوله ، وهو خطأ في الوزن والتصحيح من المصادر . وفي الثمار [ط إبراهيم صالح] والديوان "أفاض على الوجه" .

وماء الظرف ، قد تظرف الصاحب في استعارة الماء في الظرف[1] حيث قال[2] :

وَشَــــادِنٍ أَحْسَـــــنَ فِي إِسْــــعَافِهِ　　　يَقْطُــرُ مَــاءُ الظَّــرْفِ مِــنْ أَطْرَافِــهِ[3]

[٣٨٢/و] والهواء[4] تقدم الكلام عليه مبسوطا ، والمراد به الذي بين السماء والأرض ، وقوله : النَّافِي : أي الطارد ، كما في المختار ، قال : نفاه : طرده ، يقال : نفاه فانتفى ، كما تقدمت الإشارة إليه . والوخامة : قال في المختار : شيء[5] وخيم أي ثقيل بيِّن الوخامة والوخومة ، وشيء وَخْم أي وَبِئٌ ، وبلدة وَخِيمَةٌ[6] ووَخْمَةٌ إذا لم توافق من سكنها[7] .

وقد وصف الناظم رحمه الله تعالى غرناطة بهذه الأوصاف تلميحا لقول الحكماء[8]: خير الأماكن ما عظم رواؤه، وعذب ماؤه، وطاب هواؤه. وقد بالغ الناظم رحمه الله تعالى في مدح إقليمه، ووصفه بما رأيت؛ لأن اللبيب[9] يحن إلى وطنه حنين النجيب إلى عطنه، وفي المثل[10]: لولا حب الأوطان لخرب بلد السوء، وفيه أيضا[11]: الكريم يحن إلى جنابه كما يحن الأسد إلى غابه ، وفيه[12] : ميلك إلى مولدك من كرم محتدك، وما أرق قول جرار بن هباش

(١) في الثمار : "للظرف" ، وهو أحسن في رأيي .

(٢) ديوان الصاحب بن عباد ٢٤٨ . والبيت من [الرجز] .

(٣) إلى هنا ينتهي النقل من ثمار القلوب ، وهو قدر كبير جدا .

(٤) رسمت الكلمة في جميع المخطوطات هكذا : "والهوى" .

(٥) كلمة شيء" ليست في المختار .

(٦) في المختار : "وخمة ووخيمة" .

(٧) في المختار : "ساكنها" .

(٨) لم أعثر على هذا القول .

(٩) من هنا منقول من رسائل الجاحظ ٣٩١/٢ .

(١٠) رسائل الجاحظ ٣٨٩/٢ .

(١١) رسائل الجاحظ ٣٨٦/٢ . وفي جميع المخطوطات: ". . . يحن إلى حابه" ، والتصحيح من رسائل الجاحظ.

(١٢) رسائل الجاحظ ٣٨٦/٢ .

الطائي[١] :

سَقَى اللهُ أَطْلالاً بِأَخْيِلَةِ الحِمَى ... وَإِنْ كُنَّ قَدْ أَبْدَيْنَ لِلنَّاسِ مَا بِيَا[٢]

مَنَازِلُ لَوْ مَرَّتْ بِهِنَّ جَنَازَتِي ... لَقَالَ الصَّدَى يَا حَامِلَيَّ انْزِلاَ بِيَا[٣]

وقول الآخر ، وما أحسن ذلك[٤] :

ذَكَرْتُ بِلاَدِي فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي ... لِشَوْقِي إِلَى عَهْدِ الصِّبَا الْمُتَقَادِمِ

حَنَنْتُ إِلَى أَرْضٍ بِهَا اخْضَرَّ شَارِبِي ... وقُطِّعَ عَنِّي قَبْلُ عَقْدُ التَّمَائِمِ

وقال ابن مَيَّادة[٥] :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِحَرَّةِ لَيْلَى حَيْثُ كَانَ بِهَا أَهْلِي ؟![٦]

بِلاَدٌ بِهَا نِيطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي ... وَقُطِّعْنَ عَنِّي حِينَ أَدْرَكَنِي عَقْلِي[٧]

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) جاء البيتان في الحماسة البصرية ١٠٧٩/٣ منسوبين إلى مرار بن هباش الطائي ، وليس فيه ترجمة . والبيتان من [الطويل] . وفي الحماسة البصرية : ". . . بأكثبة الحمى" وهو أحسن في رأيي .

(٣) في جميع المخطوطات : "لقال صداي حاملا . . ." ، والتصحيح من الحماسة البصرية .

(٤) البيتان دون نسبة في الحماسة البصرية ١٠٧٣/٣ ، وهما من [الطويل] .

(٥) هو الرماح بن أبرد – أو الرماح بن يزيد – ، وهو من بني مرة بن عوف ، وميادة أُمّه ، وكانت أم ولد ، ويكنى أبا سراحيل ، أو أبا شرحبيل ، مدح الوليد بن يزيد ، وكان وفيا له حتى قيام الدولة العباسية . [من هامش العمدة ١٢٢/١] .

(٦) ديوان ابن ميادة ١٩٩ . وهما من [الطويل] .

(٧) في نسخة الأصل م : "نيطت عليها . . ." ، وما في النسختين د ، ك يوافق الديوان .

[٣٨٢/ظ] وقال محمد بن غالب الرُّصَافِيُّ[١] :

بِــلاَدِي الَّــتِي رِيشَــتْ قُوَيْــدِمَتِي بِهَــا فُرَيْخًــا وَآوَتْــنِي قَرَارَتُهَــا وَكْــرَا[٢]

مَبَــادِئَ لِــينِ الْعَــيشِ فِي رَوْنَــقِ الصِّـبَا أَبَى اللهُ أَنْ أَنْسَــى اغْــتِرَارِي بِهَــا غِــرَّا[٣]

لَبِسْــنَا بِهَــا ثَــوْبَ الشَّــبَابِ لِبَاسَــهَا وَلَكِــنْ عُرِيْنَــا مِــنْ حُــلاَةُ وَلَمْ يَعْــرَى

ومن الأمثال : لا تجف[٤] أرضا بها قوابلك ، ولا تنس بلدا فيها قبائلك .

وقال ابن عنين رحمه الله تعالى[٥] :

لَــوْ تَخَلَّــى الْقَطَــا لَنَــامَ وَلَــوْ خُلْــ ـلِيــتُ مَــا نِمْــتُ عَــنْ خَلِيلِــي وَجَــارِي

وَلَـــوَ أَنِّي خُـــيِّرْتُ فِي هَـــذِهِ الدُّنْـــ ـيَــا لَمَــا اخْــتَرْتُ غَــيْرَ قَــوْمِي وَدَارِي

وبالجملة فحنين الرجل إلى الوطن والأهل من كمال المروءة والعقل ، قالت الحكماء[٦] : حنين الرجل إلى وطنه من علامة الرشد . وقال بزرجمهر[٧] : من علامات العاقل برُّه لإخوانه ، وحنينه لأوطانه ، ومداراته لأقرانه وأهل زمانه .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرفاء الأندلسي الرصافي الشاعر المشهور ، له أشعار ظريفة ومقاصد في النظم لطيفة ، وشعره سائر في الآفاق . ت ٥٧٢هـ [من وفيات الأعيان ٤٣٢/٤] .

(٢) البيتان بذات النسبة في نفح الطيب ١٠/٤ . وهما من [الطويل] .

(٣) في النفح : "مهادي ولين العيش في ريّق . . . أن أنسى اعتيادي بها خيرا" .

(٤) في رسائل الجاحظ ٣٩٠/٢ ، وفي الرسائل : "ولا تشك فيها . . ." .

(٥) لم أعثر على البيتين . وهما من [الخفيف] .

(٦) قريب من هذا في رسائل الجاحظ ٣٨٥/٢ .

(٧) رسائل الجاحظ ٣٨٩/٢ .

وقال أبو هلال[١] :

إِذَا أَنَا لاَ أَشْـــتَاقُ أَرْضَ عَشِـــيرَتِي فَلَـــيْسَ مَكَـــانِي فِي النُّهَـــى بِمَكِـــينِ[٢]

مِـــنَ الْعَقْـــلِ أَنْ أَشْـــتَاقَ أَوَّلَ مَنْـــزِلٍ غُنِيْـــتُ بِخَفْـــضٍ فِي ذُرَاهُ وَلِـــينِ

وَرَوْضٍ رَعَـــاهُ بِالأَصَـــائِلِ نَاظِـــرِي وَغُصْـــنٍ ثَنَـــاهُ بِالْغَـــدَاةِ يَمِيـــنِي

وَإِنِّيَ لاَ أَنْسَـــى الْعُهُـــودَ إِذَا أَتَـــتْ بَنَـــاتُ النَّـــوَى دُونَ الْخَلِـــيطِ وَدُونِي

إِذَا أَنَا لَمْ أَرْعَ الْعُهُـــودَ عَلَـــى النَّـــوى فَلَسْـــتُ بِمَـــأْمُونٍ وَلاَ بِأَمِـــينِ

قال الناظم[٣] :

وَرِيَاضِـــهَا الْمُهْتَـــزَّةِ الْـــ ـأَعْطَـــافِ مِـــنْ شَـــدْوِ الْحَمَامَـــهْ

الروضة والرِّيضة بالكسر العشب، ومستنقع الماء فيها، قال في المختار: الروضة[٤] من البقل والعشب ، وجمعها رَوْض [٣٨٣/و] ورياض ، وأراض[٥] المكانُ وأرْوَض كثرت رياضه .

ولم تزل الأدباء الأعيان يتلاعبون بمدح الرياض ، فمن ذلك ما أبدعه الشريف

(١) هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، نسبة إلى (عَسْكَر مُكرم)، وهي بلدة بنواحي الأهواز، وقد قضى أبو هلال حياته في بلدته، ولم يتحول عنها، ولم يطوف في الآفاق، وله مؤلفات كثيرة. ت في حدود سنة ٤٠٠هـ [من كتاب: من أعلام الحضارة الإسلامية ١٩٩ وما بعدها باختصار شديد].

(٢) ديوان أبي هلال ٢٣٨ . والأبيات من [الطويل] .

(٣) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٤) في جميع المخطوطات : "الروض" واعتمدت ما في المختار .

(٥) في جميع المخطوطات : "وراض" واعتمدت ما في المختار .

السيد(١) حسين بن حمزة الدمشقي في مقامته الربيعية(٢) التي قد احتوت على معظم الزهور الأريحية ، وأرسلها إلى بعض أصدقائه المعتني بصدق وفائه ، فمنها قوله(٣) :

إِلَى رَوْضَــــةِ ٱلآدَابِ رَيْحَانَـــــةِ النَّـــــدِّ   تَحَــايَا حِفَــاظٍ حَرَّكَتْهَــا يَــدُ الْــوَرْدِ(٤)

فَجَــاءَتْ كَأَنْفَــاسِ الـــرِّيَاح تَسَـــحَّبَت   على رَشحات الطَّل مـن وَجْنَة الـوَرْدِ(٥)

هذا وقد عن للخا□ر يا سيدي أن يزف إليك بوادره(٦) ، ويجلى عليك نوادره ، إذ لا بد للنفوس أن تمرح(٧) ، وللنوادر أن تستباح وتستملح ، وقد شعرت بأني قد دفعت إلى مناجاة(٨) الفكر الفاتر عند قلة المحادث والمناظر ، فخا□بني على(٩) ابتكاري معاني عجب ، وأغراني على افتراع(١٠) أبكار الأدب ، وقال : ما تقول في دعابة تُقلص ذيلَ الوقار ، وتُزري بكؤوس العُقار ، فقلت : إيه بانَبيهُ ، فلزمت الإصاخة لتلقيه ، فسلك بي □ريقا من

---

(١) الصواب كما جاء في نفحة الريحانة ٣٤/٢ هو : السيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسني الدمشقي المعروف بابن النقيب ، ولد سنة ١٠٤٨ ، وتخرج بوالده وغيره من فضلاء العصر . . . توفي مطعونا سنة ١٠٨١هـ .

(٢) في نفحة الريحانة ٣٥/٢ وما بعدها .

(٣) جاء البيت الأول على صورة النثر في نسخة الأصل م ، وجاء البيتان على صورة النثر في النسخة ك ، وما في النسخة د يوافق نفحة الريحانة . والبيتان من [الطويل] .

(٤) في نسخة الأصل م : "إلى روضة الأحباب والآداب . ." ، وفي المخطو□ات جميعها : "تحيا بإحفاظ" وهو تصحيف .

(٥) هذا البيت سقط من نسخة الأصل م ، وهو موجود في النسختين د ، ك . وفي النسختين د ، ك : ". . . كأنفاس الورود . . ." ، واعتمدت ما في النفحة ، وفي النسخة ك "من وجنات" وما في النسخة د يوافق النفحة .

(٦) في نسخة الأصل م : "بوارده" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك لموفقة النفحة .

(٧) في جميع المخطو□ات : "وأن تمرح" واعتمدت ما في النفحة .

(٨) في جميع المخطو□ات رسمت الكلمة هكذا : "مناجات" واعتمدت ما في النفحة .

(٩) في النفحة : "في ابتكار النخب" ، وهو أحسن في رأيي .

(١٠) في جميع المخطو□ات : "اختراع" واعتمدت ما في النفحة ، وفيه : "بافتراع" .

الواهمة[١] ، كأنما أعده[٢] لهذه المنادمة فأفضى[٣] إلى روض مُنَدَّى ، كأنما تحلل بالنعيم وتردَّى ، وقد فرشت ملاءة النَّوْر على ميادينه ، وطرحت أيدي النسيم على رياحينه ، وبسماطيه[٤] وَشْيٌ من الأزاهر مرقوم ، وعليه دُرٌّ من الفواقع منظوم ، فمن ياسمين كأنه أَنْمُل الأَبْكار[٥] ، أو صلبان من الفضة صغار ، وآذريون[٦] كأنه مداهن عَسجد ، على سواعد زَبرجد ، قد ضمخت أوساطها بغالية ، وسماواتها من ذلك خالية ، وارتجانه[٧] كأنه (وَشْمٌ على)[٨] زنود أو بساط سُندس ممدود ، وقرنفل كأنما توقّد بالجمر أو انعقد [٣٨٣/ظ] من الخمر على مكاحل خضر معشوقة ، وسواعد صفر[٩] ممشوقة ، والورد كأنه هالة البدر في القياس ، أو شمسة تفككت من الألماس[١٠] ، وقد أكثر فيها من الإطالة التي لا يليق بسطها في هذه الرسالة .

وله في معنى الرياض شعر[١١] :

تَوَسَّمْتُــــهُ لَمَّـــا تَكَامَـــلَ حُسْـــنُهُ   وَقَــدْ رَقْرَقَــتْ فِيــه الشَّــبِيبَةُ مَاءَهَــا[١٢]

فَخِلْـــتُ بِأَنَّ الْحَـــوْلَ حَـــانَ رَبِيعُـــهُ   وَأَنَّ الــرِّيَاضَ الْحَــزْنَ أَبْــدَتْ رَوَاءَهَــا[١٣]

(١) قوة الوهم . [من هامش النفحة] .

(٢) في جميع المخطوطات : "أعدت" واعتمدت ما في النفحة .

(٣) في جميع المخطوطات : "أفضى" بإسقاط الفاء من أوله ، واعتمدت ما في النفحة .

(٤) في النسختين د ، ك : "وسماطيه" بإسقاط الباء ، وهو خطأ .

(٥) في جميع المخطوطات : "الأفكار" واعتمدت ما في النفحة .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة ك : "وآزريون" بالزاي ، وما في النسخة د يوافق النفحة .

(٧) في نفحة الريحانة : "وترنجان" ، وفيه ذكر أنه ريحان ، وهو مولَّد .

(٨) ما بين القوسين زيادة من النفحة يتم بها القول .

(٩) في جميع المخطوطات : "صعق" ، واعتمدت ما في النفحة .

(١٠) في جميع المخطوطات : "الإياس" ، واعتمدت ما في النفحة .

(١١) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د ، ك .

(١٢) في نفحة الريحانة ٥٩/٢ ضمن ثلاثة أبيات . وهي من [الطويل] .

(١٣) في جميع المخطوطات : "فحلت [بالحاء المهملة] . . . حان ربيعها" واعتمدت ما في النفحة .

وله[١] :

بَادِرْ بِعَيْشِـــكَ فَـــالنَّعِيمُ مُخَـــيِّمُ وَمُـــلاءَةُ الْبُسْـــتَانِ فِي تَفْوِيـــفِ

وَالطَّـــيْرُ مُغْـــتَرِدٌ عَلَيْـــهِ يَشُـــوقُهُ جِيـــدٌ بِأَعْنَـــاقِ الْغُصُـــونِ الْهِيـــفِ[٢]

تُصْـــغِي لَـــهُ أُذْنُ الطَّـــرُوبِ فَيَنْثَـــنِي وَالشَّـــوْقُ مِـــلْءُ فُـــؤَادِيَ الْمَشْـــغُوفِ

وللشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ[٣] قدس الله أسراره :

وَرَوْضٍ بَـــدَا فِيـــهِ الشَّـــقِيقُ مُقَهْقِهًـــا يُشَـــاكِلُهُ خَـــدُّ الْحَبِيـــبِ الْمُـــوَرَّدُ[٤]

فَقَـالَ لَـهُ الْمَعْشُـوقُ يَوْمًـا وَقَـدْ سَـرَتْ عَلَيْـهِ الصَّـبَا حَـتَّى غَـدَا يَتَبَغْـدَدُ[٥]

سَـــرَقْتَ خُـــدُودِي ثُمَّ زَوَّرْتَ شَـــامِتِي وَمَـــا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ قَلْبَـــكَ أَسْـــوَدُ

ومما أورد صاحب النفحة لشيخنا علامة الآفاق، من وقع في فضله وولايته بين الأنام الاتفاق، شيخنا وعمدتنا الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ، سقانا الله تعالى من رائق شرابه القدسي، مقامته التي حاكى بها بعض الأندلسيين، فجاء بها على أسلوب يفوق بها الدر الثمين، ومطلعها[٦] :

---

(١) في نفحة الريحانة ٥٤/٢ . وهي من [الكامل] .

(٢) في جميع المخطوطات : "يشوفه" بالفاء ، وهو تصحيف ، واعتمدت ما في النفحة .

(٣) هو عبد الغنيّ بن إسماعيل بن عبد الغنيّ النابلسيّ ، الدمشقي ، الحنفي ، النقشبنديّ ، القادري اشتَغَل من أول أمره بقراءة القرآن الكريم ، ثم بطلب العلم على يد والده وغيره من العلماء ، رحل إلى بلدان كثيرة ، وأدمن القراءة في كتب الصوفية . ت ١١٤٣هـ، الأعلام٣٢/٤، نفحة الريحانة/ هامش ١٣٧/٢ .

(٤) الأبيات في نفحة الريحانة ١٤٤/٢ . وهي من [الطويل] . وفي جميع المخطوطات : "الحبيب مورد" ، واعتمدت ما في النفحة .

(٥) التبغدد : التدلُّه والتمنّع . [من هامش النفحة] .

(٦) في نفحة الريحانة ١٥٢/٢ . وما بعدها . وهو من [الكامل] .

وَأَنَا الَّـــذِي أهْـــدَى أَقَـــلَّ نَهَـــارِهِ حُسْـــنًا لأَحْسَـــنِ رَوْضَـــةٍ مِئْنَـــافِ[1]

إن أحلى ما تمتزج به كؤوس المودة ، وأعطر ما تستنشقه مَشَامُّ الخواطر المستعدّة ، خبر له الطرب مبتدأ ، وحديث [٣٨٤/و] ترويه عن الأحبة[2] مسندا ، وذلك حين استُفِزَّتْ[3] هو أمد السرور ، وتغنى في دوحة الأنس كل[4] بلبل وشُحرور ، شعر[5] :

وَتَنَبَّهَـــتْ ذَاتُ الْجَنَـــاحِ بِسُـــحْرَةٍ فِي الْـــوَادِيَيْنِ فَنَبَّهَـــتْ أَشْـــوَاقِي[6]

وَأَنَا الَّـذِي أُمْلِـى الْهَـوَى مِـنْ خَـاطِرِي وَهِـــي الَّـــتِي تُمْلِـــي مِـــنَ الْأَوْرَاقِ

حتى خرجت أسوق مطايا الأسى[7] ، لأبيع كافورة الصبح وأشترى عنبر المسا :

وَالصُّـــبْحُ قَـــدْ أَهْـــدَى لَنَـــا كَـــافُورَهُ حَـــتَّى اسْـــتَرَدَّ اللَّيْـــلُ مِنَّـــا الْعَنْـــبَرَا[8]

قاصدا ادّرَاعَ[9] حلل اللهو ، إلى حومة الطرب والزهو ، ومتحرّشا بأذيال البكور

---

(١) في جميع المخطوطات : ". . . أقل نهاره . . . مينا في" ، والتصحيح من النفحة .

(٢) في النفحة : "عن القريحة" .

(٣) في جميع المخطوطات : "استقرت" ، واعتمدت ما في النفحة .

(٤) في جميع المخطوطات : "عن كل بلبل شحرور" ، واعتمدت ما في النفحة .

(٥) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د ، ك .

(٦) البيتان في نفحة الريحانة ١٥٢/٢ . هما من [الكامل] .

(٧) في جميع المخطوطات : "الأمسى" ، والتصحيح من النفحة .

(٨) البيت في نفحة الريحانة ١٥٣/٢ ، وهو من [الرجز] ، ويمكن أن يكون من الكامل المخبون الثاني في كل التفعيلات .

(٩) في نسخة الأصل : "انزع" ، وفي النسختين د ، ك : "لنزع" ، واعتمدت ما في النفحة .

والأصائل ، ومعتبرا بقول القائل : شعر[١] :

بَاكِــرْ إِلَى الَّلــذَّاتِ وَارْكَــبْ لَهَــا   سَــوَابِقَ الَّلهْــوِ ذَوَاتِ الْمَــرَاحْ[٢]

مِــنْ قَبْــلِ أَنْ تُشْــرِقَ شَمْــسُ الضُّــحَى   رِيــقَ الْغَــوَادِي مِــنْ ثُغُــورِ الْأَقَــاحْ

فبينما أنا كذلك وإذا بشقيق شفيق ، ورفيق هو في سائر الأمور رقيق ، فأقبل عليّ لإقبال الكرام ، وقد لمعَت بالبشر صفحات وجهه بعد أن حيَّا بالسلام :

تَشْــرَبُهُ الْكَــأْسُ حِــينَ يَشْــرَبُهَا   يَطْــرَبُ مِــنْ حُسْــنِ وَجْهِــهِ الطَّــرَبُ[٣]

فسألته في المسايرة[٤] والمنادمة ، وحثثته على المسامرة والمكالمة ، فأسفر وجهه عن شموس الفرح ، ونال[٥] ابتهاجا بنسمات المسرة والمرح ، وقال : مرحبا بقولك المسموع ، ورأيك الذي اتفقت عليه الجموع :

لِــدَوَاعِي الْهَــوَى وَحُكْــمِ الْخَلاَعَــهْ   أَلْــفُ سَمْــعٍ لاَ لِلْوَقَــارِ وَطَاعَــه[٦]

فسرنا حتى أتينا منتزها رحْب الأكناف ، متناسق النعوت والأوصاف :

---

(١) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د ، ك .

(٢) البيتان في نفحة الريحانة ١٥٣/٢ . وهما من [السريع] . وفي جميع المخطوطات "ذوات الرياح" ، واعتمدت ما في نفحة الريحانة .

(٣) البيت في نفحة الريحانة ١٥٣/٢ . وهو من [المنسرح] . وفي النفحة : ". . . وهو يشربها" ، والبيت جاء على صورة النثر في كل المخطوطات .

(٤) في نسخة الأصل م : "في المسايرة والمسامرة ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفحة .

(٥) في النفحة : "ونال ابتهالا وابتهاجا" .

(٦) البيت في النفحة ١٥٣/٢ . وهو من [الخفيف] ، وجاء البيت على صورة النثر في جميع المخطوطات ، وفي المخطوطات جميعها : ". . . لا للوقار والطاعة" ، واعتمدت ما في النفح .

نَسِـــــيمُهُ يَعْثُـــــرُ فِي ذَيْلِـــــهِ وَزَهْـــرُهُ يَضْـــحَكُ فِي كُمِّـــهِ[1]

فوجدناه ذا ظل ظليل ، وماء أعذب من السلسبيل ، أشجاره ثابتة ، وأغصانه نابتة ، مفرد[2] :

[٣٨٤/ظ] نَهْـرُهُ وَاسِـعٌ جَـرَى وَتَمَشَّـتْ فِي رُبَاهُ الصَّـــبَا قَلِـــيلاً قَلِـــيلاَ[3]

تصدح حمائمه ، وتسرح نسائمه ، وتتفتح كمائمه . مفرد :

وَلِي مِـــنَ الْـوُرْقِ فِي أَوْرَاقِهَـا طَـرَبٌ كَـأَنَّهُنَّ عَلَـى الْعِيـدَانِ قَيْنَـاتُ[4]

فصعدنا منه إلى قصر مشيد ، متزخرف الجوانب بألوان الأ[illegible]لية وأنواع الشِّيد ، فيه الغُرف الرفيعة ذات التزيين ، والمقاصير المصنوعة لقاصرات الطرف عِين ، شعر[5] :

وَإِيـــوَانٍ يَقُـــولُ لِمَــــنْ رَآهُ بِرَوْنَـقِ مَـالِكِي قَـدْ رَاقَ مَشْـرَفْ[6]

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ طَـيْرَ السَّـعْدِ أَضْـحَى يَحُـومُ بِسَـاحَتِي وَعَلَـيَّ رَفْـرَفْ ؟[7]

---

(١) في النفحة ١٥٣/٢ . وهو من [السريع] .

(٢) في النسختين د ، ك "شعر" مكان "مفرد" .

(٣) البيت في نفحة الريحانة ١٥٤/٢ . وهو من [الخفيف] . وفي النفحة : "نهره مسرع . . ." .

(٤) البيت في النفحة ١٥٤/٢ . وهو من [البسيط] .

(٥) البيتان في النفحة ١٥٤/٢ . وهما من [الوافر] .

(٦) في النفحة : "يقول لمن يراه" ، وما هنا يوافق هامش النفحة ، وفي النفحة جاء الشطر الثاني هكذا : "على قَدْرِي وفوقَ الكل أُشرفْ" .

(٧) في النفحة : "ألم تر أن [illegible]ير العز . . ." .

وقد ظلّت شبابيكه على تلك الأرجاء الموفقة ، والجداول المتدفقة[(١)] ، وأرضه مفروشة بأفخر الوَشْيِ والديباج ، وقد أُطلقت فيه مباخر الطيب فزاد في الابتهاج ، شعر[(٢)]:

حَــوَى عَجَبًــا لَمْ يَحْــوِهِ قَــطُّ مَجْلِــسٌ   عَلَـى أَنَّــهُ فِي الْحُسْــنِ أُعْجُوبَــةُ الــدَّهْرِ

فجلست أنا وصاحبي على تلك الأرائك[(٣)] الممنوعة[(٤)] والفرش المرفوعة[(٥)]، نتناشد الأشعار ، ونتشبث بأذيال الأفكار ، شعر[(٦)] :

وَحَــدِيثُهَا السِّــحْرُ الْحَــلاَلُ لَــوَ انَّــهُ   لَمْ يَجْــنِ قَتْــلَ الْمُسْــلِمِ الْمُتَحَــرِّزِ

إِنْ طَــالَ لَمْ يُمْلَــلْ وَإِنْ هِــيَ أَوْجَــزَتْ   وَدَّ الْمُحَــدَّثُ أَنَّهَــا لَمْ تُــوجِزِ

ولم نزل رافلين في غلائل المسرة ، ونستعين[(٧)] بلطائف الأنس على أرج[(٨)] هاتيك الأَسِرَّة ، حتى عدنا وقد شمّرت الشمس لمغيبها[(٩)] الذيل ، واصفرّ وجهها خوفا من هجمة عساكر الليل .

---

(١) في جميع المخطوطات : "المتفقة" ، واعتمدت ما في النفحة .

(٢) في النسخة د : "مفرد" مكان "شعر" ، وسقطت الكلمة بحالتيها من النسخة ك . والبيت في النفحة ١٥٤/٢ . وهو من [الطويل] .

(٣) في النفحة والنسختين د ، ك : "الأريكة" ، وما في نسخة الأصل م يوافق رواية هامش النفحة .

(٤) في نسخة الأصل م : "المرفوعة" ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفحة ، وهو الذي اعتمدته .

(٥) في نسخة الأصل م : "الممنوعة" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك لموافقة النفحة .

(٦) في نفحة الريحانة ١٥٥/٢ . وهما من [الكامل] ، وفي هامش النفحة ذكر المحقق أن البيتين لابن الرومي في ديوانه ٤٠٩ . وقد رجعت إلى نسختي من الديوان ، ووجدت البيتين في ١١٦٤/٣ ضمن ثلاثة أبيات . وفي النفحة : "وحديثه . . ." ، وما هنا يوافق الديوان .

(٧) في النفحة : "ومتنعمين" ، وهو أحسن في رأيي .

(٨) في النفحة : "على أوج" .

(٩) في جميع المخطوطات : "بغيمها" ، واعتمدت ما في النفحة .

الشَّـــمْسُ هَارِبَـــةٌ لِلْغَـــرْبِ دَارِعَـــةٌ بِالنَّبْـلِ مُصْـفَرَّةٌ مِـنْ هَجْمَـةِ الْغَسَـقِ[١]

وقـد ظهـر الهـلال في حُمـرة الشَّـفق كحاجـب الشـائب أو زورق الـوَرِق ، [٣٨٥/و] شعر[٢] :

لاَ تَظُـــنَّ الْهِـــلاَلَ قَـــدْ أَخَـــذَ الشَّمْـــ ـــسَ وَأَعْطَـى النَّهَـارَ هَـذَا الْهِـلاَلاَ[٣]

إِنَّمَـا الشَّـرْقُ أَقْـرَضَ الْغَـرْبَ دِينَـا رًا فَأَعْطَـاهُ رَهْنَـهُ خَلْخَـالاَ

وبينـا[٤] أنا راجـع (مـع)[٥] صـاحبي في أُخـريات الطريـق وإذا برفيـق لي ، وهـو علـى الحقيقة رقيق ، فاعترضني وقال لي : أين كنت ، ومن أين توجهت ؟ فقلت له : كنت مع صاحبي الذي هو[٦] اليوم مصاحبي في منتزه هو فضاء الأرض ، ذات الطول والعَرْض :

وَصَـــدَقْتُهُ فِي كُـــلِّ مَـــا حَاوَلْتُـــهُ مِمَّـــا تَقَـــدَّمَ فِي الْحَـــدِيثِ الأَوَّلِ[٧]

وغـيم ذلـك الفضـا هـو الظـل الظليـل ، وغَيْثُـه المنهمـر أعـذب[٨] مـن السلسـبيل ، وأشجاره هي حبال الأمطار ، وحمائمه الصادحة أصوات الرعد في جوانب الأقطار ، وكمائمه

(١) البيت في النفحة ١٥٥/٢ . وهو من [البسيط] . وجاء البيت على صورة النثر في جميع المخطوطات ، وفيها جميعها : "الشمس غاربة" ، واعتمدت ما في النفحة .

(٢) سقطت كلمة "شعر" من النسخة د .

(٣) البيتان في النفحة ١٥٥/٢ . وهما من [الخفيف] .

(٤) في نسخة الأصل م : "وبينا أنا أراجع" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك لموافقة النفحة .

(٥) ما بين القوسين زيادة من النفحة يتم بها القول .

(٦) في النفحة : "الذي هو هذا اليوم" .

(٧) البيت في النفحة ١٥٥/٢ . وهو من [الكامل] . وفي جميع المخطوطات : ". . . في كل ما [illegible]ولته . . . من الحديث . . ." ، واعتمدت ما في النفحة .

(٨) في النفحة : "هو أعذب" ، وما هنا يوافق رواية هامش النفحة .

حَبُّ البَرَد ، ونسائمه المعلومة في[1] ماء ورد ، وما ذلك القصر الموصوف سوى جُبَّتِي هذه وثوبي هذا الصوف ، والشبابيك[2] جيوبه وأ�واقه ، ولا عجب أن نفحت فيه مباخر الطيب فإنها قرا�يسه وأوراقه . وبالقياس على هذا تأويل ما بقى من العبارات السابقة ، والإشارات المتلاحقة ، وبذلك انتهى الكلام ، وتم ما قصدناه من الدعابة والسلام . شعر[3] :

لاَبُـدَّ لِلـنَّفْسِ أَحْيَـانًا إِذَا سَـئِمَتْ ... أَنْ تَسْـتَرِيحَ إِلَى الْآدَابِ وَالْمُلَـحِ

فَخُـضْ بِهَـا مِـنْ أَحَادِيـثِ الْكِـرَامِ إِذَا ... يَمَّمْـتَ مَـذْهَبَهَا فِي كُـلِّ مُقْـتَرَحِ[4]

انتهى .

وقول الناظم : المعتزة الأعطاف من شدو الحمامه ، الاهتزاز : التحريك ، يقال : هزّه الفرح فاهتزّ أي حرّكه ، وبابه ردّ ، والهِزّة بالكسر : النشاط والارتياح كذا في المختار . والأعطاف : الجوانب [٣٨٥/ظ] وعِطْفا كل شيء جانباه ، وعطف : مال ، وعطف العود فانعطف ، وعطف الوسادة ثناها ، وعطف عليه . أشفق ، كما في المختار أيضا . والشّدْوُ بالشين المعجمة والدال المهملة : الغناء ، قال في المختار : الشّدو[5] الغناء ، وقد شدا شعرا وغنّى إذا غنّى به أو ترنّم[6] ، وبابه عدا . والحمامة المراد بها الواحدة من الحمامِ ، والهاء فيها للدلالة أنه واحد من الجنس لا للتأنيث ، لأن لفظ الحمام يتناول الذكر والأنثى ، قال

(١) في النفحة : "فيما ورد" ، وما هنا يوافق رواية هامش النفحة .

(٢) في جميع المخطو�ات : "والسنابيك" ، وهو تصحيف ، وتصحيحه من النفحة .

(٣) البيتان في النفحة : ١٥٦/٢ . وهما من [البسيط] .

(٤) في النفحة : ". . . أحاديث النّدام . . . أعيت مذاهبها . . ." .

(٥) الذي في المختار : "الشادي المغني" .

(٦) في المختار : "وترنم" .

الجوهري[١] : والحمام عند العرب ذوات الأ□واق من الفواخت والقماري وسَاقِ حُرٍّ[٢] والقطا والوراشين وأشباه ذلك، وعند العامة أنها الدواجن فقط.

ولم تزل الشعراء يترنمون[٣] بشدو الحمام ، لأنه كثير الحنين إلى إلفه وو□نه ، حتى قيل[٤] : إنه يطلب وِكْرَه ولو أُرسل من ألف فرسخ ، وربما اصطيد وغاب عن و□نه عشر حجج فأكثر وهو على ثبات عقله وقوة حفظه ورجوعه إلى و□نه حتى يجد فرصة فيطير إليه ، قال المثنى بن زهير : لم أر شيئا قط من رجل وامرأة إلا ورأيته في الحمام ، وليس في الحيوان من يستعمل التقبيل عند السفاد إلا الحمام والإنسان .

وروى[٥] الحاكم أن النبي (ﷺ) كان يحب النظر إلى الحمام الأحمر .

حدث[٦] أبو الحكم عوف بن المحلِّم[٧] قال : كانت لي وفادة على عبد الله ابن □اهر إلى خراسان فصادفته يريد السفر إلى الحج ، فعادلته في العمارية من مَرْو إلى الريّ ، فلما

---

(١) العبارة في الصحاح في اللغة مادة حمى، وحياة الحيوان ١٠٤/٢ .

(٢) ساق حُرّ : هو القمري كما في حياة الحيوان ٥٢٢/٣ .

(٣) في جميع المخطو□ات : "يترنموا" ، وهو خطأ ؛ لأنه ليس هناك سبب للجزم بحذف النون .

(٤) في حياة الحيوان ١١٠/٢ .

(٥) في حياة الحيوان ١٠٨/٢ : "وروى الحاكم في تاريخ نيسابور عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي (ﷺ) يعجبه النظر إلى الخطرة والى الأترج والى الحمام الأحمر" .

(٦) الحكاية في □بقات الشعراء لابن المعتز ١٨٦ ومعها الأبيات المذكورة .

(٧) هو عوف بن محلِّم الخزاعي ، يكنى أبا المنهال ، كان أحد الأدباء ، ومعدودا من الشعراء الظرفاء المحدَثين ، وكان صاحب أخبار ونوادر ، ومعرفة بأيام الناس ، وكان □اهر بن الحسين بن مصعب قد استخصه واختاره لمنادمته ، فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر . ت ٢٢٠هـ [من □بقات الشعراء ١٨٥ ، وله ترجمة أيضا في العمدة ٦٤٣/٢] ، وفي النسخة د "ابن المحكم" ولم أعثر على كنيته المذكورة هنا .

قاربنا الري سمع عبد الله بن طاهر وَرْشَانًا في بعض الأغصان يصيح ، فأنشأ يقول متمثلا[1] :

[٣٨٦/و] أَلاَ يَا حَمَامَ ٱلأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ وَغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ ؟!

أَفِقْ لاَ تَنُحْ مِنْ غَيْرِ شَيءٍ فَإِنَّنِي بَكَيْتُ زَمَانًا وَالْفُؤَادُ صَحِيحُ

وَلَوْ عَافَ طَيْرٌ غُرْبَةَ دَارِ زَيْنَبٍ فَهَا أَنَا أَبْكِى وَالْفُؤَادُ جَرِيحُ

ثم قال : يا عوف ، أجز هذا فقلت في الحال :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ غُرْبَةٌ وَنُزُوحُ أَمَا لِلنَّوَى مِنْ وَنْيَةٍ فَتُرِيحُ ؟[2]

لَقَدْ طَلَّحَ الْبَيْنُ الْمُشِتُّ رَكَائِبِي فَهَلْ أَرَيَنَّ الْبَيْنَ وَهْوَ طَلِيحُ ؟

وَأَرَّقَنِي بِالرَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ فَنُحْتُ وَذُو الشَّجْوِ الْقَدِيمِ يَنُوحُ[3]

عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُذْرِ دَمْعَةً وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوعِ سُفُوحُ[4]

وَنَاحَتْ وَفَرْخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا وَمِنْ دُونِ أَفْرَاخِي مَهَامِهُ فِيحُ

عَسَى جُودُ عَبْدِ اللهِ أَنْ يَعْكِسَ النَّوَى فَتُلْقَى عَصَا التَّطْوَافِ وَهْيَ طَرِيحُ

فَإِنَّ الْغِنَى يُدْنِي الْفَتَى مِنْ صَدِيقِهِ وَعُدْمُ الْغِنَى بِالْمُعْدِمِينَ نَزُوحُ[5]

---

(١) تنسب الأبيات إلى عوف بن محلم في الأمالي ١٣٣/١ ، ونسب الأول إلى أبى كبير الهذلي في طبقات ابن المعتز ١٨٦ ولم أجده في ديوان الهذليين والأبيات من [الطويل] .

(٢) في الطبقات : "أفي كل عام . . ." ، وفى جميع المخطوطات : ". . . من وثبة" ، واعتمدت ما في الطبقات .

(٣) في الطبقات : ". . . وذو اللب ينوح" .

(٤) في الطبقات : "على أنها ناحت فلم تُرِ عبرة" .

(٥) في الطبقات : ". . . بالمعدمين طروح" .

قال : فأخرج رأسه من العمارية وقال : يا سائق ، ألق الزمام فألقاه ، ووقف الحاج ، ثم دعا بصاحب بيت ماله فقال : كم يضم ملكنا ؟ قال : ستين[١] ألف دينار ، قال ادفعها إلى عوف ، لقد ألقيت عصا تطوافك ، فارجع من حيث جئت ، قال فأقبل خاصَّة عبد الله يلومونه ويقولون : أتجيز أيها الأمير شاعرا في مثل هذا الموضع بستين ألف دينار ، ولا تملك سواها ؟ قال : إليكم عني ، فاستحييتُ من الكرم[٢] أن يسير في جَمَلي ، وعوف يقول عسى جود عبد الله ، وفي ملكي شيء لا ينفرد به ، ورجع إلى وطنه ، فسئل[٣] عن حاله فقال : رجعتُ من عند عبد الله بالغنى والراحة من النوى . انتهى من ابن نُبَاتة على رسالة [٣٨٦/ظ] ابن زيدون ، وروينا هذه القصة في رحلتنا على خلاف هذا الأسلوب ، فلتراجع ثمة فإنها مما ترتاح لسماعها القلوب .

قال الإمام فخر الدين رحمه الله تعالى في كتاب "مناقب الإمام الشافعي" رضي الله عنه : روى محمد بن جَرير الطَّبَري رحمه الله تعالى عن الزبيقي قال[٤] : كان الإمام الشافعي جالسا يوما بين يَدَي الإمام[٥] مالك رضي الله عنه فجاء إليه رجل فقال : ياأباعبد الله ، إني رجلٌ أبيع القمري[٦] ، وإني بِعتُ قبل يومي هذا قمريا ، فبعد زمان أتاني صاحب القمري فقال : إن قمريك لا يصيح ، فتشاجرنا إلى أن حلفت بالطلاق أن قمريّ لا يهدأ[٧] من الصياح ، فقال مالك : طلقت امرأتك ، فقام الرجل حزينًا ، فقام الشافعي إليه ، وهو يومئذ ابن أربع عشرة سنة ، وقال للسائل : أصياحُ قمريك أكثر أم سكوته ؟ قال السائل : بل

---

(١) الأحسن "ستون" ، وهذا ليس في الطبقات ، وإنما فيه أنه أعطاه ثلاثين ألف درهم .

(٢) في النسختين د ، ك : "من الكرام" .

(٣) الموجود في ترجمته أنه مات قبل أن يصل إلى قومه .

(٤) الحكاية بدون الإسناد في حياة الحيوان ٥٢٤/٣ .

(٥) سقطت كلمة "الإمام من النسختين د ، ك ، وما في نسخة الأصل م يوافق حياة الحيوان .

(٦) في حياة الحيوان : "القماري" .

(٧) رسمت الكلمة في جميع المخطوطات هكذا : "لا يهدى" .

صياحه ، قال الشافعي : امض فإن زوجتك لم تطلق ، ثم رجع الشافعي إلى الحلْقة ، فعاد السائل إلى مالك فقال يا أبا عبد الله تفكّر في واقعتي لتستحق الثواب ، فقال مالك : الجواب ما تقدم ، قال فإنما عندك مَن قال : الطلاق غير واقع ، فقال مالك : مَن هو ؟ فقال السائل : هو هذا الغلام ، وأومأ[1] إلى الشافعي ، فغضب عليه مالك وقال : من أين لك هذا الجواب ؟ فقال الشافعي رضي الله عنه : إني سألته : أصياحه أكثر أم سكوته أكثر ؟ فقال : إن صياحه أكثر ، فقال مالك : وهذا الدليل أقبح ، وأي تأثير لكثرة صياحه وقلّة سكوته في هذا الباب ؟ فقال الشافعي : إنك حَدَّثتني عن [٣٨٧/و] عبد الله بن يزيد عن أبي سَلَمة بن[2] عبد الرحمن (عن أم سَلَمة أن)[3] فاطمة بنت قيس أتت النبي (ﷺ) فقالت يا رسول الله ، إن أبا جَهْم ومُعاوية خَطَباني ، فبأيهما أتزوج ؟ فقال النبي (ﷺ) : **"أما معاوية فَصُعلوك[4] ، وأما (أبو)[5] جَهْم فلا يضع عصاه من عاتقه"** .

وقد علم رسول الله (ﷺ) أن أبا جَهم كان يأكل وينام ويستريح ، فعلمنا أنه (ﷺ) أراد بقوله : لا يضع العصا عن عاتقه على تفسير أن الأغلب من أحواله ذلك ، فلما سمع مالك (ذلك)[6] تعجّب من الشافعي ، ولم يقدح في قوله البتة .

---

(١) رسمت الكلمة في نسخة الأصل م : "وأومي" .

(٢) في جميع المخطوطات "عن" مكان "بن" ، واعتمدت ما في حياة الحيوان .

(٣) ما بين القوسين زيادة من حياة الحيوان يتم بها السياق . وفي المخطوطات : ". . . عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس أنها أتت . . ." ، واعتمدت ما في حياة الحيوان ، إلا أنه في حياة الحيوان : "أن فاطمة بنت قيس قالت يارسول الله . . ." .

(٤) في حياة الحيوان : "فصعلوك لا مال له" .

(٥) سقطت كلمة "أبو" من نسخة الأصل م ، وما في النسختين د ، ك يوافق حياة الحيوان .

(٦) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك يتم بها السياق ، والأسلوب غير ذلك في حياة الحيوان .

ومن ذلك ما ذكره صاحب الأغاني قال[١] : كان المهَلّب بن أبي صُفْرة بخراسان فخرج إليه زِياد الأعْجَم فمدحه ، فأمر له بجائزة ، فأقام عنده أياما (قال)[٢] : فإنا لبعشية نشرب مع حبيب بن المهلب في دار له فيها[٣] دالية ، وفيها حمامة إذ سجعت الحمامة فقال زياد : شعر[٤] :

تَغَـنَّيْ أَنْـتِ فِي ذِمَمِـي وَعَهْـدِي ... وَذِمَّـةِ وَالِـدِي مِـنْ أَنْ تُضَـارِي(٥)

وَبَيْتُـكِ أَصْـلِحِيهِ وَلاَ تَخَـافِي ... عَلَـى صُـفْرٍ مُزَغَّبَـةٍ صِـغَارِ

فَإِنَّـكِ كُلَّمَـا غَنَّيْـتِ صَـوْتًا ... ذَكَـرْتُ أَحِبَّـتِي وَذَكَـرْتُ دَارِي

وَإِمَّـا يَقْتُلُـوكِ طَلَبْـتُ ثَأْرًا ... لَـهُ نَبَـأٌ لأَنَّـكِ فِي جِـوَارِي

فقال حبيب : يا غلام ، هاتِ القوس ، فقال زِياد : وما تصنع ؟ قال : أرمى جارتك هذه ، قال : والله لئن[٦] رميتها لاستعدينَّ عليك الأمير ، فأتى بالقوس فَنَزَع[٧] له فيها سهمًا فقتلها ، فوثَب زياد ودخل على المهلب ، وحدَّثه الحديث وأنشده [٣٨٧/ظ] الشعر ، فقال المهلب : عليَّ بأبي بِسطام ، فأتى حبيب فقال : أعط أبا أُمامة دِية جارته ألف دينار ، فقال : أطال الله بقاء الأمير ، إنما كنتُ ألعب ، فقال : أعطِه كما أمرتك ،

(١) الأغاني ٣٨٣/١٥ .

(٢) ما بين القوسين زيادة من الأغاني يتم بها السياق .

(٣) قوله : "فيها دالية" ليس في الأغاني .

(٤) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د ، ك ، والأبيات من الوافر .

(٥) في الأغاني : "إن لم تطاري" .

(٦) في نسخة الأصل م : "والله إن . . ." ، وما في النسختين د ، ك يوافق الأغاني ، وقد اعتمدته .

(٧) في الأغاني : "فنزع لها سهما . . ." ، وهو أحسن .

فأعطاه ، فقال زياد[1] :

فَلِلَّـــهِ عَيْنَـــا مَـــنْ رَأَى كَقَضِـــيَّةٍ قَضَـى لِي بِهَـا قَـرْمُ الْعِـرَاقِ الْمُهَلَّـبُ[2]

رَمَاهَـا حَبِيـبُ بْـنُ الْمُهَلَّـبِ رَمْيَـةً فَأَثْبَتَهَـا بِالسَّـهْمِ وَالسَّـهْمُ يَغْـرُبُ[3]

فَأَلْزَمَـهُ عَقْـلَ الْقَتِيـلِ ابْـنُ حُـرَّةٍ وَقَـالَ حَبِيـبٌ إِنَّمَـا كُنْـتُ أَلْعَـبُ[4]

فقـال : زِيَادٌ لاَ يُـرَوَّعُ جَـارُهُ وَجَـارُهُ جَـارِي مِثْـلُ جِلْـدِي وَأَقْـرَبُ

قال : فحمل حبيب إليه ألف دينار على كُرهٍ منه ، فإنه لَيَشرب يوما مع حبيب إذ عَرْبَدَ عليه حبيب ، وكان قد أضغن عليه ما جرى ، فأمر بشق قبَاء ديباج كان عليه ، فقام وقال :

لَعَمْـرُكَ مَـا الـدِّيبَاجُ خَرَّقْـتَ وَحْـدَهُ وَلَكِنَّمَـا خَرَّقْـتَ جِلْـدَ الْمُهَلَّـبِ[5]

فبعث المهلب إلى حبيب وقال : صَدَق زياد ، ما خرّقت إلا جلدي ، تدَعُه[6] يهجوني ثم طلب زيادا ، وسَلَّ سخيمته ، وأمر له بمال وصرفه .

لطيفة : ذكر ابن خَلِّكان[7] أن شرفَ الدين بن عُنَيْنٍ حضر درسَ فخر الدين الرازي بخُوارزمَ فسقطت بالقرب منه حَمامة، وقد طَردها بعض الجوارح، فلما وقعت رجَع عنها

---

(١) الأبيات من [الطويل] .

(٢) في جميع المخطوطات : "فلله عين . . ." واعتمدت ما في الأغاني .

(٣) أثبتها : قتلها مكانها . يغرب : من قولهم : سهم غَرْب إذا أتى من حيث لا يُدرى . [من هامش الأغاني] .

(٤) في نسخة الأصل م : "عقل العقيل" ، وما في النسختين د ، ك يوافق الأغاني ، وقد اعتمدته .

(٥) البيت من [الطويل] ، وجاء على صورة النثر في جميع المخطوطات .

(٦) في الأغاني : "تبعث هذا على أن يهجوني" .

(٧) في وفيات الأعيان ٤/٢٥١ .

(الجارح)[(١)] ، ولم تقدر[(٢)] الحمامة على الطيران من خوفها وشدة البرد ، فلما قام الإمام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورَقّ لها ، وأخذها بيده ، فأنشده[(٣)] ابن عنين بين يديه أبياتا منها :

مَـــنْ نَبَّـــأَ الْوَرْقَـــاءَ أَنَّ مَحَلَّكُـــمْ حَـــرَمٌ وَأَنَّـــكَ مَلْجَـــأٌ لِلْخَـــائِفِ ؟[(٤)]

وَفَـــدَتْ إِلَيْـــكَ وَقَـــدْ تَـــدَانىَ حَتْفُهَـــا فَحَبَوْتَهَـــا بِبَقَائِهَـــا الْمُسْـــتَأْنَفِ[(٥)]

[٣٨٨/و] لَـوْ أَنَّهَـا تَحْيَـا بِمَـالٍ لاَنْثَنَـتْ مِـــنْ رَاحَتَيْـــكَ بِنَائِـــلٍ مُتَضَـــاعِفِ

وذكر أهل التاريخ[(٦)] واتفقوا أن أمير المؤمنين المسْترشِدَ بالله بنَ المستظهرِ بالله لما حُبس رأى في منامه كأن على يده حمامةٌ مُطَوّقةٌ، فأتاه آتٍ وقال له : خلاصُكَ في هذا الحَمام، فلما أصْبَحَ حكى ذلك لابن سُكَيْنَةَ الإمام فقال له: ما أَوَّلته يا أمير المؤمنين ؟ قال أَوَّلته ببيت أبي تمام :

هُـــنَّ الْحَمَـــامُ فَـــإِنْ كَسَـــرْتَ عِيَافَـــةً مِـــــنْ حَـــائِهِنَّ فَـــإِنَّهُنَّ حِمَـــامُ[(٧)]

---

(١) ما بين القوسين زيادة من وفيات الأعيان يتم بها القول .

(٢) في نسخة الأصل م : "تقدم" ، وما في النسختين د ، ك يوافق وفيات الأعيان، وكأن الكلمة في النسخة ك بالميم، ثم غُيرت الميم إلى الراء.

(٣) في الوفيات : "فأنشد ابن عنين"، وهو أحسن.

(٤) الأبيات من [الكامل] وهي في ديوانه ص ٩٥ .

(٥) في نسخة الأصل م رسمت كلمة "تدانى" هكذا "تدانا" .

(٦) هذا منقول من حياة الحيوان ١١١/٢ و ١١٢ .

(٧) ديوان أبي تمام ١٥٢/٣. والبيت من [الكامل]. وفي جميع المخطوطات: "عناقة" مكان "عيافة"، والتصحيح من الديوان وحياة الحيوان .

وخلاصي في حِمامِي ، فقُتل بعد أيامٍ يسيرةٍ، سنةَ تِسْعٍ[1] وعشرين وخمسمائة.

وفي المثل[2]: حمامة نوح يُضْربُ بها المثلُ للأمْنِ، كما يُضْربُ بظباءِ مكة ، وفي المثِل[3] : أعز من حَمام الحَرَم ، قال عبدان[4] وأحسن على إساءته :

رَغِيفُــــكَ (فِي ٱلأَمْـــنِ) يَا سَــيِّدِي   يَحُـــلُّ مَحَـــلَّ حَمَـــامِ الْحَـــرَمْ[5]

فَلِلَّــــــهِ دَرُّكَ مِــــــنْ سَــــــيِّدٍ   حَــرَامُ الرَّغِيــفِ حَــلاَلُ الْحُـــرَمْ

وكما يقال في المثل[6] : حمامةُ نوحٍ يقال لها: حمامةُ السفينة أيضا؛ لأن سيدنا نوحا[7] أرسلها بدل الغراب حين أرسله ينظر هل غَاضَ الماء ؟ فلم يعد له بالجواب لاشتغاله بالأكل من جيفة وقع عليها ، فأرسلها فأتت له بالبشارة فطوّقها بهذا الطوق ، ودعا لها . قال حُميد بن ثَور[8] :

وَمَــا هَــاجَ هَــذَا الشَّــوْقَ إِلاَّ حَمَامَــةٌ   دَعَــتْ سَــاقَ حُــرٍّ تَرْحَــةً وَتَرَنُّمَــا[9]

---

(١) في جميع المخطوطات : "سبع" ، واعتمدت ما في حياة الحيوان .

(٢) في ثمار القلوب ٤٦٤ .

(٣) في ثمار القلوب ٤٦٥ .

(٤) هو عبد الله الأصبهاني، المعروف بالخوزي ، هو على سياقة المولدين، وفي مقدمة العصريين، خفيف روح الشعر، ظريف الجملة والتفصيل، كثير الملَح والظَّرف. [من يتيمة الدهر ٣/٣٠٠] .

(٥) البيتان من [المتقارب] . وما بين القوسين زيادة من الثمار يتم بها البيت .

(٦) في ثمار القلوب ٤٦٤ .

(٧) في نسخة الأصل م : "نوح" ، وهو خطأ ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٨) هو حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر الهلالي، يكنى أبا الأخضر، وهو شاعر مخضرم، قضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام، وعاش إلى خلافة عثمان. [من هامش العمدة ١/٢٨٣] .

(٩) الأبيات في ديوان حميد بن ثور ٢٤-٢٧ . وهي من [الطويل] . وفي نسخة الأصل م : "دعت ذات حر" ، وما في النسختين د ، ك يوافق الديوان ، وفي جميع المخطوطات : "برهة" مكان "ترحة" ، واعتمدت الديوان .

مُطَرَقَــــةٌ غَــــرَّاءُ تَسْــــجَعُ كُلَّمَــــا دَنَا الصَّـيْفُ وَانْجَـالَ الرَّبِيـعُ فَأَنْجَمَـا[1]

مُحَــلاَّةُ طَــوْقٍ لَمْ تَكُــنْ عَــنْ تَمِيمَــةٍ وَلاَ ضَــرْبَ صَــوَّاغٍ بِكَفَّيْــهِ دِرْهَمَــا[2]

تَغَنَّـتْ عَلَـى غُصْـنٍ عِشَـاءً فَلَـمْ تَـدَعْ لِنَائِحَــةٍ مِــنْ نَوْحِهَــا مُتَلَوَّمَــا[3]

[٣٨٨/ظ] إِذَا حَرَّكَتْـهُ الـرِّيحُ أَوْ مَـالَ تَغَنَّــتْ عَلَيْــهِ مَــائِلاً وَمُقَوَّمَــا[4]

عَجِبْـتُ لَهَـا عَـنْ أَنْ يَكُـونَ غِنَاؤُهَـا فَصِـيحًا وَلَمْ تَفْغَـرْ بِمَنْطِقِهَـا فَمَـا[5]

فَلَـمْ يُـرَ مِثْلِـي شَـاقَهُ صَـوْتُ مِثْلِهَـا وَلاَ عَرَبِيًّـا هَاجَـهُ صَـوْتُ أَعْجَمَـا[6]

قال الناظم[7] :

وَبِمَرْجِهَــــا النَّضْــــرِ الَّــــذِي قَــــدْ زَيَّــــنَ اللهُ اتِّسَــــامَهْ[8]

المَرْجُ كما في القاموس: الموضِعُ الذي[9] تُرْعى فيه الدواب وإرسالها للرَّعي والخلْط، ومرَجَ البحْرينِ وأمْرَجَهُمَا خلاَّهُما لا يلْتَبِسُ أحَدُهُما بالآخر، والمرَج محركة: الإبل ترعى بلا راعٍ

(١) في الديوان : "مطوقة خطباء تصدح . . ." ، وفي جميع المخطوطات : "دنى الصيف وانحال . . ." . والتصحيح من الديوان .

(٢) في الديوان : "تطوّق طوقا لم يكن . . ." .

(٣) في الديوان : " **فأوفت على غصن ضحيًّا فلم تدع لباكية في شجوها متلوَّما** .

(٤) في الديوان : **إذا هزهزته الريح أو لعبت به أرنّت عليه ماثلا ومقوَّما** .

(٥) في الديوان جاء الشطر الأول هكذا : "عجبت لها أنى يكون غناؤها" . وفي نسخة الأصل م : "ولم يفقوا لمنطقها" ، وفي النسختين د ، ك : "ولم يقفوا لمنطقها" ، واعتمدت ما في الديوان .

(٦) في الديوان : "فلم أر محزونا له مثل صوتها ... ولا عربيا شاقة ...".

(٧) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٨) في نفح الطيب : "ارتسامه" ، مكان "اتسامه" ، وأبقيت ما في المخطوطات لأن الشرح عليه .

(٩) كلمة "الذي" ليست في القاموس .

للواحد والجميع، والفساد والقلق والاختلاط والاضطراب، وأمرٌ مريج مختلط، ومارجٌ من نار: أي نار بلا دخان، ورجلٌ ممراج يمرج[١] أموره، وخُوطٌ مريج: أي[٢] متداخل في الأغصان، والنضر مُحَرَّكاً: الحُسْنُ، قال في القاموس[٣]: النَّضْرَة: النَّعْمة والعيْشُ والغِنَى والحُسْن كالنُّضور والنَّضَارة والنّضَرُ محركة، ونَضَر الشجرُ والوجهُ واللّون كنصر وكرُم وفرِح فهو ناضر ونضير (وأنضَر)[٤] ، ونَضَره الله ونضّره وأنضره ، والناضر : شديد الخضرة ، ويُبالغ به في كل لونٍ ، أخضر[٥] ناضر ، وأحمر ناضر وأصفر ناضر ، والنضر والنضير[٦] والنُّضار والأنضر الذهب أو الفضة جمع نِضار بالكسر ، والنُّضار[٧] بالضم : الجوهر الخالص من التِّبر والخشب والأَثْل ، أو ما كان عِذْيًا[٨] على غير ماء ، أو الطويل منه المستقيم الغصون ، أو ما نبت منه في الجبل، وخَشبٌ للأواني، والتَّزْيين: ما يُتَزَيَّنُ به كالزِّيَانِ، ويومُ الزِّينةِ: العُيدُ ، والزَّيْنُ ضدُّ الشّيْنُ، وأَزَانَهُ [٣٨٩/و] وزيَّنَهُ فَتَزيّنَ هو، وقد زيَّن الله اتسامه: أي وَسْمَه، والوَسْم: الأثَرُ. انتهى.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَقُصُورِهَا الزُّهْرِ الَّتِي ... يَأْبَى بِهَا الحُسْنُ انْقِسَامَهْ

القصور جمع قَصْر: وهو المنزل أو كل بيت من حَجَر وعَلَم لِسَبْعَة وخمسين موضعا ما

---

(١) في جميع المخطوطات : "يجرح" ، والتصحيح من القاموس .

(٢) لفظ "أي" ليس في القاموس .

(٣) القاموس، مادة نضر/ باب الراء/ فصل النون .

(٤) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول.

(٥) في جميع المخطوطات : "كأخضر" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٦) في جميع المخطوطات : "والناضر" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٧) في نسخة الأصل م : "والنضر" ، وما في النسختين د ، ك يوافق القاموس .

(٨) في نسخة الأصل م : "غذيا" ، وفي النسختين د ، ك : "عذبا"، وهو تصحيف ، والتصحيح من القاموس، والعِذْي: الزرع الذي لا يسقيه إلا ماء المطر . مختار الصحاح/عذي.

بين مدينة وقرية وحِصْن ودار، وأعْجَبُهَا قَصْرُ بَهْرَامِ جُورَ كان من حَجَرٍ واحِدٍ، كذا في القاموس[1]، والذي ضرب فيه المثل غُمْدَان المتقدم ذكره، يقال قصر غمدان، يُتمثل به في الوَثَاقَةِ والحصانة، سُمِّي باسم بانيه، وهو أولُ تبابِعَةِ الطُّوفانِ، وتقدم الكلام عليه مبسو�ا. والزَّهر جمع زُهرة وتجمع على أزهار أيضا، وهي من النبات نَوْرُه، أو الأصفر منه، ومن الدنيا بهجتها ونضارتها وحسنها ، وقد زهِر كفرح وكرُم ، وزهر السراج والقمر والوجه كمنع زهورا تلألأ كازدهر ، والنار أضاءت ، والأزهر[2] : القمر ، ويوم الجمعة ، والنيِّرُ المشرق الوجه ، والأزهران : القمران ، وأحمرُ زهر شديد الحمرة ، والازدهار بالشيء : الاحتفاظ به والفرح به ، والزاهرية : التبختر ، والزهراء : المرأة المشرقة الوجه ، والبقرة الوحشية ، والزَّهْرَاوَان : البقرة وآل عمران ، والزِّهر بالكسر : الو�ر ، وزُهَرة كهُمزة وزهران وزهير أسماء ، وازهرّ النبات نوَر كازهارَّ ، والمِزْهر كمنبر : العود يُضرَب به ، والذي يزهر النار ويقلبها للضيفان . كذا في القاموس .

وقول الناظم : التي يأبى بها الحُسْنُ انْقِسامَهُ، يقال: أبى[3] الشيء يأباه ويأبِيهِ إِبَاءً، وإِبَاءَةً بكسرهما: كرهه، وأَبِيتُ الطَّعامَ كرَضِيتُ إِبًى[4] انتَهَيْتُ عنه [٣٨٩/ظ] من غير شِبَع، ورجُل أَبَيَان محركة: يأبى الطعام أو الدَّنيئة[5]، والأُبْيَةُ بالضم: الكِبْر والعظمة، والإِبْيَة بالكسر: ارتدادُ اللبنِ في الثَّدْيِ[6]، كذا في القاموس.

---

(١) القاموس / مادة قصر/ باب الراء / فصل القاف.

(٢) في جميع المخطو�ات : "ولا زهر" بإسقاط الألف ، والتصحيح من القاموس .

(٣) رسمت الكلمة في المخطو�ات هكذا : "أبا" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٤) رسمت الكلمة في المخطو�ات هكذا : "إبا" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٥) في جميع المخطو�ات: "الدنية" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٦) في القاموس : "في الضرع" .

والحُسْنُ[١] بالضَّمِّ الجمالُ، وحَسُن ككرُم ونصَرَ فهو حاسِنٌ وحَسَنٌ، ولا تقل: رجلٌ أحْسَنُ في مقابلة امرأة حسناء، وعكْسه غلام أَمْرَد، ولا يقال: جارية مرداء، وإنما يقال: هو الأحسن على إرادة أفعل التفضيل، وأحاسِنُ القوم: حِسَانهم، والحُسْنَى بالضم ضدُّ السُوأَى، والعاقبة الحسنة، والنظر إلى الله تعالى، والظفر والشهادة، والمحاسِنُ: المواضِعُ الحَسَنَةُ من البدنِ، والإحْسَانُ ضدُّ الإساءةِ، وهو يُحْسن الشيءَ إحسانا أي يَعْلَمُه واستحسنه: عَدَّه حَسَنا ، والحَسَن محركا : ما حَسُن من كل شيء. كذا في القاموس[٢].

وقوله : انقسامه، أي قِسْمته، يقال: قَسَمَه يقسمه وقسَّمه: جزّأه، وهي القِسمة بالكسر، وكمنبر ومَقْعَد: النصيب، وقاسمه الشيءَ: أخذ كلٌّ قِسْمه، والقَسِيمُ المقَاسِمُ جَمْعه أقْسِمَاءُ وقُسَمَاءُ، وشَطْر الشيءِ. كذا في القاموس[٣].

وقال بعضهم: الحُسن ضد القبح، وهو معنى لا تناله العبارة ، ولا يحيط به الوصف، وجُمع على محاسِن على[٤] غير قياس ؛ لأن[٥] محاسن جمع محسن ، قال المعَرِّيُّ: هو جمعٌ لم يستعملوا واحِدَهُ، ولو استعملوه لوَجَبَ أن يكون على مُحْسِنَةٍ كمُطْعِمة. انتهى .

والمعنى : إن قصورَ غَرْنَا[illegible]ةَ للكمالِ[٦] رونقها وحُسن تأنقها ، مفردة في نظائرها ، قد اختص بها الحُسن ، وأبى أن يكون في غيرها .

---

(١) هذا في القاموس .

(٢) القاموس/ حسن / باب النون / فصل الحاء.

(٣) القاموس/ قسم / باب الميم / فصل القاف.

(٤) سقطت "على" من النسختين د ، ك .

(٥) في نسخة الأصل م : "كان" مكان "لأن" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٦) في نسخة الأصل م : "لكال" بإسقاط الميم ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

قال الناظم[١] :

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ مَنْ أَمْضَى بِهَا الْمُلْكُ احْتِكَامَهْ

قوله يا ليت شعري ، يا هنا[٢] ليست للنداء ، بل لمجرد التنبيه [٣٩٠/و] لأن النداء هو الدعاء بيا أو بإحدى أخواتها ، وهنا قد تخلفت يا[٣] عن الدعاء ، وقيل : للنداء والمنادى محذوف[٤] تقديره : يا هؤلاء ، وهو مقيس في الأمر كما في قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾[٥]، وفي الدعاء قوله[٦] :

أَلاَ يَاَ اسْلَمِي يَا دَارَمَيٍّ عَلَى الْبِلَي وَلاَزَالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ

وليت حرف تَمَنٍّ تنصب الاسم وترفع الخبر ، وإذا علم خبرها جاز حذفه مطلقا خلافا لمن اشترط تنكير الاسم ، وقد يلتزم[٧] حذفه وذلك في ليت شعري مردَفا باستفهام كما هنا ، ونحوه : ليت شعري هل قام زيد . الشِّعْر بمعنى الفطنة : مصدر من شعَرتُه أشعر كنصرته أنصر ، والمعنى ليت علمي بجواب هذا الاستفهام حاصل ، وقال ابن أم قاسم : وإنما التزم الحذف لأن الاستفهام سد مسدّ الخبر ، وجملة الاستفهام في موضع نصب لعَلِم ، واستشكل الرَّضي بأن محل خبر شعري الذي هو مصدر بعد جميع ذيوله من فاعله ومفعوله، ومحله ، بعد الاستفهام ، فكيف يكون الاستفهام في مقام الخبر، ومقامه بعده، بل هو خبر وجب حذفه

(١) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٢) جاء هذا في مغنى اللبيب ٤٥١/٤ مع اختصار .

(٣) في نسخة الأصل م : "ياء" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٤) وجاء الحديث عن حذف المنادى في هذه الحالة في العمدة ١٠٦٨/٢ و ١٠٦٩ ، وفيه قول ذي الرمة .

(٥) سورة يس، الآية: (٢٦).

(٦) البيت لذي الرمة في ديوانه ٥٥٩/١ . والبيت من [الطويل] .

(٧) جاء هذا كله مبسوطا في شرح الرضى لكافية ابن الحاجب ١٣٠٠/٢/٢ وما بعدها .

بلا سادٍّ مسدّه لكثرة الاستعمال. انتهى. وذهب المبرد والزجاجي إلى أن جملة الاستفهام هي الخبر ، وموضعها رَفْع ، ونَسَبه في "الإيضاح" إلى سيبويه ، وقال في تحقيقه بأن شعري بمعنى مشعوري ، والجملة نفس المبتدأ ، فلا يحتاج إلى ضمير . قال الدَّمَاميني : والذي ينبغي على تقدير أن يكون شعري بمعنى مشعوري أن يكون الأصل ليت شعري جواب هل قام زيد ، والجملة يراد بها لفظها أي جوابي هذا اللفظ ، ثم حذف المضاف [٣٩٠/ظ] وأقيم المضاف إليه مقامه ، فالمعنى : ليت معلومي قيام زيد أو عدم قيامه ، لأن أحد هذين الأمرين هو جواب الاستفهام ، وإلا فلو لم يعتبر هذا الحذف لم يستقم ظاهرا . وقال العَيْني في شرح[١] الشواهد : إن أصل ليت شعري ليتني أشعر ، فأشعر خبر ليت وناب شِعْر الذي هو المصدر عن الخبر ، ونابت الياء في شعر(ي)[٢] عن اسم ليت .

وأين اسم استفهام ، وأمضاه أنفذه ، والمِضَوَاء[٣] كغُلَواء : التقدم ، ومضيت على بيعتي وأمضيته أجزته ، والماضي الأسد والسيف ، مضى : قطع . كذا في القاموس .

والضمير في بها عائد إلى قصور غَرْنَاطَةَ. ومَلِك ككتف: ذو الملك، وجمعه ملوك وأملاك (ومُلَكاء)[٤] ومُلاَّك، والمِلْك بالضم معروف، ويؤنث كالسلطان والعظمة، وملّكوه تمليكا وأملكوه صيّروه ملكا، والملكوت كرهبوت: العز والسلطان والمملكة وتُضم (اللام)[٥] عِزّ الملك وسلطانه وعبيده ، وتمالك عنه ملك نفسه ، وشهدنا إملاكه ومِلاَكه بكسرهما وفتح

---

(١) في نسخة الأصل م : "شر" بإسقاط الحاء، وهو سهو من الناسخ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك، والكلام منسوب إلى العيني، في خزانة الأدب، للبغدادي، بتحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط(١)، مكتبة الخانجي، ودار الرفاعي بالقاهرة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ٤٢٩/١١.

(٢) سقطت "ى" من جميع المخطوطات ، وقد زدتها من عندي ليتم القول.

(٣) في جميع المخطوطات: "والمضو كغدوّ"، واعتمدت ما في القاموس.

(٤) ما بين القوسين زيادة من القاموس تتم بها صيغ الجمع.

(٥) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول.

الثاني تَزَوُّجه أو عقده وأملكه[1] إياها حتى يملكها ملكا مُثَلَّثًا[2] زوّجه إياها، وملك الطريق مثلثا وسطُه أو حَدُّه[3]، والمَلَيْكةُ كـ"جُهَينَةُ": الصحيفة، ومُلْك الدابة بالضمَ ِ وبضمتين قوائمها، الواحد ككتاب ، والمَلَك محركة : واحد الملائكة[4] والملائك، وكصاحب إمام المدينة ومحدِّثون وتسعون صحابيا . كذا في القاموس .

والاحتكام يراد به الحكم ، وهو بالضم القضاء جمعه أحكام ، وقد حكم عليه بالأمر حكما وحكومة وبينهم كذلك ؛ وحاكمه إلى الحاكم دعاه وخاصمه ، وحكّمه في الأمر[5] [٣٩١/و] تحكيما أمره أن يحكم فاحتكم ، وتحكّم جاز[6] فيه حكمه ، والاسم الأُحْكُومَةُ والحُكُومَةُ ، والحِكْمَةُ بالكسر: العدلُ والحِلْمُ والعِلْمُ والنُّبُوَّةُ والقرآن والإنجيل ، وأحْكمَه: أتْقَنَه ومَنَعَهُ عن الفساد، وعن الأمر رَجَعَه، والآيات المحكمات: ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ ...﴾ إلى آخر السورة[7] ، أو التي أُحكمت فلا يحتاج سامعها إلى تأويلها لبيانها، والحَكَم محركة: الرجل المسِنُّ. كذا في القاموس.

والمعنى: يا ليت شعري أين من كان ذا ملك وسلطان ينفِّذ أحكامه في مملكته، ولا يصده صاد عن مَرامه، والجواب محذوف تقديره: ذهبوا كأمس إذا مضى لا عَوْد له إذا انقضى، وما أحسن قول القائل[8]:

تَحَكَّمُوا وَاسْتَطَالُوا فِي تَحَكُّمِهِمْ   وَعَنْ قَلِيلٍ كَأَنَّ الحُكْمَ لَمْ يَكُنِ

---

(١) في جميع المخطوطات: "وملكه"، واعتمدت ما في القاموس.

(٢) في جميع المخطوطات : "مثلثان" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٣) في نسخة الأصل م : "أوجده" ، وفي النسختين د ، ك : "أو وحده" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٤) في نسخة الأصل م : "المليكة" ، وما في النسختين د ، ك يوافق القاموس .

(٥) في جميع المخطوطات : "وحكمه في الأرض" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٦) في جميع المخطوطات : "جار في حكمه" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٧) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١ – ١٦٥).

(٨) لم أعثر على البيت . وهو من [البسيط] .

قال الناظم[١]:

أَيْـــنَ الْـــوَزِيرُ ابْـــنُ الْخَطِيـــ ـــبِ بِهَـــا فَمَـــا أَحْلَـــى كَلاَمَـــهْ

الضمير في بها عائد إلى غَرْنَاطَةَ، وابن الخطيب هو وزير ابنِ الأحْمَرِ مَلِكِ غرناطَةَ، وقوله: فما أحْلى كلامَه صيغةُ[٢] تعجبٍ من حلاوة ألفاظه، ورقة شعره؛ لأنه كان من الشعراء الأُدَبَاءِ أرْبَابِ الكمالات، وأوَّلُ شيء يدلُّ على فضل الإنسان لفْظُه، ولهذا قيل: المرءُ مَخْبُوءٌ تحْتَ لِسَانِهِ لا تحت طَيْلَسانه، وقيل: الدليل على فضل الإنسان ثلاثة: رسولُه، وكتابُه ، ونُطْقُه، وابن الخطيب هذا قد امتُحِن وسُجِن وحُرِق بعد قَتْله رحمه الله رحمة واسعة.

وخلاصة قصته ما ذكره الناظم في "أزهار الرياض[٣] في أخبار القاضي عياض" نقلا عن تاريخ ابن خَلدون ما نَصّه[٤]: كان محمد بن الأحمر المخلوع عن غرناطة قد رجَع [٣٩١/ظ] من رُنْدَةَ إلى ملكه بغَرْنَاطَةَ في جُمادَى من سنة ثلاث وستين، وقتل له الطاغيةُ عدوَّه[٥] الرئيس[٦] المتَنزِّي على ملكهم حين هرب من غرناطة إليه وفاء بعهد المخلوع، واستوى على كرسيه بغرناطة[٧]، واستقل بملكه، ولحق به كاتبه وكاتب أبيه الوزير محمد ابن الخطيب المذكور فاستخلصه لنفسه، وعَقد له على وزارته، وفوّض إليه القيام بملكه فاستولى

(١) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله" .

(٢) في جميع المخطوطات : "صفة" ، وصححته بما يناسب ، وأرجو أن أكون قد وُفقت .

(٣) وذكره في نفح الطيب ١٠٤/٥-١١٢ ، وفي هامش النفح ذكر المحقق أن الكلام في أزهار الرياض ٢٢٤/١ ، ثم ذكر أن الحكاية في تاريخ ابن خلدون ٣٣٧/٧ .، وابن الخطيب ولد عام ٧١٣هـ ، وتوفي عام ٧٧٦هـ : الأعلام ٢٣٥/٦.

(٤) هذا النص منقول من نفح الطيب ١٠٤/٥ وما بعدها .

(٥) في جميع المخطوطات : "أعدايه" ، واعتمدت ما في النفح .

(٦) في جميع المخطوطات : "الريس" ، واعتمدت ما في النفح .

(٧) كلمة "بغرناطة" ليست في النفح .

عليه، وملك هَواه ، وكانت عَين الوزير ممتدة إلى المغرب وسُكناه إذا[١] نزلت آفات في رياسته ، فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه، ولما لحق الأمير عبدالرحمن بن أُبى يفلوسن بالأندلس اصْطَفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ، ورفع في الدولة رتبته ، وأعلى منزلته ، وحمل السلطان على أن عَقَد له على الغزاة المجاهدين من زَناتَةَ مكان بنى عمه (من الأعياص)[٢] فكانت له آثار في الاطلاع بها، ولما استَبدّ السلطان عبد العزيز بأمره واستقلّ بملكه، وكان ابن الخطيب ساعيا بمرضاته عند سلطانه وشى إليه باعتقال عبد الرحمن بن أبي يفولسن ووزيره مسعود بن ماساى[٣] وأراد ابن الخطيب في ذلك مكره، وحمل السلطان عليهما إلى أن سطا[٤] بهما ابن الأحمر واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز، وتغيّر الجو بين ابن الأحمر ووزيره ابن الخَطيب وأظلم وتنكر (له)[٥]، ففر عنه إلى عبد العزيز سلطان المغرب سنة اثنتين وسبعين لما قدّم من الوسائل، ومهّد السوابق، فَقَبِله [٣٩٢/و] السلطان، وأحلّه من مجلسه مَحَل الاصْطفاء والقُرب ، وخاطب ابن الأحمر في أهل ابن الخطيب وولَده، فبعثهم إليه، واستقر في جملة السلطان، ثم تأكّدت العداوة بينه وبين ابن الأحمر فرغّب السلطان في ملك الأندلس ، وحمله عليه ، وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تِلمسان إلى المغرب ، وسمع بذلك ابن الأحمر فبعث إلى السلطان بهدية لم يُسمع بمثلها ، انتقى فيها من مَتاع الأندلس وماعونها وبِغَالها الفَارِهة وغِلمانها وجواريها ، وأرفد[٦] بما أرسله يطلب أن يسلم وزيره ابن الخطيب إليه ، فأبَى السلطان من ذلك ونكره ، ولما هلك السلطان واستبدّ بالأمر وزيره ابن غازي تحيز إليه ابن الخطيب وداخَله ، فخاطبه ابن الأحمر بمثل ما خاطب السلطان

(١) في جميع المخطوطات : "إذا نزلت" ، وصححتها بما يناسب النفح ، ففي النفح : "إلى أن نزلت به آفة" .

(٢) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها القول .

(٣) في جميع المخطوطات : "سياساي" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) رسمت الكلمة في جميع المخطوطات هكذا : "سطى" .

(٥) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها الأسلوب .

(٦) في النفح : "وأوفد بها رسله" .

(عبد العزيز)[1] فلجّ واستنكف وأقبح الرد، فانصرف رسوله إليه ، وقد رَهب سَطوته، فأطلق ابن الأحمر لحينه عبدالرحمن ابن أبي يفلوسن ، وأركَبه الأسطول ، وقذفَه إلى ساحل بطوية ، ومعه الوزير مسعود بن ماساى ، ونهض (- يعنى ابن الأحمر -)[2] إلى جبل الفَتْح فنازَله بعساكره ، ونزل عبدالرحمن ببطوية.

ثم ذكر ابن خلدون كلامًا كثيرا تركته[3] لطوله ، ومُلخصه أن الوزير (ابن غازي)[4] الذي كان عنده ابن الخطيب ولّى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سَبْتَةَ خوفا عليها من ابن الأحمر، ونهض الوزير إلى مُنازلة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ببطوية إذ كانوا قد بايعوه فامتنع عليه، وقاتله أياما ، ثم رجع إلى تازا، ثم إلى فاس، واستولى عبد الرحمن على تازا، وبينما الوزير [٣٩٢/ظ] أبو بكر بفاس يُدبِّر الأمر إذ وصَله الخبر بأن ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد ابن (أبي)[5] ، سالم ، وهو المعروف بذي الدولتين ، وهذه هي دولته الأولى ، وذلك أن ابن عم الوزير (وهو محمد بن عثمان)[6] لما تولى سَبْتَةَ كان ابن الأحمر قد تطاول حِصار جبل الفَتح ، وأخذ بمِخْنَقِهِ، وترادفت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب ، فاستعتب له ، وقبّح ما جاء به ابن عمه الوزير أبو بكر غازي من الاستغلاظ[7] له في شأن ابن الخطيب وغيره ، فوجَد ابن الأحمر في ذلك فرصته إلى غرضه وداخَله في البيعة لابن

---

(١) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها القول .

(٢) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها الأسلوب .

(٣) هذا يوهم بأن الكلام لشارح قصيدة المقري ، ولكنه للمقري نفسه في نفح الطيب ١٠٥/٥ .

(٤) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها السياق .

(٥) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها السياق .

(٦) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها السياق .

(٧) في نسخة الأصل م : "الاستغلاط" بالطاء المهملة ، وهو تصحيف .

السلطان أبي[1] سالم، وأن يقيمه للمسلمين سلطانا ، ولا يتركهم تحت ولاية الصبي الذي لم يبلغ ، ولم[2] تصح ولايته شرعا ، وهو السعيد بن أبي فارس[3] الذي بايعه الوزير أبو بكر غازي بتلمسان حين مات والده، واستبد عليه واختص ابنُ الأحمر أحمدَ بن أبى سالم من[4] المودة، وكان ابن الأحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شرو□ا منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح الذي هو محاصر له، وأن يبعثوا له جميع أبناء الملوك من بنى مَرِين ليكونوا تحت حو□ته، وأن يبعثوا إليه بالوزير (ابن الخطيب متى قَدَروا عليه)[5]، فانعقدَ أمرهم على ذلك ، وقَبِل محمد بن عثمان شرو□ه ، وركب من سَبْتَةَ إلى □نْجَةَ، واستدعى أبا العباس أحمد من[6] مكان اعتقاله، فبايعه، وحمل الناس على □اعته، واستقدم أهل سَبْتَةَ للبيعة وكتابتها، فقدموا وبايعوا، وخا□ب أهل جبل الفتح فبايعوا، وأخرج[7] ابن الأحمر عنهم ، ولما وصل الخبر بهذا كله إلى الوزير أبي بكر غازي قامت عليه القيامة[8] [٣٩٣/و] وكان ابن عمه (محمد بن)[9] عثمان كتب إليه يموّه بأن هذا عن أمره، فتبرأ من ذلك، ولا□ف ابن عمه أن ينزل عن البيعة وينقضها، فاعتلّ له بانعقاد البيعة لأبي العباس، وبينما الوزير أبو بكر ينتظر إجابة ابن عمه إلى ما رَامَه منه إذ بلَغه الخبر أنه أشخص الأبناء المعتقلين كلهم للأندلس، وحصلوا تحت كفالة ابن الأحمر، فوَجَم وأعرَضَ عن ابن عمه، ونَهَضَ إلى تازا لمحاصرة عبد الرحمن بن أبى يَفْلوسن،

---

(١) في جميع المخطو□ات : "بن سالم" ، واعتمدت ما في النفح . وفي النفح زيادة : "من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الحو□ة والرقبة" .

(٢) في النفح : "ولا تصح" .

(٣) في نسخة الأصل م : ". . . أبي خلدس" ، وفي النسختين د ، ك : "أبى بلوس" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) في النفح : "من المواث" .

(٥) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسختين د ، ك والنفح .

(٦) في نسخة الأصل م : "أحمد بن مكان" ، واعتمدت ما في النفح .

(٧) في جميع المخطو□ات : "وخرج" ، واعتمدت ما في النفح .

(٨) في جميع المخطو□ات : "القيمة" ، واعتمدت ما في النفح .

(٩) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها الأسلوب .

فتأهَّل[١] في غيبة ابن عمه محمد بن عثمان ملك المغرب ، ووصله مَدَد السلطان ابن الأحمر من رجال الأندلس الناشبة[٢] ، وبعث ابن الأحمر رُسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال[٣] اليد مع ابن عمه السلطان أحمد ومظاهرته واجتماعهما على ملك فاس ، وعقد بينهما الاتفاق على أن[٤] يختص عبد الرحمن بملك سلفه ، فتراضيا وزحف محمد بن عثمان وسلطانه إلى فاس ، وبلغ الخبر إلى الوزير أبي بكر بمكانه من تازا[٥] ، فانفض معسكره ورجع إلى فاس ، ونزل بكدية العرائس وانتهى السلطان أبو العباس أحمد إلى زرهون ، فصمد[٦] إليه الوزير بعسكره ، فاختل مصافه ، ورجع على عقبه مكسورا ، وانتُهب عسكره ، ودخل إلى البلد الجديد البيضاء[٧] ، وجاء[٨] بالعرب أولاد الحسين فعسكروا بالزيتون ظاهر فاس ، فنهض إليهم الأمير عبد الرحمن[٩] من تازا بمن كان معه من العرب الأجلاف وشرَّدهم[١٠] إلى الصحراء ، وشارَف السلطان أبو العباس أحمد بجموعه من العرب وزَنَاتة ، وبعثوا إلى وليّ دولتهم ونزمار[١١] بن عريف [٣٩٣/ظ] بمكانه من قصره الذي اختطّه بملوية ، فجاءهم

---

(١) في النفح : "فاهتبل في غيبته" .

(٢) في جميع المخطوطات : "الغاشية" ، واعتمدت ما في النفح ، وفيه زيادة "نحو ستمائة" .

(٣) في جميع المخطوطات : "بالاتصال إليه" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) في جميع المخطوطات : "أنه" ، واعتمدت ما في النفح .

(٥) في جميع المخطوطات : "ناز" ، واعتمدت ما في النفح .

(٦) في جميع المخطوطات : "فعمد" ، واعتمدت ما في النفح .

(٧) كلمة "البيضاء" ليست في النفح .

(٨) في النفح : "وجأجأ" .

(٩) في جميع المخطوطات : "عبد الرحمن بن قاز" [كذا] ، واعتمدت ما في النفح .

(١٠) في جميع المخطوطات : "وشرورهم" ، واعتمدت ما في النفح .

(١١) في جميع المخطوطات : "أزمار" ، واعتمدت ما في النفح .

وأ□لعوه على كامن أسرارهم ، فأشار[1] عليهم بالاجتماع والاتفاق ، فاجتمعوا بوادى النجا[2] ، وتحالفوا ثم ارتحلوا إلى كدية العرائس في ذي القعدة سنة خمس وسبعين ، وبرز إليهم الوزير بعساكره ، فانهزمت جموعه وأُحيطت ، وخلص إلى البلد الجديد بعد غصّ الريق ، واضطرب[3] معسكر السلطان أبي العباس بكدية العرائس ، ونزل الأمير عبدالرحمن بإزائه وضربوا على البلد الجديد سياجًا[4] بالبناء للحصار ، وأنزلوا بها أنواع القتال والإرهاب ، وأوصلهم السلطان ابن الأحمر بالعسكر والمدد ، وتحكموا في ضياع ابن الخطب بفاس فهدموها ، ولما كان افتتاح سنة ست وسبعين داخل محمدُ بنُ عثمان ابنَ عمه الوزير أبا بكر في النزول عن البلد الجديد والبيعة للسلطان لكون الحصار قد اشتد به ، ويئس وأعجزه المال فأجاب، واشترط عليهم الأمير عبد الرحمن التجافي له عن أعمال مراكش بدل سلجماسة، فعقدوا له على كره ، و□وَوْا له على المكر ، وخرج الوزير أبو بكر إلى السلطان أبي العباس فبايعوه واقتضى عهده بالأمان ، وتخلية سبيله من الوزارة ، ودخل السلطان أبو العباس إلى البلد الجديد سابع محرم ، وارتحل الأمير عبد الرحمن يومئذ إلى مَراكش ، واستولى عليها ، ثم ذكر ابن خلدون الخبر عن مقتل ابن الخطيب فقال[5] : ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه [٣٩٤/و] استقل بسلطانه[6] والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه ، وسليمان بن داود بن أعراب[7] بني عسكر ، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر عندما بايعه بطَنجة على نكبة ابن الخطيب وإسْلامه إليه ؛ لما نَمَى إليه عنه أنه كان

(١) في جميع المخطو□ات : "فأغار" ، واعتمدت ما في النفح .

(٢) في جميع المخطو□ات : "النجار" ، واعتمدت ما في النفح .

(٣) في جميع المخطو□ات : "وضرب" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) في جميع المخطو□ات : "سيا□ا" ، واعتمدت ما في النفح .

(٥) في نفح الطيب ١١٠/٥ .

(٦) في جميع المخطو□ات : "سلطانه" بإسقاط حرف الجر الباء الموحدة التحتية من أوله ، واعتمدت ما في النفح .

(٧) الذي في النفح : ". . . بن أعراب كبير بنى عسكر رديفه" .

يغرى السلطان عبد العزيز بملك الأندلس ، فلما زَحَف السلطان أبو العباس من □نجة ولقيه أبو بكر بن غازي بساحة[١] البلد الجديد فهزَمه السلطان ، ولازَمه[٢] بالحصار أوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد خوفًا على نفسه، فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ثم أغراه سليمان ابن داود بالقبض عليه[٣] فقَبضوا عليه وأودعوه السجن ، و□يّروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر ، وكان سليمان ابن داود شديد العداوة لابن[٤] الخطيب ، لما كان سليمان قد بايعه السلطان ابن الأحمر على مَشيخة الغزاة بالأندلس متى أعاده الله إلى ملكه ، فلما استقر له سلطانه أرسل إليه سليمان سفيرا (عن الوزير)[٥] عمر بن عبد الله مقتضيا عهده من السلطان فَصدَّه ابن الخطيب عن ذلك بأن تلك الرياسة إنما هي لأعياص[٦] الملك من بني عبد الحق ، فرجع سليمان وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ، ثم جاوز الأندلس لمحل إمارته من جبل الفتح ، فكان تقع بينه وبين ابن الخطيب مُكاتبات يشير كل واحد إلى صاحبه بما يحفظه مما كنّ في صدورهما ، وحين بلغ (خبر)[٧] القبض على ابن الخطيب إلى السلطان ابن الأحمر بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو عبد الله بن زَمْرك ، فقدم[٨] [٣٩٤/ظ] على السلطان أبي العباس[٩] ، وأحضر ابن الخطيب بالمشور[١٠] في مجلس الخاصة ، وعرض عليه

---

(١) في جميع المخطو□ات : "ساحة" بإسقاط حرف الجر من أوله ، واعتمدت ما في النفح .

(٢) في جميع المخطو□ات : "ولازمه" ، واعتمدت ما في النفح .

(٣) في النفح : "على ابن الخطيب" ، وهو أحسن .

(٤) في جميع المخطو□ات : "بابن" ، واعتمدت ما في النفح .

(٥) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها السياق .

(٦) في جميع المخطو□ات : "لأعياض" ، واعتمدت ما في النفح . وفي اللسان في [عيص] : "وأعياص قريش كرامهم ، ينتمون إلى عيص ، وعيصٌ في آبائهم . . والأعياص من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم أربعة : العاص ، وأبو العاص ، والعِيص ، وأبو العِيص . . . العيص : أصول الشجر ، ومنبت خيار الشجر . . ." .

(٧) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها السياق .

(٨) في نسخة الأصل م جاءت كلمة "فقدم" في آخر الصفحة وفي أول الأخرى ، واعتمدت البداية بحرف "على" .

(٩) في نسخة الأصل م : "أبو العباس" [كذا] .

(١٠) في جميع المخطو□ات : "بالمنشور" ، واعتمدت ما في النفح ، وفي هامشه قيل : والمشور القصر ، لأنه موضع

بعد كلمات وقعت[١] له في كتابه في المحبة فعظم النَّكِير عليه فيها ، فوُبخ ونُكل وامتُحن بالعذاب بمشهد ذلك الملأ ، ثم أعيد إلى محبسه ، وتشاوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجّلة عليه ، وأفتَى بعض الفقهاء فيه ، ودسّ سليمان بن داود بعض الأَوغاد من حاشيته بقتله ، فطَرَقوا السجن ليلاً، ومعهم زعانفة جاءوا بصفة الخَدَم مع سفراء السلطان ابن الأحمر فقتلوه خَنقا في مَحبسه ، وأخرجوا جَسَده من الغد ، فدُفن بمقبرة باب المحروق ، ثم أصبحوا من الغد وجدوه على حافة قبره طَريحا وقد جُمعت له أعواد وأُضْرمت عليه نار فاحتَرقَ شَعره، واسوَدّت بَشرته، ثم أُعيد إلى حفرته ، وكان في ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذا التشنيع[٢] الذي جاء به سليمان ، وعَدّوها من هَفَواته ، وعَظُم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته ، والله الفَعّال لما يريد .

وكان[٣] عَفَا الله عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت ، وكان يسلي نفسه بالشعر، ومما قاله في السجن هذا الشعر[٤] :

بَعُدْنَا وإِنْ جَاوَرَتْنَا الْبُيُوتْ   وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتْ

وَأَنْفَاسُنَا سَكَنَتْ دَفْعَةً   كَجَهْرِ الصَّلاَةِ تَلاَهُ الْقُنُوتْ

المشورة .

(١) في جميع المخطوطات : "وقع" ، واعتمدت ما في النفح .

(٢) في النفح : "الشفعاء" .

(٣) في النفح ١١١/٥ .

(٤) الأبيات في النفح ١١١/٥. وهي من [المتقارب] ، وفي أزهار الرياض، باب روضة الورد في أولية هذا الإمام الفرد، وهي في المصدرين ناقصة البيتين الأخيرين ، وإنما رواهما الشارح هنا وهَمَاً منه أنهما تتمة أبيات لسان الدين ، وهذا وهَمٌ منه والصواب أنهما من تخميس لقصيدة لسان الدين أبدعه بعض بني الصباغ كما قال في النفح :" ورأيت بحضرة فاس – حاطها الله تعالى – تخميساً لهذه الأبيات بديعاً منسوباً إلى بعض بني الصباغ، وزاد في الأصل بعض أبيات على ما ذكره ابن خلدون من هذه القطعة، والمزيد يشبه نفس لسان الدين ابن الخطيب، فلعل ابن خلدون اختصر منها، أو لم يقف على الزائد، ولنثبت جملته تتميماً للمقصود. " ١١٢/٥، ١١٣.

وَكُنَّـــا عِظَامًـــا فَصِـــرْنَا عِظَامًـــا وَكُنَّـا نَقُـوتُ فَهَـا نَحْـنُ قُـوتْ[1]

[٣٩٥/و] وَكُنَّـا شُمُـوسَ سَمَـاءِ الْعُـلاَ غَـرُبْنَ فَنَاحَـتْ عَلَيْنَـا السُّـمُوتْ

فَكَـمْ جَـدَّلَتْ ذَا الْحُسَـامِ الظُّبَـا وَذُو الْبَخْـتِ كَـمْ جَدَّلَتْـهُ الْبُخُـوتْ

وَكَـمْ سِـيقَ لِلْقَـبْرِ فِي خِرْقَـةٍ فَـتًى مُلِئَـتْ مِـنْ كُسَـاهُ التُّخُـوتْ

فَقُـلْ لِلْعِـدَا ذَهَـبَ ابْـنُ الْخَطِيـبِ وَفَـاتَ وَمَـنْ ذَا الَّـذِي لاَ يَفُـوتْ ؟!

وَمَـنْ كَـانَ يَفْـرَحُ مِـنْهُمْ بِـهِ فَقُـلْ يَفْـرَحُ الْيَـوْمَ مَـنْ لاَ يَمُـوتْ[2]

سَـيَبْلَى الْجَدِيـدُ إِذَا مَـا الْمَـدَى تُتَـابِعَ آحَـادَهَ السُّـبُوتْ[3]

وَلاَ تَغْـتَرِرْ بِسَـرَابِ الْحَيَـاةِ فَإِنَّـكَ عَمَّـا قَلِيـلٍ تَمُـوتْ

انتهى

وقد تذكرتُ[4] بقوله : سَيبلي الجديد . . . البيت قول الآخر[5] :

نَطْـوِى سُـبُوتًا وَآحَـادًا وَنَنْشُـرُهَا وَنَحْـنُ فِي الطَّـيِّ بَـيْنَ السَّـبْتِ وَالْأَحَـدِ

فَعُـدِّ مَـا شِـئْتَ مِـنْ سَـبْتٍ وَمِـنْ أَحَـدٍ لاَ بُـدَّ أَنْ يَـدْخُلَ الْمَطْـوِيُّ فِي الْعَـدَدِ

---

(١) المقصود بكلمة "عظاما" الأولى هو الكبراء ، والمقصود بالثانية : "عظام اللحم" .

(٢) في النفح : ". . يفرح منهم له" . وفي المخطوطات جاء الشطر الثاني هكذا : "فقل يفرح بالموت من لا يموت"، وفيه خطأ عروضي ، والتصحيح من النفح .

(٣) هذا البيت والذي بعده ليسا في نفح الطيب .

(٤) هذا يوهم بأنه من كلام شارح قصيدة المقري ، ولكنه من كلام المقري نفسه في نفح الطيب ١١٨/٥ .

(٥) البيتان في نفح الطيب ١١٨/٥ . وهما من [البسيط] .

وكان لابن الخطيب القَدَم الراسخة في الشعر حتى قال بعضُ الأعلام :

شعر ابن الخطيب ما بعده مَطمع لطامع، ولا معرج على شاعر بعده للأذن والمسامع، فمن غُرر كلامه في التورية[1] :

بِنَفْسِــي حَبِيــبٌ فِي ثَنَــايَاهُ بَارِقٌ ... وَلَكِنّــهُ لِلْــوَارِدِينَ عِــذَابُ

إِذَا كَـانَ لِي مِنْـهُ عَـنِ الْوَصْـلِ حَـاجِزٌ ... فَـدَمْعِي عَقِيــقٌ فِي الْجُفُــونِ مُــذَابُ

وله[2] :

عَــذَّبْت قلْــبِي بِالْهَــوَى فَقِيَامُــهُ ... فِي نَارِ هَجْــرِكَ دَائِمًــا وَقُعُــودُهُ

وَلَقَــدْ عَهِــدْتُ الْقَلْــبَ وَهْــوَ مُوَحِّــدٌ ... فَعَــلاَمَ يُقْضَــى فِي الْعَــذَابِ خُلُــودُه

وله أيضا :

نَادَيْــتُ دَمْعِــي إِذْ جَــدَّ الرَّحِيــلُ بِهِــمْ ... وَالْقَلْـبُ مِـنْ فَـرَطِ التَّوْدِيـعِ قَـدْ وَجَبَـا[3]

سَـقَطْتَ يَا دَمْـعُ مِـنْ عَيْـنِي غَـدَاةَ نَأَى ... عَـنِّي الْحَبِيـبُ وَلَمْ تَقْـضِ الَّـذِي وَجَبَـا[4]

وقال مُوَرِّيًا :

(١) البيتان في نفح الطيب ٤٩٨/٦ . وهما من [الطويل] .

(٢) البيتان في نفح الطيب ٤٩٨/٦ . وهما من [الكامل] .

(٣) البيتان في نفح الطيب ٤٩٨/٦ . وهما من [البسيط] . وفي النفح : "والقلب من فرق . . ." .

(٤) في نسخة الأصل م : "ولم تقضى" وهو خطأ .

كَتَبْـتُ بِـدَمْعِ عَيْـنِي صَـفْحَ خَـدِّي وَقَـدْ مَنَـعَ الْكَـرَى هَجْـرُ الْخَلِيـلِ[1]

[٣٩٥/ظ] وَرَابَ الْحَاضِرِينَ فَقُلْتُ هَذَا كِتَـابُ الْعَـيْنِ يُنْسَـبُ لِلْخَلِيـلِ

وتذكرت بهذا قولَ الشيخ أبي حَيان رحمه الله تعالى :

سَـبَقَ الـدَّمْعُ بِالْمَسِـيرِ الْمَطَـايَا إِذْ نَـوَى مَـنْ أُحِـبُّ عَـنِّيَ نُقْلَـهْ[2]

وَأَجَـادَ السُّـطُورَ فِي صَـفْحَةِ الْخَـدْ دِ وَلِمَ لاَ يُجِيـدُ وَهْـوَ ابْـنُ مُقْلَـهْ

لكن ابن الخطيب قصد تورية أخرى لم يقصدها أبو حيان ، وكلاهما أحسن في توريته ، وقال ابن الخطيب :

وَلَمَّـا رَأَتْ عَزْمِـي حَثِيثًـا عَلَـى السُّـرَي وَقَـدْ رَابَهَـا صَـبْرِي عَلَى مَوْقِـفِ الْبَـيْنِ[3]

أَتَـتْ بِصَـحَاحِ الْجَـوْهَرِيِّ دُمُوعُهَـا فَعَارَضَـتْ مِـنْ دَمْعِـي بِمُخْتَصَـرِ الْعَـيْنِ

وقال :

مَضْـجَعِي فِيـكَ عَـنْ قَتَـادَةَ يَـرْوِي وَرَوَى عَـنْ أَبِي الـزِّنَادِ فُـؤَادِي[4]

وَكَـذَا النَّـوْمُ شَـاعِرٌ فِيـكَ أَمْسَـى مِـنْ دُمُـوعِي يَهِـيمُ فِي كُـلِّ وَادِي

وله أيضا :

---

(١) البيتان في نفح الطيب ٤٦٤/٦ . وهما من [الوافر] .

(٢) البيتان في نفح الطيب ٥٤٦/٢ . وهما من [الخفيف] .

(٣) البيتان في نفح الطيب ٤٦٤/٦ . وهما من [الطويل] .

(٤) البيتان في نفح الطيب ٤٦٣/٦ . وهما من [الخفيف] .

قَـــالَ لِي وَالـــدُّمُوعُ تَنْهـــلُّ سُـــحْباً ... فِي عِـــرَاضٍ مِـــنَ الْخُـــدُودِ مُحُـــولِ(1)

بِـــكَ مَـــا بِي فَقُلْـــتُ مَـــوْلاَيَ عَافَـــا ... كَ الْمُعَـــافِي مِـــنْ عَـــبْرَتِي وَنُحُـــولِي

إِنَّ جَفْـــنِي الْقَـــرِيحَ يَـــرْوِي عَـــنِ الأَعْــــ ... ــمَـــشِ وَالْجَفْـــنُ مِنْـــكَ عَـــنْ مَكْحُـــولِ(2)

وقال وقد جلس السلطان في يوم شديد البرد للسلام :

جَلَـــسَ الْمَـــوْلَى لِتَسْـــلِيمِ الْـــوَرَى ... وَلِفَصْـــلِ الْـــبَرْدِ فِي الْجَـــوِّ احْتِكَـــامُ(3)

فَـــإِذَا مَـــا سَـــأَلُوا عَـــنْ يَوْمِنَـــا ... قُلْـــتُ هَـــذَا الْيَـــوْمُ بَـــرْدٌ وَسَـــلاَمُ

وله أيضا :

بِأَبِي ظَـــــــبْيٌ غَـــــــزَانِي ... مُسْـــتَبِيحًا شَـــــرْحَ صَـــــدْرِي(4)

فَـــأَنَا الْيَـــوْمَ شَـــهِيدُ الْــــ ... ــحُـــبِّ مِـــنْ غَـــزْوَةِ بَـــدْرِي

وله أيضا :

أَشْـــكُو لِمِبْسَـــمِهِ الْحَرِيـــقَ وَقَـــدْ حَمَـــى ... عَـــنِّي لَمَـــاهُ الْمُشْـــتَهَى وَرَحِيقَـــهُ(5)

[396/و] يَا رِيقَـــهُ خَيَّرْتَـــنِي وَمَطَلْتَـــنِي ... مَـــا أَنْـــتَ إِلاَّ بَارِدٌ يَا رِيقَـــهُ(6)

وله في الفخر :

---

(1) في نفح الطيب 6/471 و 501 . وهي من [الخفيف] . وفي جميع المخطوطات : "والدموع تنهلي" ، وهو خطأ في الوزن ، والتصحيح من النفح ، وفي النفح 6/501 : "في عراص" بالصاد المهملة .

(2) في النفح : "أنا جفني" ، وما هنا أوفق .

(3) في النفح 6/470 . وهما من [الرمل] .

(4) في النفح 6/470 . وهما من [مجزوء الرمل] .

(5) في النفح 6/501 . وهما من [الكامل] .

(6) في النفح : "يا ريقه حيرتني . . ." بالحاء المهملة ، وما هنا أوفق .

مَــا ضَــرَّنِي أَنْ لَمْ أَكُــنْ مُتَقَــدِّمًا فَالسَّــبْقُ يُعْــرَفُ آخِــرَ الْمِضْــمَارِ[1]

وَلَــئِنْ غَــدَا رَبْــعُ الْبَلاَغَــةِ بَلْقَعًــا فَلَــرُبَّ كَنْــزٍ فِي أَسَــاسِ جِــدَارِ[2]

وقال في مدح السلطان أبي الحجاج :

فِي مِصْــرَ قَلْــبِي مِــنْ خَــزَائِنِ يُوسُــفٍ حَــبٌّ وَعَــيْرُ مَــدَائِحِي تَمْتَــارُهُ[3]

حَلَّيْــتُ شِــعْرِي بِاسْمِــهِ فَكَأَنَّــهُ فِي كُــلِّ قُطْــرٍ حَلَّــهُ دِينَــارُهُ

وله أيضا:

رَمَــوْا بالسُّــلُوِّ حَليــفَ الْغَــرَامِ وَأَدْمُعُــهُ كَالْحَيَــا الْهَاطِــلِ[4]

أَعُــوذُ بِعِــزِّكَ يَا سَــيِّدِي لِــذُلِّيَ مِــنْ دَعْــوَةِ الْبَاطِــلِ

وله أيضا:

يَا لَيْــلُ طُلْــتَ وَلَمْ تَجُــدْ بِتَبَسُّــمٍ وَأَرَيْتَــنِي خُلُــق الْعَبُــوسِ النَّــادِمِ[5]

هَــلاَّ رَحِمْــتَ تَغَــرُّبِي وَتَفَرُّقِــي للهِ مَــا أَقْسَــاكَ يَا ابْــنَ الْخَــادِمِ[6]

وقال في سكين الأضاحي للسلطان أبي الحجاج:

---

(١) في النفح ٤٦٨/٦ . وهما من [الكامل] .وفي النفح : "ما ضرني إن لم أجيء . . . السبق . . . " .

(٢) في جميع المخطوطات : "أساس جار" ، والتصحيح من النفح .

(٣) في النفح ٤٧١/٦ . وهما من [الكامل] . وفي نسخة الأصل م : "وجب غير" ، وهو تصحيف ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفح ، وقد اعتمدته .

(٤) في النفح ٥٠٣/٦. وهما من [المتقارب]. وفي المخطوطات جميعها: "ودمعه كالحيا . . ." والتصحيح من النفح.

(٥) في النفح ٥٠٣/٦ . وهما من [الكامل] .

(٦) وفي جميع المخطوطات: ". . . رحمت تغزلي" واعتمدت ما في النفح .

لِي الْفَخْــــرُ إِنْ شَــــاهَدْتَنِي وَاخْتَبَرْتَــــنِي عَلَـى كُـلِّ مَعْقُـولِ الْغِـرَارَيْنِ مُرْهَـفِ[1]

كَفَــــانِي فَخْــــرًا أَنْ تَــــرَانِي قَائِمًــــا بِسُــــنَّةِ إِبْــــرَاهِيمَ فِي كَــــفِّ يُوسُــــفِ

وقال في مروحة سلطانية :

كَـأَنِّي قَـوْسُ الشَّـمْسِ عِنْـدَ طُلُوعِهَـا وَقَـدْ قَـدمَتْ مِـنْ قَبْلِهَـا نَسْمَةُ الْفَجْـرِ[2]

وَإِلاَّ كَمَــا هَبَّــتْ بِمُحْتَــدِمِ الْــوَغَى بِنَصْــرٍ وَلَكِــنْ مِــنْ بُنُــودِ بَــنِي نَصْــرِ

وله :

إِنَّ اللَّحَــاظَ هِــي السُّــيُوفُ حَقِيقَــةً وَمَــنِ اسْــتَرَابَ فَحُجَّــتِي تَكْفِيْــهِ[3]

لَمْ يُــدْعَ غِمْــدُ السَّــيْفِ جَفْنًــا بَاطِــلاً إِلاَّ لِشِــبْهِ اللَّحْــظِ يُغْمَــدُ فِيــهِ

قيل[4] : وأحسن منه قول غيره وأجاد:

إِنَّ الْعُيُــونَ النُّجْــلَ أَمْضَــى مَوْقِعًــا مِــنْ كُــلِّ هِنْــدِيٍّ وَكُــلِّ يَمَــانِي[5]

[٣٩٦/ظ] فَضْلُ الْعُيُونِ عَلَى السُّيُوفِ لأَنَّهَا قَتَلَــتْ وَلَمْ تَخْــرُجْ مِــنَ الأَجْفَــانِ[6]

---

(١) في النفح ٤٧٦/٦. وهما من [الطويل]. وفي جميع المخطوطات:"لي الفضل.." واعتمدت ما في النفح لأنه أوفق.

(٢) في النفح ٥٠٣/٦ . وهما من [الطويل] .

(٣) في النفح ٥٠٣/٦ . وهما من [الكامل] .

(٤) هذا القول في نفح الطيب ٥٠٤/٦ . لمؤلف القصيدة وليس لشارحها .

(٥) في النفح ٥٠٤/٦ . وهما من [الكامل] .

(٦) في النفح : "على السيوف بأنها" .

وأظن أن ابن الخطيب أخذه[1] من قول الآخر :

بَــــيْنَ السُّـــــيُوفِ وَعَيْنَيْــــهِ مُنَاسَــــبَةٌ مِـنْ أَجْلِهَـا قِيـلَ لِـلْأَغْمَـادِ أَجْفَـانُ[2]

وقال في خالد البلوي[3] صاحب الرحلة، وقد استكثر من سرقة كتاب مناسبة "البرق الشامي" للعماد الأصبهاني:

خَلِيلَـــيَّ إِنْ يُلْـــفَ اجْتِمَـــاعٌ بِخَالِـــدٍ فَقُـولاَ لَـهُ قَـوْلاً وَلَـنْ تَعْـدُوَا الْحَقَّـا[4]

سَــرَقْتَ الْعِمَــادَ الأَصْــبَهَانِيَّ بَرْقَــهُ وَكَيْــفَ تَـرَى فِي شَـاعِرٍ سَـرَقَ الْبَرْقَـا

وقال أيضا :

أَقُـــــولُ لِعَـــــاذِلِي لَمَّـــــا نَهَـــــانِي وَقَــدْ وَجَــدَ الْمَقَالَــةَ إِذْ جَفَــانِي[5]

عَلِمْـــــتُ بِأَنَّـــــهُ مُـــــرُّ التَّجَـــــانِي وَفَاتَــــكَ أَنَّــــهُ حُلْــــوُ اللِّسَــــانِ[6]

وله مما يكتب على طاقة[7] القبة :

يَا صَــــانِعِي للهِ مَــــا أَحْكَمْتَــــهُ فَلأَنْــتَ بَــيْنَ الْعَــالَمِينَ رَئِيسِــي[8]

---

(١) هذا من نفح الطيب ٦/٥٠٤ ، وظاهر القول يوهم بأنه من قول شارح قصيدة المقري ، وما هو له .

(٢) في النفح ٦/٥٠٤ . وهما من [البسيط] . وفي جميع المخطوطات : "بين اللحاظ" واعتمدت ما في النفح لأنه أوفق ، وفي نسخة الأصل م : ""قيل للأجفان" ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفح ، وهو الذي اعتمدته .

(٣) هو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد، البلوي، ووصفه الشاطبي بأنه الشيخ الفقيه القاضي الأعدل. وهو صاحب الرحلة المسماة "تاج المفرق في تحلية أهل المشرق". من نفح الطيب ٢/٥٣٢.

(٤) في نفح الطيب ٢/٥٣٣. وهما من [الطويل] وفي النفح:"خليلي إن يقض...".

(٥) في النفح ٦/٥٠٤. وهما من [الوافر] .

(٦) في النفح: "مر التجني".

(٧) في النسختين د ، ك "طاق" .

(٨) في نفح الطيب ٦/٥٠٥ وهي من [الكامل] . وجاءت الأبيات مضمومة القافية في النفح .

أَحْكَمْتَ تَاجِي يَوْمَ صُغْت رُسُومَهُ   فَصَبَبْتَ فِيهِ مَفَارِقِي وَرُؤُوسِي[١]

وَأَقَمْتَ فِي مِحْرَابِهِ فَكَأَنَّمَا   يَحْكِى إِنَاءَ الْمَاءِ فِيهِ عَرُوسِي[٢]

وكتب إليه شيخه ابن الجيَّاب[٣] بقوله:

أَيَا كِتَابِي إِذَا مَا جِئْتَ مَالِقَةً   دَارَ الْمَكَارِمِ مِنْ مَثْنَى وَوُحْدَانِ[٤]

فَلاَ تُسَلِّمْ عَلَى رَبْعٍ بِذِي سَلَمٍ   بِهَا وَسَلِّمْ عَلَى رَبْعٍ لِسَلْمَانِ

فأجابه ابن الخطيب :

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يُقْضَى تَأَلُّفُنَا   وَيْثْنِيَ الشَّوْقَ عَنْ غَايَاتِهِ الثَّانِي(٥)

أَوْ هَلْ يَحِنُّ عَلَى نَفْسِي مُعَذِّبُهَا   أَوْ هَلْ يَرِقُّ لِقَلْبِي قَلْبِيَ الثَّانِي ؟!

وكتب ببعض الحيطان لما جاء سبتة :

[٣٩٧/و] أَقَمْنَا بُرْهَةً ثُمَّ ارْتَحَلْنَا   كَذَاكَ الدَّهْرُ حَالاً بَعْدَ حَالِ[٦]

وَكُلُّ بِدَايَةٍ فَإِلَى انْتِهَاءٍ   وَكُلُّ إِقَامَةٍ فَإِلَى ارْتِحَالِ

(١) في النفح : "فصبتْ إليه مفارق ورؤوسُ" .

(٢) في النفح : "فكأنما مجلي إناء . . ." .

(٣) هو علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري الغرناطي، أبو الحسن، [من نفح الطيب ٤٣٤/٥] .

(٤) في نفح الطيب ٢٢/٥ . وهما من [البسيط] .

(٥) في نفح الطيب ٢٢/٥ . وهما من [البسيط] . وفي جميع المخطوطات : "وينثني الشوق . . ." وهو وإن كان سليم الوزن إلا أنه لا يناسب السياق .

(٦) في نفح الطيب ١٦٦/٥ و ٤٧٥/٦ . وهي من [الوافر] .

وَمَـــنْ سَـــامَ الزَّمَـــانَ دَوَامَ أَمْـــرٍ فَقَـدْ وَقَـفَ الرَّجَـاءَ عَلَـى الْمُحَـالِ[1]

وقال رحمه الله تعالى : ومما قلت من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون وأمس الآن رسْمُها[2] :

رُبَّ لَيْـــلٍ ظَفِـــرْتُ بِالْبَـــدْرِ وَنُجُـــومُ السَّـــمَاءِ لَمْ تَـــدْرِ

حَفِـــظَ اللهُ لَيْلَتَهَـــا وَرُبَّمَـــا[3]

أَيَّ شَمْـــلٍ مِـــنَ الْهَـــوَى جَمَعَـــا

غَفَـــلَ الـــدَّهْرُ وَالرَّقِيـــبُ مَعَـــا

لَيْـــتَ نَهْـــرَ النَّهَـــارِ لَمْ يَجْـــرِ حَكَـــمَ اللهُ لِي عَلَـــى الْفَجْـــرِ

عَلِّـــلِ الـــنَّفْسَ يَا أَخَـــا الْعَـــرَبِ

بِحَـــدِيثٍ أَحْلَـــى مِـــنَ الضَّـــرَبِ

فِي هَـــوَى مَـــنْ وِصَـــالُهُ أَرَبِي[4]

كُلَّمَـــا مَـــرَّ ذِكْـــرُ مَـــنْ تَـــدْرِى قلـــت يا بـــرده علـــى صـــدري[5]

---

(١) في النفح ١٦٦/٥ : "دوام حال" .

(٢) في نفح الطيب ٦٥/٧ وما بعدها .

(٣) في النفح : "حفظ الله ليلتنا...".

(٤) في جميع المخطوطات : "أدبي" مكان "أربي"، واعتمدت ما في النفح.

(٥) في جميع المخطوطات : ". . . من يدرى . . ." ، واعتمدت ما في النفح .

صَــــاحَ لاَ تَهْـــتَمَّ بِأَمْـــرِ غَـــدِ[(١)]

وَأَجِـــزْ صَـــرْفَهَا يَـــدًا بِيَـــدِ[(٢)]

بَـــيْنَ نَهْـــرٍ وَبُلْبُـــلٍ غَـــرِدِ

وَغُصَـــونٍ تَمِيـــدُ مِـــنْ سُـــكْرِ أَعْلَنَـــتْ يَا غَمَـــامُ بِالشُّـــكْرِ

يَا مُـــرَادِي وَمُنْتَهَـــي أَمَلِـــي

هَاتِهَـــا عَسْـــجَدِيَّةَ الْحُلَـــلِ

حَلَّـــتِ الشَّـــمْسُ مَنْـــزِلَ الْحَمَـــلِ

وَبُنُـــودُ الرَّبِيـــعِ فِي نَشْـــرِ وَالصِّـــبَا عَنْبَرِيَّـــةُ النَّشْـــرِ

غُـــرَّةُ الصُّـــبْحِ هَـــذِهِ وَضَـــحَتْ

وَقِيَـــانُ الْغُصُـــونِ قَـــدْ صَـــدَحَتْ[(٣)]

فَكَـــأَنَّ الصَّـــبَا إِذَا نَفَحَـــتْ[(٤)]

وَهَفَـــا طِيْبُهَـــا عَـــنِ الْحَصْـــرِ مِدْحَـــةً فِي (عُـــلاَ)[(٥)] بَـــنِي نَصْـــرِ

---

(١) في النفح : " . . . لا تهتم . . . " .

(٢) في جميع المخطوطات : "وأجر . . ." بالراء ، واعتمدت ما في النفح .

(٣) في جميع المخطوطات : "وفنان" وهو تصحيف ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) في جميع المخطوطات : "إذ" مكان "إذا" ، واعتمدت ما في النفح .

(٥) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها القول .

هُـــمْ مُلُـــوكُ الـــدُّنْيَا بِـــلاَ ثُنْيَـــا

مَهَّـــدُوا الـــدِّينَ زَيَّنُـــوا الـــدُّنْيَا

وَحَمَـــــى اللهُ مِـــــنْهُمُ الْعُلْيَـــــا

بِالْإِمَـــامِ الْمُرَفَّـــعِ الْخَطْـــرِ وَالْغَمَـــامِ الْمُبَـــارَكِ الْقَطْـــرِ

إِنَّمَـــا يُوسُـــفٌ إِمَـــامُ هُـــدَى

حَـــازَ فِي الْمَعْلُـــوَاتِ كُـــلَّ مَـــدَى(١)

قُـــلْ لِـــدَهْرٍ بِمُلْكِـــهِ سَـــعِدَا

اِفْتَخِـــرْ جُمْلَـــةً عَلَـــى الـــدَّهْرِ كَافْتِخَـــارِ الرَّبِيـــعِ بِالزَّهْـــرِ

[٣٩٧/ظ] يَا عِمَـــادَ الْعُـــلاَ وَالْمَجْـــدِ

أَطْلَـــعَ الْعِيـــدُ طَـــالِعَ السَّـــعْدِ

وَوَفَى الْفَـــتْحُ فِيـــهِ بِالْوَعْـــدِ

وَتَجَلَّـــتْ فِيـــهِ عَلَـــى الْقَصْـــرِ غُـــررٌ مِـــنْ طَلاَئِـــعِ النَّصْـــرِ

فَتَهَنَّـــأْ مِـــنْ حُسْـــنِهِ الْـــبَهِجِ

بِحَيَـــاةِ النُّفُـــوسِ وَالْمُهَـــجِ

(١) في جميع المخطوطات : "حاز في العلوات . . ." واعتمدت ما في النفح .

وَاسْــــتَمِعْهَا وَدَعْ مَقَــــالَ شَــــجِي

قَسَــمًا بِالْهَــوَى لِــذِى حِجْــرِ مَــا لِلَيْــلِ الْمَشُــوقِ مِــنْ فَجْــرِ

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

مَــالِي أُهَــذِّبُ نَفْسِــي فِي مَطَالِبِهَــا وَالــنَّفْسُ تَأْنَــفُ تَهْــذِيبِي وَتَهْــذِ بِي[1]

إِذَا اسْــتَعَنْتُ عَلَــى دَهْــرِي بِتَجْرِبَــةٍ تَأْبَى الْمَقَــادِيرُ تَجْــرِيبِي وَتَجْــرِى بِي

وقال مخاطبا ولده وأمره بحفظه[2] :

إِذَا ذَهَبَــتْ يَمِينُــكَ لاَ تُضِــيِّعْ زَمَانَــكَ فِي الْبُكَــاءِ عَلَــى الْمُصِــيبَهْ

وَيُسْــرَاكَ اْغْتَــنِمْ فَــالْقَوْسُ تَرْمِــي وَمَــا تَــدْرِى أَرَشْــقَتُهَا قَرِيبَــهْ

وَمَــا بِغَرِيبَــةٍ نُــوَبُ اللَّيَــالِي وَلَكِــنَّ النَّجَــاةَ هِــي الْغَرِيبَــهْ[3]

وقال أيضا[4] رحمه الله تعالى يخاطب السلطان :

أَنْــتَ لِلْمُسْــلِمِينَ خَــيْرُ عِمَــادٍ وَمَــلاَذٍ وَأَيُّ حِــرْزٍ حَرِيــزِ[5]

لَــوْ رَأَى مَــا شَــرَعْتَ لِلْخَلْــقِ فِيــهِ عُمَــرُ الْفَاضِــلُ بْــنُ عَبْــدِ الْعَزِيــزِ

---

(١) في نفح الطيب ٦/٤٨٨ . وهما من [البسيط] . وفي النفح : ". . . نفسي في مطامعها" .

(٢) في نفح الطيب ٧/٣٠٠ . وهي من [الوافر] .

(٣) في نسخة الأصل م : "وما بقريبة" ، وفي النسختين د ، ك : "وما تقريبه" ، وفي جميع المخطوطات : ". . . هي الغريبة" ، واعتمدت ما في النفح في الجميع .

(٤) سقطت كلمة "أيضا" من النسختين د ، ك ٦/٤٨٨ .

(٥) في نفح الطيب ٦/٤٨٨ . وهي من [الخفيف] .

جَــــزَى مُلْكَــــكَ الْمُبَــــارَكَ خَــــيْرًا ... وَقَضَــــى بِالشَّــــفُوفِ وَالتَّبْرِيــــزِ

فَاشْــــكُرِ الله مَــــا اسْــــتَطَعْتَ بِفِعْــــلٍ ... وَبِقَــــوْلٍ مُطَــــوَّلٍ أَوْ وَجِيــــزِ

كُــــلُّ مَلْــــكٍ يُــــرَى بِصُــــحْبَةِ أَهْــــلِ الْـ ... ـعِلْــــمِ قَــــدْ بَاءَ بِالْمَحَــــلِّ الْعَزِيــــزِ

فَــــإِذَا مَــــا ظَفِــــرْتَ مِــــنْهُمْ بِإِكْسِيــ ... ــرٍ مَــــلأْتَ الْــــبِلاَدَ مِــــنْ إِبْرِيــــزِ

وَالْــــبَرَايَا تَبِيــــدُ وَالْمُلْــــكُ يَفْــــنَى ... أَيْــــنَ كِسْــــرَى الْمُلُــــوكِ مَــــعْ أَبْرَوِيــــزِ

وقال رحمه الله تعالى يخا□ب أحد الأشراف الكرام :

[٣٩٨/و] أعْيَـا الِّلقَـاءُ عَلَـيَّ إِلاَّ لَمْحَـةً ... فِي جُمْلَــــةٍ لاَ تَقْبَــــلُ التَّفْصِــــيلاَ(١)

فَجَعَلْــــتُ بَابَــــكَ عَــــنْ يَمِينِــــكَ نَائِبًــــا ... أَهْدِيــــهِ عِنْــــدَ زِيَارَاتِي التَّقْبِــــيلاَ

فَــــإِذَا وَجَــــدْتُكَ نِلْــــتُ مَــــا أَمَّلْتُــــهُ ... أَوْ لَمْ أَجِــــدْكَ فَقَــــدْ شَــــفَيْتُ غَلِــــيلاَ

وقال يخا□ب الحاجب الفقيه الخطيب سيدي أبا عبد الله بن مرزوق مضمنا بيت العذار :

أمــــا والــــذي تبلــــى لديــــه الســــرائر ... مَـا كُنْـتُ أَرْضَـى الْخَسْـفَ لَـوْلاَ الضَّـرَائِرُ(٢)

غَــــدَوْتُ لِضَــــمٍ ابْــــنِ الرَّبِيــــبِ فَرِيسَــــةً ... وَمَــــا ثَارَ مِــــنْ قَــــوْمِي لِنَصْــــرِيَ ثَائِــــرُ(٣)

إِذَا الْتَمَسَــــتْ كَفِّــــى لَدَيْــــهِ جِــــرَايَتِي ... كَــــأَنِّيَ جَــــانٍ أَوْ بَقَتْــــهُ الْجَرَائِــــرُ

---

(١) في نفح الطيب ٤٨٣/٦ . وهي من [الكامل] .

(٢) في نفح الطيب ٤٨٣/٦ . وهي من [الطويل] .

(٣) في النفح : "أما ثار . . ." .

مَــتَى جَــادَ بِالــدِّينَارِ أَخْضَــرَ زَائِفًــا ... وَدَارَتُـــــهُ دَارَتْ عَلَيْـــــهِ الـــــدَّوَائِرُ

وَقَــدْ أَخْــرَجَ التَّعْنِيــتُ كِــيسَ مَــرَارَتِي ... وَرَقَّـــتْ لِبَلْـــوَايَ النُّفُـــوسُ ٱلْأَخَـــايِرُ

تَـــذَكَّرْتُ بَيْتًـــا فِي الْعِـــذَارِ لِبَعْضِـــهِمْ ... لَـــهُ مَثَـــلٌ بِالْحُسْـــنِ فِي ٱلْأَرْضِ سَـــائِرُ[1]

"وَمَــا اخْضَــرَّ ذَاكَ الْخَــدُّ نَبْتًــا وَإِنَّمَــا ... لِكَثْــرَةِ مَــا شُــقَّتْ عَلَيْــه الْمَرائــرُ"

وَجَــاهُ ابْــنِ مَــرْزُوقٍ عَلَــيَّ ذَخِــيرَةٌ ... وَلِلشِّــدَّةِ الْعُظْمَــى تُعَــدُّ الــذَّخَائِرُ

وَلَــوْ كَــانَ يَــدْرِى مَــا دَهَــانِي لَسَــاءَهُ ... وَأَنْكَــرَ مَــا صَــارَتْ إِلَيْــهِ الْمَصَــائِرُ[2]

وكان ابن الرّبيب[3] هذا من خدام السلطان ابن أبي سالم، وكانت جراية ابن الخطيب وغيره ممن قدم من أعيان الأندلس على يده ، فكان لا يوفي حقهم ، فاشتكى ابن الخطيب به إلى الحاجب ابن مرزوق بهذا النظم المذكور ، وإلى الله ترجع الأمور .

ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى في الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام يمدح ممدوحه أبا عبد الله المخلوع :

[٣٩٨/ظ] مَا عَلَى الْقَلْبِ بَعْدَكُمْ مِنْ جُنَاحِ ... أَنْ يُـــرَى طَـــائِرًا بِغَـــيْرِ جَنَـــاحِ[4]

وَعَلَـــى الشَّـــوْقِ أَنْ يَشُـــبَّ إِذَا هَبْـــ ... ـــت بِأَنْفَاسِـــكُمْ نَسِـــيمُ الصَّـــبَاحِ[5]

---

(١) في النفح : ". . . في الأرض ثائر" وما هنا أوفق .

(٢) في نسخة الأصل م : ". . ما دهاني لساءني" ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفح ، وهو الذي اعتمدته .

(٣) في نسخة الأصل م : "الزبيب" بالزاي ، وهو تصحيف .

(٤) في نفح الطيب ٥٠٩/٦ و ٥١٠ ، وهي من [الخفيف] .

(٥) في جميع المخطوطات : "وعلى المشوق . . . إذا هبت . . ." واعتمدت ما في النفخ .

جِـــــيرَةَ الْحَـــــيِّ وَالْحَـــــدِيثُ شُـــــجُونٌ	وَاللَّيَـــــالِي تَلِـــــينُ بَعْـــــدَ الْجِمَـــــاحِ
أَتَـــــرَوْنَ السُّـــــلُوَّ خَـــــامَرَ قَلْـــــبِي	بَعْـــــدَكُمْ ؟ لاَ وَفَـــــالِقُ ٱلإِصْـــــبَاحِ
وَلَـــــوَ أنِيّ أُعْطَـــــى اقْـــــتِرَاحٌ عَلَـــــى ٱلأَيْـــــ	يَـــــامِ مَـــــا كَـــــانَ بُعْـــــدُكُمْ بِاقْتِرَاحِـــــي[١]
ضَـــــايَقَتْنِي فِـــــيكُمْ صُـــــرُوفُ اللَّيَـــــالِي	وَاسْـــــتَدَارَتْ عَلَـــــيَّ دَوْرَ الْوِشَـــــاحِ[٢]
وَسَـــــقَتْنِي كَـــــأْسَ الْفِـــــرَاقِ دِهَاقًـــــا	فِي اغْتِبَـــــاقٍ مُوَاصَـــــلٍ وَاصْـــــطِبَاح
وَاسْـــــتَبَاحَتْ مِـــــنْ جِـــــدَّتِي وَفَتَـــــائِي	حَرَمًـــــا لَمْ أَخَلْـــــهُ بِالْمُسْـــــتَبَاحِ
يَا تُـــــرَى وَالنُّفُـــــوسُ أَسْـــــرَى أَمَـــــانٍ	مَالَهَـــــا مِـــــنْ وَثَاقِهَـــــا مِـــــنْ سَـــــرَاحِ
هَـــــلْ يُسْـــــتَبَاحُ الْـــــوِرْدُ بَعْـــــدَ ذِيَادٍ	أَوْ يُتَـــــاحُ اللَّقَـــــاءُ بَعْـــــدَ انْتِـــــزَاحِ ؟[٣]
وَإِذَا أَعْـــــوَزَ الْجُسُـــــومَ التَّلاَقِـــــي	نَابَ عَنْـــــهُ تَعَـــــارُفُ الأَرْوَاحِ[٤]

وله القصيدة السينية والفريدة البهية التي مدح بها السلطان أبا محمود رحمه الله تعالى، وهي قصيدة سارت بها الرُّكْبَانُ، وقرّت بالبلاغة لها علماء البيان، وكأنه[٥] حاكى أبا تمام في قصيدته التي أولها:

(١) في النفح : " . . . أُعطى اقتراحي . . . " .

(٢) في جميع المخطوطات : ". . . دون الوشاح" ، واعتمدت ما في النفح .

(٣) في جميع المخطوطات : ". . . بعد زياد" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) في جميع المخطوطات : "ناب عنه تفارق" ، واعتمدت ما في النفح .

(٥) هذا من النفح ٦/٢٠١ . وفي المخطوطات جميعها : "وكأنه حاكا" .

أَقَشِيبَ رَبْعِهِمُ أَرَاكَ دَرِيسَا ... تَقْرِى ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسَا[١]

وهي قصيدة نحو المائة والعشرين بيتاً، فلْنَأْتِ منها بما هو كالدُّرِّ الثَّمين، فمطلعها:

أَطْلَعْنَ فِي سُدَفِ الْفُرُوعِ شُمُوسَا ... ضَحِكَ الزَّمَانُ لَهَا وَكَانَ عَبُوسَا[٢]

وَعَطَفْنَ قُضْبًا لِلْقُدُودِ نَوَاعِمًا ... بُوِّثْنَ أَرْوَاحَ النَّعِيمِ غُرُوسَا[٣]

وَعَدَلْنَ عَنْ جَهْرِ السَّلَامِ مَخَافَةَ الْـ ... ـوَاشِي فَجِئْنَ بِلَفْظِهِ مَهْمُوسَا

[٣٩٩/و] وَسَفَرْنَ مِنْ دَهَشِ الْوَدَاعِ ... هُنَّ إِلَى التَّرَحُّلِ قَدْ أَنَاخُوا الْعِيسَا

وَخَلَسْنَ مِنْ خَلَلِ الْحِجَالِ إِشَارَةً ... فَتَرَكْنَ كُلَّ حِجَالِهَا مَخْلُوسَا[٤]

لَمْ أَنْسَهَا مِنْ وَحْشَةٍ وَالْحَيُّ قَدْ ... زَجَرَ الْحُمُولَ وَآثَرَ التَّغْلِيسَا

فَوَقَفْتُ وِقْفَةَ هَائِمٍ بُرَحَاؤُهُ ... وُقِفَتْ عَلَيْهِ وَحُبِّسَتْ تَحْبِيسَا

وَدَعَوْتُ عَيْنِي عَاتِبًا وَعُيُونُهَا ... بِعَصَا النَّوَى قَدْ بُجِّسَتْ تَبْجِيسَا

نَافَسْتِ يَا عَيْنَيَّ دَرَّ دُمُوعِهِمْ ... فَعَرَضْتِ دَرًّا لِلدُّمُوعِ نَفِيسَا

مَا لِلْحِمَى بَعْدَ الْأَحِبَّةِ مُوحِشًا ... وَلَكَمْ تَرَاهُ آهِلاً مَأْنُوسَا[٥]

---

(١) ديوان أبي تمام ٢٦٢/٢ ، والنفح ٢٠١/٦ . وهو من [الكامل] . وفي نسخة الأصل م سقطت كلمة "أراك" من الشطر الأول ، وهو سهو من الناسخ ، وفى النسختين د ، ك : ". . . أراك درسا" .

(٢) في النفح ١٩٥/٦ وما بعدها . وهي من [الكامل] . وفي النفح : "ضحك الظلام . . ." .

(٣) في النسختين د ، ك : "بوين" مكان "بُوّثن" . والفعل يجوز أن يكون واويا ويائيا ، ومعناه حفر فيه وخلط فيه ترابا ، أو استخرج ، ومنه استخراج النبيتة من البئر. اللسان في [بوث وبيث]. وفي جميع المخطوطات : "... أرواح النعيم عروسا" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) في النسخة د : "وخلعن من . . ." ، وفي النسختين د ، ك : "من خلع الحجال" .

(٥) في النفح : "ولكم تراءى آهلا . . ." .

وَلسِـــرْبِهِ حَـــوْلَ الْخَمِيلَـــةِ نَافِـــرًا ... لِحِمًـــى يَحِـــنُّ بِـــهِ وَكَـــانَ أَنِيسَـــا[1]

وَلِظِـلِّـــهِ الْمَـــورُودِ غَمْـــرُ قَلِيبِـــهِ ... لاَ يَقْتَضِـــــى وِرْدًا وَلاَ تَعْرِيسَـــــا

نَضَـبَ الْمَعِـينُ وَقَلَّـصَ الظِّـلُّ الَّـذِي ... ظَلْنَـــا عُكُوفًـــا عِنْـــدَهُ وَجُلُوسَـــا

نَتَوَاعَـــدُ الرُّجْعَـــى وَنَغْتَـــنِمُ اللِّقَـــا ... وَنُـــدِيرُ مِـــنْ شَـــكْوَى الْغَـــرَامِ كُؤُوسَـــا

فَـــإِذَا سَـــأَلْتَ فَـــلاَ تُسَـــائِلْ مُخْـــبِرًا ... وَإِذَا سَمِعْـــتَ فَـــلاَ تُحِـــسُّ حَسِيسَـــا

عَهْـــدِي بِـــهِ وَالَـــدَّهْرُ يُتْحِـــفُ بالْمُـــنَى ... وَقَـــدِ اقْتَضَـــتْ نُعْمَـــاهُ أنَّ لاَ بُوسَـــا

أَتَـــرَى يُعِيـــدُ الـــدَّهْرُ عَهْـــدًا لِلصِّـــبَا ... دَرَسَـــتْ مَغَـــانِي ٱلأُنْـــسِ فِيـــهِ دُرُوسَـــا[2]

أَوْطَـــانُ أَوْطَـــارٍ تُعَـــوِّضُ أُفْقَهـــا ... مِـــنْ رَوْنَـــقِ الْبِشْـــرِ الْبَهِـــيِّ عُبُوسَـــا

هَيْهَـــاتَ لاَ تُغْـــنِي لَعَـــلَّ وَلاَ عَسَـــى ... فِي مِثْلِهَـــا إِلاَّ لآيَـــةِ عِيسَـــى

وَالـــدَّهْرُ فِي دَسْـــتِ الْقَضَـــاءِ مُـــدَرِّسٌ ... فَـــإِذَا قَضَـــى يَسْـــتَأْنِفُ التَّدْرِيسَـــا

وَسَـــجِيَّةُ ٱلإِنْسَـــانِ لَـــيْسَ بِنَاصِـــلٍ ... مِـــنْ صِـــبْغِهَا حَـــتَّى يُـــرَى مَرْمُوسَـــا

يَغْـــتَرُّ مَهْمَـــا سَـــاعَدَتْ آمَالُـــهُ ... فَـــإِذَا عَـــرَاهُ الْخَطْـــبُ كَـــانَ يَؤُوسَـــا

لَمْ تَسْـــتَفِزَّ رُسُـــوخَهَا النُّعْمَـــى وَلاَ ... هَلَعَـــتْ إِذَا كَثَـــرَتْ إِلَيْهَـــا الْبُوسَـــى[3]

---

(١) في النفح : "عمن يحن" مكان "لحمًى يحن" .

(٢) في نسخة الأصل م : "درست معاني الصب" ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفح وهو الذي اعتمدته .

(٣) في جميع المخطوطات : "لم تستقر" ، وهو تصحيف ، وفي النسختين د ، ك : "إذا كثرت" مثل هامش النفح ، واعتمدت النفح في الجميع .

[٣٩٩/ظ] قُلْ لِلزَّمَانِ إِلَيْكَ عَنْ مُتَذَمِّمٍ   بِضَمَانِ عِزٍّ لَمْ يَكُنْ لِيَخِيسَا[١]

فَإِذَا اسْتَحَرَّ جِلاَدُهُ فَأَنَا الَّذِي اسْـ   ـتَغْشَيْتُ مِنْ سَرَدِ الْيَقِينِ لَبُوسَا[٢]

وَإِذَا طَغَى فِرْعَوْنُهُ فَأَنَا الَّذِي   مِنْ ضُرِّهِ وَأَذَاهُ عُذْتُ بِمُوسَى[٣]

بِحِمَى أَبِي حَمُّو حَطَطْتُ رَكَائِبِي   لَمَّا اخْتَبَرْتُ اللَّيْثَ وَالْعِرِّيسَا[٤]

أَسَدُ الْهِيَاجِ إِذَا (خَطَا) قُدُمًا سَطَا   فَيُخَلِّفُ ٱلأَسَدَ الْهِزَبْرَ فَرِيسَا[٥]

جَبَلُ الْوَقَارِ رَسَا وَأَشْرَفَ وَاعْتَلَى   وَسَمَا فَطَأْطَأَتِ الْجِبَالُ رُؤُوسَا

تَلْقَاهُ يَوْمَ ٱلأُنْسِ رَوْضًا نَاعِمًا   وَتَرَاهُ بَأْسًا بِالْهِيَاجِ بَئِيسَا[٦]

كَمْ غَمْرَةٍ جَلَّي وَكَمْ خَطْبٍ كَفَى   إِنْ أَوْطَأَ الْجُرْدَ الْعِتَاقَ وَطِيسَا[٧]

ومنها في المدح :

مَا أَنْتَ إِلاَّ ذُخْرُ دَهْرِكَ دُمْتَ فِي الصَّـ   ـوْنِ الْحَرِيزِ مُمَنَّعًا مَحْرُوسَا[٨]

---

(١) في جميع المخطوطات : ". . . إليك عن مترنم" ، واعتمدت ما في النفح .

(٢) في جميع المخطوطات : "فإذا استجر . . ." ، وفي النسختين د ، ك : "جلاوة" مكان "جلاده" ، واعتمدت النفح في الجميع .

(٣) في نسخة الأصل م : ". . . وأذاه عدت" بالدال المهملة ، وفي النسختين د ، ك : "عذب موسى" [كذا] ، والتصحيح من النفح .

(٤) في النسختين د ، ك "بحمى أبو . . ." [كذا] .

(٥) ما بين القوسين في الشطر الأول ساقط من جميع المخطوطات ، واعتمدته من النفح . وفي النفح : "فتخلف" بالمثناة الفوقية في أوله ، وما هنا أوفق .

(٦) في النسختين د ، ك : "وتراه سا" [كذا] بإسقاط أول كلمة "بأسا" . وفي النفح : ". . . بأسافي الهياج" .

(٧) في جميع المخطوطات : "إن أوطيء" .

(٨) في النفح : "ممتعا محروسا" ، وما هنا أوفق .

لَـوْ سَـاوَمَتْهُ ٱلأَرْضُ فِيـكَ بِمَـا حَـوَتْ   لَـــــرَآكَ مُسْــــتَامًا مَبْخُوسَــــا

مَـــنْ قَـــاسَ ذَاتَـــكَ بِالـــذَّوَاتِ فَإِنَّـــهُ   جَهِـــلَ الْـــوِزَانَ وَأَخْطَـــأَ التَّقْيِيسَـــا(1)

ومنها :

مَـــنْ أَنْكَـــرَ الْفَضْـــلَ الَّـــذِي أُوتِيتَـــهُ   جَحَـــدَ الْعِيَـــانَ وَأَنْكَـــرَ الْمَحْسُوسَـــا

بَيْـتُ الْبَتُـولِ وَمَنْبِـتُ الشَّـرَفِ الَّـذِي   تَحْمِـــى الْمَلاَئِـــكُ دَوْحَـــهُ الْمَغْرُوسَـــا

أَمَّـــا سِيَاسَـــتُكَ الَّـــتِي أَحْكَمْتَهَـــا   فَرَمَيْـــتَ بِالتَّقْصِـــيرِ أَسْطَالِيسَـــا(2)

لَـوْ أَنَّ كِسْـرَى الْفُـرْسِ أَبْصَـرَ بَعْضَـهَا   مَـا كَـانَ يَطْمَـعُ أَنْ يُعَـدَّ سَؤُوَسَـا(3)

لَوْ سَارَ عَدْلُكَ فِي السِّنِينَ لَمَا اشْتَكَتْ   بَخْسًـــا وَلَمْ يَـــكُ بَعْضُـــهُنَّ كَبِيسَـــا

مَـــا لاِبْـــنِ مَامَـــةَ فِي الْقَـــدِيمِ وَحَـــاتِمٍ   ضَـــرَبَ الزَّمَـــانُ بِجُـــودِهِمْ نَاقُوسَـــا

مَـــنْ جَـــاءَ مِـــنْهُمْ مِثْـــلَ جُـــودِكَ كُلَّمَـــا   حَبَسُـــوا الْمَكَـــارِمَ كِسْـــوَةً أَوْ كِيسَـــا

أَنْـــتَ الَّـــذِي افْتَـــكَّ السَّـــفِينَ وَأَهْلَـــهُ   إِذْ أَوْسَـــعَتْ سُـــبُلُ الْخَـــلاَصِ طُمُوسَـــا

[٤٠٠/و] وَأَعَنْتَ أَنْدَلُسًا بِكُلِّ سَبِيكَةٍ   مَوْسُـــــومَةٍ لاَ تَعْـــرِفُ التَّدْلِيسَـــا

---

(١) في جميع المخطوطات : "كأنه" ، واعتمدت ما في النفح .

(٢) في النفح : "ورميت" .

(٣) في النفح: "فلو أن... أن يعدي سوسا" ، وفي نسخة الأصل م : "أن يعد سواسا" واعتمدت ما في د ، ك وهو يوافق ما جاء في هامش النفح نقلا عن أزهار الرياض ، وفي د ، ك رسمت كلمة "سؤوسا" هكذا "سؤسا" وسؤوسا: أي ذا سياسة .

إِنْ لَمْ تُجَهِّزْهَــــا الْخَمِــــيسَ فَطَالَمَــــا   جَهَّـــزْتَ فِيهَـــا لِلنَّـــوَالِ خَمِيسَـــا[1]

وَمَـــلأْتَ أَيْـــدِيَهَا وَقَـــدْ كَانَـــتْ عَلَـــى   حُكْـــمِ الْقَضَـــاءِ تُشَـــابِهُ التَّفْلِيسَـــا[2]

صَـــدَّقْتَ لِلآمَـــالِ صَـــنْعَةَ جَـــابِرٍ   وَكَفَيْتَهَـــا التَّشْـــمِيعَ وَالتَّشْمِيسَـــا[3]

فَسَـــكَبْتَ مِـــنْ آمَالِهَـــا مَـــالاً وَمِـــنْ   أَوْرَاقِهَـــا وَرِقًـــا وَكُـــنَّ طُرُوسَـــا[4]

بُهِتُـــوا فَلَـــمَّ اسْـــتَخْبَرُوا لَمْ يُنْكِـــرُوا   وَزْنًا وَلاَ لَـــــــوْنًا وَلاَ مَلْمُوسَـــــــا

وَتُـــدِيرُ مِـــنْ قَلْـــبِ السُّـــطُورِ سَـــبَائِكًا   مِنْهَـــا وَمِـــنْ طَبْـــعِ الْحُـــرُوفِ فُلُوسَـــا[5]

وَجَـــبَرْتَ بَعْـــدَ الْكَسْـــرِ قَوْمَـــكَ جَاهِـــدًا   تُغْـــنِي الْعَـــدِيمَ وَتُطْلِـــقُ الْمَحْبُوسَـــا

وَنَشَـــرْتَ رَايَـــةَ عِـــزِّهِمْ مِـــنْ بَعْـــدِ مَـــا   دَالَ الزَّمَـــانُ فَسَـــامَهَا تَنْكِيسَـــا[6]

أَحْكَمْـــتَ حِيلَـــةَ بُـــرْئِهِمْ بِلَطَافَـــةٍ   قَـــدْ أَعْجَـــزَتْ فِي الطِّـــبِّ جَالِينُوسَـــا[7]

وَفَلَلْـــتَ مِـــنْ حَـــدِّ الزَّمَـــانِ وَإِنَّـــهُ   أَقْضَـــى وَأَمْضَـــى مِـــنْ غِـــرَارِ الْمُوسَـــى[8]

---

(١) في النفح : "إن تجر بها الخميس . . ." ، وما هنا أوفق ليوافق الشطر الثاني .

(٢) في النفح : ". . . وقد كادت على . . . تشافه التفليسا" وفي ك : "تشاقه" .

(٣) في هامش النفح كتب : ذكر جابر بن حيان وأردف ذلك بذكر بعض المصطلحات الكيميائية ، فالتشميع تليين الشمع ، والتشميس تعريض المواد للشمس .

(٤) في جميع المخطوطات : ". . . وكنّ [illegible]ووسا" ، واعتمدت ما في النفح .

(٥) في جميع المخطوطات : "وتدبير من . . . " ، واعتمدت ما في النفح .

(٦) في جميع المخطوطات : "زل الزمان" ، واعتمدت ما في النفح .

(٧) في جميع المخطوطات : "بالطب" ، واعتمدت ما في النفح .

(٨) في النفح : "أوحى وأمضى . . ." .

مَـــا أَنْـــتَ إِلاَّ فَـــاتِحٌ مُتَـــيَقِّنٌ بِالـــنَّجْحِ تَعْمُـــرُ مُمْرِعًـــا وَيَبِسَـــا[1]

وَمُتَـــاجِرٌ جَعَـــلَ الأَرِيكَـــةَ صَـــهْوَةً عَرَبِيَّـــةً وَالْمُتَّكَـــا الْقَرَبُوسَـــا[2]

مَـــا إِنْ تُبَـــايِعُ أَوْتُشَـــارِى وَاثِقًـــا بِالـــرِّبْحِ إِلاَّ الْمَالِـــكَ الْقُدُّوسَـــا[3]

وَالْعَـــزْمُ يَفْـــتَرِعُ النُّجُـــومَ بِنَـــاؤُهُ مَهْمَـــا أَقَـــامَ عَلَـــى التُّقَـــى تَأَسِيسَـــا

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

خُـــذْهَا إِلَيْـــكَ عَلَـــى النَّـــوَى سِـــينِيَّةً تُرْضِـــى الطِّبَـــاقَ وَتَشْـــكُرُ التَّجْنِيسَـــا[4]

إِنْ طُوِّقَـــتْ بِالـــدُّرِّ مِـــنْ حَـــوْلِ الطُّلَـــي يَوْمًـــا تَشَـــكَّتْ حَظَّهَـــا الْمَوْكُوسَـــا[5]

قَصَـــدَتْ سُـــلَيْمَانَ الزَّمَـــانِ وَقَارَبَـــتْ فِي الْخَطْـــوِ تَحْسَـــبُ نَفْسَـــهَا بَلْقِيسَـــا

إلى أن قال :

لَـــوْ أَنْصَـــفَتْكَ إِيَالَـــةُ الْمُلْـــكِ الَّـــتِي رُضْـــتَ الزَّمَـــانَ لَهَـــا وَكَـــان شَرِيسَـــا

[٤٠٠/ظ] قُرِنَتْ بِذِكْرِكَ وَالدُّعَاءِ لَكَ الَّذِي تَخْتَـــارُهُ التَّسْـــبِيحَ وَالتَّقْدِيسَـــا

---

(١) في النفح : "ما أنت إلا فالح . . ." .

(٢) في جميع المخطوطات : "والمتكي" ، والقربوس : حِنْوُ السرج . من اللسان في [قربس] .

(٣) في جميع المخطوطات : "ما أن يبايع" بالمثناة التحتية في أوله ، وفي نسخة الأصل م : "أو يشاري" وفي د ، ك: "أشاري" ، واعتمدت ما في النفح في الجميع .

(٤) في نسخة الأصل م : ". . على الهوى سينية" ، واعتمدت ما في د ، ك والنفح .

(٥) في النفح : "إن حوولت بالدر . . ." ، وما هنا يوافق ما أشير إليه في هامش النفح .

الْقَلْـــبُ أَنْـــتَ لَهَـــا رَئِـــيسُ حَيَاتِهَـــا لَمْ تُعْتَـــبَرْ مَهْمَـــا صَـــلَحْتَ رَئِيسَـــا

وله نثر رقيق[1] فائق ، ونظم رائق[2] يرقص (له)[3] الذوق السليم طربًا[4] ، ويقطع عند رؤيته الناظر أنه من فصحاء العرب .

قال الناظم[5] :

فَلَكَـــــمْ أَبَانَ الْعَـــــدْلَ فِي أَرْجَائِهَـــــا وَبِهَـــــا أَقَامَـــــهْ

كم هنا للتكثير كقول الشاعر[6] :

كَـــمْ عَمَّـــةٍ لَـــكَ يَا جَرِيـــرُ وَخَالَـــةٍ فَـــدْعَاءَ قَـــدْ حَلَبَـــتْ عَلَـــيَّ عِشَـــارِي

والعدل ضد الجَوْر ، وهو مأمور به شرعًا ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[7]، وفي الحديث[8] : "العدل عز الدين ، وقوة السلطان ، وفيه صلاح الخاصة والعامة" .

---

(١) سقطت هذه الكلمة من د ، ك ، وهو أحسن ليناسب السجعة .

(٢) في نسخة الأصل م : "فائق" ، واعتمدت ما في د ، ك .

(٣) ما بين الرقمين زيادة من د ، ك يتم بها القول .

(٤) في جميع المخطوطات : "طرب" ، وهو خطأ ، وقد صححته بما يناسب .

(٥) في د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٦) القائل هو الفرزدق ، والبيت في ديوانه ٤٥١/٢ ، وهو من [الكامل] .

(٧) سورة النحل، الآية: (٩٠).

(٨) لم أعثر على الحديث .

ولعظيم فضل العدل قال عليه الصلاة والسلام [١] : "ولدت في زمن الملك العادل" مع أن كسرى من عَبَدَة النار ، لكنه كان من الملوك العادلين ، حتى قيل : لم يكن بعد أزدشير أعدل من أنوشروان ، وسائر الأكاسرة كانوا ظَلَمة يستعبدون الأحرار .

وقيل: إنه لما مات أنوشروان كان يطاف بتابوته في جميع مملكته ويُنادى منادٍ : من له حق فليأت، فلم يوجد أحد له عليه درهم في ولايته .

قيل[٢]: العدل حصن وثيق في جبل أنيق ، لا يحطمه سَيْل ، ولا يهدمه منجنيق .

وقيل[٣]: الملكُ العادلُ محروسٌ بعين الله، ومكنونٌ بعون الله.

قيل: العدل معمار الأرض. قال بعض الحكماء: لا سائس مثل العقل، ولا رأس مثل العدل، ولا سيف مثل الحق، ولا عون مثل الصدق.

قيل: لا يكون العمران إلا حيث [٤٠١/و] يعدل السلطان. يقال: خيرُ الملوكِ مَن أحسن في فِعْله ونيّته، وعَدَلَ في جُنده ورعيّته.

قال ابن المبارك:

لَوْلاَ الْخَلِيفَةُ مَا قَامَتْ لَنَا حِيَلٌ ... وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْبًا لأَقْوَانَا[٤]

---

(١) في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ذُكر هنا ، وقيل : لا أصل له ، وفي كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٣٤٠/٢ ذُكر وقيل : ذكره الصغاني بالتنكير ، وقيل : إنه موضوع ، وفيه كلام كثير .

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري، باب العدل والإنصاف.

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري، باب العدل والإنصاف، وفي ربيع الأبرار :" مكنوف" بدل :"مكنون" وهي عندي أولى، والقول كذلك في ثمار القلوب ، في باب ما يضاف وينسب إلى الله تعالى تحت عنوان :"عين الله".

(٤) في نسخة الأصل م جاء البيت في صورة النثر ، ولم أعثر عليه ، وهو من [البسيط] .

قال إدريس عليه السلام[1]: من سكن موضعًا ليس فيه سلطانٌ قاهرٌ، وقاضٍ عادلٌ، وطبيبٌ عالمٌ، وسوقٌ قائم، ونهرٌ جارٍ فقد ضَيَّع نفسَه ومالَه وأهله وولده.

سأل يزدجرد حكيماً: ما صلاحُ المُلْكِ؟ قال: الرِّفْقُ بالرَّعِيَّةِ، وأخْذُ الحقِّ منها من غَيْرِ عُنْفٍ، والتَّودُّدُ إليها بالعدْلِ، وأَمْنُ السُّبل، وإنْصَافُ المظلوم. قال: وما يُثِيرُ الفِتَنَ؟ قال: ضغائنُ يُحَقِدُّها جُرْأة العامة، ويُوَلِّدها استخفاف الخاصة، ويُؤَكِّدها انبساطُ الألسنِ بضمائرِ القلوبِ، وإسعافُ موسرٍ، وقَهْرُ مُعْسِر، ويقظة محروم. قال : وما يسكّنها ؟ قال : الاستعدادُ لما يُخافُ منه، وإيسارُ[2] الجِدِّ حين يُلتذُّ بالهزْلِ، والعمل بالحزم، والادّراع بالصبر والرِّضَى.

وكان المهدي كثير[3] العدل والولاية خشيةً من استيلاء الولاة على الرعية، دخل عليه رجل ومعه نَعْلٌ ، فقال[4]: هذا نَعْلُ رسول الله (ﷺ)، فقبَّلها ووضعها على عينيه، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما انصرف قال: والله لم ير هذه النَّعْلَ رسولُ الله (ﷺ) ، ولكن لو رددته لقال للناس: أعطيته نَعْلَ رسول الله (ﷺ) فردّها ، فيصدقه أكثر الناس ؛ لأن العامةَ من شأنهم نَصْرُ الضعيف على القوى [٤٠١/ظ] وكان إذا جلس للمظالم يقول: أَدخلوا عليَّ القضاةَ والعلماءَ لأردَّ المظالم حياءً منهم .

وقال بليغ[5] : رأيت صورة قمرية في صورة عمرية . وقال آخر : رأيت صورة نورَ القمرين وعدل العمرين .

---

(١) لم أعثر على هذا القول .

(٢) [كذا] في الجميع، ويبدو لي أن الصواب "وإيثار" .

(٣) في نسخة الأصل م : "كثير الهدى والعدل" ، واعتمدت ما في د ، ك .

(٤) لم أعثر على هذه الحكاية.

(٥) لم أعثر على هذا القول .

وأول خُطبة خَطبها عمر رضي الله عنه[١] : أيها الناس ، إنه والله ما منكم أحد أقوي عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأصغر عندي من القوى حتى آخذ الحقَّ منه.

وخرج الرشيد إلى بعض الرساتيق[٢] فتظلمت إليه امرأة من جنده فقال : ألا تقْرين كتاب الله : ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[٣] فقالت : يا أمير المؤمنين ، أما قرأت : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٤] قال : صدقتِ ، وأمر بإخراج العسكر من تلك الناحية .

وحكى[٥] أن الأمير نوحًا لما وضع الخَرَاج على أهل سَمَرْقَند بعث بريديًّا إلى أميرها، فأحضر الأئمة والمشايخ وأعيان البلد، وقرأ عليهم الكتاب ، فقال الفقيه أبو منصور الماتريدي – رحمه الله – للبريدي: قد أديتَ رسالة الأمير نوح إلينا، فارددْ إليه الجواب، وقل له: زِدْ في ظُلمك حتى نزيد في الدعاء ليلا، ثم تفرقوا، فلم تذهبِ الأيام حتى وجدوه قتيلا، وفي بطنه زُجُّ رُمْح، وعليه مكتوب[٦]:

بَغَى وَلِلْبَغْيِ سِهَامٌ تَنْتَظِرْ ... أَنْفَذُ مِنْ سَهْمِ الْمَنَايَا وَالْقَدَرْ

سِهَامُ أَيْدِي الْقَانِتَاتِ فِي السَّحَرْ ... يَرْمِينَ عَنْ قَوْسٍ لَهَا اللَّيْلُ وَتَرْ

هكذا ذكره صاحب "بغية المرتاح".

(١) الكامل ١٢/١ .

(٢) الرساتيق : السوداء ، فارسي معرب . من اللسان في [رستق] .

(٣) سورة النمل، الآية: (٣٤).

(٤) سورة النمل، الآية: (٥٢).

(٥) لم أعثر على هذه الحكاية .

(٦) جاء الرجز في صورة النثر في ك ، ولم أعثر عليه .

قال بزرجمهر: لا تَدْعُ على [٤٠٢/و] ظالم بسبب ظُلمه؛ فإن ظُلمه يكفيك ما تحب أن ينزل به .

قال[١] عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأحنف بن قيس : مَنْ أجهلُ الناس ؟ قال : من باع آخرته بدنياه ، فقال عمر رضي الله عنه : ألا أنبئك بأجهل من هذا ؟ مَنْ باع آخرته بدنيا غيره .

قال مَكْحُول النّسفي رضي الله عنه [٢] :

بِئْسَ الْمَظَالِمُ يَوْمَ الْحَشْرِ أَزْوَادُ ... يَوْمٌ عَلَى اللهِ فِيهِ الْعَرْضُ مِيعَادُ

إِنَّ الْخُصُومَ إِذَا مَا عِنْدَهُ اجْتَمَعُوا ... فِيهِ الظَّلُومُ لَدَى الْمَظْلُومِ مُنْقَادُ[٣]

أَيْنَ الْمَفَرُّ إِذَا قَالَ الْعَزِيزُ غَدًا ... للظَّالِمِينَ وأعْوَان لَهم نَادوا

الْخَصْمُ أَخْمَدَهُمْ وَالْعَدْلُ خَالِقُهُمْ ... وَالصُّحْفُ شَاهِدُهُمْ وَالنَّارُ مِرْصَادُ[١]

وقال غيره[٤] :

كُنْتَ الصَّحِيحَ وَكُنَّا مِنْكَ فِي سَقَمٍ ... فَإِنْ مَرِضْتَ فَنَحْنُ السَّالِمُونَ غَدَا

دَعَتْ عَلَيْكَ أَكُفٌّ طَالَمَا ظُلِمَتْ ... وَلَنْ تُرَدَّ يَدٌ مَظْلُومَةٌ أَبَدَا

والإبانة هنا بمعنى الإظهار ، والإرجاء جمع رجا بالقصر ، وهي النواحي ، وكان الوزير

---

(١) لم أعثر على هذا القول .

(٢) لم أعثر على الأبيات ، وهي من [البسيط] .

(٣) في جميع المخطوطات : ". . . أحمدهم" ، بالحاء المهملة ، وصححته بما يناسب السياق .

(٤) لم أعثر على البيتين ، وهما من [البسيط] .

ابن الخطيب في الأندلس قد أقام ميزان العدل بالقسط ، وما قصّر ، وسار في زمانه في العدل على نهج عُمر ، ولما استبدّ في الأمور ، ورَأَسَ حَسَدَتْه على ذلك خاصةُ الناس ، فطلب الرحلة والانتقال ، واختار الغربة على القيل والقال ، فاشتاق لرؤيته الطَّلَل[1] والدِّمن ، وطلب عودة الدهر والزمن ، فخاطبه بالعَوْد إلى الوطن أبو جعفر بن خاتمة ، أحد بُلَغاء ذلك الزمن [٤٠٢/ظ] فقال له بعد صدرٍ بلغ من الحسن الغاية ، وحاز من الرقة والفصاحة النهاية : وإلى[2] متى هذا يا سيدي ومحل تعظيمي وإجلالي ، متّع الله الوجودَ بطول بقائكم ، وضاعف بالعز درجة ارتقائكم ، فإنه من الأمر الذي لم يغب عن رأى العقول ، ولا اختلف فيه أرباب المعقول ، إنكم بهذه الجزيرة شمسُ أُفقها ، وتاجُ مَفْرِقها ، وواسطةُ سِلْكِها، وطرازُ مُلْكها ، وقلادةُ نَحْرِها، وفريدةُ دُرِّها، وعِقْدُ جيدها المنصوص، وكمال زينها على العموم والخصوص ثم أنتم شمسُ[3] أفلاكها وسرُّ سياسة أملاكها ، وترجمانُ بيانها ، ولسانُ إحسانها ، وطِبُّ مارستانها ، والذي عليه عقد إدارتها ، وبه قوامُ إمارتها ، فلديه يُحل المشكلُ ، وإليه يُلجأ في الأمر المعضل ، فلا غَرْوَ أن تتقيّد بكم الأسماع والأبصار ، وتحدّق نحوكم الأذهان والأفكار ، ويُزجر[4] عنكم السانح والبارح ، ويستنبأ ما تصرف عنه العين وتختلج الجوارح ، استقراءً لمرامكم ، واستطلاعًا لطالع[5] اعتزامكم ، واستكشافا عن مرامي سهامكم ، لاسيما مع إقامتكم على جناح خَفُوق[6] ، وظهوركم في ملتمع بروق ، واضطراب الظنون بكم (مع)[7]

---

(١) في نسخة الأصل : "الطل" ، واعتمدت ما في د ، ك .

(٢) هذا في النفح ٢٨/٦ -٣٠ ، مع بعض اختلاف .

(٣) في النفح : "أنتم مدار أفلاكها" .

(٤) في نسخة الأصل م : "ويجنح" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك وهو يوافق النفح .

(٥) في جميع المخطوطات : "لطلع" ، واعتمدت ما في النفح .

(٦) في جميع المخطوطات : "حقوق" واعتمدت ما في النفح .

(٧) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها القول .

الغروب والشروق ، حتى تستقر بكم الدار ، وتلقى عصا التسيار ، ولها العذرُ في ذلك ؛ إذ جُرحها[١] بفراقكم لم يَنْدمل ، وسرورها بلقائكم [٣٠٤/و] لم يكتمل ، فلم يبرأ[٢] بعد جناحُها المهيضُ ، ولا جم[٣] ماؤها المغِيض ، ولا تميزت من داجيها[٤] لياليها البيض ، ولا استوى نهارُها ، ولا تألقت أنوارُها ، ولا اشتملت نَعماؤها ، ولا[٥] نسيت غمّاؤها ، بل هي كالنَّاقِهِ[٦] والحديث العهد بالمكَاره ، يستشعر نَفَس العافية ، ويتمسح[٧] منكم باليد الشافية[٨] ، فبِجَنَابِكُم[٩] عليها ، وعظيم حُرمتكم لديها لا تشوبُوا لها عَذْبَ المجَاج بالأُجاج ، وتفطموها عما عُودت من □يب المزاج ، فما لدائها – وحياة قُرْبكم – (غير □بّكم)[١٠] من علاج .

(وإني)[١١] ليخطر بخا□ري محبةً فيكم ، وعناية بما يعنيكم ما نال جَنَابكم – صانه الله بهذا الو□ن من الجفاء، ثم أذكر ما لكم رضي الله عنه من حسن العرق وكرم الوفاء، وأن

---

(١) في النفح : "إذ صدعها" ، وما هنا أوفق .

(٢) في جميع المخطو□ات : "فلم يبر" بإسقاط الهمزة من آخره ، واعتمدت ما في النفح .

(٣) في نسخة الأصل م : "ولا بعج مائها المفيض" ، وفي النسختين د ، ك : "ولا يعجم مائها المغيض" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) في النسختين د ، ك : "من واجبها" .

(٥) في جميع المخطو□ات : "ونسبت بحمائها" ، واعتمدت ما في النفح .

(٦) في جميع المخطو□ات : "التافه" ، واعتمدت ما في النفح .

(٧) في جميع المخطو□ات : "ويمتنح" ، واعتمدت ما في النفح .

(٨) في جميع المخطو□ات : "الشالية" ، واعتمدت ما في النفح .

(٩) في النفح : "فبحنانكم" ، وما هنا أوفق .

(١٠) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك والنفح .

(١١) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها السياق .

الوطن إحدى الحواضن الأظآر التي يحق لها جميل الاحتفاء[١] ما يتعلق بكم من حُرْمة أولياء القرابة ، وأوِدَّاء الصفاء والإصابة ، فيغلب على ظني أنكم بحسن العهد أجنح ، وبحق نَفْسكم على حق أوليائكم أسمح ، وللتي هي أعظم قيمة من فضائلكم أوهب[٢] وأسْجَح، وهَبْ أن الدُّرَّ لا يحتاج[٣] في الإثبات إلى شهادة النُّحور واللَّبَّات ، والياقوت غَنِيٌّ المكان[٤] عن مظاهرة القلائد والتيجان ، أليس أنه أعلى للعِيان ، وأبعد عن مكابرة البرهان تألُّقها في تاج الملك أنوشروان ؟! فالشمس وإن كانت أمَّ الأنوار ، وجلاء الأبصار ، فهي حين أُغمى مكانُها من الأفق قيل : أَلَيْلٌ هو أم نهار ؟ ، وكما في علمكم [٤٠٣/ظ] ما فارق ذوو الأرحام ، وأولو الأحلام ، مواطن استقرارهم ، وأماكن قرارهم إلا برغمهم واضطرارهم ، واستبدال[٥] دار خير من دارهم ، ومتى تُوازَن الأندلس بالمغرب ، أو يُعوض عنها إلا بمكة أو يثرب ، ما تحت أديمها (أشلاء)[٦] أولياء وعُبَّاد ، وما فوقه مرابط جهاد ، ومعاقد ألوية في سبيل الله ومضارب[٧] أوتاد ، ثم يبوأ ولده مبوَّأ أجياد[٨] وأجداده ، ويجمع لهم بين طارفه وتلاده ، أعيذ أنظاركم المسددة من رأى فَائِل[٩] ، وسَعْى طويل لم يَحْلَ منه بطائل ، فحَسْبكم من هذا الإياب السعيد ، والعَوْد الحميد .

---

(١) في جميع المخطوطات : "الاحتقار" ، واعتمدت ما في النفح .

(٢) في جميع المخطوطات : "أرهب وأنجح" ، واعتمدت ما في النفح .

(٣) في نسخة الأصل م : "لا يحتج" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك والنفح .

(٤) في النفح : "غنى عن المكان" .

(٥) في القرآن الكريم {أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير} [البقرة:٦١] وهذا هو الأصح في هذا .

(٦) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها الأسلوب .

(٧) في جميع المخطوطات : "ومحارب" ، واعتمدت ما في النفح .

(٨) سقطت كلمة "أجياد" من النفح .

(٩) في جميع النسخ : "هائل" ، واعتمدت ما في النفح .

وهي طويلة اقتصرنا منها على هذه الفِقَر ، التي كل واحدة منها من خيار الدُّرر ، فأجابه ابن الخطيب بقوله[1] :

لُمْ فِي الْهَوَى الْعُذْرِيِّ أَوْلاَ تَلُمْ فَالْعَذْلُ لاَ يَدْخُلُ أَسْمَاعِي

شَأْنُكَ تَعْنِيفِي وَشَأْنِي الْهَوَى كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي

أهلا بتحفة القادم ، وريحانة المنادم ، وذِكر الهوى المتقادم ، لا يصغر الله سراك بما أسراك ، لقد جَلَيْتَ[2] لي من همومي ليلا ، وجُسْتَ[3] رَجْلا وخَيلا ، ووفيت من صاع الوفاء كَيْلاً ، وظننت بي الأسف على ما فات ، فأعملت الالتفات[4] ؛ لكيلا ، فأقسم لو أن أمري اليوم بيدي ، أو كانت الِّلمَّةُ السوداء من عُددي ما أفلتّ أشراكي المنصوبة لأمثالك ، حول المياه وبين المسالك ، ولا علمت ما هنالك ، لكنك طرقتَ[5] حِمًى كَسَعَتْه الغارةُ الشعواء ، وغيّرت رَبْعَه الأنواءُ ، فخمد [٤٠٤/و] بعد ارتجاجه ، وتلاعبت[6] الرياحُ الهوج فوق فجاجه ، وطال عهدُهُ بالزمن الأول ، وهل عند رسم دارسٍ من معول ؟ وحيَّا الله نَدْبًا إلى زيارتي نَدَبَك ، وبآدابه الحكمية أدَّبك :

فَكَانَ وَقَدْ أَفَادَ بِكَ ٱلأَمَانِي كَمَنْ أَهْدَى الشِّفَاءَ إِلَى الْعَلِيلِ[7]

(١) في النفح ٣٠/٦ وما بعدها . وفيه كل الأبيات المذكورة هنا والبيتان من [السريع] .

(٢) في النفح ٦/ ٣٠ "لقد جبت إليّ" .

(٣) في نسخة الأصل م : "وحست" بالحاء المهملة وهو تصحيف .

(٤) في هامش النفح كتب : هذا من الاكتفاء ، فهو يشير إلى الآية الكريمة {لكي لا تأسوا على ما فاتكم} الآية .

(٥) في جميع المخطوطات : "طوقت جسمي لسعرته الغارة الشعوي" [كذا] ، واعتمدت ما في النفح .

(٦) قبل هذا في النفح : "وسكت أذين دجاجة" .

(٧) البيت من [الوافر] ، وجاء على صورة النثر في النسختين د ، ك ، والبيت في النفح ٦/ ٣١.

وهي شيمة بوركت من شِيَمِه ، وهبة[1] الله قِبَله من لَدُن المشيمة ، ومن مثلُه في صلةِ رَعْي ، وفضْلِ سَعْي ، وقولِ وَعْي :

قَسَـــــمًا بِالْكَوَاكِـــــبِ الـــــزْ زُهْـــــرِ وَالزُّهْـــــرُ عَاتِمَـــــهْ[2]

إِنَّمَـــا الْفَضْـــــلُ مِلَّـــــةٌ خُتِمَـــــتْ بِابْـــــنِ خَاتِمَـــــهْ

كساني حلّةَ فضْله ، وقد[3] ذهب زمانُ التجمُّل ، ونظرني[4] بالعين الكليلة عن العيب ، فهلاَّ أجاد التأمُّل ، هذا[5] وقد صارت الصغرى ، التي كانت كبرى[6] ، لمشيب لم يدع أن هجم لما نجم ، ثم تهلل عارضُه وانسجم ، مفرد[7] :

لاَ تَجْمَعِـــي هَجْـــرًا عَلَـــيَّ وَغُرْبَـــةً فَـــالْهَجْرُ فِي تَلَـــفِ الْغَرِيـــبِ سَـــرِيعُ[8]

نظرت فإذا الجَنْبُ[9] ناب ، والنفس فريسة ظُفرٍ وناب ، والمال أكيلة انتهاب ، والعمر[10] رهين الذهاب ، واليد صِفْر من كل اكتساب ، وسوق المعاد مترامية[11] ، والله سريع الحساب ، مفرد :

---

(١) في جميع المخطوطات : "وهبه" بالهاء في الآخر ، واعتمدت ما في النفح .

(٢) جاء البيتان في صورة النثر في جميع المخطوطات ، وهما من [مجزوء الخفيف] ، وهما في النفح ٣١/٦.

(٣) في نسخة الأصل م : "وقد هب" واعتمدت ما في النسختين د ، ك والنفح .

(٤) قبل هذا في النفح : "وحمّلني شكر وكندى واه عن التحمل" .

(٥) قبل هذا في النفح زيادة بمقدار أربعة أسطر .

(٦) في النفح : "الكبرى" .

(٧) سقطت كلمة "مفرد" من النسختين د ، ك .

(٨) جاء البيت في صورة النثر في نسخة الأصل م والنسخة ك والبيت من [الكامل] ، وهو في النفح ٣١/٦.

(٩) في جميع المخطوطات : "الحسب" ، واعتمدت ما في النفح .

(١٠) في النسختين د ، ك : "والعمر هين" [كذا] .

(١١) في جميع المخطوطات : "ترامية" ، واعتمدت ما في النفح .

وَلَـوْ نُعْطَـى الْخِيَـارَ لَمَـا افْتَرَقْنَـا وَلَكِـنْ لاَ خِيَـارَ مَـعَ الزَّمَـانِ[١]

وهَبْ أن العُمر جديد ، وظِلُّ الأمن مديد ، ورأىُ الاغتباط بالو�ن سديد ، فما الحجة لنفسي إذا مَرَّت بِمَطارِحِ جفوتها ، ومَلاعِبِ هَفْواتها، ومَثَاقِفِ[٢] قناتها ، ومظاهر غُزَاتِها[٣] ومُنَاتِها ، والزمان وَلُودٌ، وزِنادُ الكون غير صَلُودٍ . مفرد[٤] :

وَإِذَا امْـرُؤٌ لَدَغَتْـهُ أَفْعَـى مَـرَّةً تَرَكَتْـهُ حِـينَ يُجَـرُّ حَبْـلٌ يَفْـرَقُ[٥]

ثم إن المرغّب قد ذهب، والدهر قد استرجع مَا وَهَب[٤٠٤/ظ] والعارض قد اشتهب، وآراء الاكتساب مرجومة[٦] مرفوضة، وأسماؤه على الجدار[٧] مخفوضة، والنية مع الله على الزهد فيما بأيدي الناس معقودة، والتوبة بفضل الله سبحانه وتعالى منقودة، والمعاملةُ سامريَّةٌ، ودروعُ الصَّبرِ سابِرِيَّة ، والاقتصادُ قد قرّت العين بصحبته، والله قد عوّض حُبَّ الدنيا بمحبَّتِه، فإذا راجعها مثلي بعد الفراق، وقد رقَى لَدْغَتَها ألفُ راق، وجمعتني بها الحجرة، ما الذي[٨] تكون الأجرة ؟ جَلّ شاني، وإن رضي الوامق[٩] وسخط الشاني، إني إلى الله مهاجر، ولأظعان السُّرَى زاجر، لنجدٍ إن[١٠] شاء الله وحاجر، لكن[١١] دعاني للهرب إلى هذا المولى

(١) البيت من [الوافر]، وهو في النفح ٣٢/٦ .

(٢) في جميع المخطو�ات : "ومثاقب" ، واعتمدت ما في النفح .

(٣) في النفح : "عزّاها" .

(٤) سقطت كلمة "مفرد" من النسختين د ، ك .

(٥) البيت من [الكامل] ، والبيت لصالح بن عبد القدوس،النفح٣٢/٦.

(٦) في النسختين د ، ك : "رجومة" ، وفي النفح : "مرجوحة" .

(٧) في النسختين د ، ك والنفح : "الجوار" ، وما في النسخة م أوفق .

(٨) في جميع المخطو�ات : "والذي" ، واعتمدت ما في النفح .

(٩) في نسخة الأصل م : "الواقف" ، وفي النسختين د ، ك : "الموافق" ، واعتمدت ما في النفح .

(١٠) من هنا ساقط من النسخة ك .

(١١) في النفح : "لكن دعاني للهوى إلى هذا المولى المنعم هوى . . ." وهو أحسن .

المنعم هدى ، خلعت نَعْل الوجود وما خلعتهُ ، وشوق أمرني فأ□عته ، وغالبٌ والله صبري فما استطعته ، والحالُ أغلبُ ، وعسى أن لا يخيب المطْلب ، فإن يسّره رضاه فأمل كمل ، وراجل احتمل ، وإن كان بخلاف ذلك فالزمان جَمُّ العوائق[1] ، والتسليم بمقامي لائق ، مفرد :

مَــا بَــيْنَ غَمْضَــةِ عَــيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَــا   يُصَــرَّفُ ٱلأَمْـرُ مِـنْ حَـالٍ إِلَى حَـالِ[2]

وأما تفضيل هذا الو□ن على غيره ليُمْن □يْرِه ، وعموم خيْرِه ، وبركة جهاده ، وعمران رُبَاه ووِهادِهْ ، حتى لاَ يَفْضُلهُ إلا أحد[3] الحرمين ، فحقٌّ بَرِئَ من المَيْنِ ، لكنني للحرمين[4] جنحت، وفي جوِّ الشوق إليهما[5] سنحت، فقد أفضت إلى □ريق قصدي محجته، ونصرتني والمنّة لله محبته [٤٠٥/و] والآمال بفضل الله بَعْدُ تُمتار، والله يخلق ما يشاء ويختار، ودعاؤه بظهر الغيب مدد، وعُدَّة وعُدد، وبِرُّه حالَي الظعن والإقامة معتمد معتقد، ومجال المعرفة بفضله لا يحصره أمد.

هذا ما كتبه ابن الخطيب من الفِقَر التي يتضوّع عَرْفُها في أندية الأدب كالطِّيب، وما أحسن قول بعضهم في مدح الوزراء:

وَزِيــــرٌ كُلُّــــهُ كَــــرَمٌ وَسَــــعْدٌ   بِأَخْــذِ الْمَــالِ مِنْــهُ واقْتِبَاسِــهْ[6]

يُحَــاكِي الْبَحْــرَ فِي كَــرَمٍ وَجُــودٍ   وَيَحْكِــى بَاسِــلاً فِي وَقْــتِ بَاسِــهْ

(١) في النفح : "العلائق" ، وما هنا أحسن .

(٢) البيت من [البسيط] ، وجاء بصورة النثر في نسخة الأصل م والنسخة د .

(٣) في نسخة الأصل م والنسخة د : إحدى" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) في نسخة الأصل م : "للمحرمين" ، وفي النسخة د : "من الحرمين" ، واعتمدت ما في النفح .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د : "إليها منحت" ، واعتمدت ما في النفح .

(٦) البيتان من [الوافر] .

قال الناظم[١] :

وَلَكَــــمْ أَجَـــارَ عِــــدًى وَكَــــمْ أَجْــــرَى نَــــدًى وَالَى انْسِــــجَامَهْ

قد وصف الناظم – رحمه الله تعالى – ابنَ الخطيب بكثرة إجارة العدو من عدوِّه، وكثرة الكرم ، وهذا مما يدل على حسن مروءة[٢] الممدوح ؛ فإن من كمال المروءة[٣] المبادرة إلى مكارم الأخلاق ، وإجارة العدوّ محتملة لأن يجيره حتى من نفسه، بأن كان له عدوٌّ قدر عليه، وعفا[٤] عنه، وهذا هو الفتوة؛ لأن العفو لا يكون إلا بعد القدرة، ويحتمل أنه جاره[٥] من غيره، وكلاهما من مكارم الأخلاق.

قيل: أُتِي برجلٍ لعمر بن عبد العزيز فقال: لولا أني غضبان لعاقبتك، وكان إذا أراد عقاب رجل حبسه ثلاثة أيام مخافة التعجيل في أول الغضب.

قال بعض الحكماء: إياك وعِزّةَ الغضب؛ فإنها تصيّرك إلى ذلة الافتقار والاعتذار.

وقال عليّ كرم الله وجهه: حِلْمُ[٦] المرء عونُه، وحدَّته تُهلكه. وقال: سوءُ الخلق وَحشةٌ لا خلاص منها.

وقال أزدشير بن بابك(٧): لا أستعمل السيف لمن عصى حيثما تكفي العصا ، وما أتصدى للعدو بالوصول [٤٠٥/ظ] والنّصل إذا كان يؤثر فيهم القولُ والفصلُ .

---

(١) في النسخة د : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٢) في نسخة الأصل م والنسخة د رسمت كلمة "مروءة" هكذا "مروة" .

(٣) سقطت الكلمة من النسخة د ، ورسمت في نسخة الأصل م هكذا "المروة" .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة د : "وعفي" .

(٥) [كذا] في النسختين م ، د ويبدو لي أن الصواب "أجاره" .

(٦) في نسخة الأصل م : "حكم" ، واعتمدت ما في النسخة د ، ولم أعثر على هذا القول .

(٧) لم أعثر على هذه الأقوال .

قيل للمأمون: أي شيء وجدته من الأمور أحلى؟ قال: العفو بعد المقدرة. وقال: لو علم الناس ما نجده من لذّة العفو لتقربوا إلينا بالجنايات . وشُكي إليه جنايةُ بعضِ خدامه فقال: لو أنّا ضربنا كلَّ عبد ساء خُلقُه لا يبقى لهم خلُقٌ سيئ ، ولا لنا خُلُقٌ حسن. ويقال[1]: خير الناس من فَكَّ كفَّه، وكفَّ فكَّه، وشرُّ الناس من كفَّ كفَّه، وفكَّ فكّه.

قيل: غضب الكريم وإن تأجج نارُه كدخان عودٍ ليس فيه شرار. والنَّدَى: كناية عن كثرة الكرم. والانسجام: الجريان بسرعة، والمراد به هنا تَوَالِي[2] الكَرَمِ وتتابُعُهُ. والسخاء محمود، والبخل مذموم، فقد قال عليه الصلاة والسلام[3]: **"خصلتان لا يكونان في المؤمن: البخل، وسوءُ الخلق"**. وفي الحديث[4]: **"شر الناس من أَكلَ وحدَه، وضرَب عبدَه، ومنَع رِفده"**.

وحكى أن ذا القَرنين قال لأستاذه أرسطاطاليس[5] انصح لي : قال : ملكتَ البلاد في الفرسان ، فاملك القلوب بالإحسان .

ولبعضهم[6] :

---

(١) لم أعثر على القول ، ويبدو أنه من العصور المتأخرة التي كانت تلعب بالألفاظ .

(٢) في نسخة الأصل م : "توال" ، واعتمدت ما في النسخة د .

(٣) في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٣٧٨/١ ، وفيه : رواه الترمذي وأبو داود الطيالسى عن أبى سعيد الخدري (✗) ، وفي الباب عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه .

(٤) لم أعثر على هذا الحديث .

(٥) في نسخة الأصل م : "أرسطاليس" ، واعتمدت ما في النسخة د . ولم أعثر على القول .

(٦) في النسخة د : "ولبعضهم مفرد" .

أَحْسِــنْ إِلَى النَّــاسِ تَسْــتَعْبِدْ قُلُــوبَهُمُ   فَطَالَمَــا اسْــتَعْبَدَ ٱلإِنْسَــانَ إِحْسَــانُ(١)

ويقال : البخيل لا يسعد بالشهادة ؛ لأن الشهادةَ في الحقيقة بذلُ الروح لأجل رضا الله تعالى ، ومن يكن بخيلا في بَذْل خُبز لله تعالى فكيف يجود بروحه حتى ينال الشهادة .

ولبعضهم(٢) :

لِكُــلِّ هَــمٍّ مِــنَ الْهُمُــومِ سَــعَهْ   وَالْبُخْــلُ فِي الْمَــرْءِ لاَ فَــلاَحَ مَعَــهْ(٣)

قَــدْ يَجْمَــعُ الْمَــالَ غَــيْرُ آكِلِــهِ   وَيَأْكُــلُ الْمَــالَ غِــيْرُ مَــنْ جَمَعَــهْ

أَنْفِــقْ مِــنَ الــدَّهْرِ مَــا أَتَاكَ بِــهِ   مَــنْ قَــرَّ عَيْنًــا بِعَيْشِــهِ نَفَعَــهْ

[٤٠٦/و] وقال(٤) :

إِنَّ الْهَدِيَّــــةَ حُلْــــوَةٌ   كَالسِّــحْرِ تَجْتَلِــبُ الْقُلُــوبَا

تُــدْنِي الْبَعِيــدَ مِــنَ الْفَــتَى   حَــتَّى تُصَــيِّرَهُ قَرِيبَــا

وَتُعِيــدُ مُضَّــغِنَ الْعَــدَا   وَةِ بَعْــدَ بِغْضَــتِهِ حَبِيبَــا

---

(١) البيت من [البسيط]، وقد جاء على صورة النثر في نسخة الأصل م ، وهو لأبي الفتح البستي في ديوانه تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية بدمشق: ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص١٨٧، من قصيدته التي أولها :

زِيادَةُ المَرء في دُنياهُ نقصانُ   وربْحُهُ غَيرَ محض الخَير خُسرانُ.

وكُل وِجدانِ حَظٍّ لاثَبَاتَ لَهُ   فإنَّ مَعناهُ في التَّحقيق فِقْدانُ

(٢) الأبيات من [المنسرح] .

(٣) جاءت الأبيات ضمن خمسة أبيات منسوبة إلى الأضبط بن قريع في الحماسة البصرية ٧٨٨/٢ ، مع بعض اختلاف ، وجاء الثالث وحده في نفح الطيب ٣٥٩/٢ مع اختلاف في الشطر الأول .

(٤) لم أعثر على الأبيات ، وهي من [مجزوء الكامل] .

(تَنْفِــى الشَّــحِينَةَ مِــنْ ذَوِى الشْــ شَــحْنَا وَ تَمْتَحِــقُ الــذُّنُوبَا)[1]

وقال[2] :

إِذَا الْمَـرْءُ لَمْ يَـدْنَسْ مِـنَ الُّلـؤْمِ عِرْضُـهُ فَكُــلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيــهِ جَمِيــلُ

إِذَا قُلْـتَ لاَ فِي كُـلِّ شَـيءٍ سُـؤِلْتَهُ فَلَـيْسَ إِلَى حُسْـنِ الثَّنَـاءِ سَـبِيلُ

ومما يدل على كرمه ومروءته ما مدحه به أحد الوزراء الكرام ، وكان تلميذا له ، فقال[3] :

لَـكَ اللهُ مِـنْ فَـذِّ الجَلاَلَـةِ أَوْحَـدِ تُطَاوِعُـهُ ٱلآمَـالُ فِي النَّهْـيِ وَٱلأَمْـرِ

لَـكَ الْقَلَـمُ ٱلأَعْلَـى الَّـذِي طَـالَ فَخْـرُهُ عَلَـى الْمُرْهَفَـاتِ الْبِـيضِ وَٱلأَسَـلِ

تَهَيَّبَـكَ الْقِرْطَـاسُ فَـاحْمَرَّ إِذَ غَـدَا يُقِـلُّ بُحُـورًا مِـنْ أَنَامِلِـكَ الْعَشْـرِ

كَـأَنَّ بَيَـاضَ الطِّـرْسِ خَـدٌّ مُـوَرَّدٌ يُطَـرِّزُهُ وَشْـىُ الْعِـذَارِ مِـنَ الْحِـبْرِ[5]

فَشَـارَةُ ذَا الْمُلْـكِ رَائِقَـةُ الْحُلَـى بِأَلْوِيَـةٍ حُمْـرٍ وَبِالصُّـحُفِ الْحُمْـرِ[6]

---

(١) هذا البيت ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدته من النسخة د .

(٢) البيت الأول للسموءل ضمن قصيدة في الأمالي ٢٦٩/١ وليس فيها البيت الثاني ، والبيتان من [الطويل] .

(٣) الأبيات لابن زَمْرَك في مدح لسان الدين ابن الخطيب في النفح ٧٥/١ وما بعدها ، وهي من [الطويل] .

(٤) في نسخة الأصل م : "ملك الله في القلم الذي" ، وما في النسخة د يوافق النفح .

(٥) في النفح : "كأن رياض الطرس" .

(٦) في نسخة الأصل م والنسخة د : "بشارة هذا" ، واعتمدت ما في النفخ .

وَمَـا رَوْضَـةٌ غَنَّـاءُ عَاهَـدَهَا الْحَيَـا ... تَحُـوكُ بِهَـا وَشْـيَ الرَّبِيـعِ يَـدُ الْقَطْـرِ[1]

تُغَـنِّي قِيَـانُ الطَّـيْرِ فِي جَنَبَاتِهَـا ... وَيَـرْقُصُ غُصْـنُ الْبَـانِ فِي حُلَـلٍ خُضْـرِ

تَمُـدُّ لأِكْـوَاسِ الْعِـذَارِ أَنَامِـلاً ... مِـنَ السَّوْسَـنِ الْغَـضِّ الْمُخَـتَّمِ بِالتِّـبْرِ

وَيَحْـرُسُ وَرْدَ الْخَـدِّ صَـارِمُ نَهْرِهَـا ... وَيَمْنَـعُ ثَغْـرَ النَّـوْرِ بِالـذَّابِلِ النّضْـرِ[2]

يُفَـاخِرُ مَرْآهَـا السَّـمَاءَ مَحَاسِـنًا ... فَتُـزْرِي نُجُـومُ الزَّهْـرِ مِنْهَـا عَلَـى الزُّهْـرِ

إِذَا مَسَـحَتْ كَـفُّ الصَّـبَا جَفْـنَ نَوْرِهَـا ... تَـنَفَّسَ ثَغْـرُ النَّهْـرِ عَـنْ عَنْـبَرِ الشِّـحْرِ[3]

بِأَعْطَـرَ مِـنْ رَيَّا ثَنَائِـكَ فِي السُّـرَي ... وَأَبْهَـرَ حُسْـنًا مِـنْ شَمَائِلِـكَ الْغُـرِّ

عَجِبْـتُ لَـهُ يَحْكِـى خِـلاَلَ خَمِيلَـةٍ ... وَتَفْـرَقُ مِنْـهُ ٱلأُسْـدُ فِي مَوْقِـفِ الـذُّعْرِ[4]

[٤٠٦/ظ] إِذَا ضَـرَّمَتْ مِـنْ بَأْسِـهَا ... تَأَجَّـجَ مِنْـهُ الْعَضْـبُ فِي لُجَّـةِ الْبَحْـرِ[5]

وَإِنْ كَلَـحَ ٱلأَبْطَـالُ فِي حَوْمَـةِ الْـوَغَى ... تَرَقْـرَقَ مَـاءُ الْبِشْـرِ فِي صَـفْحَةِ الْبَـدْرِ

---

(١) في نسخة الأصل م والنسخة د : "تحوك موسى الربيع" [كذا] ، والتصحيح من النفح .

(٢) في النفح : "ويحرس خد الورد . . ." .

(٣) بداية النسخة ك بعد السقط الذي أشير إليه سابقا . وفي النسختين د ، ك ""تنفس ثغر النهر منها على الزهر" ، وهو خطأ من الناسخ حيث أدخل السابق في هذا ، وفي نسخة الأصل م : "... عن منبر السحر" ، واعتمدت ما في النفح .

(٤) في نسخة الأصل م والنسخة ك : ". . . في الموقفة" ، واعتمدت ما في النسخة د والنفح ، وفي النسختين د ، ك : "الزهر" مكان "الذعر" .

(٥) في النفح : "إذا أضرمت . . ." .

لَـكَ الْحَسَـبُ الْوَضَّـاحُ وَالسُّـؤْدَدُ الَّـذِي ... يَضِـيقُ نِطَـاقُ الْوَصْـفِ فِيـهِ عَـنِ الْحَصْـرِ

تَشَـــرَّفَ أُفْـــقٌ أَنْـــتَ بَـــدْرُ كَمَالِـــهِ ... فَغِرْنَاطَـــةٌ تَخْتَـــالُ تِيهًـــا عَلَـــى مِصْـــرِ

تَكَلَّـــلَ تَاجُ الْمُلْـــكِ مِنْـــكَ مَحَاسِـــنًا ... وَفَـاخَرَتِ ٱلأَمْـلاَكَ مِنْـكَ بَنُـو نَصْـرِ[1]

بِعَزْمَـــةِ مَضْـــمُونِ السَّـــعَادَةِ وَاحِـــدٍ ... وَمَحْمُـــودِ وَضَّـــاحِ الْمَكَـــارِمِ وَالْفَخْـــرِ[2]

طَـوَى الْحَيْـفَ مَنْشُـورَ الِّلـوَاءِ مُؤَيَّـدًا ... فَعَـــزَّ حِمَـــى ٱلإِسْـــلاَمِ بِالطَّـــيِّ وَالنَّشْـــرِ

وَمَـدَّ ظِـلاَلَ الْعَـدْلِ إِنْ قَصَـدَ الْعِـدَا ... فَيَبْكِـي سَـنَاءُ الْمُلْـكِ بِالْمَـدِّ وَالْقَصْـرِ[3]

إِذَا احْتَفَـــلَ ٱلإِيـــوَانُ يَـــوْمَ مَشُـــورَةٍ ... وَتَضْـــطَرِبُ ٱلآرَاءُ مِـــنْ كُـــلِّ ذِي حِجْـــرِ

صَـدَعْتَ بِفَصْـلِ الْقَـوْلِ غَـيْرَ مُنَـازَعٍ ... وَأَطْلَعْـــتَ آرَاءً قُبِسْـــنَ مِـــنَ الْفَجْـــرِ

فَـــلاَ زِلْـــتَ لِلْعَلْيَـــاءِ تَحْمِـــى زِمَامَهَـــا ... وَتَسْـحَبُ أَذْيَالَ الْفَخَـارِ عَلَـى النَّسْـرِ[4]

وَلِلْعِلْـمِ فَخْـرَ الـدِّينِ وَالْفَتْـكِ بِالْعِـدَا ... بَـدَأْتَ بِـهِ يَا ابْـنَ الْخَطِيـبِ عَلَى الْفَجْرِ[5]

جَـبَرْتَ مَهِيضًـا مِـنْ جَنَـاحِي وَرِشْـتَهُ ... وَسَـهَّلْتَ لِي مِـنْ جَانِـبِ الـزَّمَنِ الْـوَعْرِ[6]

---

(١) في جميع المخطوطات : ". . . منا محاسنا" ، واعتمدت ما في النفح .

(٢) في النفح : ". . . السعادة أوحد . . . وغرت وضاح المكارم والفجر" .

(٣) في النفح : "ومد ظلال الأمن إذ قصَّر العدا . . . فيتلى سناء . . ." .

(٤) في النفح : "تحمى ذمارها" ، وفي النفح بيت قبل هذا .

(٥) في النفح : ". . . يا ابن الخطيب على الفخر" .

(٦) في النفح بيت قبل هذا .

وَبَــوَّأْتَنِي مِـــنْ ذِرْوَةِ الْعِـــزِّ مُعْتَلًــي   وَشَــرَّفْتَنِي مِـــنْ حَيْـــثُ أَدْرِى وَلاَ أَدْرِى

فَـــدَهْرِيَ عِيـــدٌ بِالسُّـــرُورِ وَبِالْمُـــنَى   وَكُـلُّ لَيَـالِي الْعُمْـرِ لِي لَيْلَـةُ الْقَـدْرِ[1]

فَأَصْـبَحْتُ مَغْبُوطًـا عَلَـى خَـيْرِ نِعْمَـةٍ   يَقِـلُّ لأَدْنَاهَـا الْكَثِـيرُ مِـنَ الشُّـكْرِ

و"كم" في البيت هي الخَبَريةُ لا الاستفهاميةُ، وقد تقدم لنا فيها كلام، وهما يشتركان في أنهما اسمان، وأنهما مبنيان، وأنهما يفتقران إلى مُبَيِّن، وأنهما لازمان للتصدُّر، وأنهما اسمان لعدد، وأنهما لا يتقدم عليهما عامل لفظي إلا المضاف وحرف الجر، ويفترقان في عشرة [٤٠٧/و] وبها صرح المهلبي[2] فقال: شعر[3]:

الْفَـرْقُ فِي كَـمْ فِي الاِسْـتِفْهَامِ وَالْخَـبَرِ   مِـنْ عَشْـرٍ اسْتُوضِـحَتْ كَـالأَنْجُمِ الزُّهْـرِ

نَصْـبُ الْمُفَسِّـرِ مَـعْ إِفْـرَادِهِ أَبَـدًا   وَحَذْفُـــهُ تَارَةً وَالْفَصْـــلُ فِي نَظَـــرِ

وَتَقْضِـيكَ جَـوَابًا فِي السُّـؤَالِ بِهَـا   وَمُبْـدِلاً تَقْتَضِـيكَ الْحَـرْفَ فِي الأَثَـرِ

وَلَـيْسَ مِـنْ خِيمِهَـا التَّكْثِـيرُ ثُمَّـةَ لاَ   عَطْـفٌ عَلَيْهَـا بِـلاَ فِي سَـائِرِ الزُّبُـرِ

وَلاَ تُضَـافُ إِلَى مَـا بَعْـدَهَا شَـبَهًا   وَقَـدْ قُـرِى بَعْـدَهَا إِلاَّ بِمُسْـتَطَرِ

وَكُـلُّ هَـذَا فَالاِسْـتِفْهَامُ يُحْكِمُـهُ   وَضِـدُّهُ فِي كَـمِ الأُخْـرَى عَلَـى الْخَـبَرَ

---

(١) في النفح بيت قبل هذا . وفي النسخة ك : "فدهر" [كذا] .

(٢) هو الإمام مهذب الدين مهلب بن حسن بن بركات المهلبي المتوفى ٥٨٣ هـ، والأبيات موجودة بكتاب نظم الفرائد وحصر الشرائد ص٩١ .

(٣) في النسختين د ، ك سقطت كلمة "شعرا" .

وقوله أجار عدىً: قال في القاموس: أجَاره: أنقذه وأعاذه، والجار: المجاور، والذي أجرتَه من أن يُظلم، والمجير والمستجير والحليف والناصر، وجَمْع الجار: جِيرانٌ وجِيْرَةٌ وأجْوَارٌ، والجَوَار بالفتح كسحاب: الماء الكثير القعير، وبالكسر: أن تُعطىَ الرجلَ ذمّةً، فيكون بها جارك فتجيره ، وجاوره مجاورةً وجُوارًا وقد يكسر: صار جاره، والمجاورة: الاعتكاف في المسجد، وأجار واستجار: طلب أن يُجَار. انتهى .

وما أحسن قول القائل[1] :

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا   وَنُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ كَانَا

وفي المثل[2]: جار (كجار) أبي دُوَاد. قيل: كان كَعبُ بنُ مَامةَ إذا جاوَرَه أحد قام له ولعياله بالمئونة، وحَمَاه، فجاوره أبو دُوَادِ الإياديُّ الشاعرُ المشهورُ ففعل به ذلك، وزاد من بِرِّه، فصارت العرب إذا حَمِدَتْ جارا قالوا: كجار أبي دُوَاد.

(قال[3] قَيس بن زُهير:

---

(١) البيت من [الوافر]، وهو لعمر بن الأهتم التغلبي، وقد نسب إليه في: الصناعتين، والعمدة، وتحرير التحبير، وخزانة الأدب للبغدادي. وروايته : **وَنُكرِمُ جارَنا ما دامَ فينا   وَنُتبِعُهُ الكَرامَةَ حَيثُ مالا**

(٢) في جميع المخطوطات : "جار أبي . . ." بإسقاط "كجار" ، وقد زدتها من مجمع الأمثال ٢٨٩/١ ليتم المثل ، وفي النسختين د ، ك : "داود" ، وما هنا منقول من مجمع الأمثال مع بعض الأخطاء .

(٣) ما بين القوسين ساقط من نسخة الأصل م ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك ، وهو يوافق ما جاء في مجمع الأمثال . وفي النسختين د ، ك : "قال زهير" ، والتصحيح من مجمع الأمثال ، والبيت من [الوافر] وقيس هو : قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض. كان شريفاً حازماً ذا رأي وكانت عبس تصدر في حروبها عن رأيه وهو صاحب داحس وهي فرسه. راهن حذيفة بن بدر الفزاري فصار آخر أمرهما إلى القتال والحرب. وكان أبوه زهير أبا عشرة وأخا عشرة وعم عشرة وقاد غطفان كلها ولم تجتمع على أحد قبله في جاهلية ولا إسلام، وكان قيس أحمر أعسر أيسر ..." معجم الشعراء ٦٢/١.

أُطَـــوِّفُ مَـــا أُطَـــوِّفُ ثُمَّ آوِي إِلَى جَـــارٍ كَجَـــارِ أَبِي دُوَادِ)

ولم تزل العرب تفتخر بحماية الجار وصيانته من أنْ عليه يُجار ، حتى إن سبب حرب [٤٠٧/ظ] البَسوس خفارة ذمة الجار وحشيمه[١] المذممة والعار . والبَسوس كانت[٢] امرأة في بيت منقذ التيمية ، زارت أختها أم جَساس بن مُرة ، ومع البَسوس جار لها من جَرْم يُسمى سعد بن شمس ، ومعه ناقة له كَوْمَاء[٣] ، فأكلت من زَرْع كليب بن وائل، فلما رآها في مَرعى كان حَماه ضرَبها بالسيف، فأقبلت الناقة ترغو، وضرعها يشخب لبنا ودما، فانطلق إلى البَسوس وأخبرها، فقالت : وا ذلاه ، وقالت شعرا[٤] :

لَعَمْـرِيَ لَـوْ أَصْـبَحْتُ فِي دَارِ مُنْقِـذٍ لَمَا ضِيمَ سَعْدٌ وَهْوَ جَارٌ لأَبْيَاتِي[٥]

وَلَكِنَّـنِي أَصْـبَحْتُ فِي دَارِ غُرْبَـةٍ بُلِينَا بِهَا تَعْدُو الذِّئَابُ عَلَى شَاتِي[٦]

فَيَا سَعْدُ لاَ تُغْرَرْ بِنَفْسِكَ وَارْتَحِلْ فَإِنَّكَ فِي قَوْمٍ عَنِ الْجَارِ أَمْوَاتِ[٧]

فسمعها ابن أختها جساس ، فقال: لأقتلنَّ بناقة جارك كريما من الفحول، وعَنَى بها

---

(١) في النسخة د : "وحشمه" ، وفي النسخة ك : "وحيثمه" ١٨١/٢ .

(٢) [كذا] في جميع المخطوطات ، والصواب الذي في مجمع الأمثال ١٨١/١ هو : "البسوس بنت منقذ التميمية" ، ويبدو أنه منقول من مجمع الأمثال مع بعض أخطاء .

(٣) في مجمع الأمثال : "له ناقة يقال لها سراب" والكَوْماء : عظيمة السنام . من اللسان في [كوم] .

(٤) سقطت كلمة شعرا" من النسختين د ، ك والأبيات في مجمع الأمثال ١٨١/٢ ضمن أربعة أبيات . وهي من [الطويل] .

(٥) في مجمع الأمثال : "لعمرك لو أصبحتُ" ، وفي جميع المخطوطات : "جار لأبناتي" ، واعتمدت ما في مجمع الأمثال .

(٦) في مجمع الأمثال جاء الشطر الثاني هكذا : "متى يَعْدُ فيها الذئبُ يعدو على شاتي" .

(٧) في جميع المخطوطات : "فيا سعد لا تضرر . . . عن الجار أمواتي" ، واعتمدت ما في مجمع الأمثال .

كُليبًا ، ثم صبر حتى صادف غِرَّةً من كليب، و�عنه برمح فمات ، ووقعت الحرب بين ثَعلبة[١] وبَكر، ودامت أربعين عاما، وصارت مثلا ، فقيل[٢] :

(أشْأم من) حرب البسوس، وإنما نُسبت[٣] الحرب إليها لكونها سببها[٤].

والعِدَى كإلى: المتباعدون، والغرباء كالأباعد. وقوله: وكم أجرى نَدىً ، قال في القاموس: جرى الماءُ ونحوه جَرْيًا وجَرَيَانًا وجِرْيةً، وأجراه (و)[٥]جاراه ، وقال: وأجرى[٦] : أرسل وكيلا .

قال في المختار: جرى (الماء)[٧] وغيره من باب رَمَى جَرَيَانًا، وما أشدَّ جِرْيَةَ (هذا الماء)[٨] .

وبذلك يُعلم أنه إذا استُعمل متعدِّيا إنما يُستعمل متعدِّيًا بالتضعيف لا بالهمزة ، كما قاله الناظم ؛ لأن معنى [٤٠٨/و] أجراه على ما رأيت جاراه ، أو أرسل وكيلا ، وكل منهما لا يليق هنا استعماله .

والنّدَى: الفضل والثرى[٩] ، قال في القاموس: وتندَّى : تَسَخّى وأفضل، كأندى، فهو نديُّ الكف، والنَّدَى: الثَّرَى. انتهى.

---

(١) [كذا] في جميع المخطو�ات، والصواب كما جاء في كل الكتب التي تحدثت عن حرب البسوس هو "بين تغلب وبكر" .

(٢) في جميع المخطو�ات : "فعيل : حرب البسوس" ، وزدت ما بين القوسين من مجمع الأمثال ليتم المثل .

(٣) في جميع المخطو�ات : "نسب" ، وصححته بما يناسب السياق .

(٤) في جميع المخطو�ات : "سببه" ، وصححته بما يناسب السياق .

(٥) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها الأسلوب .

(٦) في جميع المخطو�ات : "وجرى" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٧) ما بين القوسين زيادة من مختار الصحاح .

(٨) ما بين القوسين زيادة من مختار الصحاح يتم بها القول .

(٩) في جميع المخطو�ات : "والثرا" ، واعتمدت ما في القاموس .

قال الشاعر في مدح يحيى بنِ خالدِ البرمكيِّ :

سَـأَلْتُ النَّـدَى هَـلْ أَنْـتَ حُـرٌّ فَقَـالَ لاَ وَلَكِنَّـنِي عَبْـدٌ لِيَحْـيى بْـنِ خَالِـدِ[1]

فَقُلْـتُ شِـرَاءً قَـالَ لاَ بَـلْ وِرَاثَـةً تَوَارَثَهَـا عَـنْ وَالِـدٍ بَعْـدَ وَالِـدِ

فقد استعمل الشاعر هنا النَّدَى بمعنى السَّخَاء[2]والكرم ، وتقدم لنا ما قيل في كرم يحيى في مكانه[3] .

وما أحسن قول بعضهم[4] :

إِذَا مَـا جَـادَ بِالْأَمْـوَالِ ثَـنَّى وَلَمْ تَلْحَقْـهُ فِي الْجُـودِ النَّدَامَـهْ

وَإِنْ هَجَسَـتْ خَـوَاطِرُهُ بِجُمْـعٍ لِرَيْـبِ حَـوَادِثٍ قَـالَ النَّـدَى مَـهْ

وقوله وَالَى : أي تابَع ، قال في القاموس : وَالَى بين الأمرَيْن موالاةً ووِلاءً : تَابَعَ .

والانْسجام : قَطْرُ الشيء وسَيلانه قليلا أو كثيرا ، قال في القاموس : سَجَم الدمعُ سُجُومًا وسِجَاما، وسَجَمَتْهُ[5] العين، والسحابةُ الماءَ تسجِمه (وتَسْجُمُه)[6] سَجْمًا وسُجُومًا وسَجَمَانًا : قَطَرَ دَمْعُها، وسال قليلا أو كثيرا .

ولا يخفى ما في قول الناظم رحمه الله تعالى : "كم أجرى ندى والى انسجامه" من الإيهام الحسن .

---

(١) لم أعثر على البيتين . وهما من [الطويل] .

(٢) في نسخة الأصل م : "السخي" .

(٣) هذا الجزء الذي ليس في اختصاصي ، وهو خاص بشرح البيت التاسع والعشرين من قصيدة المقري .

(٤) لم أعثر على البيتين . وهما من [الوافر] .

(٥) في جميع المخطوطات : "وسجمت" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٦) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

رَاعَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ دَوْ　　لَتَهُ وَمَا رَاعَتْ ذِمَامَهْ

راعت : أى أفزعت ، قال في المختار : الرَّوْع بالفتح: الفزعُ ، والرَّوْعةُ: الفَزْعَةُ، والرُّوعُ بالضم: القلبُ والعقلُ، يقال: وقع ذلك في رُوعِي، أي في خَلَدِي وقلبي. وفي الحديث[١] : "**إن الروحَ الأمينَ [٤٠٨/ظ] نَفَثَ في رُوعِي**". وراعه من باب: "قال" فارْتَاعَ[٢] أي أفْزَعَهُ فَفَزِع، ورَوَّعَه تَرْوِيعًا. وقولهم : لا تُرَعْ أي: لا تَخَفْ. ورَاعَه الشيءُ: أعجبه، وبابه قال، والأرْوَع من الرجال الذي يُعْجِبُكَ حُسْنُه.

وصروف الدهر جمع صِرف أي حِدْثانهُ ونوائبه ، والليل والنهار ، وله عليه صَرْف شَفٌّ[٣] وفضل ، والصَّرْفة منزلةٌ للقمر نَجْمٌ واحدٌ نَيِّرٌ سُمِّي به لانصراف البرد بطلوعها ، ونابُ الدهر الذي يَفْتَرّ[٤] ، وصَرَفه يصرفه ردَّده ، والصَّرِيف : الفضة الخالصة ، وصَرير الباب ، وناب البعير ، واللَّبَن ساعة حُلب ، والصَّرَفان محركة الموت والنُّحاس والرّصاص ، والأُجَراء والعبيد ، والصِّرف بالكسر : صِبْغٌ أحمر ، والخالص من الخمر وغيرها ، والصَّيْرفِيّ : المحتال في الأمور كالصَّيْرف ، وصَرَّاف الدراهم ، وجَمْعُه صَيَارفة ، والهاء للنسبة ، وتصريف الآيات[٥] تبيينها ، وفي الدراهم والبيعات إنفاقُها ، وفي الكلام اشتقاق بعضه من بعض ، وفي الرياح

---

(١) جاء الحديث في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢٣١/١ واللسان في [نفث] بهذه الصيغة : "إن روح القدس نفث في رُوعي" .

(٢) في جميع المخطوطات : "وارتاعه" ، واعتمدت ما في المختار .

(٣) في جميع المخطوطات : "شرف" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٤) في نسخة الأصل م : "لا يفتر" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك والقاموس .

(٥) في جميع المخطوطات : "الأيادي" ، والتصحيح من القاموس .

تحويلها من وجْه إلى وجْه ، وفي الخمر شُرْبها صِرفًا ، وصرَّفته في الأمر تصريفا (فتصرّف)[1] قلَّبتُه فتقلّب ، وانصرف : انكفّ ، واصطرف تصرَّف في طلب الكَسْب . كذا في القاموس .

والدهْر : الزمان الطويل ، والأمد الممدود ، وألف سنة ، وتفتح الهاء ، وجمعه أدْهُر ودُهور ، والنازلة والهمّة والغاية (والعادة)[2] والغلبة ، وتدهور الليلُ : أدبر ، والدَّهْوَرِيُّ : الرجل الصُّلْب ، (ودَهْرٌ وادٍ دون حَضْر مَوت ، وأبو قبيلة)[3] والدُّهْرِيُّ بالضم نسبة إليها على غير قياس ، والرجُل المسِنّ ، وإنها[4] لداهرة الطول: طويلة جدا، ولا آتيه [٤٠٩/و] (دَهْرَ)[5] الدَّاهِرين: أبدا ، وقد يُعد الدهرُ في الأسماء الحسنى . كذا في القاموس .

والدَّولة : انقلاب الزمان ، والعُقْبة[6] في المال ، ويضم ، وقيل : الضم فيه ، والفتح في الحرب ، أو هما سواء ، أو بالضم في الآخرة ، والفتح في الدنيا جمع دُوَل ، مثلثة[7] ، وقد أداله وتداولوه أخذوه بالدُّوَل ، وكهُمَزة : الدَّاهية ، والدَّوِيل كأمير: النبْتُ اليابس العَاميّ إذا[8] أتى عليه سنتان، والدِّيِل بالكسر: حيٌّ من عبد القَيس، ودَالَ بطنُه: استَرخَى، والإدالة : الغَلَبة ، ودالت الأيام : دارت ، والله يداولها بين الناس ، والدَّوْل لغة في الدَّلْو ، وانقلاب الدهر من حال إلى حال . كذا في القاموس .

وقوله : وما راعت ، هي من المراعاة[9] لأمن الرّوْع ، ففيه الجِنَاس بين رَاعت وراعت،

---

(١) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها السياق .

(٢) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها السياق .

(٣) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها السياق ويتصل بما بعده .

(٤) في جميع المخطوطات : "وإنه" ، واعتمدت ما في القاموس للسياق .

(٥) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك والقاموس .

(٦) في جميع المخطوطات : "والعقدة" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٧) في نسخة الأصل م : "مثله وقد داله" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك والقاموس .

(٨) في القاموس : "أو أتى" .

(٩) في نسخة الأصل م : "المراعات" .

فإن الأول من الرَّوْع، والثاني من المراعاة[١]، قال في المختار: رَاعَاه[٢] : لاحَظه، (وراعاه)[٣] من مراعاة الحقوق. والذمام : الحق والحرمة، وجَمْعُه أذمّة، والذِّمة بالكسر: العهد والكفالة كالذَّمامة ، وأذمّ له عليه أخذ له الذِّمه ، وفلانا[٤] أجاره ، وقد ذمَّ أنفُه وزَنَّ إذا سال ، والذِّم بالكسر الهزال[٥] المفرط والهالك ، وذَمْذَم : قلّل عطيّته ، وذمّه ذمًّا ومذمَّة فهو ذميم ومذموم ، وذَمٌّ ويكسر ضد مدحه ، وتذامُّوا ذمَّ بعضهم بعضا ، وقضى[٦] مذمّته بكسر الذال (وفتْحها)[٧] : أحسن إليه ، والذُّمُوم : العيوب ، وأخذتني منه مَذَمَّة وتكسر ذالَهُ : أي رِقّة وعارٌ من تَرْك (الحرمة)[٨] ، وأذْهِبْ مذمَّتَهم بشيء : أعطهم شيئا فإن لهم ذمامًا ، والبخل مذَمَّة بالفتح ، وتذمَّم [٤٠٩/ظ] استنكف ، يقال : لو لم أترك الكذب تأثُّمًا لتركتُه تذمُّمًا . كذا في القاموس .

والمعنى أن ابن الخطيب على عِظَم قَدْره ، وعُلوّ مقامه ، وإحسانه إلى بني الزمان ، ومع ذلك عادته صروفُ الأيام، وروّعت دولتَه ، ولم تَرْعَ[٩] عهده وذمامه.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

حَـــتَّى ثَـــوَى إِثْـــرَ التَّـــوَى فِي حُفْـــرَةٍ نَثَـــرَتْ نِظَامَـــهْ[١٠]

---

(١) في نسخة الأصل م : "المراعات" .

(٢) في جميع المخطوطات : "رعاه" ، واعتمدت ما في المختار .

(٣) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٤) في جميع المخطوطات : "وفلان" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٥) في القاموس : "المفرط الهزال" .

(٦) في جميع المخطوطات : "وقضا" .

(٧) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٨) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٩) في نسخة الأصل م : "لم تر" بإسقاط العين ، وفي النسختين د ، ك : "لم تدع" .

(١٠) في جميع المخطوطات : "إثر النوى" ، بالنون ، واعتمدت ما في النفح . وفي اللسان : تَوِيَ تَوًى كرضى: هلك.

وحكى[١] غير واحد أنه رُؤي رحمه الله تعالى في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك؟ قال : غفر لي بسبب بيتين قُلتهما[٢] في النبي (ﷺ) وهما :

يَا مُصْطَفَى مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمٍ وَالْكَوْنُ لَمْ تُفْتَحْ لَهُ أَغْلاَقُ[٣]

أَيَرُومُ مَخْلُوقٌ ثَنَاءَكَ بَعْدَمَا أَثْنَى عَلَى أَخْلاَقِكَ الْخَلاَّقُ ؟[٤]

وقد خَمّس[٥] هذين البيتين أبو عبد الله[٦] (محمد بن جابر) الغَسّاني المِكْنَاسي فقال:

يَا سَائِرًا لِضَرِيحِ خَيْرِ الْعَالَمِ يُنْهِي إِلَيْهِ مَقَامَ صَدٍّ هَائِمِ[٧]

بِاللهِ نَادِ وَقُلْ مَقَالَةَ عَالِمِ يَا مُصْطَفَى مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمٍ

وَالْكَوْنُ لَمْ تُفْتَحْ لَهُ أَغْلاَقُ

بِثَنَاكَ قَدْ شَهِدَتْ مَلاَئِكَةُ السَّمَا وَاللهُ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ وَسَلَّمَا

يَا مُجْتَبَى وَمُعَظَّمًا وَمُكَرَّمًا أَيَرُومُ مَخْلُوقٌ ثَنَاءَكَ بَعْدَمَا

---

(١) هذه الحكاية في نفح الطيب ١٦٧/٥ وفيها كل الشعر .

(٢) في نسخة الأصل م : "قلتهم" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك والنفح .

(٣) البيتان من [الكامل] .

(٤) في جميع المخطوطات : "أثنى على عليائك" ، واعتمدت ما في النفح ، وهو يوافق ما جاء في قوله تعالى {وإنك لعلى خلق عظيم} .

(٥) هذا القول يوهم بأنه من كلام شارح القصيدة ، والحقيقة أنه من كلام صاحب نفح الطيب ١٦٧/٥ .

(٦) لم يرد ذكره في النفح إلا في هذا المكان ، وليس له فيه ترجمة . وفي جميع المخطوطات : "أبو عبد الله الرجابة" [كذا] واعتمدت ما في النفح مع الزيادة التي توضح الاسم .

(٧) التخميس من [الكامل] . وفى النفح : "يا سائلا لضريح . . " ، وما هنا أوفق .

أَثْـــنَى عَلَـــى أَخْلاَقِـــكَ الْخَـــلاَّقُ ؟[1]

وقد كتب رحمه الله تعالى وصية لأولاده، وهم ثلاثة: عبد الله، ومحمد، وعليّ، وكلهم جَهَابذة أخيار، ظَهَرَ فضلُهم ظهور الشمس رَابِعَة النهار، فقال من وصيته[2] : الحمد لله الذي لا يروعه الحِمام المرقوب، إذا شِيمَ نجمُه المثقوب، ولا يبغته[3] الأجل المكتوب ، ولا يفجؤه الفراق المعتوب ، ملهم الهدى الذي [٤١٠/و] تطيف به القلوب ، وموضّح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة في قِسَمِ الوجوب ، لاسيما للوليّ المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل في كتابه المعجز الأسلوب : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾[4] ، ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾[5][6]، والصلاة على سيدنا محمد أكرم من زُرَّتْ على نوره جيوب الغيوب ، وأشرف من خُلعت عليه من حُلل المهابة والعصمة ، فلا تقتحمه العيون ، ولا تصمه العيوب ، والرّضي عن آله وأصحابه المثابرين على سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب ، والأمل المسلوب ، وبعد ، فإني لما علاني الشيبُ بقمته ، وقادني الكِبَرُ في رمته ، وادّكَرْتُ الشَّبَابَ بعد أُمِته[7] ، أسِفْتُ على[8] ما أضعتُ ، وندمْتُ بعد الفِطامِ على ما فَرَّطْتُ ورضَعْتُ، وتأكّد وجود نُصحي لمن لزمني رَعْيُه، وتعلق بسببي[9] سَعْيُه، وأمّلت (أن تتعدى)[10] إلى ثمرات استقامته، وأنا رهين فَوَات ، وفي برزخ أموات، وليأمن[11] العثور في

(١) في جميع المخطوطات : "أثنى على عليائك . . ." واعتمدت ما في النفح .

(٢) في نفح الطيب ٣٩١/٧ وما بعدها ، وقد شغلت حيّزًا كبيرا من الصفحات .

(٣) في النسختين د ، ك : "ينعته" .

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٣٣).

(٥) سورة البقرة، الآية: (١٣٢).

(٦) في النفح : "أسفت لما أضعت" .

(٧) سقط "بعد أمته" من النسختين د ، ك .

(٨) في النفح : "أسفت لما أضعت" .

(٩) في النفح : "وتعلق بعيني" .

(١٠) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك والنفح .

الطريق التي اقتضت عثاري، إن سلك – وعسى أن لا يكون ذلك على آثاري، فقلت أخا□ب الثلاثة الولد، وثمرات الخلد، بعد الضراعة إلى الله تعالى في توفيقهم، وإيضاح □ريقهم، وجمْع تفريقهم، وأن يمنَّ عليّ فيهم بحسن الخلق، والتلافي من قبل التَّلف، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدْيِ السَّلَفِ، فهو وليّ ذلك، والهادي إلى خير المسالك.

اعلموا هَدَاكم الله[1] من بأنواره تَهْتَدِي الضُّلال، وبرضاه تُرْفَعُ الأغْلال ، وبالْتِمَاسِ قُربه يَحْصُلُ الكمال، إذا ذهَب المال، وأُخْلِفَت الآمَالُ، وتبرَّأَتْ [٤١٠/ظ] من يمينها الشِّمالُ، إني مودّعكم وإن سَالَمَني الردَى، ومُفَارقكم وإن □الَ المدَى، فكيف[2] وأدوات السفر تُجمع ، ومُنادي الرحيل يُسْمِ◌ِ ع، ولا أقل للحبيب المودِّع من وصية محتضر[3]، وعُجالة مقتصر، ورَتِيمة[4] تُعقد في خ◌ِنْصَرٍ، ونصيحة تكون مرشدة[5] واع مبصر، تتكفل لكم بحسن العواقب بعدي[6]، وتوضح لكم في الشفقة والحنوّ قصدي، حسبما تضمنّ وعدُ الله من قبل وعْدي، فهي[7] أَرَبُكم الذي لا يتغير وَفْقه[8]، ولا ينالكم المكروه ما رَقّ عليكم سَقْفُه[9] ، وكأني بشبابكم قد شاخ، وبراحلكم[10] قد أناخ، وبناشطكم قد كَسِلَ، واستبدل الصَّابَ

(١١) في النفح : "ويأمن" .

(١) في النفح : ". . . هداكم الله تعالى الذي بأنواره .

(٢) في النفح قبل هذا : "وما عدا مما بدا" .

(٣) في نسخة الأصل م : "مختصر" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك والنفح .

(٤) في هامش النفح قيل عن هذه الكلمة : "الخيط الذي يشد في الأصبع لتذكر به الحاجة" .

(٥) في النفح : "نشيده" .

(٦) في النفح : "من بعدى" .

(٧) في نسخة الأصل م : "فهو" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك والنفح .

(٨) في النفح : "وقفه" .

(٩) في نسخة الأصل م : "شقفه" بالشين المعجمة وهو تصحيف .

(١٠) في جميع المخطو□ات : "وبرحالكم" ، واعتمدت ما في النفح .

من العسل، ونُصول الشَّيب[1] تروع بأسَلْ، لا بل (السَّام)[2] من كل حدب قد نَسَل، والمعاد واللَّحد[3] ولا تسل ، فبالأمس كنتم فراخ حِجْر ، واليوم أبناء عسكر مَجْر ، وغدا شيوخ[4] مضيعة وهَجْر ، والقبور[5] فاغرة ، والنفوس عن المألوفات صاغرة ، والدنيا بأهلها ساخرة ، والأُولى تعقُبها آخرة ، والحازم من لم يُتّعظ به في أمر ، وقال : بيدي لا بيد عمرو[6] ، فافشوها[7] من وصية ، ومرام في النصيحة قصيّه ، وخُصوا بها أولادكم إذا عقلوا ، ليجدوا زادها إذا تنقّلوا[8] ، وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق همَلا، ولكن ليبلوكم أيكم[9] أحسن عملا، وليس بعاقل[10] من رضي الدنيا منزلا، ولا فَطِن[11] من أصبح عن فئة الخير منعزلا، ولتلقنوا تلقينا، وتعلّموا علما يقينا أنكم لن[12] تجدوا بعد أن أنفرد بذنبي، ويفترش الترابَ جَنْبي، ويسح انسكابي، وتُهرول عن المصلَّى ركابي ، [٤١١/و] أحرصَ[13] مني على سعادة إليكم تُجلب، أو غاية كمال بسببكم تُراد وتُطلب ، حتى لا يكون في الدين والدنيا أورف[14] منكم ظِلاّ، ولا أشرفَ محلاّ، ولا أغبط[15] نَهَلاً وعَلاًّ، وأقل ما يوجب ذلك عليكم

---

(١) في جميع المخطوطات : "ونصول الغيب تودع" ، واعتمدت ما في النفح .

(٢) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها القول والسَّام : الموت .

(٣) في النفح : "والمعاد اللحد" بإسقاط الواو ، وكلاهما جائز .

(٤) في نسخة الأصل م : "سيوح" ، وما في النسختين د ، ك يوافق النفح .

(٥) في جميع المخطوطات : "والعيون فاغرة" ، واعتمدت ما في النفح للسياق .

(٦) هذه مقولة الزَّبَّاء قبل أن تنتحر ، قد رفضت أن تستسلم لعمرو بن عدى .

(٧) في النفح : "فاقتنوها" .

(٨) في النفح : "انتقلوا" .

(٩) في النفح : "ليبلوهم أيهم" .

(١٠) قوله : "وليس بعاقل" ليس في النفح .

(١١) في النفح : "ولا لطف" .

(١٢) في جميع المخطوطات : "لم" ، واعتمدت ما في النفح .

(١٣) هذا مفعول "تجدوا" السابق" .

(١٤) في جميع المخطوطات : "أورق" ، واعتمدت ما في النفح .

أن تصيخوا[١] إلى قولي الآذان، وتتلمّحُوا[٢] صُبح نُصحي فقد بَان ، وسأُعيد عليكم وصية[٣] لُقْمان: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٤] الآية الخ ، وأعيد وصية ابن[٥] خليل الله وإسرائيله ، حسبما[٦] تضمنه مُحْكَم تنزيله: ﴿ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٧]، والدّين الذي ارتضاه واصْطَفاه ، وأكْمَله ووفّاه[٨] ، وقرّره مُصْطَفاه، من قبل أن يتوفاه ، إذا عمل[٩] فيه انتقاد، فهو عمل واعتقاد، وكلاهما مقرر ، ومستمد من عقل ونقل[١٠] محرّر ، والعقل متقدم ، وبناؤه مع رفْض أخيه متهدم .

إلى أن قال : وصُونوا شعائر اللهَ صونَ المحْترِمِ، واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتى لا يَنْخَرِم. اللهَ اللهَ في الصلاة التي هي ذريعة التَّجِلَّة[١١] وخاصة الملّة ، وحاقِنة الدم ، وغِنَى المستأجر والمستخدم ، وأمُّ العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغَيب والشهادة ، والناهية عن الفحشاء والمنكر، والوسيلة إلى بَلّ[١٢] الجوانح ببرود الذِّكر ، وإيصال تُحَفة الله إلى مريض الفكر، والمحافظة على حسن العِشْرة مع الجار ، والفرار من عِشْرة الفُجّار.

---

(١٥) في جميع المخطوطات : "أخبط" ، واعتمدت ما في النفح .

(١) في جميع المخطوطات : "تصغوا" ، واعتمدت ما في النفح .

(٢) في النفح : "وتستلمحوا" .

(٣) في النفح قبل الآية: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". وسقط من الآية "وهو يعظه" من النسختين د، ك.

(٤) سورة لقمان، الآية: (١٣).

(٥) سقطت كلمة "ابن" من النفح .

(٦) في النفح : "حكم" ، وما هنا أحسن .

(٧) سورة البقرة، الآية: (١٣٢).

(٨) في جميع المخطوطات جاء مكان : "وأكمله وأدناه" قوله : "والمكروه وقاه" ، واعتمدت ما في النفح .

(٩) في النفح : "إذا أعمل" .

(١٠) في النفح : "أو نقل" . وفي النسختين د ، ك : "ونقل ومحرر" .

(١١) في نسخة الأصل م : "التحلة" ، بالحاء المهملة ، وفي النسختين د ، ك : "النحلة" ، واعتمدت ما في النفح .

(١٢) في جميع المخطوطات : "إلى بر" ، واعتمدت ما في النفح .

إلى أن قال : وإياكم والعلومَ القديمة ، والفنونَ المهجورة الذَّميمة ، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكًا ، ورأيا رَكِيكا ، ولا يثمر في العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ، وتطويق الاحتقار ، وسِمَة[١] الصَّغَار ، والخَسْف من بعد الإبرار[٢] ، وجادةُ [٤١١/ظ] الشريعة أعرقُ في الاعتدال ، وأشفق[٣] من قطْع العمر في الجدال ، هذا ابن رُشد قاضي المصر ومُفتيه ، وملتمس الرشد ومؤتيه[٤] ، عادت عليه السخطة الشنيعة[٥] ، وهو إمام الطريقة[٦] والشريعة . وأمروا بالمعروف أمرًا رفيقا ، وانهوا عن المنكر نهيًا حرياً بالاعتدال حقيقا ، واغبطوا مَن كان من سنَّة الفضلاء طليقا ، واجتَنبوا ما تُنْهَون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا ، وأطيعوا أمْرَ مَن ولاّه الله من أموركم أمرا ، ولا تُقَرِّبُوا من الفتنة جَمْرا ، ولا تدخلوا في الخلاف زَيدا ولا عَمرا .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم[٧] الأمور بيقين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومَنْ أكثر من شيء عُرف به ، وإياكم والكذب فهو العَورة التي لا تُوارَى ، والسَّوْأة التي لا يُرتاب في عَارها ولا يُتَمارَى ، وأقلُّ عقوبات الكذَّاب بعد ما أعَدّه له الله من العذاب أن لا يُقبل صِدقُه إذا صَدق ، ولا يُعول عليه وإن كان بالحق قد[٨] نطق ، وعليكم بالأمانة ؛ فالخيانة لُوم ، وهي في وجه الديانة كُلُوم ، ومن الشريعة التي لا يُعذر بجهلها أداء الأمانات إلى أهلها ، والله الله أن تعينوا في سَفْك الدماء بالإشارة أو الكلام[٩] ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام .

---

(١) في جميع المخطوطات : "وسمت" ، واعتمدت الرسم الموجود في النفح .

(٢) في النفح : "الإبدار" .

(٣) في متن النفح : "وأوفق" ، وما هنا يوافق ما جاء في هامش النفح .

(٤) في متن النفح : "ومولیه" ، وما هنا يوافق ما جاء في هامش النفح .

(٥) في جميع المخطوطات : "بالسخط الشيعة" ، واعتمدت ما في النفح .

(٦) كلمة "الطريقة" ليست في النفح .

(٧) في النفح : "وأهم ما أضرى عليه الآباء ألسنة البنين" .

(٨) ليس في النفح "قد" .

(٩) في جميع المخطوطات : "والكلام" بإسقاط الهمزة ، واعتمدت ما في النفح .

واعلموا أن الإنسان في فُسحة ممتدة ، وسُبل الله غير [٤١٢/و] مُنْسَدَّة ، ما لم ينبذ إلى الله[١] أمانة ، ويغمس[٢] بالدم الحرام يده أو لسانه ، قال تعالى في كتابه الذي هدى به سَنَنًا قويماَ ، وجلّي[٣] به من الضلال ليلاً بهيما: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٤] ، واجتناب الزنا وما تعلّق (به)[٥] من أخلاق مَن كرُمتْ باعُه ، وامتدّ في سبيل السعادة باعهُ ، فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعُه ، ولا عدم في الحقيقة[٦] إقناعُه ، ومن غلبت عليه غرائز جهله ، فلينظر هل (يجب أن)[٧] يُزْنى بأهله ، والله قد أعد للزاني عذابا نكيلا[٨]، وقال: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقۡتًا وَسَآءَ سَبِيلاً ﴾[٩].

والخمر أم الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ، وقد تركتها في الجاهلية أقوام،[١٠] وحرمتها على أنفسها قبل نزول تحريمها بأعوام ، لم يرضوا لعقولهم[١١] بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضرة في مرضاة الأجساد ، والله قد جعلها رِجسًا مُحَرَّما على العباد .

ولا تقربوا الرِّبا فإنه من مناهي الدين ، والله يقول: ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن

---

(١) في النفح : "إلى الله تعالى بأمانة" .

(٢) في النفح : "ويغمس في الحرام بيده . . ." .

(٣) في النفح : "وجلي الجهل والضلال" .

(٤) سورة النساء، الآية: (٩٣).

(٥) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها الأسلوب .

(٦) قوله : "في الحقيقة" ليس في النفح .

(٧) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك والنفح .

(٨) في النفح : "وبيلا" .

(٩) سورة النساء، الآية: (٢٢).

(١٠) هذه الجملة كلها ساقطة من النفح إلى "بأعوام" .

(١١) في نسخة الأصل م : "بعقولهم" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك والنفح .

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] ، ولا تأكلوا مالَ أحدٍ بغيرِ حقٍّ يبيحه ، وانزعوا الطمع ذلك حتى تذهب ريحُه .

وإياكم والظُّلم؛ فالظلم ممقوت بكل لسان ، مجاهر (لله)[2] بصريح العصيان، والنَّميمة فساد وشتات، وفي الحديث[3] : **"لا يدخل الجنة قَتّات"** ، واطرحوا الحسد؛ فما سَادَ حَسود، وإياكم والغيبة فباب الخير معها مسدود، والبخل فما رُؤي البخيل إلا وهو مردود، وإياكم وما يُعتذر منه فمواقع الخزي لا تستقال [٤١٢/ظ] عَثَراتها[4]، ومظنّات الفضائح لا تؤمن غرّاتُها[5]، واحذروا القواطع عن السعادة كما تُحذر السموم، واعلموا أن الخير أو[6] الشر في الدنيا مُحال أن يدوم، ولا تَستعظموا[7] حوادث الأيام إذا نزلت، وألا تضجوا للأمراض إذا أعْضلت، فكل منقرض[8] وإن طال فقصير، ولا تنافسوا في الحظوظ السخيفة، ولا تَتَهارشوا تَهارُشَ (السِّباع على)[9] الجِيفَة، واعلموا أن المعروف يُكدَّر بالامتنان، وطاعة النساء شَرُّ ما أفسد بين الإخوان، فإذا أسْدَيتم معروفا فلا تذكروه، وإذا[10] رأيتم قبيحا فبكمال المروءة

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٨).

(٢) في جميع المخطوطات : "مجاهر له" ، واعتمدت ما في النفح .

(٣) جاء الحديث في مسند الإمام أحمد ٢٣٢٤٧ و ٢٣٣٠٥ و ٢٣٣١٠ و ٢٣٣٦٨ و ٢٣٤٢٠ و ٢٣٤٣٤ و جاء في سير أعلام النبلاء ١٤٢/١٠ وجاء في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٣٧٢/٢ ، وفي هذا الأخير جاء هكذا : "لا يدخل الجنة نمام" ثم قال بعده : متفق عليه ، وفي معناه : لا يدخل الجنة قتات . والقتّات : هو النمام .

(٤) في جميع المخطوطات : "ثمراتها" ، واعتمدت ما في النفح .

(٥) في النفح : "غمراتها" .

(٦) في جميع المخطوطات : "والشر" بالواو ، واعتمدت ما في النفح .

(٧) في جميع المخطوطات : "تستطلموا" ، واعتمدت ما في النفح .

(٨) في النفح : "فكل منقرض حقير ، وكل منقض وإن طال قصير" .

(٩) ما بين القوسين زيادة من النفح يتم بها القول .

(١٠) في النفح : "وإذا برز قبيح فاستروه" .

اسْتروه، وإذا كان رزقُ العبد على المولَى، فالإجمال[1] بالطلب أحق وأَوْلَى، وإياكم و�لب الولايات رغبة واستجلابا، واستظهارا على الحظوظ وإغلابا[2]، فذلك ضرر بالمروءة[3] والأقدار، داعٍ إلى الفضيحة والعار، ومن امتُحن بها منكم اختيارا أو أُجبر[4] عليها إكْراها واختيارًا[5] فليتلقّ[6] وظائفها بسعة صدره، ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدْرها دون قدْره، فالولاية[7] فتنة وعناء وشر ومحنة ، وهي بين إخطاء سعادة، وإخلال[8] بحق وعادة ، وتوقُّع عَزْل، وبَيْع جِدٍّ بهَزْل، ومزلّة قَدَم، واستتباع ندم، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ، جعلكم الله ممن نفعه التبصير والتنبيه ، وممن لا ينقطع بسببه عملُ أبيه .

قوله : ثوى أي أقام ، قال في المختار (ثوى في المكان يثوِي بالكسر ثواءً وثُوِيًّا أيضا ، وثوى بوزن مضى أي أقام به ، ويقال : ثوى البصرة وثوى بالبصرة ، وأثوي بالمكان لغة في ثوى وأثوي غيره يتعدى ويلزم، وثوى غيره أيضا تثوية . قوله : إثر النوى، الإثر بكسر الهمزة ، قال في المختار)[9]: خرج في إثره أي أثره [٤١٣/و] والنَّوَى هو[10] البُعد كما تقدم، والخفرة: المراد بها القبر ، وتقدم الكلام عليه، قوله: نثرت (عظاما)[11] يُقال : نثره من باب نصر فانتثر

---

(١) في النفح : "فالإجمال بالطلب أولى" .

(٢) في النفح "وإغلابا" .

(٣) في النفح : "بالمروءات" .

(٤) في النفح : "أو جبر" .

(٥) في النفح : "وإيثارا" .

(٦) في جميع المخطو�ات : "فليلتق" ، واعتمدت ما في النفح .

(٧) في النفح : "فالولايات فتنة ومحنة" .

(٨) في النفح : "وإخلال بعبادة" ، وفي النسختين د ، ك سقطت كلمة "ورعادة" .

(٩) ما بين القوسين ساقط سهوا من نسخة الأصل م، واعتمدته من النسختين د، ك وفي المختار: "ثوى بالمكان".

(١٠) الضمير "هو" ساقط من النسختين د ، ك .

(١١) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك والمختار .

، والنُّثار بالضم ما تناثر من الشيء ، وهو[1] نَثْرُ ما في الأنف بالنّفَس ، وفي الحديث[2] : **"إذا اسْتَنْشَقْتَ فانثر"** ، والعِظام واحده عَظْم .

والمعنى : إن الوزير المذكور كان من ترويع صروف الدهر والليالي له بما تقدم في قصته من المحن التي قاسَاها[3] إلى أن نزل في حفرته ، وتبددت عظامه ، وهكذا الأيام لا يَصْفو مشربُها[4] لأحد إلا وأعقبته بالتكدير ، فالعاقل مَنْ بعواقبها تفكّر ، وبمن مضَى اتّعظَ واعتَبر .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

مَـــــنْ زَارَهَـــــا فِي أَرْضِ فَــــا سٍ أَذْهَبَـــتْ شَـــجْوًا غَرَامَـــهْ[5]

أي مَن زار تلك الحفرة التي ضمت عِظَام ممدوحه ، وتلك الحفرة كائنة في أرض فاس من بلاد المغرب ، وهي مدينة كبيرة ، ومدينة صغيرة ، يشقها نهرٌ كبير من عيون صنهاجة، وعليه أرحية[6] كثيرة، إحداهن ماؤها قليل ، والأخرى ذات مياه كثيرة تجري، في كل شارع منها ، وزقاق وسوق وحَمّامات ودار ، وفي كل زقاق ساقية ، متى أراد أهل الزقاق أن يجروها أجروها ، وإن أرادوا قطْعها قطعوها .

وقوله : شَجوا ، قال في المختار : الشّجو : الهَم والحزن ، وقد شجاه حَزَنَه ، وبابه عدا ، ورجل شَجٍ[7] ، أي حزين ، وامرأة شَجِيَة على فَعِلَه . انتهى

---

(١) في النسختين د ، ك : "وهو ما نثر في الأنف" .

(٢) الذي وجدته في مسند الإمام أحمد ١٦٣٨٠ : "إذا استنشقت فبالغ إلا أن تكون صائما" .

(٣) في نسخة الأصل م : "قاسها" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٤) في النسختين د ، ك : "حشر بها" .

(٥) في النفح : ". . . شجوا منامه" .

(٦) في النسختين د ، ك : "أرجية" ، وهو تصحيف .

(٧) في جميع المخطوطات : "شجي" ، واعتمدت ما في المختار .

وقال في القاموس : شَجَاه : حَزَنه وطَرَّ به [٤١٣/ظ] كأشجاه فيهما[١] ضِدٌّ ، وأشجاه : قَهَره وغَلَبه وأوقعه في الحزن[٢] ، والشّجو : الحاجة . انتهى .

وقوله : غَرَامه ، قال في القاموس : الغرام : الولوع والشرُّ الدائم ، والهلاك والعذاب ، والمغْرَم كَمُكْرَم : أسير الحب ، والمولَع بالشيء .

والمعنى : إن مَن زار قبر الوزير في أرض فاس ، ورأى ما آل إليه حال الوزير بعد تلك الدولة والسيادة حصل له حزنٌ عليه ، بحيث إنه ينسيه حبه ، والمراد محبوبته ، مع أن المحب لا ينسى محبوبته ، لكن هذا الأمر من فظاعته يحصل به عِبْرة لرائيه ، وعِظة وتذكرة للواقف على ثَرى ضَم ذلك الحبر فيه ، بحيث إنه يحصل له الحزن والذهول حزنا ينسى محبوبته ، بحيث أنه لا يدرى ما يقول .

موعظة[٣] : قيل : إن إسكندر لما مَلَك العباد ، وجابَ سائر أقطار البلاد ، مر ببابل ، فأُخبر (عن غار)[٤] هناك ، وبه آثار عظيمة ، فإذا عليه مكتوب بالسُّرياني : يا مَن نال المنى ، وأمن العنا ، ووصل إلى هنا ، اقرأ وافتكر ، وادخل الغار واعتبر ، واعلم أني ملكتُ البلاد والعباد ، وما نلتُ من الدنيا المراد ، فدخل إسكندر الغار ، وأسْبَل الدموع الغِزَار ، فوجدَ شخصا عظيم الهامة ، طويل القامة على سرير من الذهب مُلْقَى ، وقد ترك جميع ما ملكه وألقى ، ويده اليمنى مقبوضة ، والأخرى مفتوحة ، ومفاتيح خزائنه تحت رأسه مطروحة ، وعلى يمينه لوحٌ مكتوب فيه : جمعنا المال وأمسكناه ، وعلى شماله لوحٌ مكتوب فيه : ثم رجعنا [٤١٤/و] وتركناه ، وعلى رأسه لوحٌ مكتوب فيه : شعر[٥] :

---

(١) في نسخة الأصل م : "فهما" بإسقاط الياء .

(٢) في القاموس : "في حزن" .

(٣) لم أعثر على هذه الموعظة .

(٤) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك .

(٥) سقطت كلمة شعرا من النسختين د ، ك . وذِكر البيتين من الشعر العربي يدل على التخريف بعد أن ذكر سابقا أن الكتابة بالسرياني ، ثم يأتي شعر عربي .

لَقَدْ عَمَّرْتُ فِي زَمَنٍ سَعِيدٍ وَكُنْتُ مِنَ الحَوَادِثِ فِي أَمَانِ[1]

وَقَارَبْتُ الثُّرَيَّا فِي عُلُوٍّ وَصِرْتُ عَلَى السَّرِيرِ كَمَا تَرَانِي

فقال الإسكندر : سُبحان الذي لا زَوَال لملكه ، ووقع في قلب الإسكندر الوَجَلُ والوَلَهُ ، وترك كل ما كان عليه ، وتخلّى للعبادة ، وفرق الذخائر والخزائن ، وتصدق بما في الحصون والمدائن ، وشمّر ساعده للعبادة ، وأخذه[2] على ما فرط الندم ، وقام لعبادة مولاه على أثبت قَدَم ، وقال : أعزل نفسي قبل العزل ، وأُحاسبها قبل حساب يوم الفَصْل ، ولَبِس الخشون والمسوح ؛ مرغبة في الملك الأبدي والثواب الممنوح ، وجرَح نفسه بِسكِّين الجَوَى حتى أعرضت عن مهاوي الهوى لما وجد في الغار النّوَى ، وتخلّى عن جميع ما حاز واجتوى ، واعتزل الهوى وانزوى ، وبساط الرغبة انْطَوى[3] ، ولسان حاله ينشد لما تمَّ له واستوى :

دَعِ الْهَوَى فَآفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى وَمُنْتَهَى الْوَصْلِ صُدُودٌ وَنَوَى[4]

وَرَاقِبِ الرَّحْمَنَ يَا مَنْ قَدْ غَوَى فَمُعْظَمُ الْعُمْرِ تَوَلَّى وَانْطَوَى[5]

مَا يَنْفَعُ الإِنْسَانَ يَوْمَ مَوْتِهِ مَا حَازَ مِنْ أَمْوَالِهِ وَمَا حَوَى

يُقَسِّمُهَا وَارِثُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهْوَ بِنَارِ إِثْمِهَا قَدِ اكْتَوَى

تُبْ قَبْلَ شَيْبِ الرَّأْسِ فَالتَّائِبُ لاَ يَتْبَعُ شَيْبَ الرَّأْسِ إِلاَّ مَا حَوَى

(١) البيتان من [الوافر] ، ولم أعثر عليهما .

(٢) [كذا] في الجميع .

(٣) في النسختين د ، ك : "[illegible]وى" .

(٤) لم أعثر على هذا الرجز .

(٥) في نسخة الأصل م والنسخة د في الشطر الأول : "يا من غوى" بإسقاط "قد" واعتمدتها من النسخة ك .

مَـــا دَامَ فِي الْعُمْـــرِ اخْضِـــرَارُ عُـــودِهِ سَــــــهْلٌ وَصَـــــعْبٌ إِذَا مَـــــا زَوَى[١]

فرجع الإسكندر من بابل ، وقد أحاطت به البَلابل[٢] ، وظهرت [٤١٤/ظ] به آثار السقام ، حتى ثقل لسانُه بالكلام ، وقد كان رأى في منامه أنه سيموت فوق أرض من حديد ، وتحت سماء من حديد ، ثم أخذه العطشُ والحُمَّى ، والتلهّب والظما ، ففرشوا له تحته دِرْعا من حديد ، وظلّلوا فوقه بالجحف الفولاذ ، لأجل أن يحصل له البرودة والانتعاش ، فأفاق بعد زمان من الغشي واللهف فرأى الدرع الحديد فوقه وتحته ، فأيقن بارتحاله ، وأن منادى الحِمَام نادى بتحوُّله وانتقاله ، فكتب إلى أُمه بصورة حاله ، وأوصاها أن تعمل له وليمة عجيبة الأسلوب ، وتنادى : لا يحضر هذه الوليمة إلا مَن لا[٣] أُصيب بخليل وحبيب ومحبوب ، فلما مات – رحمه الله تعالى – وُضع في تابوت من ذهب، وحُمل إلى أمه إلى ثغر إسكندرية ، واختلس[٤] من هذه النعم ، وعمر من العمر ستا وثلاثين ، وكانت مدة مُلكه تسع سنين ، فقال كبير حُكامه : ليتكلم كل منكم بكلام يكون للخاصة معزّيا ، وللعامة واعِظًا ، فقال احدهم : لقد أصبح مستأسر الملوك أسيرا ، وقال آخر : العجب أن القوى قد غُلب ، والضعفاء مغترّون ، وقال آخر : قد كنت لنا واعظا ، ولا واعظ أكبر من وفاتك[٥] ، وقال آخر : رب هائب لك لا يقدر أن يذكر اسمك (سرا)[٦] فهو الآن لا يَخافك جَهرا ، وقال آخر : يا مَن غضّبه الموت هلا غضبتَ على الموت ، وقال آخر : مالَكَ لا تُحرّك عضوا من أعضائك ، وقد كنتَ تزلزل الأرض [٤١٥/و] فلما وَرَدَ الكتاب على أُمه ، ووردَ محمولا

---

(١) [كذا] جاء الشطر الثاني في جميع المخطوطات ، وفيه خطأ عروضي ، ولا بد أن فيه سقطا .

(٢) البلابل : اضطراب النفس .

(٣) سقطت "لا" من النسختين د ، ك .

(٤) [كذا] في جميع المخطوطات ويبدو لي أنها "اختلى" .

(٥) في جميع المخطوطات : "من وفايك" ، وهو غير مناسب .

(٦) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك .

في التابوت أسرعت في عمل الوليمة وهيأت المآكل الفاخرة ، ونادت: لا يحضر الوليمة إلا مَن لم يفجع في الدنيا بمحبوب ولا خليل ، فلم يحضر الوليمةَ أحدٌ ، فقالت : ما بال الناس لا يحضرون الوليمة ؟ فقالوا لها : أنتِ منعتيهم من الحضور ، قالت : كيف ذلك ؟ قالوا : لقد أمرت أن لا يحضر الوليمة إلا مَن لم يفجع بِخلٍّ ومحبوب ، وليس في الدنيا أحدٌ إلا وقد أُصيب بذلك ، فلما سمعت ذلك خفَّ بعضُ ما بها من الحزن ، وقالت : رَحِمَ الله ولَدى لقد عزَّاني في نفسه بأحسن تعزية ، وألطف تسلية .

وقد قدمنا الكلام على إسكندر في أول الكتاب[1] ، وإنما ذكرنا هذه النبذة هنا لأن فيها عبرةً لأُولى الألباب ، فانظر أيها الناظر ، فالعاقل مَن نظر واعتبر ، وتأمل ما يؤول إليه الأمر ، وفي عُقباه افتكر ، أين مَن ملَك وقَهر ؟ أين مَن حشَد وحشَر ؟ أين مَن أمرَ وزَجَر، وأخرَب آخرته ، ودنياه عَمَر ؟ أتاه المنون المنتظر ، فلم يكن عنه مَحِيد ولا مَفَرّ ، فاحتطّه من أعالي القصور إلى أسافل الحُفَر ، وعوّضه عن السندس الأخضر بالتراب والمدَر، ووصلت إليه الدود إلى أن اضْمَحَل وانْدَثَر ، ولم يبقَ منه عَين ولا أثَر ، وسيرى يوم البَرْزَخ والمحْشَر ما قَدَّمه في دُنياه وما أخّر ، وما أحسن قول القائل ، شعر[2] :

أيْــنَ الْمُلُــوكُ وَأَبْنَــاءُ الْمُلُــوكِ وَمَــنْ ... كَــانُوا إِذَا النَّــاسُ قَــامُوا هَيْبَــةً جَلَسُــوا[3]

وَمَــــنْ سُــــيُوفُهُمُ فِي كُــــلِّ مُعْــــتَرَكٍ ... تُخْشَــــى وَدُونَهُــــمُ الْحُجَّــــابُ وَالْحَــــرَسُ

أَصَــمَّهُمْ حَــدَثٌ بَــلْ ضَــمَّهُمْ جَــدَثٌ ... بَانُــوا وَهُــمْ خُــرْسٌ فِي الــرَّمْسِ قَــدْ حُبِسُــوا

(١) ذُكر ذلك في شرح البيت :

ومدائن الإسكندر الـ ... ـلاتى لها أعلى دعامة .

(٢) سقطت كلمة شعر من النسخة د فقط .

(٣) الأبيات من [البسيط] ، ولم أعثر عليها .

[٤١٥/ظ] أَضْحَوْا بِمَهْلَكَةٍ فِي وَسْطِ صَرْعَى وَمَاشَى الْوَرَى مِنْ فَوْقِهِمْ

كَأَنَّهُمْ قَطُّ مَا كَانُوا وَلاَ خُلِقُوا وَمَاتَ ذِكْرُهُمُ بَيْنَ الْوَرَى وَنُسُوا

وَاللهِ مَا شَهِدَتْ نَفْسٌ بِمَا سَمِعَتْ يَدُ الْبِلَى بِهِمْ وَالدُّودُ يَفْتَرِسُ[٢]

مِنْ أَوْجُهٍ نَاظِرَاتٍ كَأَنَّ نَاظِرَهَا وَرَوْنَقُ الْحُسْنِ فِيهِ كَيْفَ يَنْطَمِسُ

وَأَلْسُنٌ نَاطِقَاتٌ زَانَهَا أَدَبٌ مَا شَأْنُهَا شَانَهَا بِالْآفَةِ الْخَرَسُ

وَعَادَ تُرْبُ الْحَنَايَا مِنْ لِبَاسِهِمُ جُونَ الثِّيَابِ وَقِدْمًا زَانَهَا الْوَرَسُ[٣]

حَتَّى مَتَى ذَا النُّهَى لاَ تَرْعَوِى أَبَدًا وَدَمْعُ عَيْنَيْكَ لاَ يَهْمِى وَيَنْبَجِسُ ؟[٤]

قال الناظم رحمه الله تعالى :

إِذْ نَبَّهَتْه لِكُلِّ شَمْـ ـلٍ شَتَّتَ الْمَوْلَى الْتِئَامَهْ[٥]

هذا البيت مرتبطٌ بما قبله ؛ لأنه علة له ، فكأنه يقول : من زار ذلك القبر نبّهته تلك الزيارة على ما تقدم من العبرة ، وأنه لا بد لكل شَمل مُلتئم من التشتت والتفرّق ، وفي ذلك عِبرةٌ وأي عِبرة فإن في القبور ورؤياها عِظة واعتبارا عند ذوى العقول والأفكار ، فإن أمرا إلى هذا القبر غايته أبدا جدير بأن لا يترك سُدًى ، وقد ورَد عنه (ﷺ) حين سأله قَيْس بن عَاصِم

(١) [كذا] جاء الشطر الثاني في جميع المخطوطات ، ولم أستطع إصلاحه . وفي النسخة ك : "من فوقهم بطسوا" بالسين المهملة .

(٢) في جميع المخطوطات : "يد البلا" .

(٣) الجُون من ألفاظ الأضداد ، فهو يطلق على الأبيض والأسود ، والمقصود هنا الأسود ، والورْس : الزعفران .

(٤) حتى متى ذا النهى : أي حتى متى يا ذا النهى .

(٥) في النفح : ". . . شتّت الموت التئامه" .

الموعظة أنه قال : **"يا قَيس ، إن مع العِزّ ذُلاً ، ومع الحياة مَوتًا ، ومع الدنيا آخِرة ، وإن لكل (شيء)[1] حَسِيبا ، وعلى كل شيء رقيبا ، وإن لكل حَسَنة ثَوابا ، ولكل سَيِّئة عِقَابا ، ولكل أَجَلٍ كتابًا ، وإنه لا بد لك من قَرين يُدْفَن معك وهو حيٌّ ، وتُدْفن معه وأنت ميت ، فإن كان كريما أكرمك ، وإن كان لئيما أَسْلمك ، ثم لا يُحْشَر إلا معك [٤١٦/و] ولا تُحْشَر إلاّ معه ، ولا تُسأل إلا عَنه ، فإن كان صالحًا لم تستأنس إلا به ، وإن كان سَيّئًا لم تَسْتَوْحِشْ إلا منه ، وهو عَمَلُك"** .

قوله : (نبّهته)[2] النُّبه بالضم : الفِطْنة والقيام من النوم ، وأَنبهتُه[3] ونبّهتُه فتنبَّه وانْتَبَه ، وهذا مَنْبَهَةٌ على كذا ، ولفلان مُشْعِر بِقَدْره ، ومُعْلٍ له ، وما نَبِه له (كفرح)[4] : ما فطن، والاسم النُّبْه[5] بالضم، ونَبِه مثلثة شَرُف فهو نابه ونبيه[6]، ونبّه باسمه تنبيها نَوّه، ومَنْبُوه الاسم : معروفُه ، وأَمْرٌ نَابِهٌ ونبيه[7] : عظيم . كذا في القاموس .

وقوله : لكل شمل ، قال في المصباح[8] : شَمِلهم الأمر بالكسر شُمولا : عَمَّهم ، وجمع[9] الله شَمْلهم : أي ما تشتت من أمرهم ، وفرّق الله شمله : أي ما اجتمع من أمره ، والشَّمَل بفتحتين لغة في الشَّمْل . انتهى .

وشتّت : فرّق ، قال في المختار: تقول: شّتَّ الأمرُ يَشِتُّ بالكسر شَتًّا وشَتَاتًا بفتح

---

(١) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك .

(٢) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك .

(٣) في جميع المخطوطات : "وأنبهه ونبهه فتنبه انتبه" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٤) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٥) في جميع المخطوطات : "النبهة" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٦) في القاموس بعد هذا : "ونَبَه محركة وقدم نَبَهٌ أيضا" .

(٧) قوله : "ونبيه" ليس في القاموس .

(٨) هذا القول في مختار الصحاح .

(٩) في المختار : "وجمع الله شمله أي ما تشتت من أمره" .

الشين فيهما أي تفرَّق ، واسْتَشَتَّ وتَشَتَّتَ (مثلُه)[١] ، وشَتَّتَه تشتيتا فرَّقه . انتهى .

والمولى هنا هو المولى الحقيقيُّ، وهو الله عز وجل. والالتئام: الاجتماع، يقال: لَمّه: جَمَعَه، ودارنا لَمُومَة: أي تجمع الناس وتَربُّهم، ورَجُل مِلَمٌّ كمِجَنّ[٢]: يجمع القوم أو عشيرته، والمِلَمُّ : الشديد من كل شيء، واللَّمَمُ محركة: الجنون، وصغار الذنوب، والعَين اللاَّمّة: المصيبة بسوء، واللَّمَّة: الشِّدة ، وبالضم : الصاحب أو[٣] الأصحاب في السفر. كذا في القاموس .

قال الناظم رحمة الله تعالى :

هَـــــذَا لِسَــــانُ الـــــدِّينِ أَسْـــــ كَتَـــــــهُ وَأَلْزَمَـــــــهُ رِجَامَـــــــهْ[٤]

هذا ابتداء مدح لأحد وزراء الأندلس، وهو ابن الخطيب[٥]، وقد أطنب في مدحه الناظم رحمه الله تعالى على ما ترى.

واللسان آلة النطق [٤١٦/ظ] وهو عنوان على فضل الإنسان أو جهله ، وليُعْلم أن اللسان من نعم الله تعالى العظيمة ، ولطائف صنعته الغريبة ، فإنه صغير جِرْمُه ، وعظيم طاعته وجُرْمُه ؛ إذ لا يُتَبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان ، وهما غاية الطاعة والطغيان، ثم إنه ما من موجود أو معدوم ، خالق أو مخلوق ، أو معلوم أو مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ، ويتعرض له بإثبات أو نفي ، فإن كل ما يتناوله العلم يعبِّر عنه اللسان إما بحق أو باطل ، ولا شيء إلا والعلم متناوله ، وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء إلا في اللسان ، فإن اللسانَ رَحْبُ الميزان ، ليس له مَرَدٌّ، ولا لمجاله منتهى ولا حد، فله في الخير مجال رَحْبٌ،

---

(١) ما بين القوسين زيادة من المختار يتم بها القول .

(٢) في جميع المخطوطات : "كمحب" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٣) في جميع المخطوطات : "والأصحاب" بإسقاط الهمزة من "أو" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٤) في نسخة الأصل م : "أسكنه وألزمه" ، وفي النفح : "وأسكنه رجامه" .

(٥) قوله : "وهو ابن الخطيب" ساقط من النسختين د ، ك .

وفي الشر هجر سحب[1]، فمن أطلق عَذَبَةَ اللسان وأهمله مَرْخِيَّ العنان سلك به الشيطان في كل ميدان ، وساقه إلى شفا جُرُفٍ هارٍ ، إلى أن يضطره إلى البَوَار ، ولا يَكُبّ الناس على مَنَاخرهم في جهنم إلا حَصَائد ألسنتهم ، إلا أن يُقَيد بلجام الشرع .

وعنه (ﷺ)[2] : "**مَنْ صَمَتَ نَجا**" . وقال عليه الصلاة والسلام[3] : "**الصمتُ حِكمة ، وقليلٌ فاعلُه**" . وقال (ﷺ) [4] : "**إن أكثر خَطايا ابن آدم في لسانِه**" . وقال عليه الصلاة والسلام[5] : "**مَنْ كَفّ لسانَه ستَرَ اللهُ عَوْرته ، ومَن مَلَك غَضَبه وقَاه الله عَذَابه ، ومن اعتذر إلى الله قَبِلَ الله عُذْرَه**" .

وقال عمرو بن دينار : تكلّم رجلٌ عند النبي (ﷺ) فأكثر ، فقال عليه الصلاة والسلام[6] : "**كم دون لسانك من باب ؟**" فقال : شَفَتَاي وأسناني ، فقال : "**أما [٤١٧/و] كان في ذلك ما يردّ كلامك**" .

وقال إبراهيم[7] : يهلك الناس في خلتين : فضول المال ، وفضول الكلام . وما أحسن قول بعضهم[8] :

---

(١) [كذا] في جميع المخطوطات ، ويبدو أنه "هجر وسبٌّ" .

(٢) الحديث في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢٥٨/٢ ، وفيه كلام كثير ، وجاء في مسند أحمد ٦٤٨١ و ٦٦٥٤ .

(٣) الحديث في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٣٢/٢ وفيه كلام كثير . وفي يواقيت المواقيت ١٣٠ : "ومن حكم لقمان الحكيم : "الصمت حُكمٌ ، وقليل فاعله"، وقال المحقق في الهامش : جاء القول بنسبته إلى لقمان في العقد الفريد ٤٧١/٢ ، وزهر الآداب ٩٨٤/٢ ، وجاء كحديث في النهاية في غريب الحديث ٤١٩/١ ، وجمهرة الأمثال ٥٦٩/١ ، وجاء دون نسبة في البيان والبيتين ٢٧٠/١ ، والعقد الفريد ٨٢/٣ ، وجاء في التمثيل والمحاضرة ٤٢٥ كشطر من بيت من الرجز دون نسبة .

(٤) لم أعثر على هذا الحديث .

(٥) لم أعثر على هذا الحديث .

(٦) في أدب الدنيا والدين ٢٦٨ .

(٧) [كذا] في جميع المخطوطات دون ذِكر بقية الاسم ، ولم أعثر على القول .

(٨) البيتان من [الكامل]، وهما في العقد الفريد٢/ ٤٧٣، غرر الخصائص الواضحة ١١٢، دون عزو إلى قائل معين.

الْصَّــمْتُ زَيْــنٌ وَالسُّــكُوتُ سَــلاَمَةٌ فَــإِذَا نَطَقْــتَ فَــلاَ تَكُــنْ مِهْــذَارَا[١]

وَلَــئِنْ نَــدَمْتَ عَلَــى سُــكُوتِكَ مَــرَّةً فَلَقَــدْ نَــدِمْتُ عَلَــى الْكَــلاَمِ مِــرَارَا

لطيفة : قيل: جلس أبو أيوب يَعقوب بن السِّكِّيت يوما مع المتوكل، فكان يؤدب أولاده، فجاءه المعتز والمؤيد وَلَدا المتوكل، فقال له: يا يعقوب، أيما أحب إليك: ولديَّ[٢] هذان أو الحسن والحسين؟ فقال: والله إن قُنْبُرًا خادمَ عَلِيٍّ خيرٌ منك ومن ابنيك، فقال المتوكل للأتراك: سُلُّوا لسانه من قَفَاه، ففعلوا به ذلك فماتَ في ليلته، ثم أرسلَ المتوكل لولده عشرة آلاف درهم، وقال: هذه دية والدك.

ومن العجيب أنه كان قبل ذلك بيسير أنشد لولدي المتوكل ، وهو يعلمهما[٣] :

يَمُــوتُ الْفَــتَى مِــنْ عَثْــرَةٍ بِلِسَــانِهِ وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ[٤]

فَعَثْرَتُــهُ مِــنْ فِيــهِ تَرْمِــي بِرَأْسِــهِ وَعَثْرَتُــهُ بِالرِّجْــلِ تَــبْرَا عَلَــى مَهْــلِ

وقد قدّمنا نبذة على اللسان فلا نطيل عليها ، ولقد أحسن من قال[٥] :

اِحْفَــظْ لِسَــانَكَ وَاسْــتَعِذْ مِــنْ شَــرِّهِ إِنَّ الِّلسَــانَ هُــوَ الْعَــدُوُّ الْكَاشِــحُ

وَزِنِ الْكَــلاَمَ إِذَا جَلَسْــتَ بِمَجْلِــسٍ وَزْنًا يَلُــوحُ بِــهِ عَلَيْــكَ الَّلائِــحُ

---

(١) في جميع المخطوطات: ". . . فلا تكن مهدارا" بالدال المهملة، وهو تصحيف، وصححته بما يناسب السياق.

(٢) في النسختين د ، ك : "ابناي" .

(٣) البيتان من [الطويل]، وهما في العقد الفريد ٢/ ٤٧٣ لجعفر بن محمد علي بن الحسين، والأول في محاضرات الأدباء ١/١١٤، وأشير في هامشه إلى أنه في التذكرة الحمدونية، ومعه آخر، ولكنه ليس الذي هنا.

(٤) في نسخة الأصل م : "... من عثرة لسانه" ، وما في النسختين د ، ك يوافق المحاضرات .

(٥) الأبيات من [الكامل] ، وهي في غرر الخصائص الواضحة ١١٢، دون عزو إلى قائل معين.

فَالصَّــمْتُ مِــنْ سَــعْدِ السُّــعُودِ وَإِنَّــهُ   زَيْــنُ الْفَــتَى وَالنُّطْــقُ سَــعْدُ الــذَّابِحُ[١]

والدين : المِلَّة والحساب أيضا لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢] والجزاء والدَّاء[٣] والعادة أيضا ، قال الشاعر[٤] :

تَقُـــولُ وَقَـــدْ دَرَأْتُ لَهَـــا وَضِـــينِي   أَهَـــذَا دَأْبُـــهُ أَبَـــدًا وَدِيـــنِي ؟[٥]

[٤١٧/ظ] والطاعة أيضا ، قال زُهير[٦] :

---

(١) سعد السعود ، وسعد الذابح : نجمان في السماء .

(٢) سورة التوبة، الآية: (٤٠)، والروم، الآية: (٣٠).

(٣) في جميع المخطوطات : "والداب" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٤) البيت من [الوافر] ، وهو للمثقب العبدي كما في اللسان في [وضن] ، والوضين: الهودج. وترجمة المثقب في الشعر والشعراء ٣٩٥/١، والقصيدة في المنتخب في محاسن أشعار العرب، المنسوب للثعالبي تحقيق: عادل سميكة، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٤م، ٢٧٠/٢، وكذا في الفضليات للمفضل الضبي، وقد درسها درسا طريفا د.وهب أحمد رومية في كتابه شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة العدد : ٢٠٧، ١٩٩٦م، ص١٩٠.

(٥) في جميع المخطوطات : "أهذا دينه ..." ، واعتمدت ما في اللسان ، وفي اللسان : "إذا درأت" وفي جميع المخطوطات : "وقد دارت" ودرأ بمعنى بسط كما في القاموس من معانيه .

(٦) هو زهير بن أبي سُلمى(المزني)، واسم أبي سُلمى: ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن برد ابن لاطم بن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، ترجمته في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري تحقيق عبد السلام هارون ط: السادسة، ٢٠٠٥م ، ٢٣٥-٢٣٧، وفي الأغاني ٩/ ١٣٩، وديوانه ، دار الكتب ، القاهرة، ١٣٦٩هـ، وهو شاعر جاهلي، لم يدرك الإسلام، وقد أسلم ابناه بجير وكعب في قصة مشهورة، وكان عمر يفضله؛ لأنه لا يعاظل في القول، ويتجنب وحشي الكلام ، ولا

لَـئِنْ حَلَلْـتَ بِجَـوٍّ فِي بَـنِي أَسَـدٍ فِي دِيـنِ عَمْـرٍو وَحَالَـتْ بَيْنَنَـا فَـدَكُ[١]

وقد جمعت في قوله[٢] :

خُـذْ ضَـابِطًا لِمَعَـانِي الـدِّينِ قَـدْ جُمِعَـتْ نَظَمْتُهَـا لِسَـرَاةِ النَّـاسِ وَالسَّـادَهْ

قُـلْ مِلَّـةٌ وَحِسَـابٌ وَالْجَـزَاءُ كَـذَا كَالطَّاعَـةِ اعْـدُدْ تُصِـبْ وَالْمِلَّـةُ الْعَـادَهْ

وقوله : أسكته ، قال في القاموس : وأسكت : انقطع كلامه فلم يتكلم ، والسَّكْتَةُ : داءٌ ، وبالضم : ما أسْكَتَّ به صبيًّا أو غيره ، وبقية تبقى في الوعاء .

وقوله : وألزمه ، يقال : لَزِمَه[٣] كسمعه لَزْمًا ولُزُومًا ولِزَاما (ولِزَامَةً)[٤] ولُزْمَةً ولُزْمانًا بضمهما ، ولاَزَمَهُ مُلاَزَمَةً ولِزَاما والتَزَمه وأَلْزَمَه إياه فالْتَزَمَهُ ، وهو لُزَمَة كهُمزَة أي إذا لَزِم[٥] شيئا لم يفارقه[٦] ، ولِزَام ككتاب : الموت والحساب والملازم ، وضَرْبَةَ لازِم[٧] : لاَزِبٍ[٨] ، وسُبَّةٌ[٩] لَزَام كقطام : لازمةٌ ، والتزمه : اعتنقه ، واللَّزَم محركةً : فصل[١٠] الشيء . كذا في

يمدح أحدا إلا بما هو فيه [من هامش العمدة ٧١/١] .

(١) البيت من [البسيط] ، وهو في ديوان زهير ١٨٣ . وفي جميع المخطوطات جاء البيت هكذا :

لئن حللت نحو في بنى أسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك

والتصحيح من الديوان . وجَوّ : وادٍ ، ودين عمرو : طاعته ، وفَدَك : أرض [من شرح الديوان] .

(٢) البيتان من [البسيط] ، ولم أعثر عليهما .

(٣) في القاموس : "لزم كسمع" .

(٤) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٥) في نسخة الأصل م : "ألزم" ، وما في النسختين د ، ك يوافق القاموس ، وهو الذي اعتمدته .

(٦) في القاموس : "لا يفارقه" .

(٧) في نسخة الأصل م : "لزم" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك والقاموس .

(٨) في جميع المخطوطات : "ولازب" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٩) في جميع المخطوطات : "وسنة" ، واعتمدت ما في القاموس .

القاموس .

والرجام كما في القاموس[١] : هي حجارة ضِخَامٌ دون الرخام ، وربما جعلت على القبر تُسَنَّم .

قال عبد الله بن مَعقل في وصيته[٢]: لا ترجموا قبري، أي لا تجعلوا عليه الرُّجُم، أراد بذلك تسوية قبره بالأرض، وأن لا يكون مُسَنَّما مرتفعا .

والمحدِّثون يقولون : لا ترجموا قبري بالتخفيف ، والصحيح أنه مُشَدّد ، والرَّجم : أن يتكلم الرجل بالظن ، وتراجموا بالحجارة تراموا بها . انتهى [٣] .

والمعنى : إنه كما ذهب ابن الخطيب واندَثَر ، وصار بعد أن كان عَينا خَبرا[٤] ، فلا بِدْعَ في ذلك ؛ فإن الزمان [٤١٨/و] طَبْعُه المعاندة لأهل البلاغة والفصاحة والإحسان ،

---

(١٠) في جميع المخطوطات : "فضل" ، واعتمدت ما في القاموس .

(١) لم أجد هذا بنصه كالمعتاد في القاموس .

(٢) هكذا في النسخ ، وصحته "مغفل" كما أجمعت المعاجم في ذكر وصيته هذه في مادة رجم، كاللسان، ومختار الصحاح، والقاموس، وتاج العروس، وترجمته في الإصابة لابن حجر في باب ذكر من اسمه عبد الله:"عبد الله ابن مغفل بن عبد غنم وقيل عبدنهم بن عفيف بن اسحم بن ربيعة بن عدي وقيل عدي بن ثعلبة بن ذؤيب وقيل دويد بن سعد بن عداء بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة المزني أبو سعيد وأبو زياد. ونقل البخاري عن يحيى بن معين أنه كان يكنى أبا زياد وعن بعض ولده أنه كان يكنى بهما وأنه كان له عدة أولاد منهم: سعيد وزياد من مشاهير الصحابة. قال البخاري: له صحبة سكن البصرة وهو أحد البكائين في غزوة تبوك وشهد بيعة الشجرة ثبت ذلك في الصحيح وهو أحد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقهوا الناس بالبصرة وهو أول من خل من باب مدينة تستر ومات بالبصرة سنة تسع وخمسين قاله مسدد وقيل: سنة ستين فأوصى أن يصلى عليه أبو برزة الأسلمي فصلى عليه. ومات سنة إحدى وستين". والوصية في المعاجم في مادة رجم: جاء في لسان العرب:" والرَّجَمُ والرِّجامُ: الحجارة المجموعة على القبور؛ ومنه قول عبد الله بن مُغَفَّلٍ المزَنِيّ: لا تَرْجُموا قبري أَي لا تجعلوا عليه الرَّجَمَ، وأَراد بذلك تسوية القبر بالأَرض، وأَن لا يكون مُسَنَّماً مرتفعاً".

(٣) هذا يوهم بأن الكلام السابق من القاموس ، وما هو به .

(٤) في جميع المخطوطات : "خبر" بالرفع ، وهو خطأ .

فهذا لسان الدين الذي إنما سُمي بذلك لكونه جامعا لسائر أنواع الكمال ، حتى كأنه في زمانه لشدَّةِ عدْلِهِ ، ووُفُورِ دينه وعقله ، وكأنه معظم آلة الدين ، التي بها يُستبان الحق ، أي يَتبَيَّنُ ، قد محا الدهر ما كان عليه ، وأسكته بعد أن كان عنديب[1] الدين بكل أمر يُشار إليه ، وقد صار رَهِينَ رَمْسِه بعد فصاحة الكلام ، فريدًا في حفرته ، مُسَوًّي عليه بالرِّجام، وهكذا الدهر لا يصفو شَرابه لإنسان ، إلا وأعقبه بالإساءة والخُسران .

قال الناظم[2] :

وَمَحَا عِبَارَتَهُ فَمَنْ حَيَّاهُ لَمْ يَرْدُدْ سَلاَمَهْ

المحو: الإزالة، وباب محا عَدَا أو رمى، ومحاه أيضا مَحْيًا فهو مَمْحُوٌّ[3] ومَمْحِيٌّ والفعل (المِحْي)[4]، ومنه امَّحى وامتحى[5] لغة ضعيفة.

والعبارة هنا المراد منها ما تَقَرُّ به عينه؛ لأن العبر بالفتح تجلب الدمع، وعَبِر الرجل والمرأة والعين من باب طرب: جرى دَمْعُه، والنعت في الكل عابر، واستَعْبَرَتْ عينُه، والعَبْرَان الباكي، ورجل عابرُ سبيلٍ؛ أي مارٌّ طريقٍ، ويجوز أن يكون هنا مصدر عبَرَ بمعنى مات، قال في المختار: عَبَر: مات وبابه نصر. انتهى.

ويكون حينئذ[6] على حذف مضاف تقديره مكان موته ؛ لأنه لا معنى لمحو موته بدون تقدير ، ويكون ذلك كناية عن انْدِرَاسِ تُربته ، بحيث إن عائده لا يعرف مكانه ، وهذا

(١) في النسختين د ، ك : "عند لبيب" .

(٢) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى .

(٣) في نسخة الأصل م : "محو" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٤) ما بين الرقمين زيادة من النسختين د ، ك .

(٥) في نسخة الأصل م : "انتحى" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٦) في نسخة الأصل م تكتب هذه الكلمة هكذا "ح~" .

حسن ، فإنه وَرد[١] : خير القُبور الدَّوَارِس .

فائدة[٢] : لما أمرَ [٤١٨/ظ] الله سيدنا موسى بالمسير ببني إسرائيل أمره أن يحتمل معه عِظَام سيدنا يوسف ، وأن لا يخلفها بأرض مصر، وأن يسير بها معه حتى يضعها بالأرض المقدسة، فسأل موسى عن ذلك فلم يجد من يعرف قبره إلا عجوزًا من بنى إسرائيل، فقالت : يا نبي الله، أنا أعرف مكانه إن أنت أخرجتني مك ، ولم تخلفني بأرض مصر دللتك، قال: أفعل، وقد كان موسى عليه الصلاة والسلام وَعَدَ بنى إسرائيل أن يسير بهم إذا □لع القمر، فدعا ربه أن يؤخر □لوعه حتى يفرغ من أمر يوسف، ففعل، فخرجت به العجوز حتى أرته إياه في ناحية من النيل في الماء، فاستخرجه[٣] موسى عليه السلام، صندوقا من مَرْمَر، فاحتَمله معه.

وفي رواية أبي حاتم عن سعد بن عبد العزيز أن يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة قال: يا إخوتاه ، إني لم أنتصر من أحد ظلمني في الدنيا، وإني كنت أحب أن أُظهر الحسنة، وأخفي السيئة، فذاك ردای في الدنيا، يا إخوتاه، إني قد أشركت آباي[٤] في أعمالهم فأشركوني معهم في قبورهم، وأخذ عليهم الميثاق فلم يفعلوا، حتى بعث الله سيدنا موسى عليه السلام فسأل عن قبره فلم يجد أحدا يخبره إلا امرأة بِنْت ابنٍ ليعقوب، فقالت: أدلك على ذلك على أن أشترط عليك ، قال : ذلك لك ، قالت : أصير شابة كلما كبرت ، قال : ذلك لك ،

(١) جاء هذا في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٣٩٧/١ ، ثم قيل بعده : هذا مشهور على الألسنة ، وليس معناه بظاهره صحيحا ، فإنه يُسَنُّ أن يُجعل على القبر علامة ليُعرف بها فيُزار ، كما وضع رسول الله (×) حجرًا عند رأس عثمان بن مظعون وقال : أتعلم بها قبر أخي .

(٢) لم أعثر على هذه الفائدة .

(٣) [كذا] في جميع المخطو□ات ، والأحسن . "فاستخرج" .

(٤) [كذا] في جميع المخطو□ات ، ويبدو أن المقصود "آبائي" .

قالت : وأكون معك في درجتك في الجنة يوم [٤١٩/و] القيامة[١] ، فكأنه امتنع ، فأُمر أن يمضى لها ذلك ففعل ، فدلّته عليه فأخرجه ، فكانت كلما كانت بنت خمسين صارت مثل ابنة ثلاثين سنة ، حتى عمرت ألفا وستمائة أو أربعمائة ، وحتى أدركها سيدنا سليمان بن داود عليه السلام . انتهى .

والتحية : السلام ، ومعنى لم يردد سلام المحيِّ، أي لم يُسمع المحيِّ ردّ السلام، فقد ورد في الأموات: ما أنتم بأسمعَ منهم، ولكن لا ينطقون، وقد ورد أن الأموات يستبشرون بزيارة الأحياء .

وينبغي لمن زار القبور أن يقول : السلام عليكم آل دار قوم مؤمنين، أنتم لنا سَلَفا[٢]، ونحن لكم خَلفا[٣]، نسأل الله لنا ولكم العفو والعافية، وأن يقول: السلام على أهل لا إله إلا الله، يا أهل لا إله إلا الله، كيف وجدتم قول لا إله إلا الله، يا لا إله إلا الله اغفر لمن قال لا إله إلا الله ، واحشرنا في زمرة من قال لا إله إلا الله ، بذلك وردت الآثار، وصحّت النقول والأخبار .

وما أحسن قول القائل[٤] :

---

(١) في جميع المخطوطات رسمت الكلمة هكذا : "القيمة" .

(٢) [كذا] بالنصب في جميع المخطوطات .

(٣) [كذا] بالنصب في جميع المخطوطات .

(٤) البيتان من البسيط وهما لمؤيد الدين ابن القلانسي وهو :" أسعد مؤيد الدين بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسعد بن علي الصاحب الرئيس أبو المعالي، التميمي الدمشقي ابن القلانسي والد الصاحب عز الدين حمزة، ولد سنة ثمانٍ وتسعين ظناً، وسمع حضوراً من حنبل المكبر وسمع من ابن طبرزذ والكندي، وحدث بدمشق ومصر وروى عنه ابن الخباز وابن العطار وجماعة، وكان صدراً جليلاً معظماً وافر الحرمة كثير الأملاك تام الخبرة ذا عقل ورأي وحزم وكان أهلاً للوزارة، ولكنه لم يدخل في هذه الأشياء عقلاً، ولما توفي ابن سويد ألزم بمباشرة ولكنه لم يدخل في هذه الأشياء عقلاً، توفي خمس وخمسين وخمسمائة". وأورد له قطب الدين ابن اليونيني ترجمة في الذيل على المرآة وذكر

يَا رَبِّ جُـدْ لِي إِذَا (مَـا) ضَـمَّنِي جَـدَثِي   بِرَحْمَـةٍ مِنْـكَ تُنْجِيـنِي مِـنَ النَّـارِ[1]

أَحْسِـنْ جِـوَارِي إِذَا أَمْسَـيْتُ جَـارَكَ فِي   دَارِ الْقَـرَارِ فَقَـدْ أَوْصَـيْتَ بِالْجَـارِ

قال الناظم[2] :

فَكَأَنَّـــهُ مَـــا أَمْسَـــكَ الْــــ   قَلَـــمَ الْمُطَـــاعَ وَلاَ حُسَـــامَهْ

الإمساك : الحبس ، قال في القاموس : أمسكه : حبسه ، وعن الكلام حبسه[3] ، ومَسَك به وأمسك وتماسك وتمسّك واستمسك ومَسَّك احتبس واعتصم ، والمِسْكَة بالضم ما يُتَمَسَّك به و(ما)[4] يُمسك الأبدان من الغذاء ، والعقل الوافر ، وقد مَسَك مساكةً (ومِسْكَويه كسِيبَوَيْهِ)[5] عَلَمٌ، وما فيه مِسَاك ككِتَاب ومُسْكة (بالضم وكأمير)[6] خير يرجع إليه فيه[7] . انتهى .

والقلم كما في القاموس : [٤١٩/ظ] اليراعة إذا بُرِيَت ، وجمعه أقلام وقِلاَم ، والزَّلَم والجَلَم[8] و□ولُ أَيْمَة المرأة، وهي مُقَلَّمة: أَيِّمٌ، والسهم يجال بين القوم في القمار . انتهى .

وفي المختار : القلم الذي يُكتب به ، والقلم أيضا الزَّلَم ، والمِقْلَمة بالكسر وعاء الأقلام

فيها البيتين، وكذا في عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني، وكذا في نهاية الأرب في فنون الأدب ، للنويري، والوافي بالوفيات للصفدي، في حرف الألف، والأعلام ٢٧٧/٢ معجم الأدباء ٤٤٨/١".

(١) في نسخة الأصل م: ". . . إذا ضمني" بإسقاط "ما"، وهو خطأ في الوزن، واعتمدت ما في النسختين د، ك.

(٢) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٣) في القاموس : "سكت" مكان "حبسه" .

(٤) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٥) ما بين القوسين زيادة من القاموس لا يتم القول إلا بها .

(٦) ما بين القوسين زيادة من القاموس لا يتم القول إلا بها .

(٧) قوله : "فيه" ليس في القاموس .

(٨) في جميع المخطو□ات : "والحلم" بالحاء المهملة ، واعتمدت ما في القاموس .

، وهو مشتق من[١] قلم الظفر إذا قطعته .

وقيل له قلم لخفته لأنه[٢] مشتق من نَبْتٍ يقال له القلام ، ووُصف القلم بكونه مطاعا من باب المجاز للملابسة بكون الكتابة موجودةً به ، وإلا فالمطاع في الحقيقة هو الكاتب ، وهو كناية عن نفوذ أقوال الممدوح وأوامره ، بحيث إنه إذا أجرى قلمه في أمر نفذ ، ولا يمكن ردّه .

والإطاعة : الانقياد ، يقال : طاع له يَطُوع[٣] ويَطَاع : انْقَاد وهو طوع يديك : منقاد لك ، والطواعية : الطاعة ، والشُّحُّ المطاع هو أن يطيعه صاحبُه في منع الحقوق ، وقوله تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[٤] تابعته وطاوعته أو شَجَّعته وأعانته وأجابته إليه ، وطاوع : وافق . كذا في القاموس .

والحُسَام كما في القاموس : كغراب السيف القاطع أو طَرَفُه الذي يُضرب به ، ومن الليالي الدائمة .

وللسيف أسماء كثيرة منها هذا ومِخْضَلٌ، ومِنْصَلٌ، ومِخْزَمٌ، وجُرَازٌ، وقاضِبٌ، وهُذَامٌ، وعَضْبٌ[٥] إذا كان قاطعا، ولابن الأنباري نظم[٦] فيه حيث قال[٧]:

إِذَا مَا رَأَيْتَ السَّيْفَ عِنْدَكَ قَاطِعًا فَصِفْهُ بِأَوْصَافٍ تَلِيقُ وَتَجْمُلُ

---

(١) الذي في المختار هو : "من قلم ظفره من باب ضرب وقلّم أظفاره شُدد للكثرة" .

(٢) في نسخة الأصل م : "لا أنه" .

(٣) في نسخة الأصل م : "يطاع ويطاع" ، وهو خطأ من الناسخ .

(٤) سورة المائدة، الآية: (٣٠) .

(٥) في نسخة الأصل م : "وغضب" بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٦) في جميع المخطوطات : "نظما" بالنصب ، وهو خطأ .

(٧) البيتان من [الطويل] ، ولم أعثر عليهما .

فَقُــلْ عَاضِــبٌ عَضْــبٌ جُــرَازٌ وَمِخْـذَمٌ   هُــذَامٌ حُسَــامٌ مُنْصَــلٌ ثُمَّ مِخْصَــلُ[١]

[٤٢٠/و] قال الناظم :

وَكَأَنَّـــــهُ لَمْ يَعْـــــلُ مَتْـــــ   ـــــنَ مُطَهَّـــمٍ بَادِي النَّعَامَـــــةْ[٢]

قوله : وكأنه لم يعل أي يركب. والمتن له إطلاقات: النكاح، والحلف، والضرب، والذَّهَاب في الأرض، والمدُّ وما صَلُب من الأرض وارتفع، ومن السهم ما بين الرِّيشِ إلى وسطه، والرجُلُ الصُّلب، ولا يصح واحد منها هنا، وإنما المراد به الظَّهر هنا.

قال في القاموس : ومَتْنَ الظَّهر مُكْتَنِفا الصلب والمطَهّم[٣] من الخيل السمين الفاحش السِّمن ، وهو وصفٌ رديءٌ في الخيل، ويطلق على النحيف الجسم دقيقه، وهو المراد هنا ، لأنه وصف حسن في الخيل ، فهو من الأضداد، ويطلق المطهم[٤] في الإنسان على البارع الجمال ، المدوّر الوجه المجتمعة[٥]. انتهى.

وبادي: ظاهر، والنَّعامةُ من الفرسِ دِمَاغُه أو فَمُه، وهي المرَادَةُ هنا، وتُطْلقُ على النَّفْس والفرح والسرور، والإكرَام، وعلى طائر معروف، واسم سبعة أفراس كما في القاموس .

وما أحسن قول الشاعر ، شعر[٦] :

---

(١) في جميع المخطوطات : "مخدم . . . هدام . . . مفصل . . . محضل" والتصحيح من أسماء السيف في القاموس في أماكن متعددة .

(٢) في النفح : "بادي النعامة" ، وما هنا أوفق .

(٣) من هنا ليس في القاموس إلى كلمة "دقيقة" ، وفي النسختين د ، ك : "المطهر" .

(٤) في النسختين د ، ك : "المطهر" .

(٥) كلمة "المجتمعة" ليست في القاموس .

(٦) سقطت كلمة "شعر" من النسختين د ، ك .

وَأَدْهَمٍ حَسَنِ التَّحْجِيلِ ذِي مَرَحٍ يَمِيسُ مِنْ عُجْبِهِ كَالشَّارِبِ الثَّمِلِ[١]

مُطَهَّمٍ مُشْرِفِ الْأُذْنَيْنِ تَحْسَبُهُ مُوَكَّلاً بِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ عَنْ رَجُلِ

قال الناظم[٢] :

وَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْلُ غَارِبَ الاِغْتِرَابِ وَلاَ سَنَامَهْ[٣]

لا يخفى ما في قوله : "وكأنه لم يعل غارب... البيت" من الاستعارة ، حيث شَبّه الغُربة بالجَمَل بجامع تحمُّل المشاق ، وإثبات ما يلائم [٤٢٠/ظ] المشبه به وهو الغارب والسنام ، وفي جَمْعه بين السنام والغارب ما لا يخفى ؛ لأنه يلزم من علوّه الغارب أن يَعْلُوَ السنام ؛ لأن الغارب أعلى السنام .

والمراد بالاغتراب الغُربة، وبين الغارب والاغتراب شبه جناس مطلق، كقوله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٤]، وقد أخذ الناظم هذه العبارة من الحريري ، فإنه قال في مقامته الأولى[٥]: لما اقتعدتُ غاربَ الاغتراب، وأنْأَتْنِي المَتْرَبةُ عن الأَتْرَاب، إلى آخر ما قال فيها .

ولم تزل الأكابر والأفاضل تختار الغربة إذا نَبَتْ[٦] بهم المنازل ، وما أحسن قول ابن

---

(١) البيتان من [البسيط] ، ولم أعثر عليهما .

(٢) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٣) في النفح : "وكأنه لم يَرْق غارب الاعتزاز . . ." .

(٤) سورة النمل، الآية: (٤٤).

(٥) شرح مقامات الحريري للشريشي ٤٨/١ .

(٦) في جميع المخطوطات : "نبات" وصححتها بما يناسب السياق .

مُنير الطَّرابلسي[1] رحمه الله تعالى[2] :

وَإِذَا الْكَـــرِيمُ رَأَى الْخُمُـــولَ نَزِيلَــهُ   فِي مَنْـــزِلٍ فَــالحَزْمِ أن يَتَحَـــوَّلا[3]

كَالْبَـــدْرِ لَمَّـــا أَنْ تَضَـــاءَلَ جَـــدَّ فِي   طَلَـــبِ الْكَمَـــالِ فَحَـــازَهُ مُتَـــنَقِّلاَ

سَــفَهًا لِحِلْمِــكَ أَنْ رَضِــيتَ بِمَشْــرَبٍ   رَنْـــقٍ وَرِزْقُ اللهِ قَـــدْ مَـــلأَ الْفَـــلاَ[4]

فَــارِقْ تَــرُقْ كَالسَّــيْفِ سُــلَّ فَبَــانَ فِي   مَتْنَيــهِ مَــا أَخْفَــى الْــتُّرَابُ وَأَخْمَــلاَ[5]

لِلْقَفْـــرِ لاَ لِلْفَقْـــرِ هَبْهَـــا إِنَّمَـــا   مَغْنَـــاكَ مَـــا أَغْنَـــاكَ أَنْ تَتَوَسَّـــلاَ

لاَ تَــرْضَ مِــنْ دُنْيَــاكَ مَــا أَدْنَاكَ مِــنْ   دَنَــسٍ وَكُــنْ طَيْفًــا جَــلاَ ثُمَّ انْجَلَــى

وأُنشد أبو محمد غانم[6] من شعراء الذخيرة هذين البيتين[7] :

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي ، الملقب مهذب الدين عين الزمان الشاعر المشهور، كان أبوه يغني في أسواق [illegible]رابلس ، ونشأ أبو الحسن وحفظ القرآن الكريم ، وتعلم اللغة والأدب، وقال الشعر، وكان رافضيا كثير الهجاء، خبيث اللسان، وسجن بسبب ذلك. ت٥٤٨هـ [من وفيات الأعيان ١٥٦/١].

(٢) في النسختين د ، ك مكان "رحمه الله تعالى" قوله : "في ذلك" .

(٣) الأبيات من [الكامل] ، وهي في وفيات الأعيان ١٥٦/١ و ١٥٧ ، وفي النسخة د : "[illegible]لب في منزل فالحزم" وهو خطأ في النقل ، وفي الوفيات : ". . . فالحزم أن يترحلا" .

(٤) في الوفيات : ". . . قد ملأ الملا" . والرنق : المتكدر .

(٥) في جميع المخطو[illegible]ات : ". . . القراب وأجملا" بالجيم ، واعتمدت ما في الوفيات .

(٦) هو أبو محمد غانم بن وليد ، ونسبه في مخزوم ، فَرْدُ عصره ، ونسيج وَحْدِهِ في تناهي جده، متفننا جرى في ديوان السبق، وفقيها قَرْ[illegible]س أغراض الحق. [من الذخيرة ٨٥٣/٢/١] .

(٧) البيتان وما بعدهما من [الكامل] . ، وهما في الذخيرة ٨٥٤/٢/١ .

وَإِذَا الـــدِّيَارُ تَنَكَّــرَتْ عَـــنْ أَهْلِهَـــا　　فَـــدَعِ الـــدِّيَارَ وَأَسْـــرِعِ التَّحْـــوِيلاَ(1)

لَــيْسَ الْمُقَــامُ عَلَيْــكَ حَتْمًــا لاَزِمًــا　　فِي بَلْـــدَةٍ تَـــدَعُ الْعَزِيـــزَ ذَلِـــيلاَ(2)

وسُئل(3) الزيادة عليها فقال :

لاَ يَرْتَضِـــي حُـــرٌّ بِمَنْـــزِلِ ذِلَّـــةٍ　　لَـــوْ لَمْ يَجِـــدْ فِي الْخَـــافِقَيْنِ مَقِـــيلاَ(4)

[٤٢١/و] وقال الصَّلاح الصَّفَدى :

سَــافِرْ تَنِــلْ عِــزًّا فَمَــا مِسْــكُ الْــوَرَى　　إِلاَ دَمًـــــا فِي سُــــــرَّةِ الْغِــــزْلاَنِ(5)

وَالــرُّمْحُ لَمَّــا فَــارَقَ الْــوَطَنَ اغْتَــدَى　　بِذُؤَابَـــةٍ خَفــقَ َتْ وَتَاجٍ سِـــنَانِ(6)

وقال أيضا(7) :

ســـافِرْ تَنَـــلْ رُتَـــبَ الْمَفَـــاخِرِ وَالْعُـــلاَ　　كَالـــدُّرِّ سَـــارَ فَصَـــارَ فِي التِّيجَـــانِ

وَكَــذَا هِــلاَلُ الْأُفْــقِ لَــوْ تَــرَكَ السُّــرَي　　مَـــا فَارَقَتْـــهُ مَعَـــرَّةُ النُّقْصَـــانِ

---

(١) في الذخيرة : ". . . تنكرت عن حالها" ، وهو أحسن في رأيي .

(٢) في الذخيرة : ". . . حتما واجبا" .

(٣) هذا القول ساقط من النسخة د ، وجاءت الأبيات متصلة .

(٤) الذخيرة ٨٥٤/٢/١ ، وفي متن الذخيرة : "إن لم يجد" وما هنا يوافق هامش الذخيرة .

(٥) البيتان من [الكامل]، و قد رواهما الصفدي لنفسه في: نصرة الثائر على المثل السائر. وفي النسختين د ، ك :"إلا دما في سيرة...".

(٦) [كذا] جاء الشطر الثاني، ولم أعرف تصويبه .

(٧) بنصهما في الروض الباسم ص٣٥ ، وهما من [الكامل]. ورواهما لنفسه أيضا في نصرة الثائر على المثل السائر بعد البيتين السابقين.

وقال أيضا[1] :

سافِرْ فَإِنَّ اللَّيْثَ لَمَّا غابَ عَنْ غابٍ حَوَاهُ أَشْبَعَ الْأَشْبَالاَ

وَالسَّيْفُ لَوْ لَزِمَ الْمُقَامَ بِجَفْنِهِ مَا رَاعَ أَعْدَاهُ وَرَاقَ صِقَالاَ

وَكَذَاكَ بَدْرُ التِّمّ لَوْ تَرَكَ السُّرَي أَبْصَرْتَهُ طُولَ الزَّمَانِ هِلاَلاَ

وقال ابن العمد[2] :

مَتَى لَفَظَتْنِي دَارُ قَوْمٍ تَرَكْتُهَا وَسِرْتُ وَلِي فِيهَا وَمِنْ أَهْلِهَا بُدُّ[3]

وقال ابن الخياط الدمشقي[4] :

لاَ تُنْكِرَنَّ رَحِيلِي مِنْ دِيَارِكُمُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى ضّيْمٍ بِصَبَّارِ

تَأْبَى لِيَ الضَّيْمَ فِرْسَانُ الْخِلاجِ وَمَا خُبِّرْتُ عَنْ غُرَرٍ تَهْدِى وَإِشْعَارِ

وقال عَنْتَرة العَبْسي في رواية بعضهم[5] :

---

(١) الأبيات من [الكامل] ولم أعثر عليها .

(٢) [كذا] في جميع المخطوطات "ابن العمد" ، وصحته "ابن العميد" حيث القائل هو أبو الفتح ابن أبي الفضل بن العميد، والبيت من أبيات منسوبة إليه في التمثيل والمحاضر للثعالبي.

(٣) البيت من [الطويل] .

(٤) البيتان من [البسيط] وهما لابن الخياط الدمشقي ، ديوانه تحقيق خليل مردم بك ، ط الثانية، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، دار صادر بيروت، ص ١٥٦،من التي أولها:

هِيَ الدِّيارُ فَعُجْ فِي رَسْمِها الْعارِي إنْ كانَ يُغْنِيكَ تَعْرِيجٌ عَلَى دارِ

(٥) ديوان عنترة ٣٣٨، وكذلك طبعة عبد المنعم عبد الرءوف شلبي ص١٦٥ ، والبيت من الكامل، من التي أولها:

يا دارَ عبْلةَ من مشارقِ مأسلِ درسَ الشُؤُونُ وعهْدُها لم ينْجَلِ

اِحْـــذَرْ مَحَـــلَّ السَّـــوْءِ لاَ تَحْلُـــلْ بِـــهِ وَإِذَا نَبَـــا بِـــكَ مَنْـــزِلٌ فَتَحَـــوَّلِ

قيل[١] : وقف بُهلول على رجل فقال: أخبرني عن قول الشاعر :

وَإِذَا نَبَـــا بِـــكَ مَنْـــزِلٌ فَتَحَـــوَّلِ

كيف هو عندك ؟ قال : جيد ، قال : فإن كان في الحبس فكيف يتحوّل . قال البهلول[٢]: الصواب قول الشاعر[٣] :

[٤٢١/ظ] إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ يَسُوؤُكَ أَهْلُهَا وَلَمْ تَـــكُ مَكْبُـــولاً بِهَـــا فَتَحَـــوَّلِ

ومما قلت في معنى ذلك[٤] :

وَإِنْ نَظَـرَتْ عَيْـنِي مِـنْ اْلأَهْـلِ جَفْـوَةً تَبَـدَّلْتُ عَـنْهُمْ جِـيرَةً بَعْـدَ جِـيْرَةِ[٥]

وَإِنْ سَـــاوَمَتْنِي فِي الـــدِّيَارِ مَذَلَّـــةٌ جَعَلْـــتُ الْفَيَـــافِي مَنْـــزِلِي وَمَسِـــيرَتِي[٦]

وقال ابنُ الوردي في لاميته[٧] :

---

(١) الخبر في التذكرة الحمدونية ١٩٣/٧ ومعه الشعر .

(٢) هو بُهلول بن عمرو، أبو وهيب الصيرفي، من أهل الكوفة ، كان من عقلاء المجانين وُسوس ، وله كلام مليح ونوادر وأشعار. [من فوات الوفيات ٢٨٨/١] .وقد ترجم له وذكر كثيرا من أخباره ابن حبيب النيسابوري في كتابه: عقلاء المجانين

(٣) البيت من [الطويل] ، وهو في التذكرة الحمدونية .

(٤) البيتان من [الطويل] .

(٥) في النسخة ك : "جيرة بعد جرة" ، وهو خطأ من الناسخ .

(٦) في جميع المخطوطات : ". . . في منزلي ومسرتي" .

(٧) البيتان من [الرمل] ، وهما في ديوان ابن الوردي (ت٧٤٩هـ) تحقيق أحمد فوزي الهيبط: الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م دار القلم ، الكويت، ص ٤٣٨.

حُبُّـــكَ ٱلْأَوْطَـــانَ عَجْـــزٌ ظَـــاهِرٌ   فَـــاغْتَرِبْ تَلْـــقَ عَـــنِ ٱلْأَهْـــلِ بَـــدَلْ

فَبِمُكْـــثِ الْمَـــاءِ يَبْقَـــى آسِـــنًا   وَسُـــرَى الْبَـــدْرِ بِـــهِ الْبَـــدْرُ اكْتَمَـــلْ

وقال صاحب لامية العجم[(١)] :

إِنَّ الْعُـــلاَ حَـــدَّثَتْنِي وَهْـــيَ صَـــادِقَةٌ   فِيمَـــا تُحَـــدِّثُ أَنَّ الْعِـــزَّ فِي النُّقَـــلِ

لَـــو أن في شَـــرفِ المَـــأْوى بُلـــوغَ مُـــنًى   لَمْ تَـــبْرَحِ الشَّـــمْسُ يَوْمًـــا دَارَةَ الْحَمَـــلِ

أي لأن شرف الشمس في برج الحمل ، وعلى كل حال فالسفر مرغوب فيه محبوب، قال (ﷺ)[(٢)]: **"سافروا تَغنموا، سافروا تُرزقوا، سافروا لتصحوا وتغنموا"**.

وقد يجب السفر وذلك إذا كان في بلدة كُفر ، وخاف على نفسه الارتداد ، والعياذ بالله ، أو فيها تُسَبّ الصحابة أو الأولياء جهارا ، أو كانوا يَتَجَاهرون في ارتكاب المعاصي

---

(١) الطغرائي هو: السيد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالطغرائي؛ كان غزير الفضل لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر... قتل سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وقيل إنه قتل سنة أربع عشرة، وقيل ثماني عشرة، وقد جاوز ستين سنة، وفي شعره ما يدل على أنه بلغ سبعاً وخمسين سنة لأنه قال وقد جاءه مولود:

هذا الصغير الذي وافى على كبري   اقر عيني ولكن زاد في فكري

سبع وخمسون لو مرت على حجر لبان تأثيرها في صفحة الحجر" وفيات الأعيان ١٨٥/٢، ومع ترجمته فيه القصيدة(لامية العجم) كاملة، ومعجم المؤلفين ٣٦/٤، والأعلام ٢٤٦/٢ والبيتان في ديوانه ٣٠٦ ، وهما من [البسيطِ] .

(٢) في كشف الخفاء ٤٤٥/١ : "سافروا تربحوا ، وصوموا تصحوا ، واغزوا تغنموا" رواه أحمد عن أبي هريرة مرفوعا" ، وذكرت فيه روايات كثيرة ، وقد وجدته في مسند الإمام أحمد ٨٩٤٥ وليس فيه "وصوموا تصحوا" وفي الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٩٠ : "حديث صوموا تصحوا ، قال الصغاني موضوع وقال في المختصر : ضعيف .

من غير مُبالاة[١] ، نسأل الله العفو والعافية .

وما أحسن قول القائل[٢] :

سَــافِرْ تَجِـدْ عِوَضًـا عَمَّـنْ تُفَارِقُـهُ   وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ

فَالأُسْدُ لَوْلاَ فِرَاقُ الْغَابِ مَا افْتَرَسَتْ   وَالسَّهْمُ لَوْلاَ فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ

قال الناظم[٣] :

وَكَأَنَّـهُ لَمْ يَجْـلُ وَجْـهًـا حَـازَ مِـنْ بِشْـرٍ تَمَامَـهْ[٤]

[٤٢٢/و] قوله : لم يَجْلُ وجْهًا، أي لم يَكْشِفْ، يقال: فلان جلا الأمر : كشفه ، كجلاَّه وجلَّى[٥] عنه، وجلا: علا[٦]، والجلا مقصورة: انحسار[٧] مُقَدَّم الشعر أو نصفِ الرَّأْسِ أو هو دُون الصَّلَعِ.

والوجه : ما تقع به المواجهة. والحَوْز: الجمع. البِشر بالكسر: والطلاقة، وبالفتح: الجمال والحُسن، وهو أبشر منه أي أحسن وأجمل وأسمن. وقوله: تمامه، أي ما يتم به.

قد وصف الناظم الوجه بالبِشر على عادة المولّدين، وإلا فالعرب إنما توصفه[٨]

---

(١) في جميع المخطوطات : "مبالات" .

(٢) القائل هو الإمام الشافعي ، والبيتان في ديوانه ٢٦ ، ٢٧ ، وهما من [البسيط] .

(٣) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٤) في نسخة الأصل م : "وكأنه لم يجلو . . ." [كذا] .

(٥) في جميع المخطوطات : "وجلا" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٦) في نسخة الأصل م : "على" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك والقاموس .

(٧) في جميع المخطوطات : "انحصار" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٨) في النسخة د : "توصف"، وعلى الحالين فالصواب "تصفه" لأن المثال مثل:(وقف، وزن، وعد) تحذف فاؤه في

بالصَّبَاحة. قال ثعلب نقلاً عن ابن الأعرابي: الصَّباحة في الوجه، والوَضَاءة في البشرة، والجمال في الأنف، والحَلاوة في العينين، والمِلاَحة في الفَم، والظرف في اللسان، والرَّشاقة في القَدِّ، واللَّباقة في الشمائل، وكمال الحُسْن في الشعر.

وما أحسن قول الشاعر(١):

فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ ... مِنَ الذُّنُوبِ وَجِيْهٌ حَيْثُمَا شَفَعَا(٢)

إِذَا تَأَمَّلْتَهُ نَادَيْتَ مِنْ وَلَهٍ ... الْبَدْرُ فِي لَيْلَةِ الظَّلْمَاءِ قَدْ طَلَعَا(٣)

وأرى الناس يستملحون قول الشاعر(٤) :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ... جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ

المضارع. والقول لصاحب المثل السائر في باب:" الصناعة اللفظية" في معرض تحريف اللفظ عن أصل وضعه عند العامة، وذكر أنه ضربان الضرب الأول مكروه:" وأما الضرب الثاني، وهو أنه وضع في أصل اللغة لمعنى فجعلته العامة دالاً على غيره، إلا أنه ليس بمستقبح ولا مستكره، وذلك كتسميتهم الإنسان ظريفاً إذا كان دمث الأخلاق حسن الصورة أو اللباس، أو ما هذا سبيله، والظرف في أصل اللغة مختص بالنطق فقط. وقد قيل في صفات خلق الإنسان ما أذكره ههنا،وهو الصباحة في الوجه، الوضاءة في البشرة، الجمال في الأنف، الحلاوة في العينين، الملاحة في الفم، الظرف في اللسان، الرشاقة في القد، اللباقة في الشمائل، كمال الحسن في الشعر، فالظرف إنما يتعلق بالنطق خاصة، فغيرته العامة عن بابه".

(١) البيتان من [البسيط] ، وجاء ضمن خمسة أبيات منسوبة للحكم بن عمرو الشاري في وفيات الأعيان ١٩٩/٦ مع اختلاف كبير في البيت الثاني ، وجاءا منسوبين للحكم بن محمد بن قنبر في التذكرة الحمدونية ١٦٥/٦ ضمن أربعة أبيات .

(٢) في جميع المخطوطات : ". . . شافع يمحى" ، واعتمدت ما في المصدرين المذكورين .

(٣) جاء البيت في الوفيات هكذا :

كأنما الشمس من أعطافه لمعت ... حسنا أو البدر من أزراره طلعا .

(٤) البيت من [الكامل] ، وجاء دون نسبة في ذيل نفحة الريحانة ٣٧١ .

هذا كما قاله بعض الأدباء: إذا اعتُبر وُجد ذَمًّا؛ لأن مليحا يأتي بذنب واحدا ويحتاج في العفو عن ذلك الذنب إلى ألف شفيع ليس بمليح حقيقة، المدح الكافي الوافي أن يكون المليح إذا أتى بألف ذنب جاء شافع واحد من حُسنه فمحا(١) تلك الذنوب المتعددة.

والأصل في ذلك كله قول الحَكَم بن قُنْبر(٢) :

مُسْتَقْبَلٌ بِالَّذِي أَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ مَنْهُ الذُّنُوبُ وَمَعْذُورٌ إِذَا طَلَعَا(٣)

[٤٢٢/ظ] في وجهه شافع ، البيت المتقدم .

وأبو فِرَاس بن حمدان(٤) كان أعرف وأحذق بالغزل ، وقد قال(٥) :

أَسَاءَ فَزَادَتْهُ ٱلْإِسَاءَةُ حُظْوَةً حَبِيبٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ حَبِيبُ

يَعُدُّ عَلَيَّ الْواشِيَانِ ذُنُوبَهُ وَمَنْ أَيْنَ لِلْوَجْهِ الْمَلِيحِ ذُنُوبُ؟(٦)

وقال ابن حَجّاج(٧) :

(١) في نسخة الأصل م : "فمحي" .

(٢) هو الحكم بن محمد بن قنبر المازني، مازن بني عمرو بن تميم، بصري شاعر من شعراء الدولة الهاشمية، وكان يُهاجي مسلم بن الوليد الأنصاري مدة، ثم غلبه مسلم. [من الأغاني ١٦٢/١٤] وفي جميع المخطوطات "الحاكم" ، والتصحيح من مصدر الترجمة .

(٣) البيت من [البسيط] ، وهو في التذكرة الحمدونية ١٦٥/٦ ، وفيه : "بالذي يهوى . . ." .

(٤) هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، يكنى أبا فراس، كان فارسا شجاعا، وشاعرا فحلا، اشترك في حروب كثيرة ضد الروم، وأسر مرتين، هرب في الأولى، وافتداه سيف الدولة في الثانية. قتل سنة ٣٥٧ الأعلام ١٥٥/٢، الوافي بالوفيات ٧٤/٤، وفيات الأعيان ٥٨/٢، معجم المؤلفين ١٧٥/٣، سير أعلام النبلاء ١٩٦/١٦.

(٥) البيتان من [الطويل] ، وهما في ديوان أبو فراس ٤٤ .

(٦) في الديوان : "بعد عليّ العاذلون . . ." ، وهو أحسن في رأيي .

(٧) هو الحسن – أو الحسين – بن أحمد بن حجاج – أو الحجاج – النيلى البغدادي ، يكنى أبا عبد الله ، واشتهر بابن الحجاج أو الحجاجي ، مدح الملوك والكبراء ، وكانوا يقدمونه على الرغم من فحشه . ت ٣٩١هـ ، وفيات الأعيان ١٦٨/٢، معجم المؤلفين ٣١٣/٣، سير أعلام النبلاء ٥٩/١٧.

وَكُلَّمَــــا رُمْــــتُ أَنْ أُعَاتِبَــــهُ عَــــلَ تَمَادِيــــهِ فِي تَعَدِّيــــهِ[١]

جَــــاءَتْ عَلَــى غَفْلَــةٍ مَحَاسِــنُهُ تُلْــزِمُنِي الصَّــفْحَ عَــنْ مَسَــاوِيهِ[٢]

وقال عتيق بن محمد الوَرّاق[٣] :

كُلَّمَــا أَذْنَــبَ أَبْــدَى وَجْهَــهُ حُجَّــةً فَهْــوَ مَلِــيٌّ بِالْحُجَــجْ[٤]

كَيْــفَ لاَ يُفْــرِطُ فِي إِجْرَامِــهِ مَــنْ مَــتَى شَــاءَ مِــنَ الــذَّنْبِ خَــرَجْ

وقال أحمد بن قيس[٥] :

أَشْــكُو إِلَيْــهِ صَــنِيعَ أَجْفَانِــهْ فَيَقُــولُ مِــتَّ بِأَيْسَــرِ الْخَطْــبِ[٦]

---

(١) البيتان من [المنسرح] ، وهما في التذكرة الحمدونية ١٩٨/٦ آخر عشرة أبيات . وفي جميع المخطوطات : ". . . أن أقابله" ، وهو غير مناسب للسياق ، واعتمدت ما في التذكرة الحمدونية .

(٢) في الحمدونية : ". . . تسألني الصفح . . ." .

(٣) هو عتيق بن محمد، أبو بكر الوراق التميمي ، كان إذا قرأ في الجامع تخشّع وجرت دموعه، فإذا ذهب إلى بيته أمسك الطنبور وعن يمينه غلام مليح، فإذا سئل عن هذا قال: ذلك بيت الله، وهذا بيتي [من فوات الوفيات ٤٣٦/٢] .

(٤) البيتان من [الرمل] ، وهما له في فوات الوفيات ٤٣٧/٢ .

(٥) لم أعثر له على ترجمة، والبيتين ضمن مقطوعة ذكرها السري الرفاء في المحب والمحبوب ، والمشموم والمشروب منسوبة لابن أبي فنن، في باب: "كتاب المحبوب"وهي:

صبٌّ بحُبِّ مُتيّمٍ صَبِّ حُبِّيهِ فوقَ نِهايةِ الحُبِّ

أشكو إليه صُنْعَ جَفوتِه فيقولُ: مُتْ. ذا أيسرُ الخطْبِ

وإذا نظرتُ إلى محاسِنِه أَخرجتُهُ عُطلاً من الذَنبِ

أَدميتُ باللحظاتِ وجنتهُ فاقتصَّ ناظرُه من القلبِ.

(٦) البيتان من [الكامل]. وفي النسختين د، ك: "أشكو إلى الله صنع . . ." وهو خطأ، وفي نسخة الأصل م : "... صنع" وهو خطأ من حيث الوزن ، وصححته بما يناسب ، وأرجو أن أكون قد وُفقت .

وَإِذَا نَظَـــــــــرْتُ إِلَى مَحَاسِـــــــــنِهِ أَخْرَجْتَـــهُ عَجَـــلاً مِـــنَ الـــذَّنْبِ

وقال آخر[1] :

عَفَّـــتْ مَحَاسِـــنُهُ عِنْـــدِي إِسَـــاءَتَهُ حَـــتَّى لَقَـــدْ حَسَّـــنَتْ عِنْـــدِي مَسَـــاوِيهِ

وقال آخر[2] :

لِي حَبِيـــبٌ كَـــالظَّبْيِ غِـــرٌّ وَلَكِـــنْ بِعَـــذَابِي فِي الْحُـــبِّ مَـــا أَغْـــرَاهُ

وَإِذَا كَـــرَّرَ الـــذُّنُوبَ فَيَكْفِيـــ ـــهِ اعْتِـــذَارًا عَمَّـــا جَـــنَى أَنْ أَرَاهُ

وقال ابن المعتز[3] :

وَمُسْتَبْصِـرٍ فِي الْغَـدْرِ مُسْـتَعْجِلِ الْقِلَـي بَعِيـدٍ مِـنَ الْعُتْـبَى قَرِيـبٍ مِـنَ الْهَجْـرِ[4]

لَـهُ شَـافِعٌ فِي الْقَلْـبِ مِـنْ كُـلِّ ذِلَّـةٍ فَلَـيْسَ بِمُحْتَـاجِ الـذُّنُوبِ إِلَى الْعُـذْرِ

وهذا باب قد أكثرت فيه الشعراء التشبيب ، وبالغوا في [٤٢٣/و] ذلك ، فمن مُخِلٍّ ومصيب .

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَكَأَنَّـــــــهُ مَـــــــا جَـــــــالَ فِي أَمْـــــــرٍ وَلاَ نَهْـــــــيٍ وَسَـــــــامَهْ

---

(١) البيت من [البسيط] ، وهو لأبي تمام ، من مقطوعة رباعية أولها:

ظَنّي بِهِ حَسَنٌ لَولا تَجَنّيهِ وَأَنَّهُ لَيسَ يَرعى حَقَّ حُبّيهِ

(٢) البيتان من الخفيف ، وهما في زهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي، دون عزو، في باب الأمثال وما يلتحق بها.

(٣) البيتان من الطويل ، وهما في ديوان ابن المعتز ٢٥٩/٢ .

(٤) في جميع المخطوطات : "مستبصر في العدو . . ." ، والتصحيح من الديوان .

قوله: جال هو من باب قال، والإجالة: الإدارة، والتِّجْوال: التطواف، وجوّل في البلاد بالتشديد أي ؟وّف، وتجاول في الحرب: جال بعضهم على بعض.

والأمر وهو اقتضاء فِعْلٍ غير كفٍّ مدلول عليه بغير لفظ كُفَّ، ولا يُطلب فيه عُلُوٌّ ولا استعلاء، وقيل: يعتبران.

والنَّهْيُ ضدُّ الأمْرِ، ونهاهُ عن كذا ينْهَاهُ نَهْياً فانْتَهَى عنه، وتَنَاهَى أي كفّ وتناهَوْا عن المنْكَرِ أيْ نهى بعضُهم بعضًا، والنُّهْيَةُ بالضمِّ واحدةُ النُّهَى، وهي العقولُ؛ لأنها تنْهى عن القبيح، وتنَاهى الماءُ: إذا وقفَ في الغّدِير وسَكَن، والإنهاء: الإبلاغ.

وسَامَه من السَّوْم، وتقول في المبايعة منه: سَاوَمَه سِوَامًا بالكسر، وسَامَهُ خسفًا: أي أولاه إياه أو رَاوَده عليه، ويصح أن يكون مصدر وَسَمَ من الوَسْم وهو الحُسْن، يقال: وَسُم الرجل من باب ظَرُف وَسْمًا ووسَامَةً ووسَامًا أيضا ، بحذف الهاء كجَمُل جَمَالاً ، وفلان وسيم أي حَسن الوجه ، وقوم وِسام ، وامرأة وسيمة ، ونسوة وِسَام كظريف وظِراف وصَبيحة وصِبَاح .

والمعنى: إن الوزير مضى فكأنَّه لم يترَدَّدْ[1] في أمرٍ ونَهْيٍ ، ولم يساوم في شيء من ذلك، أو لم يتقلّب في أمر ولا نَهْي ولا حسن ، فإذا فُسِّر وَسَامه بالوَسْم أي حُسن الوجه فلا مقدرة كما ذكرنا ، وما أحسن قول القائل[2] :

[٤٢٣/ظ] يَا وُلاَةَ ٱلأُمُورِ أَوْلُوا جَمِيلاً فَالْوِلاَيَاتُ تَنْقَضِي وَتَزُولُ

بَيْنَمَا الْمَرْءُ بَيْنَ أَمْرٍ وَنَهْيٍ فِي صُعُودٍ إِذَا اعْتَرَاهُ نُزُولُ

قال الناظم :

---

(١) في النسخة ك :"يترد" بإسقاط الدال الثانية سهوا .

(٢) البيتان من [الخفيف] . ، ولم أعثر عليهما .

وَكَأَنَّـــــــــهُ مَـــــــــا نَالَ مِـــــــــنْ مَلِــــــــكٍ حِبَــــــاهُ وَلاَ احْتِرَامَــــــهْ

النَّـوَال والنَّـال والنائـل : العطـاء ، ونُلْتُه ونُلْـتُ لـه وبـه[1] ، وأنلته إياه، ونوَّلته ونوَّلـت عليـه ولـه : أعطيتـه ، ورجـلٌ نَالٌ : جـواد ، أو كثـير[2] النائـل، ومـا أَنْوَلَـه : مـا أكثـر نائلـه ، ونالت المرأة بالحديث والحاجَة : سمحتْ أو همَّتْ ، والنَّوْلةُ : القُبْلة ، والنَّوْل : الوادي السائل ، وخشبة الحائك ، والنَّوَال : النصيب . كذا في القاموس . والمِلِك بكسر اللام ، وقد تقدم تعريفه ، والحِبا : العطاء ، يقال : حَباه يَحبوه حَبْوَةَ[3] بالفتح : أعطاه . كذا في المختار. وفي القـاموس : حبَّـاه تحبيـة فهـو حـابٍ وحَـبِيّ، وفـلانًا[4] : أعطـاه بـلا جـزاء ولا مَـنٍّ، أو عـامٌّ ، والاسم الحِباء ككتاب ، والحَبْوَة مثلثة ومنعه ضِدٌّ محاباةً وحِبَاءً نصره واختصّه ومال إليه ، والحَبِيّ[5] كَغَنِيّ ويضم : السحاب يشرف من الأفق على الأرض ، أو الذي بعضه فوق بعض ، والحُبَة كثُبَة : حَبَّةَ العنب . انتهى .

وقوله : ولا احترامه أي حُرْمَة[6] ، وهي كما قال في القاموس : بضمتين ، وبالضم أي ضم الحاء كهمزة : ما لا يحل انتهاكه والمهابة والنصيب للملك[7] لأن من خُصّ بخدمة الملك فواجـب عليـه تـوقيره [٤٢٤/و] واحترامـه، ولا يُعَـدُّ شَـتْمُهُ شَـتْمًا، ولا إغلاظُـه إغلاظًـا، ولا التقصير في حقه ذنبا ؛ لأن ريح القدرة بسطت لسانه ويده بالغلظة ، فإن أنزل الملك منزلة

---

(١) بعد هذا في القاموس : "وأنوله به" .

(٢) في جميع المخطوطات : "وكثير" بإسقاط همزه "أو" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٣) في جميع المخطوطات : "حبأه" ، واعتمدت ما في المختار .

(٤) في جميع المخطوطات : "وفلان" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٥) في جميع المخطوطات : "والحبا" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٦) في جميع المخطوطات : "حرمته" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٧) من هنا ليس في القاموس .

رفيعة من نفسه فلا يَتَغَنَّ[1] بها ، وليجانب معه الكلام الملق ، والإكثار من الدعاء في كل وقت وكثرة الانبساط ، فرب كلمة أثارت الوحشة ، بل يجتهد في توقيره وتعظيمه على كل حال ، فإن غضب فليَحْتَلْ في تسكين غضبه باللِّين والمداراة ، فقد حُكي[2] أن أمير المؤمنين أبا جَعفر بعث إلى جعفر بن محمد : إني مُستشيرك[3] في أمري ، قد تَأنيتُ في أمر أهل المدينة مرة بعد أخرى فلا أراهم يرجعون ولا ينتهون ، وقد رأيتُ أن أبعث فأحرق نخيلها ، وأُغَوِّر عيونها ، فما ترى ؟ فسكتَ جعفر ، فقال : مالك لا تتكلم ؟ فقال: إن أذنتَ لي تكلمت ، قال : قل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أُعطى فَشَكر ، وإن أيوب ابتُلِيَ فَصَبر، وإن يوسف قَدَر فَغَفَر، وقد جعلك الله من النَّسْل الذين يعفون ويصفحون ، فطُفِئ غضبه وسَكَن .

وقد قدمنا نبذة فيها الكفاية مما يجب على من ابتُلِي بصحبة الملوك ، وهي في هذا الباب غاية .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَكَأَنَّهُ لَمْ يُلْقِ فِي يَدِهِ لِتَدْبِيرٍ زِمَامَهْ[4]

أي وكأن هذا الوزير لم يكن زمام التدبير بيده ، فقد شبه أمور الملك بالناقة، وأثبت لها شيئا من ملائمة المشبه به وهو الزِّمام، فهو استعارة مكنية، وكون الزمام بيد الوزير إشارة إلى [٤٢٤/ظ] شدة احتياج الملك إلى الوزير، فقد نقل عن كسرى أنه قال[5]: لا يستغني

---

(١) في نسخة الأصل م : "يثقنّ" .

(٢) لم أعثر على هذه الحكاية .

(٣) في النسختين : "أستشيرك" .

(٤) في جميع المخطوطات : "وكأنه لم يك . . ." واعتمدت ما في نفح الطيب .

(٥) جاء هذا القول منسوبا إلى أنوشروان في يواقيت المواقيت ٤٣ .

أعظم الملوك عن الوزراء، ولا أجود السيوف عن الصِّقال، ولا أكرم الدواب عن السَّوط، ولا أعقل النساء عن الزواج.

وقد مثّل الوزير والرعية والملك بجماعة عُميان ليس فيهم إلا قائد واحد، فإن لم يكن ذلك القائد أَحَدَّ الناس بَصَرًا، وألطفهم نَظَرًا كان خليقا أن يوقعهم وإياه في وَهْدة تَدُقّ أعناقهم وعُنقه معهم.

والوزير من السلطان بمنزلة البَصَر من الإنسان ؛ لأنه إذا غفل السلطان عن أمر ذَكّره ، وإن ذَكَر أعَانَه ، وإن سَوَّلت له نفسه سيئة صَدَّه ، وإن أراد طاعة نشَّطه ، فهو الذي به تصلح الأحكام ، وبيده من التدبير الزمام . شعر[1] :

إِذَا نَسِيَ ٱلأَمِيرُ قَضَاءَ حَقٍّ فَإِنَّ الذَّنْبَ فِيهِ لِلْوَزِيرِ

لأَنَّ عَلَى الْوَزِيرِ إِذَا تَوَلَّى أُمُورَ النَّاسِ تَذْكِيرَ ٱلأَمِيرِ

قال الناظم[2] :

مُذْ فَارَقَ الدُّنْيَا وَقَوْ وَضَ عَنْ مَنَازِلِهَا خِيَامَهْ

قد تقدم الكلام على مذ والدنيا مبسوطا، والتقويض نزع الأعواد والأطناب، قال في القاموس: قاضَ البناء: هَدَمَه، كقوَّضه، والتقويض نزع الأعواد والأطناب، وتقوَّض : انهدم كانْقَاضَ ، والرجلُ جاء وذهب ، وهذا بِذا قَوْضًا بِقَوْضٍ : بدلاً ببدل . ويطلق التقويض على نَقْض البناء (من)[3] غير هَدْم .

(١) البيتان من [الوافر] ، ولم أعثر عليهما .

(٢) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى .

(٣) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

وفي كلام الناظم استعارة تبعية ، حيث شبّه رحيل ممدوحه عن الدنيا بتقويض الخيام الذي يفعله المسافر ، واشتق منه قوَّض بمعنى رَحَل [٤٢٥/و] فجَرَتْ أولا في المصدر، ثم تبعتها في الفعل ، على ما لا يخفى .

والخيام جمع خيمة ، وتجمع على خيمات وخَيْم (وخِيَم بالفتح وكعِنَب)[١]، والخيمة كما في القاموس : أَكَمَةٌ فوق أَبَانَيْن ، وكل بيت مستدير أو ثلاثة أعواد أو أربعة يُلقى عليها الثُّمَام ، ويُستظل بها في الحَرِّ ، أو كل[٢] بيت يبنى من عيدان الشجر ، وتَخَيَّم هنا : ضرب خيمته به ، والريح الطيبة في الثوب عَبِقَت به ، والخِيم بالكسر : السجيّة والطبيعة بلا واحد ، وفِرِنْد السيف . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

آوَى لِقَـــبْرٍ مُفْـــرَدًا ... وَالـــتُّرْبُ قَـــدْ جَمَعَـــتْ عِظَامَـــهْ[٣]

المأوى : كل مكان يَأْوِي إليه (شيء)[٤] ليلا أو نهارا ، وقد أوى إلى منزله يأوِي كرَمَى يَرْمِي ، أُوِيًّا على وزن فُعُول[٥] ، وإِواءً على وزن فِعَال[٦] ، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾[٧] ، وآوَاه غَيْرُه (إيواءً)[٨] أنزله به ، وأَوَاه أيضا فَعَل[٩] به

(١) ما بين القوسين زيادة من القاموس يتم بها القول .

(٢) في جميع المخطوطات : "كل" بإسقاط همزة "أو" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٣) في النفح : "أمسى بقبر . . ." .

(٤) ما بين القوسين زيادة من المختار يتم بها الأسلوب .

(٥) في نسخة الأصل م : "فعلا" ، وفي النسختين د ، ك "فعيلا" ، واعتمدت ما في المختار .

(٦) في جميع المخطوطات : "فعالا" ، واعتمدت ما في المختار .

(٧) سورة هود، الآية: (٤٣).

، كما في المختار .

والقبر : واحد القبور، وقد تقدم الكلام عليه، ورؤيتُه مُخَشّعَةٌ للقلب، مذكِّرةٌ للقاء الرب ، فَقِسْ[1] زيارته[2] وعدم نسيانه ، فعسى الزائر أن يتعظ بمن مضى من إخوانه، قال الضّحّاك : قال رجل: يا رسول الله مَن أزهد الناس؟ قال[3]: من لم ينس القبر والبِلَى[4]، وترك زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، ولم يَعُدَّ غدا من أيامه ، وعَدَّ نفسه من أهل القبور .

وقيل لعليّ : ما شأنك جاورتَ المقبرة ؟ قال : إني أجدهم خير جيران صِدْق ، يكفُّون الألسنة ، ويُذَكِّرون الآخرة .

وكان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر بكى حتى يَبُلَّ لحيته، فسئل عن ذلك، وقيل له : تَذْكُرُ الجنَّةَ والنَّارَ [٤٢٥/ظ] فلا تَبْكِي ، وتَبْكِي إذا وقَفْتَ على قبرٍ ، فقال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول[5] : **"إن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه صاحبُه فما بعده أيسر ، وإن لم يَنْجُ منه فما بعده أشد"** .

وقال مجاهد[6] : أول ما تُكلم ابن آدم حفرتُه فتقول : أنا بيت الدود ، وأنا بيت الغُربة ، وبيت الوحدة ، وبيت الظُّلمة ، هذا ما أعددتُ لك ، فما أعددتَ لي ؟ .

---

(٨) ما بين القوسين زيادة من المختار يتم بها السياق ، وفي الجميع "أو أنزله" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٩) في المختار : "فعل وأفعل بمعنى واحد عند أبي زيد" ، وقوله : "به" ليس في المختار .

(١) [كذا] في النسختين د ، ك وفي نسخة الأصل م : "قسن" ، وهو أسلوب ركيك في الحالين .

(٢) في النسخة د ، ك : "زيادته" .

(٣) لم أعثر على هذا الحديث .

(٤) في جميع المخطوطات : "والبلا" .

(٥) جاء في مسند الإمام أحمد عن عثمان في الحديث رقم ٤٥٤ ، وجاء الجزء الأول منه في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢/٩٠ .

(٦) لم أعثر على هذا القول .

وكان أبو بكر العابد يقول[١] : يا أُماه ، ليتك كنت بي عقيمًا ، إن لابنك في القبر حَبْسًا طويلا ، [٢]ومن بعد ذلك منه رحيلا .

وقال حاتم الأصم : من مَرَّ بالمقابر فلم يتفكّر لنفسه ، ولم يَدْعُ لهم فقد خان نفسه وخانهم . وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول : ما أحسن ظواهرك[٣] ، إنما الدواهي في بواطنك .

وقال سفيان[٤] : مَنْ أَكثر ذِكْر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل[٥] عن ذِكْره وجده حفرة من حُفَر النار .

وقال ثابت البُنَاني : دخلتُ المقابر، فلما أردتُ الخروج منها إذا بصوتِ قائلٍ يقول: لا يغرنك صموتُ[٦] أهلها ، فكم من نَفْس مغمومة فيها .

ويُروى[٧] أن فاطمة بنت الحسن نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطَّتْ وجهها وقالت شعرا[٨]:

وَكَانُوا رَجَاءً ثُمَّ أَمْسَوْا رَزِيَّةً ... لَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزَايَا وَجَلَّتِ

وقيل : إنها ضربت على قبره فُسطاطا ، واعتكفت [٤٢٦/و] عليه سَنَة ، فلما

---

(١) لم أعثر على هذا القول .

(٢) [كذا] جاء في الجميع هذا الجزء من القول ، ويبدو أن الصواب : "ومن بعد ذلك لا يستطيع منه رحيلا".

(٣) في النسخة ك : "ظواهري" .

(٤) لم أعثر على هذا القول .

(٥) في النسخة ك : "أغفل" .

(٦) في النسختين د ، ك : "صوت" بإسقاط الميم .

(٧) الرواية في الحدائق الغناء في أخبار النساء، للمالقي: ١٣٢.

(٨) البيت من الطويل، وهو في المصدر السابق: ١٣٢.

مضت السَّنَة قلعوا الفسطاط ، ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع : هل[1] وجدوا ما فقدوا ؟ فسمعوا صوتا من جانب البقيع الآخر : بل يئسوا فانقلبوا .

وقيل[2] : مَرَّ فارس بغلام فقال : يا غلام ، أين العُمْرَانُ ؟ فقال : اصعدْ إلى الشّرف ، فصعد فأشرف على مقبرة فقال : إن الغلام لجاهل أو حكيم ، فرجع فقال سألتك عن العمران فدللتني على المقبرة ، قال : إني رأيت أهل هذه ينقلبون إلى تيك ، ولم أَرَ أحدًا منهم ينتقل من تيك إلى هذه ، وإنما يُنتقل من الخراب إلى العمران ، ولو سألتني عما يواريك وَدَّيْتُك[3] إلى تيك ودللتك .

قال النبيُّ (ﷺ) لأصحابه[4] : "**استحيوا من الله حقّ الحَياء ، قالوا : إنا لَنستحيي والحمد لله ، قال: ليس كذلك ، ولكن مَن استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وَعَى، والبطن وما حَوَى، وليذكر الموت والبِلَى**[5]**، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا**".

وقال أبو موسى التيمي تُوُفِّيَت، امرأة الفرزدق، فخرج في جنازتها وجوه أهل البَصرة، فيهم الحسن[6]، فقال له الحسن: يا أبا فراس: ماذا أعددتَ لهذا القبر؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ[7] ستين سنة، فلما دُفنت قام الفَرَزدق وقال شعرا[8] :

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي ... أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ الْتِهَابًا وَأَضْيَقَا

---

(١) جملة الاستفهام كلها "فسمعوا صوتا من جانب البقيع" ساقطة من النسختين د ، ك .

(٢) لم أعثر على هذا .

(٣) [كذا] جاءت الكلمة في جميع المخطوطات .

(٤) الحديث في مسند الإمام أحمد في رقم ٦٣٧١ ، وجاء في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١٢٥/١ .

(٥) في جميع المخطوطات : "والبلا" .

(٦) المقصود به هو الحسن البصري ، كما في شرح ديوان الفرزدق ٥٧٧/٢ و ٥٧٨ .

(٧) في شرح ديوان الفرزدق : "مذ ثمانون سنة" .

(٨) الأبيات من [الطويل] ، وهي في ديوان الفرزدق ٥٧٨/٢ مع تقديم وتأخير .

إِذَا جَـــاءَنِي يَـــوْمَ الْقِيَامَـــةِ قَائِـــدٌ   عَنِيـــفٌ وَسَـــوَّاقٌ يَسُـــوقُ الْفَرَزْدَقَـــا

لَقَـدْ خَـابَ مِـنْ أَوْلاَدِ دَارِمَ مَـنْ مَشَـى   إِلَى الـــدَّارِ مَغْلُـــولَ الْقِـــلاَدَةِ أَزْرَقَـــا[1]

[٤٢٦/ظ] وأنشدوا في القبور وأهلها[2]:

قِـــفْ بِالْقُبُـــورِ وَنَادِ فِي سِـــيَاحَتِهَا   مَـــنْ مِـــنْكُمُ الْمَغْمُـــورُ فِي ظُلُمَاتِهَـــا[3]

وَمَـــنِ الْمُكَـــرَّمُ مِـــنْكُمُ فِي قَعْرِهَـــا   قَـــدْ ذَاقَ بَـــرْدَ الْأَرْضِ مِـــنْ رَوْعَاتِهَـــا

أَمَّـا السُّـكُونُ لَـدَى الْعُيُـونِ فَوَاحِـدٌ   لاَ يَسْـــتَبِينُ الْفَضْـــلَ فِي دَرَجَاتِهَـــا[4]

لَـــوْ جَـــاوَبُوكَ لأَخْـــبَرُوكَ بِأَلْسُـــنٍ   تَصِـــفُ الْحَقَـــائِقَ بَعْـــدُ مِـــنْ حَالاَتِهَـــا

أَمَّـــا الْمُطِيـــعُ فَنَـــازِلٌ فِي رَوْضَـــةٍ   يُفْضِـــي إِلَى مَـــا شَـــاءَ مِـــنْ رَاحَاتِهَـــا

وَالْمُجْـــرِمُ الطَّـــاغِي بِهَـــا مُتَقَلِّـــبٌ   فِي حُفْـــــرَةٍ يَأْوِي إِلَى حَيَّاتِهَـــــا

وَعَقَـــارِبٌ تَسْـــعَى إِلَيْـــهِ فَرُوحُـــهُ   فِي شِـــدَّةِ التَّعْـــذِيبِ مِـــنْ لَـــدَغَاتِهَا

وقال مالك بن دينار: مررتُ بالقبور فأنشدتُ أقول شعرا:

أَتَيْـــتُ الْقُبُـــورَ فَنَادَيْتُهَـــا   فَـــأَيْن الْمُعَظَّـــمُ وَالْمُحْتَقَـــرْ ؟[5]

---

(١) في الديوان : "إلى النار مشدود الخناقة . . ." .

(٢) الأبيات من [الكامل] ، ولم أعثر عليها .

(٣) في جميع المخطوطات : ". . . وفادى" ، وفي النسختين د ، ك : "في ساحاتها" ، وهو خطأ في الوزن .

(٤) في نسخة الأصل م: "أما السكون لدا" [كذا]، وفي النسختين د، ك: "لدا القبور"، ويبدو لي أنه أحسن.

(٥) البيتان من [المتقارب] ، وهما في عيون الأخبار ٣٠٢/٢ .

وَأَيْـــــنَ الْمُـــــدِلُّ بِسُـــــلْطَانِهِ وَأَيْـــنَ الْمُزَكِّـــي إِذَا مَـــا افْتَخَـــر؟[١]

فقال : فنوديتُ من بينهم أسمع صوتًا ولا أرى شخصاً، وهو يقول:

تَفَـــانَوْا جَمِيعًـــا فَـــلاَ مُخْـــبِرٌ وَمَـــاتُوا جَمِيعًـــا وَمَـــاتَ الخَـــبَرْ[٢]

فَيَـــا سَـــائِلِي عَـــنْ أُنَاسٍ مَضَـــوْا أَمَـــا لَـــكَ فِيمَـــا تَـــرَى مُعْتَـــبَرْ

تَـــرُوحُ وَتَغْـــدُو بَنَـــاتُ الثَّـــرَى وَتَمْحُـــو مَحَاسِـــنَ تِلْـــكَ الصُّـــوَرْ

قال فرجعتُ وأنا بَاكٍ .

وقال بعضهم شعرا[٣] :

بَاتُـــوا عَلَـــى قُلَـــلِ الجِْبَـــالِ تَحْرُسُـــهُمْ غُلْـبُ الرِّجَـالِ فَلَـمْ يَـنْفَعْهُمُ الْقُلَـلُ[٤]

وَاسْـــتُنْزِلُوا مِـــنْ مَعَـــالِي عِـــزِّ مَعْقِلِهِـــمْ فَأُسْـكِنُوا حُفَـرًا يَا بِـئْسَ مَـا نَزَلُـوا[٥]

نَادَاهُـــمُ صَـــارِخٌ مِـــنْ بَعْـــدِ مَـــا دُفِنُـــوا أَيْـــنَ اْلأَسِـــرَّةُ وَالتِّيجَـــانُ وَالحُلَـــلُ ؟!

أَيْـــنَ الْوُجُـــوهُ الَّـــتِي كَانَـــتْ مُنَعَّمَـــةً مِـنْ دُونِهَـا تُضْـرَبُ اْلأَسْـتَارُ وَالْكِلَـلُ ؟[٦]

---

(١) في جميع المخطوطات : "وأين المذل . . ."بالذال المعجمة .

(٢) الأبيات من [المتقارب] ، وهي في عيون الأخبار ٣٠٣/٢ .

(٣) الأبيات من [البسيط] ، وهي في عيون الأخبار ٣٠٣/٢ ، ووفيات الأعيان ٢٧٢/٣ .

(٤) في المصدرين المذكورين : "قُلل الأجبال" ، وكلاهما صحيح .

(٥) في المصدرين المذكورين : "واستزلوا بعد عز من معاقلهم . . . فأسكنوا حفرة . . ." ، وفي النسختين د ، ك : "فأمكنوا حفرا" .

(٦) الكِلَل: جمع كِلَّةْ بكسر الكاف جاء في اللسان:"والكِلَّة: السِّتر الرقيق يُخاط كالبيت يُتَوَقّى فيه من البَقِّ، وفي

فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ عِنْدَ سَائِلِهِمْ ... تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَتِلُ(١)

[٤٢٧/و] قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا يَوْمًا وَمَا ... فَأَصْبَحُوا بَعْدَ ذَاكَ الْأَكْلِ قَدْ أُكِلُوا(٢)

وقال بعضهم شعرا(٣) :

وَعَظَتْكَ أَجْدَاثٌ صُمُتْ ... وَنَعَتْكَ أَزْمِنَةٌ خُفُتْ

وَارَتْكَ قَبْرَكَ فِي الْقُبُو ... رِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَمْ تَمُتْ

وأوصى بعض العلماء أن يُكتب على قبره هذه(٤) الأبيات :

إِلَهِي قَدْ أَصْبَحْتُ ضَيْفَكَ فِي الثَّرَى ... وَلِلضَّيْفِ حَقٌّ عِنْدَ كُلِّ كَرِيمِ(٥)

فَهَبْ لِي ذُنُوبِي فِي قِرَايَ فَإِنَّهَا ... عَظِيمٌ وَلا يُقْرَى بِغَيْرِ عَظِيمِ

ووُجد مكتوبا على قبر، شعر(٦) :

تُنَاجِيكَ أَجْدَاثٌ وَهُنَّ سُكُوتُ ... وَسُكَّانُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتُ

المحكم: الكِلَّة السِّتر الرقيق، قال: والكِلَّة غشاءٌ من ثوب رقيق يُتوقَّى به من البَعُوض". اللسان / مادة كلل.

(١) في المصدرين المذكورين : "فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم" ، وفي النسختين د ، ك : "فأفصح القبر عنهم ساءلهم" بإسقاط "عند" سهوا .

(٢) في المصدرين المذكورين : "قد طال ما أكلوا دهرا وما نعموا" .

(٣) البيتان من [مجزوء الكامل]، وهما ضمن ثلاثة أبيات، لأبي العتاهية في عيون الأخبار ٣٠٦/٢، وهما ضمن أربعة أبيات في ديوان أبي العتاهية ٧٨ و ٧٩ مع بعض اختلاف ، وما هنا يوافق عيون الأخبار .

(٤) الأوفق : "هذان البيتان" .

(٥) البيتان من [الطويل] ، وهما في وفيات الأعيان ١٧٣/٥ .

(٦) البيتان من [الطويل] ، ولم أعثر عليهما .

أَيَا جَـــامِعَ الـــدُّنْيَا بِغَـــيْرِ بَلاَغَـــةٍ لِمَـــنْ تَجْمَـــعِ الـــدُّنْيَا وَأَنْـــتَ تَمُـــوتُ

ووُجد على قبر آخر مكتوب[1] هذا الشعر :

أَيَا غَـــانِمٍ أَمَّـــا ذَرَاكَ فَوَاسِـــعٌ وَقَـــبْرُكَ مَعْمُـــورُ الْجَوَانِـــبِ مُحْكَـــمُ[2]

وَمَـا يَنْفَـعُ الْمَقْبُـورَ عُمْـرَانُ قَـبْرِهِ إِذَا كَـانَ فِيـهِ جِسْـمُهُ يَتَهَـدَّمُ

وقال ابنُ السماك : مررتُ على المقابر فإذا على قبر مكتوب[3] :

يَمُـــرُّ أَقَـــارِبِي جَنَبَـــاتِ قَـــبْرِي كَـــأَنَّ أَقَـــارِبِي لَمْ يَعْرِفُـــونِي

وَذُو الْمِـــيرَاثِ يَقْتَسِـــمُونَ مَـــالِي وَمَـــا يَأْلُـــونَ أَنْ جَحَـــدُوا دُيُـــونِي

وَقَـــدْ أَخَـــذُوا سِـــهَامَهُمُ وعَاشُـــوا فَيَـــا للهِ أَسْـــرَعَ مَـــا نَسُـــونِي

ووُجد على قبر مكتوب[4] :

إِنَّ الْحَبِيـبَ مِـنْ أَلْأَحْبَـابِ مُخْـتَلَسُ لاَ يَمْنَـعُ الْمَـوْتَ بَـوَّابٌ وَلاَ حَـرَسُ

[٤٢٧/ظ] فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا يَا مَـنْ يَعَـدُّ عَلَيْـهِ اللَّفْـظُ وَالـنَّفَسُ

أَصْبَحتَ يَا غَـافِلاً فِي الـنَّقْصِ مُنْغَمِسًـا وَأَنْـتَ دَهْـرَكَ فِي اللَّـذَّاتِ مُـنْغَمِسُ

(١) في جميع المخطوطات : "مكتوبا" ، وهو خطأ لأنه نائب فاعل ويمكن أن يكون "هذا الشعر" هو نائب فاعل ، ويكون الأحسن حينئذ أن يقال : "وجد على قبر هذا الشعر مكتوبا" .

(٢) البيتان من [الطويل] ، وهما في البصائر والذخائر ٧٩/٨ .

(٣) الأبيات من [الوافر] ، ولم أعثر عليها، والكلمة الأولى من البيت الثاني هكذا في النسخ وأظنها تحريفا وصوابه في رأيي: "ذوو الميراث" .

(٤) الأبيات من [البسيط] ، ولم أعثر عليها .

لاَ يَـــرْحَمُ الْمَـــوْتُ ذَا جَهْـــلٍ لِغِرَّتِـــهِ   وَلاَ الَّـــذِي كَـــانَ مِنْـــهُ الْعِلْـــمُ يُقْتَـــبَسُ

قَــدْ كَــانَ قَصْــرُكَ مَعْمُــورًا لَــهُ شَــرَفٌ   فَقَــبْرُكَ الْيَــوْمَ فِي ٱلأَجْــدَاثِ مُنْــدَرِسُ

كَـمْ أَخْـرَسَ الْمَـوْتُ مِـنْ قَـبْرٍ وَقَفْـتَ بِـهِ   عَــنِ الْجَــوَابِ لِســانًا مَـا بِــهِ خَـرَسُ[١]

ووُجد على القبر مكتوب[٢] :

وَقَفْــتُ عَلَــى ٱلأَحِبَّــةِ حِــينَ صُــفَّتْ   قُبُـــــورُهُمُ كَـــــأَفْرَاسِ الرِّهَـــــانِ[٣]

فَلَمَّـــا أَنْ بَكَيْـــتُ وَفَـــاضَ دَمْعِـــي   رَأَتْ عَيْنَـــــاىَ بَيْنَهُمَـــــا مَكَـــــانِي

ووُجد مكتوب[٤] على قبر حبيب[٥] :

قَـــدْ قُلْـــتُ لَمَّـــا قَـــالَ لِي قَائِـــلٌ   قَـــدْ صَـــارَ لُقْمَـــانُ إِلَى رَمْسِـــهِ

فَـــأَيْنَ مَـــا يُوصَـــفُ مِـــنْ طِبِّـــهِ   وَحِذْقِـــهِ فِي الْمَـــاءِ مَـــعْ جَسِّـــهِ

هَيْهَـــاتَ لاَ يَـــدْفَعُ عَـــنْ غَـــيْرِهِ   مَـــنْ كَـــانَ لاَ يَـــدْفَعُ عَـــنْ نَفْسِـــهِ

ووُجد مكتوب[٦] على قبر آخر[٧] :

---

(١) في نسخة الأصل م جاء الشطر الأول هكذا : "كم أخرس القبر من خلق وقفت به" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٢) في جميع المخطوطات : "مكتوبا" ، وهو خطأ .

(٣) البيتان من [الوافر] ، ولم أعثر عليهما .

(٤) في جميع المخطوطات "مكتوبا" .

(٥) الأبيات من [السريع] ، وهي في بهجة المجالس، وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس، لابن عبد البر القرطبي، في باب المرض والطب، وقد عزاها إلى محمود الوراق الشاعر .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كَانَ لِي أَمَلٌ   قَصَّرَ بِي عَنْ بُلُوغِهِ الْأَجَلُ

فَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ رَجُلٌ   أَمْكَنَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ الْعَمَلُ

مَا أَنَا وَحْدِي نُقِلْتُ حَيْثُ تَرَى   كُلٌّ إِلَى مِثْلِهِ سَيَنْتَقِلُ[1]

ووُجد على قبر آخر[2] :

اَلْمَوْتُ بَحْرٌ مَوْجُهُ طَافِحْ   تَضِيقُ فِيهِ حِيْلَةُ السَّابِحْ

يَا شَيْخُ إِنِّي قَائِلٌ فَاسْتَمِعْ   مَقَالَةً مِنْ مُشْفِقٍ نَاصِحْ

[٤٢٨/و] مَا يَصْحَبُ الْعَبْدَ إِلَى قَبْرِهِ   غَيْرُ التُّقَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحْ

فهذه أبيات كتبت على القبور ليفضى بمتأملها إلى الاعتبار بها قبل الموت ، والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم ، فيستعد للُّحوق بهم ، ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما يلحق بهم .

والتُّرب والتُّربة والتُّرَاب والتَّوْراب والتَّوْرب والتَّيْرَب، والثلاثة الأخيرة مفتوحة التاء، والأوليات بضمها ، والكل بمعنى ، وجمع التُّراب أَتْرِبة ، وتِرْبَان[3] بكسر التاء ، وتَرِب الشيء : أصابه التراب ، ومنه تَرِب الرجلُ إذا افتَقَر ، لأنه ألصق بالتراب ، وتَرِبَتْ يدُه : دُعي عليه لا أصابَ خيرا ، وتَرَّبه تَتْرِيْبًا فَتَتَرَّب : أي لطّخه بالتراب فتلطَّخ ، وأَتْرَبَه جعل عليه التراب ،

---

(٦) في جميع المخطوطات : "مكتوبا" .

(٧) الأبيات من [المنسرح] ، وهي في وفيات الأعيان ١٧٣/٥ .

(١) في الوفيات : "كل إلى ما نقلت ينتقل" .

(٢) الأبيات من [السريع] ، ولم أعثر عليها .

(٣) في جميع المخطوطات : "وتربا" ، واعتمدت ما في القاموس .

وفي الحديث[١] : "**أَتْرِبوا الكتابَ فإنه أنْجَح للحاجة**" ، وأتْرب الرجلُ: استغنى ، كأنه صار له من مال بقدر التراب أيضا ، والتِّرْب بالكسر : اللِّدَةُ[٢] ، والمتْرَبَةُ : الفاقة والمسْكَنة .

وقوله: جَمعَتْ عِظَامَهُ، يقال: جُمع الشيءُ المتفرق فاجتمع، وبابه قطع، وتَجمَّع القومُ: اجتمعوا من هنا ومن هنا. ومعنى جمع التربة عظامه، يعنى تجمّعها بعد تفرّقها . والعِظَام جمع عَظْم .

قال الناظم[٣] :

مِـــــنْ بَعْــــدِ تَثْنِيَـــــةِ الْـــــوِزَا رَةِ جَـــــادَهُ صَـــــوْبُ الْغَمَامَـــــهْ

قد تقدم الكلام على الوزارة بما لا مزيد عليه ، ومعنى تثنية الوزارة أنه كان ثاني الوزراء ، وقوله : جادَه ، يقال : جاد وأجاد : أتى بالجيِّد ، وجادت العينُ جَوْدًا وجُؤُدًا[٤] كَثُر دمعُها ، والجَوْدُ المطر الغزير ، [٤٢٨/ظ] كما في القاموس .

والصَّوْبُ نزول المطر، والصَّيِّب السحاب. ذو الصَّوْب[٥]، وصابه المطرُ أي مُطر.

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث في كتب الحديث ، ولكنه جاء في بهجة المجالس١/٣٥٦ هكذا : "أتربوا الكتب وسَحّوها من أسفلها ، فإنه أنجح للحاجة" ، وفي هامشه ذكر المحقق – رحمه الله – أنه ضعيف ، وفي كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/٩٥ : "إذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فإنه أنجح للحاجة ، رواه الترمذي وفي لفظ : أتربوا الكتاب فإن التراب مبارك ، وقال : منكر ، وبعد ذلك بعدة سطور : تربوا الكتاب فإن التراب مبارك وهو أنجح للحاجة ، وقال عنه يحيى بن معين : إن إسناده لا يساوى فلسا .

(٢) في جميع المخطوطات : "اللذة" بالذال المعجمة ، والتصحيح من القاموس ، وفي القاموس بعده : "والسِّنّ ومن وُلد معك" .

(٣) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٤) في جميع المخطوطات : "وجودا" ، واعتمدت ما في القاموس .

(٥) في جميع المخطوطات : "والصوت" ، واعتمدت ما في المختار .

والغَمامة واحدة الغمام وهو السحاب . كذا في المختار .

ويحتمل أن يكون في هذا البيت وفي الذي قبله توجيه ؛ لأن قوله في البيت قبله أوى لقبر مفردا ، وقوله فيه قد جمعت عظامه شبيه التوجيه ، لاحتمال مفردًا المدح ، أي حال كونه فردًا في الكمالات، أو الذم أي فردًا ذليلا حقيرا ، وينبني على هذا التفسير[1] قوله قد جمعت عظامه أي عظامه الشريفة على الأول ، أو جمعت عظامه بعد أن كانت متفرقة لا يمكن الوصول إليها ، فهي الآن مندثرةٌ في التراب لا يُعبأُ بها ، وكذا قوله في هذا البيت بعد تثنية الوزارة على ما لا يخفى.

والتوجيه قد فسرته[2] علماءُ البيان : إيراد[3] الكلام محتملا لوجهين مختلفين كقوله:

خَـــاطَ لِي عَمْـــرٌو قِبَـــاءْ لَيْـــتَ عَيْنَيْـــهِ سَـــوَاءْ

وقال آخر في الحسَن بن سَهل لما زوّج ابنته بُوران بالخليفة :

بَارَكَ اللهُ لِلْحَسَـــنْ وَلِبُـــورَانَ فِي الْخَـــتَنْ[4]

(١) في نسخة الأصل م : "التفسيرين" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٢) هكذا جاء الفعل بالتأنيث في جميع المخطوطات ، وهو جائز ؛ لأن الفاعل جمع تكسير ، قال الله تعالى : {قالت الأعراب آمنا} [الحجرات:١٤] .

(٣) هذا التعريف بنصه في الإيضاح في علوم البلاغة ٨١/٦ ، وفيه بيت الشعر، وخُرّج في هامشه على أنه لبشار ، وقد وجدته في ملحقات ديوان بشار ١٤/٤ ، ولكنه بالقصر في الشطرين، والبيت من من مجزوء الرمل.

(٤) البيتان من [مجزوء الخفيف] ، وينسبان إلى محمد بن حازم الباهلي وهما في ديوانه "ديوان محمد بن حازم الباهلي" صنعه محمد خير البقاعي، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٤٠١، هـ ١٩٨١م، ص ١٠٦، وفي تحرير التحبير ، ص ٥٩٧. وهما أيضا في وفيات الأعيان ٢٨٩/١، وجاء البيتان في صورة النثر في جميع المخطوطات.

يَا إِمَـــــامَ الْهُـــــــدَى ظَفِـــــرْ   تَ وَلَكِــــــنْ بِبِنْـــــتِ مَـــــــنْ[1]

فلم يعلم ما أراد بقوله : ببنت مَن في الرِّفْعة أم الحَقَارة .

وقال[2] أبو مُسلم الخُراساني يوما لسليمان بن كثير: إنك كنت في مجلس، وقد جرى ذِكْرِي، فقلْتَ: اللهمَّ سَوِّدْ وَجْهَهُ، واقطعْ رأسَهُ، واسقِنِي من دمِهِ، فقال : نعَمْ قلتُ ذلكَ ونَحْنُ جُلُوسٌ بِكَرْم[3] حِصْرِمٍ، فاستحسن إبهامه، وعفا عنه.

[٤٢٩/و] ومنه قوله (ﷺ)[4]:"**إذا لم تَسْتَحِ فاصنع ما شئت**"، فإنه يَحْتَمِلُ مَدْحًا وذمًّا، الأوَّلُ: إذا لم تَسْتَحِ فِعْلا يُسْتَحْيَا منه فاصْنَعْ ما شِئْتَ، والثَّانِي : إذا لم يكُنْ لك حَياءٌ يمنعُكَ فاصْنع ما شِئْتَ.

وقريب من هذا -المعنى والنوع- المواربة، وهي أن يقول المتكلم قولا يتضمن ما يُنكَر عليه فإذا حصل الإنكار استحضر بحذقه وجهًا يتخلص به، إما بتحريف أو تصحيف أو زيادة أو حذفها[5]، فمن الحذف قول أبي النُّوَاسِ يهْجو خَالِصةَ جاريةَ الرَّشيد[6] :

لَقَــدْ ضَـــاعَ شِـــعْرِي عَلَـــى بَابِكُـــمْ   كَمَـــا ضَـــاعَ دُرٌّ عَلَـــى خَالِصَـــهْ

---

(١) في نسخة الأصل م : "بارك الله في الحسن" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك وهما يوافقان ما جاء في الوفيات.

(٢) لم أعثر على هذا القول .

(٣) يبدو لي أنه أوهمه بأنه يدعو على هذا النوع من العنب بأن يُقْطف ويعصر ويخمر ، ثم يشرب منه .

(٤) جاء هذا الحديث في مسند الإمام أحمد في أرقام ١٧٠٩٠ و ١٧٠٩٨ و ١٧١٠٧ و ٢٢٣٤٥ و ٢٣٢٥٤ و ٢٣٤٤١ ، ولكن فيه : "إذا لم تستحي . . ." ، وجاء بالصيغة التي هنا في كشف الخفاء ٩٨/١ ، وفي الكتابين تخريج واسع .

(٥) [كذا] في جميع المخطوطات ، والأحسن "أو حذف" ، والكلام الآتي يؤيد ذلك .

(٦) البيت من [المتقارب]،ولم أعثر عليه في ديوان أبي نواس [ط الغزالي] و ط دار صادر بيروت، وهو في شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص٣٠١.

فلما بلَغ الرشيدَ أنكَرَ عليه وهَدّده، فقال: لم أَقُلْ إلا "ضَاءَ" فاستحسن مواربته، وقال بعض مَن حضر: هذا بيت قُلِعَتْ عيْنَاهُ فأبْصَرَ.

وشاهد التَّصْحيفِ قولُ العِزِّ المَوْصلي[1] لما مات فتح الدين بن الشهيد وشمس الدين المزين:

دِمَشْــــقُ قَالَـــتْ لَنَـــا مَقَـــالاً مَعْنَـــاهُ فِي ذَا الزَّمَـــانِ بَـــيِّنْ[2]

اِنْـــدَمَلَ الجُـــرْحُ وَاسْـــتَرَاحَتْ ذَاتِي مِـــنَ الْفَـــتْحِ وَالْمُـــزَيِّنْ

ومن التوجيه قول العلاء الوداعي[3] :

مَـــنْ أَمَّ بَابَكَ لَمْ تَـــبْرَحْ جَوَارِحُـــهُ تَـرْوِى أَحَادِيثَ مَـا أَوْلَيْتَ مِـنْ مِـنَنِ[4]

---

(١) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر بن محمد بن أبي الخير العلامة عز الدين الموصلي الشاعر المشهور نزيل دمشق مهر في النظم وجلس مع الشهود بدمشق تحت الساعات وأقام بحلب مدة وجمع ديوان شعره في مجلد وله البديعية المشهورة قصيدة نبوية عارض بها بديعية الصفي الحلي وزاد عليه أن التزم أن يودع كل بيت اسم النوع البديعي بطريق التورية أو الاستخدام وشرحها في مجلدة واحدة وله أخرى لامية على وزن بانت سعاد مات في سنة ٧٨٩". الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، باب ذكر من اسمه عليّ.٣٧٥/١. والأعلام ٢٨٠/٤.

(٢) البيتان من [مخلع البسيط] ، ولم أعثر عليهما .

(٣) هو علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمرو بن زيد، الأديب البارع، المقرئ المحدِّث، الكاتب المنشئ، علاء الدين الكندي المعروف بالوداعي، كاتب ابن وداعة، نظر في العربية، وحفظ كثيرا من أشعار العرب. ت ٧١٦هـ [من فوات الوفيات ٩٨/٣] . وذكر محقق النجوم الزاهرة قال:" والذي في معاهد التنصيص أن هذين البيتين لرشيد الدين الو[illegible]واط، واسمه محمد بن عبد الجليل كما في بغية الوعاة للسيو[illegible]ي، ومعجم الأدباء لياقوت" ثم قال: " والوداعي (بالفتح ومهملتين) نسبة إلى بني وداعة بطن من همدان ، وقال ابن الأثير إنما هو وادعة، أو إلى أبي وداعة السهمي ، وعلاء الدين الوداعي وهو صاحب التذكر الكندية في خمسين مجلدا، توفي سنة ٧١٦ هـ "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٨م، ٣٨٣/٥.

(٤) البيتان من [البسيط]، وهما في فوات الوفيات ٩٩/٣ ، وفيه : "من زار بابك... تروى محاسن" .

فَـالْعَيْنُ عَـنْ قُـرَّةٍ وَالْكَـفُّ عَـنْ صِـلَةٍ وَالْقَلْـبُ عَنْ جَابِرٍ وَالسَّـمْعُ عَنْ حَسَـنِ(١)

وجّه بقُرَّة بن خَالد الدّوسيّ، وصِلَة بن أشْيَم العَدوي التابعي، وجابر الصَّحابي، والحَسن البصري.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لَمْ يَبْـقَ إلاَّ ذِكْـرُهُ كَـالزَّهْرِ مُفْـتَرَّ الْكِمَامَـهْ

الذِّكر كما في القاموس : بالكسر : الحفظُ للشيء كالتَّذكار ، والشيء يجرى على [٤٢٩/ظ] اللسان، وليسا بمُرَادين هنا، ويُطلق على الصِّيت كالذُّكرة بالضم، والثناءُ والشرف، ويصح إرادة كل واحد منهم هنا . وقوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) اسم للتذكير ، ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٣) عِبْرة لهم ، ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾(٤) من أين لهم التوبة ، ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾(٥) يُذَكَّرون بالدار الآخرة ، ويُزَهَّدُون في الدنيا ، ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾(٦) أي فكيف لهم إذا جاءتهم الساعة بذِكْراهم(٧) .

(١) في فوات الوفيات : "... والأذن عن حسن" .

(٢) سورة الأعراف، الآية (٢)، وهود، الآية: (١٢٠).

(٣) سورة ص، الآية: (٤٣)، وغافر، الآية: (٥٤).

(٤) سورة الفجر، الآية: (٢٣).

(٥) سورة ص، الآية: (٤٦).

(٦) سورة محمد، الآية: (١٨).

(٧) في جميع المخطوطات : "بذكرهم" ، واعتمدت ما في القاموس .

وقول الناظم : لم يبق إلا ذِكْره ، أي ذِكْر ممدوحه لسان الدين ، وهذا من بليغ المدح ، إشارة إلى أن صدقاته جارية بعد موته ، فعمله باق وإن مات ، فقد ورد في الحديث عنه (ﷺ) أنه قال[1] : **"إذا مات ابنُ آدم انقطَع عَمله إلا من ثلاث : صَدَقَة جارية ، أو عِلْم يُنتفع به ، أو وَلَد صالح يدعو له"** .

وقد نقلت أرباب التفاسير في قوله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾[2] أي ثناء حسنا ، أي اجعل لي ثناء حسنا في الدنيا يكون بعدي إلى يوم القيامة ، وقد استجاب الله دعاءه . كذَا في بعض التفاسير[3] .

والزَّهْر[4] جمع زهرة وهي النبات ونَوْرُه ، أو الأصفر منه ، ومن الدنيا بهجتها ، ونَضَارتها وحُسنُها ، والزُّهرة بالضم : البياض والحُسْن ، وزَهَرَ السراجُ والقمرُ والوجهُ كمنع زُهُورا : تلألأ كازدهر ، والنارُ : أضاءت ، والأزْهر : القمر ، ويوم الجمعة [٤٣٠/و] والثور الوحشي ، والأسد الأبيض اللون والمشْرِق الوجه . انتهى .

وقوله : مفتر الكمامة قال في القاموس : افترّ : ضحك ضَحِكا حسنا ، والكِمام بالكسر في الأصل وعاءُ الطَّلْع . والمراد[5] به غطاء الزهر ، يقال : كمَّه إذا غطَّاه ، وافترارها : انشقاقها عن الزهر ، فكأن الناظم رحمه الله شبه ممدوحه بالزهر المخبأ تحت الكِمَام ، وشبه مآثره الكائنة بعد موته بعبير الزهور وعَرْفِه ، فكما أن عبير الزهور يُنْشَق بعد افترار الكِمَام عنه فترتاح له القلوب ، كذلك مآثره الحسنة بعد موته ترتاح لسماعها الأرواح ، وتطلب له الرحمة

(١) جاء الحديث في مسند الإمام أحمد في رقم ٨٨٤٤ وفيه : "إذا مات الإنسان . . ." ، وجاء بالصورتين في كشف الخفاء ٩٩/١ ، وفي الكتابين تخريج الحديث تخريجا واسعا .

(٢) سورة الشعراء، الآية: (٨٤).

(٣) جاء هذا في تفسير الطبري ٩٣/١٧ ، وما بعدها بمعناه وليس بلفظه .

(٤) هذا من القاموس وإن لم يصرح الشارح بذلك كما عودنا بالتصريح .

(٥) من هنا ليس في القاموس .

من علام الغيوب ، وما أحسن من قال :

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ رَوَى[1]

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَالْعُمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أَوْ كَالطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَهْ

والعُمْر بالفتح والضم وبضمتين : الحياة : ويجمع على أعمار . كذا في القاموس . والضيف في الأصل مصدر ، ولذا يطلق على الواحد والمتعدد ، وقد يجمع على الأضياف والضيوف والضيفان ، والمرأة ضيف ، وأضاف الرجل وضَيَّفَه أنزل به ضيفا ، وضافه ضيافة إذا نُزل به .

والضيافة سنة من سنن الإسلام ، وعادة من عادات[2] الكِرام ، والأحاديث الشريفة متظاهرة على الأمر بالضيافة والاهتمام بها وحُسن موقعها ، وقد أجمع المسلمون على الضيافة ، قال الإمام أبو حَنيفة والإمام [٤٣٠/ظ] مالك والشافعي رضي الله عنهم أجمعين : وهي سُنة ، وليست بواجبة ، وقال اللَّيث وأحمد : هي واجبة يوما وليلة على أهل البادية والقُرى دون أهل المدن ، وتأول الجمهور الأحاديث المقتضية لوجوبها بحملها على الاستحباب ومكارم الأخلاق ، كحديث[3] : "**غُسْل الجمعة واجب على كل مُحْتَلم**" أي متأكد الاستحباب .

وإنما قلنا بتأكد استحبابها على أهل البادية لأن المقصود من الضيافة ثلاثة أمور :

---

(١) البيت من [الرجز] ، وهو من مقصورة ابن دريد ، ديوانه دراسة وتحقيق: عمر بن سالم، الدار التونسية للنشر ١٩٧٣م، تونس، ص ١٣٢، وروايته: "وعى" بدلا من: "روى". وفي جميع المخطوطات : "وإنما المرء حديثا" بالنصب، وهو خطأ ، وأصلحته بما يناسب الإعراب ، وأرجو أن أكون قد وُفقت .

(٢) في نسخة الأصل م : "عادة" بالإفراد ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك ، وإن كان فيهما "عاداة" .

(٣) الحديث في مسند الإمام أحمد ١١٠٢٧ و ١١٥٧٨ ، وفي كشف الخفاء ٩٧/٢ .

الإيواء ، والتبجيل ، والقِرَى ، وهذه الثلاثة متعذرة في البادية اجتماعها بخلاف المدن فإنها موجودة ؛ لأن المسافر لا يتعذر عليه وجود المنزل والخَلْق الكثير والطعام الكثير على اختلاف أنواعه ، كما ورَد في الخبر : الضيافة على أهل الوَبَر ، وليست على أهل المِدَر ، لما تقرر[1] ، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾[2]، وقال رسول الله (ﷺ)[3] : "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيكْرِم ضَيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، وما زاد فهو صَدَقة ، ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يخرجه**" ، **وفي رواية "حتى يؤثمه"** ، قالوا : يا رسول الله : وكيف يؤثمه : قال : "يقيم عنده ولا شيء له يَقْرِيه" ، وفي رواية : "**إن نزلتم بقوم**[4] **فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا ، وإن لم يأمروا فخذوا منهم حق الضيافة**" ، وفي الحديث[5] : "**الضيف ينزل برزقه ، ويرحل وقد غُفر لصاحبه**"، وفي الحديث[6]: "**الملائكة تصلى على الرجل [٤٣١/و] ما دامت مائدته موضوعة**"، وفي حديث[7]: "**أيما بيت لا يدخله الضيف لا يدخله**[8] **الملائكة**".

---

(١) في النسختين د ، ك : "لما تقربي" [كذا] .

(٢) سورة الذاريات، الآية: (٢٤).

(٣) هذا الحديث جاء متفرقا في أماكن في مسند الإمام أحمد ١١٣٢٥ و ٧٨٧٣ و ١١٠٤٥ و ١١١٥٩ و ١١٦١٥ و ١١٧٢٦ و ١١٨١٢ و ٢٧١٦١ و ١٦٣٧١ و ٢٧١٦٥ و ٨٦٤٥ ، وجاء الجزء الأول منه في كشف الخفاء ٢٧٣/١ ، وجاء في المستطرف جزء منه ٥٥٣/١ .

(٤) سقط "بقوم" من النسختين د ، ك .

(٥) جاء الحديث في كشف الخفاء ٨٨/١ هكذا : "إذا دخل الضيف على قوم دخل برزقه وإذا خرج خرج بمغفرة ذنوبهم ، وحكم عليه بالضعف، وجاء في كشف الخفاء ٣٦/٢ هكذا: الضيف يأتي برزقه ويرتحل بذنوب القوم يمحص عنهم ذنوبهم، وقيل: رواه ابن أبي شيبة عن أبي الدرداء .

(٦) الحديثُ -مَشْرُوحَاً- في فيض القدير شرح الجامع الصغير، برقم:" ٢١٢٩"، عبد الرؤوف المناوي ،المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة الأولى، ١٣٥٦ مع الكتاب : تعليقات يسيرة لماجد الحموي، ٢/ ٥٠١.

(٧) لم أستطع العثور على هذا الحديث.

(٨) [كذا] في جميع المخطوطات ، والأفضل "لا تدخله" .

ومن سنن البناء أن يبنى الإنسانُ في منزله بيتا للضيافة كما فعله الخليل عليه السلام.

وفي الحديث[١]: "**إن لكل شيء زكاةً، وزكاة الدور[٢] بيت الضيافة**"، وفي الصحيح[٣] عن ابن عمر أن رجلا سأل النبي (ﷺ) : أي الإسلام خير ؟ قال : "**تُطْعِم الطَّعام**" ، فجعل إ[illegible]عام الطعام من الإسلام .

وإ[illegible]عام الطعام على نوعين: إما أن يأتيك الزائر فتطعمه؛ فيكون ضيفا لك، وإما أن تدعوَه؛ فيجيبك زائرا لك في منزلك؛ فيكون ضيفا بدخوله في منزلك.

وإن لم يكن في التضييف فائدة إلا ما وَرَد فيه أن الضيف (إذا)[٤] ارتحل ارتحل بذنوب أهل المنزل لكفى.

وأما آداب المضيف فمن السنة أن يأخذ بيد ضَيفه، ويُدخلُهُ المنْزِلَ مُسْتَبْشِرًا به، وينظر إليه بالبشَاشَةِ وبالبِشْرِ، ويكرِمُهُ بما استطاع من الرِّفْق واللطف، فقد قيل: بَشَاشة الوجه خيرٌ من القِرَى، فكيف به مع البَشاشة، نظمه بعضهم فقال[٥]:

بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ القِرَى ... فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهَا وَهْوَ ضَاحِكُ

(١) الحديثُ -مَشْرُوحَاً- في فيض القدير شرح الجامع الصغير، برقم:" ٧٣١٥"، عبد الرؤوف المناوي ،المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة الأولى ، ١٣٥٦ مع الكتاب : تعليقات يسيرة لماجد الحموي ٢٨٥/٥.

(٢) في نسخة الأصل م : "الدو" بإسقاط الراء سهوا .

(٣) لم أعثر على هذا الحديث .

(٤) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك يتم بها السياق .

(٥) البيت من [الطويل] ، ولم أعثر عليه .

وقد ضمَّن الشمس البديري[1] ذلك البيت بقوله حيث يقول[2] :

إِذَا الْمَــرْءُ وَافَى مَنْــزِلاً لَــكَ قَاصِــدًا   قِــرَاكَ وَأَمَّتْــهُ إِلَيْــكَ الْمَسَــالِكُ

فَكُــنْ بَاسِمًــا فِي وَجْهِــهِ مُــتَهَلِّلاً   وَقُــلْ مَرْحَبًــا أَهْــلاً وَيَــوْمٌ مُبَــارَكُ

وَقَــدِّمْ لَــهُ مَــا تَسْــتَطِيعُ مِــنَ الْقِــرَى   عَجُــولاً وَلاَ تَبْخَــلْ بِمَــا هُــوَ هَالِــكُ

فَقَــدْ قِيــلَ بَيْــتٌ سَــالِفٌ مُتَقَــدِّمٌ   تَدَاوَلَــهُ زَيْــدٌ وَعَمْــرٌو وَمَالِــكُ[3]

بَشَاشَــةُ وَجْــهِ الْمَــرْءِ خَــيْرٌ مِــنَ الْقِــرَى   فَكَيْــفَ بِمَــنْ يَأْتِي بِهَــا وَهُــوَ ضَــاحِكُ

[٤٣١/ظ] وإن يعرف حق إجابته له ، ويتقلد منه مِنَّةً عظيمة في ذلك ، وتقابل ذلك بإحسان وتُلا[illegible]فه بالكلام والخطاب ، قالت العربُ : تمامُ الضيافة الطَّلاقةُ عند أول وهلة ، قال حَاتِم الطائي[4] :

سَــلِي الطَّــارِقَ الْمُعْــتَرَّ يَا أُمَّ مَالِــكِ   إِذَا مَــا أَتَــى مِــنْ بَــيْنِ نَارِي وَمِجْــزَرِي[5]

---

(١) لعله يقصد البديري الحلاق الذي جاءت ترجمته في الأعلام كالآتي: (ت نحو ١١٧٥ هـ = ١٧٦٢ م) أحمد بن بدير، شهاب الدين الحلاق البديري: مؤرخ شعبي دمشقي من ناظمي الزجل، وفيه نزعة صوفية...وكان يعيش من الحلاقة" الأعلام ١٠٣/١.

(٢) الأبيات من [الطويل] ، وهي في المستطرف ٥٥٥/١ وليس فيه البيت السابق وإنما كلام يؤدى معناه .

(٣) في جميع المخطو[illegible]ات : "فقد قيل بيتا سالفا متقدما" [كذا] ، وصححته بما يناسب الإعراب .

(٤) هو حاتم بن عبد الله بن سعيد ... بن [illegible]يء، يكنى أبا سفانة، وأبا عدي ، كان من شعراء العرب وفرسانهم المظفرين، وكان جوادا يشبه شعره جوده ، وورث الكرم عن أمه ، وورثته ابنته سفانة ، ويضرب المثل بكرمه وجوده، وليس له عقب إلا من ابنه عبد الله. الأعلام ١٥٢/٢، والشعر والشعراء، معجم المؤلفين ١٧٢/٣. وأخباره في الأغاني، وذكر بعض مصادر ترجمته محقق العمدة في هامش٦٢٢/٢ قلت: وهو أشهر من أن يعرف به.

(٥) البيتان من [الطويل]، وهما في ديوان حاتم ٢٨٤ في الزيادات، وفي الديوان جاء البيت الأول هكذا :

سلى الجائع الغرثان يا أم منذر   إذا ما أتاني بين ناري ومجزري

وما هنا يوافق هامش الديوان ، وسقطت كلمة "المعتر" من النسختين د ، ك .

هَـلَ ابْسُـطُ وَجْهِـي أَنَّـهُ أَوَّلُ الْقِـرَى وَأَبْـذُلُ مَعْـرُوفِي لَـهُ دُونَ مُنْكَـرِي ؟

ولله دَرّ القائل[1] :

اللهُ يَعْلَـمُ أَنَّـهُ مَـا سَـرَّنِي شَـيءٌ كَطَارِقَـةِ الضُّـيُوفِ النُّـزَّلِ

مَـا زِلـتُ بِالتَّرْحِيـبِ حَـتَّى خِلْتُـنِي ضَـيفًا لَـهُ وَالضَّـيْفُ رَبُّ الْمَنْـزِلِ

وما أحسن قول سيف الدولة بن حمدان[2] :

مَنْزِلُنَـا رَحْـبٌ لِمَـنْ زَارَهُ نَحْـنُ سَـوَاءٌ فِيـهِ وَالطَّـارِقُ[3]

كُـلُّ مَـا فِيـهِ حَـلاَلٌ لَـهُ إِلاَّ الَّـذِي حَرَّمَـهُ الْخَـالِقُ

قال الأصمعي[4] : سألتُ عُيَينة بن وهب الدَّارمي عن مكارم الأخلاق ، فقال : أَوَ ما سمعتَ قول عاصِم بن وائل حيث قال :

وَإِنَّا لَنَقْـرِي الضَّـيْفَ قَبْـلَ نُزُولِـهِ وَنُشْبِعُهُ بِالْبِشْـرِ مِـنْ وَجْـهِ ضَـاحِكِ[5]

ومن آدابه أن يُعجل له ما حضر من الطعام والشراب ، ويضعه[6] بين يديه كما فَعل

---

(١) البيتان من [الكامل] ، وهما في المستطرف ٥٥٦/١ .

(٢) هو سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ، ويقال : إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر . ت ٣٥٦ . [من وفيات الأعيان ٤٠١/٣] .

(٣) البيتان من [السريع] ، وهما بذات النسبة في المستطرف ٥٥٦/١ .

(٤) هذا مع البيت في التذكرة الحمدونية ٢٢٨/٢ ، والمستطرف ٥٥٦/١ ، ويبدو لي أن الذي هنا منقول من المستطرف؛ لأنه ليس فيه تكملة اسم عاصم بن وائل المنقري مثل التذكرة الحمدونية .

(٥) البيت من [الطويل] .

(٦) في النسختين د ، ك : "ويصفه" ، وهو تصحيف .

الخليل عليه السلام ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾[1]، ولا يمنعه ذلك قِلَّةُ ما عنده ، بل يُحضر إليهم ما وُجد ، فقد[2] جاء عن أنس وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمونَ الكِسَر اليابسة وحَشَفَ التمر ، ويقولون : ما ندرى أيهما أعظم وِزْرًا الذي يحتقر ما يُقدم إليه ، أو الذي يحتقر [٤٣٢/و] ما عنده أن يُقدمه ؟

وأن لا يَعُدّ كثرة ما يقدمه إلى الضيف إسرافا ، ولا يقوِّم ما ينفق على الضيف[3] ؛ فإنه من البخل ، ويختار للضيف أصفى الطعام وأزكاه ، فيقدمه في أحسن الأواني ، قيل للأَوزاعي : رَجُل قَدّم إلى ضيفه الكَامَخَ[4] والزيتون ، وعنده اللحم والسمن والعسل ، فقال : لا يؤمن هذا بالله واليوم الآخر .

ولا يتكلّف له فوق طاقته فيُؤدِّي إلى بُغْضِه، ويؤْثِرُ الضَّيفَ على نفسه بما عنده ، وإن لم يجد إلا قوتَ ليلة ، ويتولى خدمة الضيف بيده مهما أمكن ، كما فعل الخليل عليه السلام، ولا يمنعه من ذلك علوُّ منصبه وزيادة شرفه ؛ فإن ذلك من زيادة الشرف ، فقد نزل الشافعي بمالك فصبّ بنفسه الماء على يده ، وقال : لا يَرُعْك[5] ما رأيتَ مني ؛ فخدمة الضيف فرض، وكان الشافعي إذ ذاك ابن أربع[6] عشرة سنة، ومالك في سِنّ الشيخوخة، وكِبَر المقدار، وكثرة العلم .

ويبدأ في التقديم بأعز شيء كان عنده ، ولا بأس أن يخبرهم الطباخ بما هُيئ لهم من

---

(١) سورة الذاريات، الآية: (٢٦).

(٢) هذا في المستطرف ٥٥٩/١ .

(٣) في النسختين د ، ك : "المضيف" .

(٤) الكامَخ : نوع من الأُدم . معرب . من اللسان .

(٥) في نسخة الأصل م : "بروعك" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٦) في جميع المخطوطات : "أربعة" ، وصححته بما يناسب السياق .

الألوان ليختار كلٌّ شهوته ، حُكى[١] عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان نازلا عند الزَّعْفَراني ببغداد ، والزعفراني هذا هو الإمام الذي لحقه السَّهْوُ لما صلّى خلفه الشافعي ، وألّفَ الشافعي بسببه كتابا سماه باسمه ، وهو أربعون جزءا ، يُعرف بكتاب الزعفراني ، وصنعه بالعراق[٢] ، وتكمّل في ثلاث سنين ، قال : فكان الزعفراني يكتب كل يوم في رقعة ما يُطبخ من الألوان [٤٣٢/ظ] ويدفعها إلى الجارية ، فأخذها الشافعي منه يوما وألحق فيها لونا آخر ، فعرف الزعفراني ذلك فعتق[٣] الجارية سرورًا بذلك .

وكان[٤] من سُنة السَّلف أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة ليأكل كلٌّ ما يشتهى ، ويقدم كلَّ شيء من المطعوم والنوادر والبقول والخضر والملح المدقوق ، وأن يضع الزعفران وِتْرا .

ومن آدابه إذا قدم الطعام أن لا ينتظر مَن يحضر من عِتْرَته[٥] ، فقد قيل : ثلاثة لا تُرضَى : سراج لا يضيء، ورسول يُبطئ، ومائدة يُنتظر لها من يجيء ، ومن آدابه أن يكون ربُّ المنزل أولَ من يضع يده في الطعام إن قعد معهم ، وآخر من يرفع يده منه ، وأن يحثهم على الأكل إن رأى منهم توانيا ، ويرى معونة الضيف على الله تعالى لا على نفسه ، ولا[٦] يدعو إلى طعامٍ أحدٌ إلا الله تعالى ، ويُجانب الرياء والمراء والمباهاة[٧] ، ويدخل بذلك السرور على إخوانه وسط نفوسهم ، وزيادة توددهم ، ولا يُدخل على الضيف إلا مَن يوافقه ، ولا

---

(١) هذا في المستطرف ٥٥٩/١ و ٥٦٠ ما عدا جزء التعريف بالزعفراني .

(٢) في نسخة الأصل م : "وصنعه العراق" بإسقاط حرف الجر ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٣) في المستطرف : "فأعتق" ، وهو أحسن .

(٤) في المستطرف ٥٦٠/١ .

(٥) عترة الرجل : أقاربه الأدنون ، وفي جميع المخطوطات : "عثرته" بالثاء المثلثة ، وهو تصحيف .

(٦) سقطت "لا" من النسختين د ، ك .

(٧) في النسختين د ، ك : "الباهات" .

يخص بضيافته الأغنياء ويحرم الفقراء ، ولا يدعو من دار واحدة الأب دون الابن والأخ إذا كانا كبيرين ، فإن ذلك جَفَاء ، ويقدم الأفضل عِلمًا والأكبر سِنًّا ، ولا يكرم الضيف بما يخالف السُّنة ، ولا بما يشق عليه ، ويقدم له بالليل ما يحتاج إليه من السِّراج والوقود والسِّواك والنعل والوضوء .

لما نزل الشافعي بمالك ، وأدخله منزله قال له : القِبْلَة في البيت هكذا ، وهذا إناء فيه ماء ، وهذا [٤٣٣/و] الخَلاء .

وللضيافة آداب كثيرة لولا خوف المِلَل من الإطالة لَسَردتُها .

والطَّيف ما يحصل للنائم من خيال محبوب أو غيره ، والأصل[١] في طَيْف فَيّعْل بتشديد الياء فخَفّفوه إلى طَيْف بحذف عينه ، كما قالوا في مَيّت مَيْت ، وقال الأصمعي : هو مصدر طاف ، وبه أخذ السُّهيلي ، فقال : هو مصدر طاف الخيال يطيف طيفا ، ولا يقال فيه طائف على فاعل ؛ لأنه لا حقيقة للخيال ، إنما هو توهُّمٌ وتَخَيُّل ، فإن كل شيء له حقيقة قلت فيه طائف نحو قوله تعالى: ﴿ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴾[٢]، لأن الذي طاف له حقيقة وطيف ، لأن غرور الشيطان وأمانيه تشبه بالخيال وما لا حقيقة له ، وقال أبو البقاء : أصله طَوَف بالواو من طاف يطوف ، قُلبت الواو ياء ، وإن كانت ساكنة ، ولذا ذكره صاحب المحْكم في مادة الواو أيضا .

وسبب الطَّيف على ما ذكروا أن النفسَ إذا وُلعت بشيء حصل في القوة المتخيّلة فيصير نُصْبَ عينه وقُبالة وَهْمه مستيقظا أو نائما، فإذا نام لاهجا بما قام بمخيلته رآه خيالا، فيحصل له نوعُ تَسَلٍّ ، فلذلك وُلعت الشعراء بذكر الطيف في أشعارهم. انتهى .

---

(١) في النسختين د ، ك : "وأصل طيف" .

(٢) سورة القلم، الآية: (١٩).

وبين الضيف والطيف جناس ، وهو جناس مصحَّف باعتبار اختلافهما بالنقط كما هنا ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[1] ومضارع باعتبار اختلاف الضاد والطاء مع تقارب المخرج ، كما في قوله (ﷺ)[2] : **"زُرْ غِبًّا تَزْدَد حُبًّا"** ؛ لأنه قد يكون في الكلمة [٤٣٣/ظ] جناسان بل أكثر ، ويكون ذلك بالاعتبار ، كما في قول عليٍّ رضي الله عنه[3] : غَرَّكَ عِزُّك، فَصَار قُصار ذُلِّك ذَلك ، فاخْشَ فَاحِشَ فِعْلك فَعَلَك تهدا[4] بهذا. وكما في قول غيره[5] : رُبَّ رَبٍّ غَنِيٍّ غَبِيّ ، سَرَّته سُرَّته ، فجاءه فُجاءةً بَعْد بُعْد عشرته عشرته . انتهى .

ففي قول عليّ جناس مُصَحَّف مفرد ، وقوله : فصار قصار ، وفاخش فاحشَ ، تهدا بهذا كذلك ، لكنه مركبٌ مرفُوٌّ[6] مشتبه ، وذلك وذُلّك لكنه ملفوف مفروق . ورُبّ رَبٍّ محرَّف من نوع مفرد من الثاني . انتهى .

وقد بَيّن الناظم رحمه الله وَجْه المماثلة بين العُمْر والضيف والطيف بقوله : ليس له إقامة ، يعنى أن الضيف يأتي ويرتحل ، وكذلك الطيف ، فالعمر كذلك ، فلا يغتر أحد به وإن طال ، فإنه لا بد من ذهابه .

---

(١) سورة الشعراء، الآية: (٨٠).

(٢) جاء هذا الحديث في كشف الخفاء ٤٣٨/١ وفيه كلام كثير ما بين التضعيف والتقوية ، وجاء في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٢٦٠ وقيل بعده : قال الصغاني : موضوع ، وفي الهامش قيل الصحيح أنها حكمة قديمة ، قال عبيد بن عمير لعائشة لما لامته عن انقطاعه عنها : أقول يا أمه ما قال الأول : زر غبا تزدد حبا .

(٣) القول منسوب إلى عضد الدولة في وفيات الأعيان ٥٣/٤، وكذا في سير أعلام النبلاء ٣٠٨/١٦، ونسبت العبارة إلى علي كرم الله وجهه رادا بها على معاوية رضي الله عنهما، في حدائق السحر ١٠٢، وأنوار الربيع ١٨٠/١، والتوفيق بين الروايات أن تكون لعلي إبداعا ، ولعضد الدولة تمثلا ، واستشهادا والله أعلم.

(٤) في النسختين د ، ك : "تهذا" بالذال المعجمة .

(٥) لم أعثر على هذا القول . وضبطت القول بمقدار ما وفقني الله .

(٦) في جميع المخطوطات : "مرفوا" بالنصب ، وهو خطأ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَالْمَـــــوْتُ حَـــــتْمٌ ثُمَّ بَعْـــــ ـــدَ الْمَـــوْتِ أَهْـــوَالُ الْقِيَامَـــهْ

وليُعلم أن الموت قد اختلف في تعريفه ، قال سيدي أحمد أبو العباس الحريثي رحمه الله تعالى ، ونفعنا به : إن حقيقة الموت لا يعرفها إلا مَن يعرف حقيقة الحياة ، ولا يعرف حقيقة الحياة إلا مَن يعرف حقيقة الروح[1] ، وحقيقةُ الروح مما اختلف فيه العلماء اختلافا (كثيرا)[2] لم يتفق لهم هذا الاختلاف في مسألة من المسائل لصعوبة [٤٣٤/و] الاطِّلاع على حقيقته، حتى قال بعض الحَشْوِيَّة من العلماء : خرج رسول الله (ﷺ) ولم يعلم حقيقة الروح ، ولكن الحق الذي هو حقيق بأن يتبع هو أن رسول الله (ﷺ) قد كان عالما بحقيقة الروح ؛ لأن الروح ليس إلا نَفْسه ، وهو (ﷺ) قد كان عارفا بنفْسه عارفا بربّه ، فحاشا منصبه أن لا يعرف حقيقة نفْسه ، وكذا خواص الأولياء والصوفية والمكاشفون والعلماء والمحققون ، مثل الإمام حُجة الإسلام محمد الغزالي[3] ، والإمام الرَّاغِب الأصْبَهاني رحمهم[4] الله تعالى يعلمون حقيقة الروح .

وقد قال الشيخ العارف المحقق الإمام نجم الدين الرازي قدَّس الله سِرَّه في كتاب "مَنارة السَّائرين ومَقَامات الطائرين"[5] : إن العبد إذا عرف الله بالله فهذا أوان إرادة ماهية كل شيء

---

(١) هذا الشرح حتى نهايته يتناقض مع قول الله تعالى : {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} [الإسراء:٨٥] .

(٢) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك .

(٣) يقصد الشارح أبا حامد الغزالي .

(٤) [كذا] في جميع المخطوطات بالجمع ، والأحسن رحمهما الله تعالى ، إلا إذا كان يقصد جميع من ذَكر .

(٥) النص بكتاب منارات السائرين ومقامات الطائرين مع بعض الخلاف لمؤلفه أبي بكر عبد الله بن محمد بن شاهور الأسدي الرازي أو العلامة نجم الدين أبو بكر بن محمد بن الشاهنور الرازي المعروف بدابه، المتوفى ٦٥٤هـ وقد حققه الأستاذ سعيد عبد الفتاح ونشرته دار سعاد الصباح عام ١٩٩٣م .

كما هي ، وهذا وقت ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[١] ، وقد[٢] تحقق العبد كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا ، فَبِي يسمع ، وبي يُبصر ، وبي ينطق ، وبي يبطش ، ففي هذه الحالة كيف يبقي لمعرفة الروح خطر عند مَنْ هذه أحواله ، وهو مع هذه المرتبة العلية والمواهب السَّنِيَّة من لَوَاقطِ سَوَاقِطِ حبَّاتِ سُنْبُلاتِ بَيَادِرِ نَوَادِرِ النُّبُوَّةِ ، ونَوَادِرِ الرِّسَالَةِ، فكيف بحال سيِّدِ المرْسَلِينَ ، وخَاتَم النَّبِيِّينَ ، وحبيب ربِّ العالمين ، وأفْضَلِ الأوَّلين والآخِرِينَ صلوات الله عليه وعلى آله وصَحْبه أجمعين في معرفة الروح، وهو الذي يقول[٣] : **"علمتُ ما كان [٤٣٤/ظ] وما سيكون"**. واعلم أن الروح هو جوهر نوراني قائم بنفسه . هذا كلامه قدَّس الله سره .

وقد بيَّن المحققون والمكَاشَفُونَ حقيقةَ الرُّوح ، لكن ما عرفوا ذلك إلا بالكَشْف والذوق، لا بالمقدمات المرتَّبَة المعقولة ، فمعرفة الروح لا تكون إلا ذوقية ، فكذا[٤] معرفة الموت أيضا لا تكون إلا ذوقية ، ولأجل هذا قال الله تبارك وتعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾[٥] ، ولم يقل عارفة بالموت ، أو عالمة بالموت ، أو واقفة من الموت ، أو مدركة للموت، ولم يقل إلا ﴿ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾ ليكون تنبيها للعباد على أن الموت من الأمور الذوقية ، وكل أمر ذوقي لا يمكن لأحد تعريفه لغيره ، وإنما يمكن[٦] معرفته إلا بالوصول إليه وإدراكه بمجرد الذوق والوُجدان ، لا بالسؤال عن القبر وتعريف الغير إياه ، فإن هذا التعريف محال ، ولقد قال الإمام حجة الإسلام محمد الغزالي رحمه الله تعالى ورضي الله عنه في بعض

(١) سورة فصلت، الآية: (٥٣).

(٢) [كذا] جاء القول في جميع المخطوطات ، ويبدو لي أن فيه سقطا .

(٣) ذكر المحقق أنه ورد في النسائي في المواقيت (٥٥) .

(٤) في نسخة الأصل م : "فكذا معرفته أيضا" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٥) سورة آل عمران، الآية: (١٨٥).

(٦) يبدو لي — والله أعلم أن الصواب : وإنما لا يمكن .

تصانيفه[1] : إن واحدا من الملوك والسلا�ين قد كان عِنّينًا فأرسل كتابا إلى حكيم من الحكماء في زمانه ، وقد كان عالما بجميع العلوم والفنون ، وكتب في ذلك الكتاب: إني عِنّين لا أقدر على الجماع والوقاع، وأريد أن أعرف لذّة الجماع فكيف هي؟ وأي شيء هي ؟ فكتب الحكيم إليه في الجواب : يا أيها الملك ، أنا إلى الآن لم أكُنْ[2] أعرف [٤٣٥/و] أنك عِنّين ، وأما الآن فقد عرفت أنك عِنّين وأحمق ، ألا تعلم أن الجماعَ لذةٌ ذوقية . واللّذات الذوقية لا يمكن لأحد تعريفها لغيره ، وكذلك لذة حلاوة السُّكَّر لا يمكن تعريفها للغير . هذا كلامه رضي الله عنه .

ونحن نقول : الموت أيضا أمر ذوقي بشهادة القرآن الكريم ، كقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾[3]، وكقوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[4]، وكل أمر ذوقي لا يمكن أن يُعرف إلا بعد الوصول إليه ، وحينئذ يُذاق ويُعلم ، فالموت لا تُعرف[5] حقيقته إلا بعد وصول العبد إلى الموت ، فإذا نزل عليه الموت فحينئذ يذوق الموت ، وعند هذا الذوق ينكشف له عن حقيقة الموت ، فلا يمكن لنا الإخبار عن حقيقة الموت . انتهى .

فائدة : روى البخاري ومُسلم والتِّرْمذي من حديث أبي سَعيد الخُدْري رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) أنه قال[6] : **"إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ ، وأهلُ النارِ النارَ جئ بالموت كأنه**

---

(١) لم أعثر على هذا القول .

(٢) في النسختين د ، ك : "لم كنت" [كذا] .

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٨٥).

(٤) سورة الدخان، الآية: (٥٦).

(٥) في نسخة الأصل م : "يعرف" بمثناة تحتية ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٦) في مسند الإمام أحمد في رقم ١١٠٦٦ مع اختلاف في بعض الألفاظ ، وصحح في الهامش . ونصه في = =الترمذي:" ٣١٥٦ – حدثنا أحمد بن منيع حدثنا النصر بن إسماعيل أبو المغيرة عن الأعمش عن أبي صالح عن

كَبْشٌ أمْلَح ، فيُوَقف بين الجنة والنار ، ثم يُذْبَح ، ويقال : يا أهل الجنة خلودٌ بلا موت ، ويا أهل النار خلودٌ بلا موت" ، ثم قرأ رسول الله (×): ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] ، وفي رواية الترمذي : **"فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، فيُضجع فيُذبح"** ، فلولا أن الله قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحا ، ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار بالحياة والبقاء لماتوا حزنا ، وإنما جيء

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قرأ رسول × { وأنذرهم يوم الحسرة } قال يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة فيشرئبون ويقال يا أهل النار فيشرئبون فيقال هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت فيضجع فيذبح فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة فيها والبقاء لماتوا فرحا ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها والبقاء لماتوا ترحا "٥ الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون٥/٣١٥.

وفي البخاري:" ٤٤٥٣ - حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله × (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه . ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح . ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت . ثم قرأ { وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة - وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا - وهم لا يؤمنون }" الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ تحقيق: د.مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، ومع الكتاب : تعليق د.مصطفى ديب البغا ٤/١٧٦٠

وفي مسلم:" ٤٠ - (٢٨٤٩) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب (وتقاربا في اللفظ) قالا حدثنا أبومعاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله × يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح (وزاد أبو كريب) فيوقف بين الجنة والنار (واتفقا في باقي الحديث) فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح قال ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت قال ثم قرأ رسول الله × { وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون} [١٩/ مريم/٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا. ٤/ ٢١٨٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبوالحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي– بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي.

(١) سورة مريم، الآية: (٣٩).

بالموت على[1] [٤٣٥/ظ] هيئة كبش أملح[2] قد نُشر من أجنحته أربعمائة جناح، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل والكلبي في قوله تعالى[3] : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[4]: خلقهما جسمين، جعل الموت على هيئة كبشٍ أملح لا يمر على شيء ، ولا يجد رِيحَه شيء إلا مات، وخلق الحياة على هيئة فَرس أُنثى بَلْقَاء ، وهي التي كان جبريل والأنبياء يركبونها ، خُطْوتُها مَدُّ البصر ، فوق الحمار ودون[5] البَغْل لا تمر بشيء ولا تَطَأ شيئا ، ولا يجد ريحَها شيء إلا حيي ، وهي التي أخذ السَّامِرِيّ من تُرابها فألقاه على العِجْل . انتهى .

وهذه هي الحكمة في فداء الذبيح إسماعيل بكبش ، فيكون فداء من الموت بشكل الموت ، ولما أُمر بذبحه سُرَّ أهلُ الجنة أيضا بذبحه لهم[6] منة عليهم .

وذكر القُرْطُبي[7] في كتاب "خلع النعلين" أن الذابح للكبش بين الجنة والنار يَحيى ابن زَكريا رضي الله عنه بين يدي النبي (ﷺ) ، إذ في اسمه نسبة إلى الحياة الأبدية .

وذكر صاحب "الفردوس"[8] : الذي يذبحه جبريل عليه السلام .

وقوله : حَتْمٌ ، الحتْم : إحكام الأمر والقضاء ، وحَتَم عليه الشيء : أَوْجَبه ، قوله : ثم بعد الموت أهوال القيامة ، أبرز مقام الإضمار لضرورة النظم ، وأهوال القيامة كثيرة ، وقد

---

(١) هذا الحرف تكرر في أول الصفحة الجديدة ، ولكنني اعتبرت البداية كلمة "هيئة" .

(٢) سقطت كلمة "أملح" من النسختين د ، ك .

(٣) جاء جزء من هذا في تفسير الدر المنثور ٦٠٧/١٤ ، ولم أجده في تفسير الطبري .

(٤) سورة الملك، الآية: (٢).

(٥) في نسخة الأصل م : "دون" بإسقاط الواو ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٦) [كذا] جاء التعبير في جميع المخطوطات ، ويبدو لي أن الأحسن ؛ بذبحه منَّة عليهم .

(٧) لم أعثر على هذا القول .

(٨) لم أعثر على هذا القول .

ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: [٤٣٦/و] قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[١]، وقد رُوى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال[٢] : "**يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم : يا آدم ، قم فابعث بَعْث النار ، فيقول : لَبيك وسَعديك ، وما بَعْثُ النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة ، فعند ذلك يشيب الصغير ، وتضع الحامل ما في بطنها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى**" ، قالوا يا رسول الله ، أَمِنَّا ذلك الرجل الذي يبقى ؟ قال : "**أبشروا إني لأرجو أن يكون من يَأْجُوج ومَأْجُوج ألف ، ومنكم واحد ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا رُبْع أهل الجنة**" فكبَّرْنا وحَمدْنا ، ثم قال : "**إني لأرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة**" ، فكبّرْنا وحمدْنا ، ثم قال : "**إني لأرجو أن تكونوا ثُلُثَيْ أهل الجنة**" ، فكبَّرْنا وحمدنا ، **وأهل الجنة مائةٌ وعشرون صَفًّا ، ثمانون منها أُمتي** ، ثم قال (ﷺ) : "**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ، مع كل واحد سبعون ألفا**" ، فقال عُكاشة ابن محيض : أُدْعُ[٣] الله أن يجعلني منهم ، فقال : "**أنتَ منهم**" ، فقام رجلٌ من الأنصار وقال: يا رسول الله ، أُدْعُ[٤] الله أن يجعلني منهم ، فقال : "**سَبَقَك بها عُكاشة**" .

ومن أهوالها نَفْخَةُ الصُّورِ ؛ فإنها صيحةٌ واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى يثورون دفعةً واحدة ، كما قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[٥] أي إلى البعث ،

---

(١) سورة الحج، الآية: (٢).

(٢) جاء الحديث في مسند الإمام أحمد في رقم ١١٢٨٤ وليس فيه الجزء الخاص بعكاشة .

(٣) في جميع المخطوطات : "ادعو" ، وهو خطأ .

(٤) في جميع المخطوطات : "ادعو" ، وهو خطأ .

(٥) سورة الزمر، الآية: (٦٨).

والوحوش مختلطة بالناس ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[١] ، ثم يساقون بعد البعث والنُّشُور إلى المحْشَر ، أرض[٢] بيضاء قاع صَفْصَف[٣] ، لا ترى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا[٤]، قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[٥]، قال ابن عباس رضي الله عنهما : يُزاد فيها ويُنقص ، ويذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها ، وتُمَدُّ مَدَّ الأديم[٦] العكاظي ، أرض بيضاء لم يُسفك علها دم، ولم يُعمل عليها خطيئة ، والسماء تذهب شمسها ونجومها وقمرها ، وأظلمت الأرض لخمود سراجها ، فبينما الخلائق كذلك دارت السماء من فوق رؤوسهم ، وانشقّت مع غِلَظها ، ويُحشر الناسُ ثلاث أصناف : رُكْبَانا ، وَمُشَاة ، وعلى وجوههم ، ثم تُفكر في ازدحام الخلائق فأشرقت عليهم الشمس ، وقد تضاعف حَرُّها ، وتبدَّلت عما كانت عليه، فلم يبق ظِلٌّ إلا ظِلُّ العرش للمقربين ، ثم يفيض العَرَقُ ، ويرتفع إلى أبدانهم على قَدْر منازلهم ، حتى[٧] بعضهم إلى شَحْمة أُذنيه ، ثم إن كل عَرَق لم يُخرجه التعب في سَبيل الله فسيخرجه الحَيَاء والخَوف في صَعيد القيامة[٨] ، ومقداره خمسون[٩] ألف سنة ، لم يأكلوا فيها أَكْلةً ، ولم يشربوا فيها شَرْبَةً ، وعُمْرُ الدنيا سبعة [٤٣٧/و] آلاف سنة .

---

(١) سورة التكوير، الآية: (٥).

(٢) في نسخة الأصل م : "أرضا" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٣) الأرض الصَّفصف : التي لا نبات فيها .

(٤) الأَمْتُ : الارتفاع والانخفاض والعِوَج .

(٥) سورة إبراهيم، الآية: (٤٨).

(٦) الأديم : الجلد ، وكلمة "العكاظي" نسبة إلى عكاظ .

(٧) [كذا] جاء التعبير في جميع المخطوطات ، ويبدو لي – والله أعلم – أن الأحسن : حتى يصل في بعضهم .

(٨) في نسخة الأصل م : "القيمة" .

(٩) في نسخة الأصل م : "خمسين" واعتمدت ما في النسخة ك .

فاعمل ليوم القيامة الذي مقداره خمسون[1] ألف سنة، ويخفّ على المؤمن حتى يكون أخفَّ عليه من الصلاة المكتوبة، ثم تَفَكَّرْ يا مسكين بعد هذه الأهوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتُسألُ عن القليل والكثير، ويقوم الملائكة صفا، وعند ذلك يصدق قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2]، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[3] .

قال عليه الصلاة والسلام[4] : **"مَن ستَرَ على مؤمنٍ عَوْرَتَه ستر الله عَوْرَتَه يوم القيامة"** ، وقال عليه الصلاة والسلام[5] : **"ما فيكم من أحدٍ إلا ويسأله ربُّه ، ليس بينه وبينه حِجَاب ولا ترجمان"** .

ثم تَفَكَّرْ في الميزان ، وإن الأعين شاخصة إلى لسان الميزان: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾[6]، واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان إلا مَن حَاسَب نفسه، ووزن بميزان الشرع أعمالَه وأقوالَه وخَطَراتِه ولحظاتِه، والأمرُ في مَظالم الخلق أشدُّ، فإنه لا بد من المطالبة .

ثم تَفَكَّرْ بعد هذه الأهوال في قوله تعالى : ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ

(١) في نسخة الأصل م : "خمسين" واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٦).

(٣) سورة الحجر، الآيتان: (٩٢، ٩٣).

(٤) جاء هذا الحديث بصيغ مختلفة في مسند الإمام أحمد في أرقام ١٠٧٦١ و ٧٩٤٢ و ١٦٥٩٦ و ٢٣١٨٥ و١٠٤٩٦ و ١٠٦٧٦ و ١٧٣٩١ و ٧٧٠١ و ٧٤٢٧ و ٥٦٤٦ و ١٦٩٥٩ و ١٧٤٥٤ وجاء بإحدى هذه الصيغ في كشف الخفاء ٢٥٢/٢ .

(٥) لم أعثر على هذا الحديث .

(٦) سورة القارعة، الآيات: (٦ – ١١).

ٱلْجَحِيمِ﴾[1]، وهو جِسْرٌ ممدود على مَتْنِ جهنم ، أَحَدُّ من السيف ، وأَدَقُّ من الشَّعْرة ، من استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خَفَّ على صراط الآخرة ونجا ، ومَن [٤٣٧/ظ] عَدَل عن الاستقامة في الدنيا ، وأثقل ظهره بالأوزار وغطى عَثَر في أول قَدَمٍ من الصراط وتردَّى .

ومن الناس مَن يمر عليه مثل البَرق ، ومنهم مَن يمر عليه كالريح ، ومنهم مَن يمر كالفَرس المجْرَى، ومنهم مَن يَسعى سعيًا، ومنهم مَن يمشى مشيًا، ومنهم مَن يَحبو حَبْوًا، ومنهم مَن يزحف زحْفًا ، فأما أهل النار فلا يموتون ولا يَحْيَون ، ثم يُؤذن بالشفاعة وأهوالها كثيرة ، نرجو منه تعالى أن يَمُنَّ علينا بالسلامة من ذلك .

وإنما سُمِّيَ يومُ القيامة بذلك لأن الناس يقومون فيه من قبورهم ، أو لقيامهم إلى الحساب . وليوم القيامة أسماء كثيرة ، منها : يوم الرَّاجِفَة ، يوم الآزِفَة ، يوم الرَّادِفة ، يوم الغَاشِية، يوم الزَّلْزَلَة، يوم الصَّاعِقة، يوم الحَاقَّة، يوم الطَّامَّة، يوم الصَّاخَّة، يوم التَّلاَق، يوم الفراق ، يوم المِسَاق ، يوم القَصَاص[2] ، يوم لاتَ حِينَ مَنَاص ، يوم التَّنَاد ، يوم الإشهاد، يوم الميعاد ، يوم المِرْصَاد ، يوم المسألة ، يوم المنَاقشة ، يوم[3] الحِساب ، يوم المآب ، يوم العذاب ، يوم القرار إما في الجنة أو النار ، يوم القَضاء ، يوم الجَزَاء ، يوم البُكاء ، يوم البَلاء ، يوم تَمُورُ السَّماءُ مَوْرًا وتَسِير الجِبال (سَيْرا)[4] [٤٣٨/و] يوم الحَشْر ، يوم النَّشْر ، يوم الجَمْع ، يوم البعث ، يوم العَرْض ، يوم الحق ، يوم الوزن ، يوم الحُكم ، يوم الفصل ، يوم عَقِيم ، يوم[5] التَّغَابُن ، يوم عظيم ، يوم قَمْطَرِير ، يوم النشور ، يوم المصير ، يوم الدين ، يوم اليقين . وله أسماء كثيرة غير هذه ، والعرب تسمى الشيء بأسماء كثيرة ، وتجعل له ألقابا

(١) سورة الصافات، الآية: (٢٣).

(٢) في نسخة الأصل م : "يو الصاخة" ، وهو مكرر ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

(٣) في نسخة الأصل تكرر هذا .

(٤) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك .

(٥) في نسخة الأصل م تكرر هذا .

عديدة تعظيما لشأنه ، وإكْبَارًا لأمره . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَالنَّـــــاسُ مَجْزِيُّـــــونَ عَـــــنْ أَعْمَـــــالِ مَيْـــــلٍ وَاسْـــــتِقَامَهْ

الناس أصله أناس لقولهم : إنسان وإنْسُ وأناسي ، فحذفت الهمزة حذفها في لوقة[1] ، وعُوض عنها حرفُ التعريف ، ولذلك لا يكاد يُجمع بينهما ، وقوله[2] :

إِنَّ الْمَنَـــــايَا يَطَّلِعْـــــ ـــــنَ عَلَـــى الْأُنَاسِ الآمِنِينَـــا

شاذ ، وهو اسم جمع كدخّال ، إذ لم تثبت فعَّال في أبنية الجمع ، مأخوذ من أَنِس؛ لأنهم يستأنسون بأمثالهم ، أو أنَّس ؛ لأنهم ظاهرون مُبصَرون ، ولذلك سُموا بَشَرًا ، كما سُمّي الجنُّ جِنًّا ؛ لاجْتِنَانهم ، واللام[3] فيه للجنس ، والناس من مدغم الأناسيّ ، قال الخَليل : هو فعل من النّوَس، وهو الثبوت ، أو جمع إنسان أصله إِنْسِيان[4]، قال المتنبي[5]:

وَكَـــانَ ابْنَـــا عَـــدُوٍّ كَـــاثَرَاهُ لَـــهُ يَاوَيْ حُـــرُوفِ أُنَيْسِـــيَانِ

وقال ابن عباس سُمّي لنسيانه . قال[6] :

---

(١) [كذا] في جميع المخطوطات ، ولم أعرف معناها .

(٢) البيت من [مجزوء الكامل] ، وهو دون نسبة في اللسان في [أنس] .

(٣) أي الألف واللام التي هي أداة التعريف .

(٤) في جميع المخطوطات : "أنيسان" ، واعتمدت ما في اللسان .

(٥) البيت من [الوافر] ، وهو في ديوان المتنبي ٢٦١/٤ ، وفي شرح الديوان قيل : عدوُّك الذي له ولدان وكاثر بهما كياءين زائدتين في أُنَيْسيان ؛ لأنه إذا كان مكبَّرا كان خمسة أحرف ، فإذا اصْغِّر زيد فيه ياءان في عدده ، ونقص في معناه وفخره ، فهما زائدتان في نقصه .

(٦) هذا يوهم أن البيت لابن عباس ، وما هو له .

لاَ تَنْسَــــيَنْ تِلْـــكَ الْعُهُـــودَ فَإِنَّمَــــا   سُمِّيـــتَ إِنْسَــانًا لأَنَّـــكَ نَاسِــــي[1]

وقال آخر[2] :

فَــإِنْ نَسِــيتُ عُهُــودًا مِنْــكَ سَــالِفَةً   فَـــاغْفِرْ فَـــأَوَّلُ نَاسٍ أَوَّلُ النَّـــاسِ

وقيل لأنسه بحوي[3] ، وعن الترمذي لأُنسه بربه عز وجل . وقال[4] :

وَمَــا سُمِّـــيَ الإِنْسَـــانُ إِلاَّ لأُنْسِـــهِ   وَلاَ الْقَلْـــبُ إِلاَّ أَنَّـــهُ يَتَقَلَّـــبُ[5]

[٤٣٨/ظ] أو من آنس لإدراك البصر إياه غير لَبْس .

والجزاء : المكافأة على الشيء ، والأعمال جَمْعُ عمل ، وهو الفِعْل ، والميل : العدول عن الطريق. والاستقامة: الاعتدال، وكَنَى بالميل والاستقامة عن[6] المعاصي والطاعات، فإن الله تعالى يجازى عليها بمحض عَدْله وفضْله ، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[7] ، وقوله عليه الصلاة والسلام[8] : **"الناس مجزيُّون بأعمالهم ، إن خيرا فخير ، وإن شرًّا فشرّ"** .

وهذه المسألة طويلة الذيل فلنقتصر على هذا، ومن أراد البسط فعليه بكتب السُّنة، فإن فيها ما يشفى الغليل ، ويبرئ العليل .

---

(١) البيت من [الكامل] ، وهو لأبي تمام في ديوانه ٢٤٥/٢ ، وفي جميع المخطوطات جاء البيت في صورة النثر .

(٢) البيت من [البسيط] ، ولم أعثر عليه ، وجاء البيت في صورة النثر في النسخة ك .

(٣) [كذا] جاءت الكلمة في جميع المخطوطات ، ولم أهتد إلى تصويبها ، ولم أعرف معناها .

(٤) هذا يوهم أن البيت للترمذي ، وما هو له .

(٥) البيت من [الطويل] ، وهو في أدب الدنيا والدين، ص١٠٤ دون نسبة .

(٦) [كذا] جاء القول في جميع المخطوطات ، ويبدو أن هناك سقطا .

(٧) سورة الزلزلة، الآيتان: (٧، ٨).

(٨) جاء هذا في كشف الخفاء ٣٣٢/١ كشرح وليس كحديث لقوله : الجزاء من جنس العمل ، وقيل : لم أقف عليه ، ثم جاء قوله : "الناس مجزيون بأعمالهم" فقط ، وقيل : تقدم في الجزاء من جنس العمل ، أي ليس بحديث .

قال الناظم[١] :

فَـــذَوُو السَّـــعَادَةِ يَضْـــحَكُو نَ وَغَـــيْرُهُمْ يَبْكِـــى نَدَامَـــهْ

المراد بذوي السعادة هم المؤمنون ، وبغيرهم الكافرون ، مقتبسا من قوله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾[٢] والضحك معلوم، والندم: الأسف، يقال: نَدِم عليه كفرح نَدَمًا ونَدَامة[٣] ونداما[٤] وتندَّم: أسف، وفي عبارته شبه احتباك[٥]، فإنه حذف مقابل السعادة وهو الشقاوة، ومقابل الندم وهو الفرح، وكل من المذكورين فيه دلالة على مقابله، وهذا نوع حسن من أنواع البديع .

وقد فُسِّر الاحتباك بأن تُذكر[٦] جملتان في كلمتين مختلفتين ، ويُحذف من كل ضدُّ ما ذُكر في الأخرى كما قررناه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾[٧] ، فحذف من الأولى "مؤمنة" ، ومن الثانية[٨] "تقاتل في سبيل الشيطان" ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ﴾[٩] الآية[١٠]، التقدير : ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي يَنْعِق ، والذي يُنعَق به ،

---

(١) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٢) سورة المطففين، الآيتان: (٣٤، ٣٥).

(٣) في نسخة الأصل م تكررت الكلمة .

(٤) سقطت "ونداما" من النسختين د ، ك .

(٥) سيأتي تفسيره فيما بعد .

(٦) في جميع المخطوطات : "يذكر" بالمثناة التحتية .

(٧) سورة آل عمران، الآية: (١٣).

(٨) في جميع المخطوطات : "الثاني" ، وصححتها بما يناسب كلمة "الأولى" بدلها .

(٩) سورة البقرة، الآية: (١٧١).

(١٠) من هنا ساقط سهوا من النسختين د ، ك إلى الذي ينعق الأتي .

فحذف من الأول "الأنبياء" لدلالة الذي يُنْعَق عليه ، ومن الثاني الذي يُنْعَق به لدلالة الذين كفروا عليه . وقوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[١] . التقدير : غير بيضاء ، وأخرجها تخرج بيضاء ، فحُذف تدخل غير بيضاء ، والثاني وأخرجها ، ومن ألطفه قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢] أي: صالحا بسيئ وآخر سيئا بصالح. ومنه قوله تعالى: ﴿ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾[٣] ، لأن الزَّمْهَرِير يُطلق على البَرد والقمر ، فيحتمل أن يُراد بالزَّمْهَرير البَرد ، وتكون الإشارة بالشمس إلى أنه لا حَرَّ فيها فحُذف الحَرّ من الأول ، والقَمر من الثاني ، والتقدير : لا شمس فيها ولا قمر ، ولا حَرّ ولا برد .

قال الناظم[٤] :

وَاللهُ يَفْعَـلُ فِيهِمُ ... مَـا شَـاءَ ذُلاًّ أَوْ كَرَامَـهْ

هذا البيت مخصَّصٌ لما في عموم قول الناظم ، والناس مجزيُّون عن أعمال مَيْل واستقامة ، فإنه ربما أنه[٥] يفهم أن شيئا من الجزاء واجب عليه تعالى فدفع ذلك بقوله : والله يفعل فيهمُ الخ ، لما أنه تعالى له التصرف بملكه تعالى كيف يشاء ، لا وجوب عليه في شيء ، بل للمالك التصرف فيما مَلَك ، لا يُسأل عما يفعل ، وهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة ،

(١) سورة النمل، الآية: (١٢).

(٢) سورة التوبة، الآية: (١٠٢).

(٣) سورة الإنسان، الآية: (١٣).

(٤) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٥) قوله : "وأنه" ليس في النسختين د ، ك .

وليس هذا المَحَلُّ محلَّ بَسْطِ [٤٣٩/ظ] ذلك ، قال صاحب "الجوهرة"[١] :

وَمَـــنْ يَمُـــتْ وَلَمْ يَتُـــبْ مِـــنْ ذَنْبِـــهِ فَـــــأَمْرُهُ مُفَــــوَّضٌ لِرَبِّـــــهِ

والذُّلُّ: الإهانة، يقال: ذَلَّ يَذِل ذُلاًّ وذُلالة بضمهما[٢]، وذِلة بالكسر ومَذَلَّةٌ[٣]: هان ، فهو ذليل . والكرامة : العزازة[٤] ، يقال : له عليّ كرامة أي عزازة ، والكرم ضد اللؤم ، كرُم بضم الراء كرامةً وكَرَمًا محركتين فهو كريم ، وأكرمه : عظَّمه ونزّهه ، والكريم : الصفوح . كذا في القاموس .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَيُشَـــــفِّعُ الْمُخْتَـــــارَ فِيـــــهِـــمْ حِـــينَ يَبْعَثُـــهُ مَقَامَـــهْ

قد أنهت العلماء رحمهم الله تعالى شفاعته (ﷺ) إلى خمس : الأولى : الشفاعة الكبرى ، وهي في الفَصْل بين أهل الموقف حين يفزعون إليه بعد الأنبياء ، كما في الحديث المشهور ، الثانية : في جماعة فيدخلون الجنة بغير حساب ، الثالثة : في جماعة استحقوا النار أن لا يدخلوها ، الرابعة : في جماعة دخلوا النار أن يخرجوا منها ، الخامسة : في رَفْع درجات الناس في الجنة .

وزاد آخرون شفاعته (ﷺ) في التخفيف على أبي طالب ، وشفاعته في تثقيل موازين أقوام عند أعمالهم ، فتكون سَبْعًا .

وزيدت أربعٌ أخرى وهي شفاعته (ﷺ) لمن جاء زائرا ، ولمن مات بالمدينة ، ولمن صبر

(١) البيت من [الرجز] ، وهو رقم ١١٦ في متن الجوهرة في أية طبعة لهذا المتن .

(٢) في جميع المخطوطات : "بضمها" بإسقاط ميم التثنية ، واعتمدت ما في القاموس .

(٣) بعد هذا في القاموس : "وذلالة" .

(٤) في النسخة د : "الغزازة" ، وهو تصحيف .

على شِدَّتها ، ولمن أجاب المؤذن ، ثم يسأل له (ﷺ) الوسيلة .

قلت : ولا يبعد رجوع هؤلاء إلى مَنْ تقدم ذكرهم ، والله تعالى أعلم ، وزاد بعضهم شفاعات أخرى ، منها شفاعته (ﷺ) [٤٤٠/و] لجماعة من صُلحاء المؤمنين ليُتَجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات ، وشفاعته (ﷺ) في أطفال المشركين أن لا يُعذَّبوا ، وشفاعته في أهل بيته أن لا يدخل احدٌ منهم النار ، وشفاعته (ﷺ) فيمن خُلِّد في النار من الكفار أن يُخفف عنهم العذاب في النار ، ويحتمل أن ترجع هذه إلى أبي طالب كما مر ، وشفاعته (ﷺ) فيمن قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيرا قط ، فهذه ستة عشر ، وانظر مأخذها من كتاب الحديث .

والمختار عَلَمٌ عليه (ﷺ) ، أي : المختار من كافة الخلق ، والضمير في "فيهم" عائدٌ إلى أُمَّته (ﷺ) ، وأشار بقوله حين يبعثه مقامه ، المراد المقام المحمود المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[١].

قال الناظم[٢] :

وَعَلَيْــــــــهِ خَــــــيْرُ صَــــــــلاَتِهِ ... مَـــــعَ صَـــــحْبِهِ تَتْلُـــــو سَــــــلاَمَهْ

قد فُسّرت الصلاة لغة بأنها من الله رحمة ، أي : تفضُّلٌ وإحسانٌ ، ومن الملائكة استغفار ، أي بلفظه أو بمرادفه ، ومن غيرهما تضرُّع ودعاء ، هذا هو المشهور .

و(الذي)[٣] عليه المحققون أن الصلاة لغة بمعنى واحد وهو العطف ، ثم العطف

(١) سورة الإسراء، الآية: (٧٩).

(٢) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

(٣) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك .

بالنسبة إلى الله تعالى الرحمة ، وإلى الملائكة استغفار ، وإلى الآدميين تضرع ودعاء بعضهم لبعض : لأنه يرد على الأول أن الرحمة فِعْلُها مُتَعَدٍّ ، والصلاة فِعْلُها قاصر ، ولا يحسن تفسير القاصر بالمتعدى [٤٤٠/ظ] وأنه لو قيل مكان صَلَّى عليه : دَعَا عليه انعكسَ المعنى، وحَقُّ المترادفين صحة حلول كل منهما محل الآخر؛ ولأنه إذا أُسند فِعْلُها إلى الله تعالى[١]، أو إلى الملائكة ، أو إلى الآدميين اختلف معناه بالنسبة إلى كلٍ واحد ، ولم يُعرف[٢] بالعربية أن فعلاً واحد يختلف معناه باختلاف المسند إليه إذا كان الإسناد حقيقيا .

ثم اعلم أن الصلاة عليه (ﷺ) قيل يُقصد منها تعظيمه عليه الصلاة والسلام لا الدعاء بإيصال ثوابٍ إليه ؛ لأنه أَجَلُّ من أن ينتفع بدعائنا ، وقيل : يُقصد الأمران .

وجمع بأن من ذهب إلى الأول أراد أنه لا يُصَرَّح بأنه (ﷺ) ينتفع بصلاتنا عليه ، وإن كنا نعتقد ذلك بقلوبنا ، كالعبد القِنّ المنتفع به سيده لا ينبغي له أن يصرّح بانتفاع سيده به .

فائدة[٣] : إثبات الصلاة والسلام بعد البسملة في صدور الكتب والرسائل حدث في زمن ولاية بنى هاشم ، ثم مضى العمل على استحبابه ، ومن العلماء[٤] مَنْ يختم به كتابه، كالناظم رحمه الله تعالى .

وصحبه : هو اسم جامع لصاحبه عند سيبويه ، وجَمْعٌ له عند الأخْفَش ، وجمع صَحْب أصحاب كشَهْد وأشهاد ، لا جَمْع صاحب ، لأن فاعل لم يثبت جَمْعُه أفعال ، والصاحب بمعنى الصحابي هو مَن اجتمع مؤمنا بنبينا محمد (ﷺ) في الأرض في حال نُبُوَّته،

---

(١) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك .

(٢) في النسختين د ، ك : "نعرف" بالنون في الأول .

(٣) لم أعثر على هذا .

(٤) في نسخة الأصل م : "ومن العمل" ، واعتمدت ما في النسختين د ، ك .

فخرج بقوله : مؤمنا مَنْ لقيه كافرا فليس بصاحب [٤٤١/و] لعداوته ولو أسْلَم بعد ذلك، كرسول قيصر ، وعبد الله بن صياد ، وإن لم يكن هو الدجال .

ويؤخذ من قولهم مَنْ لَقِيَ النبي (ﷺ) أن الكلام مفروض فيما بعد البعثة ؛ إذ وَصَفَه بالنبوة الظاهرة لا يكون إلا بعدها ، فيخرج مَن لقيه قَبْلها فليس من صَحابته وإن كان مؤمنا بغيره من الأنبياء ، وإن تَوقّفَ فيه الحافظ ابن حَجَر ، وكذا شيخه العراقي حيث قال : إن المراد من مرآه بعد نبوته أنهم ترجموا في الصحابة لمن وُلد للنبي (ﷺ) بعد النبوة كإبراهيم ، ولم يُترجموا لمن وُلد له ومات قَبْلها كالقاسم ، أما مَن مات على الإسلام ولو تَخَلّلت رِدَّتُه بين لَقْيِه مؤمنا وموته مؤمنا فهو صحابي إذ الردّة إنما تحبط العمل بالموت، كما صحّحه الرافعي حاكيا عن الشَّافعي لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ ﴾[1] ، وما في القرآن من الإطلاق في غير هذه الآية محمول على هذا التقييد سواء رجع إلى الإسلام في حال حياته (ﷺ) كعبد الله بن أبي سَرْح ولم يلقه ثانيا ، أم بعد موته كقُرّة بن أبي هبيرة والأشعث بن قيس ، فإنه كان ممن ارتدّ وأُتى به إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته أسيرا فعاد إلى الإسلام فقبله منه ، وزوّجه بأخته ، ولم يتخلف أحد عن ذِكره في الصحابة ، ولا عن[2] تخريج أحاديثه في المسانيد، ومشى عليه الحافظ ابن حجر، وإن استظهر [٤٤١/ظ] شيخُه العراقي أن مَن أسْلم من ردّته بعد وفاته لا يكون صحابيا . قال الصفوي والشمس المقدسي : والظاهر أنه لا بد من التمييز فقول الحافظ العَلاَئي في ترجمة عبد الله بن الحَارث ابن نَوْفل ، وعبد الله بن أبي طَلْحة الأنصاري كلٌّ منهما حَنَّكه النبي (ﷺ) ودعا له ، ولا صُحبة له ، وقال شيخ الإسلام زَكريا : دخول غير المميّز في التعريف ليس مرادًا على المختار ، لكن قال بعضُ الأفاضل : يدخل الصغيرُ ولو غيرَ

---

(١) سورة البقرة الآية: (٢١٧).

(٢) في النسختين د ، ك : "ولا من . . ." .

مميّز ، كمحمد بن أبي بكر فهو صحابي ، مع أنه وُلد قبل وفاته (ﷺ) بثلاثة أشهر وأيام ؛ لأنه (ﷺ) رآه ، وما اشترط بعضهم من كونه يعقل عن النبي (ﷺ) ولو كلمة ضعيف . انتهى .

ويمكن الجمعُ بأن مَن اشترط التمييز فهو باعتبار التحمُّل ، ومن لم يشترطه فهو باعتبار الصُّحبة المطلقة ، ولا خَفاء أن رُتبة مَن لازمه وقاتَل معه ، أو قُتل تحت رايته ، أعظم ممن[1] لم يحضر شيئا من ذلك ، وكذا مَن شاهَده يسير ، أو رآه على بُعْد ، أو في حال الطفولية ، وإنْ كان شرفُ الصحبة حاصلا للجميع .

قال الحافظ ابن حَجر[2] : إن ثبت أن النبي (ﷺ) كُشف له ليلة الإسراء[3] عن جميع مَن في الأرض فرآهم فينبغي أن يُعَدَّ من الصحابة من كان مؤمنا في حياته [٤٤٢/و] وإن لم يُلاقه لحصول الرؤية من جانبه (ﷺ) ، لكن خَالَفه شيخ الإسلام زكريا[4] بقوله : شمول التعريف بمن اجتمع به من الملائكة والأنبياء ليلة الإسراء ليس مرادًا لوقوعه على وَجْهِ خَرْق العادة ، بل الاجتماع المتعارف بين الناس ، وإن كان رتبة[5] الكثير من هؤلاء فوق رتبة الصحبة ، والظاهر أن شيخ الإسلام زكريا أراد بالأنبياء عيسى ؛ لأنه لم يمت ، أما غيره من الأنبياء ، ولو إدريس ، فلا يُتوهم دخولهم ؛ لأن رؤيته لهم بعد موته ، والرؤية بعد الموت تفيد الصحبة كما تقدم .

ولم يذكر في "جمع الجوامع"[6] في التعريف "ومات على الإسلام" ، واعترض عليه بمن

---

(١) في نسخة الأصل م : "من" بإسقاط الميم الأولى .

(٢) لم أعثر على هذا القول .

(٣) في نسخة الأصل م : "الأسرى" [كذا] .

(٤) يبدو أنه زكريا بن محمد الأنصاري المولود ٨٢٣هـ والمتوفى ٩٢٦هـ والله أعلم .

(٥) في النسختين د ، ك : "مرتبة" .

(٦) قال السيوطي في جمع الجوامع في معرض شرحه لمعنى كلمة "صحبه" :" (وَصَحْبِهِ) هُوَ اسْمُ جَمْعٍ لِصَاحِبِهِ بِمَعْنَى الصَّحَابِيِّ وَهُوَ كَمَا سَيَأْتِي مَنْ اجْتَمَعَ مُؤْمِنًا بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَطَفَ الصَّحْبَ عَلَى الآلِ الشَّامِلِ لِبَعْضِهِمْ لِتَشْمَلَ الصَّلَاةُ بَاقِيَهُمْ". وقال شارحه الجلال المحلي:" (قَوْلُهُ : بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تَنَازَعَهُ كُلُّ

مات مرتدًّا ، وأجاب عنه شارحه الجَلال المحَلي بأن يُسَمَّى قبل الرِّدة صحابيا ، ويكفى في صحة التعريف ، إذ لا يشترط فيه الاحتراز عن النَّافِي العارض ، ولذلك لم يحترزوا في تعريف المؤمن من الردّة العارضة في بعض أفراده ، قال : ومَن زَاد من متأخري المحدِّثين كالعراقي "ومات مؤمنا" للاحتراز عمن ذُكر ، أراد به ما يسمى بعد موته لا مطلقا ، وإلا لزمه أن لا يسمى الشخص صحابيا حال حياته ، ولا يقول بذلك أحد ، وإن كان ما أراد ليس من شأن التعريف .

والسلام بمعنى التسليم ، أي بمعنى التحية ، أو السلامة [٤٤٢/ظ] من النقائص ، وجمع بين الصلاة والسلام فرارا من كراهة إفراد أحدهما عن الآخر ، وامتثالا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾(١) .

فإن قيل قد جاءت الصلاة عليه غير مقرونة بالتسليم في آخر تشهد الصلاة ، قلت: قد تقدم فيه قوله : السلامُ عليك أيها النبي .

قال العلاّمة ابن قاسم : وهل الإفراد مكروه أيضا في حق بقية الأنبياء أوْ لاَ ؟ لأن طلب الجَمْع بينهما إنما ورد في حقه (ﷺ) دون غيره من الأنبياء فيه نظر، والظاهر أن اللائق في مقام الأنبياء عليهم(٢) الصلاة والسلام أنه مكروه في حقهم أيضا، كذا نقله العلامة

مَنْ اجْتَمَعَ بِهِ مُؤْمِنًا فَخَرَجَ مَنْ اجْتَمَعَ بِهِ كَافِرًا ثُمَّ آمَنَ وَمَنْ اجْتَمَعَ مُؤْمِنًا بِغَيْرِ نَبِيِّنَا فَلَا يُسَمَّى وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَحَابِيًّا اصْطِلَاحًا وَلَمْ يَزِدْ فِي التَّعْرِيفِ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ عَلَى الْإِيمَانِ شَرْطٌ لِدَوَامِ الصُّحْبَةِ لَا لِتَحَقُّقِهَا ، وَالتَّعْرِيفُ لِمَنْ تَحَقَّقَتْ لَهُ الصُّحْبَةُ مُطْلَقًا".حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، مقدمة الكتاب ٧٤/١. وتنظر ترجمة المحلي في مقدمة تفسيره مع السيوطي: تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى، والأعلام ٢٩٢/٥.

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٥٦).

(٢) في النسختين د ، ك : "عليهما السلام" .

الشَّنَواني من غير ترجيح وأقرَّه شيخ شيخنا العلاّمة الشبراملسي، ويكفى في الخروج عن الكراهة الإتيان بها خَطًّا فقط أو لفظا ، أو إحداهما لفظا والأخرى خطًّا .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَدَا بَرْقُ الرَّشَادِ (لَهُ) فَشَامَهْ[1]

(أي)[2] وعلى التابعين ، والتابعي هو الذي اجتمع بمن اجتمع بالنبي (ﷺ) ، قال الخَطِيب البغدادي: لا يكفي فيه اجتماعه بالصحابي من غير إطالة الاجتماع نظرا للعُرف في الصُّحبة ، بخلاف اجتماع الصحابي بالنبي (ﷺ) ، ومشى عليه في "جمع الجوامع" ، وفرَّق شارحه الجَلال المحلي بأن الاجتماع بالمصطفى (ﷺ) يؤثر من النور القلبي أضعاف [٤٤٣/و] ما يؤثره الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الأخيار ، فالأعرابي[3] الجِلف بمجرد ما يجتمع بالنبي (ﷺ) مؤمنا ينطق بالحكمة ببركة طلعته (ﷺ) ، وقال الحاكم: يكفى الاجتماع به وإن لم يَطُل ، ولم يسمع منه (ﷺ)[4] وصَحَّحه ابن الصَّلاح والنَّوَوي وغيرهما ، وعليه العمل .

وكَنَى الناظم رحمه الله تعالى بقوله. ومَن بدا برق الرشاد (له)[5]، فشامه، أي نظره عن المؤمنين، فكأنه قال (ﷺ) وعلى صَحْبه العاملين والتابعين والمؤمنين المهتدين.

قال الناظم[6] :

---

(١) ما بين القوسين في الشطر الثاني زيادة من النفح والنسختين د ، ك .

(٢) ما بين القوسين زيادة من النسختين د ، ك .

(٣) في جميع المخطوطات : "فالأعراب" ، والسياق لا يوافقه ، وصححته بما يناسب القول بعده .

(٤) سقط "صلى الله عليه وسلم" من النسختين د ، ك ، ويبدو لي — والله أعلم — أنه الأوفق؛ لأن الحديث عن اجتماع التابعي بالصحابي .

(٥) ما بين القوسين ساقط من جميع المخطوطات ، وزدته من النفح .

(٦) في النسختين د ، ك : "قال الناظم رحمه الله تعالى" .

مَــــا فَـــــازَ بِالرِّضْــــوَانِ عَبْــــــ ـــــدٌ كَانَـــــتِ الْحُسْــــنَى خِتَامَـــــهْ

ما مصدرية، والفوز : النجاة والظفر بالخير ، ورضوان الله تعالى هو المبدأ لكل سعادة وكرامة ، والمؤدى إلى نيل الوصول ، والفوز باللقاء ، وعنه (ﷺ)[1] : **"إن الله تعالى يقول لأهل الجنة : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعْط أحدا من خلقك ، فيقول ، أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، قالوا وأي شيء أفضل من ذلك ؟ قال : أُحِلّ عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم أبدا"** .

والمراد بالحسنى هي كلمة الشهادة ، وبكونها ختامه أي آخر كلامه ، فقد ورد عنه (ﷺ) أنه قال[2] : **"مَن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دَخَلَ الجنة"** .

نرجو منه تعالى أن يرزقنا حُسْنَ الختام ، ويدخلنا الجنة دار السلام ، ويكفينا شرَّ غِيَرِ الأيام [٤٤٣/ظ] بحُرْمة خَيْرِ الأَنَامِ ، علَيْهِ من اللهِ أفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ ، ما تَرَنَّمَ قُمْرِيٌّ ونَاحَ الحَمَامُ .

وقد آن للقلم أن يَبْلَعَ دافقَ رِيقِهِ، ويُمْسِكَ عن تَنْمِيقِهِ وتَوْرِيقِه، ويَخْلَعَ سُؤْدَدَ بُرودِه، ويقفَ عندَ رُكوعِهِ وسُجودِهِ ، فنرجو ممن وقف على مَا لهُ القلم حَرَّر[3] أن يصلح ما طَغَى به وعثَرَ، لأنَّ السَّلامَةَ من هذا الخَطَرِ أمْرٌ يَعِزُّ على البَشَرِ، فستَرَ اللهُ على مَن بالإغْضَاءِ نَظَرَ ، وغَفَرَ لمنْ أنْصَفَ وغَفَرَ :

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث .

(٢) جاء الحديث في مسند الإمام أحمد تحت الرقمين ٢٢٠٣٤ و ٢٢١٢٧ وجاء في كشف الخفاء ٢٧٢/٢ وفيه بعده : رواه أحمد والطبراني والحاكم وصححه عن معاذ الخ .

(٣) سقط "حرر" من النسختين د ، ك .

إِنْ تَجِـــدْ عَيْبًـــا فَسُـــدَّ الْخَلَـــلاَ جَـــلَّ مَـــنْ لاَ فِيـــهِ عَيْـــبٌ وَعَـــلا[1]

كيف لا والإنسان محل الخطأ والنسيان، ولاسيما والبواعث على ذلك كثيرة في هذا الزمان ، فلله الحمد باطنا وظاهرا ، وأولا وآخرا ، ومنه أرجو الرِّضى والقَبُول، إنه سبحانه وتعالى خير مسؤول ومأْمول .

وكان الفراغ من تبييضه[2] وتحريره في عَشْرٍ من المحرم الحرام سنة ١١٥١من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام في البكور والعشية.

انتهى[3] كلام المصر[4] حفظه الله وأبقاه وقد تم هذا التأليف الرائق الشراب البديع الترصيف، إن نظرتَ إليه في تركيبه قلتَ : كأنه الفتوحات ، أو في حُسنه وبديعه[5] قلتَ: كأنه شروح البديعيَّات، أو في مسائله قلتَ : رياض الصالحين ، أو في تصوُّفه وجماله قلتَ: هذا الكتاب والده[6] محيي علوم الدين[7]، أو نظرت إلى لغاته [٤٤٤/و] قلتَ : هذا قاموس مجد الدين[8] ، أو في مناسباته أو لما حوى قلتَ : هذا الحاوي الثاني لكلام العلماء والأئمة

(١) البيت من [الرمل] ، ولم أعثر عليه ، وكلمة "وعلا" معطوفة على ملكة "جل" أي : جل وعلا سبحانه.

(٢) في النسختين د ، ك : "من تسويده" .

(٣) من هنا ليس في النسخة د ، ولكن فيها : تم هذا الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه برسم فخر الأكابر والأعيان المحترمين زبدة آل طه وياسين السيد خليل أفندي المحروس بعين عناية الله الملك المعين ابن المرحوم شيخ الإسلام ومفتى الأنام السيد على أفندي المرادي رحمه الله تعالى آمين ، ووافق إتمام هذه التمسية المباركة في نهار الجمعة العاشر من شهر ذي القعدة سنة ١١٨٨ على يد الفقير إسماعيل بن شيخ محمد خليفة ، غفر الله له ولجميع المسلمين آمين .

(٤) [كذا] جاءت الكلمة في نسخة الأصل م والنسخة ك ، ويبدو لي أنها "المقر" .

(٥) سقط "وبديعه" من النسخة ك .

(٦) في نسخة الأصل م : "والدة" ، واعتمدت ما في النسخة ك .

(٧) يقصد أبا حامد الغزالي صاحب إحياء علوم الدين.

(٨) يقصد مجد الدين الفيروزآبادي، صاحب القاموس المحيط.

المجتهدين ، كأن هذا التأليف دُرٌّ نضيد ، أو عقد فريد ، لأنه بين الطارف والتليد، كيف لا ومؤلفه السيد أحمد الأدهمي السعيد قد خصّه الله بما لم يخصّ به غيره من أمثاله من العلم المديد، ومن مكارم أخلاق وعوارف فضائل ما فوقها مزيد؛ (فلقد أحيا مشاهد العلم، ورفع معالم قواعده، وأوضحَ منها الطريق لأهل التحقيق، فجزاه الله أفضل الجزاء، ونشَر علومه على أهل الدراية والصفاء ، ولا غرو أن يصدر عن بحره هذه الجواهر، وعن كنزه ومدده هذه النجوم الزواهر)[١].

وقد[٢] قال هذا بفمه ورَسَمه بقلمه كاتبه الفقير خليل الدِّمْيَاطيُّ الخطيبُ في يوم الأربعاء[٣] ثاني عشريِّ رجبِ الحرامِ سنةَ ألفٍ ومائةٍ وستٍ وخمسينَ أحسن الله عاقبتها بخيرٍ في الدنيا والآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وهذا تقريظ للأستاذ سيدي محمد السعيد اللقيميّ على شرح قصيدة ابن المقري[٤] تأليف الشيخ العالم السيد أحمد الأدهميّ[٥] :

أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ ٱلْأَعْظَمِ ... وَالشَّمْسِ رَابِعَةِ الضُّحَى فِي الْعَالَمِ

وَمِنَ النُّجُومِ الزَّاهِرَاتِ مَظَاهِرًا ... تَهْدِى الْهُدَاةَ إِلَى السَّبِيلِ ٱلْأَقْوَمِ

وَمِنَ الْبُرُوقِ اللَّامِعَاتِ سَوَاطِعًا ... تَرْوِى الثَّنَا عَنْ ثَغْرِهَا الْمُتَبَسِّمِ

---

(١) ما بين القوسين زيادة من النسخة ك .

(٢) في النسخة ك : "وقد كتبت هذه النسخة المباركة برسم" ثم كلام ضُرب عليه بشده ، ثم "رحمه الله تعالى" ثم بعد الترحُّم كتب : "وكان الفراغ منها في أواخر شهر جمادى الثاني سنة ثمان وستين ومائة وألف ، على يد العبد الفقير إسماعيل بن الشيخ محمد خليفة، غفر الله له ولوالديه ومشايخه ، ولجميع المسلمين آمين" .

(٣) في نسخة الأصل م : "الأربع" [كذا] .

(٤) في جميع المخطوطات : "ابن المقري" [كذا] .

(٥) القصيدة من بحر [الكامل] .

وَأَرَقَّ مِنَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى   سَحَرًا كَأَنْفَاسِ الشَّجِي الْمُتَتَيِّمِ

وَأَرَقَّ مِنْ غَمْزِ الْعُيُونِ لِعَاشِقٍ   مِنْ ذَاتِ حُسْنٍ لاَ تَرِقُّ لِمُغْرَمِ

وَمِنَ ٱلأَزَاهِرِ إِنْ رَوَتْ أَرَجَ الشَّذَي   عَنْ مِسْكِ دَارِينَا الْعَبِيقِ الْمُنْتَمِى

وَأَرَقَّ مِنْ خَمْرِ الدِّنَانِ إِذَا انْجَلَتْ   جُنْحَ الظَّلاَمِ كُؤُوسُهَا كَٱلأَنْجُمِ

وَأَرَقَّ مِنْ أَلْحَانِ مَعْبِدَ فِي الْغِنَا   وَبَلاَبِلٍ تَشْجِى النُّهَى بِتَرَنُّمِ

وَأَحَلَّ وَقْعًا فِي الْوَغَى مِنْ ضَيْغَمٍ   شَاكِى السِّلاَحِ إِذَا اسْتَطَالَ بِضَيْغَمِ

لِقَصِيدَةِ الْمَقْرِي الهُمَامِ وَشَرْحِهَا   لِلسَّيِّدِ الْمَوْلَى الشَّرِيفِ ٱلأَذْهَمِي

سُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الْحُظُوظَ فَلاَ عِتَا   بَ وَلاَ مَلاَمَةَ حِكْمَةَ مِنْ أَحْكَمِ

أَبْدَى مَعَانِيهَا الْحَقِيقَةَ مُدْرِكًا   لَوْلاَ بَدِيعُ بَيَانِهِ لَمْ تُفْهَمِ

فِيهَا تَوَارِيخُ الْمُلُوكِ وَمَعْشَرٍ   شَادُوا الْعُلاَ فَضْلاً بِحُسْنِ تَقَدُّمِ

وَبِهَا عِظَاتٌ بِالْبَلاَغَةِ زُرْكِشَتْ   تَهْمِي الْعُيُونَ مَدَامِعًا كَالْعَنْدَمِ

وَبِهِ لَطَائِفُ كَالْجَوَاهِرِ نُظِّمَتْ   لَوْلاَ عُقُودُ حُلاَهُ لَمْ تَتَنَظَّمِ

مَوْلًى إِذَا عَقَدَ التَّنَاظُرُ مَجْلِسًا   أَضْحَى لَدَيْهِ فَصِيحُهُمْ كَأَلأَبْكَمِ(١)

وَإِذَا تَصَدَّرَ فِي مَقَامِ خَطَابَةٍ   فَلَهُ التَّصَدُّرُ بِالْخِطَابِ الْمُفْحِمِ

شَنَّفْتُ سَمْعِي مِنْ لَطَائِفِ شَرْحِهِ   وَظَفِرْتُ مِنْهُ بِحُظْوَةِ الْمُتَعَلِّمِ

---

(١) في النسختين د ، ك : "مولا إذا . . ." [كذا] .

وَأَبِيــكَ هَــذَا الشَّــرْحَ أَعْـدَلُ شَــاهِدٍ أَضْــحَى عَلَيْهَــا كَــالطِّرَازِ الْمُعْلَــمِ

وَأَجَلْــتُ فِيــه فِكْــرَتِي فَــإِذَا بِــهِ أَبْهَــي مِــنَ الْبَــدْرِ الْمُنِــيرِ الْأَعْظَــمِ

القسم الثاني

دراســـة قصــيدة المَـقَّــرِي

الفصل الأول

دراســة المضـمــون

المبحث الأول

المعاني والأفكار

يتكون الأدب من ثنائية، تحتوي الحياة بما فيها من أفكار، واتجاهات وقضايا؛ هذه الثنائية هي ثنائية الشعر، والنثر، يعبر الإنسان من خلالهما عن انفعالاته، وعواطفه، وخواطره، وهواجسه، وآماله وأحزانه، ومخاوفه، وغربته، وأحلامه، وبهذا يصبح الأدب تعبيرا صادقا عن الإنسانية في أحوالها المختلفة.

والأدب الحق هو الذي يؤثر فينا بصدقه وأصالته؛ فيثيرنا، ويؤجج مشاعرنا انعطافا إليه، وتواجدًا مع مبدعه، فيحرِّك في ضمائرنا قيم: الحق، والخير، والجمال.

ولا يخلو نص أدبي من أن يكون مركبا من شكل، ومضمون، إذ الفكرة لا حياة لها بغير لغة تتلبس بها، وتبرز من خلالها، بل هي في حيز العدم ما دامت لم تفارق نفس صاحبها إلى قلمه، وأوراقه؛ لتصبح كائنا أدبيا واضح القسمات بيّن المعالم.

ولذا فإن تعاملنا مع نص: "سبحان من قسم الحظوظ" سيذهب في وجهتين: تعامل مع مضمونه، وتعامل مع شكله:

أما تعاملنا مع مضمونه فذلك يكون بتفسير وشرح ما احتوى عليه العمل الأدبي من المعاني والأفكار، وأما الشكل فإنما نعالجه بتحليل البنية اللغوية من حيث هي قيم تعبيرية تستخدم ألفاظا، وتراكيب معينة، ثم من حيث هي قيم تصويرية فنية، ذات إيقاع نغمي.

ثم نردف ذلك بوقفة نقدية لتذوق النظم، والكشف عن مواطن الجودة، أو الإخفاق في الشكل والمضمون.

هذا. وقد شغلت قضية الشكل والمضمون قديما علماء الأدب والنقد واللغة، وكان أبرزهم إدلاء بدلوه فيها أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ت٢٥٥هـ، حيث كان هو الذي أثار الجدل بين اللفظ والمعنى، وأثار قضية التفاضل بينهما حيث قال:" وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني، وقد بلغ من استجادته لهذين البيتينِ، ونحن في المسجد يوم الجمعة، أن كلَّف رجلاً

حتى أحضره دواةً وقرطاساً حتَّى كتبهما له، وأنا أزعم أنَّ صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً، ولولا أن أدخِلَ في الحكم بعض الَفْتكِ[1]؛ لزعمتَ أنّ ابنَه لا يقول شعراً أبداً، وهما قوله:

لا تَحْسبَنَّ الموتَ مَوْتَ البِلَى　　فَإِنَّما الموتُ سُؤالُ الرِّجالِ

كِلاَهُما مَوْتٌ ولكنَّ ذَا　　أفظَعُ من ذاكَ لِذلِّ السُّؤالِ

وذهب الشَّيخُ إلى استحسانِ المعنى، والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقَرَوي، والمدنيّ، وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحَّة الطبع وجَودَة السَّبك، فإنما الشعر صناعةٌ، وضَرْب من النَّسج، وجنسٌ من التَّصوير"[2].

ولا يظن أن الجاحظ بذلك يهمل دور المعاني الشريفة في صناعة الكلام، فقد تحدث عن المعاني وقيمتها بقوله: "فإنَّ المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البليغُ مَخرجاً سهلاً، ومنحه المتكلم دَلاًّ مُتَعشَّقاً، صارفي قلبك أحْلى، ولصدرك أمْلا" كما قال:"إذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع , وبعيداً من الإستكراه, ومترهاً عن الاحتلاف , مصوناً عن التكلف , صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"[3].

ولم يكن الجاحظ فريدا في حديثه عن هذه القضية فقد شغلت من بعده المتخصصين في مجال النقد كابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) الذي أولى هذه القضية اهتمامه؛ فجعل أقسام الشعر

(١) الفتك: المجون والخبث.

(٢) الحيوان، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية: ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م، مصطفى الحلبي، القاهرة، ج٣، ص١٣١.

(٣) البيان والتبيين، للجاحظ، حـ١، ط مكتبة الخانجي ١٩٦٠م – ص ٧٥ : ٨٧، تحقيق عبد السلام هارون.

أربعة[1]: الأول: ضربٌ حسُن لفظه وجاد معناه، والثاني: ضرب حسن لفظه وحَلاَ؛ فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، والثالث: ضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه، والرابع: ضرب تأخر معناه ولفظه معاً. ومناقشة ابن قتيبة للبناء الشعري تدل على أن الشعر يتكون من عنصرين الشكل والمضمون.

ويطالعنا قُدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) في كتابه نقد الشعر بقوله عن الشعر :"إنه قول موزون مقفى يدل على معنى......" [2]، فالمتأمل في تعريف قدامة للشعر يدرك أن المعنى هو النواة التي نُظم الشعر من أجلها، ونقف بعد قدامة على لفيف من علماء الأدب، والنقد، تحدثوا عن المعنى باعتباره ركيزة البنية الشعرية مثل: ابن طباطبا العلوي في كتابه عيار الشعر، الذي أعلن بأن الأشعار الجيدة هي المستوفاة المعاني السلسة الألفاظ ، الحسنة الديباجة[3]، وهذا أيضا ما أقره القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٢هـ) في كتابه:" الوساطة بين المتنبي وخصومه"؛ عندما بين أن العرب تفاضل بين الشعراء في الجودة، والحسن بشرف المعنى وصحته[4].

ويتابع الآمدي (ت٣٧٠هـ)هذه الرؤية في أهمية المعنى في البناء الشعري؛ فيقول إن جودة الشعر تتجلي في أن يكون دقيق المعاني، وإن بلاغته في إصابة الشاعر معناه[5].

ويتابع أبوهلال العسكري (بعد ٤٠٠هـ) هذه القضية في كتابه:"الصناعتين" فيصرح بأن المعنى ينقسم إلي قسمين: قسم مبتدع على غير مثال؛ فليس لمبتدعه إمام يقفوه فيه،

---

(١) راجع الشعر والشعراء ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر: ١٩٦٦م، ١/٦٤ وما بعدها.

(٢) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص: ١٧.

(٣) عيار الشعر، لابن طباطبا العلوي، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة معارف الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص٦٤.

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي، الطبعة الثالثة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص٣٣.

(٥) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري – الآمدي تحقيق أحمد صقر طبعة ١٩٦١م، جـ٢ ص ١٣٥ إلى ١٥١.

وقسم يحتذي فيه المتقدم، وفي كلا القسمين لا بد من عبارة حسنة ولفظ ملائم، إذا لا يصلح المعنى بدون هذين، وقد نقل أبو هلال عن العتابي قوله :" الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخّراً، أو أخّرت منها مقدّما أفسدتَ الصورة وغيّرت المعنى، كما لو حوّل رأس إلى موضع يد، أو يدٌ إلى موضع رجل، لتحوّلت الخلقة، وتغيّرت الحلية" ثم عقّب أبو هلال على ذلك بقوله:"وقد أحسن في هذا التمثيل وَأَعْلَمَ على أنَّ الذي ينبغي في صيغةِ الكلام وضعُ كلّ شيءٍ منه في موضعه ليخرجَ بذلك من سوء النظم"[١].

ويشير المرزوقي[٢] (ت٤٢١هـ) في ديوان الحماسة، إلي معايير جودة المعاني؛ فيقول:"فعيار المعنى: أن يعرضَ علي العقل الصحيح والفهم الثاقب، فإذا انعطف عليه جَنْبَتَا القبول والاصطفاء، مستأنسا بقرائنه؛ خرج وافياً، وإلا انتقص بمقدار شوبه ووحشته".

ويلخص ابن رشيق(ت٤٥٦هـ) آراء من سبقه من العلماء في أهمية المعاني للنص الأدبي؛ فيذكر أن اللفظ جسد وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى، واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر"[٣].

ومن هذا العرض لآراء النقاد ندرك أن النص الشعري يرتكز على ثنائية المعاني، والألفاظ، أو المضمون، والشكل، وأن هذه الثنائية هي عماد البنية الشعرية وعنها تتفرع الدراسات الفنية، التي تبحث في جماليات النص مثل، الإبداع، والابتداع، والأصالة، والتصوير

---

(١) أبو هلال العسكري، الصناعتين، بتحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٧١، باب البيان عن حسن النظم وجودة الرَّصْف والسبك، ص١٦٧ – ١٦٨.

(٢) ديوان الحماسة – المرزوقي – الطبعة الأولى ١٩٥١م نشرة أحمد أمين ، عبد السلام هارون، القسم الأول من ص٩.

(٣) العمدة في صناعة الشعر ونقده – ابن رشيق – تحقيق أ.د. النبوي عبد الواحد شعلان – ط ١ / ١٤٢٠ – ٢٠٠٠م ص٢٠٠.

الفني، والإيقاع والموسيقي، والطبع والصنعة، والتجربة، ووحدة العمل وغيرها من الأبواب...

وإنما قدمت بهذه المقدمة؛ لتكون مدخلا ندلف من خلاله إلى المعاني التي احتوت عليها قصيدة:" سبحان من قسم الحظوظ".

وقد استهل الشاعر معانيها وأفكارها بقوله:

أَضْنى النَّوى قَيْساً فَقَا   سَى لاعجًا أَغْرَى غَرَامَهْ

إلى قوله:

ما فَازَ بالرِّضْوَانِ عَبْ   دٌ كانتِ الحُسْنَى خِتَامَهْ

وبين هذين البيتين تتفرع المعاني؛ التي تغنى بها الشاعر في رثاء باكٍ للمعنويات، والمحسوسات، وسوف يعرض البحث أبيات كل فكرة متصلة ، -خروجا من التجزئة التي وقع فيها الشارح-؛ قصداً لضم المعاني وإبدائها في صورة متكاملة، وقد ضمت هذه الأبيات مجموعة من المعاني والأفكار تتبلور فيما يلي:

- **الوجدان الباكي.**
- **الملوك ودموع المجد.**
- **المدن في دائرة النسيان.**
- **الشام: سماء ورماد .**
- **نداء الذكريات.**
- **لا غالب إلا الله.**
- **لسان الدين ابن الخطيب وثنائية الوجود والعدم.**

- **شفاعة النبي وأثرها في تطييب الخاطر.**

وإنما حددت المحاور السابقة؛ لأنها تمثل الأفكار الأساسية للمعاني ,ومن الجدير بالذكر أن تحديد الأفكار ييسر السير مع ركبها، ويشكل نسيجها من خلال خيوط متماسكة مترابطة واضحة الألوان , ولهذا نبدأ- بإذن الله – بالتعايش مع كل فكرة بما لها من معانٍ وظلال وأطياف، لنقدم للقارئ لوحة فنية حية ناطقة بالأبعاد الوجدانية والسياسية والاجتماعية والدينية .

- **الوجدان الباكي** ، تتمثل في قوله:

أضْنَى النَّوى قيساً فقا   سَى لاعجًا أغْرَى غَرَامَهْ

وَغَوى الهوى غَيْلانَ إذ   أَبْدَى بِمَيَّتِهِ هُيَامَهْ

ترنمت الفكرة الأولى بالبكاء على فقدان الأحبة، وبكاء الماضي، الذي مثل ملامح وجدان يفيض بالشوق، والحنان، والأمل، وكان يأمل في نشوة قلبية ترفرف بجمال اللقاء، ولكن هيهات؛ إن الزمن لا يحقق للأحبة أمانيهم، ولكنه يبتلي الأحبة بجرعات الأشواق والتحنان حتى يتضاعف أملهم في جني ثمار الهوى، حتى إذا أوشكوا على جنيها؛ إذا به ينشب أظافر الفراق؛ فيدق لهم ناقوس الأنين، والحنين وتنجلي لهم عواصف تبدد الأحلام، وقد رمز[1] الشاعر للوعة المنى والشوق بقيس وذي الرمة خاصة؛ لأنهما من الشعراء الذين

(١) الرمزية : مذهب أدبي، وقد عرفت بوصفها مدرسة أدبية ذات خصائص معينة عام ١٨٨٦ ففي هذا العام صور عشرون كاتبا فرنسياً مبدأ هذا المذهب، وعرفوا باسم الفنانين الغامضين وأعلنوا أن هدفهم هو تقديم نوع من التجربة الأدبية تستخدم فيها الكلمات لاستحضار حالات وجدانية سواء شعورية، أو لا شعورية بصرف = =النظر عن الماديات الملموسة التي تدعو إليها هذه الكلمات، والأديب عندهم يستعين بالرمز عندما تعجز اللغة التقريرية عن إيصال معناه إلى القارئ، وعليه أن يتخلص منه في الحال إذا أحس أنه يقف عقبة في سبيل تطور عمله ونموه الخلاق .
المذاهب الأدبية – د / نبيل راغب – مكتبة مصر ص ٨٥ : ٩٠ بتصرف .

رسموا آثار الهيام بمصداقية ورسموا بقوة صورهم، ووضوحها أفقا لأحلام تتطاير الآمال فيها عبر ألحان تتغنى بالفردوس المفقود.

والبدء بذكر الطلل والغزل هذه فلسفة قديمة، وقد صرح بذلك ابن قتيبة، فى الشعر والشعراء ، حيث علّل لذلك في قوله[1]: «قال أبو محمد: وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مُقَصِّدَ القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرَّبْعَ، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلةُ العَمَدِ[2] في الحلول والظعْنِ على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم عن ماءٍ إلى ماءٍ، وانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان. ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة، والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريبٌ من النفوس، لائطٌ بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحدٌ يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسببٍ، وضارباً فيه بسهمٍ، حلالٍ أو حرامٍ، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصبَ والسهر وسُرَى الليل وحَرّ الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء، وذَِمامة[3] التأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكأفاة، وهزه للسماح، وفضله على الأشباه، وصغر في قدره الجزيل».

وضمن ها البيت قول المتنبي:

أين الذي الهرمان مِنْ بُنْيَانِهِ ما قومه ما يومه ما المصرع؟!

(١) راجع الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ١/٧٤ – ٧٥.

(٢) نازلَةُ العَمَدِ: أصحاب الأبنية الرفيعة الذين ينتقلون بأبنيتهم.

(٣) الذِّمامة: الحق والحرمة.

والنّاظم لقصيدة:"سبحان من قسم الحظوظ" يمهد بأحزان قيس وآلام غيلان وفراقهما للأحبة؛ لبكاء آخر هو البكاء على فراق المجد الذي أُقتلعت جذوره فأصبح كالصريم.

ولعلك أدركت السر في اختيار الشاعر الرمز بهيام قيس، وغيلان، وربطه ببكاء المجد الداثر؛ حيث إنّ الشاعر أراد ليغرس في نفس المتلقي أن أثر الزوال لم يقف على المظهر الخارجي، بل تغلغل داخل الوجدان، فأصاب أهل هذه البلاد بغصة لازمة ومرارة دائمة من لوعة الفراق ، وتباريح الجوى التى تشبه في طبيعتها ما لاقاه العاشقان قيس وغيلان.

إنّ الشعر لا يستغني عن التاريخ، والقيمة الكبرى للمعاني في الأدب؛ تتمثل في كونها معاني عامة، يتشارك فيها الناس جميعا، فالأديب إنما يصدر عن وجدان أمة؛ ويرمي إلى إثبات حقائق يوضحها، ويعمق أثرها في النفوس؛ مما دفع بعض النقاد إلى القول بأن وظيفة المعاني الأدبية هي: تحريك عواطف الناس، وإثارة تفاعلهم بها؛ والشاعر الحقيقي هو الذي لا ينفصل التاريخ عن الحاضر والمستقبل في رؤيته الشعرية، جذبا لجماهيره وتبصرة وذكرى بأمجاد مفقودة؛ لئلا تنسى بمر الزمان، وكر العشي.

من منا لا يعرف حرمان قيس، وهيام غيلان؟!. الخاصة يعرفون الأبعاد النفسية لهما؛ أما العامة فيعرفون أنهما يمثلان قصة عشق ومعاناة، ثم حرمان، ولهذا فقد أحسن الشاعر بجذبه مشاعر شريحة عريضة من القرّاء ما بين الخاصة والعامة.

وهي أيضاً لمحة شعرية تؤكد إصابته لأداته ولجمعه بين الماضي والحاضر؛ حيث إنّ مشاعر الغرام واحدة في كل عصر، وإن اختلفت صور لقاء الأحبة، وما سبق دعوة للحديث عن الأفكار الأساسية، التي من أجلها مهد الشاعر بالحرمان والمعاناة في سطور من الوجدان

الباكي.

- الملوك ودموع المجد:

أيـــــن الأكَاسِـــــرُ والْقَيَـــا صِـــرَةُ المُجَـــلُّونَ الغَمَامَـــهْ؟

أيـــن الـــذي الهَرَمَـــانِ[1] مِـــنْ بُنْيَانِـــهِ الحَـــاكِي اعْتِزَامَـــهْ

أم أَيْـــنَ غُمْـــدَانٌ[2] وسَيْـــفٌ والوفـــودُ بـــه أَمَـــامَهْ

أيـــن الخَوَرْنَـــقُ والسَّديـــرُ ومـــن شَـــفَى بهمـــا أُوامَـــهْ

ومـــدائنُ الإســـكندرِ الَّـــلاتـــى لهـــا أَعْلَـــى دِعَامَـــهْ

أيـــن الحصـــونُ ومَـــنْ يَصُـــون بهـــا مـــن الأعـــدا حُطَامَـــهْ

أيـــن المراكـــبُ والمواكـــبُ والعَصَـــائِبُ والعِمَامَـــهْ

---

(١) الهرمان: هما الهرم الأكبر والهرم الأوسط وهما معروفان، يقول أين من بناهما؟ وأين قومه ؟ ومتى كان يوم حوته ؟ وكيف كان مصرعه؟ يعني أنهما بقيا بعد من بناهما واندرس ذكره وذكر قومه، فما يعرفون ولا يعرف بأي ميتة هلك، ولا في أي وقت لطول ممر الدهر عليه.

يريد أن الدنيا مفنية لأهلها منكرة على من اغتر بها، وأن الفناء حتم في رقاب العباد وأن الجميع صائرون إلى الفناء، وعبارة العكبري: قوله أين الذي الهرمان من بنيانه: استدل ببنائهما على تمكنه وإقامتهما شاهدين على قوته وقدرته أي: أين هو وقوته؟ وأين قومه وكثرتهم؟ وأين عددهم وعددهم؟ أما عفت الدنيا آثار ملكه وآفته؟! أما فرقت شمله؟! أما في بطن الأرض غيبته؟! وكأنه في هذا ينظر إلى قول عدي بن زيد:

أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشَرْ وانَ أمْ أين قبله سَابورُ

يريد أن الفناء حتم في رقاب العباد، وأن الجميع صائرون إلى الفناء.

شرح ديوان المتنبي ج٣، عبد الرحمن البرقوقي ج٣، ص ١٣- طبعة المكتبة التجارية.

(٢) غمدان قصر باليمن، وسيف: هو ابن ذي يزن، ولما اعتلى العرش وفدت عليه الوفود لتهنئته، وكان فيها وفد قريش، وكان خطيبهم عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لوجاهته وعلو قدره.

أيـــــن العســـــاكرُ والدســـــاكرُ	والنَّـــــــدَامى في المُدَامَـــــــهْ
وسُـــــــقَاتُهَا المتلاعبـــــــونَ	بِلُـــــبِّ مَـــــنْ أَعْطَـــوْهُ جَامَـــهْ
مــــن كُـــلِّ أَهْيـــفَ يَـــزْدَري	بالغُصْـــــنِ إن يَهْـــزُزْ قَوَامَـــهْ
ذي غُـــــــرَّةٍ لأْلاَؤُهَـــــــا	تَمْحُـــو عَـــنِ النَّـــادِي ظَلاَمَـــهْ
فالشــــــــــــمسُ في أزرارِه	والبـــــدرُ في يـــــدِه قُلاَمَـــــهْ
يُصْـــمِي القلـــوبَ إذا رَمَـــى	عـــن قـــوسِ حَاجِبِـــهِ سِـــهَامَهْ
ويـــــروقُ حُسْـــــناً إنْ رنَاَ	ويَفُـــــوق آرامـــــاً بِرَامَـــــهْ
أنَّ لهـــــا ثَغْــــرٌ حَـــــلاَ	ذَوْقـــــاً لمـــــن رام الْتِثَامَـــــهْ
أنَّ لهـــــا وجْــــهٌ يَشُـــــبُّ	بقلـــــبِ مُبْصِـــــرِهِ ضِـــــرَامَهْ
أسْـــــــتَغْفِرُ اللّهَ لِلَغْـــــــ	وٍ لا يَـــرَى الشـــرَع اعْتِيَامَـــهْ

يقول بعض النقّاد الإنجليز[١] إن "شكسبير أفادهم في الحياة الإنسانية أكثر مما أفادتهم الفلسفة وأن تنسون، وبراون، وماثيو، وأرونولد: أفادوهم عن عصر فكتوريا أكثر مما أفادهم المؤرخون".

والحقيقة أن أي أثر أدبي يرسم معانيه، ويضع حقائقه من خلال أفكاره الراقية ومعانيه السامية فيتحول إلى قيمة مضيئة لا تخبو جذوتها على مر الأيام، لا سيما حين يترنم بحقائق

(١) النقد الأدبي – أحمد أمين – ط مكتبة النهضة. ص ٤٣ : ٤٧ بتصرف .

صادقة ليس فيها زيف يعتروها أو تكلف يشينها.

أمّا ما عدا ذلك فحتى إذا عُدَّ أدبا" إنما عُدَّ كذلك "لاستيفائه عناصر أخرى من عناصر الأدب، وكان يكون أتمُّ لو اشتمل على هذا العنصر أيضاً، وشأن الأدب في هذا شأن كل فنّ؛ فالفنّان على العموم يجتهد في أن يرى الحقيقة، ويريها للناس، وأن يظهر حقائق الأشياء وبواطنها، وهذا صحيح مهما بعد الخيال، ومهما كانت شخوص القطعة الأدبية، فنحن لا نقول القطعة الأدبية كبيرة ما لم تمثل ناحية حقة من حياتنا الإنسانية كما هي وكما يجب أن تكون".

والمتأمل لفكرة "الملوك ودموع المجد": يرى أنها صورة سُطرت متكاملة منذ البداية؛ لتكون واضحة الملامح أمام المتلقي؛ فالشاعر يذكر فناء منازل الأكاسر[١]، والقياصرة[٢] ويضاعف من أحزانه ما كان لهم من أياد حانية تسرّي عن كل مكروب، ويستمر الشاعر بقلب جريح يرثي لحال الأمجاد الزائلة؛ فيشير إلى الصرحين العظيمين اللذين يناجيين بشموخهما عزائم الرجال، ويعلن عن منزلة بانيهما الشريفة، يعني بذلك هرمي مصر، وقد شاع فى القديم ذكر الهرمين في حين أنها ثلاثة أهرام؛ لأن الأصغر منها كان مطمورا تحت الرمال، ولم يكتشف إلا حديثا.

ثم يتغنّى صاحب القصيدة أيضاً بقصر غمدان الذي شُيّد باليمن، ويعيد شريط المجد أمامه؛ فيتذكر ابن ذي يزن عندما اعتلى العرش، وجاءته الوفود؛ للتهنئة في مواكب، يحفها الجلال.

---

(١) كسرى : اسم ملك الفرس مُعّرب، وهو بالفارسية "خسرو" أي: واسع الملك، فعربته العرب فقالت كسرى – لسان العرب (كسر).

(٢) قيصر: ملك الروم / لسان العرب (قصر).

ويشتد الألم بشاعرنا؛ فيُمعن في سرد الفردوس المفقود، الذي أصبح رماداً, حتى "الخورنق[١], والسدير"[٢] وهما النهران اللذان كان يرويان، ويضاعفان القلوب والنفوس من الخيرات جفت عينهما واختفت ملامحهما؛ مما جعل الجميع يشعرون بشدة الحرمان.

ويستمر الشاعر في البكاء على ما حل بالبلاد من تدمير، وخراب، وزوال؛ فالمدن التي شيدها الإسكندر- تلك التي كانت تنطق بالحضارة والحياة- أصبحت مجرد ذكريات؛ حيث اقتلعت من الوجود، وكذلك الحصون الحربية التي كانت تحافظ على أمن البلاد وسلامتها.

لقد أشاع الشاعر جواً من الإحساس بالفناء، وكأنه يرثي الإنسانية كلها، من ناحية، ومن ناحية أخرى يتعزّى عن ضياع أمجاد الأمة بضياع أمجاد من كان قبلها من الأمم، لقد تشوهت صورة الكرامة العربية، واهتزت المظاهر المميزة لحضارتها، التي تتجلى في هيئة رجالها وملوكها وفرسانها.

والشاعر يتحسّر فتمتزج لديه خواطر تقطر منها دموع الكمد والغيظ على ما آلت إليه حضارة العرب الإسلامية، وكيف لا يَعضُ أنامله وقد اختفت السيادة التي كانت بها تنطق العصائب والعمائم[٣].

ويتنهد شاعرنا ويستمر في أسئلة لا جواب لها إلا النحيب؛ فالخراب والدمار لم يكتف بالمدن الشامخة، والحصون المنيعة ومظاهر أبهة الملوك والسادة؛ بل امتدت أيادي الإبادة لتشمل حتى أماكن الترف واللّعب، وهذه الثلاثة تجمع مظاهر الحياة: العسكرية متمثلة في

---

(١) الخورنق : اسم قصر بالعراق، فارسي معرب بناه النعمان الأكبر.
والخورنق اسم نهر، وهو المراد من البيت ، لسان العرب (خرنق).

(٢) والسدير : السدير أيضًا اسم نهر. لسان العرب (سدر).

(٣) العصابة هي العمامة، وكانت التيجان للملوك والعمائم الحمر للسادة من العرب، ويقال رجل معَصَّب ومعمم أي مسوّد. لسان العرب (عصب).

العساكر، والاجتماعية متمثلة فى الدساكر[١]، وحياة اللهو المتمثلة في الندامى.

لقد أتى الفناء على جميع ملامح الحياة، وشاعرنا في هذه المعاني يريد إشاعة جو الفناء المطبق؛ فالحياة في كل عصر تتمثل في وجهين: وجه جد وحزم، ووجه ترف ولهو، ومن المعتاد أن سهام الدمار تنطلق إلى علامات القوة وأمارات الشموخ، ولكنها هنا أطاحت بكل ما يميز حضارة البلاد؛ فأخمدت حتى أصوات الترف من: الحب، والغرام، واللهو، وتلك الدعابات التي تناغى كل أهيف مياس القوام، وضاء الجبين بديع الخلقة جذاب الحركة ساحر النظرة، يثير بدلأله عشاقه ويشعل الضرام في قلوبهم من حلاوة ثغره وفتنة وجهه.

ويتوقف الشاعر برهة مع نفسه المكروبة المحزونة؛ فيتضرع إلى الله – سبحانه وتعالى – ويطلب منه الغفران على اللغو الذي بدر منه، والواقع أن هذا الغزل، ورد في نظمه بقصد التخفيف من المعاناة النفسية التي حلت من جراء الدمار والفناء الذي أحاط بالبلاد وشملها[٢].

ويلتقط الشاعر أنفاسه، فتفيض عبرات قلبه؛ ليعلن أن دموعه الحارة لا لبكاء على الأهيّف الميّاس، وإنّما على أمجاد شريفة عالية، لا تقف عند العمران والبناء، ولكنها حضارة فكر متمثلة في علوم القرآن، والسنة، واللغة؛ إذ كان للمسلمين في هذه الآونة الإمامة، والصدارة، والسيادة العلمية.

---

(١) الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي، قال الأخطل:

في قباب عند دسكرة　　حولها الزيتون قد ينعا

والجمع الدساكر، ويكون للملوك، وهو معرب. لسان العرب مادة / دسكر.

وقد يراد بالعساكر الشطرنج.

(٢) سوف يشير البحث في دراسة التجربة إلى توفيق الشاعر ودرجة مصداقيته حين ربط بين بكاء المجد ورثاء الملوك وبين الغزل.

والواقع أن شاعرنا استطاع أن يمهد – بالسؤال الذي تحفه آلام الحسرة– لبكاء مدن ما أن أشرقت حتى اغتالها شبح الغروب إلى الأبد؛ فانهمرت دموع المجد على ملوك الشموخ والعزة.

المدن في دائرة النسيان :

بـــــل أَيْـــــنَ أربابُ العُلُـــــو	**م أَولُـــــو التصُّـــــدرِ والإمَامَـــــهْ**
وذوو الـــــــوزارةِ والحِجَـــــا	**بَـــــةِ والكتابـــــةِ والعَلاَمَـــــهْ**
كائمَّـــــةٍ سَكَنُـــــوا بِأَنْـــــ	**ـــدَلسٍ فلـــم يشـــكوا سَآمَـــهْ**
هـــــي جنَّـــــةُ الـــــدنيا التـــــي	**قـــــد أذكـــــرَتْ دَارَ المُقَامَـــــهْ**
لا ســــــيما غَرْنَاطَـــــــةُ الـــــ	**غَـــــرَّاءُ رائِعَـــــةُ الوَسَـــــامَهْ**
وهـــي الـــتي دُعِيَـــتْ دَمِشْـــ	**قَ وحَسْـــبُهَا هـــذا فَخَامَـــهْ**
لِنُـــــزُولِ أهِليـــــهَا بِـــــهَا	**إذ أظهـــر الكُفْـــرُ انِهَزامَـــهْ**

الكلمات هنا تتقاطر حزنا وأسى؛ لقد سطّر الشاعر كلماته بريشة باكية، إنّ الأندلس جرح مفتوح لا يندمل، هذه المدن التي كانت تشع علوما، وتفوح معارف، وتتبرج فنونا، وتتغنج آدابا، وتتنفس جمالا وحرية؛ كما كانت تضم بين خمائلها أئمة كان لهم مناهجهم، وأبطالا لهم حماستهم وحميتهم، لقد غرس علماء الأندلس أصول القواعد العلمية والتعليمية للعالم كله؛ فجنوا السيادة، وارتفعوا إلى أعلى درجات المجد.. ثم كان ما كان.

لقد كان أبناؤها يتمتعون بسلاسة الطبع، وتحضر السلوك، وحلاوة المنطق؛ فإذا كان هذا التأثير على العامة فما بالنا بالخاصة؟ وهم أصحاب التأمل، والعمق الفكري، والحس

المرهف، والخواطر الجياشة؛ لا شك أنهم في هذه البيئة يجمعون بين الوجدان الراقي والعقل الصافي المبدع، وهو مما يزيد حجم الحزن على ذهاب هذه الحضارة وأصحابها.

ويستمر شاعرنا في التغني بالأمجاد الزائلة؛ فيتذكر مدينة غرناطة، ومالها من سمات مشرقة غراء، جعلتها زاهرة الجبين عالية المنزلة شريفة المكانة، كيف لا وقد دافع أهلها عن الإسلام؛ فبددوا ظلام الكفر، لقد راح شاعرنا يسرد بطولاتها فى استرجاع مشجن لذيذ البكاء، متذكرًا بها الشّام.

غَرْنَاطة: شام الأندلس:

لما تذكّر الشّاعر الشّام لشبه بينها وبين غرناطة على طريقة التداعي الفكري، راح يعرض لوحة لغرناطة، ويقارن بينها وبين الشام، في لفتة شعرية، جميلة، يتلذذ الشاعر فيها باستعراض المناظر الخلابة فيقول:

وأتَتْ جيوشُ الشامِ من ... بَابٍ نَفَى الفتحُ انْبِهَامَهْ

فَسَلَوْا بِهَا عن جِلَّقٍ ... إذ أَشْبهتها في القَسَامَهْ

وبَدَا لهم وَجْهُ المُنَى ... وأراهُمُ الثَّغْرُ ابتسَامَهْ

وَتبَوَّؤُهَا حَضْرَةً ... تُبْرِي من المُضْنَى سَقَامَهْ

برُوَائِهَا وبِمِائِهَا ... وَهَوائِها النَّافِي الوَخَامَهْ

ورياضِهَا المهتزَّةِ الأعطافِ من شَدْوِ الحَمَامَهْ

وبِمَرْجِهَا النَّضْرِ الذي ... قد زيَّنَ اللَّهُ ارْتِسَامَهْ

وقصـــــورِها الزهــــــرِ التــــــي يَأبى بهــــا الحُسْـــــنُ انْقِسَامَـــــهْ

يا ليـــتَ شـــعري أيْـــنَ مَـــنْ أَمْضَـــى بهـــا الملـــكُ احْتِكَامَـــهْ

وأُتِـــــيحَ فــــي حَمْرَائِهَـــــا عِـــــزًّا بـــــه زانَ اتِّسَامَـــــهْ

يستمر شاعرنا في بكاء منهمر على الأمجاد التي بنتها العرب، ثم اقتلعتها الريح، ويشير إلى أن هذه الأمجاد أثمرت ثمارها من الفتوحات العظيمة والانتصارات الباهرة، وكأنه في هذا يلمح إلى أن من أسباب زوال ملكهم انصرافهم عن الحفاظ على ما حققوه من عزّ، وشرف وملك؛ وكأنّ الشّاعر يستمع إلى صوت نفسه ويجترُّ صورة الأبطال حين فتحوا الثغور، وكيف استقبلهم أهلها؛ حيث فتحت أبوابها لهم بالترحاب، فدخلوها يحملون رايات المنى، ويشيعون الرحمة والعدل.

ومن الجدير بالذكر أن شاعرنا بتصويره لمعنى الجمال يريد الكشف عن المدى الذي وصل إليه العرب من الحضارة المتقدمة؛ فلم يكتف العرب بالتعمير والتشييد بل امتد سؤددهم وشرفهم لإسعاد النفوس، بعمران هذه الأرض، وحسن سياسة أهلها؛ فتفجرت أنهارها؛ واخضوضرت حدائقها، وتدلت خمائلها؛ وقد كانت مدينة الحمراء إحدى آيات هذه العظمة، وتجلياً لهذا الحسن.

ويتوقف الشاعر وقفة الألم والمرارة، وفي أنين مكتوم ومحاكاة نفسية عميقة ولمحة أمل مفقودة، متمنياً أن يكون شعره وسيلة لتخفيف معاناة الآلام المبرحة على مدينة كانت في أعلى السماء ثم أصبحت رماداً تذروه الرياح .

نداء الذكريات:

ترتبط الذكريات غالبا بأسماء أشخاص، أو أماكن، أو أحداث، تحتل مكانا في الذاكرة،

مما يجعل استرجاع هذه الأسماء للأشخاص أو للأماكن أو للأحداث، نوعا من الاجترار للذكريات، التي تبعث في النفس الشجن وتثير فيها مشاعر الحنين والإشفاق، ولسان الدين بن الخطيب: الوزير، والسياسي ، والشاعر والكاتب، أحد هذه الرموز التي تبعث في النفس شجن الأندلس ، وتضغط على هذا الجرح.. ولذا راح الشاعر يعدد مناقبه، وهو يتساءل:

أَيْــــنَ الـــــوزيرُ ابــــنُ الخَطِيــــــبِ بهـــا فَمَـــا أَحْلَـــى كَلاَمَـــهْ!

فَلَكَـــــمْ أَبَـــانَ العَـــدْلَ فـــي أرجائِهَـــــا وَبِـــــهَا أَقَامَــــــهْ

ولكَـــــمْ أَجَـــار عِـــداً وَكَـــمْ أجــــرَى نَـــدىً والى انْسِـــجَامَهْ

راعَـــــتْ صـــــروفُ الـــــدهر دَوْ لَتَـــــهُ وَمَـــــا رَاعَـــت ذِمَـــامَهْ

حتـــــى ثَـــوَى إِثْـــرَ التَّـــوَى في حُفْـــــرَةٍ نَثَـــرَتْ نِظَامَـــــهْ

مـــــنَ زَارَهَـــا فـــي أرضِ فَـــا سٍ أَذْهَـــــبَتْ شَـــجْواً مَنَامَـــــهْ

إِذْ نَبَّهَتْـــــــهُ لِكُــــــلِّ شَمْـــــــلٍ شَـــــتَّتَ المــــوتُ التِئآمَـــــهْ

وهنا يعود الشاعر بذكرياته إلى ما كان عليه الملوك والوزراء من صفات محمودة، فهذا ابن الخطيب صاحب الكلام المتميز المختار، والحكم العالية المتصف بجمال العطاء والقدرة على الفصل في الخصومات بعدل وحزم أين هو الآن؟ لقد دهمه الزمان، وحطمته الأيام؛ فأصبح في طي الذكريات، وشاعرنا إذ يبكي هذا الوزير لا يبكي شخصه بقدر ما يبكي فيه الرمز الذي يتمثل فيه عز دولة الإسلام في الأندلس، إن الأحداث روعته، وأهلكته، وقضت على دولته بعنف وشراسة؛ حتى مات بحسرة الذل، والهوان؛ فخيم على البلاد سحاب الأشجان؛ حيث دفن في حفرة طمست معالم أمجاده، ونثرت ملامح كيانه، فمن يقف على

قبره يدرك أن الموت أصل الحياة، وأن ما تُغِنّيَ به ما هو إلا نداء للذكريات.

لسان الدين وثنائية الوجود والعدم :

لسان الدين بن الخطيب مصدر شجن في التاريخ العربي، فقد حاول هذا الرجل أن يصلح كثيرا، وأن يتجاوز بالأمة تلك العثرات المخفقة، التي كانت تمر بها في زمنه، ولكن شاء الله غير ما شاء، فدالت لغيرهم، ورأى بعينيه تساقط المجد التليد، وزالت عنه كما زالت عن غيره أبهة الوزارة ، وقد كان لسان الدين صاحب وزارتين وزارة السياسة ووزارة القلم ، حيث كان سياسيا خطيرا محنكا، وكان كذلك كاتبا وشاعرا كبيرا.. والشاعر يسرد في جو من الأسى ويعدد مناقب لسان الدين؛ ليقفنا على ما كان موجودا ثم صار إلى عدم فيقول:

هـذا لِسَـانُ الديـنِ أَسْـ ـكَتَـهُ وألزَمَـهُ رِجَـامَهْ

ومَحَـا عِبَارَتَـهُ فَمَـنْ حَيَّـاهُ لـم يَـرْدُدْ سَـلاَمَهْ

فكأنـه مـا أمـسَكَ الْـ ـقَلَـم المُطَـاعَ ولا حُسَـامَهْ

وَكَأنَّـهُ لـم يَعْـلُ مَتْـ ـنَ مُطَهَّـمٍ بَارَىَ النَّعَامَـهْ

وَكَأنَّـهُ لـم يَـرْقَ غـا رِبَ الاعتـزازِ ولا سَـنَامَهْ

وكأنـه لـم يَجْـلُ وَجْـ ـهاً حَـازَ مـن بِشْـرٍ تَمَامَـهْ

وَكَأنـهُ مـا جَـالَ فـي أمـرٍ ولا نَـهْيٍ وَسَامَـهْ

وَكَأنـهُ مـا نَـالَ مـن مَلِـكٍ حِبَـاهُ ولا احْتِرامَـهْ

وَكَأنـهُ لـم يُلْـقَ فِـي يَـدِهِ لتدبِيـرٍ زِمَامَـهْ

مــــــذ فـــــارقَ الـــــدنيا وقَـــــ وَّضَ عـــــن مـــــنازلها خِيَامَـــــهْ

أمْسَـــــــى بـــــــقبرٍ مفـــــــرداً والـــــتُّرْبُ قـــــد جَمَعَـــتْ عِظَامَـــهْ

مـــــن بعـــــد تثنـــــيةِ الـــــوزَا رَةِ جَـــــادَهُ صَـــــوْبُ الغَمَامَـــــهْ

لـــــــم يَـــــــبْقَ إلاَّ ذِكْـــــــرهُ كالزَّهْـــــــرِ مُفْـــــتَرَّ الكِمَـــــامَهْ

وفي هذه الفكرة تردد لأصداء الذكريات حيث ترتفع أصواتها، فينعي لسان الدين بن الخطيب في بكاء يمزق أوصال النفس، لقد كان هذا الوزير صاحب بيان ألمعي ورأي حكيم، ونظرة تنطق بالعلم والمعرفة.

ولكن أين هو الآن ؟ وما منزلته ؟ هل له وجود؟ هل له قدرة حتى على النطق أو الحركة؟ لقد أصبح عدماً ثم يعدد شاعرنا مناقب لسان الدين، وما كان له من حضور في المنتديات، وما كان لقلمه من سحر، وما كان له من صولات، وجولات في مجال الفكر(١) والشعر، والعلم، والسياسة؛ لقد رحل فرحلت بموته العزة، والكبرياء، فأصبحت الدولة بعده كهشيم محتظر, وأصبح لسان الدين في عالم الذكريات. ويواسي شاعرنا نفسه بأن ذكرى هذا الوزير طيبة الرائحة ولكنها مفترة(٢) وتذروها الرياح في حينها.

---

(١) للسان الدين بن الخطيب رسالة في تفضيل الجهاد عن الحج منها « ...... يرحم الله لسان الدين الخطيب كتب علي لسان سلطانه إلى بعض العلماء العاملين: كتب الله تعالى لكم عملاً صالحاً يختم الجهاد صحائف بره = =وتتمحض لأن تكون كلمة الله هي العليا، جوامع أمره، وجعلكم ممن تمنى في الأرض التي فتح فيها أبواب الجنة حصة عمره – من حمراء غرناطة – حرسها الله تعالى».

راجع الرسالة – نفح الطيب – المقري – طبعة دار صادر بيروت – تحقيق د. إحسان عباس، المجلد الأول ص:١٨٦ – ١٩٠ ، والمقطع المختار في ص: ١٨٧.

(٢) المفتر : الضعيف, والفترة الانكسار , وفتر الماء سكن . لسان العرب (فتر).

لا غالب إلا الله:

استوحيت هذا العنوان مما كان يكتب على نقود أهل غرناطة، فقد روى لسان الدين ابن الخطيب في كتابه:"الإحاطة في أخبار غرناطة" أن "صرفهم فضة خالصةٌ، وذهبٌ إبريزٌ طيِّب محفوظ، ودرهمٌ مربع الشكل، من وزن المهدي القائم بدولة الموحدين، في الأوقية منه سبعون درهما، يختلف الكَتْبُ فيه؛ فعلى عهدنا، في شق، "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، وفي شق آخر، "لا غالب إلا الله، غرناطة"[١] وكأنهم إذ كتبوا هذه العبارة كانوا يستقوون بالله على عدوهم، أو يلجأون بضراعة إلى ربهم، لا سيما إذا علم أن هذه النقود كانت تؤدى منها جزية إلى الملك ألفونسو، فكأن الكتابة التى عليها، كانت نذير تهديد له أو نذير فناء لهم، يقول الشاعر :

والعمـرُ مثـلُ الضـيفِ أو كـالطَّيفِ لـيسَ لـه إقامَـهْ

والمـوتُ حَتْـمٌ ثمَ بَعْـدَ المـوتِ أهـوالُ القيامَـهْ

والنـاسُ مجْزيُّـونَ عـن أعمـالِ مَيْـلٍ واسْـتِقَامَهْ

فـذوو السـعادةِ يضـحكونَ وغيرُهُـمْ يبكـي ندامَـهْ

واللّـهَ يَفْعَـلُ فيهـمُ مـا شَـاءَ ذلاًّ أو كرامَـهْ

يتحدث شاعرنا عن واقع محسوس هو هيمنة الله – سبحانه وتعالى – وسلطانه على جميع مخلوقاته؛ حيث جعل – تبارك في علاه – لكل منها عمره الزمني وحدوده المكانية، النبات، والحيوان، والأفلاك، والإنسان، والدول، والأمم، والملوك، والحكام .....

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، باب :"صفات أهل غرناطة، ومظاهرهم، وأنسابهم وأزيائهم، وطرق معيشتهم، وصنوف نقدهم ووصف نسائهم"، المجلد الأول، ص١٣٧ – ١٣٨.

الجميع يتحرك نحو النهاية الدنيوية المحتومة، التي يجمع الله فيها عباده في يوم تشخص فيه الأبصار، فينظر الإنسان ما قدمت يداه ... والناس يومئذ فريقان: فوفود يسعى نورهم بين أيديهم تعلوهم البشرى والنضارة والسلامة يضحكون من نشوة الرضا ويرتدون ثياب السعادة والنصر، ووفود في بكاء وحسرة وندم؛ جزاء ما جحدوا وكفروا بالله تعالى، وسخروا من الذين آمنوا.

ورغم أهوال هذا اليوم فإن نورا يشع بالأمل في شفاعة المختار، التي وهبها الله رحمة لعباده، وضاعف الله رحمته؛ حيث جعل الشفاعة لرسول الله (ﷺ) الرحمة المهداة، وبهذا بسط الله سبحانه رزق الرحمة لعباده فهو جل علاه رحمة والشفاعة رحمة ورسول الله (ﷺ) رحمة، فالحمد لله رب العالمين.

شفاعة النبي وأثرها في تطييب الخاطر:

القلوب الطاهرة تهفو لذكر الرسول الكريم (ﷺ) الذي أرسله الله تعالى ذكره – رحمة للعالمين، وقد ترجم الشعراء الأحاسيس، والمشاعر الفياضة تجاه النبي في لوحات روحية نورانية عطرة، تفوح بعبير طيب، وشاعرنا رغم نغماته الباكية وترنيماته القاتمة تعمد في نهاية قصيدته تخفيف المعاناة عن المتلقي بذكره رحمة الله للمؤمنين؛ ليعقب بمسك الختام رسول الله (ﷺ) وكأنه يواسي نفسه، ويغرس فيها إيمانية الصبر؛ إذ ليست الدنيا هذه الفانية مما يبكى عليه ، ولا ينبغي أن يتحسر المؤمن على شيء فاته من الدنيا ، ولا يستسلم لها فيفرح بما أتاه منها : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[1] " فلا ينبغي أن يفقد المؤمن أمله في ربه، ولا أن تهتز ثقته في نصر الله ، إن لم يكن في الدنيا، ففي الآخرة بشفاعة سيدنا (ﷺ) وعلى أصحابه والتابعين، وكتب سبحانه للمؤمنين الفوز بالرضوان. يقول الشاعر:

---

(١) سورة الحديد، الآية: (٢٣).

ويُشَفَّعُ المختارُ فيهمْ حينَ يَبْعَثُهُ مقامَهْ

وعليه خيرُ صلاتِهِ مع آله[1] تتلو سَلاَمَهْ

والتابعين ومَنْ بَدَا بَرْقُ الرشادِ له فَشَامَهْ

(١) نفح الطيب ١٢/١ (صحبه).

المبحث الثاني

التجربة الشعرية

التجربة الشعرية

عرّف الدكتور علاء أحمد السيد التجربة الشعرية بأنها : "احتشاد عاطفي، يوازيه احتشاد فكرى، ولغوي تجاه موضوع يقصد الشاعر إليه، ليجعله قصيدة شعر، والشعراء من هذه الوجهة صنفان: صنف يدرك تجربته إدراكا عقليا، لكنه يؤجل الشروع في الصياغة انتظارا لتلك اللحظة التي تكون العاطفة فيها بمقدار إدراكها الفكري، فهو كالواقف على شاطئ متجردا لنزول البحر، فهو مدرك ما هو مقبل عليه، عارف بأبعاد تجربته وحدودها، والشاعر والحالة هذه يعيش قصيدته فكريا بكل خبرات حياته، لكنه يظل في انتظار لحظة الاحتشاد العاطفي، فتجربته كالبركان الخامد الذي يظل فترة من الزمان هادئا تحت الأرض حتى يجد ضعفا في سطحها فينبعث منها، وهذا الصنف غالبا ما يتاح لقصيدته توازن في العاطفة والعقل، فتأخذ حظها من الصقل والتهذيب تبعا لتجربة طويلة عايشت العقل، وخالطت القلب ولامسته.

وصنف لا يدرك تجربته عقليا ولا يعيها مسبقا، ولا يلملم موضوعاتها في انتظار ساعة البدء كالسابق؛ بل هو ارتجالي يهزه الحدث فيبدأ في لحظته أو بُعيْدَها بالكتابة، مكتفيا بالاحتشاد العاطفي، فهو كالذي يرمى بنفسه في الماء فور طلوع الشمس ظنا منه أن الجو لا بد أن يكون حارا ما دامت الشمس طالعة، بغير تخطيط، أو سبر لعمق الماء، أو مساحة السباحة، أو حال الموج أو حالة الطقس، وهذا غالبا ما تكون قصيدته حارة عاطفيا لكنها ضعيفة فنيا؛ إذ ينقصها جانب الوعي الفكري والاختمار الذهني والتنقيح العقلي الذي يأتي من المعاناة الطويلة والخبرة بالموضوع"(١).

---

(١) الصورة الفنية في قصيدة المدح بين ابن سناء الملك، والبهاء زهير: تحليل ونقد وموازنة، للدكتور علاء أحمد السيد عبد الرحيم، رسالة دكتوراه، دار العلم والإيمان، بمصر، ٢٠٠٨م.

ثم قال الدكتور علاء :"غير أن أكثر النقاد يجعلون مدار التجربة على الصدق وحده كالدكتور محمد غنيمي هلال إذ يقول:"وقد جعلنا محور التجربة الشعرية الصدق"[١] والدكتور إبراهيم أبو الخشب الذي رأى أن التجربة "صدق وحق في الشعور والإحساس"[٢] ولعله مما لا شك فيه أن الصدق ليس المقصود به مطابقة الواقع والحقيقة، بل المقصود أن يكون صدقا فنيا؛ فنفس الكاتب لا يستطيع أحد أن يدخلها ليأتي لنا منها بقبس؛ بل المصباح الوحيد الذي نستضيء به هو ألفاظه وحبكتها، ودرجة إقناعها،كما يقول الأستاذ سيد قطب "ونحن لا نملك حق الاطلاع على ضمير الأديب ولكننا لا نعدم وسيلة لإدراك الصدق الفني من خلال عمله"[٣].

وقد أشار النقاد إلى مقومات التجربة وجعلوها من أسباب نجاح العمل ومن هذه المقومات:

- ضرورة وضوح معالم الشعور وجلاء الصور في نفس المنشئ.
- تعبير الفكر عن المعاني والأفكار بصدق.
- إيحاء الأفكار بالصور الخيالية.
- تحقق عناصر الصدق، والإقناع النفسي حتى يأتي التعبير أميناً مؤثراً فكلما علا روح المنشئ، وارتقى شعوره، وصدق وجدانه فرض وجوده على أدوات العمل الفني من ألفاظ، وعبارات، وصور، وفي هذا أصالة، ومصدر للإحساس بالجمال.

(١) د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر ١٩٩٧ ص ٣٦٤.

(٢) د. إبراهيم أبو الخشب، في محيط النقد الأدبي، دار النهضة العربية ١٩٧، ص ١٧٨.

(٣) سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط٦، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م، ص ٣٣.

- والتجربة الشعرية مشاركة بين المنشئ والمتذوق، ولهذا يجب أن تعبر عن فكرة في الحياة فتعكس المغزى الأساسي من النظم، والتجارب الشعرية أنواع فهناك.

التجربة الشخصية أو الذاتية: وهي تجربة الأديب ذاته حين ينفعل بها فينقلها إلى دائرة العمل الأدبي.

التجربة التاريخية : حيث يقوم الشاعر باختيار موضوعٍ من التاريخ فيجعله عملاً أدبياً يعبر عن نموذج بشري، أو قيمة إنسانية ثابتة.

التجربة الاجتماعية : وفيها يتخير المنشئ قضية اجتماعية فيطرحها من خلال النظم في محاولة لنشر المزايا أو معالجة المثالب.

التجربة الأسطورية : وفيها يتناول الأديب من الأساطير ما شاء من التجارب البشرية، ويتخذ منها هياكل لأدبه؛ بشرط أن يتسم الأديب بسعة الخيال بحيث يستطيع تجسيم رموز تجربته إلى كائنات بشرية تفكر وتحس وتتألم(١).

وفي حياة الإنسان كثير من التجارب الكاملة التي لا ينساها وتجارب أخرى ليس لها مثل هذه الأهمية بعضها لم يتم وبعضها تم، ولكنه سرعان ما نسي، وتلك التجارب الكاملة في حياتنا هي التي تلتقي مع التجربة الشعرية فهي ليست عملاً شعرياً فحسب ولا قصيدة منظومة فحسب بل هي حدث نفسي عقلي مارسه شاعر لأول مرة، ولم يسقط من ذاكرته ولا ذاكرة الناس من حوله ومن بعده؛ لأنه حدث تام حدث يشبه بناء ضخماً على أنه بناء فكري عاطفي، بناء له أجزاؤه التي تكونه وتقيمه.

---

(١) راجع قضايا النقد الأدبي، أ- محمد السعدي فرهود من ٩١ : ٩٥ بتصرف، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
راجع الأدب ومذاهبه – د. محمد مندور – ط – نهضة مصر من ص ٣ : إلي ١٦ بتصرف.

وإذا لم تكن القصيدة بناء متكاملاً على هذا النحو؛ فإنها لا تعد تجربة شعرية صحيحة، إذ لا تشتمل على حدث فكري نفسي، يعني موقفاً معيناً للشاعر عاشه أو عاش فيه من فاتحته إلى ختمته لأول مرة بحيث أبرزه عملاً قائماً بنفسه، عملا له كيانه وله صفاته، وله وضوح التجارب الكبرى التي تمر بنا في حياتنا، فهو يتكون من جزئيات كثيرة ركز فيها الشاعر تأملاته، وقد أشرفت عليها رؤيته، وتجعله ينتقل تنقلاً طبيعياً من جزء إلى جزء، وكأنه بإزاء بناء كبير يريد أن يقيمه، أو كأنه بإزاء مشكلة، يريد أن يجد لها حلاً.

ولابد للشاعر في أثناء ذلك كله من أن يعتمد على نفسه وعقله؛ حتى يستخرج منهما الأحاسيس والأفكار الحبيسة، وحتى تنبض تجربته بالحياة إنه خالق تجربته، ولابد له أن يعاني فيها حين تخلقها في قلبه إلى حين اكتمالها، يعاني في معانيها وفي نقلها، وإيقاعاتها يدفعه إلى ذلك في أول الأمر انفعال مبهم إزاء حقيقة من حقائق النفس أو حقائق الوجود، ويأخذ هذا الانفعال في التخلق والتولد عن طريق ما يحرك فيه من أحاسيس ويثير من أفكار وعواطف، وينقل إلينا ذلك في كلمات موسيقية لها دلالات مختلفة عبر التاريخ.

ومما سبق يتبين أن التجربة الشعرية ليست مجموعة من المعاني المتناثرة يفرغها الشاعر في قوالب من الشعر كما يشاء؛ وإنما هي كل وجداني متماسك متناسق تتبادل أجزاؤها التعاون في التعبير عنه فلكل جزء دلالته, وهي دلالة ترتبط بالكل ارتباطا عضويا، دلالة لا تقصد لذاتها، وإنما ليتم بها بدلالات أخرى تصوير حالة وجدانية بجميع عناصرها وشعبها وهي حالة أحسها الشاعر بل عاشها معيشة عميقة، فالمشاعر والمعاني والألفاظ والإيقاعات الموسيقية تتولد في نفسه وتنبثق فيها وحدة تعمها من فاتحة التجربة إلى خاتمها في توازن دقيق وسياق محكم(١).

ويضاف لذلك تأمله بعمق وتمهل وتنقل سياقه من جزء إلى جزء عن طريق رحلته

(١) في النقد الأدبي أ . د شوقي ضيف – دار المعارف ص ١٢٨ : ١٤٥ بتصرف.

مع مشاعره، وأحاسيسه ودخائله ، النفسية والفكرية؛ فالتجربة الشعرية إذن ليست شيئا هينا، بل هي عنصر مهم من عناصر العمل الأدبي، لأنها خلق وإيجاد لحدث شعري وجداني، حدث يتدرج فيه الشاعر خطوة خطوة، وهو لذلك يرجع فيه إلى ما عمله الشعراء السابقون ليستوحي ويستضئ في أثناء عمله، وقد يبدو له بعد أن بدأ فيه أن ينصرف عنه، لأنه لا يستطيع أن يسوي الحدث كما يريد وقد يمضي فيه، لأنه يراه أهلا للخلق والوجود، فهو نبع يفيض في نفسه بالمشاعر والعواطف، وفي عقله بالمعاني والأفكار ومع ذلك فهو يصلح فيه ويعيد بناؤه من جديد وما يزال يجهد نفسه في تصحيحه وتعديل أجزائه، حتى يرتسم كاللوحة الباهرة بجميع خطوطه وظلاله وأصواته وألوانه(١).

ولعل هذا الجهد النفسي والفكري ينبع من نوعية التجربة التي يتعايش معها المنشئ فالتجربة الذاتية تختلف عن الاجتماعية وعن التاريخ وعن الأسطورية(٢)......... إلخ فلكل منهم روافده وصياغته وتعبيره التشكيلي .

ومن يتذوق قصيدة (سبحان من قسم الحظوظ) يدرك بحاسته الفنية نوعية تجربتها فهي تجربة تاريخية واضحة الملامح .

والنظم الذي بين أيدينا يصور معاناة لمشاعر الألم والحسرة والحرمان والهزيمة وأنين الفؤاد، ولتقدير هذا الأثر الأدبي ينبغي للباحث التزام هذه الخطوط الأدبية:-

- بيان نوعية التجربة الشعرية التي ينتمي إليها هذا الأثر.

---

(١) في النقد الأدبي أ .د / شوقي ضيف .دار المعارف ص ١٤٢ ، ١٤٣ بتصرف .

(٢) باستطاعة الأديب أو الشاعر أن يتخير من التاريخ ما شاء من تجارب يحيلها أدبا، وذلك كما قال أرسطو بأن يخرجها من الخصوص إلى العموم، فهو لا يصور تجربة هذا الرجل كما وقعت في التاريخ، وإنما يصورها تجربة كل رجل تحيط به نفسه الظروف التي أحاطت بهذا الرجل التاريخي أو ذاك بحيث تصبح قصة إنسانية عامة يستطيع كل فرد أن يتصور فيها نفسه أو نفس غيره إذا اتفقت الملابسات. والواقع أن للأديب الحق في أن يعمل في التاريخ خياله كما يعمله في واقع الحياة بشرط واحد، وهو أن يكون من المعقول صدور مثل هذا.

- درجة وضوح التجربة الشعرية في أعماق الشاعر مع بيان درجة صدقها وأثرها على المتلقي، والكشف عن درجة المشاركة والإثارة والاستجابة للمعاني والأفكار بين المنشئ والمتلقي .
- مناقشة قيمة الأثر الأدبي في ذاته، وبيان قيمته مع غيره في نفس المعاني والأفكار .

أولاً، بيان نوعية التجربة الشعرية التي ينتمي إليها هذا الأثر الشعري:

يفسر الأدب الحياة؛ فيستخرج معانيها، ويترجم أفكارها ويعبر عن الانفعالات والعواطف، والمشاعر الإنسانية؛ ولهذا فالعمل الأدبي انعكاس لتجربة شعرية موحية تشتمل على حدث فكري ونفسي تأثر به المنشئ ؛ فعايشه معايشة تامة، وقد تغنى فيها شاعرنا بما كان للعرب والمسلمين من منزلة عالية ومكانة شريفة وحياة ناطقة كان للأكاسر والقياصرة فيها لمحات حضارية على الساحة العربية، والتجربة التاريخية التي ينتمي إليها النص تصور لوحات متنوعة متكاملة الهيئات، والحركات، والأشكال والألوان، ومعبرة، عن الواقع التاريخي عبر ثنائية: زمانية/ مكانية؛ التزم فيها المنشئ بخطوط تاريخية واقعية تعكس درجة الاستجابة الانفعالية والشعرية فتبين طبيعة التجربة وكيفيتها، وبهذا يتجلى تكامل التجربة التاريخية فيما يلي:

واقعية الأماكن:

وذلك في ترنمه الآتي:

أيـــــن الأكاســــــرُ والقيـــــا صـــــرةُ المجلُّـــــونَ الغمامَـــــهْ

أيـــن الـــــذي الهـــرمَانِ مِـــنْ بُنْيانِـــــهِ الحـــــاكي اعترامَـــــهْ

أم أَيْـــــنَ غُــــــمْدَانٌ وسَيْـــــــ ... فٌ والوفــــــودُ بـــــه أَمَـــــامَهْ

أيـــــن الخـــــورنق والسديـــــــ ... رُ ومَـــــنْ شَـــفَى بهمـــا أَوَامَـــــهْ

ومدائــــــن الإســـــكندر الـــــ ... لاتِي لهـــــا أعـــــلى دِعَامَـــــهْ

أيـــن الحصـــونُ ومـــن يَصُـــو ... نُ بهـــا مـــن الأعـــدا حُطَامَـــهْ

وقوله:

كأئــــــمةٍ سكنـــــوا بأنْـــــ ... ـــــدلسِ فلـــم يشـــكو سَـــآمَهْ

هـــي جنـــةُ الدنـــيا الـــتي ... قـــد أذكـــرَتْ دار المُـــقَامَهْ

لا ســـــيما غَرْنَـــــاطُة الــــ ... غـــــرَّاءُ رائقـــــةُ الوَسَـــــامَهْ

وهـــي الـــتي دُعِيَـــتْ دمـــش ... قُ وحَسْبُـــــهَا هـــذا فَخَـــامَهْ

لنـــــزولِ أهليــــــها بـــــها ... إذ أظهـــــرَ الكفـــــرُ انْهِزَامَـــــهْ

وأتَـــتْ جيـــوشُ الشَّـــامِ مـــن ... بابٍ نَفَـــى الفـــتحُ انبهامَـــــهْ

واقعية الشخوص:

أيـــن الـــوزيرُ ابـــن الخَطيـــــ ... بِ بهـــا فَمَـــا أَحْلَـــى كلامَـــهْ!

هـــذا لســـانُ الـــدينِ أَسْـــ ... كَتَـــهُ وأسكنــــه رِجَامَـــــهْ

فالناظر فيما سبق يقف على خطوط واقعية ثابتة من حيث الأماكن، والشخوص

استطاع الشاعر بمقدرته الفنية نقلها من التاريخ إلى دائرة العمل الأدبي؛ لتصبح تجربة تاريخية.

وضوح التجربة وصدقها:

لوضوح التجربة أثره على المتلقي، حيث تؤثر بشكل ملحوظ في درجة المشاركة والاستجابة للمعاني والأفكار، إذ التجربة الشعرية مؤلفة من شعور وانفعال وعواطف ويشترط لنجاحها الوضوح، والصدق، والحيوية؛ لإحداث المشاركة الوجدانية والفكرية؛ والناظر في قصيدة :" سبحان من قسم الحظوظ" يستشعر نجاح الشاعر في إحداث المشاركة بينه وبين المتلقي مما أدى إلى استمرارية العاطفة في النص؛ وبيان إمساك الشاعر بتلابيب معانيه، في لغة واضحة، كانت سببا في خلود هذا العمل الأدبي المتميز اللوحات.

وقد أدى ذلك إلى سرعة الاستجابة بين المنشئ والمتلقي، وما ذلك إلا لوضوح المعاني، والأفكار، ووصولها للمتلقي بنفس القوة التي يحس بها المنشئ . والتجربة من حيث وضوحها وصدقها وتأثيرها في المتلقي يمكن أن تدرس من خلال ثنائيات منها:

ثنائية الوضوح والصدق:

فالتجربة الشعرية عالم ينبض بدقات قلب الكون ، وتتكامل من وحي الظروف البيئية يتفاعل معها المنشئ ؛ فيتجول في أعماقها، وخواطرها وملامحها، ويتأمل آفاقها ويرصد أبعادها حتى تتضح صورتها في نفسه، وفكره فيضعها في قالب تصويري، محور نجاحه الوضوح؛ فقصيدتنا واضحة في تعبيرها التشكيلي وتجربتها التاريخية، ويبرز ذلك من استجابة المتلقي لمعانيها وأفكارها ونغماتها، كما يتضح ذلك من خلال اللوحة التالية حيث يقول الشاعر:

هـــذا لســـانُ الـــدينِ أســـ ـكتَـــهُ وأسكنـــه رِجَامَـــهْ

ومحـــــا عبارتَـــــــهُ فَمَـــــــنْ حَيَّـــــاهُ لـــــم يَـــــرْدُدْ سَـــــلاَمَهْ

فكأنـــــه مـــــا أَمْســـــكَ الـــــ قلـــــمَ المطـــــاعَ ولا حُسَامَـــــهْ

وكأنَّـــــــهُ لمْ يَعْـــــــلُ مَتْـــــــ ـــــنُ مَطهَّـــــمٍ بَـــــارَى النَّعامَـــــهْ

وكأنـــــــه لمْ يَـــــــرْقَ غَـــــــا رِبَ الاعتـــــــزازِ ولا سَنَامَـــــــهْ

وكأنـــــــه لمْ يَـــــــجْلُ وجْـــــــ ـهـــــاً حَـــــازَ مـــــن بِشْـــــرٍ تمامَـــــهْ

وكأنـــــــه مـــــــا جَـــــــالَ في أمـــــــرٍ ولا نَـــــــهْيٍ وَسَامَـــــــهْ

وكأنـــــه مـــــا نَـــــالَ مـــــن مَـــــلِكٍ رَجَـــــاهُ ولا احْترَامَـــــهْ[1]

ولينظر المتلقي هذه الصورة الآتية :

والعمـــــرُ مثـــــلُ الضيـــــفِ أو كـــــالطيفِ لـــــيس لـــــه إقامَـــــهْ

والمـــــوتُ حـــــتمٌ ثـــــم بَعْـــــ ـدَ المـــــوتِ أهـــــوالُ القيامَـــــهْ

والنـــــاس مجزيُّـــــونَ عـــــن أعـــــمالِ مَيْـــــلٍ واســـــتقامَهْ

فـــــذوو الســـــعادةِ يضحكـــــو نَ وغـــــيرهم يبكـــــي نَدَامَـــــهْ

واللّـــــهُ يفعـــــل فيـــــ ـهِـــــمْ مـــــا شَـــــاء ذُلاًّ أو كرامَـــــهْ

ويُشَفَّـــــعُ المـــــختارُ فيـــــ ـهـــــم حـــــينَ يْبعَثُـــــهُ مقامَـــــهْ

(١) في نفح الطيب: ١٢/١ (حِبَاه).

وعليــــــــه خيــــــــرُ صلاتِــــــــهِ مـــــع آلِــــهِ تَتْـــــلُو سَــــلاَمَهْ

والتابعـــــــينَ وَمَـــــــنْ بَـــــدَا بَـــرْقُ الرشَــادِ لـــه فَشَـــامَهْ

إن المعنى هنا يخلط بين الذاتية والموضوعية في مزيج شعري بديع، فلا يمكن لأحد أن يقول إن الشاعر هنا يتحدث حديثا عقليا جافا باردا، كما هو الشأن فى التجارب العقلية التي تعتمد على العقل وحده، فتكون العاطفة فيها خافتة النار، هينة الخطر، ولا يمكن أن يقول أحد إن الشاعر هنا ينجرف في تيار وجداني تغلب فيه العاطفة غلبتها على الرومانسيين، فتلغي العقل إلغاء كاملا.. بل الشاعر هنا يتحدث حديثا فيه الحكمة قرينة العاطفة، وفيه العقل يخالط القلب، وكأنه كما قيل يفكر بقلبه، ويشعر بعقله.. فالمعاني كما ترى واضحة، والأفكار كما تتأمل متسلسلة مرتبة، والمغزى من ذلك كله قريب غير بعيد.

تغنى الشاعر بحقائق كونية وبينية ثابتة ومدركة؛ فالوزير لسان الدين بن الخطيب شخصية تاريخية لها حضورها الاجتماعي والسياسي على صفحات التاريخ، والموت حقيقة ثابتة، واقعة على كل نفس؛ طال بها العمر أو قصر فالعمر إذن كالضيف، أو الطيف وهي صورة واضحة قريبة المعنى؛ وهي على وضوحها وقربها عميقة صادقة، مغموسة في دم التجربة؛ والصورتان الضيف والطيف: سهلتان طيعتان قريبتان لا تستعصيان على فهم المتلقي؛ حيث يستطيع بيسر وسهولة الربط بين الضيف والطيف، وبين العمر يضاف لهذه الحقيقة الإيمانية الغنية؛ ألا وهي وقوع يوم القيامة وما فيه من أهوال، وما فيه من رضا وبشرى تشرق أنوارها من شفاعة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وما فيه أيضاً من أمن وسكينة ورضوان من الله تبارك في علاه.

إذن فقد تحقق محور وضوح التجربة الشعرية والذي يتمثل في قدرة المتلقي على الربط

بين أجزاء الصورة وبين أبعادها .

أما عن صدق التجربة الشعرية في قصيدتنا فقد نبع من وضوح الرؤية الداخلية والخارجية، فمن المعروف أن تحليل التجربة الشعرية ينقسم قسمين: أولهما: الكشف عن النزعات النفسية للشاعر وبيان وضوحها وصدقها وثانيهما، الكشف عن محاكاة الجانب الخارجي للصورة الشعرية من ناحية ثانية، وبعبارة أخرى: ينظر إلى الصورة ونموذجها؛ فلكل عمل شعري حقيقة خارجة عن نطاق العمل الشعري نفسية، أو كونية، أو اجتماعية، فهناك محاكاة للحياة، ومحاكاة للطبيعة، ومحاكاة للعواطف ومحاكاة لأعمال الناس، ومحاكاة للمثال؛ فالحقيقة الفنية تشبه نموذجا، أو هي إيجاد من خلال نموذج.

ولنا أن نسأل عن هذه المحاكاة: أهي محاكاة عميقة؟ هل سمت بفهمنا للأصل الذي حاكته ؟ هل النموذج جدير بأن يحاكى أو يصور؟ ويمكن تصور هذا المثال أو النموذج في الأعمال الشعرية كلها ....

إذن يجب أن يتوافر في التجربة صدق الوجدان[1] فيعبر الشاعر عما يجده في نفسه ويؤمن به؛ ولهذا يجب أن تكون التجربة ذات دلالة متصلة بالمجتمع ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق الملكة الشعرية، التي يتمتع بها الشاعر ويستقي من معينها موضوعات تجاربه المتسمة بالصدق، ويتبين هذا في قول شاعرنا:

بـــــل أيـــــــنَ أربابُ العلــــــــو مِ أولـــــو التصـــــدُّرِ والإمامَـــــةْ

وذوو الـــــــــوزارة والحِجَـــــــا بَـــــةِ والكتابـــــةِ والعلامَـــــةْ

(١) النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال . ط الرابعة ١٩٩٦ دار النهضة – ص ٣٨٤ بتصرف.

كائمـــــــةٍ سَكَنُـــــــوا بأنْـــــــ ـــدَلسٍ فلـــم يشـــكوا سَـــآمَهْ

هـــي جنـــةُ الـــدنيا التـــي قـــد أذكَـــرَتْ دَارَ المُقَامَـــهْ

لا ســـــيما غرناطـــــةُ ال غَـــرَّاءُ رائقـــةُ الوَسَـــامَهْ

وهـــي الـــتي دُعِيَـــتْ دِمَشْـــ قَ وحسْـــبُهَا هـــذا فخامَـــهْ

لنـــــزولِ أهليـــــها بـــــها إذ أظهـــرَ الكفـــرُ انهزامَـــهْ

وأتـــت جيـــوشُ الشـــام مـــن بابٍ نَفَـــى الفتـــحُ انبهامَـــهْ

فَسَـــلَوْا بهـــا عـــن جِلَّـــقٍ إذْ أشبـــــهتَهْا في القَسَامَـــــهْ

وبـــدا لهـــم وَجْـــهُ المُـــنَى وأراهُـــمُ الثَّغْـــرَ ابْتِسَامَـــهْ

والمتأمل في اللوحة السابقة يشعر بما تتمتع به من صدق التجربة، كما تبين وضوحها من قبل.

التأثير في المتلقي:

مرد هذا التأثير والاستجابة وضوح المعاني، والأفكار التي تعايش معها الشاعر، وانطلق من بين ربوعها ينتقل من غصن إلى غصن حتى وصل إلى حقيقة عالية تتمثل في قوله:

واللّـــــهُ يفعـــــل فيـــــ هِـــمْ مـــا شَـــاء ذُلاًّ أو كرامَـــهْ

ويُشَفَّـــعُ المـــختارُ فيـــ ـهـــم حـــينَ يْبعَثُـــهُ مقامَـــهْ

وعليـــه خيـــرُ صلاتِـــهِ مـــع آلِـــهِ تَتْـــلُو سَـــلاَمَهْ

والتابعـــــينَ وَمَــــــنْ بَـــــدَا   بَـــرْقُ الرشَـــادِ لـــه فَشَـــامَهْ

مـــا فَـــازَ بالرضـــوانِ عبـــــدٌ كانـــتِ الحُسْـــنَى خِتَامَـــهْ

وبهذا وصل شاعرنا في تصويره لتجربته إلى أعلى مراتب الوضوح والصدق فتعايش معه المتلقي في سطور سيمفونية متكاملة تتغنى بالمعاني والأفكار التي تحمل بين طياتها أمجاد الحضارة العربية والإسلامية .

قيمة هذا الأثر في ذاته وقيمته بالنسبة لغيره في نفس المعاني والأفكار:-

الأدب فن الحياة يعكس بمدلولاته صور البيئة من خلال صياغة فنية لتجربة إنسانية تثير فينا بفضل خصائص تشكيلها انفعالات عاطفية وإحساسات جمالية وقيم بشرية عالية؛ فالأدب وسيلة للتعلم والتعليم، عن طريق التخاطر والإيحاء، وهو أيضا وسيلة تثقيفية؛ فمادته اللغوية تصور الأشكال والحركات، والهيئات، والألوان.

وقصيدة "سبحان من قسم الحظوظ" تجربة إنسانية تاريخية صادقة وهي نموذج لتفاعل الأدب مع البيئة وقد تحدث البحث في العرض السابق عن صدق تجربة الشاعر، وقدرته على إثارة المشاركة الوجدانية بينه وبين المتلقي ولكن! لبيان درجة جودة هذا العمل الأدبي يجب الالتزام بخطين:-

الأول : بيان قيمة هذا الأثر الأدبي في ذاته.

الثاني: بيان قيمته بالنسبة لغيره في نفس المعاني والأفكار وتحضرني- في هذا المقام- قصيدة أبي البقاء الرندي[1] الشاعر الأندلسي في رثاء الأندلس حين داهمها الأعداء

(١) هو صالح بن يزيد بن صالح الرُّندي، شاعر أندلسي، ومؤلف وناثر، نسبته إلى رُنْدَة، ولد عام ٦٠١هـ، وتوفي عام ٦٨٤هـ، أثنى عليه لسان الدين بن الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عِنَان، الطبعة الأولى: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزء الثالث، ص: ٣٦٠ – ٣٧٦.

وتكالبت عليها الأحقاد، ولبيان قيمة القصيدة موضوع بحثنا، نعرض أبيات كل قصيدة حتى تتجلى قيمة كل أثر في ذاته وبالنسبة لسواه.

قصيدة (سبحان من قسم الحظوظ) للمقري[١]

سُـــبَحَانَ مَـــنْ قَسَـــمَ الحظـــو	ظَ فـــلا عِتَـــابَ ولا مَلاَمَـــهْ
أعْمَـــى وأَعْشَـــى ثمَّ ذو بَصَـــ	ـــرٍ وزرفـــاءُ اليَمامَـــهْ
ومُسَـــــدَّدٌ أو جَـــــائرٌ	أو حـــائرٌ يَشـــكو ظَلامَـــهْ
لَــوْلا اســتقامَةُ مَـــنْ هـــدا	هـ لمّـــا تبينَـــتِ العَلامَـــهْ
ومجـــاورُ الغَـــرَرِ المخيـــفِ	لَـــهُ البِشـــارَةُ بالســلامهْ
وأخـــو الحجـــى في ســائر الْـــ	أنفْـــاسِ مُرْتَقِـــبٌ حِمامَـــهْ
وكمَـــا مَضَـــى مَـــنْ قبَلْـــهُ	يمضـــي ولم يقـــضِ التزامَـــهْ
والجاهـــلُ المغـــترُّ مَـــنْ	لم يجعـــلِ التقـــوى اغتْنَامَـــهْ
فلـــيرفضِ العصـــيانَ مَـــنْ	يخشَـــى مِـــنَ اللهِ انْتقامَـــهُ
وليعتـــبرْ بســـواهُ مَـــنْ	لصـــلاحِهِ صَـــرَفَ اهتْمامَـــهُ
فـــالعيشُ في الـــدُّنيا الدنيّـــ	ـــةِ غـــيرُ مرجُـــوّ الإدامَـــهْ
مَـــنْ أرْضـــعَتْهُ ثُـــدِيَّها	في سُـــرْعَةٍ تبـــدا فِطَامَـــهْ
مَـــنْ عَـــزَّ جانبُـــهُ بِهـــا	تَنـــوي عَلـــى الفَـــورْ اهتْضـــامَهْ
وإذا نظـــرت فـــأيْنَ مَـــنْ	مَنَعَتَـــهْ أو مَنَحَـــتْ مَرَامَـــهْ

(١) نفح الطيب: ٧/١ – ١٢.

ومَــــنِ الـــــذي وَهَبَتـــه وَصْـــلاً	ثمَّ لم يَخْـــــــشَ انصــــــــرامَهْ
وَمَــــنِ الـــــذي مَــــدّتْ لَـــــهُ	حَـــبْلاً فَلَـــمْ يخَـــفِ انفِصـــامَهْ
كــــــم واحـــــدٍ غرَتَّـــــهْ إذْ	سَـــــرَّتْه مخفيَــــــةَ الدَّمامَـــــهْ
قَعَـــدَتْ بـــــهِ مـــــن حيـــثُ لم	يَعْلَـــمْ فلـــم يملِـــكْ قيامَـــهْ
أيـــــن الـــــذين قلـــــوبهُمْ	كانَـــتْ بهـــا ذاتَ اســـتهامَهْ
أيـــــن الـــــذين تَفيّـــــأُوا	ظـــــلَّ الســـيادة والزَّعَامَـــهْ
أيْـــــنَ الملـــــوك ذووا الــــريا	ســـةِ والسيّاســـةِ والصّـــرامَهْ
وبنـــــوا أمَيّـــــةَ حــــينَ جَمّــــــ	ـــــعَ عصـــرُهُمْ لهـــمُ فِئامَـــهْ
وتَمكنّــــــوا ممّــــــن يحـــــا	ول نَقْـــضَ مـــا شـــاؤا انبرامَـــهْ
وتَعَشّــــــقوا لمّـــــا بَــــــدَا	لهـــــم مُحَيّـــــا الأرض شـــــامَهْ
وتأمّلـــــوا وَجْـــــهَ البَسِيــــــ	طـــةِ فـــانثَنَوْا يهـــوون شَـــامَهْ
حـــــتّى تَقَلّـــــصَ ظلُّهـــــم	وأراهُـــمُ الــــدهرُ اخترامَـــهْ
أيْـــنَ الخلائـــفُ مِـــنْ بَـــني الــــ	عبّـــاس والــــبرّ القَســـامَهْ
أيْــــنَ الرشـــــيدُ وأهلُـــــه	وبَنُـــوه أصــحابُ الشّـــهامَهْ
ووزيــــــرُهُ يحــــــيى وجَعْــــــ	فَـــرٌ وابنـــه الـــراوي احْتِشـــامَهْ

والفضـــــلُ مُـــدْنيّ مَـــنْ يقـــولُ … لمَـــنْ يلـــوم علـــى النَّـــدى مَـــهْ

أم أيْــــنَ عنَــــتْرَةُ الشّــــجاعُ … وذو الجـــدا كَعْـــبُ بـــن مامَـــهْ

والزّاعِمُــــــون بجَهْلِهِــــــمْ … أنّ القُبـــور صَـــدى وهامَـــهْ

والمكثـــرون مِـــنَ المجـــونِ … إذا شَـــكى الفكـــرُ اغْتمامَـــهْ

أيْـــنَ الغـــريضُ ومَعْبَـــدٌ … أو أشـــعبٌ وأبـــو دُلامَـــهْ

أيْـــنَ الأولى هـــامُوا بِسُعْـــ … ـــدَى أو بثينـــةَ أو أُمَامَـــهْ

وَبَكَـــوُا لفـــرطِ جـــواهُمُ … واللّيْـــلُ قَـــدْ أرْخـــى ظَلامَـــهْ

وتَتَبّعُـــــوا آثَارَ مَــــنْ … عَشِـــقُوا بِنَجْـــدٍ أو تِهَامَـــهْ

وتعلّلـــوا والشـــوقُ يغـــ … ـلـــبُ بالأراكـــةِ والبَشـــامَهْ

أضـــنى النّـــوى قيســـاً فقـــا … سَـــى لاعِجـــاً أغْـــرى غَرامَـــهْ

وغـــوى الهـــوى غَـــيْلانَ مُـــذْ … أبْـــدي بمَيَّتِـــهِ هُيَامَـــهْ

أيْـــنَ الأكاسِـــرُ والقياصِـــرَ … ةُ المُجَلّـــون الغَمامَـــهْ

أيْـــنَ الـــذي الهرمـــانِ مِـــنْ … بُنيانِـــهِ الحـــاكي اعتزامَـــهْ

أمْ أيْـــنَ غُمْـــدَانٌ وسيـــ … ـــفٌ والوفـــودُ بِـــهِ أمَامَـــهْ

أيْـــنَ الخَوَرْنَـــقُ والسّديـــ … ـــرُ ومَـــنْ شَـــفَى بهمـــا أوَامَـــهْ

ومَـــــدائنُ الاســـــكندرِ الــــــ ـــــــلاتي لهـــــا أعلـــــى دِعَامَـــــهْ

أيْـــــنَ الحُصُــــونُ ومَـــــنْ يصُـــــو نُ بهـــــا مـــــن الأعـــــدا حُطامَـــــهْ

أيـــــنَ المراكـــــبُ والمـــــوا كـــــبُ والعصـــــائبُ والعِمامَـــــهْ

أيْـــــنَ العســـــاكرُ والدســـــا كـــــرُ والنّـــــدامى في المُدامَـــــهْ

وَسُـــــــــقاتُها المُتَلاعِبـــــــــو نَ بلُـــــبّ مَـــــنْ أعْطَـــــوْهُ جامَـــــهْ

مـــــن كـــــلّ أهيـــــفَ يـــــزدري بالغُصـــــنِ إنْ يَهْـــــزُزْ قَوَامَـــــهُ

ذي غُـــــــرّةٍ لألاؤهـــــــا تمحُـــــو عَـــــنِ النـــــادي ظَلامَـــــهْ

فالشّـــــــــــــمس في أزاره والبـــــــدرُ في يـــــده قُلامَـــــهْ

يُصْـــــمى القلـــــوبَ إذا رمـــــى عَـــــنْ قـــــوسِ حاجبـــــه سِـــــهامَهْ

ويـــــــروقُ حُســـــــناً إن رَنَى ويفـــــــوقُ آرامـــــــاً بِرامَـــــهْ

أنَّى لهـــــا ثغـــــرٌ جـــــلا ذوقـــــاً لمـــــن رامَ التِثامَـــــهْ

أنَّى لهـــــا وجْـــــهٌ يَشُبـــــــ ـــــبُّ بقلـــــبِ مُبصـــــره ضِـــــرَامَهْ

أسْـــــتَغْفِرُ اللهَ لِلَغـــــوٍ لا يـــــرى الشـــــرعُ اعْتيامَـــــهْ

بَـــــلْ أيْـــــنَ أربابُ العلـــــومِ أولـــــو التصـــــدُّرِ والامامَـــــهْ

وذوو الـــــــوزارة والحجابـــــــةِ والكتابـــــــةِ والعلامَـــــــهْ

كأئمّـــــةٍ سَـــــكنّوا بِأنْـــــدلسٍ	فلَـــــمْ يشـــــكوا ســـــآمَهْ
هـــــيَ جنّـــــةُ الـــــدُّنيا الـــــتي	قـــــد أذْكـــــرَتْ دارَ المُقَامَـــــهْ
لا ســـــيّما غَرْناطَـــــةُ الـــــ	غـــــرّاءُ رائقـــــةُ الوَسَـــــامَهْ
وهـــــي الـــــتي دُعيَـــــتْ دِمَشْـــــقَ	وحَســـــبُها هَـــــذا فَخامَـــــهْ
لنـــــزولِ أهليهـــــا بهـــــا	إذ أظْهَـــــرَ الكفـــــرُ انهزامَـــــهْ
وأتَـــــتْ جيـــــوشُ الشـــــام مـــــن	بابٍ نَفـــــي الفـــــتحُ انبهامَـــــهْ
فَسَـــــلَوْا بِهـــــا عَـــــنْ جِلّـــــقٍ	إذ أشـــــبهتها في القســـــامَهْ
وبَـــــدَا لهـــــم وجـــــهُ المُـــــنَى	وأراهُـــــمُ الثّغْـــــرُ ابتســـــامَهْ
وتبوّؤهـــــا حَضْـــــرةً	تُـــــبْرى مـــــن المضـــــنى سَـــــقَامَهْ
برُوَائهـــــا وبمائِهـــــا	وَهَوَائِهـــــا النّـــــافي الوَخَامَـــــهْ
وَرِياضِـــــها المهتـــــزّةِ الأعـــــ	طـــــافِ مـــــن شَـــــدْوِ الحَمامَـــــهْ
وبمَرْجِهـــــا النّضْـــــرِ الـــــذي	قَـــــدْ زَيّـــــنَ اللّهُ ارتســـــامَهْ
وقصـــــورِها الزُّهـــــرِ الـــــتي	يأبى بهـــــا الحســـــنُ انْقِســـــامَهْ
يا ليـــــتَ شِـــــعري أيْـــــنَ مَـــــنْ	أمضـــــى بهـــــا الملـــــكُ احتكامَـــــهْ
وَأتـــــيحَ في حَمْرائِهـــــا	عِـــــزّاً بِـــــهِ زانَ اتّســـــامَهْ

أيْـــنَ الـــوزيرُ ابـــن الخطيـــــ ـــب بها فَمــا أحلــى كلامَــهْ

فَلَكَـــــمْ أبانَ العـــــدلَ في أرجائهـــا وبهــا أقامَـــهْ

ولَكَـــمْ أجـــار عِـــداً وكَـــمْ أجـــرى نَـــدا وَالى انســـجامَهُ

راعَـــتْ صـــروفُ الـــدهرِ دَوْ لـــتَهُ ومـــا راعـــت ذِمامَـــهْ

حـــتى ثَـــوَى إثـــرَ التَّـــوَى في حُفْـــرَةٍ نَثَـــرَتْ نظامَـــهْ

مَـــنْ زارهـــا في أرضِ فـــا سٍ أذهبـــت شَـــجْواً مَنامَـــهْ

إذ نَبّهَتْـــهُ لكـــلّ شَمْـــــ ـــلٍ شـــتّتَ المـــوتُ التئآمَـــهْ

هـــذا لســـانُ الـــدينِ أسكـــ تَـــه وأسْـــكَنَهُ رِجامَـــهْ

ومحـــا عِبارتَـــهُ فَمَـــنْ حَيّـــاهُ لم يَـــرْدُد سَـــلامَهْ

فكأنّـــهُ مـــا أمســـكَ الـــ قلَـــمَ المطـــاعَ ولا حُســـامَهْ

وكأنّـــهُ لَمْ يعـــلُ مَتْـــــ ـــنَ مُطَهَّـــمٍ بارَى النَّعامَـــهْ

وكأنّـــهُ لم يَـــرْقَ غـــا رِبَ الاعتـــزازِ ولا سَـــنامَهْ

وكأنّـــهُ لم يجـــلُ وَجْـــ ـهـــاً حـــازَ مِـــنْ بِشْـــرٍ تمامَـــهْ

وكأنّـــهُ مـــا جَـــالَ في أمـــرٍ ولا نَهْـــيٍ وَســـامَهْ

وكأنّـــهُ مـــا نالَ مِـــنْ مَلِـــكٍ حِبَـــاهُ ولا احترامَـــهْ

وكأنّـــهُ لم يُلْـــقِ في يَـــدِهِ لتَـــدبيرٍ زِمامَـــهْ

مُـــذْ فـــارقَ الـــدُّنيا وَقَـــوّض عَــــنْ مَنازِهــــا خِيامَــــهْ

أمْسَــــى بقَــــبِرٍ مفــــرداً والــــتُّربُ قـــد جَمَعَـــتْ عِظامَـــهْ

مِــــنْ بعـــدِ تثنيـــةِ الـــوزا رَةِ جـــاده صَـــوْبُ الغَمامَـــهْ

لَمْ يبـــــقَ إلاّ ذكـــــرُهُ كــــالزهْرِ مُفْــــتَرَّ الكمامَــــهْ

والعمـــرُ مثـــلُ الضـــيفِ أو كـــالطَّيفِ لَـــيْس لَـــهُ إقامَـــهْ

والمـــوتُ حَـــتْمٌ ثم بعـــ ـــد المَـــوتِ أهـــوالُ القِيامَـــهْ

والنـــاسُ مجزيّـــون عـــن أعمـــالِ ميـــلٍ واسْـــتِقامَهْ

فـــذوو السّـــعادةِ يضـــحكو نَ وغـــيرهم يبكـــي نَدَامَـــهْ

والله يَفْعَــــلُ فِيــــ ـهــمُ مـــا شـــاء ذلاً أو كرامَـــهْ

ويُشَـــفّعُ المختـــارَ فـــ يهِـــمْ حِـــينَ يَبْعثُـــه مقامَـــهْ

وعليـــهِ خَـــيرُ صـــلاتهِ مَـــعَ آلـــه تتلـــو سَـــلامَهْ

والتـــابعِين ومَـــنْ بَـــدا بَـــرْقُ الرشـــادِ لَـــهُ فَشَـــامَهْ

مـــا فـــازَ بالرّضْـــوان عَبْـــدٌ كانَـــتِ الحُســـنى خِتامَـــهْ

وأسدل المقري ستائر قصيدته بأمنية عالية تشفي الصدور، وتثلج القلوب ألا وهي الفوز بالرضوان(١).

---

(١) راجع نفح الطيب – المقري – تحقيق د / إحسان عباس المجلد الأول من ص ٩ : ١٢

قصيدة أبي البقاء الرندي في بكاء الأندلس[1]

وقد قدم المقّري في نفح الطيب لهذه القصيدة، وهو يرويها بما يبرهن على إعجابه بها، فقال: "ولله در الإمام العلاّمة خاتمة أدباء الأندلس، أبي الطيب صالح أبن شريف الرندي رحمه الله؛ إذ قال يرثي بلاد الأندلس، ويبعث العزائم ويحركها من أهل الإسلام لنصرة الدين، وإنقاذ البلاد من يد الكافرين، ولسان الحال ينشده "لقد أسمعت لو ناديت حياً".

لكـــلِّ شـــيء إذا مـــا تمَّ نُقْصَـــانُ ... فـــلا يُغَـــرَّ بطيـــب العـــيش إنســـانُ

هـــي الأمـــور كمـــا شـــاهدتَها دُوَلٌ ... مَـــنْ ســـرّه زمـــنٌ ســـاءته أزمـــانُ

وهـــذه الـــدار لا تُبْقـــي علـــى أحـــد ... ولا يـــدوم علـــى حـــال لهـــا شـــانُ

يمـــزقُ الـــدهرُ حتمـــاً كـــلَّ ســـابغة ... إذا نَبَـــتْ مشـــرفياتٌ وخُرصـــانُ

وينتضـــي كـــلَّ ســـيف للفنـــاء ولـــو ... كـــان ابـــن ذي يـــزن والغمـــد غمـــدانُ

أيـــنَ الملـــوك ذوُو التيجـــان مـــن يمـــنٍ ... وأيـــنَ مـــنهُم أكاليـــل وتيجـــانُ

وأيـــن مـــا شـــاده شَـــدَّادُ في إرم ... وأيـــن مـــا ساســـه في الفـــرس ساســـانُ

وأيـــن مـــا حـــازه قـــارون مـــن ذهـــب ... وأيـــن عـــادٌ وشـــدَّادٌ وقحطـــانُ

أتـــى علـــى الكـــلِّ أمـــرٌ لا مـــردَّ لـــه ... حـــتى قضـــوا فكـــأنَّ القـــوم مـــا كـــانوا

وصـار مـا كـان مـن مُلـكٍ ومـن ملـكٍ ... كمـا حكـى عـن خيـال الطيـف وَسـنانُ

دارَ الزمـــانُ علـــى دارَا وقاتِلِـــهِ ... وأمَّ كســـرى فمـــا آواه إيـــوانَ

---

(١) نفح الطيب: ٤/٤٨٦ – ٤٨٨.

كأنّما الصعب لم يسهل له سبب ... يوماً ولا ملك الدنيا سليمانُ

فجائعُ الدهرِ أنواعٌ منوَّعة ... وللزّمانِ مَسَرَاتٌ وأحزانُ

وللحوادثِ سُلْوانٌ يسهِّلها ... وما لما حلَّ بالإسلام سُلوانُ

دهى الجزيرةَ أمرٌ لا عزاء لَهُ ... هوى لَهُ أحُدٌ وانهدَّ ثهلانُ

أصابها العين في الإسلام فامتحنتْ ... حتى خلت منهُ أقطارٌ وبلدانُ

فاسأل بَلَنْسية ما شأن مُرْسيةٍ ... وأين شاطبة أم أين جَيّانُ

وأين قُرْطبة دارُ العلوم، فكم ... من عالمٍ قَدْ سَما فيها لهُ شانُ

وأين حمصُ وما تحويه من نُزَه ... ونهرها العذب فَيّاضٌ وملآنُ

قواعد كنّ أركان البلاد فما ... عسى البقاء إذا لم تَبْقَ أركانُ

تبكي الحنيفيةُ البيضاءُ من أَسَفٍ ... كما بكى لفراقِ الإلْفِ هَيْمانُ

على ديارٍ من الإسلام خاليةٍ ... قد أقفرت ولها بالكفر عُمْرَانُ

حيث المساجد قد صارتْ كنائس ما ... فيهن إلا نواقيسٌ وصُلْبانُ

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدانُ

يا غافلاً ولهُ في الدهرِ موعظةٌ ... إن كنت في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانُ

وماشياً مرحاً يلهيه موطنهُ ... أبَعد حِمْصٍ تغرُّ المرءَ أوطانُ

تلـــك المصـــيبة أنْسَـــتْ مـــا تقـــدمها ... ومـــا لهـــا مَـــعَ طـــولِ الـــدهر نســـيانُ

يا راكبـــين عتـــاقَ الخيـــل ضـــامرةً ... كأنَّهـــا في مجـــال الســـبقِ عقبـــانُ

وحـــاملين ســـيوفَ الهنـــد مُرْهَفـــةً ... كأنَّهـــا في ظـــلام النقـــعِ نـــيرانُ

وراتعـــينَ وراء البحـــرِ في دَعَـــةٍ ... لهـــم بأوطـــانهم عـــزٌّ وســـلطانُ

أعنـــدكم نبـــأ مِـــنْ أهـــلِ أنـــدلس ... فقـــد ســـرى بحـــديث القـــوم رُكبـــانُ

كـــم يســـتغيث بنـــا المستضـــعَفون وهـــم ... قتلـــى وأســـرى فمـــا يهتـــزّ إنســـانُ

مـــاذا التقـــاطعُ في الإســـلام بيـــنكمُ ... وأنـــتمُ يا عبـــاد الله إخـــوانُ

ألا نفـــوسٌ أبِيّـــاتٌ لهـــا هِمَـــمٌ ... أمـــا علـــى الخـــير أنصـــارٌ وأعـــوانُ

يا مـــن لذلـــة قـــومٍ بعـــد عـــزّهمُ ... أحـــالَ حـــالهمُ كُفْـــرٌ وطغيـــانُ

بالأمـــسِ كـــانُوا ملوكـــاً في منـــازلهم ... واليـــومَ هـــم في بـــلاد الكفـــر عبْـــدَانُ

فلـــو تـــراهم حيـــارى لا دليـــلَ لهـــم ... علـــيهمُ مـــن ثيـــاب الـــذلّ ألـــوانُ

ولـــو رأيـــتَ بُكـــاهم عنـــد بـــيعهمُ ... لهالـــكَ الأمـــرُ واســـتهوتك أحـــزانُ

يا رُبَّ أمٍّ وطفـــلٍ حيـــل بينهمـــا ... كمـــا تَفَـــرَّقُ أرواحٌ وأبـــدانُ

وطفَلـــة مثـــل حســـن الشـــمس إذ طلعـــتْ ... كأنّمـــا هـــي ياقـــوتٌ ومَرْجـــانُ

يقودهـــا العلـــجُ للمكـــروه مكرهـــةً ... والعـــينُ باكيـــةٌ والقلـــبُ حـــيرانُ

لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمد   إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

وبعد هذا العرض النصي لقصيدتي (سبحان من قسم الحظوظ) للمقري ورثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي، يستطيع المتلقي تبين القيمة الفنية، والأدبية للأثرين، والتي تتجسد في إثارة المتعة النفسية، والفكرية فقد تحققت القيمة في نص المقّري؛ حيث تمكن من جذب المتلقي لأحداث تاريخية سجلتها ثنائية الزمان والمكان فتعايش معها عبر نبرات صدق التجربة الشعرية ووضوح معانيها وأفكارها مما أدى إلى شحذ الحمية العربية والإسلامية على أمجادها.

ومن الجدير بالذكر أن القيمة الأدبية والفنية لرثاء الأندلس تجلت بنفس الصورة التي برزت في نص المقّري ويجمعهما أيضاً أنهما من نماذج الأدب العالمي لواقعية أحداثهما وحيوية انفعالاتهما؛ مما أدى استمرار موضوعهما فهما يمثلان الصراع البشري الدائم الذي هو من سمات الحياة الدنيوية. ومن منطلق ما سبق يطرح هذا السؤال نفسه:

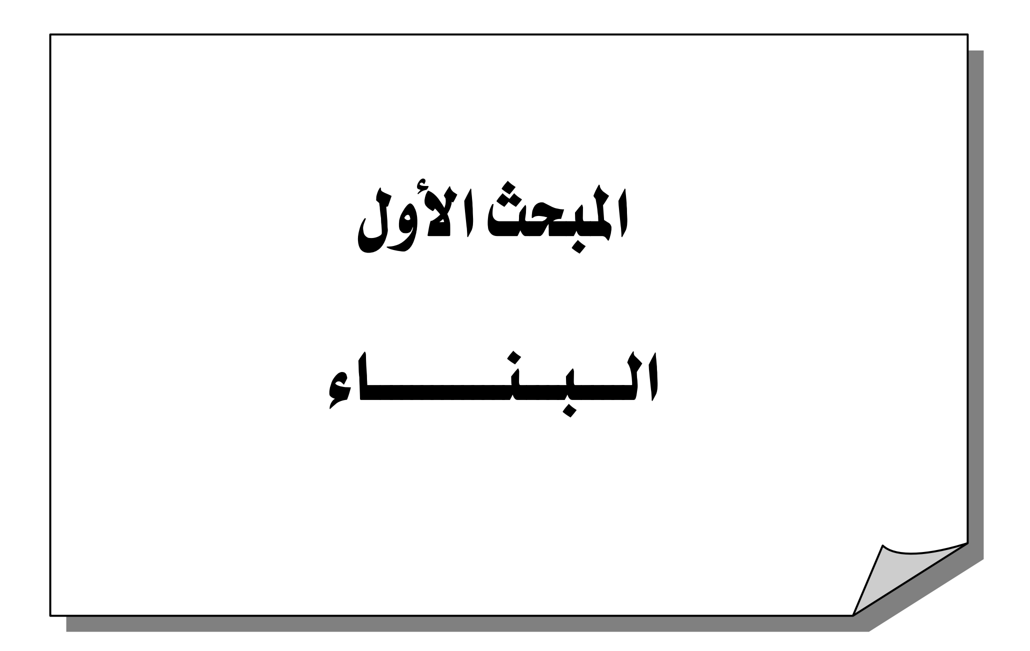
لقد اجتمعت القصيدتان في الهدف والقيمة فأيهما الأحق بصفة الإبداع الفني؟.

غير أن المتلقي يستطيع أن يدرك أن قصيدة رثاء الأندلس أكثر عمقاً وأجمل في تصويرها وأدق في أبعادها الجمالية، وأقوى في عواطفها، ومرجع ذلك إلى أنها جمعت بين التجربة الذاتية، بما احتوت عليه من الألم، وبين التجربة التاريخية، بما احتوت عليه من حقائق ثابتة؛ فقد أسقط الشاعر حزنه وإحساسه بالسقوط على المدينة الزائلة، وماله لا يبكي بصدق وهو الذي تنهار أحلامه مع انهيار بلاده؟، وهو الذي زحزح عن موطنه، وأزيح عن مسقط رأسه؟ إن التجربة هنا ثرية بالعاطفة القوية، والشجى يبعث الشجى على حد تعبير مالك بن نويرة، والمصائب يجمعن المصابين على حد تعبير شوقي، انجرف الرندي يصور الأندلس وهي تساقط إمارة بعد إمارة وملكا بعد ملك، وكيف اغتصبت بها النساء، وبيع

الأطفال، وحل بها من الخراب والدمار، ما يذيب القلب ويدمي الروح، وهي أشياء رآها رأي العين، وما راء كمن سمع، فالتجربة بين الرندي وبين شاعرنا تأتي الموازنة فيها لصالح الرّندي، حيث إن الذي عايش الحدث، واكتوى بناره.

الفصل الثاني

دراسـة الـشـكل



المبحث الأول

البنـــــاء

البنـــاء

أولاً: الدراسة النظرية:

الآداب فن من الفنون الجميلة الرفيعة التي أنعم الله بها على الإنسان؛ ليكون معبرا عن ذاته، ومجتمعه، تعبيراً صادقاً دقيقاً تدفعه إلى السمو؛ حيث يكشف عن القضايا، التي يعاني منها المجتمع، ويرسم من خلال نصوصه، الصورة المثلى التي يتطلع إليها أبناء هذا المجتمع.

ويعتمد المنشئ في هذا على الشكل الذي يخرج المضمون من كونه فكرة تسبح في سديم العدم إلى رؤية فعالة لها تأثير في الحياة.

والكلمة المفردة هي اللبنة الأولى التي يتشكل منها بناء القصيدة، وهي لا تأخذ قيمتها من معناها المفرد، ولكنها تستمد قيمتها من التركب السياقي للعمل الأدبي، الذي يسحب عليها من الظلال والألوان ما يتناسب وجو هذا العمل الأدبي.

وهذا لا يلغي شرف الكلمة في ذاتها، فإن لكل كلمة سحرها الخاص وجاذبيتها المستقلة، التي تستمدها من سلاسة تركيب حروفها ، وانضمام أصواتها، وسهولة مخارجها، فلا يمكن أن تكون كلمة :"الهعخع"، بضخامتها، وغلظ أصواتها بالغة في الشرف ما لكلمة، "نبات"، كما أن لكل كلمة دلالتها التي إذا وضعت فيها اكتسبت غير قليل من الجاذبية.. فكلمات مثل الحب ، والعشق ، والشغف، والتدله، والوله، والولع، والهيام .. الخ لا يمكن أن تستخدم كل منها بديلة عن الأخرى، ولا شك أن المقام الذي يصلح لهذه لا يصلح لتلك.. وهكذا

ولأهمية الألفاظ في البناء تحدث عنها علماء العربية كما تحدثوا عن المعنى وأهميته، ونظروا إلى المضمون، والشكل على أنهما مسألة من مسائل علم الجمال وأن لكل منهما معايير موضوعية يحكم بها على النظم جودة أو رداءة. ولهذا نجد الجاحظ يتحدث عن

قيمة اللفظة في البناء اللغوي فيقول:"

فإذا كان المعنى شريفاً واللفظُ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه، ومنزَّهاً عن الاختلالِ مصوناً عن التكلُّف، صنَعَ في القُلوب صنيعَ الغَيث في التُّربة الكريمة، ومتى فَصَلت الكلمةُ على هذه الشّرِيطة، ونفذَتْ من قائلها على هذه الصِّفة، أصَحبَها اللَّهُ من التوفيق ومَنَحَها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدورُ الجبابرة،ولا يذهَل عن فهمها معه عقولُ الجَهَلة"[١] كما أشار ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء إلى أهمية اللفظ والمعنى أي إلى البناء (المضمون والشكل) في معرض تقسيمه لأضرب الشعر، وقد بين أن خير الشعر ما حسن لفظه وجاد معناه فإذا قصر اللفظ عن المعنى، أو حلا اللفظ ولم يكن وراءه طائل كان الكلام معيبا..." [٢] كما نجد أن قدامه بن جعفر في نقد الشعر يشير إلى أن الألفاظ لا بد أن تعبر عن معانيها بدقة، ولهذا ذكر في تعريفه للشعر أنه:" قول موزون مقفي يدل على معنى فالمراد بكلمة "قول": الألفاظ في ثيابها التعبيرية الجيدة، ولهذا ذكر ابن طباطبا في عيار الشعر[٣] أهمية الجودة التشكيلية فقال عن الأشعار المحكمة أنها:" المحكمة الرصف، المستوفاة المعاني السلسة الألفاظ، الحسنة الديباجة". والمقصود بعبارة"المحكمة الرصف": وضع الكلمة مع أخواتها في سياق تعبيري متين، يؤدي المعنى بدقة، وعمق، وإتقان وهذا ما رمى إليه الإمام عبد القاهر الجرجاني؛ حين رأى تلازما في العملية الفكرية بين الألفاظ في السياق وبين دلالتها على معناها العام، يرى عبد القاهر أنه لا يتصور بحال أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى، لأنه لا يتصور أن يحصل المرء على المعنى أولا على حدة ثم يبحث له عن الألفاظ الدالة عليه، إذا إن الألفاظ – من حيث هي

(١) البيان والتبين – الجاحظ – ط١ مكتبة الخانجي، ١٩٦٠م بتحقيق عبد السلام هارون ١/٥٧ – ٨٧ بتصرف.

(٢) راجع الشعر والشعراء ابن قتيبة، دار صاد بيروت،٢:٩ بتصرف، النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال – ط٤ ص ١٩٦٩، دار نهضة مصر ص ٢٦٤.

(٣) عيار الشعر – ابن طباطبا ط ١٩٨٥ ص ٥ : ٢٤ تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع بتصرف.

ألفاظ – لا تطلب بحال، وإنما تطلب من أجل المعاني في الصياغة، والسياق، فطلب المتكلم دائما متوجه إلى المعنى الذي يريد أن يصوغه في كلام تام يدل عليه — وقد تعرض له الصعوبة بسبب اللفظ ......" إذن فالأهمية للألفاظ في مواقعها من الجمل بوصفها الوسائل التي بها تؤدي المعنى ، ولا أهمية لها في ذاتها وإنما تظهر أهمية الألفاظ في أداء المعاني ، ويتجلى ذلك في تأليف الكلام وهنا تظهر مزية الصياغة وما فيها من ألفاظ في جلائها للصورة ...... فالنظم لا يظهر في الكلمة إلا بحسب موقعها في الجملة، وبهذا الموقع تتأثر الصورة التي يهدف الأديب إلى رسمها، فكذلك الجملة لا يبين حسن نظمها إلا إذا انتقلت بدورها مع جاراتها فيما تهدف إليه هذه الجمل من معنى، ليتألف من مجموع الجمل صورة أدبية قد أعمل فيها الفكر وظهر أنها صدرت عن دراية وأناة، وبدون هذه لا يكون الكلام جيدا في نظمه، وإن حسنت ألفاظه، وإن جادت كل جملة منه على حدة، وبهذا؛ فالنظم هو محور الفضيلة والمزيه في الكلام"[١] ويرمي عبد القاهر الجرجاني بما سبق إلى أن البناء الحسن تكتمل دقته باختيار الألفاظ، ووضعها في مواضعها الملائمة لها في الجمل بعضها إلى جانب بعض؛ ليشاكل بعضها بعضا، فيتم تأليف الصورة البنائية، وقد أكد القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" ما ذكره العلماء في كيفية البناء الأدبي؛ فأشار إلى أن الجمال لا يقف عند جزالة اللفظ واستقامته بل في قوة التركيب، وتناسق الأجزاء مع تحقيق عنصر التأثير على المتلقي[٢]. ونجد كذلك أن الآمدي صاحب: "الموازنة بين الطائيين" يبين أن الشعر الحسن هو الذي يتسم بحسن التأتي، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه، المستعمل في أمثاله؛ فأجود الشعر أبلغه والبلاغة إنما هي إصابة المعنى، وإدراك

---

(١) عبد القاهرة الجرجاني، دلائل الإعجاز تحقيق محمود محمد شاكر، ط الخانجي، ص ٥٤، وما بعدها بتصرف.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه، الجرجاني ط٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي ١٩٦٦، ص ٢٢: ٢٥.

الغرض بألفاظ عذبة مستعملة سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصانا يقف دون الحاجة(1) ويسير أبو هلال العسكري على درب العلماء؛ فيرى أن البناء الشعري الجيد هو كما يقول:" فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة، والجزالة، والسهولة، والرّصانة، مع السلاسة والنصاعة، واشتمل على الرّونق والطّلاوة، وسلم من حيف التأليف، وبعد عن سماجة التركيب، وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يردّه، وعلى السّمع المصيب استوعبه ولم يمجّه، والنفس تقبلُ اللطيف، وتنبو عن الغليظ، وتقلق من الجاسي البشع، وجميع جوارح البدن وحواسّه تسكن إلى ما يوافقه، وتنفر عما يضادّه ويخالفه، والعين تألف الحسن، وتقذى بالقبيح، والأنف يرتاح للطيب، وينفر للمنتن، والفم يتلذذ بالحلو، ويمجّ المرَّ، والسمع يتشوّف للصواب الرائع وينزوي عن الجهير الهائل، واليد تنعم باللّين، وتتأذّى بالخشن، والفهمُ يأنس من الكلام بالمعروف، ويسكن إلى المألوف، ويصغي إلى الصواب، ويهربُ من المحال، وينقبض عن الوخم، ويتأخّر عن الجافي الغليظ، ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب، والرويّة الفاسدة. وليس الشأن في إيراد المعاني، لأنَّ المعاني يعرفها العربيُّ والعجميُّ والقرويُّ والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السّبك والتركيب، والخلوّ من أود النّظم والتأليف. وليس يطلبُ من المعنى إلا أن يكون صواباً، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدّمت"(2).

ثم تعرض المرزوقي صاحب:"شرح ديوان الحماسة" لبناء الشعر؛ فاعتمد في رؤيته على الاعتدال في الشكل والمضمون؛ فنادى بضرورة استواء اللفظ بالجمال، وحسن التأليف، والخلو مما يكدر ويشوه من الخطأ في اللغة والإعراب، وأن يبتعد عن جنف التأليف،

(1) الآمدي الموازنة بين الطائيين، تحقيق السيد أحمد صقر ، ٤٢٣/١.

(2) الصناعتين، أبوهلال العسكري، حققه: مفيد قميحة، بيروت، من ص ١٧٩ : ١٨٩ .

حتى يجيء مستساغا سلسا، فيقع بتلك الصفات موقعه الحسن في السمع، فيلتذ به؛ فإذا تمَّ له صواب المعنى حسن وتقبله العقل وقبله الفهم" ولم يكتف المرزوقي بالمعايير السابقة؛ بل رسم صورة لجودة العاني وأخرى لجودة اللفظ المفرد؛ فذكر أن عياره جماله لدى الطبع السليم، وصقله، وسلامته، وسهولته على اللسان، وكثرة استعماله وإلا بعد عن الذوق وبدا غريبا، ومن مجموع هذه المزايا ينشأ للألفاظ عند تركيبها حال من التآخي والتلاؤم والتوافق[1]، وقد استمر اهتمام العلماء بالبناء الشكلي الجيد للشعر وضرورة تناسب الألفاظ مع المعاني فذكر ابن رشيق صاحب العمدة في "باب في اللفظ والمعنى" أن :"اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ، وجريه فيه على غير الواجب، قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة[2].

وفي هذا يتفق ابن رشيق مع السابقين في أهمية الصياغة ودرجة تأثيرها في المتلقي الذي تنبع استجابته من دقة اختيار اللفظة و وضعها في نسيج من التركيب اللغوي الجيد و من يتصفح سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي يرى أن التركيب البنائي للشعر احتل منزله عالية وأهمية بالغة؛ حيث ذكر ابن سنان أن الوضوح التعبيري ضرورة لنجاح العمل؛

(١) ديوان الحماسة – المرزوقي نشر أحمد أمين، وعبد السلام هارون، مقدمة الشرح: ٧/١ وما بعدها.

(٢) العمدة – ابن رشيق ط تحقيق أ.د . النبوي شعلان، طبعة الأولى، ص ٢٠٠ إلى ٢٠٧ .

فالكلام ينبغي أن يكون ظاهراً جليا، لا يحتاج إلى كثير من التأمل والفكر في استخراج معانيه ويذكر صاحب الخفاجي أسبابا ستة بها يغمض الكلام: اثنان منها يعودان إلى اللفظ، وهما: أن تكون الكلمة غريبة من وحشي الكلام، وأن تكون من الألفاظ المشاركة، واثنان منها يعودان إلى تأليف الألفاظ، وهما: فرط الإيجاز، وإغلاق النظم، واثنان في المعاني وهما أن يكون اللفظ في نفسه دقيقا، وأن يحتاج في فهمه إلى مقدمات يبني عليها المعنى والواقع أن أبن سنان أمعن في بناء النظم الجيد؛ فهو يتحدث عن سمات اللفظة المفردة ؛ فينادي بحتمية البعد عن التوعر، والخشونة، والتوحش، وتجنب الأصوات الشديدة، والحروف الكثيرة، والكلمة العامية المبتذلة، التي يعبر بها عن القبح؛ فمعايير حسن اللفظة عنده هي البنية الأولى لجودة التركيب اللغوي ومن يتعمق مقاييس الجودة البنائية عنده يجد اهتمامه يتدرج من الجزئي ، إلى الكلي؛ ليرقى الشكل العام للصياغة التعبيرية؛ فالكلمة عنده لابد أن تكون جارية على القواعد العربية في التصريف غير شاذة ولا متباعدة مخارج الحروف، وذلك أن الحروف أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، والألوان المتباعدة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة(١) والقارئ لآراء ابن سنان الخفاجي في البناء التركيبي، يدرك اتفاقه مع علماء اللغة والأدب في صفات اللفظة ذاتها مفردة، وصافتها في داخل الإطار التعبيري، ثم يدرك شدة التقارب الكيفي بينه، وبين عبد القاهر الجرجاني – صاحب نظرية النظم–، التي عني فيها عبد القاهر بشرح دلالات الألفاظ، واختلافها باختلاف مواقعها في الجمل فيما سماه "النظم"، وقد قام في هذا الباب بجهد عظيم الخطر، فهو يقصد بالنظم ما يطلق عليه الغربيون: "علم التراكيب" وهو عندهم أهم أجزاء النحو ويعرفه عبد القاهر بأنه:"وضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو" ويوسع عبد القاهر دائرة النحو؛ فلا يقتصر على وجوه الإعراب، وأنواع الجمل من اسمية، وفعلية ومن استعمال أدوات

(١) راجع سر الفصاحة، ابن سنان، ط١، ١٩٨٢م، ص ٩٢:٩٧، النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال – ط الرابعة ١٩٦٩م، النهضة العربية من ص ٢٥٢: ٢٧٧بتصرف .

الربط المختلفة، ولكنه يشمل ما يدرس الآن في علم المعاني من: الفصل والوصل، والتعريف والتنكير، والتقديم، والتأخير، والحذف والإثبات، والإظهار والإضمار، وغيرها من أبواب البيان، والبديع، التي تضيف إلى المعنى أبعادا جديدة، كالمراوحة بين الشرط والجزاء، و كالتقسيم والجمع ، وتشبيه التمثيل[1].

وثمرة المطاف أن يصل المتلقي إلى أن الشكل هو الصورة؛ على أن يضم الألفاظ، والعبارات، والقوالب المنظومة؛ بما فيها من: إيقاع، ونغم، وخيال، وتركيب لغوي، وصوتي، ومع ذلك؛ فإن الدراسة الأدبية تعمل على تناول الشكل من حيث البناء اللغوي، الذي يتأمل اللفظة، والتشكيل التعبيري ودرجة عمق اللفظة، وتناسقها مع جاراتها؛ مما يؤدي إلى التواصل الفكري، والنفسي بين المنشئ، والمتلقي.

والواقع أن القوة التي تتولد من العمق صفة نفسية، تنبع أول أمرها من نفس الأديب، الذي يجب أن يكون هو نفسه متأثرا منفعلاً بما يقول؛ إذا شاء من قرائه تأثرا وانفعالا موازيين لتأثره وانفعاله، وهي لذلك صفة للعاطفة، والأخلاق قبل أن تكون صفة للأسلوب؛ فالكاتب الذي يدرك الحقائق بوضوح، ويعتقدها بصدق، ويحرص على إذاعتها، تجد في عبارته صدى ذلك، وهي قوة لا تتأتى بالتقليد، والتصنع، وإنما تستمد من الإخلاص، والصدق في العقيدة، والصحة في الفهم، والعمق في المعالجة؛ إذ إن قوة الأسلوب تحريك للعقل، ودعوة للبحث عن مواطن الروعة، والفائدة، وهناك قاعدتان لتحقيق القوة الأسلوبية:

أولاً: **قوة الصورة**، ويراد بالصورة القوية ما تتجاوز بالعقل معناها الحرفي إلى معان أخرى .

ثانياً: **قوة التركيب** وترجع إلى اللعب بموضع الكلمة بتقديمها، أو تأخيرها بالنسبة إلى موضوعها الأصلي؛ دلالة على القصر أو التفخيم، أو حسن الذوق أو اللياقة، أو الاهتمام

---

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص ١٦١، وما بعدها بتصرف.

مطلقاً، كما ترجع قوة التركيب إلى المقابلة؛ لأنها توحي بالتحدي بين المعاني، والمناقشة في الظهور وهذا من شأنه أن يزيد المعاني قوة. ومن الجدير بالذكر أن التراكيب تكتسب القوة، والجزالة من الإعجاز، أو الأطناب كل في مقامه[1] إلى جانب ما سبق أمعن علماء العربية في كيفية تذوق الكلمة المفردة، وجمعوها في الزوايا الآتية.

الدقة: ومعناها أن يختار الشاعر من الكلمات أدقها في أداء المعنى الذي يجول في نفسه، فقد تتقارب الكلمات من حيث المعنى، ولكن بعضها أدل على إحساس الشاعر من بعض، والشاعر الموفق هو الذي يهتدي إلى الكلمة التي تكون شديدة الإبانة عما يريد؛ لأن التمييز بين الألفاظ شديد.

الإيحاء: والكلمة الموجبة هي التي تثير في النفس معاني كثيرة أحاطت بها مع مرور الزمن، حتى صار النطق بالكلمة مثيراً لهذا المعانى في المتلقي، وإن لم تذكر قواميس اللغة هذه المعاني.

السهولة : والمقصود أن تكون مكونة من حروف سهلة النطق غير متنافرة.

الألفة : ومعناها أن تكون الكلمة صحيحة قريبة تثير استجابة المتلقي .

الطرافة: الكلمة الطريفة هي التي لا تمتهن بكثرة الاستعمال فتكون محتفظة بحيويتها .

الإفادة : أي أن الكلمة تعني للمتلقي من المعاني ما يجعل للجملة قيمة.

حروف الصلات: وقد حذر علماء اللغة من استخدام حروف الصلات في غير ضرورة؛ حتى لا يقع المتلقي في الغموض والإبهام .

(١) الأسلوب: أحمد الشايب، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ص ١٩٤ : ١٩٨.

ويضاف لهذا حسن استخدام علوم البلاغة في تنسيق الجمل الشعرية والاهتمام بوحدة النسيج[1] بشرط المؤاخاة بين الألفاظ.

وبعد العرض السابق للبناء الشكلي الذي تناول صفات الألفاظ باعتبارها البنية الأولى والركيزة الأساسية للتركيب يجب على البحث القيام بدراسة تذوقية تطبيقية .

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب – د. أحمد بدوي – الطبعة الثالثة ١٩٦٤م، مكتبة نهضة مصر من ص ٤٥٣: ٤٩٢ بتصرف.

ثانياً: الدراسة التطبيقية:

ترتبط الدراسة التطبيقية بالذوق الذي يعد ملكة نفسيه تنمو، وترتقي بالدراسة، والممارسة، والخبرة.

والذوق إما عام وإما خاص؛ أما الخاص فإنه عملية معقدة تتم بمصاحبة عوامل وراثية، تستند إلى التجارب الخاصة ، وتصاحب مزاجا مخالفا لأمزجة الآخرين؛ ومن هنا فقد لا يتسنى لنا إدراكه، وتعليله في كل حالة من الحالات، فالنقد المبني عليه يعد نقدا ذاتيا؛ لأنه ترجمة عن انفعال الناقد الخاص (إعجابا، وارتياحا، أو سخطا، وامتعاضا)؛ نحو نص من النصوص، ومن هنا كان تتعدد آراء النقاد وتختلف مشاربهم.

فإذا كان الذوق غير مستقل بفرد بعينه، بل اتسع؛ ليشتمل طائفة من الناس يجمعهم نوع من الترابط، الذي يجعلهم يستجيبون للموقف الواحد استجابات متقاربة، كما في أهل البلد الواحد، أو الذين يتعلمون تعليما واحدا، أو أصحاب العقيدة الواحدة، ليكون بذلك تابعا لعادات الجماعة وتقاليدها، وهو ما قد يدخل بشيء من التجوز تحت ما يعرف بالنقد الاجتماعي، وعندئذ يتحول الذوق إلى العموم بعد الخصوص.

فالذوق العام – إذن– هو الطابع الذي تنطبع به مجموعة من الناس بينهم اشتراك في شيء يقيم بينهم خيطا من الترابط؛ كأبناء الجيل الواحد في البلد الواحد، والحياة الفنية مزاج من نوعي الذوق هذين؛ تتميز بالوفاق حينا، وبالصراع حينا آخر، وإنما كانت الحياة الفنية مزاجا منهما؛ لأن – للذوق الخاص– حظا من الذاتية.

وللذوق مصادر يتكون منها ويتربى عليها، وأهم هذه المصادر: مخالطة الصفوة المختارة من رجال الأدب إلى جانب العقل الذي يحكم في التناسب، والعقيدة والترتيب ، والعلائق المشتركة بين السبب، والنتيجة، وبين الطريقة والغاية. ومما يعد ضروريا من هذه الحيثية مراعاة

أثر البيئة في تربية الأذواق[1]. ومن العرض السابق نستهل الدراسة التطبيقية التحليلية للمفردات والشكل.

(١) الذوق الأدبي: د . عبد الفتاح علي الطبعة الأولي، ١٩٨٧ م ، من ص ٦ – ١٢ .

المبحث الثاني

اللغة ألفاظًا وتراكيب

الألفاظ والتركيب :-

هناك طائفة من الشرائط إذا توفرت للألفاظ ، أدت إلى الحكم بصحتها وجمالها، وحسن مواقعها ، فمن ذلك دقة هذه الألفاظ واختيار اللفظ المناسب للموضع الذي ذكر فيه، مما يقتضيه سياق الكلام ، وتلجأ إليه ضرورة مقتضى الحال.

وقد توفر شيء من هذا غير قليل لشاعرنا في قصيدته " سحان من قسم الحظوظ، فقد كان الشاعر موفقا إلى حد كبير في استخدامه ألفاظا دقيقة تعبر عما في نفسه، وتعكس درجة الألم والحسرة فمن بدء القصيدة:

أَضْنَى [(١)] النَّوى[(٢)] قَيْسًا فَقَا سَى لاعِجًا[(٣)] أغرى غَرَامَهْ

فالمتأمل للفظة:"أضنى" يجد أنها جاءت بصيغة الماضي، الذي يدل على وقوع الحدث، وثبوته، وحدوث القطيعة؛ فلا رجاء، ولا أمل في العودة؛ فقد لزم الفراق واستقر بين الحبيبين، وهذا هو المعنى الظاهر؛ أما البعد الخفي، النابع من التجربة، فهو دلالة الرمز بهذا الكلام للحال التي حركت الشاعر للنظم، وهي: أن الدولة أصابها التدهور والانقسام، وانتقلت من: عز ومجد، إلى ذل وهوان؛ فأصبحت في طي النسيان، والمتذوق للتركيب: "أضنى النوى قيسا فقاسى لاعجا أغرى غرامه" يرى أن الجملة جمعت بين الفعل، والفاعل في تواصل فكري، ومعنوي جيد؛ فقيس تغير به الحال وأصبح يعاني من لزوم المرض ونحول الجسم، وهذا يلفت إلى ما حدث لدولته؛ فإن كان الغرام قد أحرق قلب الأحبة بعدما أغراهم بالنشوة، والسعادة، والنعيم، وهكذا .. فقد أغرى المجد والأبهة والترف الدولة؛ فتضاعف ألمها في استمراره، ولكن هيهات فقد هوت بها الريح في مكان سحيق. وإذا تأملنا

(١) أضنى: الضنى السقيم الذي طال مرضه، ومحل جسده، ولزم الفراش. لسان العرب (ضنى).

(٢) النوى: النوى البعد، والتحول من مكان أو من دار إلى دار، لسان العرب (نوى).

(٣) لاعجا: لعج الحزن فؤاده استحر وأحرق قلبه. لسان العرب (لعج).

الألفاظ:"أوامـه"، "دعامـه"، "حطامه"،"جامـه"[١] وجـدنا لهـا في التركيـب دلالات معنويـة، تتصـف بالعمـق؛ حيـث يشـير الشـاعر إلى مـا كانـت تتمتـع بـه الدولـة مـن مظـاهر العـزة، والحضـارة القويـة؛ ولا يخفـى علـى القـارئ أن المقصـود في التشـكيل التركيـبي أن كـل متعطش، وخـائف كـان يجد ضـالته المنشودة في عز الدولـة، ومجدها أمـا الآن؛ فالدولـة في جفـاف، وقحـط، وتـوتر واضـطراب ، وفقـر ، لـيس فقـط في القـوة والثـراء والتقـدم العمـراني بـل في ملامـح الـترف؛ فـإذا نظر المتذوق للفظة"جامه"؛ وجـد أن الكلمـة في البنـاء التركيـبي تفصـح عن الاستقرار، والثراء، كما يدل عليه قوله:

وَسُــــــقَاتَها المتلاعبـــــــــو نَ بِلُـــــبِّ مَـــــنْ أَعْطَــــوْه جَامَـــــهْ

فالسـقاة يتمتعـون بالـدلال، والسـحر، والجمـال، والفتنـة لدرجـة تسـلب عقـل النـدامى عنـدما يتنـاولون الكـؤوس مـن أيـديهم، ومـا هـذا إلا لشـعور جميع الأطـراف بالأمـان. ولعلـك تلاحـظ أن التعبير بـ"الجام" أفضـل مـن التعبير بـ"الكأس"؛ وذلـك أن حـروف كلمـة الـ"جام" وأصواتها:الجيم[٢] والألف، والميم، مع هاء السكت؛ تعطي إيحاء بالسرور، والشجن؛ لقد اشتد حزن شاعرنا على ما أصاب الدولة من تبدل لحالها؛ فتغنى بألفاظ واضحة ، سهلة داخل تركيب لغوي يستقبله السامع بيسر وسهولة:-

لا ســــــيما غَرْناطــــــــةُ الْـــــــ غَـــــــرَّاءُ رَائِعَـــــــةُ الوسَـــــــامَهْ

وهـــــي التـــــي دُعِيـــــتْ دمشْـــــ ـــــقَ وحَسْبُــــهَا هَــــذَا فَخَامَــــهْ

لنـــــــزولِ أهليـــــــها بهـــــا إذ أظهـــــرَ الكفـــــرُ انهزامَـــــهْ

(١) أوامه، الأوام: شدة العطش، لسان العرب (أوم)، جامه: الجام إناء من فضة عربي صحيح، لسان العرب (جوم).

(٢) راجع الأصوات اللغوية د , إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

وأتــــتْ جيـــوشُ الشَّــــام مــــن باب نَفَــــى الفــــتحُ انبهامَــــهْ

فَسَــــلُوا بــــها عــــن جِــــلَّقٍ إذ أشــــبهتها في القَسَــــامَهْ

وبــــدا لهــــم وَجْــــهُ المــــنى وأراهُــــمُ الثَّغْــــرَ ابتسَــــامَهْ

فالقارئ يجد للألفاظ سهولة، وللتراكيب ليونة؛ يؤديان إلى سرعة استقبال الأفهام للهدف الذي رمى إليه الشاعر- لقد اتصف منهج القصيدة بوضوح الألفاظ، وسهولتها؛ وما كان ذلك إلا لأن ألفاظ القصيدة وتراكيبها اختيرت بعناية وبدقة.

التنوع التعبيري:-

تعايش الشاعر مع أحداث عصره السياسية، والاجتماعية، والثقافية؛ فانفعل لما كانت عليه الدولة من مجد وشرف، وحضارة وثراء، وترف ثم لما آلت إليه من اضطراب، وسقوط، وزوال؛ فكانت هذه الأوضاع المختلفة سبباً في دفعه لضرورة التنوع في لغته وتراكيبه؛ بين الخبرية والإنشائية، وراح يراوح بين الأفعال بين الحديث عن الماضي ، والحديث عن الحاضر، والمستقبل؛ لتأتي صورة حاكية أحوال نفسية متباينة، فتأمل معي تلك القطعة التي يتساءل الشاعر فيها عن جمال غرناطة من أين جاء:

أنَّى لــــــها ثَغْــــــرٌ حَــــــلاَ ذَوْقــــــاً لمــــــن رامَ الْتِثَــــامَهْ

أنَّى لهــــا وجْــــهٌ يَشْبُــــبُ بقلــــبِ مُبْصِــــرِهِ ضِــــرَامَهْ

وقصــــورِها الزُّهْــــرِ الــــتي يأبى بهــــا الحســــنُ انْقِسَامَــــهْ

يا ليــــتَ شَــــعْرِي أيــــنِ مَــــنْ أَمْضَــــى بهــــا الملــــكُ احتكامَــــهْ؟!

إن الاستفهام هنا يخرج من معناه الحقيقي إلى معان مجازية، فهو في البيت الأول يسترجع ، ويستلذ بالتذكر، ويتعجب من جمال غرناطة، فمن أين أتاها هذا الثغر الحلو المذاق؟! وهذا الوجه الذي يشعل النار في قلب من يبصره فتنة وسحرا؟! ثم تعجب من هذه القصور الزهر!! فما أجملها؛ ثم يأتي بعد ذلك بأسلوبي إنشاء هما :"يا ليت شعري" وهو تمن تدل على الحسرة، و"أين من .." وهو استفهام يدل على التفجع والألم.

التكرار :-

عبر شاعرنا عن ألمه باستخدام آلية التكرار، الذي يعد من أهم أدوات التأثير المباشرة على المتلقي؛ فالتكرار ظاهرة صوتية لها قيمتها في إثارة الإحساس كما أنه يعكس طاقة انفعالية توظف من خلال التشكيل اللغوي لوصف حدث أو موقف بقصد ترسيخ المعاني في نفس المتلقي، فتأمل تلك القطعة التي تتكرر فيها أداة الاستفهام، وتتلاحق المفردات وراءها؛ في صور تعبر عن مدى الحسرة والغصة التي لازمت الشاعر فلم تبرحه:-

أيــــن الأَكَاسِــــرُ والقيـــا صــــرةُ المُجَــــلُّون الغمامَـــــهْ

أيــــن الخورنَــــقُ والسديـــــــرُ ومــــن شَــــفَى بهمــا أُوَامَــهْ

أيـــن الحصـــونُ ومَــــنْ يَصُــــونَ بهـــا مــــن الأعـــدا حُطَامَــــهُ

أيــــن المراكـــــبُ والمـــــواكبُ والعَصَائـــــــبُ والعِمَامَــــــهْ

أيــــن العســــاكرُ، والدساكـــرُ والنَّدَامَـــــى فـــــي المُـــــدَامَهْ

وتأمل تكرار التشبيه بـ"كأنَّ"، في إيحاءه بمدى العذاب والحسرة ، حيث تتعدد المناقب التي كان ابن الخطيب يملأ بها عين الزمان وسمعه، ثم اختطفه الزمان:

فكأنــــه مــــا أَمْسَـــكَ الــــ قلــــمَ المطـــاعَ ولا حُسَـــامَهْ

وكأنـــــه لم يَعْـــــلُ مَتْـــــ ــــنَ مُطَهَّــــم بَارَى النعامَـــــهْ

وكأنـــــه لم يَـــــرْقَ غــــا ربَ الاعتــــزازِ ولا سَـــــنَامَهْ

وكأنـــــه لم يجـــــلْ وَجْــــ ـهــاً حَــاَز مــــن بِشْـــرٍ تمَامَــــهْ

وكأنـــــه مــــا جَـــال في أمـــــرٍ ولا نَهْــــيٍ وَسَـــامَهْ

وكأنـــــه مــــا نَالَ مـــــن مَلِـــكٍ رَجَـــاهُ ولا احْتِرَامَـــــهْ

وكأنـــــه لَمْ يَلْـــــقَ في يَـــــدِهِ لتـــــدبيرٍ زِمَامَـــــهْ

فالمتأمل لظاهرة التكرار يدرك أن حرف "النون" في هاتين القطعتين له هيمنة صوتية، تتردد اصدائها كلما رنّ حرف النون في كلمة من الكلمات المكررة، كما في "أين"،"كأنه"؛ وحرف النون صوت مجهور له من الصفات ما لا يشاركه فيه غيره؛ وقد سماه أبو العلاء المعرّي:" قينة الحروف"؛ لإثارته شجنا كالذي تثيره القينات، إذا نغمن في أصواتهن، وتعمدن إثارة المشاعر.

وشاعرنا يرغب في نقل إحساس الألم، والحسرة فيستخدم لهذا الغرض نبرات الصوت، ويتوسل بالمقاطع قصيرها، ومتوسطها، وطويلها، ويترنم بالإيقاعية التى تتيحها له أصوات كلماته؛ إذ هي التي تنقل الأثر من وجدانه إلى وجدان المتلقي، نقلاً أمينا، ومع التميز النغمي لهذه الكلمات فإنها لم تحرم ثراء الدلالة؛ فقد جاءت لغة الشعر هنا ثرية بالمضامين النفسية، تنضح بالذاتية التي تفارق لغة العلم وتباينها.

وهذه الذاتية هي السبب في أن ألفاظ الشعر أكثر حيوية من التحديدات التي يضمها

المعجم، والألفاظ الشعرية[1] تعين على إشاعة جو نفسي مواز لجو الشاعر النفسي الداخلي، كما تعين على الإيحاء بحالة مزاجية موازية أيضا لما عليه الشاعر من حالة مزاجية؛ وهي تصل إلى ذلك بطبيعة أصواتها؛ والأصوات في الشعر من أهم الأمور التي تساعد على إشاعة جو شعري خاص بالقصيدة؛ سواء كان ذلك بالمقاطع المكررة، أو المنوعة، أو المتناسبة؛ لذلك فالكلمة الشعرية يجب أن تتوافر لها عناصر ثلاثة: الدلالة الدقيقة، والإيحاء أو قل: نقل عدوى المشاعر عن طريق إثارة المخيلة، ثم الإمتاع بحسن جرسها؛ هذا وللتكرار مواضع يحسن فيها، وأكثر ما يقع في الألفاظ دون المعاني"[2].

الاستقصاء :-

وهو طريقة فنية يلجأ إليها المنشئ بقصد تفريغ شحنة نفسية كثيفة سيطرت عليه وتمكنت منه؛ فأمعن في استخراج الانفعالات عن طريق تتبع أجزاء الفكرة، وتوليد معانيها: بعضها من بعض؛ حتى يأتي عليها جميعا، ثم بعد ذلك يهدأ الصراع النفسي، وينفسح التزاحم الفكري، والتكثيف الانفعالي، ويمكن أن نعد من الاستقصاء تلك الطريقة التي استخدمها الشاعر في عرض الأفكار بالأبيات التالية، إذ يقول :-

أيـــن الوزيـــرُ ابـــنُ الخطيـــ ... بِ بها فمـا أَحْلـى كلامَــهْ!

فلكَـــمْ أبانَ العـــدْلَ فـــي ... أرجائـــها وبهـــا أقَـــامَهْ

وَلكَـــمْ أجَـــارَ عِـــدًا وكـــم ... أجـــرى نَـــدىً والى انْسِجَامَـــهْ

راعـــت ظـــروفَ الدهـــرِ دَوْ ... لتـــه ومـــا رَاعَـــتْ ذِمَـــامَهْ

---

(١) راجع الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس – مطبعة الأنجلو، من ص ٤٤ – ٦٨، وقد تعرض د:إبراهيم أنيس لشرح أصوات الحروف بصورة تخدم الباحثين في علوم العربية.

(٢) العمدة – ابن رشيق القيرواني، تحقيق النبوي شعلان، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠ م ج.٢ ص ٦٩٨.

حـــتى ثَـــوَى إِثْـــرَ التَّـــوَى   في حفـــرة نَثَـــرْت نِظَامَـــــهْ

مَـــنْ زَارَهَـــا في أرضِ فَـــا   سٍ أذْهَبَـــتْ شَـــجْوًا مَنَامَـــهْ

هـــذا لســـانُ الـــدينِ أســـ   ـكَتـــهُ وأسكنَـــهُ رِجَامَـــهْ

ومحـــا عِبارتَـــهُ فَمَـــنْ   حَيّـــاهُ لم يَـــرْدُد سَـــلامَهْ

فكأنّـــهُ مـــا أمســـكَ الـــ   ـقلَـــمَ المطـــاعَ ولا حُســـامَهْ

وكأنّـــهُ لَمْ يعـــلُ مَتْـــ   ـــنَ مُطَهَّـــمٍ بارَى النَّعامَـــهْ

وكأنّـــهُ لم يَـــرْقَ غـــا   رِبَ الاعتـــزازِ ولا سَـــنَامَهْ

وكأنّـــهُ لم يجـــلُ وَجْـــ   ـهـــاً حـــازَ مِـــنْ بِشْـــرٍ تمامَـــهْ

وكأنّـــهُ مـــا جَـــالَ في   أمـــرٍ ولا نَهْـــيٍ وَســـامَهْ

وكأنّـــهُ مـــا نالَ مِـــنْ   مَلِـــكٍ حِبَـــاهُ ولا احترامَـــهْ

وكأنّـــهُ لم يُلْـــقِ في   يَـــدِهِ لتَـــدبِيرٍ زِمامَـــهْ

مُـــذْ فـــارقَ الـــدُّنيا وَقَـــوّض   عَـــنْ مَنازلهـــا خِيامَـــهْ

أوى لقـــبرٍ مفـــرداً   والـــتُّربُ قـــد جَمَعَـــتْ عِظامَـــهْ

مِـــنْ بعـــدِ تثنيـــةِ الـــوزا   رَةِ جـــاده صَـــوْبُ الغَمامَـــهْ

لَمْ يبـــقَ إلاّ ذكـــرُهُ   كـــالزهْرِ مُفْـــتَرَّ الكمامَـــهْ

وبهذه يتبين للمتلقي تحقق سمه الاستقصاء في نظم المقرّي لقصيدته"سبحان من قسم الحظوظ" حيث يتبين لك أن الشاعر يمسك بتلابيب الفكرة، فيظل يقلبها ظهرا لبطن، إلى أن يأتي على كل جزئياتها، ورائد هذا الفن في الشعر العربي هو الشاعر ابن الرومي، الذي عرف عنه أنه كان ضنينا بالمعنى، حريصا عليه ، لا يتركه حتى يستقصي أبعاده، ويأتي على كل جزئياته، بحيث لا يدع فيه لأحد بعده شيئا ذا بال.

وقد راح شاعرنا يستقصى فكرة تعداد المناقب، من خلال استخدام أسلوب التحسر المتعجب من سرعة زوال الدنيا ، وذلك باستخدام "كأن" وما بعدها، على طريقة متمم بن نويرة اليربوعي إذ قال:

فلمـــا تَفَرّقنَــــا كَــــأَنِي ومالكـــاً لطــولِ اجْتِمَــاعٍ لم نَبِــتْ ليلــةً معــا

فشاعرنا يعرض مظاهر عطاء لسان الدين الفكري والسياسي، فهو الكاتب الذي كان القلم والسيف طوع يمينه، يصرفهما كيف شاء.

وهو الفارس الذي كان يتيه عزا واختيالا على صهوة حصانه. وهو الأمير صاحب الوجه الذي عليه رونق البشر، وأمارة السؤدد. وهو الذي يجول أمره ونهيه، وهو الذي جالس الملوك ونال حباءهم، واحترامهم، وهو الذي كان يدير بيده دفة الملك ، ويتحكم في مقاليدها لما له من حسن سياسة.

فلم يترك الشاعر شيئا ذا بال يحزن عليه في حياة الرجل إلا ذكره، فقد استوعب كما ترى: الأشياء النفسية المتمثلة في أخلاقه، ومواهبه، والأشياء الجسمية متمثلة في البشر والطلاقة التي تصاحب وجهه، كما راعى الشاعر في فكرته التناسب بين الوظيفة، وما يذكر به صاحبها ، ولقد كان ابن الخطيب وزيرا، وكاتبا؛ فلم يصفه بالشجاعة مثلا وإنما وصفه بالسياسة الحكيمة، وطاعة القلم له.

الاستطراد[1]:-

وهو سمة فنية تتجلى في شعر كثير من الشعراء الذين يتمتعون بخصوبة أفكارهم، وتنوعها، وتعددها، وتداخلها، وتشعبها؛ مما يدفعهم للتغني بالفكرة، ثم الخروج منها؛ للعودة إليها مرة أخرى مثل ما يلي:

أيْـــنَ الأكاسِـــرُ والقياصِـــرَ   ةُ المُجَلّـــــون الغَمامَـــــهْ

أيْـــنَ الـــذي الهرمـــانِ مِـــنْ   بُنيانِـــهِ الحـــاكي اعتزامَـــهْ

أمْ أيْـــنَ غُمْـــدَانٌ وسيـــ   ـــفٌ والوفـــودُ بِـــهِ أمَامَـــهْ

أيْـــنَ الخَوَرْنَـــقُ والسّديـــ   ــرُ ومَـــنْ شَـــفَى بهمـــا أوَامَـــهْ

ومَـــدائنُ الاســـكندرِ الـــ   ـــلاتي لهـــا أعلـــى دِعَامَـــهْ

أيْـــنَ الحُصُـــونُ ومَـــنْ يصُـــو   نُ بهـــا مـــن الأعـــدا حُطامَـــهْ

أيـــنَ المراكـــبُ والمـــوا   كـــبُ والعصـــائبُ والعِمامَـــهْ

أيْـــنَ العســـاكرُ والدســـا   كـــرُ والنّـــدامى في المُدامَـــهْ

وَسُـــقاتُها المُتَلاعِبـــو   نَ بلُـــبّ مَـــنْ أعْطَـــوْهُ جامَـــهْ

مـــن كـــلّ أهيـــفَ يـــزدري   بالغُصـــنِ إنْ يَهْـــزُزْ قَوَامَـــهُ

(١) الاستطراد هو أن يرى الشاعر أنه يريد وصف شيء، وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه؛ فذلك استطراد العمدة، ابن رشيق، تحقيق: أ.د. النبوي شعلان، الطبعة – الأول٢٠٠٠م، مكتبة الخانجي ٦٢٩/٢.

ذِي غُـــــــــرّةٍ لألأَؤُهَــــــــــا تمحُــــو عَـــنِ النـــادي ظَلامَـــــهْ

يستمر شاعرنا في التغني الباكي على الأمجاد المندثرة، والحياة الفاتنة المترفة لدرجة أشعرته بالإفراط الانفعالي؛ فتوقف ليشدو بقوله:-

أستغفِــــــــــــرُ اللهَ لِلَغْـــــــــــــوٍ لا يَـــرَىَ الشَّـــرْعُ اعْـــتِيَامَهْ

ثم عاد إلى البكاء مرة أخرى على المجد الداثر، والسؤدد الدارس ليقول:

بـــــل أيـــنَ أربـــابُ العُلُـــو مِ أولـــو التصـــدرِ والإمامَـــــهْ

وذوو الـــــــوِزَارةِ والحِجَــــــا بـــةِ والكتـــابةِ والعلامَــــــهْ

ويلاحظ أن الاستطراد في القصيدة يضاعف من جمالها الفني، ويعمق من وضوح التجربة الشعرية فيها، ويجعل المتلقي يسترسل في شجنٍ لذيذ مع أحاديث الزمان، وأفاعيله بالناس.

الانتقال بين الموضوعات، وحسن التخلص:

وذلك بأن يخرج الشاعر؛ مما بدأ به إلى غيره بلطف ومع رعاية الملاءمة بينهما، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول؛ إلا وقد وقع في الثاني؛ لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما قد أفرغا في قالب واحد؛ فلا يكاد السامع يفرغ من فن حتى يجد نفسه قد انتقل إلى آخر(١). وهذه الظاهرة الفنية صاحبت القصائد الطوال اللواتي احتشد أصحابها لتأليفها، وما زالت تصاحبها ، حيث كان الشعراء يتخلصون من غرض إلى غرض في القصيدة الواحدة ، بما لا يجعل المتلقي يشعر بهذا الانتقال، وكان ذلك في

(١) العمدة – ابن رشيق ١/ ٢٤، ٣٣، ٤٥.

القصائد التي تتعدد فيها الأغراض، مما دفع بعض النقاد أن يرمي شعرنا القديم بالتفكك وانعدام الوحدة العضوية.

وقد برزت ظاهرة التخلص الحسن في القصيدة موضوع بحثنا؛ لتنوع موضوعاتها ، وتعدد أغراضها؛ حيث تغنى الشاعر بالأمجاد المجتثة؛ فصور حزنه وآلام نفسه، ثم انتقل إلى رثاء لسان الدين بن الخطيب، الذي دق بوفاته ناقوس النهاية التي هي مصير كل حي مصير الدولة والملوك، فانظر كيف مهد للخروج من هذا بالبيت :-

لم يَبْقَ إلا ذِكْرُهُ كالزهرِ مُفْتَرَّ الكِمَامَهْ

ثم نفذ منه إلى موضوع آخر جاء وكأنه نتيجة طبيعية للسابق فقال:-

والعمرُ مثلُ الضيفِ أو كالطَّيفِ لَيْس لَهُ إقامَهْ

والموتُ حَتْمٌ ثم بعد المَوتِ أهوالُ القِيامَهْ

والناسُ مجزيّون عن أعمالِ ميلٍ واسْتِقامَهْ

فذوو السّعادةِ يضحكونَ وغيرهم يبكي نَدَامَهْ

والله يَفْعَلُ فِيهِمُ ما شاء ذلاً أو كرامَهْ

ويُشَفّعُ المختارَ فيهِمْ حِينَ يَبْعثُه مقامَهْ

وعليهِ خَيرُ صلاتهِ مَعَ آلهِ تتلو سَلامَهْ

والتابعِين ومَنْ بَدا بَرْقُ الرشادِ لَهُ فَشَامَهْ

ما فازَ بالرّضْوان عَبْدٌ كانَتِ الحُسنى خِتامَهْ

فأنت تلاحظ أن الشاعر قد انتقل من رثاء لسان الدين بن الخطيب إلى أبيات من الحكمة، تبين النهاية الحتمية لكل حي، ذلك أن العمر قصير، فهو ضيف يلم ، أو طيف يزور، ثم يتدرج فيخلص إلى فكرة أخرى، وهي فكرة أهوال يوم القيامة، حيث الناس مجزيون بأعمالهم، إن خيرا فخير؛ وإن شرا فشر، ثم ينطلق إلى من يناط به النجاة من الأهوال بشفاعته التي ترجى ، وهو نبينا صلى الله عليه وسلم، فيصلي عليه وعلى آله وصحبه.

وإن كان المتأمل يجد اقتضابا بعد قوله "ويشفع المختار فيهم.." وعند الصلاة على النبي، فأنت تشعر أن الكلام غير مستقيم أدبيا وإن استقام نحويا، ذلك أن الواو في قوله: "وعليه خير صلاته.." تعطف الجار والمجرور، على جمل فعلية، ولو استخدم الشاعر حرف الفاء بدلا من الواو هنا لكان أبلغ، ذلك أن الفاء كانت ستدل على التعلق السببي بين شفاعة النبي، والتوجه بالصلاة عليه.

المبحث الثالث

التصـويـر الفـنـي

أولاً، التصوير الفني، درسا نظريا:

الخيال ملكة خلاقة مبدعة، عن طريقها يستطيع المنشئ ربط الأشياء بعضها ببعض، وتكوين الأشكال، والهيئات، والحركات، وتجسيم المجردات وتجسيد المعنويات.

والخيال عنصر هام من عناصر الأدب؛ إذ يناط به الربط بين أجزاء الصورة الفنية؛ كما أنه الأداة الفعالة لتحريك العواطف، وجذب الفكر، وترسيخ المعاني؛ وللخيال أنواع منها: الخيال "الخلاق": الذي يخلق العناصر الأولى، التي تبتكر من التجارب صورة جديدة لا تنافي الحياة المعقولة؛ فإن نافتها كانت وهما.

ومنها الخيال المؤلف: الذي يؤلف بين مناظر مختلفة؛ ويربطها بالصورة التي في وجدان الشاعر؛ فالشاعر يشعر بالشيء، فيستدعي عنده صورة أخرى أثارت مثل ذلك الشعور من قبل؛ فيؤلف بين العناصر الشعورية بضروب من الصور كالتشبيه، والاستعارة، والكناية.

ومنها الخيال الموحي وهو يختلف عما قبله من الخيال المؤلف في أنه أن يقرن صورة بصورة، ويفيض على الصورة التي يراها صفات ومعاني من ذات نفسه وروحه، ثم يخرجها إلى الناس كما يشعر بها.

ومتابعة الخيال هنا هي إدراك لما أفاض المنظر على روح الشاعر، وهذا الضرب من الخيال هو الذي يتوسل بعناصر الطبيعة.

وهذه الأقسام الثلاثة للخيال لا ينفصل بعضها عن بعض؛ بل يلقي كل منها بظلاله على الآخر، وكل عملية خيالية يكون عليها مسحة من الأنواع الثلاثة ولعلنا لا نعدو الصواب إذا قلنا : إن الخيال هو ما يميز الأدب عن غيره؛ فالخيال له قيمته في الأدب،

وكلما الموضوع رقي في سلم الأدب؛ كانت حاجته إلى الخيال أوضح[1]. كما تنبع أهمية الخيال من أنه يعمل على تنمية المدارك، وإعمال الفكر؛ مما يدفع إلى اكتساب معارف جديدة، عن طريق ربط الأسباب بالمسببات ولهذا؛ فالخيال من عوامل تعلمنا، وطرق مضاعفة معلوماتنا، وتمتاز الصورة الخيالية بعدة خصائص منها:

أن الصورة العقلية تكون أقل وضوحا من الصور الحسية. ولا تقيد بحدود الزمان والمكان، كما أن الصورة الخيالية تأتي متناغمة مع نفسية المبدع.

وبهذا فالصورة التي نتصورها بملكاتنا قد تكون صورا لأمور أدركت بالبصر أو السمع، أو اللمس، أو الشم، أو الذوق، وقد تكون هذه الصورة مطابقة للإدراك الحسي تمام المطابقة. وقد تكون من باب التخيل الابتداعي، أو الابتكاري، غير أن علماء البيان يقسمون الصور المستحضرة في الذهن إلى:

صورة ترسم في الخيال بعد إدراكها بالحس المشترك.

صورة ترسم في الخيال وهي معدومة فُرِضَ تكونها من أمور: كل واحد منها مما يدرك بالحس، ولهذا قسم (كوليردج) الخيال إلى نوعين: الخيال الأولي، والخيال الثانوي.

فالخيال الأولي -عنده-: هو القوة الحيوية، والعامل الأول في كل إدراك إنساني، وهو علمي في وظيفته، ويقابل ما يدعوه "كانت" بـ"الخيال الإنتاجي". فكل إدراك علمي لابد فيه من هذا النوع من الخيال.

أما الخيال الثانوي - عنده-؛ فهو صدى للخيال السابق، ومترتب عليه، وهو يصطحب دائما بالوعي الإرادي، وهو يتفق مع الخيال الأول في نوع عمله، ولكنه يختلف عنه في درجته وطريقة عمله، لأنه يحلل الأشياء، أو يؤلف بينها، أو يوحدها، أو يتسامى بها؛

(١) النقد الأدبي ، أحمد أمين - مكتبة النهضة - الطبعة الخامسة، ١٩٨٣م.

ليخرج من كل ذلك بخلق جديد وهذا النوع من الخيال يدعوه "كانت" بـ"الخيال الجمالي". ومن الجدير بالذكر أن أصالة الشاعر الخيالية تتجلى في قدرته على الربط بين الصور، وجوهر الأفكار والمعاني؛ لأن الخيال هو لغة التصوير للفكر[1].

وتستعمل كلمة الخيال في الأدب استعمالات مختلفة؛ فهي قد تطلق إطلاقا واسعا على القيمة التأليفية عند الأديب في عمل كبير من أعماله، بحيث تشمل العمل وهو عمل تتمثل قيمته في أنه يمثل حياة الناس فعلا، وعواطفهم وخوالج نفوسهم ، ومكنونات قلوبهم، بحيث يرون صورهم فيه، وصور من حولهم، ومن المعروف أن المنشئ لا يرى الشيء رؤية مسطحة كرؤيتنا له؛ وإنما يرى روحه وما يختبئ خلفه، وكأن كل شيء تحت بصره له وجود آخر غير الوجود الظاهر الذي نراه، أو كأن فيه لحنا من الحياة لا نسمعه، إنما يسمعه هو بأذنه المرهفة. وإنه يعرف من ألحان الوجود، وأسراره، وقواه الكامنة فيه ما لا نعرف، أو قل يتلقى من دخائله، وحقائقه ما لا نتلقاه، والشاعر الحق هو الذي تبلغ عنده ملكته هذا الكشف أقصى حدودها؛ فإذا كل ما حوله في الوجود أرواح، وأشباح وعالم من الرؤى، والأحلام، عالم تتحول فيه الأشياء من صورة إلى صورة؛ تحولا مستمراً، فهي تمتلئ بالرموز والشخوص، وألفاظهم لا تحمل معاني مجردة، إنما تحمل أشباحا تخطف البصر من التشبيهات، والمجازات، والاستعارات ووظيفة التشبيه هي التصوير، والتوضيح بالانتقال من شيء إلى شيء يشبهه ويشاكله[2]. وتشيع المجازات في الشعر الغنائي؛ لأنها هي التي تلائم ثورة العاطفة وحدة الوجدان، فتخرج الكلمات ملتهبة حادة، بفضل ما في المجاز من تركيز وإيجاز تبلور، يعطي التعبير قوة، وفي أثناء ذلك يتحول الشاعر إلى ما يشبه صانعا جديدا للغة، فهو يسمي الأشياء بغير أسمائها، ويصفها بصفات أشياء أخرى معبرا عن علاقات فكرية لها جديدة،

(١) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال – دار النهضة العربية – الطبعة الرابعة، ١٩٦٩م، من ص ٤١١ : ٤١٥ بتصرف .

(٢) في النقد الأدبي – شوقي ضيف – دار المعارف –الطبعة السادسة، من ص ١٦٧ : ١٧١.

علاقة تدمجها في المعنى الكلي للكون، أو علاقات تعيدها رمزا – وقد كانت كلمات اللغة كلها أول نشأتها رموزا، تعبر عما يقع تحت الحواس، فانتقل بها الأسلاف الأولون إلى التعبير عن خوالج نفوسهم وعقولهم، وبهذا فإن الشاعر يدرك إدركا ذهنيا مباشراً أنه يقدم علاقة شبه بين موضوعين، على أساس من الوعي: الداخلي، والخارجي بهما مما يؤدي به إلى التدرج من التشبيه إلى الرمز، ويتضح من هذا أن خيال الشاعر يتجلى في تطويع ملكته الإبداعية على التصوير الجمالي؛ لأنه (الخيال) يتبلور في وضع الأشياء والمحسوسات في علاقات جديدة، وهي صفة بارزة من صفات الأسلوب الأدبي لأنه يصور العاطفة، وينقلها للمتلقي ويبرز المعاني، ويلجأ إليه الأديب للإفصاح وحسن العرض.

وبقوة الإنابة التصويرية تتباين المقدرة الخيالية لدى الشعراء بحسب قدراتهم على استيعاب أسرار الحياة والتفاعل معها لذا تقاس شاعرية الشاعر التصويرية أو إخفاقة بدرجة قدرته التصويرية على كشف، ونقل التجارب بفضل ملكة التخيل فالشعر يقوي فينا تلك الملكة التي تجعلنا –ولو للحظة قصيرة– أشخاصا غير أنفسنا ولهذا تحدث العرب قديما عن قوة خارقة تسيطر على الشاعر وعرفوها بفكر الإلهام[(١)]، ولكنهم وقعوا في ازدواجية فكرية حين عجزوا عن التفريق الواضح بين الإلهام، والمقدرة الفنية مع وجود معالم تفوق بينهما.

وبعد ،،،

فالصورة الفنية تركيب لغوي يعتمد على التنسيق الحي بين الأدوات البنائية التي يختارها الشاعر ليغرس من خلالها مشاعره، وأحاسيسه وانفعالاته، وتكتشف المعاني التي

(١) الإلهام أو الوحي الرباني هو مصدر الفن في رأى (أفلاطون) فالرب عنده يتجلى على الشاعر – والمنشئ عامه – وينفث في روعه فإذا هو ينطق عن لسان ربه نشيدا غناء وفنا ، وكلما زاد تجلي الرب على عبده الشاعر غمره بفيض رباني من الفن ، وعلى هذا يفقد الشاعر أمام ربه بصيرته وسائر مدركاته وقد فلسف (أفلاطون) هذه الفكرة في محاوراته الشهيرة، راجع قضايا النقد الأدبي الحديث – أ . د / محمد السعدي فرهود ، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، ص ٧٥.

يريد توصيلها للمتلقي من مناظر، وهيئات، وحركات، وألوان، وأصوات حيث ترتبط الصورة ارتباطا وثيقا بالفكرة والعاطفة فالألفاظ تحتضن المعاني وهما في عناق[1] للانفعال في لقاء من النسيج الخيالي؛ وبهذا يرتبط التصوير الفني بدلالات الألفاظ، من حيث وضعها في النسق اللغوي (النحو)، وأبعادها المعنوية، والعاطفية، وإيقاعاتها الموسيقية؛ فبالخيال تحدث القيمة الجمالية للنظم.

---

(١) الصورة الفنية في شعر مسلم د / عبد الله التطاوي – دار الثقافة للنشر – طبعة ١٩٩٧م، صفحات متفرقة بتصرف .

ثانيا التصوير الفني درسا تطبيقياً:

قررنا فيما سبق أن الخيال لغة العواطف، والتجارب، وترجمان الألفاظ والمعاني حيث يتولد من تعايش الشاعر مع خواطره، وانطباعاته المتنوعة والمختلفة وذكرياته القريبة والبعيدة، وصدى نفسه، وحوار فكره، ومن هنا تتداخل الكلمات، والمواقف، والأحداث؛ مما يجعل التصوير الفني يتشعب إلى بصري، وسمعي، وشمي، وذوقي، ولمسي، ونفسي، وعقلي، ويشير إلى معايشة الشاعر لكل معالم تجربته، وقد تبلور ما سبق في قصيدة:" سبحان من قسم الحظوظ"؛ فالمتأمل عندما يقف على ملامح التصوير الفني فيها يجد أن شاعرنا نوع في التصوير الفني المعبر عن تجربته الخيالية المتدفقة بعبرات حارة؛ مما دفع خياله إلى تشكيل صوره الفنية عبر أنواع الخيال: الخيال المؤلف أو (الخيال المشهدي، التفسيري، والخيال الحركي، والخيال السمعي، والخيال البياني.

فمن الخيال التفسيري: وهو الخيال الذي يؤلف بين مناظر أو هيئات أو أشكال أو أصوات أو رؤى مختلفة ويمثله قول شاعرنا:-

أضـــنى النّـــوى قيســـاً فقـــا ... سَـــى لاعِجـــاً أغْـــرى غَرامَـــهْ

وغـــوى الهـــوى غَـــيْلانَ مُـــذْ ... أبْـــــدي بميَّتِـــــهِ هُيَامَـــــهْ

أيْـــــنَ الأكاسِـــــرُ والقياصِـــــرَ ... ةُ المُجَلّـــــــون الغَمامَـــــــهْ

أيْـــنَ الـــذي الهرمـــانِ مِـــنْ ... بُنيانِـــهِ الحـــاكي اعتزامَـــهْ

أمْ أيْـــــنَ غُمْـــــدَانٌ وسيـــــ ... ـــفٌ والوفـــودُ بِـــهِ أمَامَـــهْ

أيْـــــنَ الخَوَرْنَـــــقُ والسّديـــــ ... ـــرُ ومَـــنْ شَـــفَى بهمـــا أوَامَـــهْ

ومَـــــدائنُ الاســــكندرِ الـــــ ـــــلاتي لهـــا أعلــــى دِعَامَــــهْ

الشاعر – هنا– يريد تفجير انفعالات وجدانية لدى المتلقي بقصد جذبه لما يرغب في غراسه من: عشق، وشوق، وهيام، وحنين؛ فيثير الخيال بقصة هيام قيس وذي الرّمة، وما ترتب عليها من فراق، وألم وحسرة، وحرقة للفؤاد، وقد أدرك شاعرنا –إذا بحسه المرهف– المساحة الصوتية والزمنية التي تتداعى فيها مشاعر القارئ؛ لتذوب مع الشاعر المنشئ؛ ولهذا تغنى بقصتين من قصص الغرام، ثم قام بوصل تلاحم شعوري، وأثناء ذوبان المتلقي مع مشاعر قلب حزين مكروب نقل الشعور بالألم والفراق لرؤى أخرى تحمل معاني الآلام المبرحة، ولكن ليس لفراق الأحبة؛ بل لفراق أدهى وأمر على الوجدان ألا وهو اندثار مجد الدولة وعزِّها.

ونظراً لمصداقية شعورشاعرنا تحرك خيال المتلقي الذي ربط بين حرمان قيس وذي الرمة، وحرمان دولة شاعرنا ويجمع بين الحالتين الفراق والحرمان والمعاناة والزوال وطمس المعالم المحسوسة مع بقاء الجروح واستمرار الضنى وحرقة النفس.

وقد أحسن شاعرنا في الربط بين رؤى تجربته التاريخية، وبين تصويره الفني؛ حيث تأثر بأحداث الدولة؛ فاستدعى صوراً وجدانية ثم ألف بينها، وبين مشاهد، وهيئات بيئية في سياق خيالي جيد.

الخيال الحركي:

يعد التصوير الفني مجموعة من العلاقات اللغوية التشكيلية، التي يعبر بها الشاعر عن تجارب في نسيج خيالي، يبرز من خلال حوار فكري، ونفسي يجسد الهدف الذي يعكس الحركات مثل قول المقّري :–

أيــــــنَ المراكـــــــبُ والمـــــــوا كـــــبُ والعصــــائبُ والعِمامَــــــهْ

أيْـــــنَ العســــــاكرُ والدســــــا ‏ كــــــرُ والنّـــــدامى في المُدامَــــــهْ

وَسُـــــــــقاتُها المُتَلاعِبـــــــــو ‏ نَ بلُـــــبّ مَـــــنْ أعْطَـــوْهُ جامَــــهْ

مــــن كـــــلّ أهيــــفَ يــــزدري ‏ بالغُصــــــنِ إنْ يَهْــــزُزْ قَوَامَــــهُ

ذي غُــــــــــرّةٍ لألاؤهــــــــــا ‏ تمحُــــو عَــــنِ النــــادي ظَلامَــــهْ

فالشّـــــــــــــــــمس في أزاره ‏ والبــــــدرُ في يــــــده قُلامَــــــهْ

المتذوق للصور الفنية السابقة يرى اللوحات ناطقة بالحركة، والحيوية، تنبع قيمتها الفنية من تصورها لقطاع اجتماعي عاصره الشاعر، وتعايش معه فاستطاع بقدرته الفنية أن ينقله إلى خيال المتلقي، الذي قام بدوره باستدعاء الصور الحركية، التي أصبحت مع بساطتها صورة لموروث يسجل ملامح بيئية صادقة وقد تجسد الخيال الحركي فيما يلي:

حركة المراكب، والمواكب: وهي صورة جمعت بين الهيئات والمشاهد والحركات، التي تبين المساحة الزمنية، والمكانية للذهاب والإياب.

حركة السقاة وخطواتهم الرشيقة وحركة أخذهم الكأس.

حركة الغزال الأهيف الذي يتمايل بقوام هو غصن مياس، وقد تجسدت الحركة من الفعل"يهزز" الذي صور بصيغته المضارعة استمرار التمايل، وتجدده وحدوثه، بسحر وفتنه ورشاقة، والجميل هنا هو قيام الشاعر بتشكيل صورة تشبيهية تجمع بين طرفين كلاهما متحرك هما الغصن الميال، والقوام المياس الذي يشبه هذا الغصن، فأجال النظر بين موصوفه من ناحية وبين منظر طبيعي من ناحية أخرى.

حركة تموج الإشعاعات، والأضواء، التي تفيض من أزراره؛ فتشكل ظلالا، وأطيافا

لونية بديعة، ولعله جمع بين ضوء الشمس ونور القمر ليضفي على الصورة -الخيالية- حيوية، ويسبغ عليها ثوب الجمال.

ومن الجدير بالذكر أن الصورة الحركية عنده تمتاز بالصدق، والبساطة والتلقائية، وقد تولدت من ملامح البيئة الاجتماعية.

ولعلك لاحظت صيغة اسم الفاعل في كلمة "المتلاعبون" وكيف صورت حركة السقاة، ولفتاتهم ، وهيئاتهم، وأطلقت للفكر العنان في تصور إدراك حركات هذا التلاعب.

الخيال السمعي:

يستقبل المتلقي الصورة الشعرية استقبالا انفعاليا، وفكريا يجعله يتعايش مع الأجواء البصرية والسمعية، وغيرها من المحسوسات التي يعمل الخيال على تبليغها للمتلقي مثل قول شاعرنا:-

هـــذا لســـانُ الـــدينِ أسكـــتَـــه وأسْـــكَنَهُ رِجامَـــهْ

ومحـــا عِبارتَـــهُ فَمَـــنْ حَيّـــاهُ لم يَـــرْدُد سَـــلامَهْ

فمن يتأمل الصورة الخيالية السابقة يرى أن الشاعر يتحدث عن نبرات صوتية تدل على الأصوات وعباراتها، وقد تجلى ذلك في تعبيره اللغوي:"أسكته" ،"حياه"، "يردد سلامه"، فالسكون بعد الكلام المسموع، والرد بعد السؤال، صور خيالية حسية، تثير حاسة السمع، وتجعل المتلقي كأنه يسمع من يحيي لسان الدين، ويبصر لسان الدين عاجز عن رد التحية، والسلام، بعد أن أخمد الدهر صوته.

الخيال البياني :-

البيان أعظم خاصية للعرب ، وفيه تحداهم رب العزة فقد برع الشعراء العرب منذ قدم

الشعر العربي في جذب المتلقي عن طريق الصور البيانية، التي تعتمد على المكونات الحسية للصورة، والبيان هو أن يعرض الشاعر صورته بأشكال عديدة تتناسب مع مقتضى حال المتلقين، فمرة يستخدم التشبيه، وأخرى يستخدم الاستعارة، وثالثة يستخدم الكناية وهكذا......

وقد تعامل الناظم مع هذا النوع من الخيال الذي جاء عنده بعيداً عن الصنعة والتكلف، ومن ذلك:

والعمـــــرُ مثـــــلُ الضـــــيفِ أو　　كـــــالطَّيفِ لَـــيْس لَـــهُ إقامَـــهْ

تخيل العمر كالضيف، أو كالطيف، وذلك لقصر المدة الزمنية لكل منهما، وقد أجاد في هذا التصوير؛ حيث يستدعي خيال المتلقي فترة إقامة الضيف، ووجود الطيف، ويربط بينهما وبين أعمار البشر، والدول؛ فتصل بهذا رسالة الشاعر للسامع والقارئ، ولعلك تلاحظ أن مبعث الجودة هنا هو انبعاث الصورة من وجدان الشاعر الذي يبحث لنفسه عن سلوى، تسكن همه، وتداوي جرحه.

وثمرة القول في التصوير الفني لقصيدة "سبحان من قسم الحظوظ" أن الشاعر اعتمد فيها على الخيال المعهود، فجاءت صوره بسيطة، وواضحة، يستطيع المتلقي استدعاء ملامحها بسهولة ويسر.

غير أنه يؤخذ عليه افتقاد الأثر القصصي للخيال المبدع الخلاق، حيث التزم بتقديم الأشخاص والأحداث كما هي في حقيقتها، التاريخية.

المبحث الرابع

الإيـقــــــاع

الإيـقـــاع

الدراسة النظرية:

الموسيقى أنغام معبرة عن الأحاسيس، والمشاعر تحمل بين طياتها الإيقاع الصوتي، الذي يترنم بالعواطف الإنسانية، ويناجي الآراء البشرية ويترجمها عبر إيحاء الرضا، والغضب، والثورة، والعتاب؛ فالموسيقى لحن الحياة ودعوة حية صادقة لإشباع النفس والفكر برموز صوتية، وإشارات إيقاعية توحي بأهداف سامية نبيلة.

وقد وهب الله الإنسان قدرة على التعبير الصوتي يعكس من خلال رنينه رؤيته لواقعه. والشعر من أبرز الفنون التي تعتمد على الصوت في إبراز طبيعة التجربة، ولذا كان الشعر والموسيقى صنوان لا يفترقان، وشقيقان لا يختلفان، فالأصوات اللغوية في الشعر هي قطع موسيقية تتكون من حروف وألفاظ، وتشكيلات تعبيرية ، تصنع وحداتٍ إيقاعيةً ينظم جرسها قانون العرض والقوافي.

فموسيقى الشعر استجابة لهمسات النفس، وترجمة لرؤية الفكر، وهي كذلك بناء حي يستمد وجوده من القيم، والإلهام، والأصوات، والقواعد، ومما سبق ندرك أن مبحث الإيقاع في قصيدة:" سبحان من قسم الحظوظ" يلقي الضوء على الشعر الذي يخضع -ككل شيء في الحياة – للتعقيد، وللشعر العربي القدح المعلى في هذه القضية؛ إذ صيغ هذا الشعر في أصله على دقات القلب، وإيقاعات النفس؛ فأصبح ديوان العرب الذي يسجل خواطرهم، ويجسد، أحلامهم، ويسطر آمالهم، وينبض بسمات عالمهم المثالي الذي ترفرف عليه أجنحة الفضيلة، ولدوره الإيجابي في البناء الاجتماعي الفكري تناوله علماء النقد بالبحث والدراسة والعرض لخصائص جودته وآيات إبداعه؛ فوصفه محمد بن سلام الجمحي بقوله:" للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين،

ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان"[١]، وقد بين بهذا أن للشعر أصولا يرتبط بها ويخضع لها تتجلى في استقامة المعاني وسلامة الألفاظ، وفصاحة التعبير، وجودة التراكيب، وحديثه هذا يتصل بالشكل الحي لبناء اللغة الشعرية حيث إن الشعر لا يستغني عن الموسيقى في بنائه التشكيلي.

ثم طالعنا قدامة بن جعفر بتعريف للشعر يجمع بين المستوى الصوتي المستمد من علمي العروض والقوافي وبين المستوى المعنوي ، وذلك في تعريفه له بأنه: "أنه قول موزون مقفى يدل على معنى"[٢]، وأشار ابن رشيق في كتابه العمدة إلى المستويين بقوله:"إن بنية الشعر من أربعة أشياء هي:اللفظ والوزن، والمعنى، والقافية"[٣]، وابن رشيق بهذه الرؤية الناضجة يبين طبيعة العلاقة بين المستوى الصوتي، المتمثل في الجرس الموسيقي، وبين المستوى المعنوي، وضرورة التوافق بينهما كما أن رؤيته تدل على أن اللفظ والوزن هما النبضات الحية للقيم التعبيرية، وأن المعنى والقافية هما الهمسات الناطقة للقيم الشعرية، وقد بين أبو العلاء المعري في رسالة الغفران أن الشعر "كلام موزون تقبله الغريزة"؛ مما يدل دلالة واضحة على ارتباط الإيقاع بالمعاني والأفكار، وأنه التعبير الصوتي الصادق الذي يسري في وجدان المتلقي من خلال الاستجابة النظرية لنداء المشاعر الإنسانية الصادقة، ويذكر أرسطو في كتابه "الشعر" أنه المحاكاة الراقية السامية للطبيعة، وتتمثل أدواتها في الإيقاع، والانسجام، والوزن، وتعكس كلماته علاقة النظم الشعرية بالإلهام النغمي، وأن دنيا الشعر هي التعبيرات الحية عن المعاني كما أنها الأصوات الأزلية التي يسمعها الشعراء من وراء الوجود؛ حيث يعبرون بها عن تجاوبهم مع الحياة، بما فيها من خواطر، وعواطف وآراء وقضايا فكرية ومعنوية، ويصورون من خلال إيقاعاتها القيم الجمالية التي ترقى بالمشاعر

---

(١) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، ١/٥.

(٢) نقد الشعر: ٣.

(٣) العمدة: ابن رشيق.

الإنسانية ، وبهذا فالشعر ترجمة حية للأحاسيس وإيقاعاته استجابة صوتية صادقة توحي بأنغامها، ونبراتها المسموعة بطبيعة العواطف كما أنها تعمل على إثارة وجدان المتلقي؛ مما يحقق المشاركة الوجدانية بين الشعراء، وبين أبناء مجتمعهم ثم بينهم وبين أبناء العالم؛ مما يدل على عالمية الموسيقى الشعرية وما لها من بصمات إنسانية، ومهما يكن فإن أوزان الشعر العربي كثيرة الصور، ولعل هذه الكثرة جاءت من أن حياتهم لم تعرف الاستقرار، ولا المساكن الثابتة فقد كانوا يتنقلون وراء الغيث والمراعي، ولكن مع ذلك لا تبدأ القصيدة بصورة معينة من صور الوزن حتى تستقر فيها، وحتى تصبح أساسا لجميع النغم الذي يتلوها. فلم يكن الشاعر يترك لنفسه حرية التنقل في قصيدته من وزن إلى وزن بل تتوالى الأبيات متشبثا بعضها ببعض، وكل بيت يمسك بأخيه في توازن نغمي دقيق يطرد إلى النهاية التي يستقر فيها النغم، وهي القافية فهي قرار البيت، وعندها يصل اهتزاز اللحن إلى غايته، ويتم إيقاعه، وكل إيقاع ينتظر الإيقاع الذي يليه، إذ تتوالى الاهتزازات والانسجامات الصوتية: تشبه اللاحقة أختها السابقة، ولا يوجد اصطدام بين لفظ وآخر، بل تلتئم الألفاظ في تناسق، محتفظة بنفس الرنين، الذي تنتقل موجاته إلينا، وكأنما تعيد تنسيق شيء فينا، فقد بلغت أوزان الشعر العربي من كمال الألحان مبلغا عظيما، حتى كأن الإيقاعات تعد عدا، فهي دائما عدد منتظم ، لا نقص فيه ولا زيادة، عدد بعينة من الاهتزازات الصوتية، والموجات، الموسيقية. عدد يأخذ شكل قانون صارم ففيه تكمن القوى الخفية الساحرة للشعر العربي؛ حتى كانوا لا يميزون بينه وبين السحر، ومن الجدير بالذكر أن هذا النظام الدقيق للشعر، وإيقاعاته لم يعرف في لغة من اللغات، ولعل ذلك كان من أهم أسباب استمرارية الشعر العربي وقدرته على احتواء جميع المعاني والموضوعات[١]؛ ولهذا فشعرنا منذ العصر الجاهلي كلمات موقعة بتوقيع موسيقي وبوحدة في النظم تشد من أزر المعنى، وتجعله ينفذ إلى قلوب سامعيه ومنشديه، وتوحي بما لا يستطيع القول أن يشرحه وطرب الإنسان للنغم

(١) في النقد الأدبي - د : شوقي ضيف - دار المعارف - الطبعة السادسة، ص: ٩٩ - ١٠٤ بتصرف.

قديم كعهده بالفنون في عصره الفطري يقول ابن عبد ربه: "وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه، فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع، فلما ظهر عشقته النفس، وحن إليه الروح؛ ولذلك قال أفلاطون:"لا ينبغي أن نمنع النفس من معايشة بعضها بعضا ألا ترى أن أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان؟"، وتمثلت الصياغة الموسيقية في الشعر العربي في بحوره وقوافيه التي وصلت إلينا ناضجة، بحيث لا نستطيع أن نقطع بشيء فيما يخص مراحل نشوئها وتطورها، ولكن موضوعية الدراسة تقتضي التفريق بين أمرين أولهما:

الإيقاع: ويقصد به وحدة النغم، التي تتكرر على نحو –ما– في الكلام، أو في البيت أي توالي الحركات، والسكنات على نحو منتظم، في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام، أو في أبيات القصيدة؛ فالإيقاع[1] في الشعر تمثله التفعيلة في البحر. وثانيهما الوزن: وهو مجموعة التفعيلات التي يتألف منها البيت وقد ربط بعض الباحثين بين موضوع القصيدة ، والبحر الذي كانت تنظم فيه؛ أي بين موقف الشاعر في معانيه وعاطفته، وبين الإيقاع والوزن اللذين اختارهما للتعبير عن موقفه، والحق أن القدماء من العرب لم يتخذوا لكل موضوع من هذه الموضوعات وزنا خاصاً، أو بحرا خاصاً من بحور الشعر القديمة، فكانوا يمدحون ويفاخرون ويتغزلون في كل بحور الشعر حيث ينبع النبر النغمي لرؤية الشاعر وأحاسيسه وخواطره، وخلجات نفسه، ويرتبط الإيقاع النغمي للقصيدة بالقافية، التي تمد المعاني بقيم موسيقية سامية تضفي على الجو العام للأثر الصدق والقوة والوضوح.

ومما سبق يتبين لنا أن الشعر بإيقاعاته ترجمة بالمستويين الوجداني والنغمي عما يأتي:

شعور المنشئ بما يتغنى به من أفكار وقيم .

(١) النقد الأدبي الحديث – د . محمد غنيمي هلال – طبعة ١٩٦٩ م، – ص ٤٦٢ وما بعدها بتصرف.

الإيحاء بالآمال والأحلام والآلام.

التعبير الصادق عن احتياجات الفرد والجماعة.

استجابته بأصواته ونغماته وإيقاعاته؛ لنداء العواطف الإنسانية التي تثير الأحاسيس بين الشاعر والمتلقي من خلال القيم التعبيرية والإيقاعية.

الدراسة التطبيقية:

يتميز الشعر بالنغم والترنم الإيقاعي الذي يعكس طبيعة المشاعر ودرجة التفاعل مع التجربة الشعرية، وقد ذكر البحث من قبل أن الإيقاع غير الوزن فالثاني يخضع للقواعد والأسس العروضية ، أما الأول فهو الذي يكشف عن حيوية النص وجمال التشكيل التعبيري، إلى جانب بيان درجة الإبداع أو الاتباع، اللذين عليهما تدور قيمة الأثر بالنسبة لذاته ولسواه، وذلك لأن الإيقاع يحمل ثنائيات الإنسان: الروح والجسد- العقل، والنفس- الشكل والمضمون، فالشاعر من خلال الإيقاع يخلق عالما من الرؤى له مساحات زمنية وحدود مكانية.

كما أنه يقوم بتقسيم نغمات النص بين المعاني، والأفكار والصور؛ فالإيقاع هو النغمة الموقعة المعبرة، وهو أيضا أساس اللغة لا يفارقها مهما تطورت وتنوعت وظائفها، وإن كان الإيقاع يبرز في بعض الوظائف دون بعض فالشعر يعتلي ذروة سنام هذه الوظائف؛ فموسيقاه ليست دخيلة[(١)] عليه بل هي من صميم تكوينه، وبهذا فالإيقاع يحمل بين طياته الخصائص الصوتية والنفسية للتجارب البشرية والمتذوق لإيقاع قصيدة"سبحان من قسم الحظوظ" يجد إيقاعاتها نابعة من تجربة تاريخية صادقة تتبلور سماتها من دلالات الأصوات اللفظية، ورموز المعاني، ومن تفعيلاتها، التي تمتد مع النبر النغمي للمقطع والمتلقي للقصيدة

(١) في موسيقي الشعر العربي - د / ناجي بدوي - طبعة ١٩٩٦م، من ص ١٥ : ٢٠ بتصرف.

موضوع بحثنا ، يجد أن معطيات أصواتها نسجت إيقاعاتها من الخيوط الآتية:-

الوزن :

نظم الشاعر قصيدته على منوال بحر الكامل المجزوء ذي العروض الصحيحة والضربة المرفل، ولهذا البحر مقياس واحد هو "متفاعلن"[(١)]

فتأمل قوله:

أضـــــنى النّـــــوى قيســـــاً فقـــــا سَـــــى لاعِجـــــاً أغْـــــرى غَرامَـــــهْ

وغـــــوى الهـــــوى غَـــــيْلانَ مُـــــذْ أبْـــــدي بمِيَّتِـــــهِ هُيَامَـــــهْ

أيْـــــنَ الأكاسِـــــرُ والقياصِـــــرَ ةُ المُجَلّـــــون الغَمامَـــــهْ

أيْـــــنَ الـــــذي الهرمـــــانِ مِـــــنْ بُنيانِـــــهِ الحـــــاكي اعتزامَـــــهْ

أمْ أيْـــــنَ غُمْـــــدَانٌ وسيـــــ ـــــفٌ والوفـــــودُ بِـــــهِ أمَامَـــــهْ

أيْـــــنَ الخَوَرْنَـــــقُ والسّديـــــ ـــــرُ ومَـــــنْ شَـــــفَى بهمـــــا أوَامَـــــهْ

ومَـــــدائنُ الاســـــكندرِ الـــــ ـــــلاتي لهـــــا أعلـــــى دِعَامَـــــهْ

أيْـــــنَ الحُصُـــــونُ ومَـــــنْ يصُـــــو نُ بهـــــا مـــــن الأعـــــدا حُطامَـــــهْ

---

(١) الكامل له ثلاثة أعاريض، وتسعة ضروب فالعروض الأولى تامة ولها ثلاثة أضرب، والعروض الثانية لها ضربان، والعروض الثالثة مجزوءة ولها أربعة أضرب: صحيح، ومرفل، ومذال، مقطوع، وقصيدتنا من بحر الكامل الذي عروضه مجزوءة صحيحة وضربه مرفل، والترفيل زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع، وتفعيلات الكامل: متفاعلين مكررة ست مراة فى التام، وأربعة في المجزوء.

راجع : موسيقى الشعر – د/ إبراهيم أنيس ومكتبة الأنجلو، طبعة ١٩٨٨م.

أيـــــــنَ المراكـــــــبُ والمـــــــوا كـــــبُ والعصـــــائبُ والعِمامَـــــهْ

أيْـــــــنَ العســـــاكرُ والدســـــا كـــــرُ والنّـــــدامى في المُدامَـــــهْ

إن بحر الكامل مناسب تماما لهذه التجربة التي تتحدث عن حركة الزمان ودورانه، فالحركة في الزمان، توازيها في بحر الكامل كثرة حركاته، فبحر الكامل هو الوحيد الذي يجتمع له في حال تمامه ثلاثون حركة في البيت الواحد، وعشرون في حال الجزء، غير أن طبيعة اللغة العربية التي تميل إلى التخفيف تتخلص من كثرة الحركات بإسكان الثاني المتحرك من متفاعلن فيما يعرف بـ"الإضمار" وهو زحاف خاص بهذه التفعيلة، لأنها الوحيدة من بين التفعيلات التي تبدأ بسبب ثقيل.

لقد تدفق الإيقاع من نغمات بحر الكامل الذي يوحي بتشبع المنشئ، بالأحداث التاريخية؛ فجاءت المقاطع الصوتية الإيقاعية معبرة عن أحاسيس، ومشاعر شاعرنا؛ حيث فاضت عبرات الألم والحزن بعد اكتمال دقات الناقوس النهاية للمجد العربي .

السياق الموسيقي والدلالات اللفظية:-

الشعر من الفنون الجملية التي تعتمد على مخاطبة الوجدان من خلال تركيب لغوي تتوالى مقاطعه بانسجام، وتناسق جذاب، وإيقاع منتظم ينقل ذبذبات القلب واهتزازات المشاعر للآخرين عن طريق تكرار المقاطع الصوتية، التي تتساوى في مساحاتها الزمنية، فالكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباها عجيبا وحالة كافية من توقع لمقاطع خاصة تنسجم لاحقها مع سابقها؛ مكونة من تسلسلها تواصلا بين أبيات القصيدة، وأنغامها، التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن الأخرى، والتي تنتهي بعدد معين من المقاطع بأصوات بعينها، نسميها القافية.

ومن الجدير بالذكر أن نغم الإيقاع الموسيقي للشعر ينبع من منبعين: أولهما داخلي والآخر خارجي، فالأول يترجم عن مكنون النفس، وانفعالاتها، والثاني يبرز صدق ما يجول فيها عبر تناسق الألفاظ والعبارات ورنينها؛ حيث يختار الشاعر من المعجم اللغوي ما يتفق مع معانية، فتأمل قول المقّري:

أيـــن الوزيـــرُ ابـــنُ الخطيـــ ... بِ بها فمـــا أَحْلـــى كلامَـــهْ!

فلكَـــمْ أبانَ العـــدْلَ فـــي ... أرجائـــها وبهـــا أقَـــامَهْ

وَلكَـــمْ أجَـــارَ عِـــدًا وكـــم ... أجـــرى نَـــدىً والى انْسِجَامَـــهْ

راعـــت ظـــروفَ الدهـــرِ دَوْ ... لتـــه ومـــا رَاعَـــتْ ذِمَـــامَهْ

حـــتى ثَـــوَى إِثْـــرَ التَّـــوَى ... في حفـــرة نَثَـــرْت نِظَامَـــهْ

مَـــنْ زَارَهَـــا في أرضِ فَـــا ... سٍ أذْهَبَـــتْ شَـــجْوًا مَنَامَـــهْ

هـــذا لســـانُ الـــدينِ أســـ ... ـكَتـــهُ وأسكنَـــهُ رِجَامَـــهْ

ومحـــا عِبارتَـــهُ فَمَـــنْ ... حَيّـــاهُ لم يَـــرْدُد سَـــلامَهْ

فكأنّـــهُ مـــا أمســـكَ الـــ ... ـقلَـــمَ المطـــاعَ ولا حُســـامَهْ

وكأنّـــهُ لَمْ يعـــلُ مَتْـــ ... ـــنَ مُطَهَّـــمٍ بارَى النَّعامَـــهْ

وكأنّـــهُ لم يَـــرْقَ غـــا ... رِبَ الاعتـــزازِ ولا سَـــنَامَهْ

وكأنّـــهُ لم يجـــلُ وَجْـــ ... ـهـــاً حـــازَ مِـــنْ بِشْـــرٍ تمامَـــهْ

وكأنّـــــــهُ مـــــا جَــــالَ في	أمـــــرٍ ولا نَهْــــيٍ وَســــامَهْ
وكأنّـــــــهُ مـــــا نالَ مِـــــنْ	مَلِـــــكٍ حِبَـــاهُ ولا احترامَـــــهْ
وكأنّـــــــهُ لم يُلْـــــــقِ في	يَـــــدِهِ لتَـــــدبِيرٍ زِمامَـــــهْ
مُــــذْ فـــارقَ الــــدُّنيا وَقَـــوّض	عَــــنْ مَنازِهـــــا خِيامَـــــهْ
أمســـــى بقــــبرٍ مفـــــرداً	والــــتُّربُ قـــد جَمَعَــتْ عِظامَـــهْ

من السياق الشعري ، الموسيقي السابق ، يقف المتلقي على ترابط الإيقاع الوجداني واللفظي مع ما يناسب التجربة الشعرية؛ فالقصيدة ترنم باك، ورثاء مكروب محزون يشير إلى سقوط شمس العزة في أغوار بحر لجي تتراكم فيه الظلمات بعضها فوق بعض، حيث استعان الشاعر في تصوير هذه الانفعالات بالسياق الموسيقي والدلالات المعنوية للألفاظ، ولينظر المتذوق للإيقاع النفسي الداخلي والخارجي مع صوت المقطع (متفاعلن) الذي عبر عن سلسلة من المعاناة:-

"أين الوزير" إيقاع حزين يحمل معنى الرحيل.

"حتى ثوى التّوى" إيقاع مصحوب بصوت الغناء.

"شتت الموت" إيقاع لفظي، موسيقي يوحي بالاندثار، والتفكك، الذي يشيعه صوت الشين، بما تفيده صفته فهو حرف تفشٍ، وكذا صوت التاء التي تكررت ثلاث مرات[١] ومن المعروف عند علماء الأصوات أن الشين من الأصوات الرخوة، والتاء من الأصوات

(١) التوى: الهلاك.

تنقسم حروف اللغة إلى أصوات متوسطة مثل اللام والنون والميم والراء وأصوات انفجارية مثل الدال والتاء و الباء و الكاف والجيم وأصوات رخوة مثل (س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف، ح، خ، ع)

راجع الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ، طبعة ١٩٩٥م, ص: ١٦ – ٢٥ .

الانفجارية، وهما من الأصوات المهموسة ومن صفات الأصوات، ومالها من إيقاع يدرك المتلقي الرسالة الوجدانية التي يريد المنشئ إرسالها؛ فالمنشئ شحن بانفعالات المرارة والألم، وتجرع سهام الحزن حتى وصل لحالة نفسية تفرض عليه. تفريغها ليصل إلى الاستسلام الذي ترجمه إيقاع صوت التاء حيث ورد في البيت خمس مرات :

إذ نَبّهَتْـــــــهُ لكـــــــلّ شَمْـــــــ ـــــــلٍ شـــــتّتَ المـــــوتُ التئآمَـــــهْ

ومع السير في موكب السياق الموسيقي والدلالات اللفظية نتوقف عند قول شاعرنا :-

هـــــذا لســــانُ الــــدينِ أسكــــ ـــتَـــــه وأسْــــكَنَهُ رِجامَـــــهْ[1]

ومحــــــا عِبارتَـــــــهُ فَمَـــــــنْ حَيّـــــــاهُ لم يَـــــرْدُد سَــــــلامَهْ

فكأنّـــــهُ مـــــا أمســـــكَ الـــــ ـــقلَـــــمَ المطـــــاعَ ولا حُســـــامَهْ

فأنت ترى أن إيقاع الأبيات السابقة يعلن عن الصمت المؤبد، بعد صوت كان يتجددً، والذي مهد لهذا الإحساس إيقاع صوت السين الهامس الذي يعلن بهمسه اقتراب إسدال ستائر النهاية، ويحكي ذلك التحول الذي يكون في هدوء الأصوات واقترابها من الصمت.

الروي[2]، والتداعي الوجداني:

(١) ذكر علماء الأصوات أن صمت السين من أصوات الصفير، والهمس، راجع الأصوات اللغوية — د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، طبعة ١٩٩٥م، ص٢٤.

(٢) الروي: وهو الحرف الذي تبني عليه القصيدة ، ويتكرر في أواخر الأبيات، وقد تنسب إليه القصيدة وسمي رويا أخذاً له من الروية، وهي الفكرة؛ لأن الشاعر يرويه، وقيل هو مآخوذ من الرواء وهو الحبل يضم شيئا إلى شيء؛ فكأن الروي شدُّ أجزاء البيت، ووصل بعضها ببعض، أو كأنه ربط أبيات القصيدة بعضها ببعض، = = ربطا شكليا بالموسيقي الخارجية، وقيل هو من قولهم: "للرجال رواء" أي منظر حسن فسمي رويا؛ لأن به عصمة الأبيات وتماسكها ولولا مكانه لتفرقت. راجع العمدة، لابن رشيق، تحقيق: أ.د/ النبوي شعلان – الطبعة الأولى

الشعر لغة الشعور وترجمان العواطف ورؤية للكون بما فيه من محسوسات ومعنويات حيث تسطر التجارب الإنسانية بأدوات تعبيرية تتجسد أنغامها في موسيقاها التي تضاعف من الإيحاء وتقوي الخيال.

فالألفاظ في الشعر تبعث الصور الإيحائية وتثير المتلقي عن طريق الإيقاع، فتجعله يتجاوب مع النغم ومرجع استجابته تناسق الأصوات، وانسجامها، وتساوي المقاطع الزمنية في الحركات والسكنات المتوالية؛ مما يؤدي إلى تراسل التداعي الوجداني بين المنشئ والمتلقي، ويضاعف هذا التداعي النفسي بينهما إيقاع الروي، ولنتأمل هذه الأبيات:

والعمــــرُ مثـــلُ الضـــيفِ أو ... كـــالطَّيفِ لَـــيْس لَـــهُ إقامَـــهْ

والمـــوتُ حَـــتْمٌ ثم بعـــ ... ـــد المَـــوتِ أهـــوالُ القِيامَـــهْ

والنـــاسُ مجزيّـــون عـــن ... أعمـــالِ ميـــلٍ واسْـــتِقامَهْ

فـــذوو السّـــعادةِ يضـــحكو ... نَ وغـــيرهم يبكـــي نَدَامَـــهْ

واللّه يَفْعَـــــلُ فِيـــــ ... ـهـــمُ مـــا شـــاء ذلاً أو كرامَـــهْ

ويُشَـــفّعُ المختـــارَ فـــ ... يهِـــمْ حِـــينَ يَبْعثُـــه مقامَـــهْ

وعليـــهِ خَـــيرُ صـــلاتهِ ... مَـــعَ آلـــه تتلـــو سَـــلامَهْ

والتـــابعِين ومَـــنْ بَـــدا ... بَـــرْقُ الرشـــادِ لَـــهُ فَشَـــامَهْ

مـــا فـــازَ بالرّضْـــوان عَبْـــدٌ ... كانَـــتِ الحُســـنى خِتامَـــهْ

٢٠٠٠م، من ص ٢٤٣ – ٢٦١ موسيقى الشعر، د/ إبراهيم أنيس- طبعة ١٩٨٨م، من ص٢٤٦ :٢٥٠، الموسيقى الشعرية د/ نادية مسعد، طبعة ١٩٩٩م، القاهرة، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ بتصرف.

فالمتلقي بعد قراءة هذه الأبيات يشعر بتدفق مشاعر الاستسلام لواقع سجل حقيقة المخلوقات؛ فالنهاية حتمية للجميع، وقد أحسن شاعرنا في جذب السامع "الخاص والعام" للحقيقة الأزلية، ويضاعف من التداعي الوجداني حركة الروي مع هاء السكت؛ فالميم صوت متوسط يتميز بالإيقاع النغمي الهادئ الذي تحرك بموكب متواصل من المشاعر الى ختامه فسكت .

الفصل الثالث

آراء الشارح النقدية

دراسة وتقويمًا

المبحث الأول

آراؤه في الشكل

آراؤه في الشكل

الشكل ركن من أركان الأدب؛ حيث يتجلى فيه الأسلوب الذي يعبر عن المعاني والأفكار والانفعالات، ويعكس الصور، التي تترجم درجة الصوت، وطبيعة الحركات، والهيئات والألوان، والشكل في النص الأدبي هو الصورة التي يرسم بها المفتن المواقف والأحداث والانطباعات، والتجارب، والظلال .

والشكل هو الصورة المثيرة للالتفات، القادرة قدرة كاملة على التعبير عن تجارب الأديب ومشاعره، تتجمع فيه روعة الخيال، والإيقاع الموسيقي، ووحدة العمل الأدبي، وشخصية الأديب، وأسلوبه في تخيره للألفاظ، التي تعد من أبرز مواد الشكل.

ولهذا يقف المفتن أمامها طويلاً يؤثر لفظة على لفظة، ويفضل كلمة على كلمة، ولهذا يقول كثير من النقاد: إننا نفكر بالألفاظ أي إنها مظهر إدراكنا الفكري، ولعل الذوق والموهبة، والمعطيات اللغوية هي المتحكمة في ذلك إلى حد كبير، ومن الجدير بالذكر أن الموهبة الأدبية تجعل الشكل الأدبي يتسم بالحيوية والإمتاع، والتأثير, والأديب المبدع هو الذي لا يقلد في ألفاظه، ولا في عباراته غيره من المفتنين؛ لأن الشكل ما هو إلا تعبير صادق عن تجربة شعورية، تعكس قدرة المفتن على تنظيم الألفاظ، واختيارها وفق ورودها في الذهن، ووقوعها في القلب.

وفي الشعر نجد أن أسلوب الصياغة الشعرية تعد بمثابة الجسم في القصيدة،أما التجربة فهي الروح, والشكل يتكون من ثنائية :التشكيل اللفظي ,والترتيب المعنوي,الذي يعبر عن ترتيب الألفاظ، وتنظيمها، وسردها على رتب المعاني.

وللأدهمي شارح قصيدة المقّري:"سبحان من قسم الحظوظ" آراء في مفردات الشكل، وفي جودته وفي معطياته الأدبية والفنية وهذا ما نعرضه – بإذن الله – في هذه الإطلالة:

إظهار صحة التركيب النحوي:

ولا أقصد بهذا العنوان أن الناظم يحسن أن يرفع الفاعل وينصب المفعول، إلى غير ذلك من قوانين النحو فتلك أمور يعرفها المبتدئون ، فضلا عن الشيوخ المتمكنين في صناعتهم، بل أعني صحة وضع اللفظ في الموضع الملائم له، وهو ما عبر عنه عبد القاهر بالنظم، فقال : هو توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وقال: "فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه"(١).

- والمتأمل لعرض الأدهمي للقصيدة يرى مدى حرص الشارح في بيان صحة الوضع اللغوي، ويظهر ذلك جليا من خلال العرض التفصيلي الجيد لشرح الألفاظ، والاستدلال ببعدها الاجتماعي والفكري والنفسي عن طريق شرح المعنى، ومثيله في أبيات أخرى، وقد يأتي برواية لمثل أو قصة لتأكيد صحة التركيب اللغوي، الذي يؤدي إلى جودة الشكل عند المقَّري، وتعليق الشارح على البيت الآتي:

أضـــنى النّـــوى قَيْســـاً فَقَـــا   سَـــى لاعِجـــاً أغْـــرَى غَرامَـــهْ

حيث قال: الضنى: المرض، وقال في المختار: الضنى: المرض، وبابه: صَدِي؛ فهو رجل ضنيّ وضنين: يقال تركته ضنياً، وضنينًّا، وأضناه المرض أثقله".

وأراد بالنوى هنا: البعد فقط. والأصل فيه الوجه الذى ينويه المسافر مطلقاً، قال في

(١) ذ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، باب القول في النظم وتفسيره، ص: ٨١ – ٨٣.

المختار: والنوى الوجه الذي ينويه المسافر من قرب، أو بُعد، وهي مؤنثة".

والمراد أن ورود لفظة "الضنى" لا تنافي صحة التركيب الشكلي، وانطلاقا من تقرير صحة وضع اللفظ في موضعه راح ينقد – نقدا شكليا- قول ليلي الأخيلية؛ موافقا لرأي الحجاج في نقده لها، وذلك في البيتين:

إذا ورد الحَجَّاجُ أرضًا مريضةً تَتَبَّعَ أقصى دائها فَشَفَاهَا

شفاها من الداءِ السقامِ الذي بها غُلامٌ إذا هَزَّ القناةَ تناهى

حين قال الحجاج: لا تقولي"غلام" وقولي: "همام". ومن هنا يتبين لنا أن الناقد شارح قصيدة المقَّري، يتفق مع الحجاج في أن كلمة "غلام"، قلقة في موضعها من الإطار الشكلي الذي يريد به غرس المعنى المراد، وأن تفسيره لكلمة "الضنى"، هو نوع من الاستدلال على اطمئنانها في موضعها وتوافقها مع المعنى.

– ويهتم الشارح الناقد بالوقوف على أصل الكلمة فيقول:"واللاعج: اسم فاعل، والماضي فيه لعج، قال في القاموس لعج في الصدر كمنع: خلج، والجلد: أحرقه، والبدن آلمه، ولاعجه الأمر: أشتد عليه، والتعج ارتمض من هم ، وألعج النار في الحطب: أوقدها".

– ثم تناول بعد ذلك تقارب التشكيل اللفظي بين: "قيس" و"قاسي"، فقال: إن بينهما الجناس المطلق ليصل بعد ذلك تفسيره للفظة " فقاس"؛ فيشير إلى أن معناها: "المقاساة" أي: المكابدة من وجدٍ وغيرِهِ؛ ليصل في تفسيره إلى قوله:" ونسبة الإغراء إلى اللاعج مجاز عقلي"، وبهذا يدرك المتلقي أن الناقد الذي شرح قصيده المقّري يبين عن صحة المعنى، أو ضعفه من خلال عرض الأشعار الأخرى، التي تتغنى بنفس المعنى لشعراء آخرين، مع الاهتمام بالتعليق على الألفاظ من ناحية معناها في المعجم، ودرجة اتحاد البعد الدلالي للكلمة مع البعد اللفظي ومن ذلك:

وغـــوى الهـــوى غَـــيْلانَ مُـــذْ أبْـــــدي بميَّتِـــــهِ هُيَامَـــــهْ

فذكر أن الغي هو الضلال، مستشهداً بما ورد في المختار بهذا المعنى، ثم ذكر ما للكلمة من تصريف؛ فقال:"غوي، يغوي بالكسر، غيًّا، وغواية أيضاً بالفتح فهو غاوٍ وغوٍ، وأغواه غيره فهو غويٌّ على فعيل"، وذكر رأي الأصمعي الذي أكد رؤية الناقد في صحة اللفظة، ووضعها في وضعها الدقيق، الذي يعبر عن المعنى بدقة، ثم تناول ناقد القصيدة تعبير الشاعر بـ"مُذْ" من الناحية اللغوية؛ فقال: إن "مُذ" فرع عن "منذ" بدليل رجوعهم إلى ضم "مُذ" عند ملاقاة الساكن نحو مُذ اليوم، ولولا أن الأصل الضم لكسروا، ولأن بعضهم يقول : مْذُ زمنٍ طويل فيضم مع عدم الساكن.. وظل الناقد في تفصيله الشكلي لـ"مذ" حتى شرح أحوالها، والمشهور منها مع توضيح سلامة، وصحة، ورودها في البيت فـ"مذ" يأتي بعدها جملة فعلية؛ كما وردت في القصيدة المقَّرية: "مذ أبدى"؛ مما يدل على أن النظم يتسم بالصحة في التركيب النحوي، لقد بلغ اهتمام الناقد بالصحة النحوية والتركيب الشكلي لدرجة أنه كان ينظر لمدى ارتباط الكلمة بما قبلها وبعدها، وأهميتها كما في شرحه لقول الناظم:

أيْـــــنَ الأكاسِـــــرُ والقياصِـــــرَ ةُ المُجَلّـــــون الغَمامَـــــهْ[1]

فنظر إلى "أين" قائلاً: إنها خبر مقدم، والأكاسرة، والقياصرة: متبدأ مؤخَّر، والأكاسرة: جمع لكسرى، وهو مَعَرَّبُ خسرو. أي: مجدد الملك، وهو بفتح الكاف وكسرِها" ويرد الشارح على الزجاج الذي ينكر الكسر في كاف "كسرى"، فيقول : "وإنكار الزجاج الكسر منكر؛ فقد روته الثقات، منهم: الفراء، وابن السكيت". ثم يعقب على هذا الجمع لكلمة كسرى على أكاسرة بزنة: "أفاعلة"، فيقول:"وجمع الأكاسرة على غير قياس؛ لأن حق الأفاعلة أن يكون جمعا لإفعال إسكاف وأساكفة".

(١) قسم التحقيق: ٤٧.

ونستطيع أن ندرك طبيعة رؤية الناقد بالتكوين الشكلي؛ فهو يتناول الكلمات، وينظر في دقة موضعها، وسلامتها من اللحن، وعناية الناقد بالشكل، ودقته هي التي كانت تتطلب منه الاستدلال بآراء علماء اللغة، في مثيلات هذه اللفظة، وسياقاتها المختلفة.

والأدهمي في نقده لقصيدة المقرّي لا ينظر إلى صحة الشكل اللغوي فحسب؛ بل يكشف النقاب عن موسوعة لغوية صحيحة التركيب؛ مما يدل على أن الأدهمي من علماء اللغة والأدب، الذين أسهموا في إثراء الفكر العربي.

إثراء التشكيل التعبيري:

الشكل أداة تنظيمية يُقَدِّمُ بها الشاعر معانيه وأفكاره، فعن طريق الألفاظ والتراكيب تنكشف لنا ثقافة الناظم، والناقد، ولعل درجة ثقافة الناقد ومعارفه تتجلى بصورة أعمق فهو الذي يخوض في البعد التشكيلي ليعرض ما يتصل بالنص من معارف متنوعة تظهر له من خلال نقده وشرحه وتعليقه على النص الذي بين يديه ، مما يساعد على إثراء العرض، لذلك يرى الأدهمي أن الشكل الجيد هو الذي يضم بين ألفاظه مفاهيم وأفكارًا وقضايا لغوية وتيارات ثقافية متنوعة, وقد تجلت نظرته تلك في شرحه وتعليقه على القصيدة.

ومن ذلك على سبيل المثال ماذكره الأدهمي في شرحه للبيتين:

أيْنَ الحُصُونُ ومَنْ يصُو　　　نُ بها من الأعدا حُطامَهْ

أينَ المراكبُ والموا　　　كبُ والعصائبُ والعِمامَهْ

حيث أثرى التشكيل التعبيري إ ثراءً كبيرًا، فتناول الألفاظ بالتعليق اللغوي وبين دلالاتها المعجمية، ثم دعم شرحه بالأحاديث النبوية الشريفة؛ فقال: " والعداوة مذمومة، فقد ورد عن أبي الدرداء عن النبي × قال: **"أول شيء نهاني ربي بعد عبادة الأوثانِ لَعْنُ الجهرِ،**

وملاحاةُ الرجال"، كما قال ×: "**القطعية، والعداوة دم يقطر**"، وأتى بآيات من القرآن الكريم، وأشعار يستدل بها على نقده للتشكيل اللغوي، واستعانته بالأشعار (لا سيما العربي القديم، والأندلسي) تظهر مدى تنوع ثقافته، وقدرته على استحضار الأبيات للاستشهاد بها.

كما أننا لا نغفل عن دور" النظم" الذي فتح أمام عيني الشارح والناقد الأدهمي مجالات من علوم التاريخ والجغرافيا، والحكم والأمثال، والأشعار المختلفة في المعاني، والأغراض، والبحور، والأوزان، إلى جانب القصص التي تـُروي مجالس الشراب وأخبار الندامى، والقيان، والجواري، وآلات الطرب؛ مما يكشف النقاب عن نظرة الناقد، ورؤيته للشكل؛ فهو عنده ليس كلمات منغمة إيقاعية؛ بل الشكل الذي يحكم له بالجودة هو الغني بالعلوم، والمعارف، والذي يفيض على الشارح بمدارك واسعة؛ فالأدب أصل الحياة، ونبض العلوم، ولا تتحقق له هذه الصفة إلا بألطاف عدة، ومن الأمثلة على ذلك أيضا تعليق الشارح الأدهمي على قول الناظم:

من كل أهيفَ يُزْرَي بالشمسِ إن يَهْزُزْ قَوَامَهْ

حيث نظر للكلمات المشكلة للبيت فشرح كلمة:" أهيف"، و"القوام"، واستدل في تفسيره بالقرآن الكريم، كما ناقش فائدة تعليق الجواب بالشرط في قوله الناظم :"إن يهزز قوامه" ثم أتى بأبيات جيدة البناء، والتراكيب على نفس النسق التعبيري، الذي يشير إلى سلامة البناء وصحته، وتمتعه بالثراء، والخصوبة، والجمال .

– ويرى الناقد أن الشكل الجيد يجب فيه تنمية الظواهر الفنية، التي تثري البحث، وتضيف جديدا إلى الفكر، ولهذا أثنى على قوله الشاعر:

ويَرُوقُ حُسْناً إن رَنَا وَيفُوقُ آراماً بِرامَهْ

حيث بين حسن الشكل من معطياته المتنوعة؛ فقد رأى أن استعمال الشاعر للألفاظ

متع البيت بعمق تعبيري فقال:" يروق: أي يخلص حسنا، قال في القاموس: الروقة من الشباب أوله".، ثم استقصى الناقد ما تفيض به كلمة:"يروق" من عطاء دلالي، لغوي، وصوتي؛ ليشير إلى توفيق الشاعر في اختياره لألفاظه، التي شكل منها بناء قصيدته، ولعل تعمق الناقد في سبر جودة الشكل، هو ما جعله يستقصي كل ما يتصل بالبيت من تفسير، وتحليل، واستدلالات شعرية، تبين مدى توفيق الشاعر في النظم البنائي ومن ذلك ما تناوله في بيت المقَّري:

أنَّى لهـــــــا ثَغْـــــــرٌ جَـــــــلاَ ذَوْقـــــــاً لِمـــــــنَ رامَ التِثامَـــــــهْ

فقال الأدهمي في تعليقه على ما سبق:"الثغر[1]: الفم، والأسنان، أو مقدمها، أو ما دامت في منابتها، ويطلق على ما يلي دار الحرب، وموضع المخافة من فروج البلدان، وثغَرَ كمنع: "ثلم" والثلمة: سدها ضد، والثُّغْرةُ بالضم نُقرةٌ النَّحر بين الترقوتين، والناحية من الأرض، والطريق السهل، وأثْغَرَ الغُلام ألقى ثَغْرَهُ ونبت ثغرُه، وأمسوا ثغوراً أي متفرقين، الواحد ثغر ". ويستمر الناقد في معالجة الشكل فيشير إلى إجادة الناظم في استخدامه كلمة: "أنى"[2] في أول البيت؛ فيشرح استعمالاتها مبينا أنها موضوعة للاستفهام في البيت، وقد تأتي بمعنى: "كيف"، ويجب هنا أن يأتي بعدها فعل مثل قوله تعالى: "فأتوا حرثكم أنَّى شِئْتُمْ"، وقد تأتي بمعنى: "أين"، وهي مختصة بالتصور، بخلاف: "هل"؛ فإنها مختصة بطلب التصديق، ثم يتعرض الناقد للمعاني اللغوية، وآراء العلماء فيها؛ ليصل إلى رؤيته في ثراء النظم التعبيري، وجودة الشكل فيقول[3]: "ومعنى البيت: من أين لظباء رامة ثغر قد حلا ذوقه، لمن رام تقبيله؛ فهو تنوير لما ادعاه الناظم من وصفه السقاة بأنها تفوق "آرام رامة"، ثم ذكر الناظم ما قيل في

(١) قسم التحقيق : ٢٢٠.

(٢) قسم التحقيق : ٢٢٠.

(٣) قسم التحقيق: ٢٢٢.

الثغر؛ ليبين تفوق الناظم، ومهارته في اختياره للشكل ومنه قول بعضهم:

سـألته في ثَغْرِهِ قُبْلةً فقال: ثَغْرِي لم يجز لَثْمُهُ

وقد أكد الناقد رؤيته في جودة الألفاظ ، والشكل البنائي عند المقري إلا إنه عقّب بقوله:"وممن أبدع في ذكر الثنايا، والثغر، وأغرب، وأتى بما فيه من العجب العجاب، ولا عجب، عبد الرحمن بن إبراهيم الموصلي؛ فأحببت ذكرها برمتها لأجل التملّي بفرائد أبكارها، والجني من خمائل أزهارها"، وأنا أذكر منها ما يلي(١):

سَلَبُوا الغصونَ مَعَاطِفاً وقُدُودَا وتَقَاسَمُوا وردَ الرياضِ خُدودا

طعنوا القلوبَ بما تلاشي دونَهُ طعنَ الرماحِ وتَسَدَّدوا تسديدا

فتنوا الورى بلواحظٍ وتجاوزوا بالفتك من نهب العقول حدودا

تركوا الحلي سآمةً واستبدلوا حُلَلَ المحاسنِ والبهاءِ برودا

فغدوا بها مستعبدين أولي النهي مما يَشِيقُكَ طارفًا وتليدا

نظموا الثنايا في المباسمِ لؤلؤاً تحت الزمردِ والعقيقِ عقودا

تخذوا البنفسج في الشقيق عوارضاً والياسمين معاطفا وزنودا

بَدَلُوا الخصورَ من الخناصرِ دِقَّةَ واستبدلوا حُقَقَ اللجين نهودا

وظل الناقد يسرد الأبيات إلى أن وصل لقول الموصلي(٢):

---

(١) قسم التحقيق: ٢٢٩.

(٢) قسم التحقيق: ٢٣١.

مـــا خلتـــه إلا النســـيم إذا ســـرى　　　بـــين الـــرياض، وإن أطـــال صـــدودا

ليعقب بهذه المقولة[1]: "قال الأميني: لولا أن قصدي استجلاب الثناء لهذا الأديب؛ لضننت بهذه الأبيات خوفا من أن لا يراعى حقها عند أهل التأديب؛ ولوددت أنها علقت في جبهة الأسد الكاسر، أوضُمَّتْ للنيراتِ في الفلك العاشر".

مما سبق يتضح لنا رأي الناقد في جودة الشكل، وقيمته حيث يرى أن البناء المحكم يجب أن يتميز بالألفاظ الصحيحة الثرية، التي تجذب بحسن نظمها ثناء الأدباء، وتضيء النور أمام خيال الشعراء.

التعبيرات ذات الدلالة المصاحبة:

كشف الناقد عن مقاييس جودة الشكل عنده في تفسيره وتحليله لأبيات قصيدة "سبحان من قسم الحظوظ"؛ فقد ذكر أن حسن الصياغة التعبيرية يتميز بصحة وسلامة اللغة إلى جانب خصوبة الألفاظ، بما لها من معطيات أدبية وفنية، يضاف لذلك عمق رؤيته النقدية، التي تجلت في ضرورة تمتع الشكل بالتعبيرات ذات الدلالة المصاحبة، وقد ظهر ذلك في تعليقه على قول الناظم[2]:

أسْـــــــــتَغْفِرُ اللهَ لِلَغـــــــــوٍ　　　لا يـــــــرى الشـــــــرعُ اعْتيامَـــــــهْ

قال الناقد: "لما ذكر الناظم السقاة، ووصفهم بالأوصاف المتقدمة، فربما يظن به أن له ميلا لهم أو أن مقصوده الترغيب فيهم، لا التنفير منهم وليس كذلك؛ لأنه كأنه يقول: وإن كانوا بهذه المثابات كلها، وقد اشتملوا على هذه الصفات الحسان، فإياك أن تركن إليهم، أو

(١) قسم التحقيق: ٢٣١.

(٢) قسم التحقيق : ٢٥٢.

تميل بنظرك إلى صورهم، فإن ذلك لغو وضياع، فأراد إيضاح هذا المرام فقال: استغفر الله الخ، فأشار بطلب المغفرة لهذه النكتة اللطيفة، أي: أطلب من الله المغفرة، وهي ستر الذنب المقتضي ذلك والعفو عنه، والمسامحة فيه، وعدم المؤاخذة به ".

لقد كشف الناقد عن اتفاق الدلالة المصاحبة، وتوفيق الناظم فيها عندما جمع بين: اللغو والاستغفار، وأتى بآيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة، يستدل بها على إجادة الناظم في الربط بين الكلمات، وحسن مصاحبة الألفاظ بعضها لبعض؛ إلا أنه أخذ على المقري وقوع عيب إيقاعي في وزن البيت فقال[١]: "وفي بيت الناظم: "الخزل" وهو اجتماع الإضمار والطيّ، والإضمار إسكان السبب المتحرك، والطيُّ: حذف الرابع الساكن. فبعد أن كان الجزء: "متفاعلن" انتقل إلى "مُتْفَعِلُنْ"، وهو معيب وإن وقع في أشعار المتقدمين مثله...".

والحقيقة أن ما أخذه على المقري لا يعد ظاهرة في القصيدة؛ بل هو من منطلق الضرورة الشعرية، ولشدة احتياج البيت للصوت النغمي الذي يتناسق به مع سياق النظم.

- ويمعن الأدهمي في شرح توفيق الشاعر في الدلالات المصاحبة فيذكر في تعليقه على البيت الذي يلي البيت السابق وهو:

بَـلْ أيْـنَ أربابُ العُلُـوِ مِ أولـو التصـدُّرِ والإمامَـةْ[٢]

أن الشاعر أجاد في الانتقال من أسلوب إلى آخر؛ حيث استعمل "بل"، بعد طلبه المغفرة من الله, ويرى أن الشكل يجب أن يتمتع بسياق، يعود على الكلام بفائدة؛ حتى يثري الهدف الذي من أجله نظم الشاعر قصيدته، ولهذا بين سبب استحسانه بقول الإمام

(١) قسم التحقيق: ٢٦٥.

(٢) قسم التحقيق : ٢٦٥.

الشافعي:"وما أحسن قول الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه[1]:

يـــذوقُ الفـــتى ذُلَّ التعلُّـــمِ ســـاعةً مـــن العلـــم إذ لا يعلمَـــنَّ بذاتِـــهِ

ومـــن لم يـــذقْ ذُلَّ التعـــلمِ ســـاعةً تجـــرَّع ذل الجهـــلِ طـــول حياتِـــهِ

ومـــن فاتـــهُ التعلـــيمُ وقـــتَ شـــبابِهِ فَكَـــــبِّرْ علـــيه أربعـــا لوفاتـــه

حيـــاة الفـــتى والله بالعلـــم والتقـــى إذا لم يكـــونا لا اعتبـــارَ بذَاتِـــهِ"

وذكر أيضاً استحسانه لأقوال بعض الشعراء في بعض القضايا العلمية من مثل قوله: "وما أحسن قول بعضهم في النحو خاصة:" [2]

النحـــو خـــيرُ علـــومٍ مـــنه يُلتَمَـــسُ لأنـــــه مـــــن كتـــابِ الله يقتـــبسُ

إذا الفـــتى مُـــنِحَ الإعـــرابَ كـــان لـــه مهابـــةً عنْـــدَ قـــومٍ حـــولَهُ جَلَسُـــوا

لا يَنْطِقُـــونَ حِـــــذارًا أنْ يلحِّنَهُـــمْ كأنَّمَــا بهـــم مـــن خَوْفِهِـــمْ خَـــرَسُ

لا يســـتوي مُعْـــرِبٌ منـــا ومُنْعَـــجِمٌ هــل تَسْـتَوِي البغَلـةُ الحمقـاءُ والفَـرَسُ؟

فالشكل الجيد هو الذي يتكون من كلمات تستدعي بعضها بعضًا، ولكل لفظة دلالة تصاحبها لفظةٌ أخرى تضيف للشكل الجودة والحسن.

ويرى الناقد أن الحكم على الشكل الذي يبين استدعاء الدلالات المصاحبة يجب أن يتسم بالصدق ويرضى به العقل وتطمئن له النفس؛ فلا يجوز أن نضع كلمات لا ترتبط مع بعضها البعض برباط قوي مقنع، ولهذا فالرباط المصاحب للألفاظ المشكلة للصياغة يجب أن

(١) قسم التحقيق: ٢٨٧.

(٢) قسم التحقيق : ٢٨٧.

يكون على درجة من المصداقية، نعم إن الشعر القصد منه الإمتاع النفسي، والفكري وإثراء الحاسة الخيالية مع ضرورة الإقناع، الذي يساعد على خلود الأثر الأدبي، غير أن هناك ثوابت فنية لا يجوز إغفالها، ولهذا أثنى الناقد على قول الناظم[1]:

وذوو الــــــوِزَارةِ والحِجَابَـــــةِ والكتابــــــــةِ والعلامَــــــــهْ

فذكر الأدهمي أن تغني الناظم بأرباب العلوم وأصحاب الصدارة حتّم عليه استدعاء الوزراء, والحجّاب, والكتّاب؛ فقال:"تقدم الكلام عن الوزارة مبسوطا، وهي مطلوبة بنص القرآن؛ لأن الوزير من الملك بمنزلة الروح من الجسد؛ قال تعالى – حكاية عن موسى – : "واجعل لي وزيراً من أهلي" ، وقال صلى الله عليه وسلم:"لكل نبي وزير: ووزيراي أبو بكر، وعمر"، والوزراء على مراتب: منهم من جمع بين الكرم، والعقل؛ كالبرامكة، ومنهم من جمع بين الكرم، والعقل والمروءة، والأدب، وهم على مراتب، منهم: بنو وهب الذين قال عنهم الحصري : وبنو وهب من مشاهير الوزراء وأدبائهم، ولهم الرسائل الفائقة، والشعر الجيد".

وهكذا يكشف الناقد أن الحكم على جودة الشكل لا يقتصر على ارتباط الألفاظ بعضها ببعض داخل البيت الواحد، بل يرى أن جودة الشكل تعتمد على ترابط أبيات القصيدة وتلاحمها من أولها الى أخرها في انسجام جيد، فيكون بذلك من أوائل الذين لفتوا الأنظار إلى الوحدة العضوية في القصيدة العربية.

ولعله يشير الى تلك الوحدة وضرورة ارتباط أبيات القصيدة عندما علق على بيت الناظم[2]:

كأئمّـــــةٍ سَـــــكنّوا بِأنْـــــدلسٍ فلَـــــمْ يشـــــكوا ســـــآمَهْ

---

(١) قسم التحقيق : ٢٩٢.

(٢) قسم التحقيق : ٣٧٥.

فقال: لما ذكر الناظم -رحمه الله- من مضى من أرباب العلوم، والموصوفين بالتصدر والإمامة، والوزراء والحجاب والكتاب، لأجل أن يعتبر الناظر، ويعلم أن الدنيا دارُ زوال، جديرة بأن توصف بأنها كطيف خيال، أكد ذلك بذكر الأندلس مقدما ذكر أئمتها الذين هم في الفصاحة عجيبة الليالي والأيام، لم تزل لهم في البلاغة اليد الطولى، وفي غرائب الفنون السابقة الأولى، فهم في الأدب بين الناس بمنزلة القمر من الكوكب، وفي التقدم والسبق؛ بمنزله البسملة بين الذكر في المراتب، وحين ذكري نزرا يسيراًً من أفاضلهم الأعيان ترى من حسن كلامهم ما يجري في الجسد مجرى الأرواح في الأبدان..." واستمر الناقد يبين كيفية ترابط الأبيات شكلا، وموضوعاً؛ مما يجعل المتلقي يدرك ما في هذا الترابط من كنوز معرفية تفتح أبواب العلوم المختلفة.

الوحدة الفنية :

الأثر الفني رؤية لصاحبه؛ يعكس رؤيته للكون، ولهذا ذكر النقاد في القديم، والحديث أن العمل الأدبي يجب أن يعكس صورة بنائية متكاملة، تعبر عن الحياة والنفس الإنسانية، والشعر خاصة يجب أن يتميز بالحيوية؛ فالقصيدة ليست ضربا من الكلمات المرصوصة بل لكل كلمة معطيات، وثمار ، ولكل بيت خيوط تجعله ينخرط في نسيج متكامل من النظم؛ فالقصيدة الشعرية تتكون من عناصر مترابطة متداخلة تصوغها بصيرة الشاعر لتصور خبرته إزاء حدث نفسي، أو اجتماعي، والنظم عبارة عن أبيات يأخذ بعضها برقاب بعض، يصور الناظم فيها لوحة فنية غنية بالعلوم، والمعارف، والأخيلة والانفعالات، التي تنبع من واقع التجارب الشعورية الصادقة، والوحدة الفنية هي التي تدل على قوة بنية العمل الشكلية.

والواقع أن الناقد في شرحه وتفسيره وتحليله لقصيدة "سبحان من قسم الحظوظ" بين أن الناظم استطاع في قصيدته تحقيق الوحدة الفنية من أول نغمة شعرية حتى نهاية النغم .

فالأبيات تتسم بالانسجام النغمي، والنفسي، والفكري، ويستدل الناقد على ذلك في

شرحه للأبيات، ومنه تناوله قول الناظم[1]:

هـــــيَ جنّــــةُ الـــدُّنيا الـــتي   قـــــد أذْكــــرَتْ دارَ المُقَامَـــــهْ

فبعد أن تحدث عن الأئمة الذين سكنوا بلاد الأندلس، وصفها بالبيت السابق؛ فبين أن المعنى دفع الشكل إليه، وهو أن الأئمة القاطنين بالأندلس تمتعوا بحسنها، وورونقها، وهوائها، ولطافة أهلها، ومائها ، ولم يشكوا سآمة من إقامتهم بها ؛ فذكر الناظم "هي" والحقيقة أن الناقد أراد بيان ما في النظم من ترابط فني جيد ؛ فكل بيت يمهد للبيت الذي يليه ، ولعل هذا يذكر بقول ابن قتيبة في كتابه:"الشعر والشعراء"؛ عندما قال:"إن المطبوع من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه وتبينت على شعره رونق الطبع".

والمتذوق لأبيات المقّري يجد أن الناقد كشف من خلال تعليقه على الأبيات تمتعها بالطبع والوحدة ، ولعل وقفته التفسيرية في البيت[2]:

وهـــــي الـــــتي دُعيَــــتْ دِمَشْــــقَ   وحَســـــــبُها هَـــــــذا فَخامَـــــــهْ

وما ذكره من معارف: تاريخية، ولغوية، وشعرية؛ بسرد ما قاله الشعراء في وصف دمشق، ولهذا قال والفخامة: العظم، يقال: رجل فخم أي: عظيم القدر"، وهنا نتبين أن الناقد أراد الإفصاح عن طبع الناظم، الذي ذكر الأندلس، وما فيها من سحر مما استدعى في ذهنه ذكر دمشق وما فيها من مفاتن جذابة، وكأن الناظم أراد أن يتغنى بالطبيعة الخلابة؛ لينتقل بعد ذلك لنسيج آخر مهد له بلفظة:" فخامة"، التي ساعدت الناظم على تصوير دمشق تصور حيا في الأبيات التالية، والتي عقب بها الناظم، وجعلت الناقد يرى أن الأبيات

(١) قسم التحقيق: ٤٥٨.

(٢) قسم التحقيق: ٤٧٠.

تتسلسل عبر ظلال كثيفة، متداخلة الأشكال، والألوان، والهيئات، والأصوات وقد استطاع الناقد بحسه الفني بيان درجة ترابط الأبيات، وكيفية الانتقال من وصف الحسن والجمال لدمشق إلى ذكر ما آلت إليه المدن من آلام وأحزان، وقد تجلى ذلك من الأبيات الآتية[1]:

وقصـــــورِها الزُّهـــــرِ الــــتي يأبى بهـــا الحســـنُ انْقِســـامَهْ

يا ليـــتَ شِـــعري أيْـــنَ مَـــنْ أمضـــى بهـــا الملـــكُ احتكامَـــهْ

وَأتـــــيحَ في حَمْرائِهــــــا عِـــــزّاً بِـــــهِ زانَ اتّســـامَهْ

أيْـــنَ الـــوزيرُ ابـــن الخطيـــب بهـــا فَمـــا أحلـــى كلامَـــهْ

إلى آخر القصيدة :

مـــا فـــازَ بالرّضْـــوان عَبْـــدٌ كانَـــتِ الحُســـنى خِتامَـــهْ

وقد خُتِمَ شرح الأدهمي بهذا الوصف: " تم هذا التأليف الرائق الشراب، البديع الترصيف، إن نظرت إليه في تركيبه قلت: كأنه الفتوحات، أو في حسنه وبديعه قلت: كأنه شروح البديعيات، أو في مسائله قلت: رياض الصالحين، أو في تصوفه، وجماله، قلت: هذا الكاتب والده محيي علوم الدين أو نظرت إلى لغاته قلت: هذا قاموس مجد الدين أو لما حوى قلت هذا الحاوي الثاني لكلام العلماء والأئمة المجتهدين، كأن هذا التأليف دُر نضيد أو عقد فريد، لأنه بيّن الطارف والتليد، كيف لا ومؤلفة السيد أحمد الأدهمي وقد خصه الله مكارم أخلاقه وعوارف فضائل ما فوقها مزية؛ فلقد أحيا مشاهد العلم، ورفع معالم قواعده، وأوضح منها الطريق لأهل التحقيق........".

وبعد ،،

(١) قسم التحقيق : ٥٣٦، وما بعدها.

فإن ثمرة المطاف في روضة آراء الناقد في الشكل تبين لنا أن الأدهمي يرى أن جودة الشكل تكمن في تحقق سمات ضرورية، تتجلى في صحة التركيب البنائي النحوي، وإثراء الألفاظ للشكل التعبيري، والذي يدفع بالتالي إلى تعبيرات ذات دلالات مصاحبة، تربط بين الألفاظ في البيت الواحد, وبين أبيات القصيدة جميعها؛ مما يجعل النص يتمتع بالوحدة الفنية، وهذا ما وجده الأدهمي في قصيدة:" سبحان من قسم الحظوظ" للمقّري. ولعل تعليق خليل الدمياطي الذي رسم بقلمه شرح الأدهمي كشف عن ذوق الناقد؛ حيث وصفه بعبارات جامعة، تكشف عن رسوخ الناقد في عالم اللغة (النحو– والصرف – والبلاغة – والأدب) .

ومن منطلق الرؤى السابقة لرأي الأدهمي في الشكل الجيد ننتقل إلى رؤيته في المضمون.

المبحث الثاني

آراؤه في المضمون

آراؤه في المضمون

يتكون المضمون من ثنائية حية تتمثل في الأفكار والمعاني وهما من عناصر الأثر الأدبي ومقدماته بل هما أساس الحكم على قيمة النص ودرجة جودته، ولهذا بَيّنَ النقّاد أن الأدب ليس أسلوبا، أو تعبيراً، أو خيالا فحسب؛ بل لابد أن يضيف إلى حياتنا الجديد عن الكون، والوجود؛ ومن هنا يجب علينا أن ندرك بأن الأفكار والمعاني لابد أن تكون واضحة ووثيقة الصلة بموضوع القصيدة؛ حتى يتمتع المضمون بالصدق و القوة التي تضمن استمرارية النص الأدبي وبقائه على مرّ العصور.

وترجع جودة المضمون إلى موهبة المنشئ، وقدرته على تجسيد معانيه؛ ثم إلى استعداد الشارح وثقافته؛ مما يؤدي إلى اكتمال صورة النص، وحيويته؛ إذن فتذوق المعنى ودراسته يحتاج إلى أمرين: الأول هو مهارة المنشئ في تصوير معانيه، وصدقه في التعبير. والآخر هو تعايش (الشارح أو الناقد)،مع النص الأدبي و استقباله لمعاني قائل النص ونقلها وشرحها للآخرين بأسلوب مبدع جذاب يضيف رؤى خلابة لعالم الشعر، الذي يمثل بخيوطه المتشابكة نسيج الحياة.

ولهذا فالفن الشعري لا تتكون لوحاته الناطقة إلا عبر ثنائية(المنشئ والمتلقي)، ثم الحكم على النص مع تقدم الزمان، وتغير المكان؛ فلدينا في بحثنا هذا الشاعر المقّري الذي نظم القصيدة (موضوع البحث) برؤيته، وبمعطيات عصره, وعندنا الشارح الناقد للنظم العلاّمة الأديب "الأدهمي"، وله أيضاً مقومات شَكّلَها عصره ,أما نحن – في عصرنا هذا– فلنا مقاييس ذوقية تتفق، مع حياتنا الفكرية، والنفسية، والاجتماعية، ومع واقعية التجديد والتغير؛ وربما تخالف مقاييسنا مقاييس من كان قبلنا أو يأتي بعدنا، غير أن هناك ثوابت في تقويم العمل الأدبي، لا تتبدل مع مرور الأيام، ولا ينال منها تطور الزمان. ومن الجدير بالذكر أن العلاّمة (الأدهمي) كشف عن رؤيته في جودة الشكل، وذلك من خلال التعليق المستفيض

المتنوع للألفاظ والتراكيب؛ حيث كان يعالج –كما سبق – البناء الشكلي، فيناقش ما فيه من نحو، وصرف، وبلاغة، وفقه، وحديث، وسيرة وتاريخ، وجغرافيا، وعروض، وعلوم الكلام، وغير ذلك.

والواقع أن شرح البيت من منطق التشكيل اللفظي احتل صفحات كثيرة قد تُغَذِّي قريحة الباحث؛ إلا إنها تجعله في حيرة من أمر بحثه هل يقتصر على المعلومات الأدبية؛ فحسب، أو يناقش كل ما ورد من معارف، ويضعها في إطار أدبي جديد.

كما نذكر هنا أن أكثر ما أخذ - على الشارح- ذلك الفصل الشديد بين أبيات النص لدرجة تجعل الباحث عندما ينتهي من البيت، وما يتعلق به، ويصل للبيت الذي يليه يستشعر صعوبة استرجاع البيت الأول؛ مما يدفعه دفعا لضم صفحات الشرح؛ ليربط بين البيت وما يعقبه، ولهذا سوف نبين – بإذن الله – في تعليقنا على المضمون مقاييس جودة المعاني لدى الأدهمي عبر أبيات متصلة:-

أضنى النّوى قيساً فقا سَى لاعِجاً أغْرى غَرامَهْ

وغوى الهوى غَيْلانَ مُذْ أبْدي بميَّتِهِ هُيَامَهْ

أيْنَ الأكاسِرُ والقياصِرَ ةُ المُجَلّون الغَمامَهْ

أيْنَ الذي الهرمانِ مِنْ بُنيانِهِ الحاكي اعتزامَهْ

أمْ أيْنَ غُمْدَانٌ وسيفٌ والوفودُ بِهِ أمَامَهْ

أيْنَ الخَوَرْنَقُ والسّديِرُ ومَنْ شَفَى بهما أوَامَهْ

ومَدائنُ الاسكندرِ اللاتي لها أعلى دِعَامَهْ

أيْــــنَ الحُصُـــونُ ومَـــنْ يصُـــو نُ بهـــا مـــن الأعـــدا حُطامَـــهْ

أيــــــنَ المراكــــــبُ والمــــــوا كــــبُ والعصــــائبُ والعِمامَــــهْ

أيْــــنَ العســـــاكرُ والدســــا كـــــرُ والنّـــــدامى في المُدامَـــــهْ

وَسُـــــــــقاتُها المُتَلاعِبـــــــــو نَ بلُـــــبّ مَـــــنْ أعْطَـــوْهُ جامَـــهْ

مـــــن كــــلّ أهيـــفَ يـــزدري بالغُصــــنِ إنْ يَهْــــزُزْ قَوَامَـــــهُ

ذي غُـــــــرّةٍ لألاؤهـــــــا تمحُـــو عَـــنِ النـــادي ظَلامَـــهْ

فالشّـــــــــــــمس في أزاره والبـــــدرُ في يــــده قُلامَـــــهْ

يُصْــــمى القلــــوبَ إذا رمــــى عَـــنْ قـــوسِ حاجبـــه سِـــهامَهْ

من اللوحة الفنية السابقة المتكاملة يكتشف المتذوق رأي الشارح في المضمون؛ فهو عنده يجب أن يتصف بالترابط، والوضوح، واليسر، والإيحاء، والتداعي، كما يجب أن تعطي الألفاظ القدر الدقيق الوافي بالمراد، أي أن مقياس جودة المضمون ينبع من جودة الشكل فهما صنوان يمثلان الجسد والروح من الحيثيات الآتية:-

أن اللفظ يعطي المعنى – أن اللفظ يعكس العاطفية – أن اللفظ يصور الحقيقة – أن اللفظ يماثل الهدف – أن اللفظ بوصفه شكلا هو الذي ينطق بالمضمون.

فإذا زاد أحدهما على الآخر في الإيحاء عُدّ ذلك عيبا في الصورة الأدبية، وهذا ما أخذه الأدهمي على المقّريّ في البيت التالي:

والشّـــــــــــــمس في أزاره والبـــــدرُ في يــــده قُلامَـــــهْ

فقال معلقا:" وقد بالغ النّاظم في وصف السقاة؛ حيث صور أزرار صدره شمسا؛ فهو تشبيه بليغ بحذف أداته، أو جعله شمسا حقيقة ادعاء، أو من باب الاستعارة على حد قوله: قد زر أزراره على القمر، وإن كان فيه الجمع بين المشبه والمشبه به؛ لأن ذلك يضر لو كان على وجه ينبئ عن التشبيه؛ أما إذا كان على وجه لا ينبئ عن التشبيه؛ فإنه تجوز فيه الاستعارة على ما عليه المولى سعد الدين التفتازاني، وغيره ، وزاد في المبالغة حيث جعل البدر قلامة ظفر"(١).

وبهذا التعليق يتضح لنا رأي الشارح في المضمون و رؤيته بأن الجمال الشعري يتجلى من قبول الفكر، والنفس، والخيال للصورة.

- ومن أرائه في المضمون أيضاً ما يلي: قال الناظم(٢):

يُصْـــمي القلـــوبَ إذا رمـــى عَـــنْ قـــوسِ حاجِبِـــه سِـــهَامَهْ

فعلق الأدهمي ناقدا الصورة :- "ومعنى البيت أن الساقي إذا قابل بوجهه من يسقيه، يميت قلبه، مما يُخَيَّلُ له من السهام التي ترُمى من قسي الحواجب، وتشبيه الحواجب بالقسي أمر تداوله أهل الأدب كثيرا"(٣).

أي أن الناقد يرى تداول المعنى، وقرب مآخذه من مقاييس الجودة، وللبحث وقفة يبين فيها درجة توفيق الناقد في تقديره للنص الشعري، ولكن أولا علينا بيان ما يلي :

أسْـــتَغْفِرُ اللهَ لِلَغـــوٍ لا يـــرى الشـــرعُ اعْتيامَـــهْ

فقد علق الناقد علي هذا البيت فقال:"لما ذكر الناظم السقاة، ووصفهم بالأوصاف

(١) قسم التحقيق: ٢١٠.

(٢) قسم التحقيق : ٢١٠.

(٣) قسم التحقيق: ٢١٦.

المتقدمة فربما يظن به أن له ميلا لهم، أو مقصوده الترغيب فيهم، لا التنفير عنهم، وليس كذلك؛ لأنه كأنه يقول: وإن كانوا بهذه المثابات كلها، وقد اشتملوا على هذه الصفات الحسان فإياك أن تركن إليهم، أو تميل بنظرك إلى صورهم، فإن ذلك لغو، وضياع فأراد إيضاح هذا المرام فقال: استغفر الله الخ فأشار بطلب المغفرة لهذا النكتة اللطيفة......"(١).

وقد استمر الناقد في الشرح والتفسير والتحليل والتعليق والاستشهاد والاستدلال من الزوايا الآتية :

المعنى العام الذي يربط البيت بالسابق، اللغويات، القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، الفقه، العقيدة، التفسير، علوم الكلام.

ومن الجدير بالذكر أن ما سبق هو المنهج العام الذي سلكه الأدهمي حتى وصل إلى نهاية القصيدة شارحا، وناقدا يفصح عن رؤيته، التي يحدد بها جودة الشكل، والمضمون، وتتركز في: الوضوح – السهولة – قرب المأخذ – الألفة – التداول – تجنب الغرابة اللفظية، والمعنوية – سلامة البناء– الترابط بين أجزاء القصيدة؛ فاللفظ يهدي للمعنى والمعنى يدل على البيت.

وثمرة المطاف أن ناقدنا قد أجاد في معالجته النقدية، والبحث يتفق معه في تناوله للشكل والمضمون؛ حيث أثرى بعلمه القصيدة وأحالها إلى قيمة اجتماعية، وتاريخية، وفكرية، ودينية؛ بل حرّك في المتذوق للشرح والنقد الإحساس بالعروبة، غير أنه يؤخذ عليه التقصير في الأدبيات بعدم التعمق لما وراء النغم الشعري، وهذا ما يطمح البحث إلى تقديمه؛ إذ أقام للبيئة الأدبية دعائمها حين تحدث عن البناء، والتجربة، والإيقاع .... الخ، من واقع التذوق الأدبي.

يضاف إلى ما تقدم فإن شرح الأدهمي لقصيدة المقري يمتاز بالسمات والخصائص

(١) قسم التحقيق: ٢٥٢.

الآتية:

١ – الدقة اللغوية:

حيث يتميز هذا العمل بالثراء اللغوي الذي يمتع المتأمل ويفتح أمام الباحث آفاقا واسعة من العطاء اللغوي، تثري فكره، وتأمل – على سبيل المثال- ما ورد في تعريف الشارح للألفاظ (أضنى، والنوى، والغي، والهوى، والأوام، والسديد.. الخ) تجد الشارح يفتنّ في حصر المعاني اللغوية، وتصريفها واشتقاقها.

وينوع في الاستشهاد بالشواهد القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والمقطوعات والأبيات الشعرية، والأمثال تشير إلى المعاني التي يعرضها بحس لغوي، أدبي عميق، وهو في ذلك لا يصدر عن معرفة ضيقة بالمعاجم؛ بل يكشف الشرح عن علم ثرٍّ بالمعاجم العربية؛ يجعل المتلقي، مدهوشا أمام مباحث تناقش اللغة، وتتعرض لقضايا التاريخ الأدبي وفنون الأدب، وتتناول فنون البلاغة؛ ليرى القصيدة – بحق- عيناً ثرة، تطلع الباحثين على مجالات بحثية متطورة ومتجددة، وتأمل شرحه للبيت:

أَضْنَى النَّوَى قَيْسًا فَقَا   سَى لاَعِجًا أَغْرَى غَرَامَهْ

حيث يقول: «الضنى: المرض، قال في المختار: الضنى: المرض، وبابه: صدي؛ فهو رجل ضني، وضنين يقال: تركته ضنينا، وأضناه المرض أثقله.

وأراد بالنوى هنا البعدُ فقط، والأصل فيه: الوجه الذي ينويه المسافر مطلعا. قال المختار: النوى: الوجه الذي ينويه المسافر من قرب وهي مونثة لا غير».

ثم راح المؤلف بعد ذلك يحكى قصة قيس مع ليلى في أسلوب أدبي طريف يذكر بصاحب كتاب الأغاني، في إسهاب واسترسال، فقال: «والمراد بقيس: هو قيس ابن ملوح

ليلي العامرية، وهو من مشاهير المحبين تتيم بليلي بنت عمه ، حتى هام فيها في القفار ، وشاع حبه فيها في سائر الأقطار، ولم يغص لهما اجتماع...» وبعد ذلك يقول: «وهكذا مروية قصته على وجه الاختصار» ويحقق الشارح قضية أسبقية موت قيس على ليلى أو العكس فيقول: «ولكن رأيت في النصائح الموجودة في بيان الشيم المحمودة أنها ماتت قبله...» ثم ينقد رواية صاحب كتاب «النصائح» فيقول: «والظاهر أن صاحب النصائح أشتبه عليه غير المجنون به، فنقل ذلك لأن المشهورين هما مجنون ليلى العامرية كما تقدم والأخيلية واسمه توبة، وكل منهما مات قبل محبوبته كما نقلت الثقات من المؤرخين»، وبعد ذلك عرض الشارح ترجمة لليلى الأخيلية، وقص حادثة لها مع الحجاج بن يوسف الثقفي، وأورد أبياتا لها مشهورة في ذلك، كما سيتضح خلال التحقيق.

ومن النموذج السابق يتبين للمتلقي ما تعج به القصيدة وشرحها من معارف تتجلى فيما يلي:

- الشروح لغوية توضح الصورة الأدبية وتفصل جزئياتها.

- التعريف بالشخوص يجلي خصائص البيئة، ويلمح إلى الطبيعة الفنية للشعر.

- العرض جيد لأبيات الغزل والرثاء.

- اللفت إلى التشارك الأدائي في التعبير عن الغزل في قصتي: قيس وليلى العامرية، وليلى الأخيلية وتوبة بن الحمير الخفاجي.

- النقد للصورة، بشكل يكشف عن ذوق العصر، ومعطياته النفسية، والإجتماعية، كما ظهر في نقد الحجاج لقول ليلى الأخيلية :

شَفاهَا مِنَ الدَّاءِ السِّقَامِ الَّذِي بِهَا ۝ غُلامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ تَنَاهَا

لا تقولي «غلام». وقولي «همام».

– الربط بين التناول المعنوي للألفاظ والمصطلحات البلاغية حيث يبرز من خلاله طبيعة الصورة الخيالية التي تستمد حيويتها من الرنين الصوتي الذي يستشعره المتلقي.

– الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف لتأكيد رؤيته اللغوية والبلاغية والصوتية؛ مما أثرى المعالجة للنص الشعري.

– الإتيان بآراء بعض العلماء مثل ابن خلكان، والسيوطي، والأصمعي، والبخاري والمسعودي وأرسطو؛ مما جعل شرح القصيدة يفيض بالعطاء اللغوي والبلاغي والصوتي والفلسفي والتاريخي والديني.

– ومع تمتع شرح القصيدة المقّرية بهذه المعارف فإنها في احتياج لنظرات، وتأملات أدبية تتسم بالتذوق للتشكيل التعبيري والصورة والتجربة والإيقاع النغمي.

٢– التنوع المعرفي :

عندما تكون القصيدة نافذة مفتوحة على آفاق المعرفة؛ فإن ذلك يعني أن القصيدة نتاج شخصية مثقفة تتمتع بغير قليل من الذكاء والجاذبية.

والعمل الذي يكون هذا شأنه، عمل ممتع بغير شك، غير أن هذه الطاقة المعرفية في النص تحتاج إلى مفجر لها، وتتوق إلى قارئ مثقف، يبرز ما قد يخفى على القارئ العادي، وقد أدرك الشارح هذا السمت في قصيدة المقّري، فانطلق يسرد بعض الملامح لحياة نخبة من الشعراء، والأدباء والنقاد، ثم ربط ذلك بالمعارف التاريخية والجغرافية والحربية، مبرزا ذلك كله في لغة أدبية رفيعة، وكان ذلك من أسباب اختياري لتناول هذا الشرح بالتحقيق والدراسة، ومن مثل ذلك شرحه للبيت:

وَغَـــوَى الْهَـــوَى غَــيْلانَ مُـــذْ أَبْـــــدَى بِمَيَّتِــــهِ هُيَامَــــهْ[1]

حيث تناول الشارح الألفاظ من حيثيات لغوية، ومعنوية، واشتقاقية، وقياسية عند المبرد، وابن السّراج، والفارسي، والأخفش، والزّجّاج وغيرهم من أئمة اللغة وعلمائها.

ثم انتقل بعد هذا الفيض العلمي إلى التعريف بـ «غيلان»؛ فذكر أنه ذو الرمة الشاعر المشهور، وأحد فحول الشعراء في عصر بني أُميّة، وهو صاحب مَيّة ابنة مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري، الذي وفد على النبي (ﷺ) في وفد بني تميم، فأكرمه وقال له: أنت سيد أهل الوبر، وذكر الشارح أيضا روايات متعددة في تحقيق اسم مَيّة هذه ونسبها، فأورد رواية أبي عبد الله البكري، حيث زعم أنها مَيّة بنت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم.. ثم ذكر رواية عن ابن قتيبة في صفتها، وعمرها، وأحوالها.

فأنت ترى استطراد الشارح في رصد الأخبار، التي تظهر شخصية ذي الرمة من الناحية السلوكية والنفسية، والفنية أيضا حيث يقول:"ختم الشعر بذي الرمة والرجز برؤبة بن العجاج"، وهى مقولة تفتح أمام الباحثين المجال البحثي واسعا؛ لتحقيق هذه القضية، وسبر مدى صحتها؛ مما يشير إلى أن الشارح يلفت بما عنده من التنوع المعرفي إلى القضايا الأدبية، ويغرى بالدخول بها في ساحات الدرس، والبحث.

وأحسن الشارح في تناوله البيت الأتي :

أَيـــــنَ الأَكَاسِــــــرُ وَالْقَيــــا صِـــــرةُ الْمُجَلُّــــونَ الْغَمَامَــــهْ ؟

حيث يذكر معاني الألفاظ لغويا، ويشير إلى المعرب منها، ثم يتدرج في الحديث ليبين أسماء ملوك العجم وألقابهم من مثل: كسرى، وقيصر وتبع، والنعمان، والنجاشي وفرعون،

(١) في نفح الطيب ٩/١ : «وغوى هوى غيلان مذ . . . » .

والعزيز، وجالوت، وخاقان، وبطليموس، والفطيون، ومالخ، والنمروذ، والإخشيد، وهرمن، وغانة لمن ملك الزنج، وجرجير، وشهرمان، وفور، ورتبل، وماجد.

ويرى القارئ – بعد ذلك – التناول الجيد، والعرض المعرفي الخصب، والاستقصاء الذي يفتح الطريق للمجالات البحثية المتنوعة، وعلى سبيل المثال حديثه عن تداعي إيوان كسرى عند مولد الرسول الكريم (ﷺ) ، ووصفة لشكل هذا البناء وهيئته وموقف المنصور، والرشيد منه، وعلاقة علي بن أبي طالب به، وما يتصل بهذا البناء من حكايات، قد توحي بمعطيات التجربة الأسطورية، كما يقفك على أحاديث إسلامية يرويها البخاري، والنووي مما يثري قطاع التاريخ الأدبي للباحثين، اللذين يهتمون بدراسة المراحل الزمنية، والمكانية للحياة الأدبية، وكيفية تطورها، وأحداث هذا التطور وما يستجده النص الأدبي، من خصائص معنوية، ولفظية، وتعبيرية.

ومما دفعني إلى تحقيق ودراسة القصيدة المقّرية–أيضا– ما قام به الشارح من تأصيل موضوعي للمعارف الإنسانية، بردها ونسبتها إلى كتب أصحابها، في الغالب.

وكذا ما قام به الشارح من تجميع دقيق للنصوص الشعرية، التي تكشف النقاب عن تلون المعاني الشعرية، والتي تسهم بدورها في إعمال الفكر، ومن ثم: إثراء المكتبة الأدبية.

على أن مجهود الشارح بقى بمنأى عن البحث في أدبية العبارة، وشاعرية البيت، مما يجعل الشرح أقرب إلى المباحث اللغوية منه إلى الدراسة الأدبية، التي تمد يدها لتناول الومضات التي تلوح، وتبدو خلف سطور النص، دالة على شخصية الشاعر، ونفسيته.

وهذا ما حاولت هذه الدراسة أن تفضي إليه، لعلها تستدرك فائتا، أو تشير إلى ناقص، أو تسد ثغرا، أو تصلح خللا كما سيتضح بمشيئة الله تعالى أثناء العمل.

٣- تداعي الموضوعات في القصيدة والشرح:

القصيدة الشعرية عالم منفتح على غيره من العوالم، أو هو بنية متشابكة مع غيرها من البنيات الإنسانية، لا تنفصل عن المكونات المعرفية، لأي مجتمع، ولذا فإنها في حقيقة الأمر عبارة عن مجموعة من الموضوعات المتشابكة التي تتلاحم فيما بينها عبر ما يمكن أن نطلق عليه : قانون تداعي الموضوعات الشعرية. والشارح المثقف هو الذي يستطيع أن يتتبع خيط التواصل الخفي بين موضوعات القصيدة، والقارئ للشرح يستطيع أن يفعل في الشرح مع فعل الشارح مع القصيدة عبر ما يسمَّى في النقد الحديث ، بنقد النقد، أو الميتانقد، على حد تعبير جابر عصفور، في كتابه:" نظريات معاصرة".

وقد انطلق الشارح في عملنا هذا مسترسلاً في شرح القصيدة متتبعاً موضوعاتها المتنوعة، فكان أن تكونت له مجموعة من الموضوعات الفرعية أيضا، عبر هذا التداعي للموضوعات، ومن ذلك ما جاء في شرحه للبيت:

أَيْـــنَ الَّـــذِي الْهَـــرمَانِ مِـــنْ بُنْيَانــــهِ الحَــــاكِي اعْتِرَامَــــهْ ؟

حيث تحدث عن معاني الألفاظ، وأشار إلى قضية «الأخذ»؛ فقال: إن البيت مأخوذ من قول المتنبي:- (الكامل):

أَيْـــنَ الَّـــذِي الْهَرَمَـــانِ مِـــنْ بُنْيَانِـــهِ مَـــا قَوْمُـــهُ مـــا يَوْمُـــهُ مَـــا المَصْـــرَعُ ؟

تَتَخَلَّــــفُ الآثَارُ عَـــــنْ أَصْـــــحَابِهَا أَبَـــداً فَيَصْـــرَعُها الزَّمَـــانُ فَيَصْـــرَعُ[1]

وبعد هذه اللمحة النقدية التي تتمتع ببصر ثاقب تحدّث عن مكان الأهرام ووصفها

(١) ديوان المتنبي ١٣/٣ [بشرح عبد الرحمن البرقوقى] ، وهما من [الكامل].

البنائي والأطوار التي مرت بها، وأسماء الملوك الذين تعهدوها ليصل إلى ذكر ما نظم في الأهرام فذكر:- (الكامل)

أمَبَــانِيَ ٱلأَهْــرَامِ كَــمْ مِــنْ وَاعِــظٍ صَــدَعَ ٱلْقُلُــوبَ وَلَمْ يَفُــهْ بِلِسَــانِهِ

أَذْكَــرْتِنِي قَــوْلاً تَقَــادَمَ عَهْــدُهُ «أَيْـنَ الـذي الْهَرَمَـانِ مِـنْ بُنْيَانِـهِ؟»

هُــنَّ الجِبَــالُ الشَّــامِخَاتُ تَكَــادُ أَنْ تَمْتَــدُّ فَــوْقَ ٱلأَرْضِ عَــنْ كِيْوَانِــهِ

لَــوْ أَنّ كِسْــرَى جَــالِسٌ في سَــفْحِها لأَجَــلَّ مَجْلِسَــهُ عَلَــى إِيْوَانِــهِ

ثَبَتَــتْ عَلَــى حَــرِّ الزَّمَــانِ وَبَــرْدِهِ مُــدَداً وَلَمْ تَأْسَــفْ عَلَــى حَدَثَانِــهِ

وَالشَّــمْسُ فِي إِحْرَاقِهــا وَالــرِّيْحُ عِنْــ ــدَ هُبُوبِهَــا وَالسَّــيْلُ في جَرَيَانِــهِ

هَــلْ عَابِــدٌ قَــدْ خَصَّــها بِعِبَــادَةٍ فَمَبَــانِيَ ٱلأَهْــرَامِ مِــنْ أَوْثانِــهِ ؟

أَوْ قَائِــلٌ يَقْضِــى بِرَجْعَــةِ نَفْسِــهِ مِــنْ بَعْــد فُرْقَتِــهِ إِلَى جُثمانِــهِ

فَاخْتَارَهــا لِكُنُــوزِهِ وَلِجِسْــمِهِ فَنَــزًا لِيَــأْمَنَ مِــنْ أَذَى طُوفَانِــهِ

أَوْ أَنَّهَــا لِلسَّــائِرَاتِ مَرَاصِــدٌ يَخْتَــارُ رَاصِــدُهَا أَعَــزَّ مَكَانِــهِ

أَوْ أَنَّهَــا وُضِــعَتْ بُيُــوتَ كَوَاكِــبٍ أَحْكَــامُ فُــرْسِ الــدَّهْرِ أَوْ يُونَانِــهِ

أَوْ أَنَّهُــمْ نَقَشُــوا عَلَــى حِيْطَانِهَــا تُمْلِــى مَجَــارِي الْفِكْــرِ في بُنْيَانِــهِ

قال الشارح في وصف الأبيات السابقة: «وقال بعضهم نظما في ذكر الأهرام، وأجاد في الشعر». وهو يقصد بهذا إجادة الشكل والمضمون، ثم استرسل الشارح فكر ما نظم من

شعر في الأهرام، وقد وصل عددها إلى أكثر من أربعين بيتا في تداعٍ تصويري وصفي، يجعلنا نلفت عنده نظر الباحثين إلى ما فيه من قيم سردية، تحتاج إلى دراسة مستقلة.

ومما سبق يتبين لنا بروز ظاهرة التداعي للموضوعات في القصيدة والشرح وهو أمر تكمن قيمته بعد الإمتاع والإفادة، في كونه يلفت إلى موضوعات لبحوث مستقبلية في ميادين: الأدب، واللغة، والتاريخ. وبذا يصبح إبراز ظاهرة تداعي الموضوعات في القصيدة والشرح، من أهم الأهداف لتحقيق, إذ هو مظهر كثير التجلي في شرح القصيدة المقّرية، ومنه حديثه الشارح عن الصداقة، والصديق والإخوانيات، وشرحه للأبيات التي تصف السفن، كما سيأتي في موضعه من البحث.

٤- لغة القصيدة : إشارات ودلالات:

يقف القارئ على أهمية البحث من طبيعة المحتوى الفكري، الذي يضمه بين طياته، وشرح القصيدة المقّرية يفيض بالمعارف الغزيرة؛ حيث استطاع الشارح توظيف الألفاظ اللغوية للأبيات المقّرية، واستخدام هذه الألفاظ في الإشارة إلى القضايا الإنسانية التي تشغل الشارح نفسه، فانطلق من كل لفظ يفتح وراءه بابا لنوع من أنواع المعرفة؛ بالتحليل والتفسير، والإضافات الجديرة بالنظر، والتأمل, ومن ذلك ما ورد في هذا النموذج:

قال الناظم:

أَيْـــــنَ الْعَسَـــــاكِرُ والدَّسَــــا كِـــــرُ وَالنَّـــــدَامَى فِي المُدَامَـــــهْ

فقد حلّ الشارح هذا البيت بالتفسير اللفظي ثم تناول حديثا مفصلا عن الندامى والنديم، والطرب، والألحان العجيبة، والمشاهير في المنادمة، والجواري وأمعن في ذكر دور إبراهيم الموصلي في الفناء ثم أطنب فتحدث عن الندماء الذين جمعوا بين حسن المنادمة والفناء، مثل

«جحظة البرمكي»؛ ليتحدث بعد ذلك عن الخمر؛ فيقول: "وقول الناظم:"والندامى" نادمه على الشراب فهو نديم والمدامة الخمر قيل: سميت مدامة بمعني "علي"، ويقال: لدوامها في المدن، وقيل: لأنهم يديمون شربها، وقيل: لأنها تغالي عليهم حتى تسكن، لأنه يقال: دام إذا سكن، وثبت، فإن قيل: فهو يقال لكل ما سكن مدامة، وقيل: الأصل هذا، ثم يخص الشيء باسم، وقد خصت الخمر بأسماء، وصفات، فهذه أسماء الخمر وصفاتها، فبعض ذلك عند البصريين، وبعضه عند الكوفيين: هي الخمرة، والقهوة، والسلاف، والمدام، والمدامة، والعقار، والراح، والشمول، والقرقف، والإسفنط، والسلسل، والسلسال، والخندريس، والسلسبيل، والخرطوم، والرحيق، والزرجون، والغانية، والصديفة، والمشعشعة، والصهباء، والسخامية، والصرخدية ، والمفدية، والحمضة، والكميت، والعاتق، والماوية ، والمزاء ، والمزة، والكلف...." واستمر الشارح في التفسير والتحليل، حتى أنه يستشهد بآيات القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف على تحريمها ثم يأتي بأبيات ترنمت بها الشعراء في الجاهلية مثل: عنترة، وعمرو بن كلثوم وغيرهما وقد بلغ تعليق الشارح على المدامة، والنديم أكثر من ثلاثين صفحة، وبهذا تتبين لنا قدرة الشارح على حل البيت الشعري، والسبح في فلك دلالاته وإشارته، واتخاذه نافذة يطل من خلالها على الموضوعات المتباينة، التي أشرنا إلى تداعيها آنفا.

واعتمد الشارح في شرح البيت الشعري، وتحليله، والانطلاق وراء موضوعاته، ومعانيه، وإشارته اعتمد فى ذلك على ذكر البيت منفردا ثم ذكر ما يتعلق بألفاظه، ومعانيه ورموزه، وإشاراته، وهي طريقة تجهد القارئ ، حيث لا يستطيع القارئ تكوين صورة كلية مجملة من القصيدة، وهو بذلك يختلف عن نظام الفقرات التي تحمل فكرة متكاملة، أو تقسيم القصيدة من حيث الموضوعات إلى فقرات، مما يجعل الصور الشعرية في القصيدة باهتة الملامح؛ حيث يتناول الشارح البيت الواحد ويوظفه من الزاوية اللفظية، والمعجمية، والنحوية، والصرفية، وقد يستغرق حله للبيت الشعري عشر صفحات، أو أكثر، ثم يعقب بعد ذلك بالبيت الذي

يليه؛ مما يجعل القارئ يشعر بالتفكك في أوصال الصورة الشعرية.

ولذا كان من أهداف هذا البحث أن يضفي ظلالا جديدة من خلال عرض الصور الشعرية متكاملة متناسقة تامة الألوان، والأركان؛ لتؤدي دورها في إيصال هدف الصورة الشعرية ذات: الأشكال، والهيئات، والحركات، والأصوات، وكذا أن يجمع ما تفرق، ويتمم ما نقص؛ أرأيت إلى الأبيات التي شرحها في وصف الخمر، تلك التي تبدأ، من قول الشاعر:"وسقاتها المتلاعبون"، وتنهي بقوله:" أني لها وجه يشب"؟!! إن الناظر فيها يجد نفسه تائها بين مجاهل شروح تبعده عن جو القصيدة وهدفها الأصلي، الذي هو إدخال المتلقى في جو النص.. إن بين البيت والذي يليه صفحات طوال؛ يبلغ تعليق الشارح على بعضها أكثر من أربعين صفحة؛ مما تتطلب دراسة بعد التحقيق؛ لإلقاء الضوء على الصورة الأدبية، وذلك بجمع الأبيات التي تنتمي لفكرة واحدة، ودراستها متجاورة، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في دراسة المضمون، والشكل، والتجربة، والتصوير والإيقاع.

٥- الواجب التراثي:

في زمن العولمة، لم يعد لأمتنا درع تحتمي خلفه غير ثقافتها، ولغتها، ففيهما الحماية الحقيقية من الذوبان في ثقافة الآخر، ولذا أصبحت تلبية نداء التراث واجبا دينيا وقوميا، على كل غيور على تراث هذه الأمة وثقافتها، وهل الصحوة التي نحن فيها الآن إلا نتاجا لغيرة من سبقونا من أئمة العلم الغيورين، الذين هبوا لنصرة هذه الثقافة إيمانا منهم بفضلها، وإذاعةً لنشرها، وإظهاراً لشمائلها.

إنّ الحفاظ على هوية ثقافة الأمة من أهم الأسباب التي دعتني إلى اختيار موضوع له علاقة بالتراث اللغوي ، والأدبي، الذي يربطني بتاريخ أمتي فتصح بعد ذلك هويتي، وهوية من أكون أمامهم بعد ذلك معلمة، آملة بذلك أن أضع لبنة في صرح الثقافة العربية.

فقد وقفتني القصيدة وشرحها على معارف متنوعة: من أعلام الشعراء، والأدباء، والنقاد من الرجال والنساء، وكذا أمدتني بزاد وفير من وصف القبائل، والبلدان، وعرضت أمامي مشاهد المعارك والغزوات والأمجاد والإنتصارات، كما أطلعتني على فترات التقهر والانهزام، ما تلا ذلك من الدعوة لصحوة عربية إسلامية، ولهذا فدراستي – على تواضعها- نداء للحفاظ على وجودنا الفكري بين الأمم، وبحثي – على ضآلة حجمه بين بحوث العلماء- بذرة أريد غرسها في بستان ساحتنا، من خلال تعليقي وتحليلي على هذه القصيدة التي توثق الاتصال الزماني والمكاني بين الماضي والحاضر؛ حيث إنّ القصيدة وشرحها زاد تاريخي رائع وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وتأمل معي هذا النموذج[1]:

بَـــلْ أَيْـــنَ أَرْبَابُ الْعُلُـــو ... مِ أُولُـــو التَّصَـــدُّرِ وَالْإِمَامَـــةْ

وذوو الـــــوِزَارَةِ والحِجَـــا ... بَـــةِ والكِتَابَـــةِ والعَلامَـــهْ

كَأَئِمَّـــةٍ سَـــكَنُوا بِأَنْـــ ... ــدَلُسٍ فَلَـــمْ يَشْـــكُو سَـــآمَةْ

هِـــي جَنَّـــةُ الـــدُّنْيَا الَّـــتِي ... قَـــدْ أَذْكَـــرَتْ دَارَ الْمُقَامَـــةْ

لاَسِـــيَّمَا غَرْنَاطَـــةُ الْـــ ... ــغَـــرَّاءُ رَائِقَـــةُ الْوَسَـــامَهْ

وَهِـــيَ الَّـــتِي دُعِيَـــتْ دِمَشْـــ ... ــقُ وَحَسْـــبُهَا هَـــذَا فَخَامَـــهْ

لِنُـــزُولِ أَهْلِيهَـــا بِهَـــا ... إِذْ أَظْهَـــرَ الْكُفْـــرُ انْهِزَامَـــهْ

(١) هذه الأبيات في شرح الكواكب متفرقة بين كل بيت، والذي يليه تعليقات واستطرادات للأدهمي.

وَأَتَــــتْ جُيُــــوشُ الشَّـــامِ مِـــنْ بَابٍ نَفَـــى الْفَـــتْحُ انْبِهَامَـــهْ

فَسَــــلَوْا بِهَـــا عَـــنْ جِلَّـــقٍ إِذْ أَشْــــبَهَتْهَا فِي الضَّـــخَامَهْ

وَبَــــدَا لَهُـــمْ وَجْـــهُ الْمُـــنَى وَأَرَاهُـــمُ الثَّغْـــرُ ابْتِسَـــامَهْ

فالمتأمل لهذه اللوحة الفنية السابقة يقف على حقائق تاريخية تشير إلى ما كان للعرب من أمجاد، وفتوحات جعلت الناظم يتغنى بها، ويرثي ما آل إليه المجد العربي؛ فالقصيدة دعوة لتجديد، وإحياء أمجادنا العربية، ومما زادني بها إعجابا، وإيمانا أني لما عرضتها على أستاذي المشرف أبدى حيالها إعجابا وأشار علي متفضلا ببعض الإجراءات ومنها:

- شرح ما قد يستغلق فهمه على القارئ.
- تصحيح الأخطاء، التي أراها.
- ترتيب الأفكار المتناثرة في الدراسة.
- اختصار الإطالة الزائدة عن تمام الفائدة.
- إتمام ما نقص.

وسأعرض هنا نموذج أورده الشارح ليقف القارئ على الدور الذي قمت به في طبيعة المعالجة والتناول.

ذكر الشارح في البيت الأول معنى كلمة "الأرباب" فبين أنها جمع "رب" ثم عرض لمعناها في القاموس، واشتقاقها وما تقاس عليه؛ ثم استطرد إلى تفسير العلماء لمعنى العلم، وأنواعه، وأقسامه، وفضله مستشهداً في فكرة الفضل بالقرآن الكريم، والإنجيل، والحديث

الشريف، وبعض أقوال الحكماء، والفقهاء، ودعوة الشعراء للعلم من مثل قول الشاعر(١):

تَعَلّـمْ فَلَـيْسَ الْمَـرْءُ يُولَـدُ عَالِمًـا وَلَـيْسَ أَخُـو عِلْـمٍ كَمَـنْ هُـوَ جَاهِـلُ

ثم استطرد لذكر أهمية العلم بقول عيسى عليه السلام، وأقوال بعض العلماء مثل ابن عباس – رضي الله تعالى عنه–، ثم يستشهد مرة أخرى بالشعر فيقول: وما أحسن قول ابن الوردي(٢) :–

أُطْلُـبِ الْعِلْـمَ وَلاَ تَكْسَـلْ فَمَـا أَبْعَـدَ الْخَـيْرَ عَلَـى أَهْـلِ الْكَسَـلْ

(وختم حديثه المطنب عن العلم بالعبارة وكفى بالعلم فخراً....) ثم تناول شرح عبارة: (أولو التصدر) من الناحية اللغوية، بإيجاز شديد ليعلق على "الإمامة"؛ فيسرد معناها في القاموس ثم القرآن الكريم؛ ليصل إلى آراء العلماء في من يستحق الإمامة، ويقف القارئ بعد هذا على البيت:

وذوو الـوِزَارَةِ والحِجَـا بَـةِ والكِتَابَـةِ والعَلامَـهْ

فيعرض جزيئات البيت في عرض مفصل يربو على الخمسين صفحة تقريباً إلا أنه مع

---

(١) البيت نسبه الحافظ اليغموري في نور القبس للشاعر ابن كناسة 207 - 123هـ / ٧٤١ – ٨٢٣ وهو: محمد بن عبد الله (الملقب بكناسة) بن عبد الأعلى المازني الأسدي، من أسد خزيمة، أبو يحيى من شعراء الدولة العباسية، من أهل الكوفة، كان عالماً بالعربية وأيام الناس، رواية للكميت وغيره من الشعراء، وهو ابن أخت إبراهيم بن أدهم الزاهد.

(٢) هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري زين الدين ابن الوردي الفقيه الشافعي الشاعر المشهور نشأ بحلب وتفقه بها ... وكان ينوب في الحكم في كثير من معاملات حلب وولي قضاء منبج فتسخطها.. ومات في الطاعون العام آخر سنة ٧٤٩ بعد أن عمل فيه مقامة سماها النبا في الوبا.. ولاميته التى منها البيت مشهورة جدا، ذكر الصفدي في أعيان العصر أنه اختلس معاني شعره. (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع المؤلف : محمد بن علي الشوكاني ٤٩١/١).

هذا التفصيل، يورد حشداً من أسماء الشعراء، والأدباء، والكتاب، ويتركهم دون ترجمة إلى جانب استشهاده، بشعر لا ينسبه إلى قائله مثل قوله وقد ذم بعضهم وزيراً فقال[(١)]:

مِنْ آلَةِ الدَّسْتِ مَا عِنْدَ الْوَزِيرِ سِوَى ... تَحْرِيكُ لِحْيَتِهِ فِي حَالِ إِيمَاءِ

فَهْوَ الْوَزِيرُ وَلاَ أَزْرٌ يُشَدُّ بِهِ ... مِثْلُ الْعَرُوضِ لَهُ بَحْرٌ بِلاَ مَاءِ

ولبعضهم:

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لَهُ حجاب ... فَمَا فَضْلُ الْكَرِيمِ عَلَى اللَئِيْمِ

ولبعضهم في ذم حاجب[(٢)]:

سَأَتْرُكُ بَابًا أَنْتَ تَمْلِكُ إِذْنَهُ ... وَلَوْ كُنْتُ أَعْمَى عَنْ جَمِيعِ الْمَسَالِكِ

وَلَوْ كُنْتَ بَوَّابَ الجِْنَانِ تَرَكْتُهَا ... وَحَوَّلْتُ وَجْهِي مُسْرِعًا نَحْوَ مَالِكِ

ومما سبق يتبين أن البحث يطمح إلى أن يتم – بإذن الله – ما نقص في شرح الأدهمي فيعمل على إثبات النص، وتوثيق الأشعار، وتفسير الغريب، وتحليله.

٦- النقد، والتقويم:

---

(١) البيتيان لإبراهيم الغزي، وهو: الشاعر أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبي، وقال ابن النجار في تاريخ بغداد: هو إبراهيم بن عثمان بن عباس بن محمد بن عمر بن عبد الله الأشهبي، الكلبي، الغزي شاعر محسن، ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق، ولد الغزي بغزة، وبها قبر هاشم جد النبي ×، سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وتوفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة مابين مرو وبلخ، من بلاد خراسان، ونقل إلى بلخ ودفن بها، ونقل عنه أنه كان يقول لما حضرته الوفاة: أرجو أن يغفر الله لي لثلاثة أشياء: كوني من بلد الإمام الشافعي، وأني شيخ كبير، وأني غريب، رحمه الله تعالى وحقق رجاءه". وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي بكر ابن خلكان، بتحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت / ١ / ٥٩، سنة ١٩٠٠ م.

(٢) ورد البيتان فى رسائل الجاحظ ، والكشكول، لبهاء الدين العاملي، والمحاسن والمساوئ للبيهقي، والمستطرف للأبشيهي، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وفي كل ذلك لم ينسب، ولم أعثر له على قائل.

تتنوع الموضوعات، والأفكار والظواهر الأدبية مما يدفع الباحث إلى التجول في عالم فسيح محاولاً الوصول إلى بذرة طيبة تثمر ثمرة ناضجة، تهدي الباحثين لإثراء المكتبة العربية ومجال التحقيق يرتكز على التأصيل، وقد ذكرت فيما سبق أن الواجب التراثي كان من أسباب اختياري للبحث .

فالغيرة على التراث العربي كانت من دوافع تحقيق شرح القصيدة، ودراسة الأبيات التي تبدأ من البيت التاسع والثلاثين إلى نهاية المخطوط.

والذي أعنيه بالنقد والتقويم هو: الكشف عن بيان مدى الجهد الذي بذله الشارح في تناول الألفاظ، وما يتصل بها من قضايا لغوية، ومصطلحات بلاغية، ومناقشات كلامية، وفقهية وفلسفية، واستشهاد بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف والأشعار، وأقوال الحكماء، ثم بعد ذلك تقييم هذا الجهد ووضعه على ميزان النقد، لبيان مدى التوفيق أو التقصير.

فالبحث بما يضمه من فصول، ومباحث، يناقش شرح الأدهمي لأبيات القصيدة المقرَّية "سبحان من قسم الحظوظ"؛ محاولا كشف النقاب عمّا في الشرح من استقصاء، أو إطناب، أو استطراد، أو تكرار، كما تبين التعادلية الموضوعية أهمية التعليق وما وفق فيه الأدهمي وما أخفق ثم مناقشة منهجه في الشرح؛ حيث تناول القصيدة المقرَّية تناولا تجزيئيا فنظر لكل بيت بوصفه وحدة تتسم بالإستقلال؛ فأصيب الشرح بالتقصير، ولهذا وضعتُ نصب عيني خطة البحث، التي ترتكز على الذوق الأدبي في عرض المعاني، والأفكار، والتجربة، والصورة، والإيقاع إلى جانب التأملات النقدية التي تضع آراء الشارح في ميزان النقد الأدبي، ومن هذا المنطلق حاولت أن أسهم في إحياء التراث.

وهكذا كان منهج الشارح إلى أن وصل إلى نهاية القصيدة؛ مما يجعلنا ندرك أهمية

اقتران التحقيق بدراسة تتكامل معه في أداء حق النص؛ ومما سبق يتبين للقارئ أن البحث ألقى الضوء على المحتوى العام للقصيدة، فأبرز منهج الأدهمي في المعالجة، وبين دواعي تحقيقها، وأهمية دراستها؛ لينتقل بعد ذلك إلى القسم الثاني؛ فيعرف بمنشئها ثم بشارحها , ثم ينتقل البحث بعد ذلك للحديث عن منهج الباحثة في دراستها للمخطوط .

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث لابد من وقفة نستجمع فيها بعض حصاده ونعرض في تركيز جوانب من معالمه في النقاط التالية:

١- أن المحقق يطوف في كل النواحي مع المخطوط الذي يجمع أشياء كثيرة في ثنايا موضوعه, فقد يكون العنوان العام في الأدب, ولكن المؤلف يتطرق إلى عدة نواحي في اللغة والنقد الأدبي ومسائل التاريخ وعلم الأصوات, وغير ذلك.

٢- مع تمتع شرح القصيدة المقرّية بمعارف شتى إلا أنها تحتاج لنظريات وتأملات أدبية تتسم بالتذوق للتشكيل التعبيري والصورة والتجربة والإيقاع النغمي.

٣- إن ظاهرة التداعي المعنوي الشعري حلية في شرح القصيدة مما يجعلها زاخرة بالعطاء الأدبي للباحثين, وهذا يُبرهن عن القيمة التاريخية والأدبية العالية لبحثنا.

٤- اتضح لنا من خلال صفحات بحثنا السابقة منهجية الشارح التي كانت تجهد القارئ, حيث تناول القصيدة المقرّية بصورة فردية فنظر لكل بيت باعتباره وحده مستقلة.

٥- لقد أضاف بحثنا ما نقص في شرح الأدهمي فعمل على إثبات النص وتوثيق الأشعار وتفسير الغريب وتحليله عبر منظور لغوي وصوتي وأدبي يغذي متطلبات الباحثين في مجالي التحقيق والنقد.

٦- لدراسة النص الشعري أسس أدبية وأصول فنية وأبعاد معنوية يجب أن يُلزم بها الباحث حتى يتجلى للمتلقي الهدف العميق من تغنّي الشاعر بالمنظومة مع بيان قيمتها في الإنشاء الأدبي وأثرها في إثارة الفكر والواجدان.

٧- رؤية الشارح النقدية في الشكل والمضمون بدت لنا واضحة جلية من خلال تعليقه على الأبيات وشرحه لها.

وفي الختام أسال الله التوفيق والسداد وأن ينفع الله بهذا البحث الباحثين في مجال الأدب ولا أدعي أنني وصلت إلى درجةِ الكمال فما الكمال إلا لله وحده ولكنني أقول إن الإنسان يخطئ ويصيب فأن كان هناك صواب, فبتوفيق الله – عز وجل- وإن كان هناك خطأ أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان الذي يزين الخطأ وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهـارس الفنيـة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾	٣٠	٤٨٧
﴿ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾	٤٣	٢١٢
﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾	٤٤	١٧٠
﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	٦١	٥٠١
﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾	١١٥	٢٣٩
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾	١٢٧	٤٨٨
﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾	١٣٢	٥٩٧، ٦٠٠
﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾	١٣٣	٥٩٧
﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ﴾	١٧١	٦٧٦
﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾	٢١٧	٤٨٥
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾	٢١٩	١٦٥
﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾	٢٢٣	٢٢٠
﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾	٢٢٥	٢٦٠
﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٢٧٨	٦٠٣
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	٢٨٦	١٩١
﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾	٢٨٦	٢٥٧

الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾	٧	١٩٧
﴿ بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ ﴾	٨	٤٨٥
﴿ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ ﴾	١٣	٦٧٥
﴿ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴾	١٧	٢٦٥
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	١٨	٢٧٢
﴿ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾	٣٧	٢٢٠
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾	١٣٥	٢٥٧، ٢٥٩
﴿ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾	١٣٥	٢٥٢
﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾	١٨٥	٦٦٥، ٦٦٦
سورة النساء		
﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ﴾	٥	١٩٣
﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾	٦	٤٨٢
﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	٢٢	٦٠٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾	٤٣	١٦٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾	٥٨	٣٤٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾	٥٩	١٩٧
﴿ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾	٦٤	١٨١
﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ ﴾	٨٣	٨٣

الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾	١٧٥	٤٥٦
سورة الأنفال		
﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ ﴾	٢٦	٤٨٧
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾	٣٣	١٩١
﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾	٧٤	٢٦٤
سورة التوبة		
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾	٤٠	٤٨٤، ٦١٥
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ﴾	٤٩	٣٠٥
﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾	١٠٢	٦٧٦
سورة يونس		
﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾	١٠٧	٣٩
سورة هود		
﴿ جَآءَ أَمْرُنَا ﴾	٤٠	١٢٤
﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾	٤٠	١٢٤
﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا ﴾	٤٠	١٢٤
﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ ﴾	٤٠	١٢٦
﴿ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	٤٢	١٢٥
﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾	٤٣	٦٤٠
﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾	٨٨	١٧٠

الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾	٩٩	٤٨٥
﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾	١٠٩	٤٦٠
سورة مريم		
﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾	١٦	٤٨٥
﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾	٢٥	٣٠٣
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	٣٩	٦٦٨
سورة طه		
﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾	٢٩	٢٩٢
﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾	١١٤	٢٧١
سورة الحج		
﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾	٢	٢٢٩
سورة المؤمنون		
﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾	٥٠	٣٦٦
سورة الفرقان		
﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾	٧٤	٢٨٩
سورة الشعراء		
﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾	٧٩	٦٦٣

الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴾	٨٤	٦٥٤
﴿ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾	١٦٨	٣٩
﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾	١٨٧	٣٠٥
سورة النمل		
﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾	١٢	٥٢٥
﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾	٣٤	٥٧٤
﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾	٤٠	٢٦٤
﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾	٤٤	٦٢٤
﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	٤٦	٢٥٣
﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾	٥٢	٥٧٤
سورة القصص		
﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾	٢٨	٤٥٩
سورة الروم		
﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾	١، ٢	٥١
﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٤، ٥	٤٨٨
﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٣٠	٤٧٧
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾	٣٧	

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيـة
١٥٣	٥٢	﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾
		سورة لقمان
٦٠٠	١٣	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾
٥٠٢	١٦	﴿ يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾
١٩٩	٣٣	﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾
		سورة الأحزاب
٦٨٢	٥٦	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾
		سورة سبأ
٣٠٥	٩	﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾
		سورة فاطر
١٩٩	٥	﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾
١٩٦	١٩	﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾
٢٧٠	٢٨	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ ﴾
		سورة يس
٥٣٩	٢٦	﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴾

الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة غافر		
﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾	٧١، ٧٢	٤٨٥
﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾	٧٥	١٢٩
سورة فصلت		
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾	٥٣	٦٦٥
سورة الشورى		
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾	١٣	٢٦١
سورة الزخرف		
﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾	٣٩	٤٨٦
سورة الدخان		
﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾	٢٦	٢٦٤
﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾	٥٦	٦٦٦
سورة محمد		
﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾	١٨	٦٥٣

الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفتح		
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾	١	٤٩٢
سورة ق		
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾	٣٧	٢١١
سورة الذاريات		
﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾	١٨	٢٥٥، ٢٦٥
﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٢١	٣٦٤
﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾	٢٤	٦٥٦
﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾	٢٦	٦٦٠
سورة الطور		
﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾	٤٤	٣٠٥
سورة النجم		
﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾	٣٥	١٨٨
سورة القمر		
﴿ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾	٢٩	١٨٦
سورة الرحمن		
﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾	٢٧	٢٤٠

الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾	٥	٦٧٠
سورة المطففين		
﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾	٣٤، ٣٥	٦٧٥
سورة الغاشية		
﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴾	١١	٢٥٩
سورة الفجر		
﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾	٢٣	٦٥٣
سورة العلق		
﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾	١٧	٢٠٠
سورة العاديات		
﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾	٧، ٨	١٢٨
سورة الزلزلة		
﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾	٤	٤٨٥
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾	٧، ٨	٦٧٤
سورة القارعة		
﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾	١٠، ١١	٦٧١

الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الهمزة		
﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾	١	١٢٨

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

فهرس الأشعار

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
أو	مغربًا	الكامل	٢	٢٠٨
الشمس	حاجب	السريع	٢	٢٠٨
وما سمي	يتقلب	الطويل	١	٢١٢، ٦٧٤
وأهيف	واجب	مخلع البسيط	٢	٢١٧
لقد	مآرب	الطويل	٢	٢٢٣
دب	الأشنب	الكامل	٢	٢٢٤
أيتها	مذهبي	السريع	٢	٢٢٤
تبدت	هاربًا	الطويل	٣	٢٢٨
ذكرت	وجيب	الوافر	١	٢٣٣
بروحي	المحبة	الوافر	٢	٢٤٤
بالذي	العذاب	مجزوء الرمل	٥	٢٤٩
على	صبيب	الطويل	٢	٢٥٠
بأي	وتحسب	الطويل	١	٢٦٢
كل	أديب	الخفيف	٢	٢٩٣
لما	بالكواكب	خطأ في الوزن	١	٢٩٩
له	حاجب	الطويل	١	٣٤٣
إذا	قريب	الوافر	١	٣٤٨
أيها	والحجاب	الخفيف	٢	٣٦٣
أنزه	الثعالب	الطويل	١	٣٦٧
إذا	أقاربي	الطويل	٢	٣٧٧

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ما للعذار	محرابًا	الكامل	٣	٣٨٠
لقد	القشيب	المتقارب	٣	٢٩٥، ٣٩١
متى	وعذابي	المجتث	٨	٤٣١
هل	طبيب	مجزوء الرمل	٦	٤٣٢
لا تعجبنك	ذهبوا	البسيط	١	٤٥٩
ماضر	احتجبا	البسيط	٣	٤٦٦
لربوتنا	ويعذب	الطويل	٢	٤٧٣
وما الشام	والغرب	الطويل	٤	٤٧٣
تحف	نصيبي	الطويل	٢	٤٧٣
وإني	مشربًا	الطويل	١	٣٨٦
ياحبيبا	القلوب	الخفيف	٣	٤٤١
اشتاق	ينسب	الكامل	٨	٤٧٤، ٤٧٥
تشابه	تسكب	الطويل	٢	٤٩٤
وإني	مشربًا	الطويل	١	٥٠٥
وكيف	القلوب	الوافر	١	٥٠٩
تشربه	الطرب	المنشرح	١	٥٢١
تمنت	حبيب	الوافر	٢	٣٨٩، ٥٠٩
وما بقيت	الشراب	الوافر	٢	٥١٠
فلله	المهلب	الطويل	٤	٥٣١
لعمرك	المهلب	الطويل	١	٥٣٢

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ألا	تنوح	الطويل	١٠	٥٢٧
ما على	جناح	الخفيف	١١	٥٦٣، ٥٦٤
احفظ	الكاشح	الكامل	٣	٦١٥
الموت	السابح	السريع	٣	٦٤٨
كأن	يراح	الوافر	٣	٣٧
فكأنها	الملاح	الكامل	٢	١٢
أصبح	أقداح	البسيط	٣	١٤٦
(خ)				
أخ	شامخ	الطويل	٣	٣٣٦
(د)				
باح	بوجدي	الخفيف	٢	٣٢
حجاج	الصمد	البسيط	٢	٣٥
وما زلت	وأمردا	الطويل	١	٤٣
انظر	صعد	الكامل	٤	٨٠
تبين	شاهد	الوافر	٢	٨٢
الخير	زاد	البسيط	١	١١٣
ألا	وجد	الطويل	٦	١٤٩، ١٥٠
بصير	غد	الطويل	١	١٧٨
سلبوا	خدودا	الكامل	٢٢	٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
مروا	ايقاد	البسيط	٢	٤٠٥
لك	ولا مجد	الطويل	١	٤٥٥
زحل	يرصد	الكامل	١	٤٥٥
والشمس	متورد	الكامل	١	٤٥٥
تأبى	تجلد	الطويل	١	٤٥٥
إلى	الورد	الطويل	٢	٥١٧
مضجعي	فؤادي	الخفيف	٢	٥٥٢
إني	البارد	الكامل	٢	٢٣٥
ولقد	تصاد	الكامل	٢	٢٣٦
يذوب	جليد	الطويل	٢	٢٤٤
بالذي	وردا	مجزوء الرمل	٤	٢٤٨
أنفقتُ	شارد	الكامل	٢	٢٢٣
أرى	المتشدد	الطويل	٣	٢٦٣
ليس	واحد	السريع	١	٢٨٩، ٣١٥
ورث	بالإسناد	الكامل	٢	٢٩٦
يا ابن	والعود	البسيط	٢	٢٩٨
ألحاظكم	الخدود	السريع	٢	٣١٠
تفضل	خد	الطويل	٢	٣٣٠
وأرى	ومسود	الخفيف	٢	٣٣٦
وجاءت	الولائد	الطويل	٣	٣٦٢

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
عجبت	الأصيدا	السريع	٢	٣٧٧
أنا	عهدي	مجزوء الكامل	٣	٣٧٨
أيالائمي	مولدي	الطويل	٢	٣٩١
مما	ومعتمد	البسيط	٢	٣٩٨
لم	كبدي	البسيط	٩	٤٢٢، ٤٢٣
كيف	السواد	مجزوء الكامل	٦	٤٣١
وألمي	ويبرد	الطويل	٣	٤٤٠
لقد	الرعد	الطويل	٢	٤٤٠
كيف	النقد	السريع	٢	٤٤٠
وعلقته	قصد	الطويل	٢	٤٦٦
يايومنا	ويعيد	الكامل	١	٤٨٠
محاسن	بحد	المجتث	٢	٤٨٢
وروض	المورد	الطويل	٣	٥١٩
نطوي	والأحد	البسيط	٢	٥٥١
عذبت	وقعوده	الكامل	٢	٥٥١
بئس	ميعاد	البسيط	٤	٥٧٥
كنت	غدا	البسيط	٢	٥٧٥
أطوق	داود	الوافر	١	٥٩١
سألت	خالد	الطويل	٢	٥٩٣
خذ	والسادة	البسيط	٢	٦١٦

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
مني	بد	الطويل	١	٦٢٧
(ر)				
أمر	الجدارا	الوافر	٢	٣١
أرادوا	القبر	الطويل	١	٣٣
ما زال	الأشبار	الكامل	١	٤٣
يا قابض	النار	البسيط	١	٤٧
قالت	محدور	البسيط	٣	١٤٤
أنهض	جواهره	البسيط	٤	١٩٢
تظل	ستر	الوافر	٢	٢٠٨
يا قوم	نضر	البسيط	٢	٢١٧
ولما	صدري	الطويل	٢	٢١٧
رأي	مغري	الطويل	٢	٢٢٥
وشاعر	شعره	السريع	٢	٢٢٦
لقد	حذر	البسيط	١	٢٣٤
ولقد	نظير	الكامل	٣	٢٣٤
ولقد	المعسر	الكامل	٢	٢٣٥
تعففت	شكرة	الطويل	٢	٢٤١
في زخرف	تغيير	البسيط	٣	٢٤٣
لم	مخبري	الكامل	٢	٢٠٧
ترقب	للسر	الطويل	٢	٣٠٩

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
من	السار	البسيط	١	٣٢١
ومن	لا يري	المتقارب	١	٣٢٤
أقام	تدمرا	الطويل	٢	٣٢٥
فصوص	ظفر	الوافر	٢	٣٢٥
يامن	منشورا	البسيط	٢	٣٣٠، ٣٣١
قالوا	لاوزر	الرجز	٢	٣٣١
باد	جرى	الكامل	٩	٣٣٥، ٣٥٦
برج	حرار	مجزوء	١٣	٣٥٦، ٣٥٧
سكتتك	أصير	الطويل	٥	٣٧٨
المدنفان	أحور	الكامل	٢	٣٨٢
عقرتهم	بعقار	الكامل	٣	٣٨٤
عذيري	صفر	الطويل	٣	٣٨٨
يامن	الكبر	البسيط	٥	٣٩٦
جعلوا	يشهر	الكامل	٢	١٣١
ما للعمامة	وإزار	الكامل	٢	١٣٥
أنا	المشهر	الطويل	٤	١٦٠
وكأس	بدر	الطويل	٣	١٨٢
شربنا	الدهور	الوافر	٢	١٨٢
وعندي	قصار	الوافر	٢	١٨٣
وانظر	عنبر	الكامل	١	٤٩٤

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ألا	القطر	الطويل	١	٥٣٩
شبهوا	نضر	من الموشحات	٢	١٤٠
قاس	الخفر	الرجز	٢	١٩٨
كأنما	الأخضر	الكامل	٢	٢٣١، ٢٣٢
والله	أسرة	الكامل	٢	٢٣٢
ذكرتك	السمر	الطويل	١	٢٣٦
رأيت	أفكاري	البسيط	٢	٢٤٥
انظر	الغابر	الكامل	٢	٧٩
بعينك	مصر	الطويل	٣	٧٩
خليليَّ	مصر	الطويل	٣	٨٠
وتذكر	تفكير	الخفيف	٣	٩١
جزي	سنمار	البسيط	١	٩٣
نزيل	السواري	الوافر	٢	١٠١
وأيام	طيرا	الوافر	١	١١٥
هينون	أيسار	البسيط	٢	١١٨
تجري	حذر	البسيط	٢	١٢٦
وقبر	قبر	الرجز	١	٤٥٧
هلا	والقدر	البسيط	٤	٤٣٨
أدر	السري	الكامل	٢	٣٩٩
ملك	يصدرا	الكامل	٣	٣٩٩

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
نوران	المنظر	الكامل	٦	٤٠٣، ٤٠٤
وليل	النهر	الطويل	٢	٤٠٥
أثمرت	مثمرا	الكامل	٢	٤٠٦
وواعدتها	يسري	الطويل	٧	٤٠٩
أذن	بنضار	الكامل	٤	٤١٢
أيها	باختيار	الخفيف	٤	٤١٥
ولما	ثار	الطويل	٣	٤١٦
ياليلة	دهري	مخلع البسيط	٥	٤٣٦
بالله	المنير	مجزوء الكامل	٣	٤٤١
علقتة	الدررا	البسيط	٢	٤٦٧
رعي	العمر	الطويل	٢	٤٧٦
فأصبحوا	بشر	البسيط	١	٤٨٦
استقدر	مياسير	البسيط	٢	٤٨٦
انظر	عنبر	الكامل	١	٣٧٧
ومزنة	منتشر	البسيط	٢	٥٠٣
قد	الأقدار	الكامل	٢	٥٠٧
ياحر	والمدر	المنسرح	٤	٥١٠
بلادي	وكرا	الطويل	٣	٥١٥
لو	وجاري	الخفيف	٢	٥١٥

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
والصبح	العنبرا	الرجز أو الكامل المخبون	١	٥٢١
حوى	الدهر	الطويل	١	٥٢٣
تغنى	تضاري	الوافر	٤	٥٣١
ألا	القطر	الطويل	١	٤١٢
بأي	صدري	مجزوء الرمل	٢	٥٥٣
ما ضربني	المضمار	الكامل	٢	٥٥٤
في مصر	تمتاره	الكامل	٢	٥٥٤
كأني	الفجر	الطويل	٢	٥٥٥
أما	الضرائر	الطويل	٩	٥٦٢
كم	عشاري	الكامل	١	٥٧١
بغى	والقدر	رجز	٢	٥٧٤
لك	والأمر	الطويل	٣٠	٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩
الفرق	الزهر	البسيط	٦	٥٨٩
الصمت	مهذارا	الكامل	٢	٦١٤
يارب	النار	البسيط	٢	٦٢١
لا تنكرن	بصبار	البسيط	٢	٦٢٧
ومستبصر	الهجر	الطويل	٢	٦٣٤
إذا	للوزير	الوافر	٢	٦٣٨

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	القافية	المطلع
٦٤٤	٢	المتقارب	والمحتقر	أتيت
٦٤٤	٣	المتقارب	الخبر	تفانوا
٦٥٨	٢	الطويل	ومجزري	سلى
٤٧٧	٢	الرجز	خضر	دمشق
		(ز)		
١٦٠ ،١٩٥	١٢	مخلع البسيط	الخز	أقبل
٤٦٥	٧	الطويل	خز	أسحر
٥٢٤	٢	الكامل	المتحرز	وحديثها
٥٦٢ ،٥٦١	٧	الخيف	حريز	أنت
		(س)		
١٨٩	٢	الوافر	شماس	وصافية
٢٢٥	٢	الكامل	نفائس	لله
٢٨٧	٤	البسيط	يقتبس	النحو
٢٨٨	١	الكامل	المجلس	صدر
٣٣٣	٥	الكامل	الناس	إن
٤٠٨	٥	المتقارب	الحرس	ولما
٤١٤	٤	الكامل	لباسه	ومنزع
٤٣٥	٤	الوافر	شمس	أيو حشن
٤٦٨	٧	الكامل	المؤنسا	شرف
٤٦٩ ،٤٦٨	١٣	الرهل	النفس	قد

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
يا صانعي	رئيس	الكامل	٣	٥٥٦
أقشيب	ورسيسا	الكامل	١	٥٦٥
وزير	واقتباسه	الوافر	٢	٥٨٢
أطلعن	عبوسا	الكامل	٦٤	٥٦٥، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١
إن الحبيب	ولا حرس	البسيط	٦	٦٤٦
قد قلت	رمسه	السريع	٣	٦٤٧
لا تسين	ناسي	الكامل	١	٦٧٤
فإن نسيت	الناس	البسيط	١	٦٧٤
أين	جلسوا	البسيط	١٠	٦١٠
(ش)				
لقد	تشويشا	الطويل	٢	١٣٣
أرسل	رشا	الخفيف	٦	٤٢٣
لهيب	كالفراش	الوافر	٢	٢٤٦
بوجه	ولا تحاشى	الوافر	٢	٢٤٦
(ص)				
كأن	مغاصا	الواقر	٢	٢٠٩
لقد	خالصه	المتقارب	١	٦٥١
شبهه	خالا □	الكامل	٢	٤٩٥

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
وندمان	السجوف	الوافر	٢	١٨٨
بادر	تفويف	الكامل	٣	٥١٩
وأنا	مئناف	الكامل	١	٥٢٠
بالذي	حتفا	مجزوء الرمل	٤	٢٤٧
كأنها	وصفا	المتسرح	٢	١٨٣
أطراف	الأشراف	الكامل	٢	١٣١
يا طول	السدف	البسيط	٣	٣٣٤
من	للخائف	الكامل	٣	٥٣٣
لما	لا يشفيه	الكامل	٢	٤١٥
لم	ضافي	الكامل	٢	٢٢٣
إنا	والأشراف	الكامل	٢	٣٧١
وإيوان	مشرف	الوافر	٢	٥٢٣
لي	مرهف	الطويل	٢	٥٥٥
إن	تكفيه	الكامل	٢	٥٥٥
(ق)				
ولقد	خوافق	الكامل	١	٢٣٣
ولقد	يعشق	الكامل	١	٢٣٤
إذا	صديقي	الوافر	٣	٢٤٩
مساء	بالطلاق	الوافر	١	٣١٨
فكيف	الغرائقة	الطويل	١	٣٢٠

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ومهفهف	رقاق	الكامل	٢	٣٩٦
ومهفهف	يشرق	الكامل	٢	٣٩٦
كلمته	الورق	الكامل	٣	٤٣٧
أدمشق	يتشوق	الكامل	١٦	٤٧٥، ٤٧٦
ولقد	رونق	الكامل	١	٣٨٧
يا مصطفى	أغلاق	الكامل	٢	٥٩٦
إن	مريق	الخفيف	١	٥١٠
وإذا	يفرق	الكامل	١	٥٨١
ومهفهف	ابريقه	الكامل	٢	٣٧٧
بأبي	بارق	الكامل	٩	٤٠٢، ٤٠٣
ياويح	بالمشرق	الكامل	٤	٤٣٦
أصبحت	مشرقًا	الرمل	٢	٤٠٧
شدوا	التقي	الكامل	٣	٤٢٦
غصن	حرقا	الرمل	٧	٤٢٩
وما أنا	فأورقا	الطويل	٢	٥١٢
خليلي	الحقا	الطويل	٢	٥٥٦
أخاف	وأضيقا	الطويل	٣	٦٤٣
إشرب	ريقي	مخلع البسيط	٣	٤٤١
غرناطة	ما العراق	مخلع البسيط	٢	٤٦١
لا ونوم	بالاعتناق	الخفيف	٧	٤٦٩، ٤٧٠

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
أهلا	هلالا	مخلع البسيط	٢	٢٤٥
لما	خيالا	الكامل	٢	٢٤٧
أبو	أبالا	الواقر	٣	٢٦١
من	الرسائل	الكامل	٤	٢٥١
تعلم	جاهل	الطويل	٢	٢٨٠
يقولون	جليل	الطويل	٢	٢٩٩
إذا	القبائل	الطويل	١	٣٦٩
يا أقتل	والعسل	البسيط	٥	٤٠٤
حث	ظليل	الكامل	٣	٤١١
متى	سائل	الطويل	١	٢٧٦
وقد	متكامل	الطويل	٢	٣٦٨
وهل	بغل	الطويل	٢	٣٩٧
أطلب	الكسل	الرمل	٨	٢٨٦
إن	لي	السريع	٢	٣٠٩
ولست	بالنائل	المتقارب	١	٣١٠
تعالي	الرجال	الوقر	١	٣٢٢
خط	مقلا	البسيط	٢	٣٥١
كتاب	هلال	الطويل	٤	٣٥٢
ذو	ذلا	الخفيف	٣	٣٥٣
يقول	والغالي	الطويل	٣	٣٦٤

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
حيلة	لعليلة	الخفيف	٢	٣٨٤
وإذا	خبالا	الكامل	٢	٣٨٦
قالوا	مبتذل	البسيط	٥	٣٨٧، ٣٨٨
تخيرتها	عقالا	المتقارب	٢	٣٣٩
سموت	حال	الطويل	١	٣٠٧
أنا	حالا	الخفيف	٦	٤١٥
لم	مللا	الرمل	٦	٤٣٣
حنبوني	الأصيل	الخفيف	٣	٣٤٩
سبق	نقلة	الخفيف	٢	٤٦٤
دمشق	عذول	الطويل	٦	٤٧٢
لست	حالي	الخفيف	٢	٤٧٩
إن	مهلا	المنسرح	١	٤٨٦
خاضت	زلال	الكامل	١	٥٠٧
ووجه	الأسيل	الوافر	٢	٥١٢
ألا	أهلي	الطويل	٢	٥١٥
نهرة	قليلا	الخفيف	١	٥٢٢
لا تظن	الهلالا	الخفيف	٢	٥٢٤
وصدقتة	الأول	الكامل	١	٤٢٥
كتبت	الخليل	الوافر	٢	٥٥٢
سبق	نقله	الخفيف	٢	٥٥٢

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
قال	محول	الخفيف	٣	٥٥٣
رمو	الهاطل	المتقارب	٢	٥٥٤
أقمنا	حال	الوافر	٣	٥٦٢
أعيا	التفصيلا	الكامل	٣	٥٦٢
فكان	العليل	الوافر	١	٥٧٩
ما بين	حال	البسيط	١	٥٨٢
إذا	جميل	الطويل	٢	٥٨٦
يموت	الرجل	الطويل	٢	٦١٤
إذا	وتجمل	الطويل	٢	٦٢٣
وأدهم	الثمل	البسيط	٢	٦٢٤
وإذا	يتحولا	الكامل	٦	٦٢٥
وإذا	التحويلا	الكامل	٣	٦٢٦
سافر	الأشبالا	الكامل	٣	٦٢٧
احذر	فتحول	الكامل	١	٦٢٨
إذا	فتحول	الطويل	١	٦٢٨
حبك	بدل	الرمل	٢	٦٢٩
إن	النقل	البسيط	٢	٦٢٩
ياولاة	وتزول	الخفيف	٢	٦٣٥
باتوا	القلل	البسيط	٦	٦٤٤
يا أيها الناس	الأجل	المنسرح	٣	٦٤٨

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الله يعلم	النزل	الكامل	٢	٦٥٩
إن تجد	وعلا	الرمل	١	٦٨٥
		(م)		
تعلقت	حجم	الطويل	٢	٣١
تمام	اللثام	الوافر	١	٤٦
لي	مهتضم	البسيط	٢	٨٣
الم	رحم	البسيط	١	١١٢
غيروا	المكارم	الخفيف	٢	١٣٤
ان	عمم	مختلفة الوزن	٣	١٣٤
وقيل	حريم	الطويل	٢	١٧٢
تركت	قاما	الوافر	٢	١٧٢
لعمري	حرام	الطويل	٨	١٧٧
وشمسة	فمي	الطويل	٢	١٨٠
ولقد	مظلم	الكامل	٤	٢٣٦
ولما	مقام	الطويل	٤	٢٤٠
لم	ندما	البسيط	٣	٣٢٨
فألقت	ومعصم	الطويل	١	١٦٢
وكائن	الكرام	الوافر	٦	١٦٦، ١٦٧
ولقد	المعلم	الكامل	٤	١٧٤
ولم	بنجوم	الطويل	٢	١٨٠

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
سَألتهُ	لثمه	السريع	٢	٢٢٢
ولقد	دمي	الكامل	٢	٣٢٣
لله	النعيم	السريع	٢	٢٩٤
إن	ينمي	الكامل	١	٣٢٣
هي	النوم	البسيط	٢	٣٣٩
إذا	اللئيم	الوافر	١	٣٤٣
إن	الأمم	البسيط	٣	٣٥٠
استشعر	الأيام	الكامل	٢	٣٥٢
مالك	المعدم	السريع	٥	٣٦٠
قالوا	سلم	مجزوء الكامل	٤	٣٦١
ولو	القتام	الوافر	١	٣٦٨
ياسالكا	الدم	الكامل	١	٣٦٩
ألا	المقاما	الوافر	٢	٣٧٢
تعلق	وأظلما	الطويل	١	٣٧٣
علي	الحمائم	الطويل	١٠	٤٠٠
إذا	رازمه	الطويل	١	٤٠٦
ألا	التمام	الوافر	٣	٤١٣
هم	المدام	الوافر	٥	٤١٦، ٤١٧
نام	الخزامي	الرمل	٥	٤٢٨
لما	كواتم	الطويل	٣	٤٣٧

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
له	والتقسيم	الكامل	٢	٤٧٨
الصالحية	أقاموا	مجزوء الكامل	٢	٤٨٠
وسقي	تهمي	الكامل	١	٥٠٦
محمد	دمة	البسيط	١	٥٠٩
وما أرقت	دمي	البسيط	١	٥٠٦
ويح	النعيم	الخفيف	٢	٥١٢
إذا	النعيم	المتقارب	١	٥١٣
ذكرت	المتقادم	الطويل	٢	٥١٤
نسيمة	كمة	السريع	١	٥٢٢
رغيفك	الحرم	المتقارب	٢	٥٣٤
وما هاج	وترنما	الطويل	٧	٥٣٤
هن	حمام	الكامل	١	٥٣٣
جلس	احتكام	الرمل	٢	٥٥٣
شيفنا	إمام	الخفيف	٣	٤٨١
ياليل	النادم	الكامل	٢	٥٥٤
قسما	عاتمة	مجزوء الخفيف	٢	٥٨٠
إذا	الندامة	الوافر	٢	٥٩٣
ياسائرا	هائم	الكامل	٢	٥٩٦
بثناك	وسلما	الكامل	٢	٥٩٦
الهي	كريم	الطويل	٢	٦٤٥

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
وحلو	الناظرين	الوافر	٢	٢٢٦
آه	ولهانه	الخفيف	٢	٢٢٧
أعد	المنون	الوافر	٢	٢٤٦
كأن	سنانا	المتقارب	٢	٣٢٩
ألا	تنسكبان	الطويل	٥	٣٣٥
قد	مدفون	المنسرع	٢	٣٣٧
ماذا	ولا يستأذن	الكامل	٢	٣٤٣
ولو	المدان	الوافر	٢	٣٦٧
ما سئمت	يميني	الخفيف	٤	٣٤٩
لست	وافاني	الخفيف	٢	٣٤٩
كيف	كتان	المدير	١	٣٧٩
وموسدين	وغالني	الكامل	٣	٣٨٣
مالي	التداني	مخلع البسيط	٦	٣٩٢
لكل	إنسان	البسيط	٢٠	٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥
أما	الحرمان	الكامل	٢	٣٩٦
كأننا	واشينا	البسيط	٢	٤٠٦
وساق	حران	الطويل	٧	٤١٢
سلبت	بالحزن	مجزوء الوافر	٤	٤٢٥
انا	عيني	مجزوء الرمل	٤	٤٢١

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
إعجب	عجائبها	المنسرح	٣	٣٦٣
يا من	لا تنسه	السريع	١	٣٦٥
إن	عاملة	البسيط	٢	٣٧٥
لا غرو	إنائها	الكامل	٢	٣٧٦
لئن	اللها	الطويل	١	٤٠٦
لقد	يكملة	البسيط	٤	٤٣٥
هل	ما أودعوها	الخفيف	٢	٤٣٨
يا من	بواديها	البسيط	٢٧	٤٦١، ٤٦٢
شوقي	الواهي	البسيط	٥	٤٦٤
دمسق	لساكنيها	الوافر	٢	٤٧٤
سقي	وغاديها	البسيط	٢	٤٧٧
رأيت	علية	الوافر	٢	٤٩٦
ومن	رقشه	الكامل	٤	١٣٦
بيضاء	بشمه	مجزوء الكامل	١	١٥٨
صدح	سفيها	الخفيف	٢	١٨١
وهيفاء	ملاهٖا	الطويل	٢	١٩٣
وهيفاء	دلالها	الطويل	٤	١٩٤
لي	فيه	المديد	٤	٥١١
وكلما	تعدية	المشرح	٢	٦٣٣
عقت	مساوية	البسيط	١	٦٣٤

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
عداتي	الأعاديا	الطويل	٢	٤٦٧
سقى	مابيا	الطويل	٢	٥١٤

أنصاف الأبيات

نصف البيت	البحر	الصفحة
وربع عفت آثاره منذ أزمان	الطويل	٤٢
أقوين مذحجج ومد دهر	الكامل	٤٢
ولا سيما يومًا بدارة جلجل	الطويل	٤٥٩
وبات إيوان كسرى وهو منصدع	البسيط	٥١
فإن أعزاء الرجال طاليها	الطويل	٥٠٥

الأراجيز

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
باقي رمة التقليد				١٤
لله	بالعيان		٤١	٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢
وبلدة	أفياؤها	رجز	١	٥٠٥
وشادن	أطرافه	رجز	١	٥١٣
إن	النظاما	رجز	٣	١٣٩

الموشحات

الموشحة	البحر	الصفحة
رب	تدر	٥٥٨
شبّهوا	نضر	١٩٨

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان والجماعات والطوائف وغيرها

فهرس المصادر والمراجع

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
أ		
آثار البلاد وأخبار العباد	القزويني	طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
الإحاطة في أخبار غرناطة	ابن الخطيب	تحقيق محمد عبد الله عنان، ط الخانجي، القاهرة.
إحياء علوم الدين	الغزالي	ط مصطفي البابي الحلبي، القاهرة.
أخبار أبي تمام	الصولي	تحقيق د/ محمد عبده عزام وآخرين، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
أدب الدنيا والدين	الماوردي	تحقيق الأستاذ مصطفى السقا، ط مصطفي البابي الحلبي، القاهرة.
أدب النديم	كشاجم	تحقيق د/ النبوي عبد الواحد شعلان، ط الخانجي، القاهرة.
ارتشاف الضرب	أبو حيان الأندلسي	تحقيق د/ رجب، الخانجي، القاهرة.
أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض	المقري	تحقيق مصطفى السقا وآخرين.
الاستيعاب	ابن عبد البر	تحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي، ط نهضة مصر.
أساس البلاغة	الزمخشري	ط دار الكتب، مصر.
الاشتقاق	ابن دريد	تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، ط الخانجي، القاهرة.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
أشعار أولاد الخلفاء	الصولي	تحقيق ج. هيورث دن، ط دار المسيرة، بيروت.
الأعلام	خير الدين الزركلي	ط دار العلم للملايين بيروت.
الأغاني	أبو الفرج الأصفهاني	ط دار الكتب، ط الهيئة العامة للكتب ط دار الشعب، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري.
الأمالي	أبو علي القالي	ط دار الكتاب العربي , بيروت.
الإماء الشواعر	أبو الفرج الأصفهاني	تحقيق د/ جليل العطية دار النقال، بيروت
الأنموذج	ابن رشيق	جمع ونشر محمد العروسي المطوي ط تونس.
الأوائل	أبو هلال العسكري	تحقيق الاستاذ محمد السيد الوكيل، ط دار البشير
الإيضاح في علوم البلاغة	الخطيب القزويني	تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
	ب	
البداية والنهاية	ابن كثير	ط دار السعادة، القاهرة.
البارع في اللغة	لأبي علي القالي	تحقيق هاشم الطعان، مكتبة دار النهضة بغداد
البيان والتبيين	الجاحظ	تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، ط الخانجي، القاهرة.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
بهجة المجالس	ابن عبد البر القرطبي	تحقيق د/ محمد مرسي الخولي، ط دار الكاتب العربي، القاهرة.
	ت	
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي	ط دار الكتاب العربي، بيروت.
تاريخ ابن خلدون	ابن خلدون	ط مصورة عن طبعة بولاق.
تاريخ دمشق	ابن عساكر	
تاريخ الطبري	الطبري	تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف بمصر.
تاج العروس	الزبيدي	تحقيق: مجموعة من المحققين، ط الكويت.
التبيان في شرح ديوان المتنبي		تحقيق مصطفي السقا وآخرين، ط مصطفي البابي الحلبي، القاهرة.
تحرير التحبير	ابن أبي الأصبع المعري	تحقيق د/ حنفي محمد شرف، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
التمثيل والمحاضرة	الثعالبي	تحقيق د/ عبد الفتاح الحلو ، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
التذكرة الصفدية		مخطوط بدار الكتب المصرية.
التذكرة الحمدونية	ابن خلدون	تحقيق إحسان عباس ، بكر عباس، دار صادر، بيروت.
التعريف والإعلام	السهيلي	
تتمة اليتيمة	الثعالبي	تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
تفسير الطبري	الطبري	تحقيق الأستاذ محمود شاكر، ط دار المعارف، القاهرة.
تفسير القرطبي	القرطبي	ط دار الكتب، القاهرة.
	ث	
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب	الثعالبي	تحقيق الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط نهضة مصر، وتحقيق إبراهيم صالح.
	ج	
جمهرة الأمثال	أبو هلال العسكري	تحقيق الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، ط المؤسسة العربية الحديثة – القاهرة.
الجماهر في معرفة الجواهر	أبو الريحان البيروني	تحقيق كرنكو، ط حيدر آباد، الهند.
	ح	
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة	السيوطي	تحقيق الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
الحلة السيراء	ابن الأبار	تحقيق حسين مؤنس، ط الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة.
حلبة الكميت	النواجي	ط الذخائر مصورة عن نسخة قديمة.
الحماسة البصرية	البصري	تحقيق د/ عادل جمال سليمان، ط الخانجي، القاهرة.
حياة الحيوان	الدميري	تحقيق الأستاذ إبراهيم صالح، دار البشائر.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
	خ	
خريدة القصر وجريدة العصر	العماد الأصفهاني	تحقيق عمر الدسوقي وآخر نهضة مصر، القاهرة.
خزانة الأدب	البغدادي	تحقيق الأستاذ عبد السلام هاورن، ط الخانجي، القاهرة.
	د	
درة الغواص	الحريري	تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة.
الدرة الفاخرة	حمزة بن الحسن الأصبهاني	تحقيق د/ عبد المجيد قطامش، دار المعارف بمصر.
الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة	ابن حجر العسقلاني	
الدر المنثور	السيوطي	تحقيق د/ عبد الله عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة.
دلائل النبوة	أبو نعيم الأصبهاني	تحقيق عبد البر عباس ، د/ محمد رواس تلعجي، دار النفائس، بيروت.
ديوان أبي تمام	شرح الخطيب التبريزي	تحقيق الأستاذ محمد عبده عزام، ط دار المعارف بمصر.
ديوان الأرجاني	تحقيق قدري مايو	دار الجبل، بيروت.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
ديوان أبي العتاهية	ضمن كتاب: أبو العتاهية أشعاره وأخباره	تحقيق د/ شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق.
ديوان أبي الأسود الدؤلي	تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين	مؤسسة إيف للطباعة والتصوير، بيروت.
ديوان الصفدي (المسمى الروض الباسم)	تحقيق د/ محمد عبد المجيد لاشين	ط دار الآفاق العربية، بيروت.
ديوان أبي فراس الحمداني		ط دار صادر، بيروت.
ديوان أبي الفتح البستي	تحقيق د/ محمد مرسي الخولي	ط دار الأندلس
ديوان الأعشى	تحقيق د/ محمد محمد حسين	المكتب الشرقي للنشر والتوزيع
ديوان الإمام الشافعي	تحقيق محمد عفيف الزعبي	دار الجيل بيروت.
ديوان امرئ القيس	تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم	ط دار المعارف بمصر.
ديوان أمية بن أبي الصلت (ضمن كتاب أمية بن أبي الصلت حياته وشعره)	تحقيق د/ بهجة عبدالغفور الحديثي	بغداد.
ديوان أبي النجم العجلي	صنعة وشرح علاء الدين أغا	ط النادي الأدبي بالرياض.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
ديوان أبي نواس	تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي	ط دار الكتاب العربي، بيروت.
ديوان البحتري	تحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفي	ط دار المعارف بمصر.
ديوان بشار بن برد	تحقيق الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور	ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
ديوان البوصيري	تحقيق محمد سيد كيلاني	ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
ديوان جحظة		
ديوان حميد بن ثور	تحقيق الأستاذ عبدالعزيز الميمني	ط دار الكتب المصرية، القاهرة.
ديوان حاتم الطائي	تحقيق د/ عادل جمال سليمان	ط الخانجي، القاهرة.
ديوان الحماسة شرح المرزوقي	تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون	ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
ديوان ابن خفاجة		
ديوان ديك الجن	تحقيق د/ أحمد مطلوب وآخر	ط دار الثقافة بيروت.
ديوان ابن الدمينة	تحقيق أحمد راتب النفاخ	ط مكتبة دار العروبة، القاهرة.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
ديوان ذي الرمة	تحقيق د/ عبد القدوس أبوصالح	ط مجمع اللغة العربية/ دمشق.
ديوان ابن الرومي	تحقيق د/ حسن نصار	ط دار الكتب المصرية، القاهرة.
ديوان ابن زيدون	تحقيق الأستاذ علي عبد العظيم	ط دار نهضة مصر، القاهرة.
ديوان زهير بن أبي سلمى		ط دار الكتب المصرية، القاهرة.
ديوان السري الرفاء	تحقيق د/ حبيب حسين الحسيني	ط العراق
ديوان الصاحب بن عباد	تحقيق محمد حسين آل ياسين	ط مكتبة النهضة بغداد.
ديوان الصبابة	ابن أبي حجلة تحقيق د/ زغلول سلام	منشأة المعارف، الإسكندرية.
ديوان الصنوبري	تحقيق د/ إحسان عباس	ط دار الثقافة، بيروت.
ديوان الصوري	تحقيق: مكي السيد جاسم وزميله	دار الرشيد للنشر، بغداد.
ديوان الطغرائي	تحقيق د/ علي جواد الطاهر، د/يحيي الجبوري	جار القلم: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الكويت.

التحقيق/ دار النشر	المؤلف	عنوان الكتاب
تحقيق د/ حسين نصار، ط مكتبة مصر.		ديوان ظافر الحداد
ط مكتبة صادر، بيروت.		ديوان العباس بن الأحنف
تحقيق د/ محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت.		ديوان ابن عبد ربه الأندلسي
تحقيق د/ جورج قنازع، مجمع اللغة العربية دمشق.		ديوان العسكري
تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة التجارية، القاهرة.		ديوان عمر بن أبي ربيعة
تحقيق الأستاذ: محمد سعيد المولوي، ط المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق.		ديوان عنترة
عني بجمعه وطبعه عبد الله إسماعيل الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة.		ديوان الفرزدق
تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج، ط مكتبة مصر.		ديوان قيس بن ذريح
تحقيق د/ النبوي عبد الواحد شعلان، ط الخانجي، القاهرة.		ديوان كشاجم
تحقيق د/ خليل إبراهيم العطية، بغداد.		ديوان ليلى الأخيلية
شرح عبد الرحمن البرقوتي، ط دار الكتاب العربي، بيروت.		ديوان المتنبي

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
ديوان ابن المعتز		تحقيق محمد بديع شريف، ط دار المعارف بمصر، تحقيق يونس السامرائي، عالم الكتب، بيروت.
ديوان ابن ميادة		جمع وتحقيق د/ حنا جميل حداد، ط مجمع اللغة العربية، دمشق.
ديوان ابن هانئ الأندلسي		ط دار صادر، بيروت.
ديوان الهذليين		ط دار الكتب المصرية.
	ذ	
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة	ابن بسام الشنتريني	تحقيق د/ إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت.
	ر	
رسائل الجاحظ	الجاحظ	تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، ط الخانجي، القاهرة.
رسالة الغفران	المعري	تحقيق: د/ عائشة عبد الرحمن، ط دار المعارف، مصر.
ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا	شهاب الدين الخفاجي	تحقيق د/عبد الفتاح الحلو، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
	ز	
الزبور		
زهر الآداب	الحصري	تحقيق الأستاذ/ علي محمد البجاوي، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
الزهرة	محمد بن داود الأصفهاني	تحقيق د/ إبراهيم السامرائي، ط مكتبة المنار، عمّان – الأردن.
	س	
سقط الزند	المعري	تحقيق جماعة من العلماء نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
السكردان	ابن أبي حجلة	تحقيق د/ علي محمد عمر، ط الخانجي، القاهرة.
سمط اللآلي	أبو عبيد البكري الأندلسي	تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
سنن الترمذي		تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر.
سنن ابن ماجة		تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
سير أعلام النبلاء	الذهبي	تحقيق مجموعة من المحققين، ط الرسالة، بيروت.
سيرة ابن هشام	ابن هشام	تحقيق الأستاذ مصطفى السقا وآخرين، ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
	ش	
شرح الأشموني		تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
شروح التلخيص		طبعة دار السرور، بيروت

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
شرح ديوان الفرزدق		عبد الله إسماعيل الصاوي، ط المكتبة التجارية، القاهرة.
شرح ديوان الأخطل	صنعة السكري	تحقيق د/ فخر الدين قباوة، ط دار الأصمعي.
شروح سقط الزند		تحقيق مجموعة من العلماء، ط دار الكتب.
شرح الرضي لكافية ابن الحاجب		تحقيق د/ حسن الحفظي، د/ يحيى بشير مصري، جامعة الإمام محمد بن سعود.
شذرات الذهب	ابن العماد الحنبلي	ط دار الآفاق الجديدة، بيروت.
شرح القصائد السبع الطوال	ابن الأنباري	تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، ط دار المعارف بمصر.
شرح مقامات الحريري	الشريشي	تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة.
الشعر والشعراء	ابن قتيبة	تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، ط دار المعارف بمصر.
الشمائل	الترمذي	دار الحديث
شرح هاشميات الكميت بتفسير أبي رياش القيسي		د/ داود سلوم وزميله، عالم الكتب، بيروت.
ص		
الصناعتين	أبو هلال العسكري	تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
صحيح البخاري	الإمام البخاري	ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
صحيح مسلم	الإمام مسلم	تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
الصحاح	الجوهري	تحقيق أحمد عبد الغفار عطار، ط دار المعارف بمصر.
ط		
طبقات الشعراء	ابن المعتز	تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج، ط دار المعارف بمصر.
طبقات اللغويين والنحاة	الزبيدي	تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف بمصر.
طبقات فحول الشعراء	ابن سلام	تحقيق الأستاذ محمود شاكر، ط المدني، القاهرة.
الطرائف الأدبية		تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني، ط السلفية، القاهرة.
ع		
العظمة		
العقد الفريد	ابن عبد ربه	تحقيق الأستاذ أحمد أمين وآخرين، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
العمدة	ابن رشيق	تحقيق د/ النبوي عبد الواحد شعلان، ط الخانجي، القاهرة.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
عيون الأخبار	ابن قتيبة	ط دار الكتب المصرية.
ف		
الفاخر	المفضل بن سلمة	تحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوي، ط وزارة الثقافة، القاهرة.
الفهرست	ابن النديم	تحقيق الأستاذ رضا تجدد، ط طهران.
فتوح مصر	ابن عبد الحكم	
فتح الباري شرح صحيح البخاري	ابن حجر	ط السلفية.
فوات الوفيات	ابن شاكر الكتبي	تحقيق د/ إحسان عباس، ط دار صادر.
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة	الشوكاني	تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.
ق		
القاموس المحيط	الفيروز آبادي	ط. الحسينية المصرية.
قطب السرور في أوصاف الخمور	أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالرقيق النديم	تحقيق أحمد الجندي، ط مجمع اللغة العربية، دمشق.
ك		
كشف الظنون	حاجي خليفة	ط تركيا.
كشف الخفاء ومزيل الإلباس.	إسماعيل العجلوني	ط إحياء التراث العربي، بيروت.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
كتاب سيبويه	سيبويه	تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، ط الخانجي، القاهرة.
	م	
مجمع الأمثال	الميداني	تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة التجارية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية.
المحبر	ابن حبيب	تحقيق إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق، بيروت.
مسائل الانتقاد	ابن شرف	تحقيق د/ النبوي عبد الواحد شعلان.
محاضرات الأدباء	الراغب الأصفهاني	ط مكتبة الحياة، بيروت.
المستطرف في كل فن مستظرف	الأبشيهي	تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت.
المسالك والممالك	الإصطخري	د/ محمد جابر عبد العال الحيني، ط وزارة الثقافة، مصر.
مروج الذهب	المسعودي	تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة التجارية، القاهرة.
مسند الإمام أحمد		ط مؤسسة الرسالة، بيروت.
المنتحل	الثعالبي	عناية أحمد أبو علي، ط الطبعة التجارية، الإسكندرية.
المنتخل	أبو الفضل الميكالي	تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
معجم الأدباء	ياقوت الحموي	تحقيق د/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
معجم البلدان	ياقوت الحموي	ط دار صادر، بيروت.
معجم ما استعجم	البكري	تحقيق الأستاذ مصطفى السقا، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
معاهد التنصيص	عبد الرحيم العباسي	تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة التجارية، القاهرة.
المعارف	ابن قتيبة	تحقيق د/ ثروت عكاشة، ط دار المعارف بمصر.
المطرب من أشعار أهل المغرب	ابن دحية	تحقيق إبراهيم الأبياري، د/ حامد عبدالمجيد، القاهرة.
مطمح الأنفس	الفتح بن خاقان	تحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار ومؤسسة الرسالة.
من غاب عنه المطرب	الثعالبي	تحقيق د/ النبوي عبد الواحد شعلان، ط الخانجي، القاهرة.
موطأ مالك	تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي	دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
معجم الشعراء	المرزباني	تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
المفردات في غريب القرآن	الراغب الأصفهاني	تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
الأمثال	القاسم بن سلام أبو عبيد	تحقيق د/ عبد المجيد قطامش، ط مركز البحث العلمي، مكة المكرمة.
الموشح	المرزباني	تحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي، ط دار نهضة مصر، القاهرة.
المؤتلف والمختلف	للآمدي	تحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
مغني اللبيب	ابن هشام	تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة التجارية.
مختار الصحاح	الرازي	عني بترتيبه محمود خاطر، المطبعة الأميرية
المصباح المنير	الفيومي	ط الحلبي، القاهرة.
المختار من قطب السرور	ابن الرقيق القيرواني	تحقيق الأستاذ/ عبد الحفيظ منصور، ط تونس.
مقامات بديع الزمان	الهمذاني	شرح الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.
المغرب في حلى المقرب	ابن سعيد	تحقيق د/ شوقي ضيف، ط دار المعارف بمصر.
	ن	
نظم الفرائد وحصر الشوارد	المهلبي	تحقيق د/ عبد الرحمن العثيمين، ط الخانجي، مكتبة التراث، مكة المكرمة.
نفح الطيب	المقري	تحقيق د/ إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت.

عنوان الكتاب	المؤلف	التحقيق/ دار النشر
نهاية الأرب	النويري	ط دار الكتب المصرية.
النهاية في غريب الحديث والأثر	ابن الأثير	تحقيق د/ محمود الطناحي وآخر، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
	و	
وفيات الأعيان	ابن خلكان	تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
الوافي بالوفيات	الصفدي	تحقيق مجموعة من المحققين، ط النشرات الإسلامية، بيروت.
	ي	
يتيمة الدهر	الثعالبي	تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة التجارية، القاهرة.
يواقيت المواقيت	الثعالبي	تحقيق د/ النبوي عبد الواحد شعلان، ط دار قباء، القاهرة.

ثبت الموضوعات

كلية اللغة العربية

قسم الأدب

الكَوَاكِبُ الْسَّنِيَّة

شَرْح الْقَصِيدَةِ

الْمَقّرِيَّة

تأليف: أحمد بن صالح

ابن منصور الأدهمي

الطرابلسي

إعداد

نوال بنت عايض العميري

إشراف

أ. د. حمد بن ناصر

الدُّخَيِّل

رسالة ماجستير

الجزء الثاني

١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م